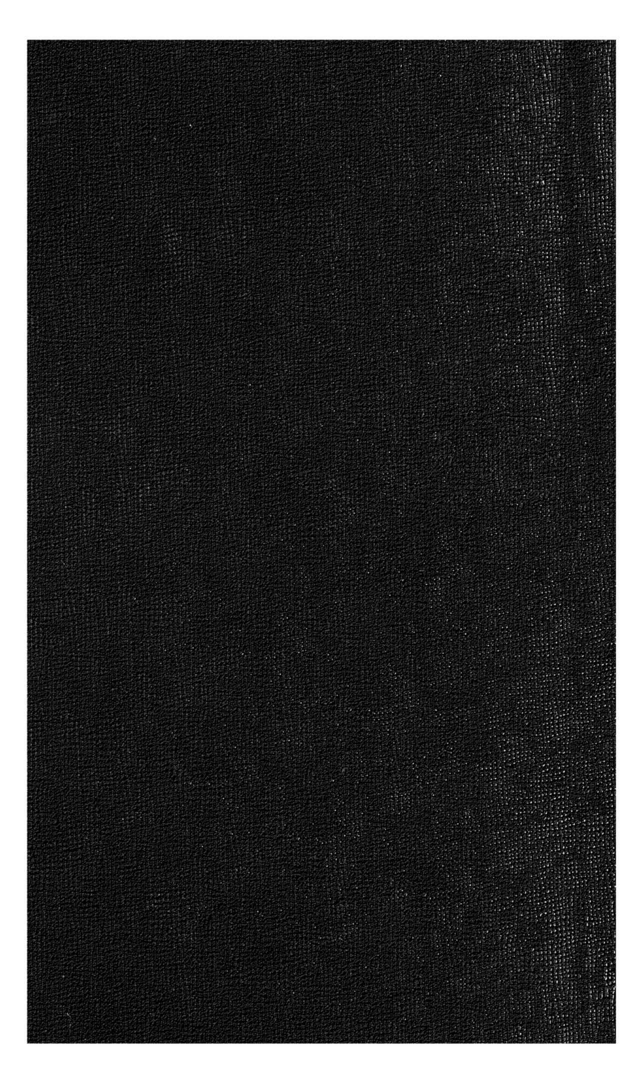


إهـــــــداء2005

الأستاذ الدكتور/ أحمد حمدي محمود

القاهرة

تراثنا



تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء التاسع

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء التاسع
من كتاب الأغانى

ذكر أخبار كثيّر ونسبه

نسبه

هو، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدىّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابىّ، أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عُوَيمر بن مَخْلَد[1] ابن سعيد بن سُبَيع[2] بن جَعْثَمَة بن سعد بن مُلَيح[3] بن عمرو وهو خُزاعة بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو وهو مُزَيقِيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرئ القيس البِطْريق بن ثعلبة البُهْلول [بن مازِن][4] بن الأَزْد وهو دِرْء[5] — وقيل دِرَاء ممدودا — بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ ابن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان.

وأخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا أبو صخر بن أبى الزَّعْراء الخُزَاعىّ عن أُمّه ليلى بنت كُثَيِّر قالت:

---

(١) كذا فى وفيات الأعيان لابن خلكان وتجريد الأغانى، وسيأتى فى النسب الذى يذكره عن ليلى بنت كثير: «... بن عامر بن مخلد بن سبيع ...». وفى الأصول هنا: «عويمر بن مخارق بن سعيد ...».
(٢) كذا ورد هذا الاسم فى الأصول وفى وفيات الأعيان وتجريد الأغانى والسيرة لابن هشام فى نسب أمية بنت خلف. وقال أبو ذر بن مسعود الخشنى فى كتابه على السيرة (ج ١ ص ٨٠ طبع مطبعة هندية) صوابه: «يثيع» بالياء المثناة من تحت والثاء المثلثة. (٣) فى الأصول: «مليح بن عمرو بن خزاعة ...» وهو تحريف. (راجع فى القاموس وشرحه مادة ملح والنسب الآتى الذى روى عن ليلى ابنته). (٤) زيادة من وفيات الأعيان وتجريد الأغانى. (٥) فى الأصول: «درى». والتصويب عن القاموس.

هو كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مُخلَّد بن سُبَيع بن سعد بن مُليح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وأمه جُمعة بنت الأشيم بن خالد بن عُبيد ابن مُبَشِّر بن رِيَاح بن سيالة بن عامر بن جِعْثِمة بن كعب بن عمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وكانت كنيةُ الأشيم جدّه أبي أمّه أبا جُمعة ؛ ولذلك قيل له آبن أبي جُمعة .

وكان له آبن يقال له ثوَاب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له .

ومات كثيِّر سنة خمس ومائة فى ولاية يزيد بن عبد الملك . وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلى . ولليلى بنته آبنٌ يكنى أبا سَلَمة شاعر، وهو الذى يقول :

صــــوت

وكان عزيزًا أن تَبِيتِى وبيننا * حجابٌ فقد أمسيتِ منّى على شهرِ

ففى القرب تعذيبٌ وفى النأى حَسْرةٌ * فياوَيْحَ نفسى كيف أصنع بالدهر

فى هذين البيتين غناء لمقاسة . ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حَبَش .

كنيته وطبقته فى الشعراء ونحلته

ويكنى كثيِّر أبا صخر . وهو من فحول شعراء الإسلام ، وجعله آبن سَلّام فى الطبقة الأولى منهم وقرن به جريرًا والفرزدقَ والأخطلَ والرّاعىَ . وكان غاليًا فى التشيُّع يذهب مذهب الكَيْسانيّة[1]، ويقول بالرَّجعة والتَّناسخ، وكان مُحمَّقًا مشهورا بذلك . وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيّرهم ذلك لجلالته فى أعينهم ولطف محلّه فى أنفسهم وعندهم . وكان من أتْيَه الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد .

(١) الكيسانية : فرقة من الشيعة الإمامية ، وهم أصحاب كيسان مولى على بن أبى طالب . (انظر الحاشية رقم ٣ فى ج ٧ ص ٢٣١ من هذه الطبعة) .

الحديث عنه وعلى شعره

أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز[1] الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى هارون بن عبد الله الزّهرىّ قال حدّثنى سليمان بن فُلَيح قال: سمعت محمد بن عبد العزيز (يعنى ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف) يقول ما قصّد القصيدَ ولا نعت الملوكَ مثلُ كثيِّر.

٥ أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الزُّبير بن بكّار قال كتب إلىّ إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ حدّثنى إبراهيم بن سعد قال: إنى لأروى لكُثَيِّر ثلاثين قصيدة لو رُقِى بها مجنون لأفاق.

٢٨/٨

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنى الزبير قال حدّثنى بعض أصحاب الحديث قال: كنّا نأتى إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس[2]، فنسأله عن شعر كثيّر فتطيب نفسه ويحدّثنا.

١٠

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عمر بن أبى بكر المؤمّلىّ[3] عن عبد الله بن أبى عُبيدة قال:

من لم يجمع من شعر كُثَيِّر ثلاثين لاميّة فلم يجمع شعرَه. قال الزبير قال المؤمّلىّ: وكان ابن أبى عُبَيدة يُملى شعر كُثَيِّر بثلاثين دينارا. قال وسئل عمّى مصعب: مَنْ أشعرُ الناس؟ فقال: كُثَيِّر بن أبى جمعة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعى وعامّتهم (يعنى الشعراء)، ولم يدرك أحد فى مديح الملوك ما أدرك كثيِّر.

١٥

أخبرنى أبو خَليفة الفضل بن الحُبَاب إجازةً قال حدّثنا محمد بن سَلّام الجُمَحِىّ قال:

---

(١) وردت هذه الكلمة «به» فى جميع الأصول. (٢) المراد بخبث النفس: غثيانها.

(٣) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «الموصلى». (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة، والمشتبه ص ٣٠٠ طبع أوربا).

٢٠

كان كثيّر شاعر أهل الحجاز، وهو شاعر فحل، ولكنه منقوصٌ حظُّه بالعراق.

أخبرنى أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلّام قال سمعت يونس النحوىّ يقول :

كُثَيِّر أشعرُ أهلِ الإسلام . قال ابن سلّام : وسمعت ابن أبى حفصة يُعجبه مذهبه فى المديح جدًّا، ويقول : كان يستقصى المديح، وكان فيه مع جودة شعره خَطَلٌ وعُجْب .

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى محمد بن إسماعيل الجعفرىّ قال أخبرنى إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال :

سمعت المسْوَر بن عبد الملك يقول : ما ضَرَّ مَنْ يروى شعر كثيّر وجميل ألّا تكون عنده مغنّيتان مُطْرِبتان .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم عن المدائنىّ عن الوقّاصىّ قال :

رأيت كثيّرا يطوف بالبيت، فَمَنْ حدّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذّبْه ؛ وكان اذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول : طأْطِئ رأسك لا يُصبْه السقف .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى إسحاق ابن إبراهيم عن المدائنىّ، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيه عبد العزيز وأُمُّه جمعة بنت كثيّر قال :

قال [جرير][1] لكثيّر : أىُّ رجلٍ أنت لولا دمامتك! فقال كثيّر :

إن أَكُ قَصْدًا[2] فى الرجال فإنّنى * اذا حلّ أمرٌ ساحتى لطويلُ

(١) التكملة من تجريد الأغانى .

(٢) فى الأصول : « قصيرا » والتصويب عن تجريد الأغانى . والقصد : الربعة من الرجال .

ما كان بينه وبين الحزين الديلي

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوقّاصي قال، وأخبرنا الحرمي ابن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الدِّيليّين قال :

٥ التقى كُثيّر والحَزِين الدِّيليّ [(١)] بالمدينة في دار ابن أزْهَر في سوق الغنم، فضمّهما المجلس . فقال كثير للحزين : ما أنت شاعرٌ يا حزين، إنما تُوصل الشيء الى الشيء . فقال له الحزين : أتأذَن لي أن أهجوَك ؟ قال نعم . وكان كثيّر قال قبل ذلك وهو ينتسب الى بني الصَّلْت [(٢)] بن النَّضْر بن كنانة :

أليس أبي بالنَّضْر أو ليس إخوتي * بكلِّ هِجَانٍ من بني الصَّلْت أزْهَرا

١٠ فإن لم تكونوا من بني الصَّلْت فاتركوا * أراكًا بأذيال الخمائل [(٣)] أخضرا

قال : فلما أذن كثيّر للحزين أن يهجوه قال الحَزِين :

٢٩ / ٨

لقد عَلِقتْ زُبُّ الذُّبَاب كُثَيِّرًا * أساوِدُ [(٤)] لا يُطْنِينه وأراقمُ

قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته * يَعَضّ القُراد بآسته وهو قائم

وما أنتمُ منّا ولكنكم لنا * عبيدُ العصا ما آبتلّ في البحر عائم

١٥ وقد علِم الأقوامُ أن بني آستها * خُزاعةَ أذنابٌ وأنّا القوادمُ

---

(١) اسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك ، والحزين لقبه ، من شعراء الدولة الأموية ، حجازي مطبوع ليس من فحول طبقته . وكان هجاء خبيث اللسان ساقطا يرضيه اليسير و يتكسب بالشعر وهجاء الناس . (انظر ترجمته في ج ١٤ ص ٧٦ من الأغاني طبع بلاق) . (٢) الصلت بن النضر: أبو خزاعة .

(٣) كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه . والخميلة : المنهبط الغامض من الرمل ، وهي مكرمة ٢٠ النبات . وفي الأصول : «الحائل» بالحاء المهملة .

(٤) الأساود : الحيات . ولا يطنينه : لا يبقين عليه ؛ يقال : رماه الله بأفعى لا تطني أي لا يفلت له بنها . والأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للناس .

ووالله لـــولا الله ثم ضِرَابُنَـا * بأسـيافنا دارتْ عليهـا المَقاسمُ

ولولا بنو بكر لَذَلّتْ وأُهلكتْ * بطعنٍ وأفنتْهـا السيوف الصوارمُ

قال : فقام كثيِّر لحمل عليه فلكَزه . وكان الحزين طويلا أيِّدًا . فقال له الحزين : أنت عن هذا أعجـز ، واحتمله فكان فى يده مثـلَ الكُرَة ، فضرب به الأرض ، فخلّصه منه الأزهريّون . فبلغ ذلك [أبا] الطُّفيـل(١) عامر بن واثلة وهو بالكوفة ؛ فأقسم لئن ملأ عينيه من كثيِّر ليضربنّه بالسيف أو ليَطعُننّه بالرمح . وكان خِنْذِفُ الأَسدىّ صديقا لأبى الطُّفيل ، فطلب الى أبى الطفيل فى كثيِّر واستوهبه إيّاه فوهبه له . والتقيا بمكة وجلسا جميعا مع عمـر بن علىّ بن أبى طالب ، فقـال : أمّا والله لو لا ما أعطيتُ خِنْذِفًا من العهد لَوَفيت لك . فذلك قول كُثيِّر فى قصيـدته التى يرثِى فيها خِنْذِفا :

تهدده أبو الطفيل واستوهبه خنذف الأسدىّ

ينـال رجالًا نفعُه وهو منهـمُ * بعيـدٌ كعَيُّـوقِ(٢) الـثُّرَيّا المُحَلِّقِ

أخبرنى أحمـد بن عبـد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

أنكر على الأحوص ضراعته فى الاستجداء

قال كُثيِّر : فى أىّ شعرٍ أعطى هؤلاء الأحوصَ عشرةَ آلافِ دينـار ؟ قالوا : فى قوله فيهم :

وما كان مالى طـارفًا من تجـارةٍ * وما كان ميراثًا من المـال مُتْـلَدَا

ولكنْ عطايَا من إمامٍ مُبَارَكٍ * مَلَا الأرضَ معروفًا وجُودا وسُودَدَا

---

(١) التكملة عن ترجمته فى الأغانى (جـ ١٣ ص ١٦٦ طبع بلاق) وشرح القاموس (مادة طفل) . وهو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جابر بن خميس ، له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بعده طويلا ، كان مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وروى عنه وكان من وجوه شيعته .

(٢) العيوق : كوكب أحمر مضىء بحيال الثريا فى ناحية الشمال ، ويطلع قبل الجوزاء .

فقال كثيِّر : إنه لَضَرِعٌ قبّحه الله ! ألّا قال كما قلتُ :

صــــوت

دَعْ عنكَ سَلْمَى إذ فاتَ مَطْلَبُها * وٱذكُرْ خليلَيْكَ(1) من بنى الحَكَمِ

ما أعطيانى ولا سألتُهما * إلّا وإنّى لحاجِزى كَرَمى

إنّى متى لا يكنْ نوالُهما * عندى بما قد فعلتُ أحتشِمِ

مُبْدِى الرِّضا عنهما ومُنصرِفٌ * عن بعض ما لو فعلتُ لم أُلَمِ

لا أنْزُرِ النائلَ الخليلَ إذا * ما ٱعتلَّ نَزْرَ الظُّؤورِ لم تَرِمِ(2)

عروضه من المُنْسَرِح . غنّى فى هذا الشعر يونس ثانىَ ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وغنّى فيه الغَرِيض ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وفيه لحن من الثقيل الأوّل يُنسب إلى مَعْبَد، وليس بصحيح له . قال الزُّبير بن بكّار فى تفسير قوله : "لا أنزر النائل الخليل" يقول : لا أُلِحّ عليه بالمسألة؛ يقال : نَزَرته أنْزُره إذا ألحتَ عليه . والظُّؤور : المتعطّفة على [غير](3) أولادها .

حديثه مع عبد الملك فى استقطاعه أرضا له

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنى الزُّبير قال حدّثنا المؤمّل عن أبى عُبيدة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال :

دخل كثيِّر على عبد الملك بن مَرْوان فقال : يا أمير المؤمنين، إنّ أرضًا لك يقال لها غُرَّب(4) ربما أتيتُها وخرجت اليها بولدى وعِيالى فأصبنا من رُطَبها وتمرها بشراء

(1) فى الأصول : « خليلك » ويعنى بهما عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان بن الحكم .

(2) ترم : تحن وتعطف . وأصله "ترأم" سهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين؛ فإن آخر الفعل ساكن بالجازم وحرك بالكسر للقافية .   (3) التكملة عن معاجم اللغة .   (4) غرب : ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بنى نمير . وغرب أيضا : جبل دون الشام فى ديار بنى كلب وعنده عين ماء تسمى غربة . هذا ما ورد فى معجم البلدان لياقوت . ولعله يعنى هنا موضعا آخر .

مرّة وطُعْمة مرّة . فإن رأى أمير المؤمنين أن يُعَمِّرَنيها[1] فعل . فقال له عبد الملك : ذلك لك . فندّمه الناس وقالوا له : أنت شاعرُ الخليفة ولك عنده منزلة، فهلّا سألتَ الأرض قَطيعةً! . فأتى الوليدَ فقال : إنّ لى إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجلِسْنى قريبًا من البِرْذَوْن . فلما آستوى عليه عبد الملك قال له : إيهِ! وعلِم أنّ له إليه حاجةً . فقال كثيّر :

جزَتكَ الجوازِى عن صديقكَ نَضْرةً * وأدناكَ ربِّى فى الرَّفيق المُقَرَّبِ

فإنّك لا يُعطَى عليك ظُلَامةً * عدوٌّ ولا تنأى عن المتقرِّبِ

وإنّك ما تَمنَعْ فإنك مانعٌ * بحقٍّ، وما أعطيتَ لم تَتَعقَّبِ

فقال له : أترغَب غُرَّيْبًا؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : آكتبوها له، ففعلوا .

هجاء الحزين له فى مجلس ابن أبى عتيق

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنى الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبى بكر المؤمّلىّ قال حدّثنى عبد الله بن أبى عُبيدة قال :

كان الحزين الكِنانىّ قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين فى كل شهر، منهم آبنُ أبى عتيق . فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له أعْجف — قال : وكثيّر مع ابن أبى عتيق — فدعا ابنُ أبى عتيق للحزين بدرهمين . فقال الحزين لابن أبى عَتيق : مَنْ هذا معك؟ قال : هذا أبو صخر كثيّر بن أبى جمعة — قال : وكان قصيرًا دميمًا — فقال له الحزين : أتأذَن لى أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال : لا! لعمرى لا آذَن لك أن تهجو جليسى، ولكنى أشترى عِرْضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : لا بدّ من هجائه ببيت . قال : أوْ أشترى ذلك منك بدرهمين آخرين، ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : ما أنا بتاركه حتى أهجوه . قال : أوْ أشترى

(١) يقال : عمر فلان فلانا كذا إذا جعله له طول عمره .

ذلك منك بدرهمين . فقال له كُثَيِّر : إيذَن له ، ما عسى أن يقول فى بيت! فأذِن له ابن أبى عتيق . فقال :

قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته * يَعَضُّ القُرَادُ بِآسته وهو قائمُ

قال : فوثب كثيِّر إليه فلكزه، فسقط هو والحمار، وخلّص ابنُ أبى عتيق بينهما، وقال لكثيّر قبحك الله ! أتأذن له وتَسْفَهُ عليه ! فقال كثيّر : أوَ أنا ظننته أن يبلغ بى هذا كلَّه فى بيت واحد ! .

ادعى أنه قرشى فرده الشعراء ونسبه الكوفيون

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ولم يجاوزه، وأخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن الحضر الخُزَاعىّ عن ولد جُمعة بنت كثيِّر أنه وجد فى كتب أبيه التى فيها شعر كُثَيِّر : أنّ عبد الملك ابن مروان قال له : ويحك! الحَقْ بقومك من خُزاعة؛ فأخبر أنه من كِنانة قريش، وأنشد كثيِّر قولَه :

أليس أبى بالصَّلْتِ أم ليس إخوتى * بكل هِجانٍ من بنى النَّضْر أزهرا

فإن لم تكونوا من بنى النَّضْر فاتركوا * أراكًا بأذناب القوابِلِ(١) أخضرا

أبَيْتُ التى قد سُمْتَنى وَنَكِرْتُها * ولو سُمْتَها قبل قَبيصةَ(٢) أنكرا

لَبِسنا ثيابَ العَصْبِ(٣) فاختلط السَّدَى * بِنا وبهم والحَضْرَمِىَّ المُخَصَّرا

(١) تقدمت فيه رواية أخرى : " بأذيال الخمائل " . (راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧ من هذه الترجمة) . (٢) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعى الكعبى أبو سعيد وأبو إسحاق، ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم . وتوفى سنة ٨٦ (عن شرح القاموس مادة قبص) .

(٣) كذا فى كتاب السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٦١ طبع أوربا) والروض الأنف للسهيل . والعصب : برود يمنية يعصب غزلها (أى يجمع ويشد) ثم يصبغ وينسج فيأتى موشيا لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . قال السهيل فى كتابه الروض الأنف فى معنى هذا البيت : «يريد أن قدودنا من قدودهم ، فسدى أثوابنا مختلط بسدى أثوابهم . والحضرمى : النعال المخصرة التى تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين» .

فقال له عبد الملك : لا بُدّ أن تُنشد هـذا الشعر على مِنْبَرِي الكوفة والبَصْرة، وحمله وكتب إلى العراق فى أمره[1] . قال عمر بن شَبَّـة فى خبره خاصّة : فأجابتـه خُزاعة الحجاز إلى ذلك . وقال فيه الأحوص — ويقال : بل قاله سُراقة البارقىّ — :

لَعَمْرِي لقـد جاء العراقَ كُثَـيِّرٌ * بأحدوثةٍ من وَحْيِه المُتكَذِّبِ
أيزعمُ أنّى من كِنانةَ أوّلى * وما لِىَ من أُمٌّ هنـاك ولا أبِ
فإنْ كنتَ حُرًّا أو تخاف مَعَرّةً * فخُذْ ما أخذتَ من أميرك واَذهبِ

فقال كثيِّر يجيبه — وفى خبر الزُّبير : قال هذا لأبى عَلْقَمة الخُزاعىّ — :

أبا خُبَثٌ أكرِمْ كِنانةَ إنّهـم * مَواليك إنْ أمرٌ سما بك معلق

— وفى رواية الزُّبير : « أبا عَلْقَمٍ » —

بنو النَّضْر تَرْمِي من ورائك بالحصى * أُولُو حَسَبٍ فيهـم وفاءٌ ومَصْدَقُ
يُفيدونكَ المـالَ الكثيرَ ولم تَجِـدْ * لُملكهمُ شِبْهًا لَوَ انّك تصدُق
اذا ركبوا ثارتْ عليـك عَجَاجةٌ * وفى الأرض من وقع الأعنّة أَوْلَقُ[2]

فأجابه الأحوص بقوله :

دَعِ القَـومَ ما حلُّوا ببطن قُرَاضِمٍ[3] * وحيث تَفَشَّى[4] بيضُه المتفـلِّقُ
فإنّك لو قاربتَ أو قلتَ شُبْهةً * لذى الحقّ فيهـا والمخاصِمِ مَعْـلَقُ
عذَرناك أو قلنـا صدقتَ وإنمـا * يُصدَّق بالأقوال من كان يصـدُق
ستأبَى بنو عمرٍو عليك ويَنتمى * لهم حسبٌ فى جِذْمِ[5] غَسّانَ مُعْـرِقُ
فإنّك لا عمـرًا أباك حَفِظتَـه * ولا النَّضْرَ إن ضَيَّعتَ شيخَك تَلْحَقُ

(١) وردت هذه العبارة فى جـ : «وكتب فى أمره» . وفى سائر الأصول : «وكتب به إلى العراق فى أمره» . (٢) الأولق : الجنون . (٣) قراضم : موضع بالمدينة . (٤) كذا فى معجم ياقوت فى الكلام على قراضم . وفى الأصول : «تغشى» بالغين المعجمة . (٥) الجلم : الأصل .

ولم تُدرك القومَ الذين طلبتَهم * فكنتَ كما كان السِّقاءُ المعلّق
بجِذْمة ساقٍ[1] ليس منه لحاؤها[2] * ولم يَكُ عنها قلبُه يتعلّق
فأصبحتَ كالمُهْرِيق فضلةَ مائه * لبادِى سَرابٍ بالمَلا[3] يترقرق

قال : فخرج كثيرٌ فأتى الكوفةَ، فرُمِي به إلى مسجد بارق . فقالوا له : أنت من أهل الحجاز؟ قال نعم. قالوا : فأخبِرْنا عن رجل شاعرٍ ولدِ زناً يُدعى كُثيّرًا . قال: سبحان الله! أمَا تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان! قالوا : هو ما قاله لنفسه . فانسلَّ منهم وجاء الى والى الكوفة حسّان بن كَيْسان، فطيّره على البريد . وقال عمر ابن شَبّة فى خبره : إنّ سُراقة البارقىّ هو المُخاطب له بهذه الشتيمة و إنه عرّفه وقال له : إن قلتَ هذا على المنبر قتلتك قحطان وأنا أوّلهم؛ فانصرف الى منزله ولم يَعُدْ الى عبد الملك .

نبذة عن سراقة البارقى وقصته مع المختار حين أسر

وكان سُراقةُ هذا شاعرا ظريفا . فأخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرانىّ عن النَّضْر ابن عمرٍ[4] عن الهيثم بن عَدِىّ عن الأعمش عن إبراهيم قال :

كان سُراقة البارقىّ من ظُرفاء أهل العراق ، فأسره المختار يومَ جبّانة السَّبيع[5]. وكانت للمختار فيها وقعةٌ منكَرة، فجاء به الذى أسره الى المختار فقال له : إنّى أسرتُ هذا . فقال له سُراقة : كذَب! ما هو الذى أسرنى، إنما أسرنى غلامٌ أسود على برذون أبلقَ عليه ثيابٌ خضرٌ، ما أراه فى عسكرك الآن، وسلّمنى اليه . فقال المختار : أمَا إنّ الرجل قد عاين الملائكةَ ! خلُّوا سبيلَه فخلَّوْه؛ فهرب فأنشأ يقول :

٣٢ / ٨

(١) كذا فى جـ . والجذمة : القطعة . وفى سائر الأصول : «بجذمة ساق» . و يتعلق : لعل صوابه «يتقلق» . أى ولم يكن قلبه متشقا عنها . (٢) اللحاء : قشر الشجرة . (٣) الملا : الصحراء .
(٤) فى حـ هنا : «عمرو» . (٥) جبانة السبيع : محلة بالكوفة مضافة الى السبيع وهى قبيلة؛ وكانت وقعة المختار بن أبى عبيد الثقفى بها حين خرج للثأر من قتلة الحسين بن على بن أبى طالب . (الطبرى ق ٢ ج ٢) .

أَلَا أَبلِغْ أبا إِسحاق أَنِّى * رأيتُ البُلْقَ دُهْمًا مُصْمَتاتِ(1)

أُرِى عَيْنَىَّ ما لم تُبْصِراه * كِلَانَا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ

كفرتُ بدينكم وجعلتُ نذرًا * علىَّ قتالَكم حتى المماتِ

كان يرى أن ابن الحنفية لم يمت وكان ذلك رأى السيد

أخبرنا الحرمىّ قال أخبرنا الزُّبَير قال أخبرنا عمرو(2) ومحمد بن الضّحاك قالا :

كان كثيِّر يتشيّع تشيّعا قبيحا، يزعم أنّ محمد بن الحنفيّة لم يمت . قال : وكان ذلك رأىَ السيِّد، وقد قال فيه (يعنى السيّد) شعرا كثيرا، منه :

أَلَا قُلْ للوَصِىّ فَدتْك نفسى * أطلتَ بذلك الجبلِ المُقاما

أضرّ بمعشرٍ والَوْكَ منّا * وسَمَّوْك الخليفةَ والإماما

وعادَوْا فيك أهلَ الأرض طُرًّا * مُقامُك عنهمُ ستّين عاما

وما ذاق ٱبنُ خَوْلَةَ(3) طعمَ مَوْتٍ * ولا وارتْ له أرضٌ عِظاما

لقد أَوْفَى بمُورِق شِعْبِ رَضْوَى * تُراجِعه الملائكةُ الكلاما

وإنّ له به لَمَقِيلَ صدقٍ * وأنديةً تحدِّثه كِرَاما

هدانا الله إذ جُرْتُم لأمرٍ * به ولديه نَلْتمِس التَّماما

تمامَ مَوَدّةِ المهدىِّ حتّى * تَرَوْا راياتِنا تَتْرَى نِظاما

وقال كُثيِّر فى ذلك .

أَلَا إنّ الأئمّةَ من قُرَيْشٍ * وُلاةَ الحقِّ أربعةٌ سَواءُ

علىٌّ والثلاثةُ من بَنِيه * همُ الأسباطُ ليس بهم خَفَاءُ

فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبِرٍّ * وسِبْطٌ غيّبته كَرْبَلاءُ

(1) كذا فى الطبرى (ق ٢ ص ٦٦٥) وبه يستقيم الروىّ . وفى الأصول « ... منى * أن البلق دهم مصمتات» . ومصمت : لا يخالط لونه لون آخر . أى أن دهمتها خالصة لا يشوبها لون آخر .

(2) فى حـ : « عمر » . (3) خولة : اسم أم محمد بن الحنفية .

وسِبْطٌ لا تراه العينُ حتّى * يقودَ الخيلَ يقدُمها اللّواء[(1)]

تغيّب لا يُرى عنهم زماناً * برَضْوَى عنده عسلٌ وماء

شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال :

كان عبد الله بن الزُّبَير قد أغرى ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويُغري بهم ويخطُب بهم على المنابر ويصرّح ويعرّض بذكرهم . فربما عارضه ابن عبّاس وغيره منهم . ثم بدا له فيهم فحبس ابنَ الحنفيّة في سجن عارِم[(2)]، ثم جمعه وسائرَ من كان بحضرته من بني هاشم، فجعلهم في مَحْبِس وملأه حطبًا وأضرم فيه النار . وقد كان بلغه أنّ أبا عبد الله الجَدَليّ[(3)] وسائرَ شيعة ابن الحنفيّة قد وافَوْا لنُصرته ومحاربة ابن الزبير، فكان ذلك سبب إيقاعه به . وبلغ أبا عبد الله الخبرُ فوافى ساعةَ أُضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم، وأخرج ابن الحنفيّة عن جِوار ابن الزُّبير منذ يومئذ .

فأنشدنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثيِّر يذكر ابن الحنفيّة وقد حبسه[(4)] ابن الزُّبير في سجن يقال له سجن عارِم :

مَنْ يَرَ هذا الشيخَ بالخَيْف من مِنًى * من الناس يعلمْ أنّه غيرُ ظالِمِ

سَمِيُّ النبيِّ المصطفى وابنُ عمّه * وفكّاكُ أغلالٍ ونفّاعُ غارمِ

أبَى فهو لا يَشْرِي هدًى بضلالةٍ * ولا يتّقي في الله لومةَ لائِمِ

ونحن بحمد الله نتلو كتابَه * حُلولًا بهذا الخَيْف خَيْفِ المحارمِ

بحيث الحمامُ آمِنُ الرَّوْعِ ساكنٌ * وحيث العدوّ كالصديق المُسالِمِ

---

(1) كذا فيما تقدم (ج ٧ ص ٢٤٦ من هذه الطبعة) . وفي الأصول هنا : «يتبعها» .

(2) سجن بمكة . (3) هو أبو عبد الله الجدلي عبدة بن عبد، أرسله المختار بن أبي عبيد نجدة لبني هاشم لما حبسهم ابن الزبير، كما هو ظاهر في القصة . (انظر الطبري ق ٢ ص ٦٩٣ — ٦٩٥) .

(4) في الأصول : «وقد حبسهم» .

فما فَرَحُ الدُّنيا بباقٍ لأهلِه * ولا شِدَّةُ البَلْوَى بضربة لازِمِ
تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنك عائذٌ[1] * بل العائذُ المظلوم فى سجن عارِمِ

أنشد علىّ بن عبد الله شعرا له فى ابن الحنفية وحديثه معه

حدّثنى أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانىّ قال حدّثنا يحيى بن الحسن العلَوى قال حدّثنا الزُّبير بنُ بَكّار، وأخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل الجعفرىّ عن سعيد عن عُقْبَة الجُهَنىّ عن أبيه قال :

سمعت كثيِّرا يُنشد علىَّ بن عبد الله بن جعفر قولَه فى محمد بن الحنفيّة :

أَقَرّ اللهُ عينِى إذ دعانى * أمينُ الله يلطُف فى السؤالِ
وأثنَى فى هواىَ علىَّ خيرًا * وساءَلَ عن بَنِىَّ وكيف حالى
وكيف ذكرت حال أبى خُبَيْبٍ * وزَلَّة فعله عند السُّؤالِ
هو المَهْدِىّ خَبَّرَناهُ كعبٌ[2] * أخو الأحبارِ فى الحِقَبِ الخوالى

فقال له علىّ بن عبد الله : يا أبا صخر، ما يُثنى عليك فى هواك خيراً إلا من كان على مثل مذهبك . قال : أجَلْ بأبى أنت وأمى! . قال : وكان كثيِّر كَيْسانِيًّا[3] يرى الرَّجْعة . قال الزُّبَيْر : أبو خبيب عبد الله بن الزُّبَيْر، كناه بابنه خُبَيْب وهو أكبر ولده، وكان كثيِّر سيِّئَ الرأى فيه . قال الزُّبير : فأخبرنى عمِّى قال : لمّا قال كثيِّر :

هو المهدىّ خَبَّرَنَاه كعبٌ * أخو الأحبار فى الحِقَبِ الخوالى

(١) يريد عبد الله بن الزبير، وكان يدّعى أنه عائذ بالبيت فلا يحل قتاله .

(٢) هو كعب الأحبار بن ماتع ويكنى أبا إسحاق ، وهو من حمير من آل ذى رعين، وكان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفى بها سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان بن عفان . (انظر طبقات ابن سعد ج ٧ ق ٢ ص ١٥٦ طبع أوربا) .

(٣) فى ح : «خشبيا» . والخشبية : قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم وإن القرآن مخلوق . وقال ابن الأثير : هم أصحاب المختار بن أبى عبيد ، ويقال : هم ضرب من الشيعة . وفى سبب تسميتهم بالخشبية خلاف ذكره شارح القاموس فى مادة خشب .

فقيل له : ألقيتَ كعبا ؟ قال : لا . قيل : فلِمَ قلتَ "خَبَّرَناه كعب" ؟ قال : بالتوهُّم .

غلوه فى التشيع والقول بالرجعة وأخبار له فى ذلك

قال : وكان كثيِّر شيعياً غاليا يزعم أن الأرواح تتناسخ، ويحتجّ بقول الله تعالى: (فى أىِّ صورةٍ ما شاء رَكَّبَكَ)(١) ويقول : ألَا ترى أنه حوّله من صورة فى صورة! .

٥ قال : فحدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمَّلىّ عن عبد الله بن أبى عُبَيْدة قال : خِنْدِفٌ الأسدىّ الذى أدخل كثيِّرا فى الخَشَبِيّة .

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى إبراهيم بن المُنْذِر الحِزامىّ عن محمد ابن مَعْن الغفَارىّ قال :

كنّا بالسَّيالة(٢) فى مَشْيَخة نتحدّث ، إذا بكثيِّر قد طلَع علينا مُتَّكئا على عصا .

١٠ فقال : كنّا ببَيْداء(٣) بأشراف السَّيالة و بهذه الناحية، فما بقى موضع ببيداء إلا وقد جئته(٤)، فاذا هو على حاله ما تغيّر وما تغيَّرت الجبال ولا الموضع الذى كنّا نطوف فيه، وهذا يكون حتى نَرجع اليه . وكان يُؤمن بالرَّجْعة .

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى يحيى بن محمد قال :

دخل عبد الله بن حسن على كثيِّر يعوده فى مرضه الذى مات فيه . فقال له

١٥ كثيِّر : أَبْشِرْ! فكأنّك بى بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق . فقال له عبد الله بن حسن : مالك عليك لعنة الله! فوالله لئن متّ لا أشهدُك ولا أعودك ولا أُكلِّمك أبدا .

كان أبو هاشم يجسس أخباره

٣٤/٨ أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسَبه عن ابن الماجشون قال :

٢٠ (١) لعله : « الى صورة » . (٢) السيالة : موضع بجوار المدينة ، قيل : هى أوّل مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة . (٣) بيداء : يريد بها موضعا بعينه . (٤) فى الأصول : « فما بقى موضع ببيداء فيه الا وقد جئته ... الخ » . وظاهر أن كلمة « فيه » مقحمة من الناسخ .

[illegible] هاشم عبد الله بن محمـد بن علىّ قد وضع الأرصاد على كثيّر فلا يزال يوما [illegible] بالأمر من خبره، فيقول له إذا لَقِيه : كنتَ فى كذا وكنت فى كذا، إلى أن جرى بين كثيّر وبين رجل كلامٌ فأُتى به أبو هاشم [1] . فأقبل به على أدراجه ؛ فقال له أبو هاشم : كنتَ الساعةَ مع فلان فقلتَ له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا . فقال له كثيّر : أشهد أنّك رسول الله .

٥

كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار

أخبرنا محمد بن جعفر النحوىّ قال حدّثنا محمد ، وأخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسَب قال :

نظر كثيّر الى بنى حسن بن حسن وهم صغار فقال : بأبى أنتم ! هؤلاء الأنبياء الصغار . وكان يرى الرَّجْعة . وروى علىّ بن بشر[2] بن سعيد الرازىّ عن محمد بن حُمَيْد عن أبى زُهير عبد الرحمن بن مَغْراء الدَّوْسىّ عن محمد بن عُمَارة قال :

١٠

مرّ كثيّر بمعاوية بن عبـد الله بن جعفر وهو فى المكتب، فأكبّ عليـه يقبّله وقال : أنت من الأنبياء الصغار وربِّ الكعبة !

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنـا محمد بن إسماعيل قال حدّثنـا قَعْنَب بن المُحْرِز قال حدّثنى إبراهيم بن داجَة قال :

كان كثيّر شيعيًّا، وكان يأتى ولدَ حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهب لهم الدراهم و يقول : وابأبى الأنبياء الصغار ! . وكان يؤمن بالرَّجعـة . فيقول له محمـد بن عبد الله بن عمـرو بن عثمان ، وهو أخوهم لأُمِّهـم ، : يا عمّ هَبْ لى ؛ فيقول : لا ! لستَ من الشجرة .

١٥

(١) لعله "فأقبل على أدراجه" يريد أنه حضر لوقته لم يلو على شىء؛ فتكون كلمة "به" من زيادة النساخ . (٢) فى جـ : "على بن سعيد بن بشر الرازى" .

٢٠

كان عمر بن عبد العزيز يعرف بحبه صلاح بنى هاشم وفسادهم

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال حدّثنى الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبى عُبيد الله قال :

قال عمر بن عبد العزيز : إنى لأعرف صُلَّاح بنى هاشم من فُسّادهم بحبّ كثيّر: من أحبّه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح؛ لأنه كان خَشَبِيًّا يقول بالرجعة .

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِىّ[1] عن أبى لَهِيعة عن رَجَاء بن حَيْوَة قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : إن مما أعتبر به صُلَّاح بنى هاشم وفُسّادهم حُبَّ كثيِّر، ثم ذكر مثلَه .

قال لعمته إنه يونس بن متى

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا علىّ بن صالح عن ابن دَأْب قال: كان كثيّر يدخل على عمّة له بَرْزَةٍ[2] فتُكرمه وتطرح له وسادةً يجلس عليها . فقال لها يومًا : لا والله ما تعرفيننى ولا تُكرمِيننى حقّ كرامتى ! قالت : بلَى والله إنى لأعرفك . قال : فَمَنْ أنا؟ قالت : ابن فلان وابن فلانة، وجعلت تمدح أباه وأمّه . فقال : قد عرفتُ أنكِ لا تعرفيننى . قالت : فَمَنْ أنت؟ قال : أنا يونس بن مَتّى .

كان عاقا لأبيه

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى أبى قال :

كان كثيّر عاقًّا لأبيه[3]، وكان أبوه قد أصابته قُرْحَةٌ فى إصبع من أصابع يده . فقال له كثيّر : أتدرى لم أصابتك هذه القرحة فى إصبعك؟ قال : لا أدرى . قال : مما ترفعها الى الله فى يمين كاذبة .

(١) الدراوردى : نسبة شاذة الى دارابجرد (ويقال : درابجرد) : بلد بفارس ومحلة بنيسابور أيضا . (راجع لب اللباب فى تحرير الأنساب للسيوطى) . (٢) البرزة : المرأة الكهلة التى لا تحتجب احتجاب الشواب وهى مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس الى الناس وتحدثهم . (٣) فى الأصول : «بأبيه» .

ضافه مزنى وذمه بأنه لم يقم لصلاة الصبح

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغِفَارىّ عن أبيه وغيره قال حدّثنى رجل من مُزَيْنة قال :

ضِفْتُ كثيِّرا ليلةً وبتُّ عنده ثم تحدّثنا ونِمْنا . فلما طلع الفجر تضوّر[1]، ثم قمت فتوضّأت وصلّيت وكثيّرٌ راقد فى لِحافه . فلما طلع قَرْن الشمس تضوّر ثم قال : يا جارية اسْجُرى لى ماء . قال قلتُ : تَبًّا لك سائرَ اليوم ! أو هـذه الساعةَ هذا ! وركبتُ راحلتى وتركته . قال الزبير : اسْجُرى لى ماء : أسْخِنى لى ماء .

٣٥ / ٨

كان يهزأ به ويصدق ما يسمع عن نفسه

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز ابن عِمْران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شِهاب عن طَلْحة بن عُبَيد الله قال :

ما رأيتُ قطُّ أحمقَ من كثيِّر . دخلت عليه يومًا فى نفر من قريش وكنّا كثيرا ما نهزأ به ، وكان يتشيّع تشيُّعا قبيحا . فقلت له : كيف تجِدُك يا أبا صخر ؟ وهو مريض؛ فقال : أجدنى ذاهبا . فقلت : كَلَّا ! فقال : هـل سمعتم الناس يقولون شيئا؟ فقلت : نعم ! يتحدّثون أنك الدجّال . قال : أمَا لئن قلتَ ذاك إنّى لأجد فى عينى ضعفا منذ أيّام .

كان تياها ويتحمقه فتيان المدينة لذلك

أخبرنى الحَرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز ابن عِمْران :

أن ناسًا من أهل المدينـة كانوا يلعبون بكثيِّر فيقولون وهو يسمع : إن كثيِّرا لا يلتفت من تِيهه . فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضى فى قميص .

---

(١) التضوّر : التلوّى

سأله عبد الملك عن شيء وحلفه بأبي تراب

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلم بن قُتَيْبة قال : بلغني أن كثيّرا دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به. فقال : وحقِّ عليّ بن أبي طالب إنه كما ذكرتَ ؟ قال كثيّر : يا أمير المؤمنين ، لو سألتني بحقِّك لصدَقْتُك . قال : لا أسألك إلا بحقّ أبي تُرَاب (١) . فحلف له به فرضي .

تمثل عبد الملك بشعره حين منعته عاتكة من الخروج لحرب مصعب وحديثه معه عن هذه الحرب

٥ أخبرنا الفضل بن الحُبَاب أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن، وأخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحَبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا المُؤمَّل عن ابن أبي عُبَيْدة، قالوا جميعا :

١٠ لما أراد عبد الملك الخروجَ الى مُصْعَب لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية وهي أُمّ ابنه يزيد، وقالت : يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنةَ لحرب مُصْعَب، فإنّ آل الزُّبير ذكّروا خروجك، وابعث اليه الجيوش، و بكتْ وبكى جواريها معها. وجلس وقال : قاتل الله ابنَ أبي جُمعة! فأين قوله :

صـــوت

١٥ إذا ما أراد الغَزْوَ لم تَثْنِ هَمَّه * حَصَانٌ عليها عِقدُ دُرٍّ يَزِينُها

نهتْه فلما لم تَرَ النَّهْيَ عاقَه (٢) * بكتْ فبكى مما شجاها قَطِينُها

— غنّاه ابنُ سُرَيْج ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق — والله لكأنه

(١) أبو تراب : لقب علي بن أبي طالب عليه السلام، لقبه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن عليا دخل على فاطمة رضى الله عنهما ثم خرج فاضطجع فى المسجد . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين ابن ٢٠ عمك؟ قالت : فى المسجد . فخرج اليه صلى الله عليه وسلم فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب الى ظهره؛ فجعل عليه الصلاة والسلام يمسح التراب عن ظهره و يقول له : اجلس يا أبا تراب (مرتين) . (عن شرح القسطلانى على صحيح البخارى ج ٦ ص ١٣٨) . (٢) القطين : الخدم والأتباع والحشم.

يرانى و يراك يا عاتكة؛ ثم خرج. قال محمد بن جعفر النحوى فى خبره — ووافقه عليه عمر بن شبّة — : فلما خرج عبد الملك نظر الى كثيّر فى ناحية عسكره يسير مُطْرِقًا، فدعا به وقال : لَأَعْلَمُ ما أسكتك وألقى عليك بثّك، فإن أخبرتُك عنه أتصدُقنى؟ قال نعم! قال: قل وحقّ أبى تُرَاب لتَصْدُقَنّى، قال: والله لأصدُقنّك . قال : لا أوْ تحلف به، فحَلَف به . فقال تقول : رجلان من قريش يلقى أحدُهما صاحبَه فيحاربُه، القاتل والمقتول فى النار، فما معنى سيرى مع أحدهما الى الآخر ولا آمَن سهمًا عائرًا لعلّه أن يصيبَنى فيقتلَنى فأكونَ معهما ! قال : والله يا أمير المؤمنين ما أخطأتَ . قال : فارجِعْ من قريب ؛ وأمر له بجائزة .

بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد وضحك منه

٣٦ / ٨

أخبرنا وَكيع قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنا أبو تمّام الطائىّ حَبيب بن أَوْس قال حدّثنى العَطّاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضى دِمَشْق قال حدّثنى حَفْص الأُمَوىّ قال :

كنت أختلف إلى كثيّر أَرْوِى شعرَه . قال : فوالله إنى لعنده يومًا إذ وقف عليه واقف فقال : قُتِل آلُ المُهلَّب بالعَقْر[1] . فقال : ما أجلَّ الخطبَ ! ضحَّى آلُ أبى سُفْيان بالدِّين[2] يوم الطَّفّ، وضحَّى بنو مَرْوان بالكَرَم يوم العَقْر! ثم انتضحتْ عيناه باكيا . فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك فدعا به . فلما دخل عليه قال : عليكَ لعنةُ الله ! أَتُرابيّة[3] وعَصَبيّة! وجعل يضحك منه .

(١) هو عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبى صفرة سنة ١٠٢، وكان خلع طاعة بنى مروان ودعا الى نفسه وأطاعه أهل البصرة والأهواز وواسط وخرج فى مائة وعشرين ألفا . فندب له يزيد بن عبدالملك أخاه مسلمة فوافقه بالعقر من أرض بابل فأجلت الحرب عن قتله . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) كذا فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٦١٨) . وفى الأصول : « بالدمن » وهو تحريف . والطف : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين ابن على رضى الله عنه . (٣) يعنى أنه من شيعة أبى تراب، وهو لقب على بن أبى طالب كما أسلفنا .

سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنى محمد عن أبيه قال :

قال عبد الملك بن مروان لكثيّر : مَنْ أشعرُ الناس اليومَ يا أبا صخر؟ قال : مَنْ يروى أميرُ المؤمنين شعرَه . فقال عبد الملك : أمَا إنّك لمنهم .

حديث عبد الملك له وقد سأله عن شعره

أخبرنا وَكيع قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك [illegible] ابن إسحاق عن ابن أبى عَوْف عن عَوَانة[1] قال :

٥

قال كثيّر لعبد الملك : كيف ترى شعرى يا أمير المؤمنين؟ قال : أراه يسبق السحرَ، ويغلِب الشعر .

كان عبد الملك يروى أولاده شعره

أخبرنا عمّى عن الكُرَانىّ عن النَّضْر بن عمرو قال :

كان عبد الملك بن مروان يُخْرِج شعرَ كثيّر إلى مؤدّب ولده مختوما يرويهم إياه ويردّه .

١٠

نزل مرعى لإبله فضيق عليه أهله وذم جوارهم

أخبرنا الحرمىّ قال أخبرنا الزّبير قال حدّثنا عبد الله بن [illegible] الجُهَنىّ :

أن كثيّرا شبّ فى حِجْر عمٍّ له صالح، فلما بلغ الحُلُمَ أشفق عليه أن يسفَه، وكان غير جيِّدِ الرأى ولا حسنِ النظر فى عواقب الأمور . فاشترى له عمّه قطيعاً من الإبل وأنزله فَرْش مَلَل[2] فكان به . ثم ارتفع فنزل فَرْعَ المِسْوَر بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عَوْف من جبل جُهَيْنة الأصغر، وكان قبل المسور لبنى مالك بن أَفْصَى فضيّقوا على كثيّر وأساءوا جِواره ؛ فانتقل عنهم وقال :

١٥

(١) فى جـ : «عن أبى عوف عن عوانة» .

(٢) فى الأصول : « فرش مالك » . والتصويب عن القاموس وشرحه . وفرش ملل : واد بين عميس الحمائم وصخيرات الثمامة بالقرب من ملل قرب المدينة ؛ يقال له الفرش وفرش ملل ؛ أضيف الى ملل لقربه منه . وهذه كلها مواضع نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مسيره الى بدر . (راجع القاموس وشرحه مادة فرش ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام عن فرش) .

٢٠

أَبَتْ إِبِـلِى ماءَ الرِّداة[1] وشَــفَّها * بنو العَمّ يحمون النَّضِيحَ[2] المُــبَرَّدا

وما يمنعون المـاء إلّا ضَنانةً * بأصلاب عُسْرِى[3] شوكها قد تخدّدا

فعادتْ فلم تَجْهَدْ على فضــل مائه * رِياحًا ولا سُقْيًا ابن طَلْقِ بنِ أسعدا

قال : ويُرْوَى أنه أوّل شعر قاله .

روايتــه عن بدء قوله الشعر

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمّى قال :

قال كثيِّر : ماقلتُ الشعر حتى قُوِّلتُه . قيل له : وكيف ذاك؟ قال : بينا أنا يوما نصفَ النهار أسير على بعيرٍ لى بالغَميم[4] أو بقاع حَمْدان[5]، إذا راكبٌ قد دنا منِّى حتى صار الى جنبي؛ فتأمّلته فاذا هو من صُفْر[6] وهو يجرّ نفسه فى الأرض جرًّا . فقال لى : قل الشــعر وألقاه علىّ . قلت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا قَرِينك من الجنّ . فقلتُ الشــعر .

عزة عشــيقته وأوّل عشقه لها

ونُسِب كثيِّر لكثرة تشبيبه بعزّة الضَّمْرِيّة اليها، وعُرِف بها فقيل كثيِّرعَزّة[7] . وهى عزّة بنت حُمَيْل[8] بن وَقّاص . أخبرنى الحرمىّ بن أبى العــلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن الحسن قال :

أبو بَصْرة الغِفَارىّ المحدّث وآسمه حُمَيْل[8] بن وَقّاص هو أبو عَزّة التى كانــ يُنسَب بها كثيِّر . وكان ابتداء عشقه إيّاها — على أنه قد قيل : إنه كان فى ذلك

(١) الرداة : الصخرة . (٢) النضيح : الحوض . وفى الأصول : «النصيح» بالصاد المهملة وهو تصحيف . (٣) العسرى (بفتح العين وضمها) : البقلة إذا يبست . ورواية لسان العرب (مادة عسر) : «بأطراف عسرى» . (٤) الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة . (٥) ظاهر أنه موضع بعينه . (٦) الصفر : النحاس . (٧) عبارة أ ، م : «ونسب كثير الى عزة لكثرة تشبيه بعزة الضمرية وغزله فيها فقيل ... الخ» . (٨) اختلف فى اسم أبى بصرة هذا فقيل : هو حميل (بالحاء المهملة مصغرا) وقيل جميل (بالجيم) وكل ذلك مضبوط محفوظ . وهو أبو بصرة حميل (أو جميل) ابن بصرة بن وقاص بن حبيب بن غفار؛ له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه أبو هريرة . وفى الأصول : «حيد بن وقاص» وهو تحريف . (راجع الاستيعاب فى معرفة الأنساب) .

كاذباً ولم يكن بعاشق ، وذلك يُذكر بعد خبره معها — فيما أخبرنى به الحرمىّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم السعدىّ قال حدّثنى إبراهيم بن يعقوب بن جَميع الخُزاعىّ :

أنه كان أوّل عشق كثيّرٍ عَزّةَ أن كثيّراً مرّ بنسوة من بنى ضَمْرة ومعه جَلَبُ غنمٍ[1] . فأرسلن اليه عزّة وهى صغيرة؛ فقالت : يقلن لك النسوة: بِعْنا كَبْشًا من هذه الغنم وأَنْسِئْنا بثمنه الى أن ترجع؛ فأعطاها كبشا وأعجبته. فلما رجع جاءته آمرأة منهنّ بدراهمه؛ فقال : وأين الصبيّة التى أخذت منّى الكبش؟ قالت : وما تصنع بها! هذه دراهمك . قال : لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعتُ الكبش اليها . وخرج وهو يقول :

قضى كلُّ ذى دَيْنٍ فوفّى غَرِيمَه * وعَزّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غريمُها

قال : فكان أوّل لقائه إياها .

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى عبد الرحمن بن الخضر بن أبى بكر[2] ابن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبى جَنْدَل[3] عن أبيه عبد العزيز الخزاعىّ — وأمّه جمعة بنت كثيّر — عن أمه جمعة عن أبيها كثيّر :

أنّ أوّل علاقته بعزّة أنه خرج من منزله يسوقُ خَلْفَ[4] غنمٍ الى الجار[5]؛ فلما كان بالخَبْت وقف على نسوةٍ من بنى ضَمْرة فسألهنّ عن الماء، فقلن لعزّة وهى جارية

(١) إثبات نون النسوة هنا لغة ضعيفة . (٢) لعله : «عن أبى بكر بن عبدالعزيز» الخ .

(٣) فى الأصول : «عبد الرحمن بن جندل» . وقد أصلحناه مما يأتى فى الصفحة التالية .

(٤) يحتمل أن يكون : «يسوق جلب غنم» . (٥) الجار : موضع على ثلاث مراحل من المدينة بساحل البحر . والخبت فى الأصل : المطمئن من الأرض فيه رمل ، أو هو الوادى العميق الوطىء ينبت ضروب العضاه ، واسم لعدة مواضع .

حين كَعَب ثدياها : أرشديه الى المـاء ، فأرشدتْه وأعجبتْه . فبينا هو يسق غنمَه إذ جاءته عزّة بدراهم ، فقالت : يقلن لك النسوةُ : بِعْنا بهـذه الدراهم كبشًا من ضَأْنك : فأمر الغلامَ فدفع اليها كبشا ، وقال : رُدِّى الدراهم وقولى لهنّ : إذا رحتُ بكنّ ٱقتضيتُ حقِّى . فلما راح مرّ بهنّ ؛ فقلن له : هذا حقُّك نخذه . فقال : عَزَّةُ غَرِيمى[١] ، ولست أقتضى حقِّى إلّا منها . فمزَحن معه وقلن : ويحك ! عزّة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لِحَقّك فأحِلْه على إحدانا فإنها أملأُ به منها وأسرع له أداء . فقال : ما أنا بُمحيلٍ حقّى عنها . ومضى لوجهه ، ثم رجع اليهنّ حين فرغ من بيع جَلَبِه فأنشدهنّ فيها :

نظـرتُ اليهـا نظـرةً وهى عاتِقٌ * على حين أن شَبّتْ و بان نُهـودها
وقد دَرَّعُوها وهى ذات مُؤَصَّـدٍ * مَجُوبٍ ولـمّـا يَلْبَس الدِّرْعَ رِيـدُها[٢]
من ٱلخَفِـراتِ البِيض وَدّ جليسُها * إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها

فى هذا البيت وأبياتٍ أخَر معه غناءٌ يذكر بعد تمـام هذا الخبر وما يضاف اليه من جنسه . وأنشدهنّ أيضا :

قضى كلُّ ذى دَيْنٍ فوفَّى غريمَـه * وعَزّةُ ممطـولٌ مُعَنًّـى غريمُها

فقلن له : أبيتَ إلّا عزَّةَ ! وأبرزنها اليه وهى كارهة . ثم أحبّته عزّة بعد ذلك أشدّ من حبّه إيّاها . قال الزُّبير : فسألت محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الخُزَاعِىّ المعروف بأبى جَنْدَل عن هذا الحديث ، فعرفه وحدّثنيه عن أبيه عن جدّه عبد العزيز بن أبى جندل عن أمّه جُمعة بنت كثيّر عن أبيها .

---

(١) فى الأصول : «غريمتى» . وفعيل بمعنى مفعول إذا ذكر موصوفه يستوى فيه المذكر والمؤنث.

(٢) المؤصـد : صدار تلبسه الجارية (الفتاة الصغيرة) فاذا أدركت درّعت . والمجوب : الذى جعل له جيب . وريدها : تربها وندها . والأصل فيه « الرئد » بالهمز .

سؤال عبد الملك لعزة عن كثير وسبب إعجابه به

وأخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثنا النضر بن عمرو قال حدثني عمر بن عبد الله بن خالد المعيطي، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم ابن إسحاق الطلحي، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن عبد الله الأسدي وغيره، قال الزبير وحدثني محمد بن صالح الأسلمي قال:

٣٨/٨

دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عجزت، فقال لها أنت عزة كثير! فقالت: أنا عزة بنت جميل. قال: أنت التي يقول لك كثير:

لعزة نار ما تبوخ[1] كأنها * إذا ما رمقناها من البعد كوكب

فما الذي أعجبه منك؟ قالت: كلا يا أمير المؤمنين! فوالله لقد كنت في عهده أحسن من النار في الليلة القرة. وفي حديث محمد بن صالح الأسلمي: فقالت له: أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صيروك خليفة. قال: وكانت له سن سوداء يخفيها، فضحك حتى بدت. فقالت له: هذا الذي أردت أن أبديه. فقال لها: هل تروين قول كثير فيك:

وقد زعمت أني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

تغير جسمي والخليقة كالتي * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

قالت [لا[2]!] ولكني أروى قوله:

كأني أنادي صخرة حين أعرضت * من الصم لو تمشي بها العصم زلت

صفوحا[3] فما تلقاك إلا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فأمر بها فأدخلت على عاتكة بنت يزيد — وفي غير هذه الرواية: أنها أدخلت على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان — فقالت لها: أرأيت قول كثير:

(١) تبوخ: تسكن. (٢) هذه الكلمة ساقطة من ب، س. (٣) صفوحا: معرضة صادة.

قضى كلُّ ذى دَينٍ فوفّى غريمَه ... وعزّة ممطولٌ معنًّى غريمُها

ما هذا الذى ذكره؟ قالت : قبلةٌ وعدتُه إياها . قالت : أنجزيها وعلىّ إثمها .

قصة غلام له مع عزة و إعتاقه بسبب ذلك

أخبرنا الحسن بن الطيّب البَجَلىّ الشُّجاعىّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالوا حدّثنا عمر بن شَبّة قال روى ابن جُعْدُبة عن أشياخه، وأخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو بكر بن يزيد ابن عِيَاض بن جُعْدُبة عن أبيه :

أنّ كثيرًا كان له غلام تاجر، فباع من عَزّة بعض سِلَعه ومَطَلته مُدّةً وهو لا يعرفها. فقال لها يومًا : أنت والله كما قال مولاى :

قضى كلُّ ذى دَينٍ فوفّى غريمَه ... وعزّة ممطولٌ معنًّى غريمُها

فانصرفت عنه خَجِلة. فقالت له آمرأة: أتعرف عزّة؟ قال : لا والله ! . قالت : فهذه والله عزّة . فقال : لا جَرَمَ والله لا آخذ منها شيئًا أبدًا ولا أقتضيها . ورجع الى كثيّر فأخبره بذلك، فأعتقه ووهب له المال الذى كان فى يده .

لقيت قسيمة بنت عياض عزة ووصفتها

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى يعقوب بن حَكيم السُّلَمىّ عن قسيمة بنت عِيَاض بن سعيد الأسلميّة، وكنيتها أمّ البنين، قالت :

سارت علينا عزّة فى جماعة من قومها بين يدى يَرْبُوع وجُهَينة، فسمعنا بها، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن، فجئناها فرأينا آمرأةً حُلْوةً حُميْراء[1] نظيفة، فتضاءلنا لها، ومعها نسوةٌ كلهن لها عليهن فضلٌ من الجمال والخَلْق، الى أن تحدّثتْ ساعةً فاذا هى أبرع الناس وأحلاهم حديثا، فما فارقناها إلّا ولها علينا الفضلُ فى أعيننا، وما نرى فى الدّنيا آمرأةً تروقها[2] جمالًا وحسنًا وحلاوة .

(١) أى بيضاء . والعرب يقولون الأحمر والحمراء فى نعت الآدميين ويريدون الأبيض والبيضاء .

(٢) لعله : «تفوقها» .

سأل عبد الملك كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة فذكر له ملاقاتها له مع زوجها إذ أمرها بشتمه

أخبرني عمّي قال حدّثني فضل اليزيديّ عن إسحاق الموصليّ عن أبي نصر (شيخٍ له) عن الهيثم بن عديّ:

أنّ عبد الملك سأل كثيّرا عن أعجب خبر له مع عزّة، فقال:

حَجَجتُ سنةً من السنين وحجّ زوج عزّة بها، ولم يعلم أحد منّا بصاحبه. فلمّا كنّا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن تُصلح به طعاما لأهل رُفْقته، فجعلتْ تَدُور الخيامَ[1] خيمةً خيمةً حتى دخلتْ إليّ وهي لا تعلم أنها خيمتي، وكنت أبري أسهُما لي. فلما رأيتها جعلت أبري وأنا أنظر إليها ولا أعلم حتى بَريتُ عظامي مرّات ولا أشعر به والدم يجرى. فلما تبيّنتْ ذلك دخلتْ إليّ فأمسكتْ يدي وجعلتْ تمسح الدم عنها بثوبها، وكان عندي نِحْيٌ[2] من سمن، فحلفتُ لتأخذنّه، فأخذتْه وجاءت الى زوجها بالسمن. فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمتْه، حتى حلف لتَصْدُقَنّه فصدَقتْه، فضربها وحلف لتَشتمنّي في وجهي. فوقفتْ عليّ وهو معها فقالت لي: يآبنَ الزانية وهي تبكي، ثم آنصرفا. فذلك حين أقول:

يُكلِّفها الخنزيرُ شَتْمي وما بها ... هواني ولكن للمليك آستذلّتِ

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء:

صـــوت

خليليّ هــذا رَسْمُ عَزّةَ[3] فاعقِــلا ... قَلُوصَيكما ثم ابكيا حيث حلّتِ

وما كنتُ أدري قبل عَزّةَ ما البكا ... ولا مُوجعاتِ[4] القلب حتّى تولّتِ

---

(١) نصب "الخيام" إمّا على حذف حرف الجر، وإمّا على تضمين "تدور" معنى تجوز المتعدّي.

(٢) النحي: زق للسمن. (٣) في كتاب الشعر والشعراء: «ربع عزة».

(٤) في جـ وكتاب الشعر والشعراء: «موجعات الحزن».

فليتَ قَلُوصِى عنـد عزّة قُيِّـدتْ * بحبـلٍ ضعيفٍ بانَ منهـا فضلَّت
وأصبح فى القـوم المقيمين رحلُها * وكان لهـا باغٍ سـواىَ فبلَّت[1]
فقلتُ لهـا يا عزّ كلُّ مُصيبـةٍ * إذا وُطِّنَتْ يومًا لهـا النفسُ ذلَّت
أَسيئِى بنـا أو أَحْسِنِى ، لا ملومةً * لدينـا ولا مَقْليّـةً إنْ تَقَلَّت[2]
هَنيئًا مَرِيئًـا غـيرَ داءٍ مُخَامِـرٍ * لِعَـزَّةَ من أعراضنا ما ٱسْـتَحَلَّت
تَمَنَّيْتُهـا حـتّى إذا ما رأيتُهـا * رأيتُ المنـايا شُرَّعًا قـد أظلَّت
كأنِّى أنادى صخرةً حين أعرضتْ * من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصْمُ زَلَّت
صَـفُوحًا فمـا تلقاكَ إلّا بخيـلةً * فمَنْ مَلَّ منهـا ذلك الوصل مَلَّت
أصابَ الرَّدَى مَنْ كان يهوى لكِ الرَّدَى * وجُنّ اللواتى قلن عَزّةُ جُنَّت

عروضه من الطويل . غنّى معبد فى الخمسة الأُوَل ثقيلًا أوّل بالوسطى . وغنّى إبراهيم فى الثالث والرابع ثقيلا أوّل بالبنصر عن عمرو ، وغنّى فى "هنيئا مريئا" والذى بعده خفيفَ رملٍ بالوسطى . وغنّى إبراهيم فى الخامس وما بعده ثانىَ ثقيل . وذكر الهشامىّ أنّ لاَبن سُرَيج فى "هنيئا مريئا" وما بعـده ثانى ثقيـل بالبنصر . وذكر أحمد بن المكىّ أن لإبراهيم فى "كأنى أنادى" والذى بعده وفى "أسيئى بنا أو أحسنى" هزجا بالسـبّابة فى مجـرى البنصر ، ولإسحاق فيـه هزج آخر به[3] . ولعَرِيبَ فى "كأنى أنادى" أيضا رمل . ولإسحاق فى "وما كنت أدرى" ثقيـل أوّل . وله فى "أصاب الردى" ثقيل أوّل آخر ، وقيل : إن لإبراهيم فى "فقلت لها يا عزّ" خفيفَ ثقيل ينسب إلى دَحْمان و إلى سِيَاط .

(١) يقال : بلت مطيته على وجهها إذا ذهبت فى الأرض ضالة . (٢) تقلى : تبغض . أى لا هى ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت أى تبغضت . خاطبها أوّلا ثم غايب أى ذكرها بضمير الغيبة .
(٣) لعله : «بها» أى بالسبابة فى مجرى البنصر .

اجتمعا ذات ليلة ووصف ذلك صديق له

أخبرني الحرمىّ وحبيب بن نَصْر قالا حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبى عمرو الجُهَنىّ عن أبيه قال :

سارت علينا عزّة فى جماعة من قومها، فنزلتْ حِيَالَنا . فجاءنى كثيّر ذات يوم فقال لى : أُريد أن أكون عندك اليوم فأذهبَ الى عزّة ؛ فصرتُ به الى منزلى .
٥ فأقام عندى حتى كان العِشاء ، ثم أرسلنى اليها وأعطانى خاتمَه وقال : اذا سلَّمتَ فستَخْرُج اليك جارية ، فادفع إليها خاتَمى وأعلمْها مكانى . فجئت بيتها فسلّمتُ فخرجتْ إلىّ الجارية فأعطيتها الخاتَم . فقالت : أين الموعد؟ قلت : صَخَراتُ أبى عُبَيْد الليلةَ ، فواعدتها هناك ؛ فرجعتُ اليه فأعلمتُه . فلما أمسى قال لى : انْهَضْ بنا ؛ فنهضْنا[(١)] فجلسنا هنالك نتحدّث حتى جاءت من الليل فجلستْ فتحدّثنا فأطالا ،
١٠ فذهبت لأقوم . فقال لى : الى أين تذهب ؟ فقلت : أُخَلِّيكما ساعةً لعلكما تحدّثان ببعض ما تكتُمان . فقال لى : اجلس ! فوالله ما كان بيننا شىء قطُّ . فجلستُ وهما يتحدّثان وإنّ بينهما لَثُمَامةً[(٢)] عظيمة هى من ورائها جالسة حتى أسحَرْنا ، ثم قامت فانصرفت ، وقمت أنا وهو ؛ فظلّ عندى حتى أمسى ثم انطلق .

ساومته سكينة بجمله فلما رأى عزة معها تركه لهم

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الله بن
١٥ سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصى قال :

خرج كثيّر فى الحاجّ بجمل له يبيعه ، فمرّ بسُكَيْنة بنت الحسين ومعها عَزّة وهو لا يعرفها . فقالت سُكَينة : هذا كثيّر فسُومُوه بالجمل ؛ فساموه فاستام مائتى درهم فقالت : ضَعْ عنّا فأبى . فدعتْ له بتمر وزُبْد فأكل ؛ ثم قالت له : ضع عنا كذا وكذا (لشىء يسير) فأبى . فقالوا : قد أكلتَ يا كثيّر أكثر مما نسألك ! . فقال :

٢٠ (١) فى ح : «فقضينا» . (٢) كذا فى تجريد الأغانى . والثمام : نبت ضعيف شبيه بالخوص . وفى الأصول : «لمامة» وهو تحريف .

ما أنا بواضعٍ شيئا . فقالت سُكينة : اكشفوا ، فكشفوا عنها وعن عزّة . فلما رآهما آستحيا وآنصرف وهو يقول : هو لكم هو لكم ! .

قال بعض الرواة إنه لم يكن صادقا فى عشقه

مَنْ ذكر أن كثيّرا كان يكذب فى عشقه

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا ابن سلّام قال :

كان كثيّر مدّعيا ولم يكن عاشقا ، وكان جميلٌ صادقَ الصّبابة والعشق . ٥

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمر ابن شبّة قال زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عُبَيْدة يقول : كان جميل يصدُق فى حبه ، وكان كثيّر يكذب .

ومما وجدناه فى أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزّة ذات يوم وهى منتقبة تميس فى مِشْيتها، فلم يعرفها كثيّر ، فاتّبعها وقال : ياسيّدتى ! قِفى حتى ١٠ أكلّمك فإنى لم أر مثلك قطّ ، فمَنْ أنتِ ويحكِ ؟ قالت : ويحكَ ! وهل تركت عزّة فيك بقيّة لأحد ؟ قال : بأبى أنت ! والله لو أنّ عزّة أمَةٌ لى لوهبتها لك . قالت : فهل لك فى المُخَالّة ؟ قال : وكيف لى بذلك ؟ قالت : أنّى وكيف بما قلتَ فى عزّة؟! قال : أقلبه فأحوّله اليك . فسفَرت عن وجهها ثم قالت : أغدرًا يا فاسق وإنك لهكذا! فأبْلَس(٢) ولم ينطق وبُهت . فلما مضت أنشأ يقول : ١٥

ألَا ليتنى قبل الذى قلتُ شِيبَ لى * من السمّ جَدْحاتٌ(٣) بماء الذّرَارِح
فمتُّ ولم تعلم علىّ خيانة * وكم طالبٍ للربح ليس برابح
أبوءُ بذنبى إننى قد ظلمتُها * وإنى بباقى سِرّها غيرُ بائح

(١) فى جـ : «زعم لى إسحاق بن إبراهيم ... الخ » . (٢) أبلس : سكت وتحير .

(٣) فى ب ، س : «بخضخاض» . وفى سائر الأصول : «بخدخاد» . والتصويب عن تجريد الأغانى . والجدحة اللتة ؛ يقال : جدح السويق : إذا لته . والذرارح : دويبات أعظم من الذباب شيئا مجزعة مبرقشة بحمرة وسواد وصفرة لها أجنحة تطير بها وهى سم قاتل .

لق عزة فى طريقه الى مصر وتعاتبا

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنى عمر بن شبّة قال زعم ابن الكلبىّ عن أبى المقوّم قال أخبرنى سائب راوية كثيّر قال :

خرجتُ معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذى فيه عزّة فاذا هى فى خِباء، فسلّمنا جميعا؛ فقالت عزّة: وعليك السلام ياسائب . ثم أقبلتْ على كثيّر فقالت : ويحك! ألا تتّقى الله! أرأيتَ قولك :

بآيةِ ما أتيتُــكِ أمَّ عمــرٍو * فقمتِ لحاجتى والبيتُ خالى

أخلوتُ معك فى بيت أو غير بيت قطُّ ؟ ! قال : لم أقُلْه ، ولكننى قلتُ :

فأُقسم لو أتيتُ البحــرَ يومًا * لأشربَ ما سـقتْنى من بِلَالِ

وأُقسم إنّ حبَّـكِ أمَّ عمــرٍو * لَداءٌ عنــد[1] منقطَع السُّعَال

قالت : أمّا هذا فنعم . فأتينا عبدَ العزيز[2] ثم عُدْنا؛ فقال كثيّر: عليكِ السلامُ ياعزّة قالت : عليك السلام يا جملُ . فقال كثيّر :

صـــوت

حيّتْكَ عزّةُ بعــد الهجر فانصرفتْ * فحَيِّ ويحــكَ مَنْ حيّاك يا جمــلُ

لو كنتَ حيّيتَها ما زلتَ ذا مِقَــةٍ[3] * عندى وما مسّك الإدلاج والعملُ

لَيتَ التحيّــةَ كانت لى فأشكُرَها * مكانَ يا جمــلُ حُيِّيتَ يا رجــلُ

ذكر يونس أنّ فى هذه الأبيات غناءً لمَعْبَد . وذكر الهشامىّ أنّ فيها لبُثَيْنة خفيفَ رملٍ بالبنصر . وذكر حَبَشٌ أنّ فيها للغَرِيض خفيفَ ثقيل أوّل بالوسطى، ولإبراهيم ثانىَ ثقيل بالوسطى .

(١) كذا فى تجريد الأغانى . و يعنى بمنقطع السعال : الصــدر . وقد ورد هذا الشعر فى كتاب الشعر والشعراء هكذا : «لدى جنبى ومنقطع السعال» . وفى الأصول : «لداء عند منقطع السؤال» وهو تحريف .

(٢) يريد عبد العزيز بن مروان والى مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان .

(٣) المقة : المحبة .

قصته مع أم الحويرث الخزاعية وحديث عنفه لها

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزى قال حدّثنى علىّ بن محمد البرمكىّ قال حدّثنى إبراهيم بن المهدىّ قال :

قدِم علىّ هشامُ بن محمد الكلبىّ فسألته عن العشّاق يومًا فحدّثنى قال : تعشّق كثيِّر امرأةً من خُزَاعة يقال لها أمّ الحُوَيْرِث فنسَب بها ، وكرِهتْ أن يُسَمِّع بها ويفضَحها كما سمّع بعزّة؛ فقالت له : إنك رجلٌ فقير لا مالَ لك؛ فابتغ مالًا يُعفى(١) عليك ثم تعالَ فاخطُبْنى كما يخطُب الكرام . قال : فاحلفى لى ووثّقى أنك لا تتزوّجين حتى أَقْدَمَ عليك؛ فحلفتْ ووثّقت له ، فمدح عبدَ الرحمن بن إبريق الأزدىّ(٢)، فخرج اليه، فلقيته ظِباءٌ سوانح ولقى غرابًا يفحَص التراب بوجهه ؛ فتطيّر من ذلك حتى قدِم على حىٍّ من لِهْب(٣) فقال : أيكم يَزْجُر؟ فقالوا : كلُّنا ، فمَنْ تريد؟ قال: أعلمُكم بذاك . قالوا : ذاك الشيخ المنحنى الصُّلْب . فأتاه فقصّ عليه القصة؛ فكره ذلك له وقال له : قد تُوُفِّيتْ أو تزوّجتْ رجلا من بنى عمّها . فأنشأ يقول :

صــــوت

تيمّمتُ لِهْبًا أبتغى العلمَ عندهم * وقد رُدَّ علمُ العائفين الى لِهب

تيمّمتُ شيخًا منهمُ ذا بَجالةٍ(٤) * بصيرًا بزجر الطير منحنىَ الصُّلْب

فقلت له ماذا ترى فى سَوَانِحٍ * وصوتِ غُرابٍ يفحَص الوجهَ بالتُّرْب

فقال جرى الطيرُ السَّنيح بِبَيْنها * وقال غرابٌ جَدَّ مُنْهَمِرُ السَّكْب

فإلّا تكن ماتتْ فقد حال دونَها * سواكَ خليلٌ باطنٌ من بنى كَعْب

— غنّاه مالك من رواية يونس ولم يجنّسه — قال : فمدح الرجلَ الأزدىّ ثم أتاه فأصاب منه خيرًا كثيرا ، ثم قدِم عليها فوجدها قد تزوّجت رجلا من بنى كعب،

(١) أى يصلحك ويحل الغنى منك محل الفقر . (٢) فى تجريد الأغانى : «عبد الرحمن ابن الأبرش الأزدى» . (٣) لهب : قبيلة من اليمن معروفة بالعيافة وزجر الطير . (٤) ذا بجالة : يجله الناس ويعظمونه .

فأخذه المُلَاس(١)، فكُشِح(٢) جَنْباه بالنار . فلما آندمل(٣) من عِلّته وضع يده على ظهره فاذا هو برَقْمتين؛ فقال : ما هذا؟ قالوا : إنه أخذك المُلَاس وزعم الأطِبّاء أنه لاعِلاجَ لك إلا الكَشْح بالنار فكُشِحْتَ بالنار . فأنشأ يقول :

صــــوت

٥ عفا الله عن أمّ الحُوَيْرِث ذنبَها * عــلامَ تُعَنِّنى وتَكْمِى(٤) دَوَائيـا

فلو آذنونى(٥) قبــل أن يرقُموا بها * لقلتُ لهم أُمّ الحُوَيْرث دائيـا

ـ فى هذين البيتين لمــالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى . ولآبن سُرَيج رملٌ بالبنصر كلاهما عن عمرو والهشامىّ . وقيل : إن فيهما لمعبد لحنا ـ وقد أخبرنى بهذا الخبر أحمد ابن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة ولم يجاوزاه بالرواية

١٠ فذكر نحو هذا وقال فيه : إنه قصــد آبن الأزرق بن حَفْص بن المُغــيرة المخزومىّ الذى كان باليمن، وإنه فعل ذلك بعد موت عزّة . وسائر الخبر متقارب .

سأله ابن جعفر عن سبب هزاله فأجابه

وأخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل الجعفرىّ عن محمد بن سليمان بن فُلَيْح أو فليح بن سليمان ـ أنا شككتُ ـ عن أبيه عن جدّه قال:

جاء كثيّر الى عبد الله بن جعفر وقد نَحَلَ وتغيّر . فقال له عبد الله : مالى أراك

١٥ متغيرا يا أبا صخر ؟ قال : هذا ما عملتْ بى أمّ الحُوَيْرِث، ثم ألقى قميصه فاذا به قد صار مثل القَشّ وإذا به آثار من كَىٍّ، ثم أنشده :

* عفا الله عن أُمّ الحويرث ذنبَها *

الأبيــات .

(١) الملاس : داء يهزل الجسم أو هو السل . (٢) الكشح : الكىّ بالنار . (٣) أى تماثل

٢٠ وتراجع للبرء . (٤) تكمى : تستر . (٥) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « ولولاذنوبى » وهو تحريف .

أغرت عزة به بثينة لتتبين حاله

أخبرنى عمّى قال حدّثنى ابن أبى قال حدثنى الحِزامىّ عمن حدّثه من أهل قُدَيد[1] :

أنّ عزّة قالت لبُثَيْنة : تَصَدَّىْ لكثيّر وأطمعيه فى نفسك حتى أسمع ما يجيبك به . فأقبلت اليه وعزّة تمشى وراءها مختفيةً ؛ فعرَضت عليه الوصلَ ؛ فقاربها ثم قال :

رَمتْنى على عَمْدٍ بُثَيْنةُ بعد ما * تولَّى شَبَابِى وارْجَحَنّ[2] شبابُها

وذكر أبياتًا أُخَر[3] سقط من الكتاب ذكرُها . فكشفتْ عزّةُ عن وجهها ؛ فبادرها الكلامَ ثم قال :

ولكنّما تَرْمِينَ نفسًا مريضةً * لِعَزّةَ منها صَفْوُها ولُبَابُها

فضحِكتْ ثم قالت : أَوْلَى لك بها قد نجوتَ ؛ وانصرفتا تتضاحكان .

قال لأهله إذ بكوا فى مرضه سأرجع بعد أيام

أخبرنا الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عبد الرحمن ابن عبد الله الزُّهْرِى قال :

بكى بعضُ أهل كثيّر عليه حين نزل به الموت ، فقال له كُثيّر : لا تبكِ ، فكأنّك بى بعد أربعين ليلةً تسمع خَشْفةَ[4] نعلى من تلك الشِّعْبِ راجعًا اليكم .

مات هو وعكرمة فى يوم واحد سنة ١٠٥

أخبرنى الفضل بن الحُبَاب أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى ابن جُعْدُبة وأبو اليَقْظان عن جُوَيْرِية بن أسماء قال :

مات كثيّر وعكرِمةُ مولى ابن عبّاس فى يوم واحد، فاجتمعت قُرَيش فى جنازة كثيّر، ولم يوجد لعكرِمة مَنْ يحمله .

(١) قديد : اسم موضع قرب مكة . (٢) ارجحن شبابها : يريد اهتز نضارة وحسنا .
(٣) فى ج : « وذكر بيتا آخر سقط من الكتاب » . (٤) خشفة النعل : صوتها .

أخبرنا الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمر بن مُصْعَب قال حدّثنى الواقدىّ قال حدّثنى خالد بن القاسم البَيَاضىّ قال :

٤٣/٨

مات عِكْرِمةُ مولى ابن عبّاس وكثيرٌ بن عبد الرحمن الخُزَاعىّ صاحبُ عزّة فى يوم واحد فى سنة خمس ومائة ، فرأيتُهما جميعًا صُلِّىَ عليهما فى يومٍ واحد بعد الظهر فى موضع الجنائز ، فقال الناس : مات اليومَ أفقهُ الناس وأشعرُ الناس . ٥

ما جرى فى جنازته بين أبى جعفر الباقر وزينب بنت معيقب

وقال ابن أبى سعد الوَرّاق حدّثنى رَجَاء بن سَهْل أبو نصر الصاغانىّ قال حدّثنا يحيى بن غَيْلان قال حدّثنى المُفَضَّل بنُ فَضَالَةَ عن يزيد بن عُرْوة قال :

مات عكرمة وكثيّر عَزّة فى يوم واحد ، فأُخْرِجتْ جِنازتاهما ، فما علمتُ تخلّفتِ امرأةٌ بالمدينة ولا رجلٌ عن جِنازتيهما . قال : وقيل مات اليوم أشعرُ الناس وأعلمُ الناس . قال : وغلَب النساء على جنازة كثيّر يَبْكِينَه ويذْكُرْنَ عزّة فى نُدْبتهنّ له . قال : فقال أبو جعفر محمد بن علىّ (١) : أفرِجُوا لى عن جِنازة كثيّر لأرفَعها . قال : فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهنّ محمد بن علىّ بكُمِّه ويقول : تَنَحَّيْنَ يا صَوَاحِباتِ يوسف . فانتدَبتْ له امرأةٌ منهنّ فقالت : يآبنَ رسولِ الله لقد صَدَقتَ ، إنّا لصواحباتُ يوسف وقد كنّا له خيرًا منكم له . قال : فقال أبو جعفر لبعض مَواليه : احتفِظْ بها حتى تجيئنى بها إذا انصرفْنا . قال : فلما انصرف أُتِىَ بتلك المرأة كأنها شَرَارةُ النار . فقال لها محمد بن علىّ : أنت القائلةُ إنّكن ليوسفَ خيرٌ منّا؟ قالت : نعم ! تُؤْمِننى غضبَك يآبنَ رسول الله؟ قال : أنت آمنةٌ من غضبى فأبِينى . قالت : نحن يآبنَ رسول الله دعوناه الى اللذّات من المَطْعَم ١٠ ١٥

(١) هو محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى أبو جعفر المدنى المعروف بالباقر توفى سنة ١١٤ هـ . ٢٠

والمَشْرَب والتمتُّع والتنعُّم ، وأنتم معاشرَ الرجال ألقيتموه فى الجُبّ وبِعتُموه بأبخس الأثمان وحبستموه فى السِّجن . فأيُّنا كان عليه أَحْنَى وبه أَرْأَف (١) ؟ ! فقال محمد : لله دَرُّكِ ! ولن تُغَالَبَ امرأةٌ إلّا غَلَبتْ . ثم قال لها : أَلَكِ بعلٌ ؟ قالت : لى من الرجالِ مَنْ أنا بعلُه . قال : فقال أبو جعفر : صَدَقتِ ، مثلُكِ من تَمْلِك بعلَها ولا يملكها . قال : فلما انصرفتْ قال رجلٌ من القوم : هذه زينب بنت مُعَيْقِب (٢) .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغناء :

صوت

نظرتُ اليها نَظْرةً وهى عاتقٌ * على حينِ أنْ شَبَّتْ وبانَ نُهودُها
نظرتُ اليها نظرة ما يسُرُّنى * بها حُمْرُ أنعامِ البلادِ وسُودُها
وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضها * أرى الأرضَ تُطْوَى لى ويدنو بعيدُها
من الخَفِراتِ البِيضِ وَدَّ جَليسُها * إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها

عَرُوضه من الطويل . البيت الأول لكثيِّر ، والثانى والثالث لنُصَيْب من قصيدته التى أوّلها :

* لقد هجرت سعْدَى وطال صدودُها *

غنّى فى البيت الثانى والثالث بَحْدَرٌ الراعى خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر . وغنّى فيهما الهُذَلِىّ رملًا بالوسطى . وغنّى فى الثالث والرابع دِعامة ثقيلًا أوّل بالبنصر .

عمر الوادى يأخذ صوتا عن راعى غنم فى شعر له

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَماد عن أبيه قال قال عمر الوادىّ ، وأخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى مَكينٌ العُذْرىّ قال :

(١) فى الأصول : «فأينا كان به أحنى وعليه أرأف» . والتصويب عن تجريد الأغانى .
(٢) فى ج : «معيقيب» .

سمعت عمر الوادىّ يقول : بينا أنا أسيرُ بين الرَّوْحاء والعَرْج إذ سمعتُ إنسانًا يغنّى غناءً لم أسمع قطُّ مثلَه فى بيتَىْ كثيّر :

٤٤ / ٨

وكنت إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضها * أرى الأرض تُطْوَى لى ويدنو بعيدُها

من الخَفِرات البِيض وَدّ جليسُها * اذا ما انقضتْ أحدوثةٌ لو تُعيدها

٥ قال : فكدت أسقط عن راحلتى طربًا، وقلت : والله لألتمسنّ الوصولَ الى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائى، فتيمّمتُ سَمْتَه[1] فإذا راعٍ فى غنم، فسألته إعادته علىّ . قال : نعم ! ولو حضرنى قِرًى أَقْرِيكَه ما أعدتُه ، ولكنّى أجعله قِرَاك، فربما تَرَنّمتُ به وأنا غَرْثانُ فأشبع، وعطشانُ فأَرْوَى، ومستوحِشٌ فآنَس، وكَسْلانُ فأنشَط . قال : فأعادهما علىّ حتى أخذتُهما ، فما كان زادى حتى وَلَجْتُ ١٠ المدينةَ غيرَهما .

(١) سمته : ناحيته وجهته .

أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

كان عالما ومغنيا ونسب غناءه لجاريته شاجى ترفعا

هو عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحُسين، ويكنى أبا أحمد . وله محلٌّ من الأدب والتصرُّف فى فنونه وروايةِ الشعر وقولِه والعلمِ باللغة وأيّامِ الناس وعلومِ الأوائل من الفلاسفة فى المَوسيقى والهندسة وغير ذلك مما يَجِلّ عن الوصف ويكثُر ذكره . وله صنعةٌ فى الغناء حسنةٌ مُتْقَنة عجيبة تدلّ على ما ذكرناه هاهنا من توصّله الى ما عجَز عنه الأوائل من جَمْع النَغَم كلِّها فى صوت واحد تتبّعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها . وكان المعتضد بالله، رحمة الله عليه، ربما كان أراد أن يصنع فى بعض الأشعار غناءً وبحضرته أكابرُ المغنِّين مثل القاسم بن زُرْزُور وأحمد بن المَكّىّ ومَنْ دونهما مثل أحمد بن أبى العَلاء وطبقتِهم، فيعدِل عنهم اليه فيصنعَ فيها أحسنَ صَنْعة، ويترفّع عن إظهار نفسه بذلك، ويُومِئ الى أنه من صَنْعة جاريته شَاجِى(1)، وكانت إحدى المُحْسنات المبرِّزات المُقَدَّمات؛ وذلك بتخريجه وتأديبه، وكان بها مُعْجَباً ولها مُقَدِّما .

كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله وطلب منه جاريته ليسمع غناءها فأرسلها له

فأخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال : لمّا اختلت حالُ عُبَيْد الله بن عبد الله ابن طاهر كان المعتضد يتفقّده بالصِّلات الفَيْنَةَ بعد الفَيْنة . واتفق يوماً كان فيه مصطبِحًا أن غُنِّى بصوتِ الصنعة فيه لشاجى جاريةِ عُبَيد الله؛ فكتب اليه كتابا يُقْسم أن يأمرها بزيارته ففعل . قال: فحدّثنى مَنْ حضر من المغنّيات ذلك المجلسَ بعد موت المعتضد قالت : دخلتْ إلينا وما منّا إلّا من يَرْفُل فى الحُلِىِّ والحُلَلِ وهى فى أثواب ليست كثيابنا، فاحتقرناها؛ فلمّا غنّت احتقرنا أنفسَنا . ولم تزل تلك حالَنا حتى صارت فى أعيننا كالجبل وصرنا كلا شىء . قال : ولمّا انصرفتْ أَمَر لها

(1) فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ٦٦) : «ساجى» بالسين المهملة .

المعتضد بمال وكُسوة . ودخلتْ الى مولاها فجعل يسألها عن أمرها وما رأت مما استظرفت وسمعتْ مما استغربتْ . فقالت : ما استحسنتُ هناك شيئا ولا استغربته من غناءٍ ولا غيره إلا عودًا من عود محفور[1] فإنّى استظرفتهُ . قال جحظةُ : فما قولُكَ فيمن يدخل دارَ الخلافة فلا يمدّ عينَه لشيء يستحسنه فيها إلا عودًا ! .

كانت شاجى جاريتـه تلحن للمعتضد بعض الشعر

٥ قال محمد بن الحسن الكاتب وحدّثنى النُّوشجانىّ قال :

كان المُعتَضِد إذا استحسن شعرًا بعث به الى شَاجِى جاريةِ عُبيد الله بن طاهر فتغنّى فيه . قال : وكانت صنعتها تسمّى فى عصره غناء الدار .

ماتت شاجى فرثاها

قال محمـد بن الحسن : وماتت شاجى فى حياة عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان عليلا ، فقال يرثيها — وله فيه صنعةٌ من خَفيف الثَّقيل الأوّل بالوسطى — :

٤٥ / ٨

١٠ يَمِينًـا يقينًا لـو بُلِيتُ بفقـدها * وبى نَبْضُ عِرْقٍ للحياة أو النُّكْسِ

لأَوْشكتُ قتلَ النفسِ قبل فِراقها * ولكنها ماتت وقد ذهبتْ نفسى

له كتاب الآداب الرفيعة فى الغناء

ومن نادر صنعة عُبيد الله وجيِّد شعره قوله — وله فيـه لحنان ثقيلٌ أوّل وهَزَجٌ ، والثقيل الأوّل أجودُهما — :

فأَنفِقْ إذا أيسرتَ غيرَ مقـتّرٍ * وأَنفِقْ على ما خَيَّلتْ حين تُعْسِرُ

١٥ فلا الجُودُ يُفنِى المالَ والمالُ مقبلٌ[2] * ولا البخلُ يُبقِى المـالَ والجَدُّ مُدْبِرُ

وأشعاره كثيرةٌ جيّدة كثيرةُ النادرِ والمُختـارِ . وكتابه فى النَّغَم وعِلَل الأغانى المسمّى "كتابَ الآداب الرفيعة" كتاب مشهور جليل الفائدة دالٌّ على فضل مؤلِّفه .

قص عليـه الزبير ابن بكار قصـة فاستحسنها وأمر له بمـال

أخبرنى جَحْظـة قال حدّثنى الحَـرَمىّ بن أبى العَـلَاء قال حدّثنى موسى بن هارون ، فيما أُرَى ، قال :

٢٠ (١) كذا فى ا ، م ونهاية الأرب . وفى سائر الاصول : « مفحور » وهو تحريف .

(٢) الرواية المشهورة : « والجد مقبل » .

كنتُ عنــد عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزُّبير بن بَكّار فأعلمه أن المتوكّل أو المعتزّ — وأراه المعتزّ — بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء . فقال له الزُّبير بن بكّار : قد بلغتُ هــذه السِّنّ وأتولى القضاء ! أو بعــد ما رويتُ أنّ من ولى القضاءَ فقــد ذُبح بغير سكّين ! فقال له : فتلحَق بأمير المؤمنين بسُرَّ مَنْ رَأَى ، فقال له : أفعــل . فأمر له بمــال ينفقه ، وبظَهْرٍ يحمله ويحمل ثَقَلَه . ثم قال له . إن رأيت يا أبا عبد الله أن تُفيدنا شيئا قبل أن نفترق ! قال : نعم ! اِنصرفتُ من عُمْرة المحرَّم ؛ فبينا أنا بأُثَايَةِ(١) العَرْج ، إذا أنا بجمــاعة مجتمعة ، فأقبلتُ اليهم وإذا رجل كان يقتنص الظباء وقد وقع ظبى فى حِبَالته فذبحه ، فانتفض فى يده فضرب بقرنه صدرَه فنَشِب القرن فيه فمات . وأقبلت فتاة كأنها المَهاةُ، فلما رأتْ زوجها ميّتا شَهِقتْ ثم قالت :

يا حُسْنُ لو بَطَلٌ لكنّه أجل * على الأُثاية ما أَوْدَى به البطلُ

يا حُسن جمّع أحشائى وأقلقها * وذاك يا حسن لولا غيره جَلَلُ

أضحتْ فتاةُ بنى نَهْــدٍ عَلَانِيَــةً * وبعلُها بين أيدى القوم محتمَلُ

قال : ثم شهقت فماتت . فمــا رأيتُ أعجبَ من الثلاثة : الظبى مذبوح ، والرجل جريح ميت ، والفتاة ميتة [حَرَّى](٢) . فأمر له عُبيد الله بمال آخر . ثم أقبل الى أخيه محمد بن عبد الله بعــد خروج الزبير فقال : أمّا إنّ الذى أخذناه من الفائدة فى خبر حُسْن وفى قولها(٣) :

* أضحت فتاةُ بنى نَهْد علانيةً *

---

(١) الأثاية : موضع فى طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخا وهو بين الرويثة والعرج ، مر به النبي صلى الله عليه وسلم فى خرجة له الى مكة وهو محرم . ورواه بعضهم "أثانة" بثاء مثلثة أخرى كما ورد فى الأصول ، ورواه آخرون "أثانة" بالنون . وكلاهما خطأ . (راجع معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى) . (٢) زيادة عن جـ . (٣) فى الأصول : «وفى قوله» . والتصويب عن تجريد الأغانى .

– تريد ظاهرة – أكثرُ عندى ممّا أعطيناه من الحِباء والصِّلة . وقد أخبرنى الحسين بن علىّ عن الدمشقىّ عن الزبير بخبر حُسْن فقط، ولم يذكر فيه من خبر عُبيد الله شيئا .

لحنه فى شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر

ومن الأصوات التى تجمع النَّغَمَ العشرَ :

٤٦ / ٨

٥

صــــوت

وهو يجمع النَّغَم العشر كلَّها على غير تَوَالٍ :

وإنّك إذ أطمعتنى منكَ بالرِّضا * وأيأستنى من بعد ذلك بالغضبْ

كَمُمْكِنَةٍ من ضَرْعِها كفَّ حالبٍ * ودافقةٍ من بعد ذلك ما حَلَبْ

عروضه من الطويل . الشعر لإبراهيم بن علىّ بن هَرْمة . والغناء فى هذا اللحن

١٠ الجامع للنَّغَم لعُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى فى مجراها وعليها ٱبتدأ الصوت .

أنبت فى كتابه قصد أبى نواس لشعر لابن هرمة وشعر لجرير

وقال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثنى بعض أصحابنا عن أبى نُوَاس أنه قال : شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما فى غير موضعه . فلو أُخذ البيت الثانى من شعر أحدهما فجُعِل مع بيت الآخر، وأُخذ بيتُ ذاك فجُعل مع هذا لصار

١٥ متّفقا معنًى وتشبيها . فقلت له : أنّى ذلك؟ فقال : قول جَرير للفرزدق :

فإنكَ إذ تهجو تميمًا وترتشى * تَبَابِينَ[1] قيس أو سُحُوق العمائم

كمُهْرِيقٍ ماءٍ بالفَلاةِ وغرَّه * سرابٌ أذاعته رياح السَّمائم

وقول ٱبن هَرْمَة :

وإنِّى وتَرْكِى نَدَى الأكرمينَ * وقَدْحِى بكفّىَّ زَنْدًا[2] شَحَاحا

٢٠ (١) التبابين : جمع تبان وهو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين . والسحوق : جمع سحق، وهو الثوب الخلق البالى . (٢) كذا فى أكثر الأصول واللسان مادة شح . وزند شحاح : لا يورى . وفى ب، من هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول : «زنادا شحاحا» .

كتاركةٍ بيضَها بالعَــراء * ومُلْبِسةٍ بيضَ أخرى جَناحا

فلو قال جرير :

فإنك إذ تَهْجـو تَمِيًما وتَرْتشى * تَبَابِينَ قَيْسٍ أو سُحُوق العمائم

كتاركةٍ بيضَها بالعَــراء * ومُلْبِسةٍ بَيْضَ أُخرى جَناحا

لكان أشبه منه ببيته . ولو قال ٱبنُ هَرْمة مع بيته :

وإنى وتركى ندى الأكرمين * وقـدحى بكَفِّىَّ زَنْدا شَحاحا

كهُرْيق ماءٍ بالفـلاة وغَرَّه * سرابٌ أذاعته رياح السمائم

كان أشبهَ به . ثم قال : ولكن ٱبن هَرْمة قد تلافى ذلك بعدُ فقال :

وإنك إذ أطمعتنى منـك بالرضا * وأيأستنى من بعد ذلك بالغضبْ

كممكنةٍ من ضرعها كفَّ حالب * ودافقةٍ من بعـد ذلك ما حلبْ

وقد أتى عُبيدالله بن عبدالله بهذا الكلام بعينه فى "الآداب الرفيعة"[1] . وإنما أخذه من أبى نُوَاس على ما رُوِى عنه .

وما يجمع النغم العشر صوت ابن أبى مطر فى شعر نصيب

ووجدتُ فى كتابٍ مؤلَّف فى النَّغَم غيرِ مسمَّى الصانع : أنّ من الأصوات التى تجمع النَّغَمَ العشرَ صوتَ ٱبنِ أبى مَطَر المكىِّ فى شعر نُصَيْب وهو :

صـــوت

ألَا أيُّهـا الرَّبْـعُ المُقيـمُ بعُنْبُبٍ[2] * سَقَتْكَ السَّوَاقِى من مُراحٍ ومَعْزَبِ

بذى هَيْدَبٍ أمّا الرُّبَى تحت وَدْقِه * فَتَرْوَى وأمّا كلُّ وادٍ فَيَزْعَبُ[3]

(١) فى الأصول هنا : «الآداب التسعة» وهو تحريف ، وقد تقدّم اسم هذا الكتاب .

(٢) عنبب (بضم العين وسكون النون وضم الباء الأولى كما رواه السكرى ، وفى أمثلة سيبويه أنه بفتح الباء) : موضع .

(٣) أورد صاحب اللسان هذا البيت فى مادة «رعب» بالراء المهملة . ورعب وزعب بمعنى ، يستعملان لازمين فيقال رعب الوادى أو زعب اذا تملأ ، ومتعديين فيقال رعب السيل الوادى أوزعبه اذا ملأه . وروى فى البيت أيضا «فيروى» بضم الياء وكسر الواو ، وبنصب «كل» على أن تكون «الربى» «وكل واد» مفعولين مقدمين . (راجع اللسان فى مادة رعب) .

عروضه من الطويل . ويروى "الربع الخلاء بعنبب" أى الخالى . وعنبب : موضع، ويروى "سقتك الغوادى من مراد" . والمراد : الموضع الذى يرتاد فيرتعى فيه الكلأ . والمراح : الموضع الذى تروح اليه المواشي وتبيت فيه[1] . وفى الحديث أنه رخص فى الصلاة فى مراح الغنم ونهى عنها فى أعطان الإبل . والمعزب : الموضع الذى يعزب فيه الرجل عن البيوت والمنازل . وأصل العزوب : البعد يقال عزب عنه رأيه وحلمه أى بعد، والعزب مأخوذ من ذلك . وهيدب السماء أطراف تراه فى أذنابه كأنه معلق به[2] . قال أوس بن حجر[3] :

دان مسف فويق الأرض هيدبه * يكاد يدفعه من قام بالراح

ويزعب : يطفح، يقال : زعبه السيل إذا ملأه[4] . الشعر لنصيب يقوله فى عبد العزيز بن مروان .

وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان ومدحه فأجازه

أخبرنا الحرمى قال حدثنا الزبير قال حدثنى جميع بن على النميرى عن عبد الله ابن عبد العزيز بن محجن بن النصيب، قال الزبير وكتب إلى بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النصيب قالت :

وفد أبى على عبد العزيز بن مروان بمصر، فوقف على الباب فآستأذن فلم يؤذن له . فأرسل اليه حاجبه فقال: آستنشده، فإن كان شعره رديئا فآردده، وإن كان جيدا

(١) هذا المعنى للراح بضم الميم . وأما بفتحها فهو الموضع الذى يروح اليه القوم أو يروحون منه كالمغدى للوضع الذى يغدى منه أو إليه . (٢) كذا فى الأصول . ولعل صوابه : «أطراف تراها فى أذنابه كأنها معلقة به» . والمراد بالسماء السحاب . (٣) لقد ورد فى اللسان فى مادتى «هدب وسف» أن هذا البيت يروى أيضا لعبيد بن الأبرص .

(٤) فى الأصول : «اذا علاه» والتصويب عن معاجم اللغة . وقول المؤلف «يطفح» تفسير لمعنى الفعل لازما . وقوله بعد ذلك : «يقال زعبه السيل إذا ملأه» تفسير لمعناه متعديا . فكان ينبغى أن يكون «ويقال ... الخ» بالواو للدلالة على أنه لازم ومتعد .

فأدْخِلْه . فقال نُصَيْب : قد جلَبنا شيئا للأمير، فإن قبله نشرناه عليه وإلّا طويناه ورجعنا به . فقال عبد العزيز : إنّ هذا لكلامُ رجلٍ ذَهِنٍ، فأدخَلَه . فلمّا واجهه أنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

ألَا هل أتى الصقرَ بنَ مَرْوان أنّنى * أُرَدُّ لدَى الأبوابِ عنــه وأُحْجَبُ

وأنّى ثَوَيتُ اليومَ والأمسِ قبــلَه * على الباب حتى كادت الشمسُ تغرُبُ

وأنّى إذا رمتُ الدخـــولَ تَرُدُّنى * مهـابةُ قَيْسٍ والرِّتَاجُ المُضَبَّبُ (١)

قال : وكان حاجب عبد العزيز يُسمى قَيْسا . قال : وتشبيب هذه القصيدة :

ألَا أيهـا الرَّبْعُ المقـــيمُ بعُنْبُب * سقتْك السّواقى من مُرَاحٍ ومَعْزَبِ

قال : فلمّا دخل على عبد العزيز أُعجِب بشعره وأوْجَهَه (٢)، وقال للفرزدق : كيف تسمع هذا الشعر؟ قال : حسنٌ إلّا من لغته . قال : هــذا والله أشعرُ منك ! . قال : وقال نُصَيْب فيها أيضا :

وأهــلى بأرضٍ نازحون وما لَهُــمْ * بهـا كاسبٌ غـيرى ولا مُتَقَلَّبُ

فهــل تُلحِقَنّيهِــمْ بعَبْــلٍ (٣) مُوَاشِكٍ * على الأينِ من نُجْبِ آبنِ مَرْوانَ أصْهَبِ

أبو بَكَراتٍ إنْ أردتُ آمتحالَه * وذو ثَبَتَاتٍ بالرَّدِيفَيْن مُتْعَبُ

فقال له عبد العزيز : أُدخُلْ على المَهَارَى (٤) فخُذْ منها ما شئت، فلو كنتَ سألت غيره لأَعْطيتَه . فدخل فردّه الجمّال . فقال عبد العزيز : دَعْه فإنمــا يأخذ الذى نَعت، فأخــذه .

(١) رتاج مضبب : مجعولة له ضبة . (٢) أوجهه : جعله وجيها وشرفه .

(٣) العبل : الضخم . والمواشك : السريع . والأين : الإعياء والتعب . وفى هذا البيت إقواء .

(٤) المهرية : إبل منسوبة الى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة .

قال الزُّبير وحدّثنى بعض أصحابنا عن محمد بن عبد العزيز قال :

نزل عبـد العزيز بن عبد الوهّاب على المَهْـدى بعُنْبُب من وادى السَّراة الذى عَنَى نُصَيْب بقوله :

* ألَا أيها الرَّبْعُ الخَلاءُ بعُنْبُبِ *

والمَهْدِى(١) هو الذى يقول فيه الشاعر :

اِسلَمِى يا دارُ من هِنْدِ * بالسُّوَيْقاتِ الى المَهْدِى

صـــــوت

صـوت له يجمع ثمانى نغـم وقد مدحه إسحاق

وهو يجمع من النَّغَم ثمانيا :

يا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرٍ * ترك المُـنَى لِفَواتِهـا

وتظلُّف النفس التى * قـد كان من حاجاتِهـا

وطِلَابُكَ الحاجاتِ مِنْ * سَلْمَى ومِنْ جاراتِها

كَتَطَرُّد العَنْسِ الذَّمُـو * لِ(٢) الفَضْـلَ من مَثْنَاتِها

٤٨ / ٨

قوله : "يا من لقلب مقصر" تأسُّفٌ على شبابه ؛ ويدلّ على ذلك قوله :

وتظلّف النفس التى * قـد كان من حاجاتهـا

يقال : اظلِف نفسَك عن كذا أى امنعها منه لئلا يكون لها أثر فيه . وهو مأخوذ من ظَلَف الأرض وهو المكان(٣) الذى لا أثر فيه . قال عوف بن الأحوص :

ألم أَظْلِفْ(٤) عن الشعراء عِرْضِى * كما ظُلِفَ الوَسِـيقةُ بالكُرَاعِ

(١) الظاهر أنه اسم موضع ولم نقف عليه . (وسويقة) : اسم لمواضع كثيرة . ولعل «السويقات» موضع بعينه . (٢) ناقة ذمول : تسير سيرا سريعا لينا . والمثناة : الحبل . (٣) أى المكان الصلب الذى لا يبقى فيه أثر الشىء . (٤) أى عميت عليهم أثرى . وقوله : «كما ظلف الوسيقة بالكراع» قال ابن الأعرابى : هذا رجل سلّ إبلا فأخذ بها فى كراع من الأرض لئلا تستبين آثارها فتتبع . (عن لسان العرب مادة ظلف) .

الوَسيقة : الجماعةُ من الإبل . يعنى أنها تُساق فلا يوجد لها أثر فى الكُرَاع، وهو مُنْقَطَع الجبل . قال الشاعر :

أمستْ كُرَاعُ الغَمِيم[1] مُوحِشَةً * بعد الذى قد خلا، من العَجَبِ

وقوله :

كتَطَرُّدِ العَنْسِ الذَّمُو * لِ انفضل من مَثْنَاتِها

يقول : طِلَابُك هذه الحاجاتِ ضلالٌ وتتابعٌ كتطرُّد العَنْس (وهى الناقة المذكَّرة الخَلْق) الفضل من مَثْنَاتها . والتطرُّد : التتبُّع، ومثله قول الشاعر :

خَبَطتُ الصِّبَا خَبْطَ البعيرِ خِطَامَهُ * فلم أَنْتَبِهْ للشَّيْب حتى عَلَانِيا

الشعر لمُسافر بن أبى عَمْرو بن أُمَيَّة بن عبد شمس . والغناء لابن مُحْرِز ثانى ثقيل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق . وهذا الصوت يجمع من النَّغَم ثمانيا، وكذلك ذكر إسحاق ووصف أنه لم يجمع شىءٌ من الغناء قديمه وحديثه إلى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت، ووصف أنه لو تلطّف متلطِّف لأن يجمع النَّغَم العشر فى صوت واحد لأمكنه ذلك، بعد أن يكون فَهِماً بالصناعة طويلَ المُعاناة لها و بعد أن يُتعب نفسَه فى ذلك حتى يصحّ له . فلم يقدر على ذلك سوى عُبيد الله بن عبد الله إلى وقتنا هذا .

(١) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

ذكر مُسَافِر ونسبه

نسبه وهو أحد السادات المعروفين بأزواد الركب

مسافر بن أبي عمرو بن أُمَيّة، ويكنى أبا أمية . وقد تقدّم نسبه وأنساب أهله . وأُمّه آمنة بنت أَبَان بن كُلَيب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة ، وهي أُمّ أبي مُعَيْط أَبَان بن عمرو بن أُمَيّة . وأبو مُعَيط ومُسَافِرٌ أخوان لأب وأمّ، وهما أخوا عُمومتهما أبي العاصي وأخويه من بني أُمَيّة الذين أُمُّهم آمنة؛ لأنّ أبا عمرو تزوّجها بعد أبيه . وكان سيّداً جَوَاداً، وهو أحد أزْوَاد الركب[1]، وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا لا يَدَعون غريبًا ولا مارَّ طريق ولا محتاجًا يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفّلوا به حتى يظعَن .

مناقضاته عمارة ابن الوليد

وهو أحد شعراء قُرَيْش، وكان يُناقض عُمَارة بن الوليد[2] الذي أمر النَّجَاشيُّ السواحر فسحرْنه . فمن ذلك قول عُمَارة :

خُلِق البيضُ الحِسَانُ لنا * وجِيَادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ

كابرًا كنّا أحقّ به * حين صِيغَ الشمسُ والقمرُ

٤٩ / ٨

وقال مسافر يردّ عليه :

أعُمَارَ بنَ الوليد وقد * يذكر الشّاعرُ مَنْ ذَكَرَهْ

هل أخو كأسٍ مُحقّقُها * ومُوَقٍّ صحبَه سُكُرَهْ

ومُحيّيهم إذا شَرِبوا * ومُقِلٌّ فيهمُ هَذَرَهْ

(١) أزواد الركب : ثلاثة نفر من قريش : مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . سموا بذلك لأنه لم يكن يتزوّد معهم أحد في سفره وكانوا يطعمون كل من يصحبهم ويكفونه الزاد . وكان ذلك خلقا من أخلاق قريش؛ ولكن لم يسم بهذا الاسم إلا هؤلاء الثلاثة . (راجع ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه) . (٢) سيأتي الكلام عنه في هذه الترجمة .

خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنا * وجِيادُ الرَّيْطِ والحِبَرَهْ
كابرًا كنّا أحقَّ به * كلُّ حىٍّ تابعٌ أثَرَهْ

خطب هندا بنت عتبة ولما تزوجت أبا سفيان مرض واعتل حتى مات

وله شعر ليس بالكثير . والأبيات التى فيها الغناء يقولها فى هند بنت عُتْبة بن ربيعة ابن عبد شمس، وكان يهواها . فخطَبها الى أبيها بعد فِراقها الفاكهَ بن المُغيرة، فلم ترضَ ثروته ومالَه . فوفد على النُّعمان يستعينه على أمره ثم عاد، فكان أوّلَ مَنْ لقيه أبو سُفْيان، فأعلمه بتزويجه من هند . فأخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى ابن أبى سَلَمة عن هشام، قال ابن عمّار وقد حدّثناه ابنُ أبى سَعْد عن علىّ بن الصبّاح عن هشام، قال ابن عمّار وحدّثنيه علىّ ابن محمد بن سليمان النَّوْفَلىّ عن أبيه — دخل حديثُ بعضهم فى بعض — :

أنّ مسافر بنَ أبى عمرو بن أميّة كان من فِتْيان قريش جمالًا وشعرًا وسخاء . قالوا : فعشِق هندًا بنت عُتْبة بن ربيعة وعشِقته، فاتُّهم بها وحملتْ منه . قال بعض الرواة : فقال معروف بن خَرَّبُوذ : فلما بانَ حَمْلُها أو كاد قالت له : اخرُجْ؛ فخرج حتى أتى الحِيرةَ ، فأتى عمرَو بن هند فكان يُنادمه . وأقبل أبو سُفْيان بن حرب الى الحِيرة فى بعض ما كان يأتيها، فلقِى مُسافرًا، فسأله عن حال قريش والناس؛ فأخبره وقال له فيما يقول : وتزوّجتُ هندًا بنت عُتْبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه حتى استَسْقَى[1] بطنُه . قال ابن خَرَّبُوذ : فقال مُسافر فى ذلك :

ألَا إنّ هندًا أصبحتْ منك مَحْرَمًا * وأصبحتَ من أدنى حُمُوّتها حَمَا
وأصبحتَ كالمقمور جَفْنَ سلاحه * يقلِّب بالكفَّيْن قوسًا وأسْهُمَا

فدعا له عمرُو بن هند الأطبّاءَ، فقالوا : لا دواء له إلّا الكَىّ . فقال له : ما ترى؟ قال : افعلْ . فدعا له الذى يُعالجه فأحمَى مَكاوِيَه؛ فلما صارت كالنار قال : ادْعُ

(١) استسقى بطنه : اجتمع فيه ماء أصفر . وهو المعروف بمرض الاستسقاء .

أقوامًا يُمسكونه . فقال لهم مسافر : لستُ أحتاج الى ذلك . فجعل يضع المكاوِيَ عليه . فلما رأى صبْرَه ضَرَط الطبيبُ ؛ فقال مسافر :

* قد يَضْرِطُ العَيْرُ والمِكواةُ في النارِ *

— فجرتْ مثلًا — فلم يَزِدْه إلا ثِقَلًا . فخرج يُريد مكة . فلما انتهى الى موضع يقال له هُبالة[1] مات فدُفن بها، ونُعِي الى قُرَيش. فقال أبو طالب بن عبد المطّلب يرثيه :

لما مات رثاه أبو طالب

ليتَ شِعْري مُسافِرَ بنَ أبي عمـ * ـرٍو ولَيْتٌ يقولها المحزونُ

رجع الركبُ سالمين جميعًا * وخليلي في مَرْمَسٍ[2] مدفونُ

بُورِكَ الميِّتُ الغريبُ كما بو * رِكَ نَضْرُ الرَّيْحانِ[3] والزيتونُ

بيتُ صِدْقٍ على هُبالةَ قد حا * لت فيافٍ من دونه وحُزونُ

مِدْرَهٌ يدفعَ الخصومَ بأيْدٍ * وبوجهٍ يَزِينُه العِرْنِينُ

٥٠ / ٨

صـــوت

كَمْ خليلٍ رُزِئْتُه وآبنِ عمٍّ * وحَميمٍ قضتْ عليه المَنونْ

فتعزَّيتُ بالتأسّي وبالصبـ * ـرِ وإنّي بصاحبي لَضَنِينْ

غنّى في هذين البيتين يحيى المكّيّ ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى من رواية آبنه والهشاميّ .

وأنشدنا الحرميّ قال أنشدنا الزبير لأبي طالب بن عبد المطّلب في مسافر بن أبي عمرو :

ألَا إنّ خيرَ الناس غيرَ مُدافَعٍ * بسَرْوِ سُحَيْمٍ[4] غيَّبَتْه المقابرُ

(١) قال البكرى في معجم ما استعجم : إن هبالة : موضع لبني عقيل . وقال ياقوت في كتابه «معجم البلدان» بعد كلام : وقال أبو زياد : هبالة وهبيل من مياه بني نمير . ثم ذكر موت مسافر بن أبي عمرو بها ورثاء أبي طالب بن عبد المطلب له . (٢) المرمس : القبر . (٣) كذا في معجم ياقوت . وفي الأصول : «نضح الرمان» . والنضح : البلل . ولعله يعني به العصير . (٤) كذا في جـ ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه . وسرو سحيم : موضع . وفي سائر الأصول : «بسرو لنجم» وهو تحريف .

تُبَكِّى أباها أمُّ وَهْبٍ وقد نأى * وريسانُ[١] أمسى دونه ويُحَابِرُ
على خير حافٍ من مَعَدٍّ وناعلٍ * إذا الخيرُ يُرْجَى أو إذا الشرُّ حاضرُ
تَنَادَوْا ولا أبو أُمَيَّــةَ فيهمُ * لقد بَلغتْ كَظَّ النفوسِ الحناجرُ[٢]

قال وقال النَّوْفَلىّ : إنّ البيتين :

* ألَا إنّ هندًا أصبحتْ منك مَحْرَما *

والذى بعده لهشام بن المُغيرة ، وكانت عنــده أسماء بنت مَخْرَمَةَ النَّهْشَلِيّة ، فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث ، ثم غضِب عليها فجعلها مثلَ ظهر أُمّه — وكان أوّلَ ظِهَار كان — فجعلته قريشٌ طلاقا . فأرادت أسماء الانصراف الى أهلها ، فقال لها هشام : وأين الموعد ؟ قالت : الموسم . فقال لهــا ابناها : أقِيمى معنا فأقامت معهما . فقال المغيرة بن عبــد الله وهو أبو زوجها : أمَا والله لأُزوجنّك غلامًا ليس بدون هشام ؛ فزوّجهــا أبا ربيعــة ولدَه الآخر ، فولدت له عَيَّاشا وعبــدَ الله . فذلك قول هشام :

تُحَدِّثنا أسمــاءُ أن سوف تَلْتقِى * أحاديثَ طَسْمٍ[٣] ، إنما أنت حالمُ

وقــوله :

ألَا أصبحتْ أسماءُ حُجْرًا مُحَرَّما * وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتها حَمَا

قال النَّوْفلىّ فى خبره وحدّثنى أبى : أنه إنمــا كان مسافر خرج الى النُّعمان بن المنذر يتعرّض لإصابة مال ينكِح به هندًا ، فأكرمه النعمانُ واستظرفه ونادمه وضرب عليه قُبّةً من أَدَمٍ حمراء . وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عُرِف قدرُه منه ومكانُه عنده . وقدِم أبو سُفْيان بنُ حَرْب فى بعض تجاراته ؛ فسأله مسافر عن حال الناس بمكة ؛

(١) فى م : «وديسان» . ويحابر : اسم قبيلة . (٢) يريد لقد بلغت القلوب الحناجر لكظ النفوس أى لكربها وامتلائها بالهم والحزن . (٣) طسم : إحدى القبائل العربية القديمة البائدة .

فذكر له أنه تزوّج هندا ؛ فاضطرب مسافر حتى مات . وقال بعض الناس : إنه آستسقَى بطنُه فكُوِى فمات بهذا السبب . قال النَّوْفلىّ : فهو أحد مَنْ قتله العشق.

خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكه بن المغيرة

فأمّا خبر هند وطلاقُ الفاكهِ بنِ المُغيرة إيّاها ، فأخبرنى به أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثنى ابن أبى سعد قال حدّثنى أبو السُّكَيْن زكريّا بن يحيى بن عمرو بن حِصْن بن حُمَيد بن حارثة الطائىّ قال حدّثنى عمّى زَحْر[1] بن حِصْن عن جَدّه حُمَيد ابن حارثة قال :

كانت هند بنت عُتْبة عند الفاكه بن المغيرة ، وكان الفاكه من فِتْيان قُريش ، وكان له بيتٌ للضيافة بارزٌ من البيوت يغشاه الناس من غير إذن . فخلا البيتُ ذات يوم ، فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته . وأقبل رجلٌ ممّن كان يغشى البيت فولَجَه ، فلما رآها رجع هاربًا ، وأبصره الفاكه فأقبل اليها فضربها برجله وقال : مَنْ هذا الذى خرج من عندك !؟ قالت : ما رأيت أحدًا ولا انتبهت حتى أنبهتنى . فقال لها : آرجعى الى أمّك . وتكلّم الناس فيها ، وقال لها أبوها : يا بُنَيّة ! إنّ الناس قد أكثروا فيك ، فأنبئينى نَبَأك ، فإن يكن الرجل عليك صادقًا دَسَستُ عليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة ، و إن يك كاذبًا حاكمتُه الى بعض كُهّان اليمن . فقالت : لا والله ما هو علىّ بصادق . فقال له : يا فاكه ، إنك قد رميتَ بنتى بأمرٍ عظيم ، فحاكِمْنى الى بعض كُهّان اليمن . فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج عُتْبة فى جماعة من عبد مَنَاف ومعهم هند ونِسْوة . فلمّا شارفوا البلادَ وقالوا غدًا نَرِد على الرجل تنكّرتْ حال هند . فقال لها عُتْبة : إنّى أرى ما حلَّ بك من تنكُّر الحال ، وما ذاك إلا لمكروهٍ عندكِ . قالت : لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه ، ولكنّى أعرف أنكم تأتون بَشَرًا يخطئ ويصيب ، ولا آمنه أن يَسِمَنِى مِيسَمًا يكون علىّ سُبّةً . فقال

(١) فى الأصول : «أبو زحر» وهو خطأ . (راجع شرح القاموس مادة زحر) .

لها : إنى سوف أختبره لك، فصَفَر بفرسه حتى أَدْلَى[1]، ثم أدخل فى إحليله حبّة بُرّ وأوكأ عليها بسَيْر. فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم. فلما قعدوا قال له عُتْبة : جئناكَ فى أمرٍ وقد خبَأْتُ لك خَبْئًا أختبرك به فانظر ما هو؟ قال : ثَمَرةٌ فى كَمَرة[2]. قال : إنى أريد أبْيَنَ من هذا. قال : حَبّة بُرّ فى إحليل مُهْر. قال صَدَقتَ؛ أنظُرْ فى أمر هؤلاء النسوة. فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول : انْهَضِى، حتى دنا من هند فقال لها : انهضى غيرَ رَسْحاء[3] ولا زانية، ولَتَلِدِنَّ مَلِكا يقال له مُعاوية. فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها، فنترتْ يدَها من يده وقالت : إليكَ عنِّى! فوالله لأَحرِصُ أن يكون ذلك من غيرك، فتزوجها أبو سُفْيان.

وقد قيل : إنّ بيتَىْ مسافر بن أبى عمرو أعنى :

* ألاَ إنّ هندًا أصبحت منك محرما *

لابن عَجْلان[4].

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنى عبد الله بن علىّ بن الحسن عن أبى نَصْر عن الأصمعىّ عن عبد الله بن أبى سَلَمة عن أيّوب عن ابن سِيرِين قال :

خرج عبد الله بن العَجْلان فى الجاهليّة فقال :

ألا إنّ هندًا أصبحت منك مَحْرَما * وأصبحتَ من أدنى حُمُوّتها حَما

فأصبحتَ كالمقمورِ جَفْنَ سلاحِه * يُقَلِّب بالكَفَّين قوسا وأسْهُما

(١) أدلى الفرس وغيره : أخرج جوذانه ليبول أو يضرب. (٢) الكمرة : رأس الذكر.
(٣) الرسح : خفة العجيزة ولصوقها. (٤) هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب، شاعر جاهلى وهو أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم. وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم على ذلك، فتزوجت زوجا غيره فمات أسفا عليها. (انظر ترجمته فى الأغانى ج ١٩ ص ١٠٢ طبعة بلاق).

ثم مَدّ بهما صوته فمات . قال ابن سيرين : فما سمعتُ أن أحدًا مات عشقًا غيرهذا . ومما يغنّى فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيّد شعره قوله يفتخر :

شعر لمسافر في الفخر

صوت

ألم نَسْقِ الحَجيجَ ونَنْـ * ـحَرِ المِذْلاقةَ الرُّفُـدا[1]

وزمزمُ من أُرومتنا * ونفقأ عينَ مَنْ حَسَدا

وإنّ مناقبَ الخيرا * ت لم نُسْبَق بها عَدَدَا

فإنْ نَهْلِكْ فلم نملك * وهل من خالدٍ خَلَدا

غنّاه ابنُ سُرَيج رَمَلًا بالخِنصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق . وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى من رواية حمّاد . وفيه للزّفّ ثقيل بالوسطى .

فأما خبر عمارة بنِ الوليد والسبب الذي من أجله أمر النّجاشيُّ السواحرَ فسحرته

ما كان بين عمرو وعمارة لدى النجاشي

٥٢ / ٨

فإن الواقديّ ذكره عن عبد الله بن جعفر بن أبي عَوْن قال :

كان عُمَارة بن الوَليد المخزوميّ بعد ما مشتْ قُرَيش[2] بعُمَارة الى أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السَّهْميّ ، وكانا كلاهما تاجرين ، الى النجاشيّ ، وكانت

(١) كذا في اللسان (مادتى ذلق ورفد) . والمذلاقة : يريد بها النوق السريعة السير وفي الأصول : « الدلافة » وهو تحريف . والرُّفد : جمع رفود وهي التي تملأ الرفد (وهو بالفتح والكسر القدح الضخم) من النوق في حلبة واحدة . (٢) قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم و إسلامه و إجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغني : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله . فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل . فقال : والله لبئس ما تسومونني ! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبدا» . (سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٩)

أرض الحبشة لقريش مَتْجَرًا ووَجْهًا، وكلاهما مُشرِكٌ شاعرٌ فاتكٌ وهما فى جاهليّتهما، وكان عُمارة مُعْجَبا بالنساء صاحبَ محادثة[1]؛ فركبا فى السفينة ليالىَ فأصابا من خمر معهما. فلما انتشَى عُمَارةُ قال لامرأة عمرو بن العاص: قَبِّلينى. فقال لها عمرو: قَبِّلى ابنَ عمّك فقبلّته. وحذِر عمرو على زوجته فرصَدها ورصدته، فجعل إذا شرِب معه أقلّ عمرٌو من الشراب وأَرَقَّ لنفسه بالماء مخافةَ أن يسكَر فيغلبَه عُمارةُ على أهله. وجعل عُمارة يُراودها على نفسها فامتنعتْ منه. ثم إنّ عمرًا جلس الى ناحية السفينة يبول؛ فدفعه عُمارة فى البحر. فلمّا وقع فيه سبَح حتى أخذ بالقَلْس[2] فارتفع فظهر على السفينة. فقال له عمارة: أمَا والله لو علمتُ يا عمرو أنك تُحسن السِّباحة ما فعلتُ. فآضطغنها عمرو وعلم أنه أراد قتله. فمضيا على وجههما ذلك حتى قدما أرضَ الحبشة ونزلاها. وكتب عمرو بن العاص الى أبيه العاص أنِ آخلَعْنى وتبرّأْ من جَريرتى الى بنى المُغيرة وجميع بنى مخزوم. وذلك أنه خشِى على أبيه أن يُتبَع بجريرته وهو يَرْصُد لعُمارة ما يَرْصُد. فلما ورد الكتابُ على العاص بن وائل مشى فى رجال من قومه منهم نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجّاج[3] الى بنى المغيرة وغيرِهم من بنى مخزوم فقال: إنّ هذين الرجلين قد خرجا حيث علِمتم، وكلاهما فاتكٌ صاحبُ شرّ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندرى ما يكون. وإنّى أبرأ إليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعتُه. فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم: أنت تخاف عمرًا على عمارة! وقد خلعنا نحن عُمارةَ وتبرّأنا إليك من جريرته، فخَلِّ بين الرجلين. فقال السَّهْمِيُّون[4]: قد قبِلنا،

(١) يحتمل أن تكون: «صاحب مخادنة». والرجل يوصف بأنه حدث نساء كما يوصف بأنه خدنهن.

(٢) القلس: حبل غليظ من حبال السفن.

(٣) هما نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، كانا من أشراف قريش، ماتا على الشرك فى غزوة بدر؛ قتل الأوّل حمزة بن عبد المطلب، والثانى أبو اليسر أخو بنى سلمة. (السيرة ج ١ ص ٣٢٤، ٤٣٦، ٤٧٥، ٥٠٦، ٥١٠).

(٤) السهميون: قوم عمرو بن العاص، وبنو سهم من هصيص بن كعب بن لؤى.

فابعثوا مناديًا بمكة أنّا قد خلعناهما . وتبرأ كلُّ قوم من صاحبهم ومما جرّ عليهم، فبعثوا مناديا ينادى بمكة بذلك . فقال الأسود بن المطّلب : بَطَل واللّه دمُ عُمَارة بن الوليد آخرَ الدهر ! . فلما اطمأنّا بأرض الحبشة لم يلبَث عُمَارة أن دبّ لأمرأة النجاشىّ فأدخلته فاختلف اليها . فجعل اذا رجع من مَدْخَله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره . فجعل عمرو يقول : ما أُصَدِّقك أنك قدَرتَ على هذا الشأن، إنّ المرأة أرفع من ذلك . فلما أكثر على عمرو مما كان يُخبره، وقد كان صدّقه ولكن أحبّ التثبُّت، وكان عُمَارة يغيب عنه حتى يأتيَــه فى السَّحَر، وكان فى منزلٍ واحد معــه؛ وجعل عمارة يدعوه الى أن يشرب معه فيأبى عمرو ويقول : إنّ هذا يشغَلك عن مَدْخَلك، وكان عمرو يريد أن يأتيه بشىء لا يستطيع دَفْعَه إنْ هو رفَعه الى النجاشىّ . فقال له فى بعض ما يذكُر له من أمرها : إنْ كنتَ صادقًا فقل لهـا تَدْهُنك من دُهْن النجاشىّ الذى لا يَدَّهِنُ به غيرُه فإنّى أعرِفه، لو أتيتَنى به لصدّقتك . ففعل عُمَارة [فجاء](١) بقارورة من دُهْنه؛ فلمّا شمّه عرَفه . فقال له عمرو عند ذلك : أنت صادقٌ! لقد أصبتَ شيئا ما أصاب أحدٌ مثــلَه قطُّ من العرب ونلتَ من امرأة الملك شيئا ما سمعنا بمثل هذا — وكانوا أهلَ جاهليّة — ثم سكت عنه؛ حتى اذا اطمأنّ دخل على النجاشىّ فقال : أيها الملك! إنّ ابن عمّى سفيهٌ، وقد خشيتُ أن يعرّنى(٢) عندكَ أمرُه، وقد أردتُ أن أُعْلِمَك شأنَه . [ولم أفعل](٣) حتى استثبتُّ أنّه(٤) قد دخل على بعض نسائك فأكثر وهذا من دُهْنك قد أُعطِيَه ودهَننى منه . فلما شمّ النجاشىُّ الدُّهْن قال : صدَقتَ ، هــذا دُهْنى الذى لا يكون إلّا عند نسائى . ثم دعا بعُمَارةَ

---

(١) زيادة عن تجريد الأغانى . (٢) عره : لطخه بعيب .

(٣) التكملة عن تجريد الأغانى . (٤) فى الأصــول : « حتى استثبت وأنه ... » . بزيادة الواو .

ودعا بالسواحر، فجرّدوه من ثيابه فنفَخْن فى إحليله، ثم خلّى سبيلَه فخرج هاربا (١). فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافةُ عمرَ بنِ الخطّاب. فخرَج اليه عبد الله بن أبى رَبيعة — وكان اسمه قبل أن يسلم بَحِيراً فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلم عبد الله — فرصده على ماء بأرض الحبشة، وكان يَرِدُه مع الوحش، فورد، فلما وجد رِيحَ الإنس هَرَب، حتّى إذا أجهده العطشُ ورَد فشرب حتى تملّأ (٢)، وخرجوا فى طلبه. فقال عبد الله بن أبى ربيعة: فسعيت اليه فالتزمته، فجعل يقول لى: يا بَحِيرُ أرْسِلْنى! يا بَحِير أرسلنى! إنى أموت إن أمسكتمونى. قال عبد الله: وضغطتُه (٣) فمات فى يدى مكانَه. فواراه ثم انصرف. وكانَ شَعره قد غطّى على كل شىء منه.

قال الواقدىّ عن ابن أبى الزِّناد: وقال عمرو لعُمَارة: يا فاسق، إن كنتَ تحبّ أن أصدِّقك بهذا أو أقبلَه منك فأتنى بثوبين أصفرين. فلمّا رأى النجاشىّ الثوبين قال له عمرو: أتعرِف الثوبين؟ قال نعم.

وقال الواقدىّ عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه، قال النجاشىّ لعُمَارة: إنّى أكره أن أقتل قُرَشيّا، ولو قتلتُ قرشيّاً لقتلتك، فدعا بالسواحر.

شعر عمرو بن العاص فى عمارة

فقال عمرو بن العاص يذكر عُمَارة وما صنع به — قال الواقدىّ أخبرنى ابن أبى الزِّناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شُعَيْب بن عبد الله بن عمرو يذكره لجدّه —:

---

(١) فى تجريد الأغانى «فخرج هاربا هائما على وجهه مع الوحش. ومتى رأى الإنس هرب منهم وطلع له شعر غطى جميع بدنه. ولم يزل كذلك مدة أيام النبى صلى الله عليه وسلم وأيام أبى بكر رضى الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنه؛ فخرج اليه ... الخ». (٢) كذا فى تجريد الأغانى. وتملأ الرجل من الطعام والشراب: امتلأ. وفى الأصول: «ملأ». (٣) كذا فى ا، م وفى سائر الأصول: «وضبطه».

تَعَلَّمْ عُمَارُ أنَّ من شرِّ شِيمة * لمثلك أن يُدْعَى ابنُ عَمٍّ له ابْنَمَا
وإنْ كنتَ ذا بُرْدَيْنِ أحْوَى مُرَجَّلًا * فلستَ براعٍ(١) لابن عمِّك مَحْرَمَا
إذا المرءُ لم يترك طعامًا يُحِبُّه * ولم يَنْهَ قلبًا غاويًا حيث يَمَّمَا
قضَى وَطَرًا منه يسيرًا وأصبحتْ * اذا ذُكِرتْ أمثالُها تملأُ الفما
٥ فليس الفتى ولو أَتَمَّتْ(٢) عروقُه * بذى كرمٍ إلّا بأن يتكرَّمَا
صحِبتُ من الأمر الرفيق طريقه * ووليتُ غَيَّ الأمرِ مَنْ قد تلوَّما
مِن الآن فانْزِعْ عن مَطاعِمَ جَمَّةٍ * وعالِجْ أمورَ المجد لا تتندَّما

شعر خولة بنت ثابت فى عمارة

قال إسحاق وحدّثنى الأصمعىّ : أنّ خَوْلَةَ بنتَ ثابت أختَ حسّان قالت فى عُمارة لمّا سُحِر :

١٠ يا ليلتى(٣) لم أنَمْ ولم أكَدِ * أقطَعُها بالبكاء والسَّهَدِ
أبكى على فِتيةٍ رُزِئتُهمُ * كانوا جبالى فأوهنوا عَضُدِى
كانوا جمالى ونُصْرتى وبهم * أمنع ضَيْمِى وكلَّ مُضْطَهِدِ
فبعدَهم أرقُبُ النجومَ وأُذْ * رِى الدمعَ والحزنُ والجُ كَبِدِى

قال الأصمعىّ : واجتاز ابنُ سريج بطُوَيْس ومعه فِتيةٌ من قريش وهو يغنّيهم فى هذا
١٥ الصوت، فوقف حتى سمعه، ثم أقبل عليهم فقال : هذا والله سيِّد مَنْ غنّاه .

٥٤/٨

هذه الأصوات التى ذكرْتُها الجامعةُ للنَّغَم العَشْرِ والثمانى النَّغَمِ(٤) منها هى المشهورة المعروفة عند الرُّواة وفى روايات الرُّواة وعند المغنِّين .

كان عبيد الله يراسل المعتضد على لسان جواريه

وكان عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر يُراسل المعتضد بالله اذا استزار جواريَه على ألسنتهن ومع ذوى الأُنس عنده من رُسله : مع أحمد بن الطَّيِّب وثابت بن قُرَّة

٢٠ (١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « براء » . (٢) أتمت عروقه : بلغت تمامها فى الكرم . (٣) فى الأصول : « يا ليتى » وهو تحريف . (٤) فى الأصول : « الثمانى نغم » بدون أداة التعريف فى المضاف اليه .

الطائى، يذكر النَّغَم وتفصيلَ مَجاريها ومعانيها حتى فَهِم ذلك . فصنع لحناً لجَمْع النَّغَم العشر فى قول دُرَيْد بن الصِّمّة :

يا ليتنى فيها جَذَعْ * أَخُبُّ فيها وأَضَعْ

وصنع صنعةً مُتْقنة جيّدة، منها ما سمعناه من المُحْسِنين والمُحْسِنات ومنها ما لم نسمعه، يكون مبلغُها نحوَ خمسين صوتا . وقد ذكرتُ من ذلك ما صلَح فى أغانى الخلفاء . ٥

كان المكتفى يراسله فى الغناء

ثم صنع مثل ذلك للمكتفِى بالله(١) لرغبته فى هذه الصناعة . فوجدتُ رقعةً بخطه كتب بها الى المكتفى نسختُها : " قال إسحاقُ بن إبراهيم حين صاغ عند أبى العبّاس عبد الله بن طاهر بأمره لحنَه فى :

يومَ تُبْدِى لنا قُتَيْلَةُ عن جِيـ * ـدٍ تَلِيعٍ(٢) تَزِينُه الأطواقُ

وشَتِيتٍ كالأُقْحُوانِ جَلَاه الطَّلُّ فيه عُذُوبةٌ واتِّساقُ ١٠

إنى نظرتُ مع إبراهيم وتصفّحتُ غناءَ العرب كلَّه ، فلم نجد فى جميع غناء العرب صوتاً أطول إيقاعاً من :

عادَكَ الهمُّ ليلةَ الإيجافِ(٣) * من غزالٍ مُخَضَّبِ الأطرافِ

ولحنه خفيفُ ثقيلٍ لابن مُحْرِز ؛ فإن إيقاعه ستة وخمسون دَوْرًا . ثم لحنِ مَعْبَد :

هُرَيْرةَ وَدِّعْها وإن لامَ لائمُ * غداةَ غدٍ أمْ أنتَ للبَيْنِ واجمُ ١٥

وهو أحد سَبْعته(٤) . ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ، ودَوْر إيقاعِه ستةٌ وخمسون دَوْرًا، إلا أن صوت ابن مُحْرِز سُدَاسيٌّ فى العَرُوض من الخفيف، وصوتَ مَعْبَد ثُمَانىٌّ من الطويل؛ فصوتُ ابن محرز أعجبُ لأنه أقصر . وما زلنا حتى تهيَّأ لنا شعرٌ رُبَاعىٌّ فى سيِّدنا أميرِ المؤمنين أطال الله بقاءه، دَوْرُ إيقاعِه ستّة وخمسون دَوْرا ، وهو يجمع من النَّغَم

(١) فى الأصول : «بالمكتفى» وهو تحريف . (٢) تليع : طويل . (٣) الايجاف : سرعة السير . (٤) أى أحد أصواته السبعة وهي مدنه المعروفة . وفى الأصول : «أحد سبعاته» . ٢٠

العَشْر ثمانيًّا، وهـذا ظريف جدًّا بديع لم يكن مثلُه . وأمّا الصوت الذى فى تهنئة النَّوْرُوز فلأنفسنا عملناه، إذ لم يكن لنا مَنْ يدبِّر مثلَ هذا معه غيره . وقد كتبنا شعره وشعر الآخر، وإيقاعُ كلّ واحد منهما خفيفُ ثقيل ، والصنعةُ فيهما تُستَظْرَف :

٥ جُمِع الخلائفُ[1] كلّهم بجميع ما[2] * بلَغوا وأُعْطُوا فى الإمام المكتفِى

وله الهدايا ألفُ نَوْرُوزٍ وهـ * ـذا الشعرُ منها لحنُه لم يُعْرَف

والآخر :

دولةُ المكتفِى الخليـ * ـفةِ تُفْنِى مَدَى الدُّوَلْ

يومُ عيدٍ ويومُ عُرْ * سٍ فما بعدَها أَمَلْ

١٠ الصنعةُ فى البيت الأوّل خاصّةً تدور على ستة وخمسين إيقاعا» .

هكذا وجدت فى الرقعة بخط عُبَيد الله . وما سمعتُ أحدًا يغنّى هذين الصوتين . وقد عرضتهما على غير واحد من المتقدِّمين ومن مغنِّيات القصور فما عرَفهما أحدٌ منهن . وذكرتهما فى الكتاب لأنّ شَرِيطته تُوجِب ذكرهما .

٥٥ / ٨

الأرمال الثلاثة المختارة

الأرمال المختارة والكلام عنها

١٥ أخبرنى يحيى بن علىّ ومحمد بن خَلَف وَكِيع والحُسَين بن يحيى قالوا حدّثنا حمّاد ابن إسحاق قال حدّثنى أبى، قال أبو أحمد رحمه الله وأخبرنى أبى أيضا عن إسحاق، وأخبرنا علىّ بن عبد العزيز قال حدّثنا عُبَيد الله بن خُرْدَاذْبه قال قال إسحاق : أجمع العلماء بالغناء أن أحسن رَمَلٍ غُنِّىَ رَمَلُ :

* فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ *

٢٠ (١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «الخلائق» بالقاف .
(٢) كذا فى الأصول ولعله : «بجميع» .

ثم رملٌ :

* أفاطمَ مَهْـلًا بعضَ هـذا التدلُّلِ *

ولو عاش ٱبنُ سُرَيج حتى يسمع لحنِى الرملَ :

* لعلّكَ إن طالت حياتُك أن تَرَى *

لاستحيا أن يصنع بعـده شيئا . وفى روايتَىْ وَكيع وعلىّ بن يحيى "ولعـلم[1] أنى نعم الشاهد له" . ٥

نسبة الأصوات وأخبارها :

الصوت الأوّل من هذه الأرمال فى شعر ابن أبى ربيعة

صـــــوت

فـلم أرَ كالتَّجْمير منظرَ ناظـرٍ * ولا كليالِى الحَجِّ أَفْلَتْنَ ذا هوَى

فكم من قَتيـلٍ ما يُبـاءُ[2] به دمٌ * ومن غَلِقٍ رهنًا اذا لفَّـه مِنَى ١٠

ومن مالئٍ عينيه من شَىْءِ غيرِه * اذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمَى

يُسحِّبْنَ أذيالَ المُرُوطِ بأسؤُقٍ[3] * خِدَالٍ وأعجـازٍ مآكِمُهـا[4] رِوَا

عروضه من الطويل . الشـعر لعمرَ بنِ أبى رَبيعة . والغناء لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر . وقد كان عَلُّويه فيما بلغنا صـنَع فيه رملًا ، وفى " أفاطم مهلا " خفيفَ رملٍ ، وفى "لعلّك إن طالت حياتُك" رملا آخر ، ولم يصنع شيئا وسقطت ألحانُه فيها فـما تكاد تُعرف . وهـذه الأبيات يقولها عمرُ بن أبى رَبيعة فى بنت مَرْوانَ ابنِ الحَكَم . ١٥

(١) لعل الواو من زيادات النساخ . (٢) أباء فلان القتيل بالقاتل : قتله به . يريد : كم من قتيل يطل دمه ولا يؤخذ له بثأر . وغلق الرهن فى يد المرتهن يغلق غلقا : لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط . يريد : كم من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على افتكاكها . (٣) الأسؤق : جمع ساق . ٢٠ والخـدال : الممتلئة . (٤) المآكم : العجيزة .

ابن أبى ربيعة وأم عمرو بنت مروان

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا ابن كُناسة عن أبى بكر بن عَيّاش قال :

حجّت أمُّ عمرو بنتُ مروان، فلما قضتْ نُسُكها أتت عمرَ بن أبى ربيعة وقد أخفتْ نفسَها فى نساءٍ معها، فحادثته ثم آنصرفت، وعادت اليه مُنْصَرَفَها من عرفات ٥ وقد أثبتها . فقالت له : لا تذكُرْنى فى شعرك . وبعثت اليه بألف دينار . فقبِلها واشترى بها ثيابًا من ثياب اليمن وطيبا فأهداه اليها فردّتْه . فقال : إذًا والله أُنْهبه الناسَ فيكونُ مشهورا؛ فقبلتْه . وقال فيها :

أيُّها الرائحُ المجِدُّ آبتكارًا * قد قضَى من تِهامةَ الأوطارَا
مَنْ يكن قلبُه الغداةَ خليًّا * ففؤادى بالخَيْفِ أَمْسَى مُطَارَا
١٠ ليت دا الدهرَ كان حتمًا علينا * كلَّ يومين حِجّةً وآعتمارَا

قال آبنُ كُناسة قال آبن عَيّاش : فلما وَجّهتْ منصرفةً قال فيها :

فكم من قَتيلٍ ما يُباء به دمٌ * ومن غَلِقٍ رهنًا إذا لفّه مِنًى

٥٦/٨

قال : ويُروى "ومن غَلِقٍ رهنٍ" كأنه قال ومن رهنٍ غلِقٍ؛ لا يُجعل من نعت الرهن . كأنه جعل الإنسان غَلِقا وجعله رَهْنا؛ كما يقال : كم من عاشقٍ مُدْنَف، ١٥ ومن كَلِيفٍ صَبٍّ .

قال الزُّبَير وحدّثنى مُسْلِم بن عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدَب عن أبيه قال : أنشده آبنُ أبى عَتِيق فقال : إن فى نفس الجمل ما ليس فى نفس الجمّال .

قال : وقال عبد الله بن عمر، وقد أنشده عمر بن أبى ربيعة شعرَه هذا : يآبن أخى! أمَا اتّقيتَ اللهَ حيث تقول :

٢٠ ليت ذا الدهرَ كان حتما علينا * كلَّ يومين حِجّةً واعتمارَا

فقال له عمر بن أبى ربيعة : بأبى أنت وأمى! إنى وضعت لَيْتًا حيث لا تُغنى .

أمر عمر بن عبد العزيز بنفيه ثم خلاه لما تاب

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه، وأخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق، وأخبرنى ببعض هذا الخبر الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكار قال حدّثنا مُصعَب بن عثمان :

أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا ولىَ الخلافةَ لم تكن له همةٌ إلا عمرَ بنَ أبى ربيعة والأحوصَ . فكتب الى عامله على المدينة : «قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشرّ . فإذا أتاك كتابى هذا فاشدُدْهما واحملْهما إلىّ» . فلما أتاه الكتاب حملهما اليه . فأقبل على عمر فقال له هيه !

فلم أر كالتَّجْمِيرِ منظـرَ ناظـرٍ * ولا كليالى الحجّ أَفْلَتْنَ ذا هوَى

وكم مالئٍ عينيه من شىءِ غيرِه * إذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمَى

فإذا لم يُفْلت الناس منك فى هذه الأيام فمتى يُفلتون ! أمَا والله لو اهتممتَ بأمر حَجّك لم تنظر الى شىء غيرك ! ثم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين، أوَ خيرٌ من ذلك؟ قال : وما هو؟ قال : أعاهد الله ألّا أعود الى مثل هذا الشعر ولا أذكُرَ النساء فى شعرٍ أبدًا وأُجدّدَ توبةً على يديك . قال : أوَ تفعل ؟ قال نعم . فعاهد الله على توبةٍ وخلّاه . ثم دعا بالأحوص فقال هيه !

نفى الأحوص ولم يطلقه إلا يزيد ابن عبد الملك

اللهُ بينى وبين قَيِّمها * يهرُب منّى بها وأَتَّبِعُ

بل اللهُ بين قيِّمها وبينك ! ثم أمر بنفيه الى بِيش[1]، وقيل الى دَهْلَك وهو الصحيح، فنُفى اليها، فلم يزل بها . فرحل الى عمَر عدّةٌ من الأنصار فكلّموه فى أمره وسألوه أن يُقْدِمه وقالوا له : قد عرفتَ نسبه وقِدَمَه وموضعه وقد أُخرج الى بلاد

(١) بيش : من بلاد اليمن قرب دهلك . ودهلك جزيرة فى بحر اليمن، مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة وهى تجاه مصوع . وكان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها . (عن معجم البلدان لياقوت) .

انشرك ، فنطلب اليك أن تردّه إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه .

فقال لهم عمر : مَن الذى يقول :

فما هو إلا أن أَراها فُجَاءةً * فأُبْهَتَ حتى ما أكاد أُجيب

— وفى رواية الزبير "أُجيب" مكان "أُحير" — قالوا : الأحوص[1] . قال :

فمن الذى يقول :

أدُورُ ولولا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ * بأبيـاتكم ما دُرْتُ حيث أَدورُ

وما كنتُ زَوّارًا ولكنّ ذا الهوى * إذا لم يَزُرْ لابدّ أن سيزور

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

كأنّ لُبْنَى صَبِيرُ[2] غادِيةٍ * أو دُمْيةٌ زُيِّنت بها البِيَعُ

اللهُ بينى وبين قَيِّمها * يهرُب منّى بهـا وأَتّبِـعُ

قالوا : الأحوص . قال : إنّ الفاسق عنها يومئذ لمشغول، والله لا أردّه ما كان لى سلطان . فمكث هناك بعد ولاية عمر صدرًا من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلاّه .

قال : وكتب إلى عمر بن عبد العزيز من موضعه — قال الزُّبير : أنشدنيها عبد الملك ابن عبد العزيز ابن بنت الماجشُون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعنى هذه الأبيات — :

أيا راكبًا إمّا عَرَضتَ فبلِّغنْ * هُديتَ أميرَ المؤمنين رسائلى

وقُلْ لأبى حفصٍ إذا ما لَقِيتَه * لقد كنتَ نفّاعًا قليلَ الغوائل

أفى الله أن تُدْنُوا ابنَ حزم[3] وتقطَعوا * قُوَى حُرُماتٍ بيننا ووَصَائل[4]

(١) نسب هذا البيت لعروة بن حزام . (انظره فى ترجمته ج ٢٠ ص ١٥٦ من الأغانى طبع بلاق) .

(٢) الصبير : السحابة البيضاء . (٣) يريد به أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وإلى المدينة لعمر ابن عبد العزيز . (٤) فى حـ : «ووسائل» والوصائل : جمع وصيلة ، وهى ما يوصل به الشيء .

فكيف ترى للعيش طِيباً ولَذّةً * وخالُك أمسى مُوثَقاً فى الحبائلِ
وما طمِع الحَزْمِىُّ فى الجاه قبلها * الى أحدٍ من آل مَرْوان عادلِ
وشَى وأطاعوه بنا وأعانه * على أمرنا مَنْ ليس عنّا بغافلِ
وكنتُ أرَى أنّ القرابة لم تَدَعْ * ولا الحُرُماتِ فى العصور الأوائلِ
الى أحدٍ من آل مَرْوان ذى حِجًى (١) * بأمرٍ كرهناه مقالًا لقائلِ
يُسَرّ بما أُنْهِى العدوُّ و إنه * كَفافلةٍ لى من خيار النوافلِ
وهل يَنْقُصَنّى القوم أن كنتُ مُسْلِماً * بريئاً بلائى فى ليالٍ قلائلِ
ألَا ربّ مسرورٍ بنا سيَغيظه * لدى غِبّ أمرٍ عضُّه بالأناملِ
رَجا الصُّلح منّى آلُ حَزْمِ بن فَرْتَنَى * على دِينهم جهلًا ولستُ بفاعلِ
ألَا قد يُرَجُّون الهوانَ فإنهم * بنو حَبَقٍ (٢) نَاءٍ عن الخير فائلِ
على حينَ حَلّ القول بى وتنظَّرت * عقوبتَهم منّى رءوسُ القبائلِ
ومَنْ يك أمْسَى سائلًا بشماتةٍ * بما حلَّ بى أو شامتاً غيرَ سائلِ
فقد عَجمتْ منّى العواجمُ ما جدًا * صبوراً على عضّات تلك التلاتلِ (٣)
إذا نال لم يَفْرَحْ وليس لنَكْبةٍ * إذا حدثتْ بالخاضع المتضائلِ

قال الزبير : وقال الأحوص أيضا :

هَلَ انت أميرَ المؤمنين فإنّنى * بودّك من ودِّ العباد لقانعُ
متمِّمُ أجرٍ قد مضَى وصنيعةٍ * لكم عندنا أو ما تُعَدّ الصنائعُ
فكم من عدوٍّ سائلٍ ذى كَشَاحَةٍ * ومنتظرٍ بالغيب ما أنت صانعُ

فلم يُغن عنه ذلك ولم يُخَلِّ سبيله عمرُ ؛ حتى ولِى يزيدُ بن عبد الملك فأقدمه وقد غنّته حَبَابةُ بصوت فى شعره .

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ذى حمى » . (٢) الحبق : الضراط .
(٣) التلاتل : الشدائد .

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال هشام بن حسّان:
كان السبب فى ردّ يزيد بن عبد الملك الأحوص أن جميلة غنّته يوماً :

كريمُ قريش حين يُنْسَبُ والّذى * أقرّتْ له بالملك كَهْلاً وأمرَدا

فطرب يزيد وقال : وَيْحك! مَنْ كريمُ قريش هذا؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين، ٥ ومَنْ عسى أن يكون ذلك غيرَك ! قال : ومَنْ قائلُ هذا الشعر فىّ ؟ قالت : الأحوص وهو منفىّ. فكتب بردّه وحَمْله اليه وأنفذ إليه صِلاتٍ سنيّة . فلمّا قدم اليه أدناه وقرّبه وأكرمه . وقال له يوما فى مجلس حافل : والله لو لم تَمُتَّ الينا بحق ولا صِهْرٍ ولا رَحِمٍ إلّا بقولك :

وإنى لأستحييكمُ أن يقودَنى * إلى غيركم من سائر الناس مَطْمَعُ

١٠ لكفاك ذلك عندنا . قال : ولم يزل ينادمه و ينافس به حتى مات . وأخبار الأحوص فى هـذا السبب وغيره قد مضت مشروحةً فى أوّل ما مضى من ذكره وأخباره ؛ لأن الغرض ها هنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبى ربيعة فى الشعرين اللّذين أنكرهما عليهما عمرُ بن عبد العزيز وأُشخِصا من أجلهما .

٥٨/٨

سليمان بن عبد الملك ونفيه ابن أبى ربيعة الى الطائف

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال : قال مصعب بن ١٥ عبد الله قال :

حجّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فأرسل الى عمرَ بن أبى ربيعة فقال له : ألستَ القائل :

فكم من قتيـــلٍ ما يُباء به دمٌ * ومن غَلِقٍ رهنًا اذا لَفّـــه مِنَى
ومن مالئٍ عينيه من شىء غيره * إذا راح نحوَ الجمرة البيضُ كالدُّمَى
٢٠ يسحّبن أذيالَ المُرُوط بأسْوُقٍ * خِدالٍ وأعجـازٍ مآكمُها رِوَا

أوانسُ يسلُبن الحليم فؤادَه * فياطُول ما شوقٍ و ياطول مُجْتَلَى[1]

قال نعم . قال : لا جرم والله لا تحضُر الحجَّ العامَ مع الناس ! فأخرجه الى الطائف .

ابن أبى عتيق وغناء ابن سريج

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبى حدّثنى ابنُ الكلبىّ عن أبى مسكين وعن صالح بن حسّان قال :

قدِم ابنُ أبى عَتيق الى مكة فسمع غناء ابن سُرَيج :

فلم أر كالتجمير مَنْظَرَ ناظرٍ * ولا كليالى الحجِّ أفلتنَ ذا هوى

فقال : ما سمعت كاليوم قطُّ ، وما كنت أحسَب أن مثل هذا بمكة ، وأمر له بمال وحَدره معه الى المدينة ، وقال : لأصغِّرنَّ[2] الى مَعْبَد نفسه ولأُهدينّ الى المدينة شيئا لم يرأهلها مثلَه حسنًا وظَرفا وطيب مجلس ودماثة خُلق ورقّة منظر ومِقَةً[3] عند كل أحد . فقدِم به المدينةَ وجمع بينه وبين معبد . فقال لابن سُريج : ما تقول فيه؟ قال : إن عاش كان مغنِّى بلاده .

أبو السائب وابن سريج

وقال إسحاق وحدّثنى المدائنى عن جرير قال : قال لى أبو السائب يوماً : ما معك من مُرْقِصات ابن سريج؟ فغنّيته :

* فلم أر كالتجمير منظرَ ناظرٍ *

فقال : كما أنت حتى أتحرّم لهذا بركعتين .

الوليد بن عبد الملك يأمر والى المدينة أن يشخص اليه ابن سريج

حدّثنى الحسين قال قال حمّاد قرأت على أبى وحدّثنى أبو عبد الله الزُّبيرى قال : كتب الوليد بن عبد الملك الى عامل مكة أن أشخِصْ الىّ ابنَ سُريج . فورد الرسول الى الوالى، فمرّ فى بعض طريقه على ابن سُرَيج وهو جالس بين قَرْنَىْ بئر وهو يغنِّى :

* فلم أر كالتجمير منظر ناظر *

---

(١) كذا فى أ وديوانه طبع مطبعة السعادة ص ١٦ . وفى سائر الأصول : «و ياطول ما اجتلى» .

(٢) فى جميع الأصول : «لأقصدن» وقد صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته كما صححناها .

(٣) المقة : المحبة .

فقال له الرسول : تالله ما رأيتُ كاليوم قطُّ ولا رأيت أحمقَ ممّن يتركك و يبعث الى غيرك . فقال له ابن سُريج : أمَا والله ما هو بقَدَمٍ ولا ساق، ولكنه بقِسَمٍ وأرزاق . ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب، وبعث الوالى الى ابن سريج فأحضره . فلما رآه الرسول قال : قد عجبت أن يكون المطلوبُ غيرَك .

عبد الله بن الزبير يعجب لسماع غناء ابن سريج

٥٩ / ٨

٥ أخبرنى الحرمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال رَقِىَ عبد الله بن الزُّبَيْر أبا قُبَيس[1] ليلاً، فسمع غناءً فنزل هو وأصحابه يتعجّبون وقال : لقد سمعت صوتا إن كان من الإنس إنه لعجب، و إن كان من الجن لقد أعطوا شيئاً كثيراً . فاتّبعوا الصوت فاذا ابن سُرَيج يتغنّى فى شعر عمر :

* فـلم أر كالتجمير منظر ناظر *

من الأرمال الثلاثة فى شعر امرئ القيس

١٠ ومن هذه الأرمال الثلاثة :

صـــوت

أفاطمُ مهــلًا بعضَ هــذا التدلُّل * و إن كنتِ قد أزمعتِ صُرمى فأجملى

أَغرَّكِ منّى أنّ حبَّـكِ قاتلى * وأنّك مهما تأمرى القلبَ يفعل

الشعر لامرئ القيس . والغناء فى هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبنصر.

١٥ وفى هذين البيتين مع أبيات أُخر من هذه القصيدة ألحانٌ شتّى لجماعة نذكرها هاهنا ومن غنّى فيها، ثم نُتْبِع ما يُحتاج الى ذكره منها ، وقد يُجمع سائر ما يغنّى فيه من القصيدة معه :

شىء من معلقته وشرحه

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ * بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فحَوْمَلِ

فتُــوضِحَ فالمِقراةِ لم يعفُ رسمُها * لِمـا نَسَجتْها من جَنُــوبٍ وشَمْأَلِ

٢٠ أفاطمُ مَهْــلًا بعضَ هــذا التّدلُّل * و إن كنتِ قد أزمعتِ صُرمى فأجملى

(١) أبو قبيس : جبل بمكة .

وإن كنتِ قد ساءتك منّى خَليقةٌ * فسُلّى ثيابى من ثيابك تَنْسُلِ

أغَرّكِ منّى أنّ حُبّك قاتلى * وأنّك مهما تأمُرِى القلبَ يفعلِ

وما ذَرَفتْ عيناكِ إلّا لتضربِى * بسهمَيْكِ فى أعشار قلبٍ مُقَتّلِ

تسلّتْ عَمَاياتُ الرجالِ عن الصِّبا * وليس فؤادى عن هواكِ بمُنْسَلى

ألَا أيها اللّيلُ الطويل ألَا انجلِ * بصبحٍ وما الإصباحُ فيك بأمْثَلِ

وبيضةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤها * تمتّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ

تجاوزتُ أحراسًا اليها ومَعْشَرا * علىّ حِراصًا لو يُسِرّون مَقْتَلى

ألَا ربّ يومٍ صالحٍ لك منهما[1] * ولا سيما يومٌ بدارةِ جُلْجُلِ

ويوم عقرتُ للعَذارَى مطيّتى * فواعجبى من رَحْلِها المتحمَّلِ[2]

وقد أغتدى والطيرُ فى وُكُناتها * بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معًا * كجُلْمود صخرٍ حطّه السيلُ من عَلِ

فقلت لها سِيرِى وأرخى زِمامَه * ولا تُبعدينا من جَناكِ المُعَلَّلِ

عروضه من الطويل . وسُقْط اللوى مُنْقَطَعه . واللّوى : المستدقّ من الرمل حيث يستدق فيخرج منه الى اللّوى . والدَّخول وحَوْمَلٌ وتُوضِحُ والمِقْراة : مواضع ما بين إمَّرَة[3] الى أسود العين . وقال أبو عبيدة فى سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار

(١) الضمير فى « منهما » مرجعه فى قوله :

كدأبك من أم الحويرث قبلها * وجارتها أم الرباب بمأسل

ويروى : « صالح لك منهم » يعنى النساء وأهلهن . قال التبريزى : وأجود الروايات : « ألا رب يوم لك منهن صالح » على ما فيه من الكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن . (راجع شرح التبريزى للعلقات طبع أوربا) . (٢) لما نحر ناقته للعذارى اقتسمن متاع راحلته : تحمل هذه حشيته وتلك طنفسته فكان ذلك مثار عجبه . (٣) إمرة : منزل فى طريق مكة من البصرة بعد القريتين الى جهة مكة ، وبعد رامة وهى منهل . وأسود العين : جبل بنجد يشرف على طريق البصرة الى مكة .

سَقط وسُقط وسِقط ثلاث لغات. وقال أبو زيد : اللوى : أرض تكون بين الحَزْن والرمل فصلًا بينهما . وقال الأصمعيّ : قوله «بين الدَّخول فحومل» خطأ ولا يجوز إلا بواو «وحومل»؛ لأنه لا يجوز أن يقال : رأيت فلانا بين زيد فعمرو، إنما يقال وعمرو؛ ويقال : رأيتُ زيدا فعمرا إذا رأى كلّ واحد منهما بعد صاحبه . وقال غيره : يجوز «فحومل» كما يقال : مُطِرْنا بين الكوفة فالبصرة، كأنه قال : من الكوفة الى البصرة، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين؛ وليس هذا مثل بين زيد فعمرو. ويَعْفُ رسْمُها : يدرُسْ . ونسجتْها : ضربتْها مقبلة ومدبرة فعفتها . يعنى أن الجنوب تعفى هذا الرسم إذا هبّت وتجىء الشمأل فتكشفه . وقال غير أبى عُبَيدة : المِقْرَاة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذى يُجمع فيه الماء . والرسم : الأثر الذى لا شخص له . ويروى « لما نسجته » يعنى الرسم . ويقال عَفَا يعفو عُفُوًّا وعَفَاءً؛ قال الشاعر :

* على آثار مَنْ ذهب العَفَاءُ *

يعنى محو الأثر . وفاطمة التى خاطبها فقال " أفاطم مهلا " بنت العُبَيْد بن ثَعْلَبة ابن عامر بن عوف بن كِنانة بن عَوْف بن عُذْرة، وهى التى يقول فيها :

* لَا وأبيك ابنة العامرىّ (1) *

" وأزمعتِ صُرمى" ، يقال أزمعت وأجمعت وعزمت وكله سواء . يقول : إنْ كنتِ عزمتِ على الهجر فأجملى . ويقول الأسير : أجْمِلوا فى قتلى، قتلةً أحسنَ من هذه ، أى على رفق وجميل . والصُّرْم : القطيعة، والصَّرم المصدر؛ يقال :

(1) يريد قوله :

فلا وأبيك ابنة العامرى * لا يدعى القوم أنى أفر

فى قصيدته التى مطلعها :

أحار بن عمرو كأنى خمر * ويعدو على المرء ما يأتمر

صرمته أصرمه صَرْماً مفتوحٌ إذا قطعته، ومنه سيف صارم أى قاطع، ومنه الصِّرَام[١]، ومنه الصرائم وهى القطع من الرمل تنقطع من معظمه. وقوله: "سُلِّى ثيابى من ثيابك" كنايةٌ، أى اقطعى أمرى من أمرك. وقوله تَنْسُلِ: تَبِنْ عنها. ويقال للسنّ اذا بانت فسقطتْ والنَّصْلِ اذا سقَط: نَسَل ينسُل، وهو النسيل والنُّسَال. وقال قوم: الثياب: القلب. وقوله: "وما ذرفت عينـاك" أى ما بكيتِ إلا لتضربى بسهميكِ فى أعشـار قلب مُقَتَّل. قال الأصمعىّ: يعـنى أنك ما بكيت إلا لتخرقى قلبـا مُعَشَّرا، أى مُكَسَّرا، شبهه بالبُرْمَة اذا كانت قِطَعا، ويقال: برمةٌ أعشار. قال: ولم أسمع للأعشار واحدا. يقول: لتضربى بسهميك أى بعينيك فتجعلى قلبى مخرَّقا فاسـدا كما يُخَرِّق الجابر أعشـار البرمة؛ فالبرمة تجبر اذا أخرقت وأصلحت، والقلب لا يجبر. قال: ومثله قوله:

* رمتْك ابنةُ البكرىِّ عن فرع ضالةٍ *

أى نظرتْ اليك فأقرحتْ قلبك. وقال غير الأصمعىّ وهو قول الكوفيين: إنمـا هذا مثل أعشار الجَزُور، وهى تنقسم على عشرة أنصباء، فضربتِ فيها بسهميك المُعَلَّى[٢] وله سبعة أنْصباء والرقيب وله ثلاثة أنْصباء؛ فأراد أنها ذهبت بقلبه كلِّه. مقتَّل أى مذلَّل؛ يقال بعير مقتَّل أى مذلَّل. تسلّت: ذهبت. يقال: سلوت عنه وسَلِيتُ إذا طابت نفسُك بتركه. قال رؤبة:

* لو أشرب السُّلْوانَ ما سَلِيتُ *

---

(١) الصرام (بفتح الصاد وكسرها): جذاذ النخل أى أوان إدراكه.

(٢) سهـام الميسر عشرة وهى: الفـذ والتوءم والضريب ويقـال له الرقيب والحلس (بالكسر) والنافس والمسبل (بضم الميم وكسر الباء) والمعلى؛ وثلاثة ليس لهـا شىء وهى الوغد والسفيح والمنيح. قال ابن الانبـارى: فأما الفذ فله سهم واحد إن فاز وعلى صاحبه غرم سهم ان خاب. والتـوءم له سهمان ان فاز وعليه سهمان إن خاب ... وهكذا على الترتيب.

والعمايات : الجهالات . عدّ الجهل عمى . والصِّبا : اللعب . قال ابن السِّكِّيت : صَبَا يصبو صَبْواً وصُبُوًّا(١) وصَباءً وصِباً . انجلى : انكشف . والأمر الجليّ : المنكشف . وقوله : أنا ابنُ جَلَا أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور؛ ومنه جِلاء العروس وجلاء السيف . وقوله "فيك بأمثل" يقول : إذا جاءني الصباح وأنا فيك فليس ذلك بأمثل؛ لأن الصبح قد يجيء والليل مظلم بعدُ . يقول : ليس الصبح بأمثل وهو فيك، أي يريد أن يجيء منكشفا منجليا لا سواد فيه . ولو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليل لقال : منك بأمثل . ومثله قول حُمَيْد بن ثَوْر في ذكر مجيء الصبح والليل باق :

فلما تجلَّى الصبح عنها وأبصرتْ * وفي غَبش الليل الشخوصُ الأباعدُ

غبش الليل : بقيّته . هذا قول يعقوب بن السِّكِّيت . "وبيضة خِدْر" شبّه المرأة بالبيضة لصفائها ورقّتها . "غير مُعْجَل" أي لم يُعجلني أحدٌ عما أُريده منها . والخِباء : ما كان على عمودين أو ثلاثة . والبيت : ما كان على ستة أعمدة الى تسعة . والخيمة : من الشَّعَر . وقوله : "يُسِرُّون مقتلي"، قال الأصمعيُّ : يُسِرُّونه؛ وروى غيره : يُشِرُّون بالشين المعجمة أي يظهرونه . وقال الشاعر :

فما برحوا حتى أتى اللهُ نصرَه * وحتى أُشِرَّتْ بالأكُفِّ الأصابع(٢)

أي أُظْهِرتْ . وقال غيرهما : لو يُسِرّونه : من الإسرار أي لو يستطيعون قتلي لأَسرّوه من الناس وقتلوني . قال أبو عُبَيدة : "دارة جُلْجُل" في الحِمَى؛ وقال ابن الكلبيّ :

(١) في الأصول : «صبيا»، والتصويب عن كتب اللغة .

(٢) ورد هذا البيت في اللسان (مادة شرر) هكذا :

فما برحوا حتى رأى الله صبرهم * وحتى أشرت بالأكف المصاحف

وذكر أنه لكعب بن جعيل أو لحصين بن الحام المرى يذكره يوم صفين، يريد : وحتى نشرت المصاحف ورفعها أصحاب معاوية بالأكف على أطراف الرماح .

هى عند عين كِنْدة . ويروى سِمَا مخفّفةً وسِمًّا مُشدَّدةً . ويقال : رُبَّ رجل ورُبُ رجل وربَّتْ رجل[1] . ومن القرّاء من يقرأ (رُبَمَا يَوَدُّ الذين كَفَروا) مخفّفة . وقرأ عليه رجل "رُبَّمَا" فقال له : أظنّك يُعجبك الرُّبّ[2] .

ويروى :

* فيا عجبا من رحلها المُتَحَمَّل *

أى يا عجبا لسفهى وشبابى يومئذ . ويروى :

* وقد أغتدى والطير فى وَكَرَاتها *

بالراء . قال أبو عبيدة : والأُكُنات فى الجبال كالتَّمارِيد[3] فى السهل ، والواحدة أُكْنَة وهى الوُقُنات ، والواحدة أُقْنَة ، وقد وَقَن يَقِن . وقال الأصمعىّ : إذا أوَى الطيرُ الى وَكْره قيل وَكَرَ يكِر ووَكَنَ يَكِنُ ، ويقال : إنه جاءنا والطير وُكَّنٌ ما خرجن . والمنجرد : القصير الشَّعَرة ، وذلك من العِتْق . والأوابد : الوحش ، وتأبّدت : توحّشت ، وتأبّد الموضع إذا توحّش . وقيد الأوابد : يعنى الفرس . يقول : هو قيدٌ لها لأنها لا تفوته كأنها مقيّدة . والهيكل : العظيم من الخيل ومن الشجر ، ومنه سمِّى بيت النصارى الهيكلَ . وقال أبو عُبَيْدة : يقال : قيد الأوابد وقيد الرِّهان ، وهو الذى كأن طريدته فى قيدٍ له اذا طلبها ، وكأنّ مُسابِقه فى الرِّهان مُقَيَّد . قال أبو عبيدة : وأوّل من قيّدها امرؤ القيس . والمُنْجَرِد : القصير الشَّعَرة الصافى الأديم . والهيكل الذكر ، والأنثى هيكلة ، والجمع هياكل ، وهو العظيم العَبْل الكثيف اللّيِّن . وقوله "مِكَرٍّ مِفَرٍّ" يقول : إذا شئتُ أن أكُرّ عليه وجدته ، وكذلك إذا أردتُ أن أفِرّ عليه أو أُقبِلَ أو أُدْبِر . والجُلْمود : الصخرة . ووصفها بأن السيل

(١) وفيها لغات أخرى غير ذلك . (٢) الرب : مايطبخ من التمر .

(٣) التماريد : جمع تمراد (بالكسر) وهو برج صغير للحمام .

حطّها من عَلٍ لأنها اذا كانت فى أعلى الجبل كان أصلب لها . "من عَلٍ" : من فوقٍ. ويقال من عَلٍ ومن علُ ومن عَلاَ ومن عَلْوُ ومن عالٍ ومن عَلْوِ ومن مُعَالٍ .
وقوله «سِيرِى وأرخى زمامه» أى هَوِّنى عليك الأمرَ ولا تُبالى أَعُقِر أم سَلِم .
"وجناك" كلُّ شىء اجتنيته من قُبْلَة وما أشبه: ذلك هو الجَنَى، وهو من الإنسان
٥ مثل الجَنَى من الشجر أى ما اجتُنى من ثمره . والمُعَلَّل : المُلَهَّى .

غَنَّى فى " قفا نبك"، و" أفاطم مهلا"، و"أغرّك" و"وما ذرفت عيناك"
معبد لحنا من الثقيل الأوّل بالسَّبَّابة فى مجرى الوسطى . وغنّى معبد أيضا فى الأوّل
والرابع من هذه الأبيات خفيفَ رمل بالوسطى . وغنّى سعيد بن جابر فى الأربعة
الأبيات رملًا . وغنّت عَرِيبُ فى :

١٠ * أغرّك منى أن حبّك قاتلى *

وبعده شعر ليس منه وهو :

٦٢/٨

فلا تَحَرَّجى من سفك مهجة عاشقٍ * بلَى فاقتلى ثم اقتلى ثم فاقتلى[1]
فلا تَدَّعى أن تفعلى ما أردتِه * بنا، ما أراك اللهُ من ذاك فافعلى

ولحنُها فيها خفيفُ رمل . وغنّى ابن محرز فى "تسلّت عَمايات الرجال" وبعده "ألا
١٥ أيها الليل الطويل" ثانىَ ثقيل بالوسطى . وغنّى فيهما عبد الله بن العباس الرَّبيعى
ثانى ثقيل آخر بالسبّابة فى مجرى البنصر. وغنّت جميلة فى "تسلت عمايات الرجال"
وبعده " ألا رب يوم لك " لحنا من الثقيل الأوّل عن الهشامى . وغنّت عَزّة
الميلاءُ فى " تسلّت عمايات الرجال " وبعده " ويوم عقرت للعذارى مطيّتى" ثقيلا
أوّل آخر عن الهشامىّ . وغنّت حُميدة جارية ابن تُفّاحة فى " وبيضة خِدْرٍ "
٢٠ و "تجاوزت أحراسا" لحنا من الثقيل الأوّل بالوسطى . ولطُوَيس فى "قفانبك"

(١) لعل صوابه : «ثمت اقتلى» لقبح اجتماع حرفى عطف متوالين .

و بعده " فتوضح فالمقراة " ثقيل أوّل آخر . وفى " أفاطم مهلا " و" أَغَرّكِ منى أن حبّك قاتلى" ليزيد بن الرحّال هزج . ولأبى عيسى بن الرشيد فى"وقد أغتدى" و "مِكَرٍّ مِفَرٍّ" ثقيل أوّل . ولفُلَيْح فى " قفا نبك " وبعده " أغرّك منّى " رمل . وقيــل : إن لمعبد فى " و بيضة خدر " لحناً من الثقيل الأوّل، وقيــل : هو لحن حُميــدة . ولعريبَ فى هــذين البيتين خفيف ثقيل من رواية أبى العُبَيْس . وغنّى سَلّام بن الغَسّال — وقيل بل عُبَيْدةُ أخوه — فى " و إن كنت قد ساءتك منى " و" أغرّك منى " رملًا بالوسطى . وغنّى فى " فقلت لها سيرى وأرخى زمامه " سَعْدويه بن نصر ثانىَ ثقيل . وغنّى فى "قفا نبك" وبعده " فتوضح فالمقراة" إبراهيم الموصلىّ ثقيلا أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن ابن المكّىّ . وزعم حبش أن لإسحاق فيهما ثقيلا . وغنّى فى " أغرّك منى " و"وما ذرفت" ابن سُرَيْج خفيفَ رمل بالوسطى من رواية ابن المكّىّ، وقيل: بل هو من منحوله . وغنّى بُدَيْح مولى ابن جعفر فى " وما ذرفت عيناك " بيتا واحدا ثقيلا أوّل مطلقا فى مجرى الوسطى عن ابن المكّىّ . فجميع ما جمع فى هــذه المواضع مما وجد فى شعر " قفا نبك" من الأغانى صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحنا : منها فى الثقيل الأوّل تسعة أصوات، وفى الثقيل الثانى ثلاثة أصوات، وفى الرمل أربعة أصوات، وفى خفيف الرمل صوتان، وفى الهزج صوت، وفى خفيف الثقيل ثلاثة أصوات .

ذكر امرئ القيس ونسبه وأخباره

نسبه من قبل أبويه

قال الأصمعيّ: هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكلِ المُرَار بن معاوية بن ثَوْر وهو كِنْدة. وقال ابن الأعرابيّ: هو امرؤ القيس بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور وهو كندة. وقال محمد بن حبيب: هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الملك ابن عمرو بن حُجْر آكلِ المُرَار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يَعْرُب بن ثور بن مُرْتِع[1] بن مُعَاوية بن كِندة. وقال بعض الرُّواة: هو امرؤ القيس بن السِّمْط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثَوْر وهو كِندة. وقالوا جميعا: كندة هو كندة بن عُفَير بن عديّ بن الحارث بن مُرّة ابن أُدَدَ بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب ابن يَعْرُب بن قَحْطان بن عابر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح. وقال ابن الأعرابيّ: ثور هو كِنْدة بن مُرْتِع بن عُفَير بن الحارث بن مُرّة بن عَدِيّ بن أُدَدَ ابن زيد بن عمرو بن مِسْمَع بن عَرِيب بن عمرو بن زيد بن كهلان.

٦٣ / ٨

وأُمّ امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زُهَير أُخت كُلَيب ومُهَلْهِل ابني ربيعة التغلبيَّيْن. وقال من زعم أنه امرؤ القيس بن السِّمط: أمّه تَمْلِك بنت عمرو بن زُبَيد بن مَذْحِج رهط عمرو بن معد يكرب. قال من ذكر هذا وأن أُمّه تملك: قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال:

ألَا هل أتاها والحوادثُ جَمّةٌ * بأن امرأ القيس بن تَمْلِكَ بَيْقَرا

بَيْقَر أي جاء العراقَ والحَضَر. ويقال: بيقر الرجلُ إذا هاجر. وقال يعقوب ابن السِّكِّيت: أمّ حُجْر أبي امرئ القيس أُمّ قطَام بنت سَلَمة امرأةٌ من عَنَزة[2].

(١) ضبطه الحافظ في التبصير كمحسن وضبطه الصاغاني في العباب كمحدّث.

(٢) صححها الشنقيطي في نسخته: «من كندة».

كنيته ولقبه

ويُكْنَى آمرؤ القيس، على ما ذكره أبو عُبيدة، أبا الحارث . وقال غيره : يكنى أبا وَهْب . وكان يقال له الملك الضِّلِّيل، وقيل له أيضا ذو القُروح . وإياه عنى الفرزدقُ بقوله :

وهَب القصائدَ لى النوابغُ إذ مَضَوْا * وأبو يزيد وذو القروح وجَرْوَلُ

يعنى بأبى يزيد المُخَبَّلَ السَّعْدىّ، وجَرْول الحُطيئة .

مولده ومنزله

قال : ووُلد ببلاد بنى أسد . وقال ابن حَبيبَ : كان ينزل المُشَقَّر من اليمامة . ويقال : بل كان ينزل فى حصن بالبحرين . وقال جميع من ذكرنا من الرُّواة :

سبب تسمية آبائه بأسمائهم

إنما سمّى كِنْدةَ لأنه كَنَدَ أباه أى عقّه . وسمّى مُرْتِعٌ بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرْتَعًا له ولماشيته . وسمّى حُجْرٌ آكلُ المُرَار بذلك لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جَبَلة كان نائما فى حِجْر امرأته هند وهى تَفْلِيه جعل يأكل المُرَار (وهو نبت شديد المرارة) من الغيظ وهو لا يدرى . ويقال : بل قالت هند للحارث وقد سألها : ما تَرَيْنَ حُجْرًا فاعلا؟ قالت : كأنّك به قد أدركك فى الخيل وهو كأنه بعيرٌ قد أكل المرار . قال : وسمّى عمرو المقصورَ لأنه قد قُصِرَ[2] على مُلْك أبيه أى أقعد فيه كُرْها .

قصة جده الحارث ابن عمرو مع قباذ وابنه أنوشروان

أخبرنى بخبره، على ما قد سُقْته ونظَمْته، أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبة ولم يتجاوزه، وروى بعضَه عن علىّ بن الصَّبَّاح عن هشام ابن الكلبىّ، وأخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه، قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد عن علىّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبىّ، قال ابن أبى سعد وأخبرنى دارِم بن عِقال بن حَبيب الغَسّانىّ أحدُ ولد السَّمَوْءل بن عادياء عن أشياخه، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيبة، وأخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىّ

(٢) فى الأصول : « اقتصر » .

قال حدّثنى عمّى يوسف عن عمه إسماعيل، وأضفت الى ذلك رواية ابن الكلبىّ مما لم أسمعه من أحد ورواية الهيثم بن عدىّ و يعقوب بن السّكّيت والأثرم وغيرهم، لما فى ذلك من الاختلاف، ونسبت رواية كلّ راوٍ إذا خالف رواية غيره اليه، قالوا :

كان عمرو بن حُجْر وهو المقصور ملكا بعد أبيه ، وكان أخوه معاوية وهو الجَوْن(1) على اليمامة، وأُمُّهما شُعْبة بنت أبى مُعاهِر بن حَسّان بن عمرو بن تُبَّع. ولما مات مَلَك بعده ابنُه الحارث، وكان شديدَ الملك بعيد الصِّيت . ولما ملك قُبَاذُ بن فَيْروز خرج فى أيام ملكه رجل يقال له مَزْدَك فدعا النّاسَ الى الزندقة وإباحة الحُرَم وألّا يمنع أحد منهم أخاه ما يريده من ذلك. وكان المُنْذِر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها . فدعاه قُبَاذُ الى الدخول معه فى ذلك فأبى . فدعا الحارثَ بن عمرو فأجابه؛ فشدَّد له مُلْكَه وأَطْرد(2) المُنْذرَ عن مملكته وغلَب على ملكه . وكانت أُمُّ أَنُوشِرْوانَ بين يدى قُبَاذَ يومًا، فدخل عليه مَزْدَك. فلما رأى أُمَّ أنوشروان قال لقباذ : ادفعها لى لأقضيَ حاجتى منها؛ فقال : دونكها . فوثب اليه أنوشروان فلم يزل يسأله و يَضْرَع إليه أن يهَب له أُمَّه حتى قبَّل رجلَه فتركها له؛ فكانت تلك فى نفسه . فهلَكَ قُبَاذُ على تلك الحال، وملك أَنُوشِرْوانُ فجلس فى مجلس المُلْك . وبلغ المنذرَ هلاكُ قباذَ فأقبل الى أنوشروان وقد علم خلافَه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه . فأذن أنوشروانُ للنّاس، فدخل عليه مَزْدَك ثم دخل عليه المنذر . فقال أنوشروان : إنى كنت تمنّيت أمنيّتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لى . فقال مَزْدَك : وما هما أيها الملك؟ قال : تمنّيت أن أملك فأستعملَ هذا الرجل الشريفَ (يعنى المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة . فقال له مزدك : أَوَ تستطيع أن تقتل

(1) كذا فى شرح القاموس ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى الأصول : «الجوف» بالفاء وهو تحريف . (2) أى أمر بطرده .

الناس كلّهم؟! قال : إنك لهاهنا يا بنَ الزانيـة ! والله ما ذهب نَتْنُ ريح جَوْرَ بك من أنفى منذ قبّلتُ رجلكَ الى يومى هذا ! وأمر به فقُتل وصُلب، وأمر بقتل الزنادقة فقَتل منهم ما بين جازِر[1] الى النَّهْرَوان الى المدائن فى ضَحْوة واحدة مائة ألف زنديق وصلّبهم؛ وسُمّى يومئـذ أنوشروان . وطلب أنوشروان الحارثَ بن عمرو؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار، وكان بها منزلُه — وإنما سمّيت الأنبارَ لأنه كان يكون بها أَهْرَاءُ[2] الطعام وهى الأنابير — فخرج هاربًا فى هجائنه وماله وولده فمرّ بالثَّوِيّة[3]، وتبعه المنذرُ بالخيل من تَغْلِبَ و بَهْرَاءَ[4] و إيَادٍ، فلَحق بأرض كَلْب[5] فنجا، وٱنتهبوا ماله وهجائنه. وأخذت بنو تغلب ثمـانيةً وأربعين نفسًا من بنى آكل المُرَار؛ فقُدِم بهم على المنذر فضرب رقابَهم بجَفَـر الأملاك فى ديار بنى مَرِينا[6] العِبادِيّين بين دَيْر هند والكوفة . فذلك قول عمرو بن كُلْثوم :

فآبُوا بالنِّهـاب وبالسَّـبَايَا * وأُبْنَـا بالملوك مُصَـفَّدينا

وفيهم يقول ٱمرؤ القيس :

ملوكٌ من بنى حُجْرِ بن عمرو * يُساقون العَشِـيّةَ يُقتَـلونا

فلو فى يوم معركةٍ أُصيبوا * ولكن فى ديار بنى مَرِينَـا

ولم تُغْسَلْ جماجمُهم بغِسْـلٍ[7] * ولكـن فى الدماء مُرَمَّلينا[8]

تَظَلُّ الطـيرُ عاكفةً عليهم * وتنتزع الحواجبَ والعيـونا

---

(١) كذا فى معجم البلدان لياقوت . وجازر : قرية من نواحى النهروان . وفى أ ، م : «جاذر» بالذال المعجمة . وفى سائر الأصـول : «حاذر» بالحاء المهملة وهو تحريف . والنهروان : ثلاث، أعلى وأوسط وأسفل، وهى كورة واسعة بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى .

(٢) كذا فى نسـخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . والأهراء : الأكوام . وفى الأصـول: «أهداء الطعام» بالدال وهو تحريف .

(٣) الثوية : موضع قريب من الكوفة، وقيل بالكوفة .

(٤) بهراء : قبيلة باليمن .

(٥) كذا فى أ، م، وهو موضع بين قومس والرى . وفى سائر الأصول: «أرض كليب» وهو تحريف .

(٦) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة .

(٧) الغسل : ما يغسل به الرأس من خطمى وطين وأشنان ونحوه .

(٨) مرملين : ملطخين .

قالوا : ومضى الحارث فأقام بأرض كَلْب . فكلب يزعمون أنهم قتلوه . وعلماء كندة تزعم أنه خرج إلى الصيد فألَظَّ(١) بتَيْس من الظّباء فأعجزه ، فآلى أليَّة ألّا يأكل أوّلا إلا من كبده . فطلبته الخيل ثلاثًا فأُتِىَ بعد ثالثة وقد هلك جوعا ، فشُوِى له بطنه ، فتناول فِلْذةً من كبده فأكلها حارّة فمات . وفى ذلك يقول الوليد بن عَدِىّ الكِنْدىّ

٥ فى أحد بنى بَجِيلة :

فشوَوْا فكان شِواؤهم خَبْطًا له * إنّ المنيّة لا تُجِلّ جليلا

٦٥/٨

وزعم ابن قُتَيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قُباذ بن فيروز لم يُملِّك الحارث بن عمرو وأن تُبَّعًا الأخير هو الذى ملَّكه . قال : ولما أقبل المنذر الى الحيرة(٢) هرب الحارث وتبعته خيلٌ فقتلت ابنه عمرًا وقتلوا ابنه مالكا بهِيتَ(٣) . وصار الحارثُ الى مُسْحُلان(٤)

١٠ فقتلته كلب . وزعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حَتْفَ أنفه .

الحارث بن عمرو وتمليكه أولاده على قبائل العرب

وقال الهيثم بن عَدِىّ حدّثنى حمّاد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سُعَيَّة(٥) ابن عَرِيض من يهود تَيْماء قال : لما قتل الحارثُ بن أبى شَمِر الغسّانىّ عمرَو بن حُجْر ملَّك بعده ابنَه الحارث بن عمرو ، وأُمُّه بنت عَوْف بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان ونزل الحِيرة . فلما تفاسدت القبائلُ من نِزار أتاه أشرافهم فقالوا : إنّا فى دينك

١٥ ونحن نخاف أن نتفانى فيما يحدُث بيننا ، فوجِّهْ معنا بنيك ينزلون فينا فيَكُفُّون بعضَنا عن بعض . ففرّق ولدَه فى قبائل العرب ، فملّك ابنه حُجْرا على بنى أَسَد وغَطَفَان

---

(١) ألظ به : لزمه وألح عليه ليصطاده . (٢) كذا فى جـ وهو المناسب لما سبق فى هذه القصة . وفى سائر الأصول : «من الحيرة» وهو تحريف . (٣) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار . (٤) مسحلان : موضع . (٥) هو أخو السموءل .

وملّك ٱبنه شُرَحْبِيل قتيل يوم الكُلَاب[1] على بَكْر بن وائل بأَسْرها وبنى حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم والرِّباب[2] . وملّك ٱبنه مَعْدِيكَرِب وهو غَلْفاء[3] (سُمّى بذلك لأنه كان يُغَلِّف رأسه) على بنى تَغْلِب والنَّمِر بن قاسِط وسعد بن زيد مَنَاة وطوائف من بنى دارم [بن مالك] بن حَنْظلة والصنائع وهم بنو رُقَيَّة قومٌ كانوا يكونون مع الملوك من شُذّاذ العرب . وملّك ٱبنه عبدَ الله على عبد القيس ، وملّك ٱبنه سَلَمة على قيس .

مقتل حجر أبى آمرئ القيس

وقال ٱبن الكلبيّ حدّثنى أبى : أنّ حُجْراً كان فى بنى أسد ، وكانت له عليهم إتاوةٌ فى كل سنة مؤقّتة ، فغَبَر[4] ذلك دهرًا . ثم بعث اليهم جابيَه الذى كان يَجْبيهم ، فمنعوه ذلك — وحُجْرٌ يومئذ بتِهَامة — وضربوا رُسله وضَرَجوهم ضَرْجًا[5] شـديدا قبيحا . فبلغ ذلك حجراً ، فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة ، فأتاهم

(١) الكلاب (بضم أوله) : اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل ماء بين جبـلة وشمام . وكان للعرب يومان مشهوران بيوم الكلاب . فأمّا الأول فان الحارث بن عمرو فرق أولاده على القبائل ملوكا كما ذكر المؤلف ؛ فلمـا مات تداعت القبائل وتحزبت فوقعت حرب بين ولديه شرحبيل وأصحابه ، وسلمة وأصحابه ، فقتل شرحبيل يومئذ . وقد أشار إليه امرؤ القيس فى قصيدته التى مطلعها :

أرانا موضعين لحتْم غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

فقال :

وأعـلم أننى عما قليـــل * سأنشب فى شبا ظفر وناب
كما لاقى أبى حجـر وجدى * ولا أنسى قتيلا فى الـكلاب

وأما الـكلاب الثـانى فكان بين بنى سعد والرباب ، وبين بنى الحارث بن كعب وقبائل اليمن ، قتل فيه عبد يغوث بن صلاة الحارثى بعد أن أسر ، وقال وهو مأسور قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أيا راكبا إما عـــرضت فبلغن * نداماى من نجران أن لا تلاقيا

(راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) فى ب ، س ، حـ : « ... وبنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بنى دارم بن تميم » بزيادة « وطوائف من بنى دارم » وأعلم عليها فى حـ بالمداد الأحمر كأنه ترميج لها .

(٣) كذا فى نسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه واللسان (مادة غلف) ومعجم البلدان (فى الكلام على الكلاب) . وفى الأصول «غلفى» . وغلف رأسه : لطخه بالمسك . (٤) غبر : لبث وبقى . وفى الأصول : « فمر » . (٥) ضرجه : أدماه أى جعل دمه يسيل من الضرب .

وأخذ سَرَاتَهم، فجعل يقتلهم بالعصا — فسُمُّوا عبيدَ العصا — وأباح الأموال، وصيّرهم الى تِهامة ، وآلَى بالله ألّا يُساكنوهم فى بلد أبداً ، وحَبس منهم عمرو بن مسعود بن كِنْدة[1] بن فَزَارة الأَسَدىّ وكان سيِّدا، وعَبِيدَ بن الأَبْرَص الشاعر. فسارت بنو أسد ثلاثًا . ثم إنّ عَبِيدَ بن الأبرص قام فقال : أيّها الملك اسمع مقالتى :

يا عَيْنُ[2] فابكى ما بنى * أسدٍ فهم أهلُ النَّدَامَهْ

أهلَ القِبَابِ الحُمْرِ والنَّـ * ـعَمِ المؤبَّل[3] والمُدَامه

وذوى الجيادِ الجُرْدِ والأَسَـ * ـلِ المُثَقَّفة المُقامه

حِـلًّا[4] أبيتَ اللَّعْنَ حِلًّا * إنّ فيما قلتَ آمَه

فى كلِّ وادٍ بين يَثْـ * ـرِبَ فالقصورِ الى اليمامه

تطريبُ عانٍ أو صِيَا * حُ مُحرِّقٍ أو صوتُ هامه

ومنعتَهم نجدًا فقد * حَلُّوا على وَجَلٍ تِهامه

بَرِمتْ بنو أسدٍ كما * بَرِمتْ ببيضتها الحمامه

جعلتْ لها عُودين من * نَشَمٍ[5] وآخر من ثُمامه

إمّا تركتَ تركتَ عَفْـ * ـوًا أو قتلتَ فلا مَلامَهْ

أنت المليكُ عليهمُ * وهمُ العبيدُ الى القيامه

ذَلُّوا لسَوْطِك مثلَ ما * ذلّ الأُشَيْقِر[6] ذو الخِزَامه

---

(١) فى حـ وتجريد الأغانى : «ابن كلدة» . (٢) فى كتاب الشعر والشعراء : « يا عين ما فابكى بنى ... الخ » . (٣) المؤبل : المقتنى . (٤) حلا أى تحلل من يمينك . والآمة : العيب . (٥) النشم : شجر جبلى تتخذ منه القسىّ . والثمامة : نبت بالبادية . (٦) الأشيقر : تصغير الأشقر وهو الأحمر من الدواب . والخزامة : حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد بها الزمام ؛ فإن كانت من صفر فهى برة . وفى الأصول : « الحزامة » بالحاء المهملة وهو تصحيف .

قال : فرَقَّ لهم حُجْر حين سمع قولَه ، فبعث فى أثرهم فأقبلوا . حتى إذا كانوا على مَسيرة يوم من تِهامة تكهن كاهنُهم(١)، وهو عَوْف بن رَبيعة بن سَوَادة بن سعد بن مالك بن ثَعْلبَــة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمة، فقال لبنى أسد : يا عِبادى ! قالوا : لَبَّيْكَ رَبَّنا . قال : مَنِ الملكُ الأَصْهَب، الغَلَّاب غيرُ المُغَلَّب، فى الإبل كأنها الرَّبْرَبُ، لا يعلَق رأسَه الصَّخَب، هذا دَمُه يَنْثَعِبُ(٢)، وهذا غدًا أوّل من يُسْلَب . قالوا : مَنْ هو يارَبَّنا ؟ قال: لولا أن تجيش نفسٌ جَاشِية، لأخبرتكم أنه حُجْرٌ ضاحية . فركبوا كلَّ صعبٍ وذَلُول؛ فما أشرق لهم النهارُ حتى أتَوْا على عَسكر حُجْر فهجَموا على قبّته . وكان حُجّابه من بنى الحارث بن سَعْد يقال لهم بنو خَدَان بن خَنْثَر منهم معاوية بن الحارث وشَبِيب ورُقَيّة ومالك وحبيب، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتــل . فلمّا نظروا الى القوم يريدون قتلَه خيّموا عليه ليمنعوه ويُجيروه . فأقبل عليهم عِلْبَاءُ ابن الحارث الكاهلىّ، وكان حُجْر قد قتل أباه، فطعَنه من خَلَلهم فأصاب نَسَاه فقتله . فلما قتلوه قالت بنو أسد : يامعشرَ كِنَانة وقيس، أنتم إخوانُنا وبنو عَمِّنا، والرجلُ بعيدُ النسب منّا ومنكم ، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه . فانتهبوهم فشَدُّوا على هجائنه فمزّقوها ولفُّوه فى رَيْطة بيضاء وطرَحوه على ظهر الطريق . فلمّا رأته قَيْسٌ وكِنانة انتهبوا أسلابَه . ووثَب عمرو بن مسعود فضمّ عِيالَه وقال : أنا لهم جارٌ .

قال ابن الكلبىّ : وعدّة قبائل من بنى أسد يدّعون قتلَ حُجْر ويقولون : إنّ عِلْباءَ كان الساعىَ فى قتله وصاحبَ المشورة ولم يقتله هو .

قال ابن حبيب : خَدَان فى بنى أسد وخَدَان فى بنى تَميم وفى بنى جَديلة بالخاء مفتوحةً، وخُدَّان مضمومة فى الأزد، وليس فى العرب غير هؤلاء .

---

(١) فى جـ « سواءة » . (٢) كذا فى تجريد الاغانى . وانثعب الدم : جرى . وفى ب، س : « ينشعب » . وفى سائر الأصول : « ينشعب » وهما تحريف .

قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ: بل كان حُجْرٌ لمّـا خاف من بنى أسد استجار عُوَيْر بن شِجْنة أحد بنى عُطَارِد بن كعب بن سعد بن زَيْد مَنَاة بن تَميم لبنته هند بنت حُجْر وعياله . وقال لبنى أسد لمّـا كَثَرُوه : أمّا إذا كان هـذا شأنكم فإنى مرتحلٌ عنكم ومُخَلِّيكم وشأنَكم؛ فواعدوه على ذلك . ومال على خالد بن خَدّان أحد بنى سَعْد بن ثَعْلَبة . فأدركه عِلْباءُ بن الحارث أحد بنى كاهِل فقال: ياخالد آقتُلْ صاحبَك لا يُفلِتْ فيَعُرَّك[1] وإيّانا بشرٍّ، فامتنع خالد. ومرّ عِلْباءُ بقِصْدة[2] رُمْح مكسورة فيها سِنانها، فطعَن بها فى خاصرة حُجْر وهو غافل فقتَله . ففى ذلك يقول الأَسَدىّ :

وقِصْدةُ عِلْباءِ بن قَيْس بن كاهِلٍ * مَنِيّـةُ حُجْرٍ فى جوار ابن خَدّانِ

وذكر الهَيْثَم بن عَدِىّ أنّ حُجْرًا لمّـا آستجار عُوَيْر بن شِجْنة لبنيه وقَطِينه[3] تحوّل عنهم فأقام فى قومه مدّةً، وجمع لبنى أسد جمعًا عظيما من قومه وأقبل مُدِلًّا بمن معه من الجنود . فتآمرت بنو أسد بينها وقالوا: والله لئن قهرَكم هذا لَيَحْكُمَنّ عليكم حكمَ الصبىّ ! فما خيرُ عيش يكون بعد قهرٍ وأنتم بحمد الله أشدُّ العرب! فموتوا كراما . فساروا الى حُجْر وقد ارتحل نحوَهم فلَقُوه فاقتتلوا قتالًا شديدا. وكان صاحب أمرهم عِلباء بن الحارث ؛ فحمل على حُجْر فطعنه فقتـله ، وانهزمت كِنْدةُ وفيهم يومئـذ آمرؤ القيس فهرَب على فرس له شَقْراء وأعجزهم ، وأسروا من أهل بيته رجالًا وقتلوا وملئـوا أيديهم من الغنائم ، وأخذوا جوارىَ حُجْر ونساءه وما كان معه من شىء فاقتسموه بينهم .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت حدّثنى خالد الكِلابىّ قال : كان سببُ قتلِ حُجْر أنه كان وفَد الى أبيه الحارث بن عمرو فى مرضه الذى مات فيه وأقام عنده حتى هلَك، ثم أقبل راجعًا الى بنى أسد وقد كان أغار عليهم فى النَّساء وأساء ولايتَهم ، وكان يُقَدِّم

(١) عرّ فلان فلانا بشر: أصابه به . (٢) القصدة: القطعة . (٣) القطين هنا: الخدم والحاشية .

بعضُ ثَقَله أمامَه ويُهيأ نُزُلُه ثم يجيء وقد هُيِّئَ له من ذلك ما يُعجبه فينزل، ويُقدِّم مثل ذلك الى ما بين يديه من المنازل فيُضْرَب له فى المنزلة الأخرى . فلما دنا من بلاد بنى أسَد وقد بلَغهم موت أبيه طمِعوا فيه. فلما أظلّهم وضُرِبت قِبابُه آجتمعت بنو أسَد إلى نَوْفَل بن رَبيعة بن خَذّان؛ فقال: يابنى أسد! مَنْ يتلقّى هذا الرجلَ منكم فيقتطعَه ؟ فإنى قد أجمعتُ على الفتك به . فقال له القوم : ما لذلك أحدٌ غيرك . ٥ فخرج نَوْفَل فى خيله حتى أغار على الثَّقَل فقتَل مَنْ وجد فيه، وساق الثَّقَل وأصاب جاريتين قَيْنَتَين لحُجْر ، ثم أقبل حتى أتى قومَه . فلما رأوا ما قد حدَث وأتاهم به عرفوا أنّ حُجْرًا يُقاتلهم وأنه لا بدّ من القتال ، فحشَد الناسُ لذلك . وبلغ حُجْرًا أمرُهم، فأقبل نحوَهم . فلما غَشِيَهم ناهضوه القتالَ وهم بين أبْرَقَيْن من الرمل فى بلادهم يُدْعَيان اليوم أبرقَيْ حُجْر، فلم يَلْبَثوا حُجْرًا أن هزَموا أصحابَه وأسَروه فحبسوه . وتشاور(1) ١٠ القوم فى قتله؛ فقال لهم كاهن من كَهَنتهم بعد أن حبَسوه ليَرَوْا فيه رأيَهم: أىْ قومِ! لا تعجَلوا بقتل الرجل حتّى أزجُرَ لكم . فآنصرف عن القوم لينظر لهم فى قتله . فلمّا رأى ذلك عِلْباءُ خشى أن يتواكلوا فى قتله؛ فدعا غلامًا من بنى كاهل، وكان ابنَ أخته وكان حُجْرٌ قتل أباه زوجَ أخت علباء، فقال: يا بُنَىّ، أعندك خيرٌ فتثأرَ بأبيك وتنالَ شرفَ الدهر وإنّ قومك لن يقتلوك ؟! . فلم يزل بالغلام حتى حرّبه(2)، ودفع ١٥ اليه حديدةً وقد شحَذها وقال: ادخل عليه مع قومك ثم اطعَنه فى مقتله . فعمَد الغلام الى الحديدة فخبأها ثم دخل على حُجْر فى قُبّته التى حُبس فيها . فلمّا رأى الغلامُ غفلةً وثَب عليه فقتله؛ فوثب القوم على الغلام . فقالت بنو كاهل: ثأرُنا وفى أيدينا . فقال الغلام : إنما ثأرتُ بأبى، فخَلّوْا عنه . وأقبل كاهنُهم المُزْدجِر فقال: أىْ قومِ! قتلتموه ! مُلْكُ شهر، وذُلُّ دهر . أمَا والله لا تَحْظَوْن عند الملوك بعده أبدًا . ٢٠

(1) فى الأصول : «وشاور القوم» . (2) حربه : حرشه .

وصيته لبنيه عند موته

قال ابن السِّكِّيت: ولمّا طعَن الأسديُّ حُجْرًا ولم يُجْهِز عليه، أوصى ودفع كتابَه الى رجل وقال له: انطلق الى ابني نافع — وكان أكبرَ ولده — فإن بكى وجزِع فالْهُ عنه، واستقرِهم واحدًا واحدًا حتى تأتى امرأ القيس — وكان أصغرَهم — فأيّهم لم يجزَع فادفع اليه سِلاحى وخيلى وقُدورى ووصيّتى. وقد كان بيّن فى وصيّته مَنْ قتله وكيف كان خبره. فانطلق الرجل بوصيّته الى نافع ابنه؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه. ثم استقراهم واحدًا واحدًا فكلُّهم فعل ذلك، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرَب الخمر ويُلاعبه بالنَّرْد؛ فقال له: قُتِل حُجْر. فلم يلتفت الى قوله؛ وأمسك نديمُه. فقال له امرؤ القيس: إضربْ فضرب. حتى إذا فرَغ قال: ما كنتُ لأُفسد عليك دَسْتَك. ثم سأل الرسولَ عن أمر أبيه كلّه فأخبره. فقال: الخمرُ علىّ والنساء حرامٌ حتى أقتُل من بنى أسد مائة وأَجُزّ نواصىَ مائة[1]. وفى ذلك يقول:

امرؤ القيس يثأر بأبيه

٦٨/٨

أرِقتُ ولم يأرَقْ لِمَا بىَ نافعُ * وهاج لِىَ الشوقَ الهمومُ الروادعُ

وقال ابن الكلبىّ: حدّثنى أبى عن ابن الكاهن الأسدىّ: أنّ حُجْرًا كان طرَد آمرأ القيس وآلَى ألّا يقيم معه أَنَفَةً من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنَف من ذلك، فكان يسير فى أحياء العرب ومعه أخلاطٌ من شُذّاذ العرب من طيّئ وكَلْب وبكْر ابن وائل؛ فإذا صادف غَديرًا أو روضةً أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه فى كل يوم، وخرج إلى الصيد فتصيّد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنّته قِيانُه. ولا يزال كذلك حتى ينْفَدَ ماءُ ذلك الغدير ثم ينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدَمُّون من أرض اليمن، أتاه به رجلٌ من بنى عِجْل يقال له عامر الأعور أخو الوَصّاف. فلما أتاه بذلك قال:

(١) يريد: حتى أقتل منهم مائة وآسر مائة. وكان من عادات العرب أنه إذا أسر الرجل منهم آخر وأراد أن يمن عليه جز ناصيته (وهى الشعر فى مقدّم الرأس) وأطلقه، فتكون الناصية عنده فخرا.

تَطَاوَلَ الليـلُ على دَمُّونْ * دَمّونُ إنّا معشرٌ يمانونْ

* وإنّنا[1] لأهلها مُحِبُّونْ *

ثم قال: ضيّعنى صغيرًا وحمّلنى دمَه كبيرا . لاصَحْوَ اليوم ولا سُكْرَ غدا . « اليومَ خمرٌ، وغدًا أمر» فذهبتْ مثلا . ثم قال :

خليليّ لا فى اليومِ مَصْحًى لشاربٍ * ولا فى غدٍ إذ ذاك ما كان يُشْرَبُ

ثم شرب سبعًا . فلمّا صحا آلى ألّا يأكلَ لحمًا، ولا يشربَ خمرًا، ولا يدَّهِنَ بدُهْن، ولا يصيبَ آمرأةً، ولا يغسلَ رأسه من جنابة، حتى يُدرِكَ بثأره . فلما جَنّه الليل رأى برقًا فقال :

أرِقتُ لبرقٍ بليـلٍ أهَـلْ * يُضيء سَنَاه بأعلَى الجبـلْ

أتانى حـديثٌ فكذّبْتُـه * بأمرٍ تَزَعْزَعُ منـه القُلَـلْ

بقتل بنى أَسَـدٍ ربَّهـم * ألَا كلُّ شيءٍ سـواه جَلَلْ[2]

فأين رَبيعةُ عن ربّهـا * وأين تميـمٌ وأين الخَـوَل

ألَا يحضُرون لدى بابِه * كما يحضُرون اذا ما أكل

ى الهَيْثم عن أصحابه أنّ آمرأ القيس لمّا قُتِل أبوه كان غلامًا قد ترعرع، وكان فى بنى حَنْظَلة مقيمًا لأنّ ظِئْرَه كانت آمرأةً منهم . فلما بلَغه ذلك قال :

يا لَهْفَ هندٍ إذ خَطِئْن[3] كاهلا * القاتلين المَلِكَ الحُـلَاحِلَا[4]

(١) كذا فى شرح القاموس (مادة دمن) ومعجم البلدان لياقوت . وفى الأصول : « وإنما لأهلها محبون » .

(٢) جلل : ها هنا بمعنى هين .

(٣) كذا فى ديوانه ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . وخطئ ها هنا بمعنى أخطأ . وكاهل أبو نخذ من بنى أسد، وهو كاهل بن دودان بن أسد بن خزيمة . (راجع ديوان امرئ القيس ص ٧٨ نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥ أدب ش . وفى الأصول : « حظين » بالحاء المهملة والظاء المعجمة .

(٤) الحلاحل : السيد الكريم . وقد ورد هـذا الرجز فى نسخ ديوانه مختلفاً فى ترتيب شطراته . ويريد بالضمير فى خطئن الخيل وبالقاتلين بنى أسد .

تالله لا يذهب شيخى باطلا * يا خيرَ شيخ حَسَبًا ونائلا

وخيرَهم — قد علموا — فواضلا * يَحْمِلْننا والأَسَلَ النّواهلا[1]

وحىَّ صَعْبٍ والوَشِيجَ الذّابلا * مُسْتَثْفِراتٍ بالحصى جَوافِلا[2]

يعنى صَعْبَ بنَ علىّ بن بكر بن وائل . معنى قوله "مستثفرات بالحصى" : يريد أنها أثارت الحصى بحوافرها لشدّة جريها حتى ارتفع الى أثفارها[3] فكأنها استثفرت به . ٥

٦٩ / ٨ — هند بنت حجر يجيرها عوير ابن شجنة

وقال الهَيْثم بن عَدِىّ : لمّا قُتل حُجْر انحازت بنتُه وقَطِينُه الى عُوَيْر بن شَجْنة . فقال له قومه : كُلْ أموالَهم فإنهم مأكولون ، فأبى . فلما كان الليلُ حمل هندا وقَطِينَها وأخذ بخطام جملها وأشأم بهم فى ليلة طَخْياء مُدْلَهِمّة . فلما أضاء البرقُ أبدى عن ساقيه وكانتا حَمْشَتَيْن[4] . فقالت هند : ما رأيت كالليلة ساقَىْ وافٍ . فسمعها فقال يا هند : هما ساقا غادرٍ شرٍّ . فرمى بها النِّجادَ حتى أطلعها نَجْرانَ ، وقال لها : ١٠ إنى لست أُغْنِى عنك شيئا وراء هذا الموضع ، وهؤلاء قومك ، وقد برِئتْ خفارتى . فمدحه امرؤ القيس بعدّة قصائد ، منها قوله فى قصيدة له :

ألَا إنّ قوماً كنتمُ أمسِ دونَهم * هم منعوا جاراتِكم آلَ غُدْرانِ[5]

عُوَيْرٌ ومَنْ مثلُ العُوَيْرِ ورَهْطِه * أَبَرُّ بميثاقٍ وأَوْفَى بجيرانِ

هم أبلغوا الحىَّ المُضَيَّعَ أهلَه * وساروا بهم بين الفُراتِ ونَجْرانِ ١٥

---

(١) ورد بدل هذا الشطر فى إحدى نسخ الديوان قوله :

* نحن جلبنا القرح القوافلا *

والقرح : (بضم القاف وتشديد الراء مفتوحة) جمع قارح ، وهو من الخيل ما كان فى الخامسة من سنه . والقوافل : الضوامر . (٢) جوافل : مسرعات ، يقال : جفل وأجفل اذا أسرع .

(٣) الأثفار : جمع ثفَر (بالتحريك) وهو السير الذى فى مؤخرة السرج تحت ذنب الدابة . ٢٠ وأما الثفر (بفتح فسكون وبضم فسكون) فهو لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب كالحياء للناقة .

(٤) حمشتين : دقيقتين . (٥) آل غدران (بالضم) : بطن من العرب .

وقــولُه :

أَلَا قبّــح اللهُ البَرَاجِــمَ كلَّها * وجــدَّع يَرْبوعًا وعفَّــر دارِما

فما فعلوا فعلَ العُوَيْرِ ورهطِه * لدى باب حُجْرٍ إذ تجرّد قائما

وقال ٱبن قُتَيبة فى خبره: إنّ القصة المذكورة عن عُوَيرٍ كانت مع أبى حَنْبَل وجارية ابن مُرّ . قال و يقال : بل كانت مع عامر بن جُوَيْن الطائىّ وإن ابنتــه أشارت عليه بأخذ مال حُجْر وعياله ؛ فقام ودخل الوادىَ ثم صاح : ألَا إنّ عامر بن جوين غدر، فأجابه الصّدى مثلَ قوله ؛ فقال ما أقبح هــذا من قول ! ثم صاح : ألَا إنّ عامر بن جُوَين وَفَى ، فأجابه الصَّدَى بمثل قوله ؛ فقال : ما أحسن هذا ! ثم دعا ابنتــه بجَذَعةٍ[1] من غنم فٱحتلبها وشرب وٱستلقَى على قفاه وقال : والله لا أغدُر ما أَجْزَأَتْنى جَذَعةٌ ، ثم نَهَض وكانت ساقاه حَمْشَتَين؛ فقالت ابنته : والله ما رأيتُ كاليوم ساقَىْ وافٍ ، فقال : وكيف بهما إذا كانتا ساقَىْ غادرٍ ! هما والله حينئذ أقبح .

امرؤ القيس يستعدى بكرا وتغلب على بنى أسد

وقال ابن الكلبىّ عن أبيه و يعقوبُ بن السِّكِّيت عن خالد الكلابىّ :

إن ٱمرأ القيس ارتحل حتى نزل بَكْرا وتَغْلِبَ ، فسألهم النصرَ على بنى أسد . فبعث العيونَ على بنى أسد فنَذِروا[2] بالعيون و لجئوا الى بنى كِنانة . وكان الذى أنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث . فلما كان الليلُ قال لهم عِلباءُ : يا معشرَ بنى أسد تعلمون ! والله إنّ عيون ٱمرئ القيس قد أتتكم ورجعتْ اليه بخبركم ، فارحَلوا بليل ولا تُعْلِموا بنى كنانة ، ففعلوا . وأقبل ٱمرؤ القيس بمن معه من بكر وتَغْلِب حتى انتهى الى بنى كِنانة وهو يحسَبهم بنى أسد فوضع السِّلاحَ فيهم وقال : يا لثارات الملك! يا لثارات الهُمام ! فخرجت اليه عجوزٌ من بنى كِنانة فقالت : أَبَيْتَ اللَّعنَ ! لسنا لك بثأر ،

(١) الجذعة : الفتية . (٢) نذروا : علموا فحذروا .

نحن من كنانة، فدونكَ ثأرَك فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس. فتبِع بنى أسد ففاتوه ليلتَهم تلك — فقال فى ذلك :

ألا يالَهفَ هنـدٍ إثْرَ قومٍ * همُ كانوا الشفاءَ فلم يُصابوا

وقاهم جَـدُّهم[(١)] ببنى أبيهم * وبالأشْقَيْنَ ما كان العقابُ

وأفلتهنّ عِلْبـاءٌ جَريضًا[(٢)] * ولو أدركْنه صَفِرَ الوِطابُ

يعنى ببنى أبيهم[(٣)] بنى كنانة؛ لأن أسدًا وكنانة ابنَىْ خُزيمة أخَوان .

٧٠
٨

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال :

سمعت رجلا سأل يونس عن قوله "صفِر الوِطابُ"، فقال: سألنا رُؤْبةَ عنـه فقال : لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصَفِرتْ وِطابُهُ من اللَّبن . وقال غيره : صَفِرَ الوطابُ أى إنه كان يُقتَل فيكون جسمه صِفْرًا من دمه كما يكون الوطاب صـفرا ١٠ من اللّبن .

—[وأدركهم][(٤)] ظُهرًا وقد تقطَّعتْ خيلُه وقطع أعناقَهم العطش ، وبنو أسد جامُّون[(٥)] على الماء، فنَهَد اليهم فقاتلهم حتى كثُرت الجرحى والقتلى فيهم، وحجز اللَّيلُ بينهم، وهَرَبت بنو أسد . فلما أصبحتْ بَكْرٌ وتَغْلِبُ أبَوْا أن يَتْبعوهم وقالوا له : ١٥ قد أصبتَ ثأرَك . قال : والله ما فعلتُ ولا أصبتُ من بنى كاهـل ولا من غيرهم

(١) الجد : الحظ . والأشقين : جمع أشق ؛ أى وقى بنى أسد حظهم إذ وقع العقاب بالأشقين بنى أبيهم وهم كنانة. (٢) أفلتهن جريضا أى أفلتهن بعد جهد ومشقة . والأصل فى الجرض : الغصص بالريق . وظاهر أن مرجع الضمير فى «أفلتهن» و «أدركنه» الخيل التى كروا بها عليهم .

(٣) فى الأصول : «يعنى بأبيهم بنى كنانة» وهو غير مستقيم . (٤) التكملة عن تجريد الأغانى .

٢٠ (٥) كذا فى ا ، م . وجامون : مجتمعون مستريحون . وفى تجريد الأغانى : « جائمون » . وفى سائر الأصول : «حامون» بالحاء المهملة، وهو تصحيف .

من بنى أسد أحدًا . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشئوم . وكرهوا قتالهم بنى كنانة[1] وانصرفوا عنه . ومضى هاربًا لوجهه حتى لحق بحمير .

يلجأ إلى عمرو ابن المنذر

وقال ابن السكيت حدثنى خالد الكلابى : أن امرأ القيس لما أقبل من الحرب على فرسه الشقراء لجأ الى ابن عمته عمرو بن المنذر — وأمه هند بنت عمرو بن حجر ابن آكل المرار، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتفرق ملك أهل بيته، وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر ببقة وهى بين الأنبار وهيت — فمدحه وذكر صهره ورحمه وأنه قد تعلق بحباله ولجأ اليه . فأجاره، ومكث عنده زمانا . ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه، وأنذره عمرو فهرب حتى أتى حمير .

يستنصر أزدشنوءة

وقال ابن الكلبى والهيثم بن عدى وعمر بن شبة وابن قتيبة :

فلما امتنعت بكر بن وائل وتغلب من اتباع بنى أسد خرج من فوره ذلك إلى اليمن فاستنصر أزدشنوءة، فأبوا أن ينصروه وقالوا : إخواننا وجيراننا . فنزل بقيل يدعى مرثد الخير بن ذى جدن الحميرى، وكانت بينهما قرابة، فاستنصره واستمده على بنى أسد، فأمده بخمسمائة رجل من حمير؛ ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم ، وقام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له قرمل بن الحميم وكانت أمه سوداء، فردد امرأ القيس وطول عليه حتى هم بالانصراف وقال :

ومرثد الخير الحميرى

وقرمل بن الحميم

وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربنا * وإذ نحن لا ندعى عبيدًا لقرمل

فأنفذ له ذلك الجيش ، وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجالًا ، فسار بهم إلى بنى أسد . ومر بتبالة[2] وبها صنم للعرب تعظمه يقال له

(١) أظن أن صوابه : «بنى أسد» .

(٢) تبالة : موضع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة .

ذو الخَلَصَة[1]؛ فآستقسم[2] عنده بقِداحه وهي ثلاثة الآمر والناهي والمتربِّص، فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي؛ فجمعها وكسرها وضرب بها وجهَ الصنم وقال: مَصِصْتَ بَظْرَ أُمّك! لو أبوك قُتِل ماعُقْتَني. ثم خرج فظفِر ببني أسد. ويقال: إنه ما آستُقْسِم عند ذي الخَلَصة بعد ذلك بقِدْح حتى جاء أمر الله بالإسلام وهدَمه جَرير بن عبد الله البَجَليّ.

طلبه المنذر فهرب ونزل بالحارث ابن شهاب

قالوا: وألحّ المنذر في طلب امرئ القيس ووجّه الجيوش في طلبه من إياد وبَهْراء وتَنُوخ ولم تكن لهم طاقة، وأمدّه أَنُوشِرْوانُ بجيش من الأساورة فسرّحهم في طلبه. وتفرّقت حِمْيَرُ ومن كان معه عنه. فنجا في عُصْبة من بني آكل المُرَار حتى نزل بالحارث بن شِهاب من بني يَرْبُوع بن حَنْظَلة، ومع آمرئ القيس أدراع خمسة: الفَضْفاضة والضافية والمحصَّنة والخريق[3] وأمّ الذيول كُنّ لبني آكل المرار يتوارثونها مَلِكًا عن ملك. فقلّما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث اليه المنذر مائة من أصحابه يُوعِده بالحرب إن لم يُسلم اليه بني آكل المُرار فأسلمهم؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند (بنتُ امرئ القيس) والأَدْرُع والسلاح ومال كان بقي معه؛ فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طيِّئ[4]؛ وقيل: بل نزل قبلهم على سعد بن الضِّباب الإيادىّ سيِّد قومه فأجاره.

ثم نزل على سعد بن الضباب الإيادى

---

(١) ذو الخلصة: مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج، وكان سدنتها بني أمامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن. (الأصنام لابن الكلبي ص ٣٤). (٢) الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم.

(٣) في ا، م: «الخريق». وفي تجريد الأغاني: «الحريق».

(٤) كذا في تجريد الأغاني. وفي الأصول: «قبله».

قال ابن الكلبيّ : وكانت أمّ سعد بن الضِّباب تحت حُجْر أبى امرئ القيس فطلّقها وكانت حاملا وهو لا يعرف ، فتزوّجها الضِّباب فولَدت سعداً على فراشه ، فلحِق نسبُه به . فقال امرؤ القيس يذكر ذلك :

يُفاكهنا سعدٌ ويُنْعِمُ بالنَّـا (١) * ويغدو علينا بالجِفَانِ وبالجُزُرْ
ونعرف فيه من أبيه شمائلاً * ومن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُرْ
سماحةَ ذا وبِرَّ ذا ووفاء ذا * ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سَكِرْ

والمعلى بن تيم

ثم تحوّل عنه فوقع فى أرض طيِّئ (٢) فنزل برجل من بنى جَدِيلةَ يقال له المعلَّى بن تَيْم . ففى ذلك يقول :

كأنِّى إذ نزلتُ على المُعَلَّى * نزلتُ على البواذخ من شَمَامِ (٣)
فما مَلِكُ العراقِ على المُعَلَّى * بمقتدرٍ ولا مَلِكُ الشآمِ
أقرّ حَشَى امرئ القيس بن حُجْرٍ * بنو تَيْمٍ مصابيحُ الظلامِ

ثم ببنى نبهان

قالوا : فلبث عنده واتّخذ إبلًا هناك . فغدا قومٌ من بنى جَدِيلةَ يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل . وكانت لامرئ القيس رواحل مُقَيَّدة عند البيوت خوفاً من أن يَدْهَمه أمرٌ ليسبق عليهن . فخرج حينئذ فنزل ببنى نَبْهان من طيِّئ ، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جَدِيلة ، فرجعوا إليه بلا شيء . فقال فى ذلك :

وأعجبنى مَشْىُ الحُزُقَّة خالدٍ (٤) * كمشى أتانٍ حُلِّئَتْ بالمناهلِ

(١) ورد هذا الشطر فى ديوانه هكذا : «يمشى الرقاق المترعات وبالجزر» . (٢) فى الأصول : «من أرض طيّئ» وهو تحريف . وعبارة تجريد الأغانى : «ثم تحول عنه فنزل بأرض طيئ عند رجل ... » .
(٣) شمام : اسم جبل لباهلة . (٤) هذه رواية الديوان . والحزقة : القصير الذى يقارب الخطو . وحلئت : منعت عن الماء وطردت مرة بعد مرة . وفى الأصول :
* عجبت له مشى الحزقة خالد *

فدع عنك نَهْباً صِيحَ فى حَجَراتِه (١) * ولكن حديثاً ما حديثُ الرّواحل

ففرّقت عليه بنو نَبْهان فِرَقاً (٢) من مِعْزَى يحلُبها . فأنشأ يقول :

إذا ما لم تَجِــدْ إبلاً فمِعْزَى * كأن قُرُونَ جِلّتِها (٣) العِصِى

إذا ما قام حالبُهــا أَرَنَّتْ (٤) * كأنَّ القــوم صبّحهم نَعِىُّ

فتملأُ بيتَنــا أَقِطاً (٥) وسَمْنــا * وحَسْبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

ثم نزل بعامر بن جوين

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَيْن واتخذ عنده إبلا، وعامرٌ يومئذ أحد الخُلَعاء الفُتّاك قد تبرّأ قومُه من جَرائره، فكان عنده ما شاء الله، ثم همّ أن يغلبه على أهله وماله؛ ففطَن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله :

فكم بالصَّعيد (٦) من هِجَانٍ مؤبَّلَهْ * تَسيرُ صِحاحاً ذاتَ قيدٍ ومُرْسَلَهْ

أردتُ بها فَتْكاً فلم أَرْتَمِضْ (٧) له * ونَهْنهتُ نفسى بعدما كدتُ أفعلَه (٨)

(١) الحجرات : النواحى . يقول : دع النهب الذى صاح المنتهب فى نواحيه وأخذه، وحدثنى حديث الرواحل وهى الإبل التى ذهبت بها ما فعلت . (راجع اللسان فى مادة حجر وشرح ديوانه) .

(٢) الفرق : القطيع من الغنم والبقر والظباء، وقيل : هو مادون المائة من الغنم . ومن جعل الألف فى "معزى" للتأنيث منع من الصرف، ومن جعلها للالحاق صرف، وهو الأرجح .

(٣) الجلة : المسان (بفتح الميم وتشديد النون كبيرات السن) . ويروى هذا الشطر فى ديوانه :

* ألا إلا تكن إبل فمعزى *

(٤) رواية الديوان فى هذا البيت :

إذا مشت حوالبها أرنت * كأن الحى صبحهم نعى

ببناء الفعل (مشت) للجهول . ومشت حوالبها : مسحت بالكف ليدر اللبن . والحوالب : العروق التى تدر اللبن فى الضرع واحدها حالب . وأرنت : صوتت . ويحتمل أن تكون المعزى هى المرنة، وأن يكون الإرنان صوت الشخب الذى يقع فى الإناء من كثرة اللبن . (٥) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض مثل الجبن . (٦) كذا فى تجريد الأغانى . وفى جـ : « فكم من سعيد » . وفى سائر النسخ : « فكم بالصحيح » وهما تحريف . (٧) ارتمض : حزن، أى فلم أحزن ولم آسف له . ونهنه : كف . (٨) نصب الفعل على تقدير « أن » أى بعد ما كدت أن أفعله، وهو شاذ .

٧٢ / ٨

وكان عامر أيضا يقول يعرِّض بهند بنت آمرئ القيس :

ألَا حَيِّ هنــدًا وأطلالَهــا * وتَظْعانَ هنــدٍ وتَحْــلالَهـا

هَممتُ بنفسىَ كلَّ الهُموم * فأَوْلَى لنفسىَ أَوْلَى لهــا[1]

سأحمِــل نفسى علــى آلةٍ[2] * فإمّا عليهــا وإمّا لهــا

هكذا رَوى آبنُ أبى سعد عن دارِم بن عِقال. ومن الناس من يَرْوى هذه الأبياتَ ٥
للخَنْساء فى قصيدتها :

ألَا ما لِعَيْـــنِى ألَا ما لَهـــا * لقد أَخْضَلَ الدمعُ سِرْبالَهَا

ثم بحارثة بن مر

قالوا : فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أهله وماله، تغفَّله وانتقل إلى رجل من بنى ثُعَل يقال له حارِثة بن مُرّ فآستجار به . فوقعت الحربُ بين عامر وبين الثُّعَلِىّ، فكانت فى ذلك أمورٌ كثيرة . قال دارِم بن عِقال فى خبره : فلمّا وقعت ١٠ الحربُ بين طَيِّئ من أجله، خرج من عندهم فنزل برجل من بنى فَـزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازِن، فطلب منه الجوارَ حتى يَرَى ذاتَ عَيْنِه[3]. فقال له الفَزارىّ :

نزل بعمرو بن جابر فدله على السموءل

يآبنَ حُجر، إنى أراكَ فى خَلَلٍ من قومك وأنا أَنْفَسُ[4] بمثلك من أهل الشرف، وقد كدتَ بالأمس تؤكل فى دار طَيِّئ، وأهلُ البادية أهلُ بَرٍّ لا أهل حصون تمنعهم، و بينك وبين أهــل اليمن ذُؤْبانٌ من قَيْس، أفلا أدلُّك على بلد ! فقد جئتُ قَيْصَرَ ١٥ وجئت النُّعْمانَ فلم أَرَ لضيف نازل ولا لمُجتَــدٍ مثلَه ولا مثلَ صاحبه . قال : من هو وأين منزلُه؟ قال : السَّمَوءلُ بتَيْماءَ، وسوف أضرب لك مَثَله، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذاتَ عَيْنِك، وهو فى حِصْن حَصين وحَسَبٍ كبير . فقال له امرؤ القيس

(١) أولى لك : كلمة توعد وتهديد، وقد تكون كلمة تلهف، يقولها الرجل اذا حاول شيئا فأفلته من بعد ما كاد يصيبه . (٢) الآلة هنا : الحالة . (٣) يريد : ينظر فى أمره و يصلح من شأنه . ٢٠
(٤) أنفس به : أضنّ به .

وكيف لى به ؟ قال : أوصلك إلى من يُوصلك إليــه ؛ فصحبه إلى رجلٍ من بنى فَزارة يقال له الرَّبيع بن ضَبُع الفَزَارى[1] ممن يأتى السموءل فيَحْمِلُهُ ويُعْطيه . فلمّا صار اليه قال له الفَزارىّ : إنّ السموءلَ يعجبه الشعر . فتعالَ نتناشدْ له أشعارا . فقال آمرؤ القيس : قل حتى أقول . فقال الربيع :

قُلْ للمنيَّـــة أىَّ حِينٍ نلتــقِى * بفِناء بيتك فى الحَضِيض المَزْلَقِ

وهى طويلة يقول فيها :

ولقد أتيتُ بَنِى المُصاصِ مُفَاخِرًا * وإلى السمــوءل زُرْتُه بالأَبْلَقِ

فأتيتُ أفضلَ مَنْ تحمَّل حاجةً * إن جئتــه فى غارِمٍ أو مُرْهَقِ

عرفتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ * وحَوَى المكارمَ سابقًا لم يُسْبَقِ

قال : فقال آمرؤ القيس :

طرَقتْك هندٌ بعد طول تجنُّبٍ * وَهْنًا ولم تَكُ قبل ذلك تَطْرُقُ

وهى قصيدة طويلة ، وأظنُّها منحولة لأنها لا تشا كل كلام آمرئ القيس ، والتوليدُ فيها بيِّن ، وما دوّنها فى ديوانه أحد من الثِّقات ؛ وأحسَبها مما صنعه دارمٌ لأنه من ولد السموءل ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا[2] . قال فوفَد الفزارىُّ بآمرئ القيس اليه . فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرةٍ وحشية مرميّةٍ . فلما نظر اليها أصحابُه قاموا فذكَّوْها . فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قنّاصين من بنى ثُعَل[3] . فقالوا لهم : من أنتم؟ فانتسبوا لهم ، وإذا هم من جيران السموءل فانصرفوا جميعا .

وقال آمرؤ القيس :

---

(١) فى المشتبه أنه اختلف فيه هل هو بفتح الراء أو ضمها .

(٢) وردت هذه الجملة هكذا فى الأصول . ولعل صوابها «أو مما صنعه من روى عنه فلم تكتب هنا» .

(٣) ثعل : قبيلة من طيئ .

رُبَّ رامٍ من بنى ثُعَلٍ * مُخْرِجٍ كَفَّيْهِ من قُتَرِهْ[1]

عارضٍ زَوْراءَ من نَشَمٍ * مع باناةٍ على وَتَرِهْ[2]

— هكذا فى رواية ابن دارم . ويُروى "غير باناة" و"تحت باناة" —

إذ أتتْه الوحشُ واردةً * فتثنَّى النزعَ فى يَسَرِهْ[3]

فرماها فى فرائصها * بإزاء الحوض أو عُقُرِهْ[4]

بِرَهِيشٍ من كِنانتِه * كتلظِّى الجمرِ فى شَرَرِهْ[5]

(١) القتر: جمع قترة وهى بيت الصائد الذى يكمن فيه للوحش لئلا تَراه فتنفر منه .

(٢) يقال: عرض الرامى القوس عرضا إذا أضجعها ثم رمى عنها . وزوراء: معوجة . والنشم: شجر تتخذ منه القسى . والرواية التى كتب عنها الشراح هى رواية «غير باناة» والباناة لغة طيئ فى البانية كما يقولون فى ناصية ناصاة وفى قارية قاراة . والبانية من القسى: التى لصق وترها بكبدها حتى كاد ينقطع وترها فى بطنها من لصوقه بها ، وهو عيب . و«على» بمعنى «عن» أى غير بانية عن الوتر . وعلى هذا الوجه يكون «غير» بنصب الراء صفة لزوراء . ويجوز أن يكون بكسر الراء على أنه من صفة الرامى ، يقال رجل باناة وهو الذى يحنى صلبه إذا رمى فيذهب سهمه على وجه الأرض ، وعلى هذا تكون «على» هنا فى موضعها . (٣) واردة: عطاشا . وتثنى: انعطف . ويروى: «فتنحى» و«فتمتى» أى تمطى ومعناه: مدّ ونزع . والنزع الرمى عن القوس . وفى يسره — كما فى شرح ديوانه ، رواية أبى سهل (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢ أدب ش) — أى فى يسر السهم للرمى . قال أبو سهل: يقول القوس فى يساره فاذا اشتدّ يساره تابع مدّه فنفذ السهم أجود وإلا لم ينفذ جيدا . وفى اللسان (مادة يسر) عن الجوهرى أن اليسرة بالتحريك أسرار الكف (خطوطها) إذا كانت غير ملتزقة وهى تستحب . قال شمر: ويقال فى فلان يسر، وأنشد:

* فتمتى النزع فى يسره *

قال: هكذا روى عن الأصمعى وفسره حيال وجهه . ويروى: «فى يسره» بضم الياء وفتح السين جمعا ليسرى ، ويروى «فى يسره» بضمتين جمعا ليسار . (٤) الفرائص: جمع فريصة وهى التى ترعد من الدابة عند مرجع الكتف تتصل بالفؤاد . وإزاء الحوض: مصب الماء فيه . وعقره: موضع الشاربة ، يريد أن هذا الرامى حاذق خبير بالرمى لا يرميها إلا فى مقتل . وخص إزاء الحوض أو عقره لأنه مكان تأمن فيه وتطمئن إليه ، فهو أمكن له فيما يريد منها . (٥) الرهيش: السهم الضامر الخفيف .

راشَه من رِيش ناهضةٍ * ثم أَمْهاه عـلى حَجَره[1]

فهـو لا تَنْمِى رَمِيَّتُـه[2] * ما لَهُ لا عُدَّ من نَفَـره

قال: ثم مضى القومُ حتى قدِموا على السَّموءل، فأنشده الشعرَ، وعرف لهم حقَّهم، فأنزل المرأةَ فى قبّـة أَدَم وأنزل القومَ فى مجلس له بَرَاحٍ؛ فكان عنده ما شاء الله. ثم إنه طلب إليـه أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شَمِر الغَسّانىّ بالشام ليوصله إلى قيصر؛ فآستنجد له رجلا، واستودع[3] عنـده المرأةَ والأدراعَ والمـال، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه. فمضى حتى انتهى الى قيصر؛ فقبِله وأكرمه وكانت له عنده منزلة. فآندسّ رجل من بنى أسد يقال له الطَّمّاح، وكان آمرؤ القيس قد قتل أخًا له من بنى أسد، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفيًا. ثم إن قيصر ضمّ إليه جيشا كثيفا وفيهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فَصَل قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قومُ غدرٍ ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوَك بمن بعثتَ معه. وقال ابن الكلبىّ: بل قال له الطماح: إنّ امرأ القيس غَوِىٌّ عاهرٌ وإنه لـمّـا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسـل ابنتَك ويواصلها، وهو قائل فى ذلك أشعارا يُشَهِّرها بها فى العرب فيفضَحُها ويفضحُك. فبعث اليه حينئذ بحُلّةٍ وَشْيٍ مسمومةٍ منسوجةٍ بالذهب وقال له: إنى أرسلت اليك بحُلّتى التى كنت أَلْبَسُها تَكْرِمَةً لك، فاذا وصلتْ اليك فآلْبَسْها باليُمْن والبركة، واكتب إلىّ بخبرك من منزلٍ منزلٍ. فلـمّـا

طلب الى السموءل ان يكتب له الى الحارث ليوصـله الى قيصر

لـمّـا وصـل الى قيصر دسّ له عنده الطماح حتى سمّـه بحلة خلعها عليه

(١) الناهض الذى وفر جناحه ونهض للطيران. وأدخل الهاء فى ناهضة للمبالغـة أو لأنه أراد الأنثى، كما يقال صقر وصقرة. قال أبو بكر: وخص ريش النواهض لأن ريشها ألين وأطول وريش المسان لا خير فيه. أمهاه: أرقه. وقال أبو عبيدة: أمهاه: سقاه الماء. (٢) أى لا ترتفع من مكانها الذى أصابها فيـه السهم لحذق الرامى؛ يقال: أنميت الصيد فنمى ينمى وذلك أن ترميه فتصيبه و يذهب عنك فيموت بعد ما يغيب. ومعنى لاعد من نفره: أماته الله فلا يعد من قومه، والمراد التعجب منه، كما يقال: قاتله الله فى موضع المدح والتعجب. (٣) فى جـ: «واستودعه».

وصلتْ اليه لبِسها وآشتدّ سرورُه بها، فأسرع فيــه السمّ وسقط جلده، فلذلك سُمّى ذا القُروح، وقال فى ذلك :

لقد طمَح الطمّاح من بُعد أرضه * لِيُلبِسَنى ممّـا يلبَس أبؤسـا [1]

فـلو أنها نفسٌ تموت سَـوِيّةً * ولكنّها نفسٌ تَسـاقَطُ أنفُسا

قال : فلما صار الى بلدة من بلاد الروم تُدْعى أَنْقِرَةَ احتُضِر بها، فقال :

رُبَّ خُطْبــةٍ مُسْحَنْفِرَهْ * وطَعْنــةٍ مُثْعَنْجِـرَهْ [2]

وجَفْنــةٍ متحــيِّرَه * حلّت بأرض أنقـــره

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفنتْ فى سَفْح جبل يقال له عَسيب، فسأل عنها فأُخبر بقصّتها، فقال :

---

(١) فى ديوانه :

وبدلت قرحا داميا بعــد صحــة * لعــل منايانا تحولن أبؤسا

لقــد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسنى من دائه ما تلبسا

(٢) يقال : اسحنفر فى خطبته اذا مضى واتسع فى كلامه . والمثعنجرة : السائلة، يقال : ثعجر الدم فاثعنجر اذا صبه فانصب . والجفنة المتحيرة : المملئة طعاما ودسما . وهذه الشطره الثالثة غير متزنة . وقد ورد هذا الشعر فى مقدمة ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٣ أدب ش :

وطعنــة مثعنجـره * وخطبـة مسحنفــره

وجفنــــة مـدعثره * تبقى غــدا بأنقــره

والجفنة المدعثرة : المثلمــة . وورد فى اللسان (مادة ثعجر) وكتاب الشعر والشعراء وليس فيهما هــذا الشطر؛ ففى اللسان :

رب جفنة مثعنجره * وطعنــة مسحنفره

* تبــق غدا بأنقــره *

وفى الشعر والشعراء :

وطعنــة مسحنفره * وجفنــة مثعنجره

* تبــق غدا بأنقــره *

أجارتَنا إنّ المَزار قريبُ * وإنّي مقيمٌ ما أقام عَسيبُ

أجارتَنا إنّا غريبانِ هاهنا * وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ

٧٤/٨

ثم مات فدُفن إلى جنب المرأة، فقبرُه هناك .

عبد الملك بن عمير يحدث عمر بن هبيرة بحديث عن قيس [؟] بمجيزه

أخبرنى محمد بن القاسم عن مُجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عُمَيْر قال :

٥ قَدِم علينا عمر بن هُبَيْرة الكوفةَ، فأرسل إلى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمَروا عنده ، ثم قال : ليحدِّثنى كلُّ رجل منكم أُحدوثةً وابدأْ أنت يا أبا عمر[1] . فقلت : أصلح الله الأمير ! أحديثَ الحقِّ أم حديثَ الباطل ؟ قال : بل حديثَ الحق . قلت : إنّ امرأ القيس آلَى بأَلِيّة ألّا يتزوّج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين، فجعل يخطب النساء، فإذا سألهنّ عن هذا قلن أربعةَ عشرَ .

١٠ فبينا هو يسير فى جَوْف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً له صغيرةً كأنها البدر ليلةَ تمامه ، فأعجبتْه، فقال لها : يا جارية ! ما ثمانيةٌ وأربعةٌ واثنتان؟ . فقالت : أمّا ثمانيةٌ فأطباءُ الكلبة . وأمّا أربعةٌ فأخلاف الناقة . وأمّا اثنتان فثَدْيا المرأة . فخطبها الى أبيها فزوّجه إيّاها . وشرَطت هى عليه أن تسأله ليلةَ بنائها عن ثلاثِ خِصَال ، فجعل لها ذلك ، وأن يسوق اليها مائةً من الإبل وعشرةَ أعْبـُدٍ وعشرَ وصائف وثلاثةَ

١٥ أفراسٍ ففعل ذلك . ثم إنه بعث عبدًا له إلى المرأة وأهدى إليها نِحْيًا[2] من سمن ونِحْيا من عسل وحُلّةً من عَصْب . فنزل العبد ببعض المياه فنشَر الحُلّةَ ولبسها فتعلّقت بعُشَرَة فانشقّت، وفتح النِّحْيين فطعَم أهلُ الماء منهما فنقصا . ثم قَدِم على حىّ المرأة وهم خُلوفٌ[3] . فسألها عن أبيها وأمّها وأخيها ودفع اليها هديّتَها . فقالت له : أعلِمْ مولاك أن أبى ذهب يُقرِّب بعيدًا ويُبعِّد قريبا ، وأن أمّى ذهبت تَشُقّ النّفس

٢٠ (١) يكنى عبد الملك بن عمير أبا عمر وأبا عمرو . (٢) النحى : الزق .

(٣) خلوف : غيب .

نَفْسَين، وأنّ أخى يراعى الشمس، وأن سماءكم انشقّت، وأنّ وعاءيكم نَضَبا . فقدِم الغلامُ على مولاه فأخبره . فقال : أمّا قولُهــا إنّ أبى ذهب يقرِّب بعيــدا ويبعِّد قريباً، فإنّ أباها ذهب يُحالف قوماً على قومه . وأمّا قولُها ذهبتْ أمّى تشقّ النفس نفسين، فإنّ أمّها ذهبتْ تَقْبَل(١) امرأةً نُفَساء . وأمّا قولُها : إنّ أخى يُراعى الشمس، فإنّ أخاها فى سَرْحٍ له يرعاه فهو ينتظر وُجوبَ الشمس لَيَرُوحَ به . وأمّا قولُها : إن سماءكم آنشقّت، فإن البُرْد الذى بعثتُ به انشقّ . وأمّا قولُها إن وعاءيكم نَضَبا، فإنّ النِّحيين اللّذين بعثتُ بهما نقصا، فآصْدُقْنى . فقال: يامولاى، إنى نزلت بماء من مياه العرب، فسألونى عن نسبى فأخبرتُهم أنّى ابن عمّك، ونشرتُ الحُلّة فآنشقّتْ، وفتحتُ النِّحيين فأطعمتُ منهما أهلَ المــاء . فقال: أَوْلَى لك! . ثم ساق مائةً من الإبل وخرج نحوَها ومعه الغلامُ، فنزلا منزلاً . فخرج الغلام يسقى الإبل فعجَز، فأعانه امرؤ القيس، فرمى به الغلام فى البئر، وخرج حتى أتى المرأةَ بالإبل، وأخبرهم أنه زوجُها. فقيل لها : قد جاء زوجكِ. فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ! ولكن انحَروا له جَزُورا وأطعِموه من كَرِشها وذَنَبها ففعلوا . فقالت : اسقوه لبناً حازراً (وهو الحامض) فسقَوْه فشرب . فقالت : آفرُشُوا له عند الفَرْث(٢) والدم، ففرَشوا له فنام . فلما أصبحتْ أرسلتْ اليه: إنى أريد أن أسألك. فقال: سَلِى عمّا شئتِ. فقالت : مِمَّ تختلج شَفَتاك ؟ قال : لتقبيلى إيّاك . قالت : فمِمَ يختلج كَشْحاك ؟ قال: لالتزامى إيّاك. قالت: فمِمَ يختلج فَخِذاك؟ قال: لتورُّكى إيّاك. قالت: عليكم العبدَ فشُدُّوا أيديَكم به ، ففعلوا . قال : ومرّ قومٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع الى حَيِّــه، فاستاق مائةً من الإبل وأقبل الى امرأته. فقيل لهــا : قد جاء

(١) يقال : قبلت القــابلة المرأة إذا تلقت ولدها عند ولادته .

(٢) الفرث : السرجين ما دام فى الكرش .

زوجُك . فقالت : والله ما أدرى أهو زوجى أم لا ، ولكن انحَروا له جَزُوراً فأطعِموه من كَرِشها وذَنَبها ففعلوا . فلما أتَوْه بذلك قال : وأين الكَبِد والسَّنام والمَلْحاء[1]! فأبَى أن يأكل. فقالت: اسقُوه لبنًا حازرا . فأبى أن يشربه وقال: فأين الصَّريف[2] والرَّثيئة! . فقالت : افرُشوا له عند الفَرْث والدم . فأبى أن ينام وقال : افرشوا لى فوقَ التَّلْعة الحمراء، واضربوا عليها خِبَاء . ثم أرسلت إليه : هَلُمَّ شَريطتى عليك فى المسائل الثلاث. فأرسل اليها أن سَلِى عمّا شئتِ. فقالت: ممّ تختلج شَفَتاك قال : لشربى المُشَعْشَعات . قالت : فمَّ يختلج كَشْحاك، قال : لِلُبْسى الحِبَرات. قالت : فمَّ تختلج فَخِذاك ؟ قال: لِرَكْضى المُطَهَّمات. فقالت: هذا زوجى لَعَمْرى! فعليكم به، واقتلوا العبد، فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية . فقال ابن هُبَيْرة : حَسْبُكم! فلا خيرَ فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو؛ ولن تأتينا بأعجب منه . فقمنا وانصرفنا . وأمر لى بجائزة .

مفاوضات امرئ القيس وقبائل أسد بعد موت حجر

نسخت من كتاب جَدِّى يحيى بن محمد بن ثَوَابة بخطّه رحمه الله حدّثنى الحسن ابن سعيد عن أبى عُبَيْدة قال أخبرنى سِيبَوَيْه النحوى أنّ الخليل بن أحمد أخبره قال:

قدِم على امرئ القيس بن حُجْر بعد مقتل أبيه رجالٌ من قبائل بنى أَسَد كهولٌ وشُبّان، فيهم المُهَاجِر بن خِدَاش ابن عمّ عَبِيد بن الأبرص، وقَبِيصة بن نُعَيْم، وكان فى بنى أسد مقيما وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وِرْدًا وإصدارًا[3] يعرف ذلك له من كان محيطا بأكناف بلده من العرب. فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدّم بإكرامهم والإفضال عليهم، واحتجب عنهم ثلاثا . فسألوا من حضرهم من رجال كِندة،

(١) الملحاء : لحم فى الصلب من الكاهل الى العجز من البعير . (٢) الصريف : الحليب الحار ساعة يصرف عن الضرع . والرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته .

(٣) كان ينبغى أن يكون « ... بمواقع الامور إيرادا وإصدارا » أو « ... ورداً وصدراً » .

فقال : هو فى شُغْل بإخراج ما فى خزائن حُجْر من السِّلاح والعُدّة . فقالوا : اللّهم غَفْرًا، إنما قَدِمنا فى أمر نتناسى به ذكر ما سلَف ونستدرك به ما فرَط، فليُبلِّغْ ذلك عنّا. فخرج عليهم فى قَباء وخُفّ وعمامة سوداء، وكانت العرب لا تعتمّ بالسّواد إلّا فى التِّرات . فلمّا نظروا إليه قاموا له، وبدَر إليه قَبيصةُ : إنك فى المحلّ والقَدْر والمعرفة بتصرُّف الدهر وما تُحْدِثه أيّامه وتنتقل به أحواله بحيث لا تحتاج الى تبصير واعظ ولا تذكرة مجرِّب . ولك من سؤدُد منصِبك وشَرَف أعراقك وكرم أصلك فى العرب مُحْتَمَلٌ يحتمل ما حُمِل عليه من إقالة العَثْرة، ورجوع عن هفوة. ولا تتجاوز الهِمَمُ إلى غاية إلّا رجعتْ إليك فوجدتْ عندك من فضيلة الرأى وبصيرة الفهم وكرم الصفح فى الذى كان من الخَطْب الجليل الذى عمّت رَزِيّته نِزارًا واليمن، ولم تَخْصُص كِنْدةَ بذلك دونَنا للشَّرَف البارع . كان لحُجْرٍ التاجُ والعِمّة فوق الجبين الكريم وإخاءُ الحمد وطِيبُ الشِّيَم . ولو كان يُفْدَى هالكٌ بالأنفس الباقية بعده لما بَخِلتْ كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه، ولكن مضى به سبيل لا يَرجِع أولاه على أُخراه ولا يَلْحَق أقصاه أدناه . فأحمدُ الحالات فى ذلك أن تعرف الواجبَ عليك فى إحدى خلال : إمّا أن اخترتَ من بنى أسد أشرفَها بيتا، وأعلاها فى بناء المَكْرُمات صَوْتًا، فقُدْناه اليك بنِسْعه[1] تذهبُ مع شَفَرات حُسَامك قَصَدَتُه[2] فيقول رجلٌ : امتُحِن بهُلْك عَزيز فلم تُسْتَلّ سَخيمتُه إلا بتمكينه من الانتقام؛ أو فداءً بما يَرُوح من بنى أسد من نَعَمِها فهى أُلُوفٌ تجاوز الحِسْبة فكان ذلك فداءً رجعتْ به القُضُب إلى أجفانها لم يَرْدُدْه تسليط الإِحَن على البُرَءاء؛ وإما أن

(١) النسع : سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره . وفى الحديث « يجر نسعة فى عنقه » .

(٢) كذا فى جـ . والقصدة : العنق . وفى سائر الأصول : « قصيدته » وهو تصغير « قصدة » وقد ورد فى الأصول : هكذا : « تذهب مع شفرات حسامك تناثى قصيدته » . ولم نفهم لكلمة « تناثى » هاهنا معنى .

تُوادِعَنا حتى تضع الحوامِلُ فنَسْدُل الأُزُرَ ونعقد الخُمُرَ فوق الرايات . قال : فبكى ساعةً ثم رفع رأسه فقال : لقد علمت العربُ أنْ لا كُفْءَ لِحُجْر فى دم ، وإنى لن أعتاض به جملًا أو ناقةً فأكتسبَ بذلك سُبَّةَ الأبد وفَتَّ العَضُد . وأمّا النَّظِرة[1] فقد أوجبتْها الأجِنَّةُ فى بطون أُمّهاتها ، ولن أكون لعَطَبها سببا ، وستعرفون طلائع كِنْدةَ من بعد ذلك ، تحمل القلوب حَنَقا وفوق الأسِنّة عَلَقا[2] :

إذا جالت الخيل فى مأزِقٍ * تُصافِحُ[3] فيه المنايا النفوسا

أتُقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار لمكروه وأذيّة ، وحرب وبَليّة . ثم نَهضوا عنه ، وقَبِيصةُ يقول متمثّلا :

لعلك أن تستوخم[4] الموتَ إن غدتْ * كتائبُنا فى مأزِق الموت تَمْطُرُ[5]

فقال آمرؤ القيس : لا والله لا أستوخمه ، فرويدًا ينكشفْ لك دُجاها عن فُرسان كِندة وكتائب حِمْيَر . ولقد كان ذكر غير هذا أولى بى إذ كنتَ نازلًا بِرَبْعى ، ولكنك قلتَ فأجبتُ . فقال قَبِيصة : ما نتوقّع فوق قدر المعاتبة والإعتاب . قال آمرؤ القيس : فهو ذاك .

أصوات معبد المعروفة بألقابها وهى خمسة

أصوات معبد الخمسة وألقابها

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرنى إسماعيل بن يونس الشّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبَة عن إسحاق :

---

(١) النظرة : الإمهال . (٢) العلق : الدم . (٣) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « تدافع » . (٤) استوخم الشىء : لم يستمرئه . (٥) لعلها « تخطر » .

أن مَعْبدا كان يسمّى صوته :

* هُرَيْرَةَ ودّعها وإن لام لائم *

الدَّوّامةَ لكثرة ما فيه من الترجيع . ويسمّى صوته :

* عاود القلبَ من تذكُّرِ جُمْلِ *

المُنَمْنَم . ويسمّى صوته :

* أمِنْ آل ليلى بالمَلَا مُتَرَبَّعُ *

معقّصات القُرون أى يحرك خُصَلَ الشعر . ويسمّى صوته :

[* جعل الله جعفرا لك بَعْلَا * (1)

المتبختر . ويسمى صوته :]

ضوءُ بَرْقٍ بدا لعينيك أم شَبَّتْ بذى الأَثْلِ من سَلَامَةَ نارُ (1)

[مقطِّع الأثفار] (1) .

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

هُرَيْرَةَ وَدِّعْها وإن لام لائمُ * غداةَ غدٍ أم أنت للبَيْن واجمُ

لقد كان فى حولٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُه * تقضّى لُبانات ويسأم سائمُ

مُبَتَّلةٌ هَيْفاءُ رُودٌ شبابُها * لها مقلتا رِيمٍ وأسودُ فاحمُ

ووجهٌ نقىُّ اللّون صافٍ يَزينه * مع الحَلْىِ لَبّاتٌ لها ومَعاصِمُ

الواجم : الساكت المُطرِق من الحزن ، يقال : وَجَم يجِم وُجُوما . وقوله : « لقد كان فى حول ثواء ثويته » : قال الكوفيون : أراد لقد كان فى ثواء حول ثويته ، فجعل ثواء بدلا من حول . وأخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام عن يونس قال : كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى :

* لقد كان فى حول ثواء ثويته *

(1) التكلة أثبتناها من بيان نسبة الأصوات فيا يأتى ص ١٣٢

جدًّا و يقول: ما أعرف له معنى ولا وجهًا يصحّ. قال أبوحليفة : وأمّا أبو عبيدة فإنه قال : معناه لقد كان فى ثواء حول ثويته . واللُّبانات والمآرب والحوائج والأوطار واحد . والمبتّلة : الحسنة الخَلق . والهَيْفاء : اللطيفة الخَصْر . والرِّئم : الظبى . والفاحم : الشديد السواد . وقال : لبّاتٌ لها و إنما لها لَبّة واحدة ولكنّ العرب تقول ذلك كثيرا، يقال : لها لَبّاتٌ حِسَانٌ، يراد اللّبّةُ وما حولها . والمعاصم : موضع الأسْوِرَة، وواحدها مِعْصَم .

الشعر للأعشى . والغناء لَمْعبد، وله فيه لحنان، أحدهما وهو الملقَّبُ بالدوّامة خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر ثقيل عن الهشامىّ وابن خُرْداذْبَة .

أخبار الأعشى ونسبه

نسبه وكنيته

الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن أفصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . ويكنى أبا بصير. وكان يقال لأبيه قيس بن جندل قتيل الجوع؛ سمى بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحرّ، فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدّت فم الغار فمات فيه جوعا . فقال فيه جهنّام وآسمه عمرو وهو من قومه من بنى قيس بن ثعلبة يهجوه وكانا يتهاجيان :

لقب أبيه قتيل الجوع

أبوك قتيلُ الجوعِ قيسُ بن جندلٍ * وخالُك عبدٌ من خُماعة راضعُ[1]

شاعر جاهلى

وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدّم على سائرهم؛ وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا فى غيره .

أشعر الناس إذا طرب

أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال سألت يونس النحوى : من أشعرُ الناس ؟ قال : لا أومئُ الى رجل بعينه ولكنى أقول : آمرؤ القيس إذا غضب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب .

أخبرنى ابن عمّار عن ابن مهرويه عن حذيفة بن محمد عن ابن سلّام بمثله .

قبيلته أشعر القبائل عند حسان

أخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصبّاح عن ابن الكلبىّ عن أبيه وأبى مسكين

(١) خماعة : بطن من العرب سموا باسم خماعة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة . والراضع : اللئيم .

أن حسّانا سُئل : من أشعرُ الناس ؟ فقال : أشاعر بعينه أم قبيلة؟ قالوا : بل قبيلة. قال : الزُّرق من بنى قيس بن ثعلبة. وهذا حديث يُروى أيضاً عن غير حسان.

فاخر ابن شفيع بقبيلة بنى ثعلبة عبد العزيز ابن زرارة

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار عن ابن مَهْرويه قال حدّثنا عبدة بن عِصْمة عن فِراس بن خِنْدِف عن علىّ بن شفيع قال :

إنى لواقف بسوق حَجْر[1] إذ أنا برجل من هيئته وحاله عليه مُقطَّعاتُ خَزٍّ وهو على نجيب مَهْرِىّ عليه رَحْل لم أرَ قطّ أحسنَ منه وهو يقول : من يُفاخرنى من يُنافرنى ببنى عامر بن صعصعة فُرسانًا وشعراءَ وعددًا وفعالًا ؟ ! قلت : أنا . قال : بمن ؟ قلت : ببنى ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل . فقال : أمَا بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المنافرة ؟ ثم ولّى هاربا . قلت : مَنْ هذا ؟ قيل : عبد العزيز بن زُرارة بن جَزْء بن سُفْيان الكلابىّ .

هو صناجة العرب

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال :

٧٨
—
٨

قال أبو عُبيدة : مَنْ قدّم الأعشى يحتجّ بكثرة طِواله الجياد وتصرّفه فى المديح والهجاء وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره . ويقال : هو أوّل من سأل بشعره، وانتجع به أقاصىَ البلاد . وكان يُغَنَّى فى شعره، فكانت العرب تُسمّيه صَنّاجةَ العرب .

أخبرنى المُهلّبىّ والجَوْهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال : سمعت خَلّادًا الأرْقَط يقول سمعت خَلَفًا الأحمرَ يقول :

لا يُعرف مَنْ أشعرُ الناس كما لا يُعرف مَنْ أشجعَ الناس ولا مَنْ كذا ولا من كذا، لأشياء ذكرها خَلَف ونسيتُها أنا . أبو زيد عمر بن شبّة يقول هذا .

(١) حجر : مدينة باليمامة .

كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدى قال حدّثنى عمّى يوسف قال حدّثنى عمّى إسماعيل بن أبى محمد قال أخبرنى أبى قال: سمعت أبا عمرو بن العَلاء يقدّم الأعشى.

سئل مروان بن أبى حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره

وقال هشام بن الكلبىّ أخبرنى أبو قَبِيصة المُجاشعىّ أن مَرْوانَ بن أبى حَفْصة سئل: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: الذى يقول:

كِلَا أبَوَيْكم كان فرعَ دِعَامةٍ * ولكنّهم زادوا وأصبحتَ ناقصا ٥

يعنى الأعشى.

قدمه حماد على جميع الشعراء حين سأله المنصور عن ذلك

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى قال قال سَلَمة بن نَجَاح أخبرنى يحيى بن سُليم الكاتب قال:

بعثنى أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة(1) إلى حمّاد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء. قال: فأتيت بابَ حمّاد فاستأذنت وقلت: ياغلام! فأجابنى إنسانٌ من أقصى ١٠ بيتٍ فى الدار فقال: مَنْ أنت؟ فقلت: يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين. قال: ٱدخل رحِمَك الله! فدخلتُ أتَسمَّتُ(2) الصوتَ حتى وقفتُ على باب البيت، فإذا حمّادٌ عُرْيانٌ على فَرجِه دَسْتَجةُ(3) شاهِسْفَرْم. فقلت: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس. فقال: نعم! ذلك الأعشى صَنّاجُها.

أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال سمعت أبا عُبَيدة يقول ١٥ سمعت أبا عمرو بن العَلاء يقول: عليكم بشعر الأعشى؛ فإنى شبَّهتُه بالبازى يَصيد ما بين العَنْدَليب الى الكُرْكىّ.

(1) لعل الأصل: «بعثنى أبو جعفر أمير المؤمنين الى حماد الراوية بالكوفة ... الخ».

(2) تسمت الشىء: قصد نحوه. (3) كذا فى أ وشفاء الغليل. والدستجة: الحزمة. والشاهسفرم: نوع من الريحان يقال له الريحان السلطانى، فارسى معرب. وفى سائر الأصول: «دستجة شاهسفره» وهو تحريف. ٢٠

وضعه جسى فى المرتبة الثالثة بعد آمرئ القيس وطرفة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال سمعت أبا عُبيدة يقول: بلغنى أن رجلًا من أهل البَصْرة حجّ — وروى هذا الحديثَ آبنُ الكلبىّ عن شُعيب بن عبد الرحمن أبى معاوية النحوىّ عن رجل من أهل البَصْرة أنه حجّ — قال فإنى لأسيرُ فى ليلة إضْحِيَانة[1] إذ نظرتُ إلى رجلٍ شابٍّ راكبٍ على ظَليم قد زمّه ٥ بخطامه وهو يذهب عليه ويجىء، وهو يرتجز ويقول:

هل يُبْلِغَنّيهم إلى الصَّبَاحْ ❊ هِقْلٌ[2] كأنّ رأسه جُمّاحْ

— الجُمّاح: أطراف النبت الذى يسمى الحَلِىّ وهو سُنْبُله، إلا أنه ليس بخَشِن[3] يُشْبِه أذنابَ الثعالب[4]. قال: والجُمّاح أيضا سُهَيم يلعب به الصِّبْيان يجعلون مكان زُجّه طيناً — قال: فعلمتُ أنه ليس بإنسىّ، فآستوحشتُ منه. فتردّد علىّ ذاهبًا ١٠ وراجعًا حتى أنِستُ به، فقلت: مَنْ أشعرُ الناس يا هذا؟ قال: الذى يقول:

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلّا لتضربى ❊ بسَهْمَيْك فى أعشار قلبٍ مُقَتَّلِ

قلت: ومَنْ هو؟ قال: آمرؤ القيس. قلت: فمن الثانى؟ قال: الذى يقول:

تَطْرُدُ القُرَّ بحَرٍّ ساخنٍ ❊ وعَكِيكَ[5] القَيْظ إن جاء بقُرّ

٧٩ / ٨

قلت: ومن يقوله؟ قال: طَرَفَةُ. قلت: ومَنِ الثالث؟ قال: الذى يقول:

١٥ وتَبْرُدُ بَرْدَ رِداء العَرُو ❊ سِ بالصَّيْف رَقْرَقْتَ[6] فيه العَبِيرا

قلت: ومَنْ يقوله؟ قال: الأعشى؛ ثم ذهب به.

---

(١) ليلة إضحيانة: مضيئة. (٢) الهقل: الفتىّ من النعام. (٣) فى الأصول: «بحسن» وهو تصحيف. (٤) ذنب الثعلب: نبات على هيئة أذناب الثعالب. (٥) العكيك: صفة من العك أو العكك وهو شدة الحر فى سكون الريح. وورد البيت فى اللسان ٢ وفيه لفظة «صادق» بدل «ساخن». يصف جارية بأنها تطرد عن ملتزمها شدة برد الشتاء بحرارتها، وتطرد عنه شدة قيظ الصيف بطراوتها. (٦) رقرق الطيب فى الثوب: أجراه فيه.

هو أستاذ الشعراء فى الجاهلية وجرير أستاذهم فى الإسلام

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنى أبو عَدْنان قال وقال لى يحيى ابن الجَوْن العَبْدىّ راويةُ بشّار : نحن حاكةُ الشّعر فى الجاهليّة والإسلام ونحن أعلم الناس به، أعشى بنى قيس بن ثَعْلَبة أستاذ الشعراء فى الجاهليّة، وجرير بن الخطَفى أستاذهم فى الإسلام .

حديث الشعبى عنه

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال .

قال الشَّعْبىُّ : الأعشى أغزلُ الناس فى بيت، وأخنثُ الناس فى بيت، وأشجع الناس فى بيت . فأمّا أغزلُ بيتٍ فقوله :

غَرّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها * تَمْشى الهُوَيْنَى كما يمشى الوَجِى الوَحِلُ[(1)]

وأمّا أخنثُ بيت فقوله :

قالت هُرَيْرةُ لمّا جئتُ زائرَها * وَيْلى عليك وويْلِى منك يا رجل

وأمّا أشجعُ بيت فقوله :

قالوا الطِّرادَ فقلنا تلك عادتُنا * أوْ تنزلون فإنا مَعْشَرٌ نُزُلُ

حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيجيب من شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويه عن ابن أبى سعد قال ذكر الهَيْثم بن عدىّ أن حمّادا الراوية سُئل عن أشعر العرب، قال الذى يقول :

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيْحان مُتّكئًا * وقَهْوةً مُزّةً[(2)] راوُوقُها خَضِلُ

كان قدريا وكان لبيد مثبتا

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أبو علىّ العَنَزىّ قال حدّثنى محمد ابن معاوية الأَسَدىّ قال حدّثنى رجلٌ عن أَبَانَ بن تَغْلِب عن سِمَاك بن حَرْب قال قال لى يحيى بن مَتّى راويةُ الأعشى وكان نَصْرانيًّا عَبَاديًّا وكان مُعَمَّرًا قال :

(١) الوجى : وصف من الوجى ، وهو أن يجد ألما فى رجليه عند المشى . والوحل : الذى يمشى فى الوحل .

(٢) المزة والمزاء : التى فيها مزازة . والراووق : الباطية ، أى إناء الخمر . واستعمال الراووق فى الباطية قليل . والمعروف أن الراووق المصفاة التى تروق وتصفى بها الخمر . والخضل : الدائم الندى .

كان الأعشى قَدَرِيًّا[1] وكان لَبِيدٌ مُثْبِتًا . قال لبيد :

مَنْ هَدَاه سُبُلَ الخيرِ اهتدى * ناعِمَ البالِ ومَنْ شاء أَضَلّْ

وقال الأعشى .

إستأثر اللهُ بالوفاء وبالـ * ـعَدْلِ ووَلَّى المَلامةَ الرَّجُلَا

قلت : فمن أين أخذ الأعشى مذهبَه ؟ قال : من قِبَل العِبَاديّين نصارى الحيرة ، كان يأتيهم يشترى منهم الخمر فلقّنوه ذلك .

هريرة عشيقته

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىُّ قال حدّثنا أبو شُرَاعة فى مجلس الرِّياشىِّ قال حدّثنا مشايخ بنى قَيْس بن ثَعْلَبة قالوا :

كانت هُرَيْرة التى يشبِّب بها الأعشى أَمَةً سَوْدَاءَ لحَسّان بن عمرو بن مَرْثَد .

وأخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عُبيدة عن فِراس بن الخِنْدِف قال :

كانت هُرَيْرةُ وخُلَيْدةُ أختين قَيْنتَيْن كانتا لبشر بن عمرو بن مَرْثَد ، وكانتا تغنِّيانه النَّصْبَ[2] ، وقَدِم بهما اليمامةَ لمّا هرَب من النُّعمان . قال ابن دُرَيْد فأخبرنى عمّى عن ابن الكلبىّ بمثل ذلك .

مدح المحلق الكلابى ودكرَبناته فتزوّجن

وأخبرنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىُّ عن الرِّياشىِّ مما أجازه له عن العُتْبِىِّ عن رجل من قيس عَيْلان قال :

٨٠ / ٨

كان الأعشى يُوافِى سُوقَ عُكَاظ فى كلّ سنة ، وكان المُحَلَّق الكلابىُّ مِئْناثًا[3] مُمْلِقًا . فقالت له امرأته : يا أبا كِلاب ، ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر !

(١) القدرية : جاحدو القدر أى ينكرون أن الله قدّر على عباده الشر، وهو ماذهبت اليه فرقة من المسلمين يقال لهم المعتزلة . (٢) النصب : ضرب من أغانى العرب شبيه بالحداء .

(٣) المئناث : الذى اعتاد أن يلد الإناث .

فما رأيتُ أحداً اقتطعه الى نفسه إلا وأكسبه خيرا . قال: وَيْحَك! ما عندى إلا ناقتى وعليها الحَمْل! . قالت: الله يُخْلِفُها عليك . قال : فهل له بُدٌّ من الشَّراب والمُسُوح[1]؟ قالت : إنّ عندى ذخيرةً لى ولعلِّى أن أجمعَها . قال : فتلقّاه قبل أن يسبِق اليه أحدٌ وابنُه يقوده فأخذ الخِطام؛ فقال الأعشى : مَنْ هذا الذى غلَبنا على خِطَامنا ؟ قال : المحلّق . قال : شريفٌ كريم؛ ثم سلّمه اليه فأناخه؛ فنحَر له ناقته وكشَط له عن سَنامِها وكَبِدها ، ثم سقاه ، وأحاطت بناته به يَغْمِزنه ويَمْسَحْنه . فقال : ما هذه الجوارى حَوْلِى ؟ قال : بناتُ أخيك وهنّ ثمانٍ شَرِيدتُهن قليلة . قال : وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئا . فلما وافى سوقَ عُكَاظ إذا هو بسَرْحةٍ قد آجتمع الناس عليها وإذا الأعشى يُنْشِدهم :

لعمرى لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ * الى ضوء نار باليَفَاع تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لمقرورَيْن يصطليانها * وبات على النار النَّدَى والمُحَلَّقُ
رَضِيعَىْ لِبانِ ثَدْيِ أُمٍّ تحالفا * بأسْحَمَ[2] داجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ

فسلّم عليه المحلّق؛ فقال له: مَرْحَبا ياسيّدى بسيّد قومه . ونادى : يا معاشر العرب، هل فيكم مِذْكارٌ[3] يزوِّج آبنه الى الشريف الكريم ! . قال : فما قام من مقعده وفيهنّ مخطوبةٌ إلا وقد زوّجها . وفى أول القصيدة غناء وهو :

صوت

أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ * وما بىَ من سُقْمٍ وما بِى مَعْشَقُ
ولكن أُرانى لا أزال بحادثٍ * أُغادَى بما لم يُمْسِ عندى وأُطْرَقُ

(١) المسوح : جمع مسح وهو كساء من شعر كثوب الرهبان .
(٢) بأسحم داج : قيل المراد به الليل، وقيل سواد حلمة الثدى، وقيل الرحم . وعوض : أبدا . يقول : هو والندى رضعا من ثدى واحد وتحالفا ألا يتفرقا أبدا . (راجع لسان العرب مادة عوض) .
(٣) المذكار : الذى اعتاد أن يلد الذكور .

غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أول بالسّبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيــه لحنٌ ليونس من كتابه غيرُ مجنّس . وفيه لابن سُرَيْج ثقيلٌ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو .

اسم المحلق الكلابى وسبب كنيته وسبب اتصاله بالأعشى

أخبرنى أبو العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى عُبيد الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابىّ عن المُفَضّل قال :

اِسم المحلّق عبدُ العُزّى[1] بن حَنْتَم بن شَــدّاد بن رَبيعــة بن عبــد الله بن عُبيد وهو أبو بكر بن كِلاب بن رَبيعــة بن عامر بن صَعْصعة . وإنمـا سُمّى مُحَلّقًا لأن حِصانًا له عضّه فى وجنته فحلّق فيه حَلْقة .

قال : وأنشد الأعشَى قصيدته هذه [كِسْرَى][2] ففُسّرت له ؛ فلما سمعها قال : إنْ كان هذا سهِر لغير سُقْم ولا عِشْق فما هو إلا لصّ .

وذكر علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ فى خبر المحلّق مع الأعشَى غيرَ هذه الحكايات ، وزعم أن أباه حدّثه عن بعض الكِلابيّين من أهل البادية قال :

كان لأبى المحلّق شَرَفٌ فمات وقد أتلف مالَه ، وبقى المحلّق وثلاثُ أخواتٍ له ولم يترك لهم إلا ناقةً واحدة وحُلّتىْ بُرودٍ حِبَرة كان يشهد فيهما الحقوق[3] . فأقبــل الأعشى من بعض أســفاره يريد منزلَه باليمــامة ، فنزل المــاءَ الذى به المحلّق ، فقراه أهلُ المــاء فأحسنوا قِرَاه . فأقبلت عمّة المحلّق فقالت : يابنَ أخى ! هذا الأعشى قــد نزل بمائنا وقد قراه أهلُ المــاء ، والعرب تزعم أنه لم يمدَح قومًا إلّا رفعهم ،

٨١/٨

(١) فى الأصول : «عبد العزيز بن خيثم» . والتصويب عن شرح القاموس (مادة حلق وحنتم) .

(٢) تكملة عن كتاب الشــعر والشعراء .

(٣) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « إلا ناقة واحدة وحلى برود جيدة كان يسة بها الحقوق » وهو تحريف .

ولم يهجُ قومًا إلا وضعهم؛ فانظر ما أقول لك واحتَلْ فى زِقٍّ من خمر من عند بعض التُّجّار فأرسِلْ اليه بهذه الناقة والزِّقّ وبُرْدَىْ أبيك؛ فوالله لئن اعتلج الكَبِدُ والسَّنام والخمرُ فى جوفه ونظر إلى عِطْفيه فى البردين، ليقولنّ فيك شعرًا يرفعك به. قال: ما أملك غير هذه الناقة، وأنا أتوقّع رِسْلها (١). فأقبل يدخل ويخرج ويَهُمّ ولا يفعل؛ فكلّما دخل على عمّته حضّته؛ حتى دخل عليها فقال: قد ارتحل الرجلُ ومضى. قالت: الآنَ واللهِ أحسنُ ما كان القِرَى! نُتْبِعه ذلك مع غلام أبيك — مولًى له أسودَ شيخ — فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائبًا عن الماء عند نزوله إيّاه، وأنّك لمّا وردتَ الماءَ فعلمتَ أنه كان به كرِهتَ أن يفوتك قِراه؛ فإنّ هذا أحسن لموقعه عنده. فلم تزل تحضُّه حتى أتى بعضَ التّجار فكلّمه أن يُقرِضه ثمن زقّ خمر وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه؛ فوجّه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه؛ فكلما مرّ بماء قيل: ارتحل أمسِ عنه، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحة اليمامة فوجد عنده عدّةً من الفِتيان قد غدّاهم بغير لحم وصَبَّ لهم فَضِيخًا (٢) فهم يشربون منه، إذ قُرِع الباب فقال: انظروا مَنْ هذا؟ فخرجوا فإذا رسول المحلَّق يقول كذا وكذا. فدخلوا عليه وقالوا: هذا رسول المحلَّق الكلابىّ أتاك بكيت وكيت. فقال: وَيْحكم! أعرابىٌّ والذى أرسل إلىّ لا قَدْرَ له! والله لئن اعتلج الكبِدُ والسَّنام والخمر فى جوفى لأقولنّ فيه شعرًا لم أقل قطُّ مثلَه. فواثبه الفتيان وقالوا: غبتَ عنّا فأطلتَ الغَيْبة ثم أتيناك فلم تُطعمنا لحمًا وسقيتَنا الفَضيخَ واللَّحمُ والخمرُ ببابك، لا نرضى بذا منك. فقال: ائذنوا له؛ فدخل فأدّى الرسالة وقد أناخ الجَزُورَ بالباب ووضع الزِّقّ والبردين بين يديه. قال: أقْرِه السلامَ وقل له: وصَلَتْك رَحِمٌ، سيأتيك ثناؤنا.

---

(١) الرسل: اللبن. (٢) الفضيخ: شراب يتخذ من بسر مفضوخ وهو أن يجعل التمر فى إناء ثم يصب الماء الحار عليه حتى تستخرج حلاوته.

وقام الفتيان الى الجزور فنحروها وشقّوا خاصرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاءوا بهما، فأقبلوا يَشْوُون، وصَبُّوا الخمر فشربوا، وأكل معهم وشرب ولبس البُرْدين ونظر إلى عِطْفيه فيهما فأنشأ يقول :

* أرِقتُ وما هذا السهادُ المؤرِّق *

حتى انتهى الى قوله :

أبا مِسْمَعٍ سار الذى قد فعلتمُ * فأنجدَ أقوامٌ به ثم أعْرَقوا[1]

به تُعْقَد الأحمالُ فى كلِّ منزلٍ * وتُعْقَد أطرافُ الحبالِ وتُطْلَق[2]

قال : فسار الشِّعر وشاع فى العرب . فما أتتْ على المحلَّق سنةٌ حتى زَوّج أخواته الثلاثَ كلَّ واحدة على مائة ناقة، فأَيْسر وشَرُف .

وذكر الهَيْثم بن عَدِىّ عن حَمّاد الراوية عن مَعْقِل عن أبى بكر الهلالىّ قال :

خرج الأعشى الى اليمن يريد قيسَ بن معديكرب، فمرَّ ببنى كِلاب، فأصابه مطرٌ فى ليلة ظَلْماء، فأوَى الى فتًى من بنى بكر بن كِلاب، فبصُر به المحلَّق وهو [عبد العُزّى بن] حَنْتَم بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبد الله بن عُبَيد بن كِلاب وهو يومئذ غلامٌ له ذُؤابة، فأتى أُمَّه فقال : يا أُمَّهْ ! رأيت رجلًا أخلِقْ به أن يَكْسِبَنا مجدًا . قالت : وما تريد يا بُنَىّ ؟ قال : نَضيفه اللَّيلةَ . فأعطته جِلْبابَها فاشترَى به عَشيرًا[3] من جَزُور وخمرًا ؛ فأتى الأعشَى، فأخذه اليه، فطعِم وشرِب واصطلى، ثم اصطبح فقال فيه :

(١) أعرقوا : أتوا العراق . (٢) الرواية فى تجريد الأغانى :

به توضع الأحلاس فى كل منزل * وتعقد أطراف النسوع وتطلق

والأحلاس : جمع حلس وهو كل شىء ولى ظهر الدابة والبعير تحت الرحل والسرج والقتب .

(٣) العشير : جزء من عشرة أجزاء كالعشر .

* أرقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّق *

والرواية الأولى أصح .

سألته امرأة أن يشبب ببناتها فشبب بهن فزوجن

أخبرنى أحمد بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز عن الأصمعىّ قال حدّثنى رجل قال :

جاءت امرأة الى الأعشى فقالت: إن لى بنات قد كسَدن علىّ، فشبِّبْ بواحدة منهنّ لعلها أن تَنْفُق . فشبَّبَ بواحدة منهنّ، فما شعَر الأعشى إلا بجزور[1] قد بُعِثَ به اليه . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : زُوِّجتْ فلانةُ . فشبّبَ بالأخرى فأتاه مثلُ ذلك ، فسأل عنها فقيل : زُوِّجتْ . فما زال يُشبِّب بواحدة فواحدة منهنّ حتى زُوِّجنَ جميعا .

أسره رجل من كلب كان قد هجاه فاستوهبه منه شريح بن السموءل

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن أبى سَعيد الأموىّ عن محمد بن السائب الكلبىّ قال :

هجا الأعشى رجلًا من كَلْب فقال :

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم * ولستَ من الكرام بنى عُبَيْدِ
ولا من رَهْط جبّارِ بن قُرْطٍ * ولا من رَهْط حارثةَ بن زيد

— قال: وهؤلاء كلُّهم من كلب — فقال الكلبىّ: لا أبا لك! أنا أشرف من هؤلاء. قال: فسبّه الناس بعدُ بهجاء الأعشى إيّاه، وكان متغيّظا عليه. فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأسَر منهم نَفَرًا وأسر الأعشى وهو لا يعرفه، ثم جاء حتى نزل بشُرَيْح ابن السموءل بن عَادِياء الغَسّانىّ صاحبِ تَيْمَاءَ بحِصْنه الذى يقال له الأَبْلَق . فمرّ شُرَيْحٌ بالأعشى؛ فناداه الأعشى :

---

(١) الجزور يقع على الذكر والأنثى .

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنِّى بعد ما عَلِقَتْ * حبالَك اليومَ بعد القِدّ أظفارى
قد جُلْتُ ما بين بانِقْيا[1] إلى عَدَنٍ * وطال فى العُجْمِ تَرْدادِى وتَسْيارِى
فكان أكرَمَهم عهدًا وأوثقَهم * مجدًا أبوك بعُرْفٍ غيرِ إنكار
كالغيث ما آستمطروه جاد وابلُهُ * وفى الشدائد كالمُستأسِد الضارى
كُنْ كالسموءل إذ طاف الهُمَامُ به * فى جَحْفَلٍ كهَزِيع اللَّيل جَرّار
إذ سامه خُطَّتَىْ خَسْفٍ فقال له * قل ما تشاء فإنى سامعٌ حارِ[2]
فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما * فآخْتَرْ وما فيهما حَظٌّ لمختار
فشكّ غيرَ طويلٍ ثم قال له * أُقْتُلْ أسيرَك إنّى مانعٌ جارى
وسوف يُعْقِبُنِيه إن ظَفِرتَ به * ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهار
لا سِرُّهنّ لدينا ذاهبٌ هَدَرًا * وحافظاتٌ إذا استُودِعنَ أسرارى
فاختار أدراعَه كى لا يُسَبَّ بها * ولم يكن وعدُه فيها بختّار

— قال : وكان آمرؤ القيس بن حُجْر أودع السموءل بن عادياء أدراعًا مائةً ، فأتاه الحارث بن ظالم — ويقال الحارث بن أبى شَمِر الغسّانىّ — ليأخذها منه، فتحصّن منه السموءل؛ فأخذ الحارث ابنًا له غلامًا وكان فى الصيد، فقال : إمّا أنْ سلّمتَ الأدراعَ إلىّ وإمّا أنْ قتلتُ آبنَك . فأبى السموءلُ أن يُسلِم اليه الأدراع؛ فضرب الحارثُ وَسْطَ الغلام بالسيف فقطّعه قطعتين ، فيقال : إن جريرا حين قال للفرزدق:

بسيفِ أبى رَغْوانَ[3] سيفِ مُجَاشِعٍ * ضربتَ ولم تَضْرِب بسيفِ آبنِ ظالم

إنما عنى هذه الضربةَ . فقال السموءل فى ذلك :

وَفَيْتُ بذمّة الكِنْدىّ إنّى * إذا ما ذُمّ أقوامٌ وَفَيْتُ

---

(١) بانقيا : ناحية من نواحى الكوفة . (٢) حار أى يا حارث .
(٣) أبو رغوان : لقب مجاشع، وهو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة .

وأوصى عَادِيًا يــوْمًا بأن لا * تُهــدِّمْ يا سمــوءلُ ما بَنَيْتُ

بَنَى لى عَادِيًا حِصْــنًا حَصينًـا * وماءً كلّمـا شئتُ استقيتُ

— قال : فجاء شُرَيح الى الكلبيّ فقال له : هَبْ لى هذا الأسيرَ المضرور . فقال : هو لك ، فأطلقه . وقال: أقم عندى حتى أُكْرِمَك وأَحْبُوَك . فقال له الأعشى: إنّ من تمام صنيعتك أن تُعطينى ناقةً نَجيبة وتُخَلِّيَنى الساعةَ . قال : فأعطاه ناقةً فركبها ومضى من ساعته . و بلغ الكلبيَّ أنّ الذى وَهب لشُرَيح هو الأعشى . فأرسل إلى شُرَيح : ابعثْ إلىَّ الأسيرَ الذى وهبتُ لك حتى أَحْبُوَه وأُعطيَه . فقال: قد مضى . فأرسل الكلبيُّ فى أثره فلم يَلْحَقه .

مدح عامر بن الطفيل وهجا علقمة ابن علاثة

حدّثنا ابن عُلَاثَةَ عن محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأموىّ عن محمد بن السائب قال :

أتى الأعشى الأسودَ العَنْسِىَّ[١] وقد امتدحه فآستبطأ جائزته . فقال الأسود: ليس عندنا عينٌ ولكن نُعطيك عَرَضًا ، فأعطاه خمسمائة مثقال دُهْنا و بخمسمائة حُلَلًا وعَنبرًا . فلمّا مرّ ببلاد بنى عامر خافهم على ما معه ، فأتى عَلْقمةَ[٢] بن عُلَاثةَ فقال له : أَجِرْنى ؛ فقال : قد أجرتُك . قال : من الجنّ والإنس؟ قال نعم . قال : ومن الموت؟ قال لا . فأتى عامرَ بن الطُّفَيْــل فقال : أَجِرْنى ؛ قال : قد أجرتُك . قال : من الجنّ

(١) هو عبهلة بن كعب بن غوث يلقب ذا الحمار ، خرج بعد حجة الوداع فى عامة مذحج وادعى النبوة وكان كاهنا شعباذا (مشعوذا) وكان يريهم الأعاجيب و يسبى قلوب من سمع منطقه ، قتله فيروز وداذويه وقيس غيلة . (انظر تاريخ الطبرى ق ١ ص ١٧٩٥ — ١٧٩٨ ، ١٨٥٣ — ١٨٧٠) .

(٢) هو علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، أسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بعد فتح الطائف وخرج حتى لحق بالشام ثم أسلم أيام أبى بكر رضى الله عنه . (الطبرى ق ١ ص ١٨٩٩ — ١٩٠٠) .

والإنس؟ قال نعم . قال : ومن الموت؟ قال نعم . قال : وكيف تُجيرنى من الموت؟ قال : إنْ متَّ وأنت فى جوارى بعثتُ إلى أهلك الدِّيَة . فقال : الآن علمتُ أنك قد أجرتَنى من الموت . فمدح عامرًا وهجا عَلْقمة . فقال علقمة : لو علمتُ الذى أراد كنتُ أعطيته إيّاه .

٥ قال الكلبىّ : ولم يهج علقمة بشىء أشدَّ عليه من قوله :

تَبيتُون فى المَشْتَى مِلاءً بطونُكم * وجاراتُكم غَرْثَى يَبِتْنَ خمائصَا

فرفع علقمة يديه وقال : لعنه الله ! إن كان كاذبا ! أنحن نفعل هذا بجاراتنا ! . وأخبار الأعشى وعَلْقمة وعامر تأتى مشروحةً فى خبر مُنَافرتهما إن شاء الله تعالى .

تزوج امرأة من عنزة ثم طلقها وقال فيها شعرا

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنى عمّى عُبَيْد الله قال حدّثنى محمد ١٠ ابن حبيب عن ابن الأعرابىّ عن المفضّل وغيره من أصحابه :

أنّ الأعشى تزوج امرأة من عَنَزَة ثم من هِزّان — قال : وعَنَزة هو ابن أسد ابن ربيعة بن نِزَار — فلم يَرْضَها ولم يستحسن خُلقها، فطلّقها وقال فيها :

بِينِى حَصَانَ الفَرْجِ غيرَ ذَميمةٍ * وموموقةً فينا كذاك ووامقَهْ

وذُوقِى فتَى قـــومٍ فإنّى ذائقٌ * فتاةَ أُناسٍ مثـلَ ما أنتِ ذائقَه

١٥ لقد كان فى فِتْيانِ قومِك مَنْكَحٌ * وشُبّانِ هِزّانَ الطِّوالِ الغَرانِقَه

فبِينِى فإنّ البَيْنَ خيرٌ من العصا * وإلّا تَرَىْ لى فوق رأسك بارقه

وماذاك عندى أن تكونى دنيئةً * ولا أن تكونى جئتِ عندى ببائقه

ويا جارتا بِينِى فإنّك طالقـــه * كذاك أُمورُ الناس غادٍ وطارقه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا ٢٠ الحسين بن إبراهيم بن الحُر قال حدّثنا المُبَارَك بن سَعيد عن سُفْيان الثَّورىّ قال:

٨٤/٨

طلاقُ الجاهلية طلاقٌ . كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومُها فضربوه وقالوا : طلِّقها فقال :

أيا جارتَا بِينِى فإنّك طالقَــهْ . كذاك أمورُ النّاس غادٍ وطارقهْ

وذكر باقىَ الأبيات مثلَ ما تقدّم .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث قال حدّثنا عثمان البَرِّىُّ فى إسناد له قال : ٥

أخذ قومٌ الأعشى فقالوا له : طلّق امرأتك؛ فقال :

أيا جارتا بِينِى فإنّك طالقــهْ * كذاك أمور الناس غادٍ وطارقهْ

ثم ذكر نحوَ الخبر الذى قبله على ما قدّمناه .

فى هذه الأبيات غناء نسبته : ١٠

صــــوت

فبِينِى فإنّ البينَ خيرٌ من العصا * وإلّا تَرَىْ لى فوق رأسِك بارقهْ

وما ذاك عندى أن تكونى دنيّةً * ولا أن تكونى جئتِ عندى ببائقه

ويا جارتا بِينى فإنّك طالقــه * كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقه

الشعر للأعشى . والغناء للهُذَلِىِّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق . ١٥ وفيه لابن جامع ثانى ثقيلٍ بالبنصر عن الهشامىّ . قال الهشامىُّ : وفيه لفُلَيح خفيفُ ثقيل بالوسطى لا يُشَكّ فيه من غنائه . وذكر حَبَشٌ أن الثقيل الثانىَ لابن سُرَيج . وذكر عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنّ الخفيفَ الثانىَ المنسوبَ إلى فُلَيح لأبيه عبد الله بن طاهر . وهذا الصوت يُغَنَّى فى هذا الزمان على ما سمعناه :

أيا جارتا دُومِى فإنك صادقَــهْ * وموموقةٌ فينا كذاك ووامِقهْ ٢٠

ولم نفترق أنْ كنتِ فينا دنيئةً * ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقه

وأحسبه غُيِّر في دُور الطاهريّة على هذا .

فخر الأخطل بشعر له في الخمر فرد عليه الشعبي بشعره

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني سَوّار بن أبي شُرَاعة قال حدّثني أبي عن مسعود بن بِشْر عن أبي عُبَيْدة قال :

٥ دخل الأخطل على عبد الملك بن مَرْوان وقد شرب خمرًا وتضمّخ بخَنَالِخ[1] وخَلُوقٍ وعنده الشَّعْبيّ . فلما رآه قال : ياشعبيّ ، ناكَ الأخطلُ أُمّهاتِ الشعراء جميعا . فقال له الشعبيّ : بأيّ شيء ؟ قال حين يقول :

وتظلُّ تَنْصُفُنا[2] بها قَرَوِيَّةٌ * إبريقُها برقاعه[3] ملثومُ

فإذا تعاورتِ الأكُفُّ زُجاجَها * نَفَحتْ فشَمَّ رياحَها المزكومُ

١٠ فقال الأخطل[4] : سمعتَ بمثل هذا ياشعبيّ ؟! قال : إن أمّنْتَني قلتُ لك . قال : أنت آمن . فقلت له : أشعرُ والله منك الذي يقول :

وأدْكَنَ[5] عاتِقٍ جَحْلٍ رِبَحْلٍ * صَبَحتُ براحِه شَرْبًا كِرَامَا

من اللائي حُمِلْنَ على المَطَايَا * كريح المسك تستلّ الزُّكاما

٨٥/٨

فقال الأخطل : وَيْحَك ! ومن يقول هذا ؟ قلت : الأعشى أعشى بني قيس بن ١٥ ثَعْلبة . فقال : قُدّوس قُدّوس ! ناكَ الأعشى أُمّهاتِ الشعراء جميعا وحقِّ الصليب ! .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دَمَاذ عن أبي عُبيدة والهَيْثَم بن عَدِيّ ، وحدّثني الصُّوليُّ قال حدّثني الغَلابيّ عن العُتْبيّ عن أبيه ، وذكر

(١) خنالخ : جمع خلخة وهي ضرب من الطيب . (٢) تنصفنا : تخدمنا .
(٣) في ديوان الأخطل : « برقاعها » . (٤) السياق مستغن عنها . (٥) الأدكن :
٢٠ الضارب الى السواد . والعاتق : القديم . والجحل (بالفتح وتقديم الجيم على الحاء) : السقاء الواسع .
وقد وردت هذه الكلمة في الأصول بتقديم الحاء على الجيم وهو تصحيف . والربحل : الضخم .

هارون بن الزّيات عن حمّاد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضّبّىّ، قالوا جميعا :

قدم الأخطل الكوفةَ، فأتاه الشعبىّ يسمع من شعره . قال: فوجدته يتغدّى، فدعانى أتغدّى فأتيته، فوُضع الشراب فدعانى اليه فأتيته . فقال ما حاجتُك؟ قلت: أحبّ أن أسمع من شعرك؛ فأنشدنى قوله :

* صَرمتْ أُمَامةُ حبلَنا ورَعُومُ *

حتى انتهى إلى قوله :

فاذا تعاورت الأكُفُّ خِتامَها * نَفَحَتْ فشَمَّ رياحَها المزكومُ

فقال : يا شَعْبِىّ، ناك الأخطل أُمّهاتِ الشعراء بهذا البيت . قلت : الأعشى أشعر منك يا أبا مالك . قال : وكيف؟ قلت : لأنه قال :

منْ خمر عانةَ قد أتى لِختامها * حَوْلٌ تَسُلّ غُمَامةَ(1) المزكومِ

فضرب بالكأس الأرضَ وقال : هو والمسيح أشعرُ منّى! ناك والله الأعشى أمّهات الشعراء إلّا أنا .

مدح سلامة ذا فائش فأجازه

حدّثنى وَكيع قال حدّثنى محمد بن إسحاق المَعْوَلِىّ عن إسحاق الموصلىّ عن الهَيْثم ابن عَدِىّ عن حمّاد الرواية عن سِمَاك بن حَرْب قال :

قال الأعشى :

أتيتُ سَلَامةَ(2) ذا فائش فأطلت المُقامَ ببابه حتّى وصلت اليه، فأنشدتُه :

(1) الغمام : كزكام وزنا ومعنى . (2) هو سلامة بن يزيد بن مرة اليحصبى أحد ملوك اليمن، وقد مدحه الأعشى . وقال هشام بن محمد الكلبى : الأعشى مدح سلامة الأصغر وهو سلامة بن يزيد ابن سلامة ذى فائش . (راجع القاموس وشرحه مادة فيش) .

إنّ مَحَلًّا وإنّ مُرْتَحَلًا * وإنّ في السَّفْرِ من مَضَى مَهَلًا (١)

استأثر اللهُ بالوفاء وبالـ * ـعَدْل وولّى المَلَامةَ الرجلا

الشعرُ قلّدتُه سَلَامةَ ذا * فائشٍ والشيءُ حيث ما جُعلا

فقال : صدقتَ ، الشيء حيث ما جُعل، وأمر لى بمائة من الإبل وكسانى حُللا وأعطانى كَرِشًا مدبوغةً مملوءةً عنبرا وقال : إياك أن تُخدع عما فيها . فأتيت الحيرة فبعتُها بثلثمائة ناقة حمراء .

أراد أن يفد على النبي ليسلم فردته قريش بجائزة فعثر به بعيره فمات

أخبرنى حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال قال هشام بن القاسم الغَنَويّ وكان عَلّامةً بأمر الأعشى :

إنه وفد إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التى أولها :

ألم تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أَرْمَدَا * وعادك ما عاد السَّليمَ المُسَهَّدَا (٢)

وما ذاك من عشق النساء وإنما * تناسيتَ قبل اليوم خُلّةَ مَهْدَدَا (٣)

وفيها يقول لناقته :

فآليتُ لا أَرْثِى لها من كَلَالةٍ * ولا من حَفًا حتى تَزُورَ محمدا

نبيٌّ يَرى ما لا تَرَوْن وذِكْرُه * أغارَ لعَمْرِى فى البلاد وأَنْجدا

متى ما تُناخِى عند باب ابن هاشمٍ * تُراحِى وتَلْقَى من فَوَاضِله يدا

فبلغ خبرُه قريشًا فرصَدوه على طريقه وقالوا : هذا صَنَّاجةُ العرب ، ما مدح أحدًا قطُّ إلّا رَفع فى قدره . فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت يا أبا بَصير ؟ قال :

٨٦/٨

(١) رواية تلخيص المفتاح التى كتب عليها شارحوه : « وإن فى السفر إذ مضوا مهلا » . والمحل والمرتحل مصدران ميميان ، والخبر محذوف . أى إن لنا فى الدنيا حلولا وإن لنا عنها ارتحالا . والسفر : اسم جمع لسافر بمعنى مسافر . والمهل (بفتح الميم والهاء) : مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة .

(٢) فى السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٥٥ طبع أوربا) « وبت كما بات السليم مسهدا » .

(٣) مهدد : معشوقة الأعشى .

أردتُ صاحبَكم هذا لأسلِم . قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويحرّمها عليك ، وكلّها بك رافق ولك موافِق . قال : وما هنّ؟ فقال أبو سفيانَ بنُ حرْب : الزِّنا . قال : لقد تركنى الزِّنا وما تركته، ثم ماذا ؟ قال : القِمار . قال : لعلّى إن لقيتُه أن أصيبَ منه عِوَضًا من القِمار، ثم ماذا ؟ قالوا : الرِّبا . قال : ما دِنْتُ ولا أدَنْتُ، ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أوَّهْ ! أرْجِع الى صُبابةٍ قد بقيتْ لى فى المِهْراس[1] فأشربُها .

فقال له أبو سفيان : هل لك فى خير مما هممتَ به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآنَ فى هُدْنة ، فتأخذ مائةً من الإبل وترجع الى بلدك سَنَتَك هذه وتنظُر ما يصير اليه أمرنا، فإن ظهرْنا عليه كنتَ قد أخذت خَلَفًا، وإن ظهر علينا أتيته . فقال : ما أكره ذلك . فقال أبو سفيان : يا معشر قريش، هذا الأعشى ! والله لئن أتى محمدا واتّبعه ليُضرمنّ عليكم نيرانَ العرب بشعره ، فاجمعوا له مائةً من الإبل، ففعلوا، فأخذها وانطلق الى بلده . فلما كان بقاع منفوحةَ[2] رمى به بعيرُه فقتله .

قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبى حَفْصة قال . قبر الأعشى بمَنْفُوحةَ وأنا رأيته ، فإذا أراد الفتيانُ أن يشربوا جوا الى قبره فشربوا عنده وصبّوا عنده فَضَلاتِ الأقداح .

أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ قال حدّثنا علىّ بن سليمان النَّوْفَلى قال حدّثنا أبى قال : أتيت اليمامة واليًا عليها، فمررتُ بمنفوحةَ وهى منزل الأعشى التى يقول فيها :

بشَطِّ منفوحةَ فالحاجِرِ .

فقلت : أهذه قرية الأعشى ؟ قالوا نعم . فقلت : أين منزله ؟ قالوا : ذاك وأشاروا اليه . قلت : فأين قبره ؟ قالوا : بفِناء بيته . فعدلت اليه بالجيش

(١) المهراس : حجر منقور يسع كثيرا من الماء . (٢) منفوحة : قرية مشهورة من نواحى اليمامة .

فانتهيت الى قبره فاذا هو رَطْبٌ. فقلت: مالى أراه رطبًا ؟ فقالوا : إن الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم، فإذا صار اليه القدح صَبُّوه عليه لقوله :
« أرجِعُ الى اليمامة فأشبع من الأطيبَيْن الزنا والخمر » .

صوت معبد المسمى بالدوامة فى شعره

وأخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا الأُطْروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه : ٥

أن ابن عائشة غنّى يومًا :

* هُرَيْرَةَ ودّعها وإن لام لائمُ *

فأعجبتْه نفسُه ورآه ينظر فى أعطافه . فقيل له : لقد أصبحتَ اليومَ تائهًا ! فقال : وما يمنعنى من ذلك وقد أخذتُ عن أبى عَبّاد معبدٍ أحد عشر صوتا منها :

١٠ * هريرةَ ودِّعها وإن لام لائم *

وأبو عَبَّاد مغنّى أهل المدينة وإمامُهم ! .

قال : وكان مَعْبد يقول والله لقد صنعت صوتًا لا يقدر أن يغنّيه شبعانٌ ممتلئ، ولا يقدر متكئٌ على أن يُغَنّيه حتى يَجْثُوَ ، ولا قائم حتى يقعُد . قيل : وما هو يا أبا عَبَّاد ؟ قال إسحاق فأخبرنى بذلك محمد بن سَلَّام الجُمَحِىّ أنه بلغه أن معبدا ١٥ قاله . وأخبرنى بهذا الخبر اسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى قال: قال معبد: والله لأُغنّين صوتًا لا يغنّيه مهموم ولا شبعانٌ ولا حاملُ حِمْلٍ؛ ثم غنّى :

ولقد قلتُ والضمـ * ـيرُ كثيرُ البلابِل
ليت شعرى تَمَنِّيًا * والمُنَى غيرُ طائل
٢٠ هل رسولٌ مبلِّغ * فيُؤَدِّى رسائلى

٨٧/٨ لحنُ معبد هذا خفيفُ ثقيل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق و يونس . وفيه ثقيلٌ أوّلُ ينسب اليه أيضا، ويقال : إنه لأهل مكة .

صوت معبد المسمى بالمنمنم

ومنها الصوت المسمّى بالمُنَمْنَم .

صـــوت

هاجَ ذا القلبَ من تَذَكُّرِ جُمْلٍ * ما يَهِيجُ[1] المتيَّمَ المحـزونا

إذ تراءتْ على البَـلَاطِ فلمّـا * واجهتْنا كالشمس تُعْشِى العيونا

ليـلةَ السبت إذ نظرتُ اليها * نظـرةً زادت الفـؤادَ جنونا

الشعر لإسماعيلَ بنِ يَسَار. والغناء لمَعْبِد ثقيل أوّل بالوسطى . وفيه لدَحْمانَ ثانى ثقيل بالبنصر، ذكر الهشامىّ أنّه لا يُشَكّ فيه من غنائه . وقد مضت أخبار إسماعيل بن يسار فى المـائة المختارة فاستُغْنِى عن إعادتها هاهنا .

صوت معبد المسمى بمقصات القرون

صـــوت

آمن آلِ لَيْـلَى بالمَـلَا مُتَرَبَّعُ * كما لاح وَشْمٌ فى الذراع مُرَجَّعُ

سأَتْبَعُ لَيْلَى حيث سارت وخيَّمتْ * وما الناسُ إلا آلِفٌ ومُوَدِّعُ

الشعر لعمرو بن سعيد بن زيد، وقيل : إنه للمجنون وإنّ مع هذين البيتين أُخَرَ وهى :

وقفتُ لليلَى بعد عشرين حِجّةً * بمـنزلةٍ فانهلّتِ العينُ تَدْمَعُ

فأمرضَ قلبى حبُّها وطِلَابُهـا * فيا آلَ ليلَى دعوةً كيف أَصْنَعُ

سأتبعُ ليلى حيث حلّت وخيّمتْ * وما النـاسُ إلا آلفٌ ومودّعُ

كأنّ زِمامًا فى الفـؤاد معلّقًا * تَقُود به حيث استمرّتْ وأَتْبَعُ

[1] فى الأصول : « مايهيم المتيم المحزونا » . وهو لا يستقيم لغة . وورد فى صدر البيت مما يرجح ما أثبتناه .

والغناء لمَعْبد خَفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى . وقد ذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أن هذا الصوت منحول الى معبد وأنه مما يُشبه غناءه . وذكر ابن الكلبيّ عن محمد بن يزيد أن معبدًا أخذ لحن سائب خاثر فى :

* أفاطمُ مهلًا بعضَ هذا التدلُّل

فغنّى فيـــه :

* أمن آلِ ليـــلَى بالمَـلَا متربَّعُ *

نسب عمرو بن سعيد بن زيد وأخباره (١)

نسبه وشىء عن سعيد بن زيد

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رِياح (٢) بن عبد الله بن قُرْط (٣) بن رَزَاح بن عَدِىّ بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب . وسعيد بن زيد يُكنَى أبا الأعور ، وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم على حِرَاءَ فرجَف بهم ، فقال : " اثبُتْ حِرَاءُ (٤) فليس عليك إلّا نبىٌّ أو صِدّيق أو شهيد " .

* * *

ابن عائشة بحضرة الوليد ابن يزيد

أخبرنى ابن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال حدّثنى الهَيْثَم بن سُفْيان عن أبى مِسْكِين قال :

جلس الوليد بن يزيد يوماً للغنّين وكانوا متوافرين عنده وفيهم مَعْبَد وابن عائشة ، فقال لابن عائشة : يا محمد . قال : لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين . قال : إنّى قد قلت شعراً فغَنِّ فيه . قال وما هو؟ فأنشده إيّاه ، وترنّم به محمد ثم غنّاه فأحسن ، وهو :

(١) لم يورد المؤلف شيئا من أخبار عمرو بن سعيد غير هذه الأسطر وكل ما يأتى بعد ليس مرتبطا به فلعل هاهنا خرما . (٢) كذا فى طبقات ابن سعد (ج ٣ ص ١٩٠) وكتاب المعارف لابن قتيبة . وفى الأصول : « رباح » بالباء الموحدة . وقد ورد هذا النسب فى المعارف لابن قتيبة هكذا « عبد العزى بن قرط بن رياح بن عبد الله بن رزاح ... الخ » . (٣) كذا فى أ وطبقات ابن سعد والمعارف لابن قتيبة . وفى الأصول « قرظ » بالظاء المعجمة وهو تصحيف . (٤) فى شرح القسطلانى على صحيح البخارى (ج ٦ ص ١١٤ — ١١٥) « أن أنس بن مالك رضى الله عنه حدثهم أن النبى صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان » . وقد جاء فى سنن الترمذى وسنن أبى داود كما جاء فى الأصل .

٨٨
١

صـــوت

عَـــلِّلانى وَآسْـــقِيانِى * مِن شرابٍ أَصْـبَهانِى

من شرابِ الشيخ كِسْرَى * أو شـــراب القَيْرَوانِ

إنّ فى الكأس لَمِسْـــكًا * أو بِكَفَّىْ مَنْ سَـــقانِى

أو لقــد غُـــودِرَ فيها * حين صُبَّت فى الدِّنانِ ٥

كَلِّلانِى تَـــوِّجانِى * وبشِـــعرى غَنِّيـانى

أَطْلِقــانى بِـــوَثاقِى * وَآشْـــدُدَانى بعِنـانى

إنّمـا الـــكأسُ ربيـــعٌ * يُتَعـاطَى بالبَنَـانِ

وحُمَيّـا الكأسِ دَبَّتْ * بين رِجْـــلِى ولِسانى

١٠ — الغناء لابن عائشة هَزَجٌ بالبنصر من رواية حَبَش — قال : فأجاد ابن عائشــة واستحسن غناءَه مَنْ حضَر ؛ فالتفت الى مَعْبــد فقال : كيف ترى يا أبا عبّاد ؟ فقال له معبد : شِنْتَ غناءَك بصَلَفك . قال ابن عائشــة : يا أحول ! والله لولا أنّك شيخُنا وأنّك فى مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك مَن الشائنُ لغنائه أنا بصَلَفى أم أنت بقبح وجهك . وفطَن الوليدُ بحركتهما فقال : ما هــذا ؟ فقال : خيرٌ يا أمير ١٥ المؤمنين، لحنٌ كان مَعْبــدٌ طارَحنيه فأُنْسِيتُه فسألته عنه لأغنِّىَ فيــه أميرَ المؤمنين . فقال وما هو ؟ قال :

أَمِنْ آلِ ليـلى بالمَلَا مُتَرَبَّعُ * كما لاح وشمٌ فى الذِّراع مُرَجَّـعُ

فقال : هاتِ يا مَعْبد، فغنّاه إيّاه، فاستحسنه الوليد وقال: أنت والله سيِّد مَنْ غنَّى. وهذا الخبر أيضا مما يدلّ على أن ما ذكره حمّاد من أنّ هــذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له .

أحمد بن أبى العلاء يغنى المعتضد بشعر الوليد فيجيزه

أخبرنى محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال حدّثنى أحمد بن أبى العَلَاء المغنّى قال : غنَّيتُ المعتضدَ صوتاً فى شعر له ثم أتبعتُه بشعر الوليد بن يزيد :

كلّلانِى توّجانِى * وبشِعْرِى غنّيانى

فقال : أحسن والله ! هكذا تقول الملوك المُتْرَفون ، وهكذا يطرَبون ، وبمثل هذا يُشيرون ، وإليه يرتاحون ! أحسنتَ يا أحمد الاختيار لِما شاكل الحالَ ، وأحسنتَ الغناء ، أعِدْ ، فأعدته ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم وشرب رطلاً ثم استعاده فأعدتُه ، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ستَّ مَرّات وشرب ستّةَ أرطال وأمر لى بعشرة آلاف درهم — وقال مرةً أخرى بستمائة دينار — ثم سكر . وما رُئى قبل ذلك ولا بعده أعطى مغنّياً هذه العطيّةَ . وفى الخبر زيادة وقد ذكرته فى موضع آخر يصلُح له .

وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمدَ بن سهل النُّوشَجانى أنه حضر أحمدَ ابن أبى العلاء وقد غنّى المعتضدَ هذا الصوتَ فى هذا المجلس وأمر له بهذا المال بعينه ولم يشرح القصّةَ كما شرحها أحمد .

صوت معبد المسمى بالمتبختر

ومنها صوت وهو المتبختر

جَعَل الله جعفرًا لكِ بَعْلًا * وشِفاءً من حادث الأَوْصابِ

إذ تقولين للوَلِيدة قُومى * فانظُرى مَنْ تَرَيْنَ بالأبواب

$\frac{٨٩}{٨}$

الشعر للأحوص . والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . وذكر حمّاد عن أبيه فى كتاب مَعْبد أنه منحول إلى معبد وأنه لكَرْدَم .

صوت معبد المسمى مقطع الأثفار

صوت

وهو المسمى مُقَطِّع الأثفار

ضَوءُ نارٍ بدا لعينك أم شَبّـ * ـتْ بذى الأَثْلِ من سَلامةَ نارُ

تلك بين الرِّيَاض والأَثْلِ والبا * نات منّا ومن سَلامةَ دارُ

وكذاكَ الزمانُ يذهبُ بالنا * سِ وتَبْــقَى الرُّسـومُ والآثارُ

الشعر للأحوص . والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الوادىّ رَمَلٌ عن الهِشامىّ . وفيه لعبد الله بن العبّاس خفيفُ رمل بالوسطى .

الأحوص وموسى شهوات

٥ أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا عمّى قال : مدَح موسى شَهَوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مَرْوان بقصيدةٍ أحسن فيها وأجاد وقال فيها :

وكذاك الزمانُ يذهب بالنا * س وتَبْــقَى الديارُ والآثارُ

فقام الأحوص ودخل منزلَه وقال قصيدةً مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضا وأتى ١٠ فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها . فقال له موسى شهوات : ما رأيت يا أحوصُ مثلَك ! قلتُ قصيدةً مدحتُ فيها الأمير فسرقتَ أجودَ بيت فيها وجعلته فى قصيدتك . فقال له الأحوص : ليس الأمر كما ذكرتَ ، ولا البيت لى ولا لك ، هو للَبِيد سرقناه جميعا منه ، إنما ذكر لبيدٌ قومَه فقال :

فعفا آخرُ الزمانِ عليهم * فَعلى آخرِ الزمانِ الدَّبارُ[1]

١٥ وكذاك الزمانُ يذهب بالنا * سِ وتبقى الرُّسُوم والآثارُ

قال : فسكت موسى شهوات فلم يُحِرْ جوابًا كأنما أُلْقِمه حَجَرًا .

حديث سلامة مع الأحوص وعبد الرحمن بن حسان وهو كما يرى أبو الفرج موضوع

ونسخت من كتاب أحمد بن سَعيد الدِّمَشقى خبرَ الأحوص مع سَلّامةَ التى ذكرها فى هذا الشعر وهو موضوع لا أشكُّ فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقطٌ سخيفٌ لا يشبه نَمَطَ الأحوص ، والتوليدُ بيّن فيه يشهد على أنه مُحْدَث .

٢٠ (١) الدبار : الهلاك .

والقصّة أيضا باطلةٌ لا أصل لها، ولكنّى ذكرتُه فى موضعه على ما فيه من سوء العهدة.

قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى أبو محمد الجَزَرىّ قال :

كانت بالمدينة سلامةُ من أحسن الناس وجهًا وأتمّهن عقلاً وأحسنهن حديثا قد قرأت القرآنَ وروت الأشعارَ وقالت الشعر، وكان عبد الرحمن بن حَسّان والأحوصُ بن محمد يختلفان اليها فيروّيانها الشعرَ ويُناشدانها إيّاه. فعَلِقَت الأحوصَ وصَدّت عن عبد الرحمن. فقال لها عبد الرحمن يعرّض لها بما ظنّه من ذلك :

أرَى الإقبالَ منكِ على خليلى * ومالى فى حديثكمُ نصيبُ

فأجابتْه :

لأنّ الله علّقه فؤادى * فحاز الحبَّ دونكم الحبيبُ

فقال الأحوص :

خليلى لا تَلُمْها فى هواها * ألذُّ العيش ما تَهْوى القلوبُ

قال : فأضرب عنها ابنُ حسّان وخرج ممتدحًا ليزيد بن معاوية فأكرمه وأعطاه. فلما أراد الانصرافَ قال له : يا أمير المؤمنين، عندى نصيحة. قال : وما هى؟ قال : جارية خلّفتُها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلُح أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفى سُمّاره. فأرسل اليها يزيدُ فاشتُريتْ له وحُملت اليه؛ فوقعت منه موقعًا عظيما وفضّلها على جميع من عنده. وقدِمَ عبدُ الرحمن المدينةَ فمرّ بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم، فأراد أن يَزيده إلى ما به فقال :

يا مُبتَلًى بالحب مفدوحًا * لاقَى من الحبّ تَباريحَا
أَلجمه الحبُّ فما يَنْثَنِى * إلا بكأس الشوق مَصْبوحَا
وصار ما يُعجبه مُغْلَقًا * عنه وما يكرهه مفتوحَا

قد حازها من أصبحت عنده * ينال منها الشمّ والرّيحا
خنيفةُ الله فسلّ الهوى * وعزّ قلبًا منك مجروحا

فأمسك الأحوصُ عن جوابه . ثم إن شابّين من بنى أميّة أرادا الوِفادةَ إلى يزيدَ ، فأتاهما الأحوص فسألها أن يحملا له كتابا ففعلا . فكتب إليها معهما :

٥ سَلاّمُ ذكرُكِ مُلْصَقٌ بلسانى * وعلى هواكِ تَعُودُنى أحزانى
مالى رأيتكِ فى المنام مطيعةً * واذا انتبهتُ لجَجْتِ فى العصيان
أبدًا محبّك مُمْسِكٌ بفؤاده * يخشى اللّجاجةَ منكِ فى الهِجْرانِ
إن كنتِ عاتبةً فإنّى مُعْتِبٌ * بعد الإساءة فاقبلى إحسانى
لا تقتلى رجلا يراكِ لما به * مثلَ الشراب لغُلّة الظمآن
١٠ ولقد أقول لقاطنَيْن من آهلنا * كانا على خُلُقٍ من الإخوان
يا صاحبيّ على فؤادى جمرةٌ * وبَرَى الهوى جسمى كما تريان
أَمُرَقِّيانِ(١) إلى سلامة أنتما * ما قد لقيتُ بها وتحتسبان
لا أستطيع الصبر عنها إنها * من مهجتى نزلتْ بكلّ مكان

قال : ثم غلبه جَزَعُه فخرج الى يزيدَ ممتدحًا له . فلما قدم عليه قرّبه وأكرمه وبلغ لديه
١٥ كلَّ مبلغ . فدسّتْ اليه سلامةُ خادمًا وأعطته مالاً على أن يُدخلَه اليها . فأخبر الخادمُ يزيدَ بذلك ، فقال : امْضِ برسالتها . ففعل ما أمره به وأدخل الأحوصَ ، وجلس يزيدُ بحيث يراهما . فلما بَصُرت الجاريةُ بالأحوص بكت اليه وبكى اليها ، وأمرتْ فأُلقى له كرسىٌّ فقعد عليه ، وجعل كلُّ واحد منهما يشكو الى صاحبه شدّةَ الشوق . فلم يزالا

(١) أمرقيان الى سلامة أى أرافعان اليها .

يتحدّثان إلى السَّحَر ويزيدُ يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما رِيبةٌ. حتى إذا هَمّ بالخروج قال :

أَمْسَى فـؤادىَ فى همٍّ وبَلْبـال * من حبِّ مَنْ لم أَزَلْ منه على بال

٩١ / ٨

فقالت :

صحا المحبُّون بعد النأيِ إذ يئسوا * وقد يئستُ وما أصحو على حال

٥

فقال :

مَنْ كان يسلو بيأسٍ عن أخى ثقةٍ * فعن سَلَامةَ ما أمسيتُ بالسَّالِى

فقالت :

واللهِ واللهِ لا أنساكَ يا سَكَنِى * حتى يُفارِقَ منّى الرُّوحُ أَوْصَالِى

فقال :

١٠

واللهِ ما خاب مَنْ أمسَى وأنتِ له * يا قُرّةَ العين فى أهـل وفى مال

ثم ودّعها وخرج . فأخذه يزيدُ ودعا بها فقال : أخبرانى عمّا كان جرى بينكما فى ليلتكما واَصْـدُقانى . فأخبراه وأنشـداه ما قالاه، فلم يَخْرِما حرفًا ولا غيّرا شـيئا مما سمعه . فقال له يزيد : أتحبُّها يا أحوص؟ قال : إى والله يا أمير المؤمنين

حُبًّا شديدًا تليـدًا غيرَ مُطَّرِفٍ * بين الجوانح مثلَ النار يَضْطَرِمُ

١٥

فقال لها : أتحبِّينه؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين

حبًّا شديدًا جرى كالرُّوح فى جسدى * فهل يُفَرِّق بين الرُّوح والجسد

فقال يزيد : إنكما لَتَصِفانِ حبًّا شديدا، خُذْها يا أحوص فهى لك؛ ووصله بصلةٍ سنيّة، وانصرف بها وبالجارية الى الحجاز وهو من أَقَرِّ الناس عينا . مضى الحديث.

أصوات معبد المسمَّاة مُدُنَ معبد وتسمَّى أيضا حصونَ معبد

مدن معبد أو حصونه

أخبرنى ابنُ أبى الأزهر والحسينْ بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال حسين فى خبره واللفظ له عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال :

قال معبد وقد سمع رجلا يقول : إن قُتَيبة بن مُسْلِم فتح سَبعةَ حصون أو سبعَ مُدْن بخُراسان فيها سبعة حصون صَعْبة المُرْتَقَى والمسالكِ لم يُوصَلْ إليها قطُّ . فقال : ٥ والله لقد صنعتُ سبعةَ ألحان كلُّ لحنٍ منها أشدّ من فتح تلك الحصون . فسئل عنها فقال :

* لَعَمْرى لئن شَطَّتْ بعَثْمةَ دارُها *

و : * هُرَيْرَةَ ودِّعها وإن لام لائمُ *

١٠ و : * رأيتُ عَرابةَ الأَوْسِىَّ يَسْمُو *

و : * كم بذاك الحَجُونِ من حَىِّ صِدْقٍ *

و : * لو تعلمينَ الغَيْبَ أيقنت أننى *

و : * يا دار عَبْلةَ بالجِواء تكلّمى *

و : * ودِّع هريرةَ إنّ الركبَ مُرتحِلُ *

١٥ ومن الناس من يروى مُدُنَ معبد :

* تقطَّع من ظَلَّامةَ الوصلُ أجمعُ *

و : * خَمصانةٌ قَلِقٌ مُوشَّحُها *

و : * يومَ تُبدِى لنا قُتَيْلةُ *

مكان

: * كم بذاك الحَجُونِ من حَيّ صِدق *

و : * لو تعلمين الغيب أيقنتِ أننى *

و : * يا دارَ عَبْلة بالجِواء تكلّمى *

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

٥

صــــوت

لَعَمْرِى لئن شَطّتْ بعَثْمةَ دارُها * لقد كدتُ من وَشْكِ الفراق أَلِيحُ

أَرُوحُ بهَمٍّ ثم أَغْدو بمثله * ويُحْسَب أنّى فى الثياب صحيح

٩٢ / ٨ عروضه من الطويل. شَطّت : بعُدتْ. ووَشْك الفراق : دنوُّه وسرعته . وأليح : أشفق وأجزع . الشعر لعُبَيد الله بن عبد الله بن عُتْبة الفقيه . والغناء لمعبد خفيف ١٠ ثقيلٍ أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر من رواية يونُس و إسحاقَ وعمرٍو وغيرِهم. وفيه رمل يقال : إنه لابن سُريج .

ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه

نسبه، وعداده في بني زهرة

هو عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود بن غافِل[1] بن حَبيب بن شَمْخ[2] بن فار[3] بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدْرِكة ابن الياس بن مضر بن نزار. وهو في حُلفاء بني زُهْرة من قريش وعِدادُه فيهم.

كان لجده صحبة وليس بدريا

٥ وعتبةُ بن مسعود وعبد الله بن مسعود البَدْريّ صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخَوان، ولِعُتْبة صحبةٌ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم وليس من البَدْرِيّين. وكان ابنه عبد الله أبو عُبيد الله بن عبد الله رجلًا صالحا، واستعمله عمرُ بن الخَطّاب فأَحْمده.

استعمل أباه عمر ابن الخطاب

أخواه عون وعبدالرحمن وشيء عنهما

ولِعُبَيْد الله بن عبد الله أَخَوانِ عَوْنٌ وعبد الرحمن.

١٠ وكان عون من أهل الفقه والأدب، وكان يقول بالإرْجاء ثم رجع عنه. وقال — وكان شاعرا —:

فأوّلُ ما أُفارِقُ غيرَ شَكٍّ * أُفارِقُ ما يقول المُرْجِئونا

وقالوا مؤمنٌ من آل جَوْرٍ * وليس المؤمنون بجائرينا

وقالوا مؤمنٌ دَمُه حلالٌ * وقد حُرِمَتْ دِماءُ المؤمنينا

١٥ وخرج مع ابن الأشعث، فلمّا هُزِم هَرب، وطلبه الحجّاج، فأتى محمدَ بن مَرْوان ابن الحَكَم بنَصِيبِينَ فأمّنه وألزمه ابنيه مروانَ بن محمد وعبدَ الرحمن بن محمد. فقال له: كيف رأيتَ ابنَيْ أخيك؟ قال: أمّا عبد الرحمن فطفلٌ، وأمّا مروان فإني

---

(١) كذا في طبقات ابن سعد (ج ٣ ص ١٠٦) والاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج ١ ص ٣٧٠) وفي الأصول: «وائل». (٢) كذا في طبقات ابن سعد والاستيعاب. وفي الأصول: «شيخ». (٣) كذا في الطبقات والاستيعاب. وفي الأصول: «قار» بالقاف.

٢٠

إن أتيتَه حَجَب ، وإن قعدتُ عنه عتَب ، وإن عاتبته غَضِب ، وإن صاحبتَه غضب . ثم تركه ولزم عمر بن عبد العزيز فلم يَزَلْ معه . ذكر ذلك كلَّه ومعانيَه الأصمعيّ عن أبى نَوْفَل الهُذَلِيّ عن أبيه . ولعونٍ يقول جرير :

يا أيُّها القارئُ المُرْخِى عِمَامتَه * هذا زمانُك إنّى قد مضى زمنى
أَبْلغْ خليفتَنا إن كنتَ لاقِيَه * أنّى لدى الباب كالمصفود فى قَرَنِ

وخبرُه يأتى فى أخبار جرير[(1)] .

وأمّا عبد الرحمن فلم تكن له نباهةُ أخويه وفضلُهما فسقَط ذكره .

كان فقيها، وهو أحد السبعة بالمدينة

وأمّا عُبَيْد الله فإنه أحد وجوه الفُقَهاء الذين رُوِى عنهم الفقه والحديث . وهو أحد السبعة من أهل المدينة، وهم القاسم بن محمد بن أبى بكر الصدّيق ، وعُروة بن الزُّبَيْر ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسَعيد بن المُسَيَّب ، وعُبَيْد الله بن عبدالله بن عُتْبة ، وخارِجة بن زيد بن ثابت ، وسليمان بن يسار . وكان عبيدالله ضريرًا . وقد روَى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل آبن عبّاس وعبد الله آبن مسعود عمّه وأبى هريرة . وروَى عنه الزُّهْرِىّ وآبنُ أبى الزّناد وغيرهما من نُظَرائهما .

كان يؤثره ابن عباس

وكان عبد الله بن عباس يقدّمه و يُؤْثِره .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حَنْبَل قال حدّثنا أبى قال حدّثنا يونُس بن محمد قال حدّثنا حَمّاد بن زيد عن مَعْمَر عن الزُّهْرِىّ قال : كان عُبَيد الله بن عبد الله يلطُف لآبن عبّاس فكان يُعِزُّه عِزًّا .

حديث الزهرى عنه وكان كثير الاتصال به

أُخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أَنَس عن آبن شِهَاب الزُّهْرِىّ قال :

(1) مضى هذا الخبر فى ترجمة جرير فى ج ٨ ص ٤٧ من هذه الطبعة .

كنت أخدُم عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبة حتى إنْ كنتُ لأَسْتَقِي الماءَ المِلْح وإنْ كان ليسأل جاريتَه فتقول : غلامُك الأعمش .

أخبرنى وَكيع قال حدّثنا محمد بن عبد الملك بن زَنْجويه قال حدّثنا عبد الرزّاق عن مَعْمَر عن الزُّهْرِىّ قال :

٥ أدركت أربعةَ بُحور، عُبَيْدُ الله بن عبد الله أحدُهم .

أخبرنى وَكيع قال حدّثنا محمد قال حدّثنا حامد بن يحيى عن ٱبن عُيَيْنة عن الزُّهْرِىّ قال :

سمعت من العلم شيئًا كثيرا، فلما لقيتُ عبيد الله بن عبد الله كأنى كنت(1) فى شِعْب من الشِّعاب فوقعتُ فى الوادى ؛ وقال مرّة : صِرْتُ كأنّى لم أسمع من ١٠ العلم شيئا .

أثنى عليه عمر ابن عبدالعزيز

أخبرنى وكيع قال حدّثنى بشر بن موسى قال حدّثنا الحُمَيْدِىّ عن ابن عُيَينة عن علىّ بن زيد بن جُدْعان قال :

كان عمر بن عبد العزيز يقول : ليت لى مجلسًا من عبيد الله بن عبد الله ٱبن عُتْبة بِدِيَةٍ .

١٥ أخبرنى وكيع قال حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وَهْب قال حدّثنى عمّى عن يعقوب بن عبد الرحمن الزُّهْرِىّ عن حمزةَ بن عبد الله قال :

قال عمر بن عبد العزيز : لو كان عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة حَيًّا ما صدَرْتُ إلا عن رأيه، ولوددْتُ أنّ لى بيوم من عُبيد الله غُرْمًا . قال ذلك فى خِلافته .

(1) لعل صوابه : « صرت كأنى كنت ... الخ » .

ماجرى بين عمر ابن عبد العزيز وعروة فى شأن عائشة وابن الزبير أمامه ، ثم شعره لعمر حين أرسل اليه

أخبرنا محمد بن جرير الطّبرىّ وعمّ أبى عبدُ العزيز بن أحمد ومحمد بن العباس اليَزيدىّ والطُّوسىّ ووكيع والحَرَمىّ بن أبى العَلاء وطاهر بن عبد الله الهاشمىّ، قالوا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا إبراهيم بن طَلْحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصِّدِّيق وابنُ أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعًا عن عثمانَ بنِ عمر بن موسى عن الزُّهْرِىّ قال :

دخل عُرْوة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة على عمرَ بنِ عبد العزيز وهو أمير المدينة . فقال عروة لشىء حُدِّث به من ذكر عائشةَ وعبدِ الله بن الزبير: سمعتُ عائشةَ تقول : ما أحببت أحدا حبِّى عبدَ الله بن الزُّبير لا أَعْنِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ولا أبوىّ . فقال عمر : إنكم لتنتحلون عائشةَ لابن الزُّبير انتحالَ من لا يرى لكل مسلم معه فيها نصيبا . فقال عُروة : بركةُ عائشة كانت أوسعَ من ألّا يُرى لكل مسلم فيها حقّ، ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعتْه الرَّحِمُ والمودّةُ التى لا يَشْرَكُ كلَّ واحد منهما فيه عند صاحبه أحدٌ . فقال عمر : كذبتَ . فقال عُروة : هذا عبيدُ الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يعلم أنّى غير كاذب، وإنّ من أكذب الكاذبين من كذَّب الصادقين . فسكت عبيدالله ولم يدخل بينهما فى شىء. فأفّف بهما عمر وقال : آخرجا عنّى . ثم لم يلبَثْ أن بعث إلى عُبيد الله بن عبد الله رسولًا يدعوه لبعض ما كان يدعوه اليه . فكتب اليه عُبيد الله :

لَعمرُ ابنِ لَيْلَى[1] وابنِ عائشةَ التى * لَمروانَ أَدّتْه، أبٌ غير زُمَّلِ[2]
لَوَ انّهـمُ عمًّا وجدًّا ووالدًا * تأسَّوْا فسَنُّوا سُنَّة المُتَعَطِّل

(١) ابن ليلى يعنى به عبد العزيز بن مروان وهى ليلى بنت زبان بن الأصبغ بن عمرو . وابن عائشة يريد به عبد الملك بن مروان وهى عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية .
(٢) الزمل : الضعيف الساقط .

٩٤ / ٨

عذرتُ أبا حَفْصٍ وإن كان واحدًا * من القوم يَهدى هديَهم ليس يأتلى
ولكنهم فاتُوا وجئتَ مُصَلِّيًا * تقرَّبُ(١) إثْرَ السابق المتمهل
وعُمْتَ(٢) فإن تَسْبِق فضِنْءُ مبرِّزٍ * جوادٍ وإن تُسْبَق فنفسَك فاعذل
فمالك بالسلطان أن تحمِل القذَى * جفون عيونٍ بالقذَى لم تُكَحَّل
وما الحقُّ أن تَهْوَى فتُسْعَفَ بالذى * هَوِيتَ إذا ما كان ليس بأعدل ٥
أبَى اللهُ والأحسابُ أن تَرْأمَ الخَنَى(٣) * نفوسٌ كرامٌ بالخَنا لم تُوَكَّل

قال الزبير فى خبره وحده : الضِّنْءُ والضَّنْءُ : الولد. قال : وأنشد الخليلُ بن أسد قال أنشدنى دَهْثَم :

ابنُ عَجُوزٍ ضَنْؤها غيرُ أَمِرْ(٤) * لو نحرتْ فى بيتها عشرَ جُزُرْ
لأصبحتْ من لحمهنّ تعتذر * تغدو على الحىّ بعود من سَمُرْ ١٠
* حتى يعرّ أهلَها كلَّ مَعَرّ *

جفه عمر بن عبد العزيز فقال فيه شعرا ثم اعتذر فعذره

أخبرنى الحسن بن علىّ ووكيع قالا حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير، وأخبرناه الحَرَمىّ بن أبى العلاء إجازةً قال حدّثنا الزّبير عن آبن أبى أُوَيْس عن بكّار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أبى الزّناد عن هشام بن عُرْوة :

أنّ عُبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فآستأذن عليه، فردّه ١٥ الحاجب وقال له : عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وهو مُخْتَلٍ به، فآنصرف غضبانَ . وكان فى صلاحه ربما صنع الأبيات، فقال لعمر :

أبْنِ لى فكُنْ مثلى أو آبتغ صاحبًا * كمثلك إنّى تابع صاحبًا مثلى

---

(١) التقريب : عدو دون الإسراع . (٢) عمت : سرت . (٣) ترأم الخنى : ٢٠ ترضاه وتستسيغه . (٤) الأمر : الكثير .

عزيزٌ إخائى لا يَنال مودّتى * من الناس إلا مسلمٌ كامل العقل
وما يَلْبَثُ الفِتْيانُ أن يتفرّقوا * إذا لم يُؤَلِّف روحُ شكلٍ الى شكل

قال : فأُخبِر عمرُ بأبياته، فبعث اليه أبا بكرِ بنَ سليمان بن أبى حَثْمة وعِراكَ بن مالك يَعْذِرانه عنده و يقولان : إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك ولا ردّ الحاجب إياك، فعذَره . قال الزُّبَير وقد أنشدنى محمد بن الحسن قال أنشدنى مُحْرِز بن جعفر لعُبيد الله بن عبد الله هذه الأبيات وزاد فيها وهو أوّلها :

و إنّى آمرؤ من يُصْفِنى الودَّ يُلْفِنى * و إن نَزَحتْ دارٌ به دائمَ الوصل
عزيزٌ إخائى لا ينال مودّتى * من الناس إلا مسلمٌ كاملُ العقل
ولولا آتّقائى اللهَ قلتُ قصيدةً * تسير بها الرُّكْبانُ أَبْرَدُها يَغْلِى
بها تُنْقَضُ الأحلاسُ (١) فى كلّ منزل * ويَنْفِى الكَرَى عنه بها صاحبُ الرَّحْل
كفانِى يسيرٌ إذ أراكَ بحاجتى * كَلِيلَ اللسانِ ما تُمِرُّ وما تُحْلِى (٢)
تُلاوِذُ (٣) بالأبواب منّى مخافةَ الـ * ـمَلامة والإخلافُ شرٌّ من البخل

وذكر الأبياتَ الأُوَلَ بعد هذه .

شعره فى عراك وابن حزم حين علم أنهما مرّا عليه ولم يسلما

أخبرنى وَكيع قال حدّثنى علىّ بن حَرْب المَوْصِلىّ قال حدّثنا إسماعيل بن رَيّان الطائى قال سمعت ابن إدريس يقول :

كان عِراكُ بن مالك وأبو بكر بن حَزْم وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبةَ يتجالسون بالمدينة زمانا . ثم أن ابن حزم ولى إمرتَها وولى عِراكٌ القضاءَ، وكانا يمرّان بعُبيد الله فلا يسلّمان عليه ولا يقفان، وكان ضريرا فأُخبر بذلك، فأنشأ يقول :

---

(١) الأحلاس : جمع حلس وهو كل ما ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج .
(٢) ما تمر وما تحلى : ما تضر وما تنفع . (٣) تلاوذ : تراوغ .

ألا أبلغا عنّى عِراكَ بنَ مالك * ولا تَدَعا أن تَثْنيا بأبى بكر
فقد جعلتْ تَبْدو شَوَاكِلُ منكما * كأنّكما بى مُوقَرَان من الصَّخْر
وطاوعتُما بى داعِكًا(١) ذا مَعَاكَةٍ * لعَمْرِى لقد أَزْرَى وما مثله يُزْرِى
ولولا اتّقائى ثم بُقْيَاىَ فيكما * للُمْتُكما لومًا أحرَّ من الجمر

صوت

فَمَسًّا تُرابَ الأرض منها خُلقتُمَا * ومنها المَعَادُ والمَصِيرُ الى الحَشْرِ
ولا تأنَفا أن تسألا وتسلِّما * فما خشى الإنسانُ شرًّا من الكِبْرْ
فلو شئتُ أن ألفِى عدوًّا وطاعنا * لألفَيْتُه أو قال عندىَ فى السرّ
فإن أنا لم آمُرْ ولم أَنْهَ عنكما * ضحكتُ له حتى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى

١٠ عروضه من الطويل . غُنِّىَ فى :

* فمَسّا ترابَ الأرض منها خُلقتُما *

والذى بعده لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وابن المكّىّ ويونس وغيرهم . وزعم ابن شِهاب الزُّهْرِىّ أن عبيد الله قال هذه الأبيات فى عمر بن عبد العزيز وعمرو بن عثمان، يعنى [أن] الأبياتَ الأوّلَ ليست منها

١٥ فى شىء، وإنما أدخلتْ فيها لاتّفاق الرَّوِىّ والقافية .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر الحِزامىّ قال حدّثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال :

---

(١) الداعك : الأحمق . والمعاكة : الحمق .

جئت عُبيد الله بن عبد الله يوما فى منزله فوجدته ينفُخ وهو مغتاظ؛ فقلت له : مالك؟ قال : جئت أميرَكم آنفًا — يعنى عمرَ بن عبد العزيز — فسلّمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان، فلم يردّا علىّ، فقلت :

* فَمَسًّا ترابَ الأرض منها خُلقتما *

وذكر الأبياتَ الأربعة. قال فقلتُ له : رحمكَ الله! أتقول الشعر فى فضلك ونُسكك! قال : إنّ المصدور إذا نفَث بَرَأ .

قال أبو زيد حدّثنا إبراهيم بن المنذر، وأنشدنى هذه الأبياتَ عبد العزيز بن أبى ثابت عن ابن أبى الزِّناد له وذكر مثل ذلك وأنها فى عمر بن عبد العزيز وعبد الله ابن عمرو، وزاد فيها :

وكيف يُريدانِ ٱبنَ تسعين حِجّـةً * على ما أتَى وهو ابن عشرين أو عشرِ

شىء من شعره

ولعبيد الله بن عبد الله شعرٌ فَحْلٌ جيّد ليس بالكثير. منه قوله :

اذا كان لى سرٌّ فحدّثتُه العدَا * وضاق به صـدرى فَلَلنّاسُ أعذَرُ

وسرُّك ما ٱسـتُودعتَه وكتمتَه * وليس بسرٍّ حين يفشـو ويظهر

وقولُه لابن شِهاب الزُّهْرىّ :

اذا قلتُ أمّا بعـدُ لم يُثْنَ مَنْطِقِى * فحاذرْ اذا ما قلتُ كيف أقولُ

إذا شئتَ أن تَلْقَى خليلًا مصافِيًـا * لقيتَ وإخوانُ الثِّقاتِ قليـل

استحسن جامع ابن مرخية شعره فأجازه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبد الجبار بن سعيد المُسَاحِقىّ عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال :

أنْشد عبيدُ الله بن عبد الله جامعَ بنَ مُرْخِيَةَ الكلابىّ لنفسه :

لعَمْرُ أبى المُحْصِينَ أيامَ نلتـق * لَمَـا لا نُلاقيهـا من الدهر أكثرُ

٩٦ / ٨

يَعُــدُّون يومًا واحدًا إن أتيتُهـا * ويَنْسَوْن ما كانت على الدهر تهجُر

وإن أولعَ الواشون عَمْدًا بوصلنا * فنحن تجــديد المودة أبصر

قال : فأعجبتْ أبياتُه هذه جامعًا، فسَرَّ ذلك عبيدَ الله فكساه وحَمله .

جامع بن مُرْخِيَة هذا من شعراء الحجاز، وهو الذى يقول :

٥ سألتُ سعيدَ بن المسيَّب مفتىَ ال * ـمدينة هل فى حبِّ ظَمْياءَ من وِزْرِ

فقال ســعيد بن المسيَّب إنمـا * تُلام على ما تسـتطيع من الأمر

فبلغ قولُه سعيدا، فقال : كذَب واللهِ! ماسألنى ولا أفتيتُه بمـا قال . أخبرنى بذلك الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن الزُّبير .

مختارات من شعره

ومن جيِّد شعر عُبَيْد الله وسهلِه :

١٠ أعاذلَ عاجــلُ ما أشتهى * أحبُّ من الآجل الرائث(١)

سأُنفــق مالى على لذّتى * وأوثِر نفسى عــلى الوارث

أُبادِر إهــلاكَ مستهلِك * لمـالىَ أو عبثَ العـابث

وقولُه يفتخر فى أبيات :

إذا هى حَلّت وَسْط عُوذِ(٢) ابن غالبٍ * فــذلك ودٌّ نازحٌ لا أُطالعُـه

١٥ شددتُ حَيَازِيمى(٣) على قلب حازمٍ * كَتومٍ لمـا ضُمَّتْ عليـه أضالعه

أُدَاجِى رجالًا لستُ مُطْلِعَ بعضهم * على سرِّ بعضٍ إنّ صدرىَ واسعه

بنَى لىَ عبدُ الله فى ذِرْوة العــلا * وعُتْبةُ مجــدًا لا تُنـال مصانعه

(١) الرائث : البطىء . (٢) عوذ : جمع عائذ وهى الحديثة النتاج من الإبل وغيرها .

(٣) الحيزوم : وسط الصدر .

وقولُه وفيــه غنـاء :

صــــوت

إن يَكُ ذا الدهرُ قد أضرَّ بنا * من غير ذَحْلٍ[1] فربَّما نفعا
أبكى على ذلك الزمانِ ولا * أحسَب شيئا قد فات مُرْتَجَعا
إذ نحن فى ظلِّ نعمةٍ سلَفتْ * كانت لها كلُّ نعمةٍ تَبَعا

عروضه من المنسرح . غنّت فيها عَرِيبُ خفيفَ رَمَلٍ عن الهشامىّ .

قدمت المدينة مكية فتنت الناس فشبب بها

حدّثنا محمد بن جرير الطبرىّ والحَرَمىّ بن أبى العَلَاء ووَكيع قالوا حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال :

قَدِمتِ المدينةَ امرأةٌ من ناحية مكة من هُذَيْل، وكانت جميلة فخطبها الناس، وكادت تَذهب بعقول أكثرهم . فقال فيها عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة :

أحبُّك حبًّا لو علمتِ ببعضه * لَجُدْتِ ولم يَصعُبْ عليك شَديدُ
وحبُّك يا أمَّ الصبىِّ مُدَلِّهى * شَهيدى أبو بكرٍ وأىُّ شَهيدِ[2]
و يعلم وَجْدِى القاسمُ بن محمد * وعُرْوَةُ ما ألقَى بكم وسَعيدُ
و يعلم ما أُخفِى سليمانُ علمَه * وخارجةٌ يُبْدِى لنا ويُعيدُ
متى تَسألى عمّا أقول فَتُخْبَرِى * فللحبِّ عندى طارفٌ وتَليدُ

فبلغت أبياتُه سعيدَ بن المُسَيِّب، فقال : والله لقد أَمِنَ أن تسألَنا وعلم أنها لو استَشهدتْ بنا لم نشهد له بالباطل عندها .

وقال الزُّبَير : أبو بكر الذى ذكر والنَّفَرُ المسمَّوْن معه : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والقاسم بن محمد بن أبى بكر، وعُرْوة بن الزُّبَير، وسَعيد بن

(١) الذحل : الثأر . (٢) فى هذا البيت إقواء .

المسيَّب، وسليمان بن يَسار، وخارجةُ بن زيد بن ثابت، وهم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهلُ المدينة .

عتب على زوجته عثمة فى بعض الأمر فطلقها ، وشعره فيها

أخبرنى وَكيع قال حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن أحمد بن سَعيد الفِهْرىّ عن إبراهيم بن المُنْذِر بن عبد الملك بن الماجِشُون :

٥ أن أبيات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التى أوّلها :

لَعَمْرِى لئن شَطَّت بعَثْمَةَ دارُها * لقد كدتُ من وَشْك الفراق أَلِيحُ

قالها فى زوجة له كانت تسمَّى عَثْمَةَ، فعتَب عليها فى بعض الأمر فطلَّقها . وله فيها أشعار كثيرة، منها هذه الأبيات، ومنها قوله يذكر نَدَمَه على طلاقها :

كتمتَ الهوى حتى أضرَّ بك الكَتْمُ * ولامك أقوامٌ ولومُهمُ ظلمُ

١٠ وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير قال قال لى عمّى : لقينى علىّ بن صالح فأنشدنى بيتًا وسألنى مَنْ قائله؟ وهل فيه زيادة؟ فقلت : لا أدرى، وقد قدم ابن أخى — أَعْنيكَ — ، وقلّما فاتنى شىء إلّا وجدتُه عنده . قال الزبير: فأنشدنى عمّى البيتَ وهو :

غُرابٌ وظبىٌ أعضبُ القَرْنِ[1] نَادَيَا * بصُرْمٍ وصِرْدانُ[2] العَشِىِّ تَصِيحُ

١٥ فقلت له : قائله عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة، وتمامها :

لَعَمْرِى لئن شَطَّت بعَثْمَةَ دارُها * لقد كدتُ من وَشْك الفِراق أَلِيحُ

أَرُوحُ بهَمٍّ ثم أغدو بمثله * ويُحْسَبُ أنّى فى الثياب صحيحُ

فكتبهما عمّى عنّى وانصرف بهما اليه .

(١) الأعضب القرن : المكسور القرن . (٢) الصردان : جمع صرد وهو طائر أبقع أبيض
٢٠ البطن يتشاءم به .

صــــوت

ألا مَنْ لنفسٍ لاتموت فينقضى * عَناها ولا تحيا حياةً لهـا طعمُ
أأترُك إتيانَ الحبيب تأثُّمـا * ألا إن هِجْرانَ الحبيب هو الإثم
فذُقْ هجرَها قد كنتَ تزعُم أنه * رَشَادٌ ألا يا ربّمـا كذَب الزَّعْم

عروضه من الطويل . غنّى يونُس فى هـذه الأبيات الثـلاثة لحنا ماخوريًّا وهو خفيفُ الثقيلِ الثانى من رواية إسحاق و يونس وابن المكّىّ(١) وغيرِهم . وغنّت عَريبُ فى :

* أأترك إتيانَ الحبيب تأثُّمـا *

لحنًا من الثقيل الأوّل، وأضافت اليه بعدَه على الوِلَاءِ بيتين ليسا من هذا الشعر وهما :

وأقبل أقـــوالَ الوُشاة تَجَرُّمًا * ألا إن أقوال الوُشاة هى الجُرْمُ
وأشتاقُ لى إلفًا على قُرب دارِه * لأنّ مُلاقاةَ الحَبيب هى الغُنْمْ

ومـا قاله عبيد الله أيضا فى زوجته هذه وغُنّىَ فيه :

صـــوت

عَفَتْ أطـلالُ عَثْمةَ بالغَميمِ * فأضحتْ وهى مُوحِشةُ الرُّسُومِ
وقد كُنّا نَحُـلُّ بها وفيها * هَضيمُ الكَشْحِ جائـلةُ البَرِيمِ

عروضه من الوافر . عَفَتْ : درَست . والأطلال : ما شَخَص من آثار الديار . والرُّسُوم: ما لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع و إنمـا هو أثر . والهضيم الكشح الخميص الحَشَى والبطن . والبَريم: الخلخال، وقيل : بل هو اسم لكل ما يُلبس من الحُلِّى فى اليدين والرجلين . والجائل : ما يجول فى موضعه لا يستقرّ . غنّى فى هذين البيتين قَفَا النجّار ، ولحنُه من القَـدْر الأوسط من الثّقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البِنصر .

(١) يلاحظ أن صاحب هذا الغناء هو يونس؛ و يبعد أن يكون من رواته .

ومما قاله فى زوجته عَثْمَةَ وفيها غناء :

صـــــوت

تغلغـلَ حُبُّ عَثْمَةَ فى فؤادى * فباديه مــع الخـافِى يسـيرُ

تغلغـــل حيث لم يَبْلُغْ شرابٌ * ولا حُـزْنٌ ولم يبلُـغ سرورُ

صدَعْتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيه * هواكِ فَلِـيمَ والتأمَ الفُطُـورُ[1]

أكاد إذا ذكرتُ العهـد منها * أطير لَوَ انّ إنساناً يطـير

غَنِيُّ النفسِ أنْ أزدادَ حبّاً * ولكنّى الى صِـلَةٍ فقـير

وأَنْفَذَ جارِحاكِ سـوادَ قلبى * فأنتِ علىَّ ما عِشنا أمـيرُ

لَمْعَبد فى الأوّل والثانى من الأبيات هَزَجٌ بالبِنصر عن حَبَش، وذكر أحمد بن عبيد الله أنه منحولٌ من المَكّىّ . وفى الثالث ثم الثانى لأبى عيسى بن الرّشيد رَمَلٌ .

قال ابن أبى الزّناد فى الخبر الذى تقـدّم ذكرُه عن عُبَيد الله وما قاله من الشعر فى عَثْمَةَ وغيرِها : فقيل له : أتقول فى مثل هذا؟ ! قال : فى اللَّدُود[2] راحةُ المَفْـُود .

بلغه أن رجلا يقع ببعض الصحابة فجفاه

أخبرنى وَكيع قال حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا ابن وَهْب عن يعقوب يعنى ابنَ عبد الرحمن عن أبيه قال :

كان رجل يأتى عُبَيْدَ الله بن عبد الله ويجلس اليه . فبلغ عُبيدَ الله أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجاءه الرجل فلم يلتفت اليه عبيد الله . وكان الرجل شديدَ العقل، فقال له : يا أبا محمد، إن لك لشأناً، فإن رأيتَ لى عذراً فآقبل عذرى . فقال له : أَتتّهمُ اللهَ فى علمه؟ قال : أعوذ بالله . قال : أَتتّهم رسول الله صلى الله

(١) الفطور : الشقوق . (٢) اللدود : ما يصب بالمسعط من الدواء فى أحد شقى الفم . والمفئود : الذى يشتكى فؤاده .

عليه وسلم فى حديثه؟ قال : أعوذ بالله. قال: يقول الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ وأنت تقع فى فلان وهو ممن بايع ، فهل بلغك أن الله سخط عليه بعد أن رضى عنه ؟! قال: والله لا أعود أبدا. قال: والرجل عمر بن عبد العزيز[1].

صوته

أخبرنى وكيع عن أحمد بن زُهير عن يحيى بن مَعين قال : ٥

مات عُبيد الله بن عبدالله بن عُتْبة سنة اثنتين ومائة. ويقال سنة تسع وتسعين

أخبرنى محمد بن جرير الطبرى والحسن بن على عن الحارث[2] عن ابن سعد عن مَعن[3] عن محمد بن هلال : أن عُبيد الله توفى بالمدينة سنة ثمان وتسعين .

* * *

صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن

ومنها[4] : ١٠

صــــوت

٩٩ / ٨

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ * وهل تُطيق وَداعاً أيها الرجلُ

غَرَّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها * تمشى الهُوَيْنَى كما يمشى الوَجِى الوَحِلُ[2]

تسمع للحَلْىِ وَسْوَاساً اذا انصرفتْ * كما استعان بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقتْ رجُلاً * غيرى وعُلِّق أخرى غيرَها الرَّجلُ ١٥

قالت هريرةُ لمّا جئتُ زائرَها * وَيْلِى عليك وويلى منك يا رجلُ

لم تمشِ مِيلاً ولم تركب على جملٍ * ولم تَرَ الشمس إلا دونها الكِلَلُ

---

(١) يبعد تصديق مثل ذلك عن عمر بن عبد العزيز وهو من هو صلاحا وتقوى . (٢) هو الحارث بن أبى أسامة . وابن سعد هو سليمان بن سعد . (راجع ج ٦ ص ٣٥٩ من هذه الطبعة) .

(٣) هو معن بن عيسى القزاز . (راجع تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٩٨) . ٢٠

(٤) يريد أصوات معبد التى تسمى مدن معبد ، وقد مرت فى صفحة ١٣٧

أقول للركب فى دُرْنَى(١) وقد ثَمِلوا * شيموا وكيف يَشيم الشاربُ الثَّمِلُ
كناطحٍ صخرةً يومًا ليَفْلقها * فلم يَضِرْها وأَوْهَى قَرْنَه الوَعِلُ
أبلغ يزيدَ بنى شَيْبانَ مَأْلُكَةً * أبا ثُبيتٍ أمَا تَنْفَكُّ تأتكِلُ
إن تَركبوا فركوبُ الخيل عادتُنا * أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ
وقد غدوتُ الى الحانوت يَتْبَعُنى * شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ
فى فِتْيةٍ كسيوف الهند قد علموا * أن ليس يدفع عن ذى الحيلة الحِيَلُ
نازعتُهم قُضُبَ الرَّيْحان مُتَّكِئًا * وقهوةً مُزَّةً راووقُها خَضِلُ

غنّى معبد فى الأوّل والثانى فى لحنه المذكور من مُدُن معبد لحنًا من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق. وذكرت دَنَانيرُ أن فيهما لابن سُرَيج أيضًا صنعةً. ولمعبد أيضا فى الرابع والخامس والثالث ثقيلٌ أولُ، ذكره حَبَشٌ، وقيل: بل هو لحن ابن سريج، وذلك الصحيح. ولابن مُحْرِز فى الثقيل فى "إن تَركبوا" وفى "كناطحٍ صخرةً" ثانى ثقيلٍ مُطْلَق فى مجرى الوسطى عن إسحاق. ولحُنَيْنٍ الحِيرِىّ فى "أبلغ يزيدَ بنى شيبان" و"إن تركبوا" ثانى ثقيلٍ آخر. وذكر أحمد بن المَكِّىّ أن لابن مُحْرِز فى "ودِّع هريرةَ" و"تسمع للحَلْىِ" ثانىَ ثقيلٍ بالخنصر فى مجرى البنصر. وفى "وقد غدوتُ" وما بعده رملٌ لابن سُرَيج ومُخَارِق عن الهشامى. ولابن سريج فى "تسمع للحلى" وقبله "ودِّع هُرَيرةَ" رملٌ بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق. وللغَرِيض فى "قالت هُرَيرةُ" و"عُلِّقتها عَرَضًا" رمل. وفى هذه الأبيات بعينها هَزَجٌ ينسب اليه أيضا وإلى غيره. وفى "تسمع للحلى" و"قالت هُرَيرة" هزج لمحمد بن حسن بن مُصْعَب. وفى "لم تمش ميلا" و"أقول للركب" لابن سريج خفيف الثقيل الأوّل بالبنصر عن حَبَش. وفى "قالت

(١) درنى: موضع بنواحى اليمامة، وقيل: بنواحى العراق.

هريرة" و"تسمع للحلى" لحن لابن سريج . وإن لحنين فى البيتين الآخرين لحنًا آخر .

وقد مضت أخبار هريرة مع الأعشى فى :

* هُرَيرةَ ودِّعها وإن لام لائمُ *

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعىّ قال قلت لأعرابيّة : ما الغَرّاء ؟ قالت : التى بين حاجبيها بَلَجٌ وفى جبهتها اتساعٌ تتباعد قُصّتُها معه عن حاجبيها فيكون بينهما نَفْنَفٌ[1] . وقال أبو عُبَيدة : الفَرْعاء : الكثيرةُ الشعر . والعوارض : الأسنان . والهُوَيْنَى تصغير الهُونَى ، والهونى : مؤنث الأهون . والوَجِى : الظالع وهو الذى قد حَفِيَ فليس يكاد يستقلّ على رجله . والوَحِلُ : الذى قد وقع فى الوَحل . والعِشْرِق : نبت يَبِسَ فتحرِّكه الريح ، شبّه صوتَ حَلْيها بصوته . الزَّجِلُ : المصوِّت من العِشْرق . وعلِقتها : أحببتُها . وعرضا : على غير موعد . والوَعِلُ : التَّيسُ الجبلىّ ، والجمع أوعال . مألُكة : رسالة ، والجمع مآلِك . ما تنفكُّ : ما تزال . وتأتكل : تحترق . وقال أبو عُبيدة : الشاوى : الذى يشوى اللحمَ . والنَّشُولُ : الذى ينشُل اللحمَ من القِدْر . ومِشَلٌّ : سوّاقٌ سريع يسوق به . وشُلْشُلٌ : خفيف . وشَوِلٌ : طيِّبُ الرِّيح .

١٠٠
٨

ما وقع بين بنى كعب وبنى همام ، وقصيدة الأعشى فى ذلك

الشعر للأعشى وقد تقدّم نسبه وأخباره . يقول هذه القصيدة ليزيدَ بنِ مُسْهِر أبى ثابت الشَّيْبانى . قال أبو عُبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلا من بنى كعب بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثَعْلبة ، يقال له ضُبَيْع ، قتل رجلا من بنى هَمّام يقال له زاهر بن سَيّار بن أسعد بن همّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وكان ضُبَيْع مطروقا[2] ضعيفَ العقل . فنهاهم يزيد بن مُسْهِر أن يقتلوا ضُبَيْعًا بزاهر وقال :

(١) النفنف : المهوى بين الشيئين . (٢) المطروق : الذى به هوج وجنون .

اقتلوا به سيِّدا من بنى سعد بن مالك بن ضُبَيعة ، فحَضَّ بنى سَيَّار بن أسعد على ذلك وأمرهم به . وبلغ بنى قيس ما قاله ، فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يدع بنى سَيَّار وبنى كَعْب ولا يُعِينَ بنى سَيَّار، فإنه إن أعانهم أعانت قبائلُ بنى قيس بنى كعب، وحذَّرهم أن تَلْقَ شَيْبانُ منهم مثلَ ما لَقُوا يوم العَيْن عَيْنِ مُحَلِّم بهجَر (١) .

٥ قال أبو عُبيدة : وكان من حديث ذلك اليوم، كما زعم عمر بن هلال أحدُ بنى سعد ابن قيس بن ثعلبة، أن يزيد بن مُسْهِر كان خالَع أَصْرَمَ بن عوف بن ثعلبة بن سعد ابن قيس بن ثعلبة، وكان عوف أبو بنى الأصرم يقال له الأَعْجَف والضَّيْعةُ له وهى قرية باليمامة . فلما خلع يزيدُ أصرمَ من ماله خالعه على أن يَرْهَنه ابنيه أَفْلَتَ وشهابا ابنى أَصْرم، وأمهما فُطيمة بنت شُرَحْبِيل بن عَوْسَجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس، ١٠ وأن يزيد قَمَر أَصْرمَ فطلب أن يدفع اليه ابنيه رهينةً ؛ فأبتْ أمُّهما وأبى يزيدُ إلا أخذَهما . فنادت قومَها ، فحضر الناسُ للحرب، فاشتملتْ فطيمة على ابنيها بثوبها ، وفكَّ قومُها عنها وعنهما . فذلك قول الأعشى :

يوم عين محلم

نحن الفوارس يوم العَيْن ضاحيةً * جَنْبَىْ فُطَيْمةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ (٢)

قال : فانهزمتْ بنو شَيْبان؛ فحذر الأعشى أن يلقَ مُسْهِرٌ مثلَ تلك الحال .

١٥ قال أبو عُبيدة : وذكر عامر ومِسْمَعٌ عن قَتادةَ الفقيه أن رجلين من بنى مَرْوانَ تنازعا فى هذا الحديث، فجرَّدا رسولًا فى ذلك الى العراق حتى قدم الى الكوفة فسأل فأُخْبِر أنّ فُطيمة من بنى سعد بن قيس كانت عند رجل من بنى شَيْبان، وكانت له

---

(١) عين محلم (بتشديد اللام وكسرها) : قال أبو منصور : هى عين فوّارة بالبحرين ، وما رأيت عينا أكثر ماء منها ، وماؤها جار فى منبعها ، فاذا برد فهو ماء عذب . ولهذه العين اذا جرت فى نهرها خلج كثيرة تخلج منها تسق قرى كثيرة ومزارع ونخلا . (٢) ضاحية : علانية . والميل : جمع أميل ٢٠ وهو الذى لا يثبت فى الحرب مثل أبيض وبيض . والعزل : جمع أعزل، وحركت زايه للشعر .

زوجة أخرى من بنى شيبان، فتعايرتا فعمدت الشّيبانيّة فحلّت ذوائب فُطيمة، فآهتاج الحيّان فآقتتلوا، فهُزمت بنو شَيْبانَ يومئذ .

مسحل رئى الأعشى

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أحمد بن محمد القَصير قال حدّثنا محمد ابن صالح قال حدّثنى أبواليَقْظان قال حدّثنى جُوَيْرِيةُ عن يَشْكُر بن وائل اليشكرِيّ، وكان من علماء بكر بن وائل وُلد أيام مُسَيْلِمةَ فجىء به اليه فمسح على رأسه فعَمِىَ، قال جُويرية فحدّثنى يَشْكُرُ هذا قال حدّثنى جَرير بن عبد الله البَجَلِيّ قال :

سافرت فى الجاهلّية فأقبلتُ على بَعيرى ليلةً أريد أن أسقيَه، فجعلت أريده على ان يتقدّم فوالله مايتقدّم، فتقدّمتُ فدنوت من المـاء وعقَلته، ثم أتيت المـاء فاذا قوم مشوَّهون عند المـاء فقعدت . فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشـدّ تشويها منهم فقالوا : هذا شاعرهم . فقالوا له : يافلان أنشدْ هذا فإنه ضيف، فأنْشد :

* ودِّع هريرةَ إن الركب مرتحـلُ *

فلا والله ماخَرم منها بيتا واحدا حتى انتهى الى هذا البيت :

تسمع للحَلْىِ وَسْوَاسًا اذا انصرفتْ * كما استعان بريح عِشْرِقٌ زَجِلُ

فأعجب به . فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا . قلت : لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بنى ثَعْلبـة أنشَدَنيها عامَ أوّلَ بنجْـرانَ . قال : فإنك صادق، أنا الذى ألقيتُها على لسانه وأنا مِسْحَلٌ صاحبه، ما ضاع شـعرُ شاعرٍ وضعه عنـد ميمون بن قيس :

صـــوت

رأيتُ عَرابةَ الأَوْسِيَّ يسمو * الى الخيرات مُنْقطِـعَ القَرينِ
إذا ما رايةٌ رُفعت لمجـــد * تلقّـاها عَرابةُ باليميـن

عروضه من الوافر . الشعر للشّماخ . والغِناء لمَعْبد خفيفُ الثقيلِ الأوّل بالوسطى .
وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه . وذكر آبن المكّيّ أن له فيه لحنا
آخر من خفيف الثقيل . وقد أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر بن شَبّة
عن محمد بن يحيي أبى غَسّان قال غنّى أبو نؤى :

٥ رأيت عرابة الأوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين

فنسبه الناس إلى مَعْبد . ولعلّه يعنى اللحنَ الآخر الذى ذكره آبن المكّيّ . وقال هارون
ابن محمد بن عبد الملك الزيّات أخبرنى حمّاد عن ابن أبى جَنَاح قال : الناس ينسبون
هذا الصوت الى معبد .

ذكر الشّمّاخ ونسبه وخبره

نسبه من قبل أبويه

هو، فيما ذكر لنا أبو خليفة عن محمد بن سَلَّام، الشَّمَّاخ بن ضِرار بن سِنان بن أُميّة[1] ابن عمرو بن جِحَاش بن بَجَالة بن مازِن بن ثَعْلبة بن سعد بن ذُبْيان . وذكر الكوفيّون أنه الشماخ بن ضِرار بن حَرْمَلة بن صَيْفِيّ بن إياس بن عبد بن عثمان بن جِحَاش بن بَجَالة بن مازِن بن ثَعْلَبة بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان. ٥ وأُمّ الشّماخ أَنْمارِيّة من بنات الخُرْشُب ويقال : إنهنّ أنجبُ نساء العرب، واسمها مُعَاذة بنت بُجَير بن خالد بن إياس . والشّمّاخ مُخضرَم ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام، وقد قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم :

مخضرم، وهو أحد من هجا عشيرته

تَعَلَّمْ رسولَ الله أنا كأننا * أَفَأْنا بأَنْمارٍ ثعالبَ ذى غِسْلِ[2]

يعنى أَنْمارَ بن بَغِيض وهم قومه . وهو أحد من هجا عشيرتَه وهجا أضيافَه ومَنّ عليهم ١٠ بالقِرَى . والشّماخ : لقب واسمه مَعْقِل، وقيل الهَيْثَم، والصحيح معقل . قال جَبَل ابن جَوّال له فى قصة كانت بينهما :

لَعَمْرِى لعل الخيرَ لو تعلمانِه * يَمُنّ علينا مَعْقِلٌ ويزيد
مَنِيحةَ عنزٍ[3] أو عطاءَ فَطِيمةٍ * أَلَا أنّ نيل الثّعْلَبِيّ زهيد

١٠٢ / ٨

له أخوان جزء ومزرّد

وللشّمّاخ أخوان من أُمّه وأبيه شاعران، أحدهما مُزَرِّد وهو مشهور، واسمه يزيد ١٥ وإنما سمى مُزَرِّدًا لقوله :

---

(١) فى تجريد الأغانى : « أمامة » .

(٢) ذو غسل : موضع . وقد ورد هذا البيت فى كتاب الشعر والشعراء مع بيت آخر منسوبين الى مزرّد أخى الشماخ .

(٣) المنيحة : الناقة أو الشاة تعطيها غيرك ليحتلبها ثم يردّها عليك .

فقلتُ تَزَوَّدْها عُبَيْــدُ فإننى * لدُرْدِ الشيوخ فى السنين مُزَوِّدُ [1]

والآخر جَزْء بن ضِرار، وهو الذى يقول يرثى عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه :

عليك سلامٌ من أميرٍ و باركتْ * يدُ الله فى ذاك الأَديم المُمــزَّقِ

فمن يَسْعَ أو يركبْ جَناحَىْ نَعامةٍ * ليُدرك ما حاولتَ بالأمس يُسْبَقِ

٥ وقد أخبرنى أحمــد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَــبّة قال حدّثنا شِهاب بن عَبّاد قال حدّثنا محمد بن بشر قال حدّثنا مِسْعَر عن عبد الملك بن عُمير عن الصَّقْر بن عبد الله عن عُرْوة عن عائشة قالت :

ناحت الجن على عمر بشعر فنحل لجزء أخيه

ناحت الجنُّ على عمر قبل أن يُقتل بثلاث فقالت :

أبعــد قَتيلٍ بالمدينــة أَظْلمتْ * له الأرضُ تهتزُّ العِضاهُ [2] بأسْؤُقِ

١٠ جَزَى اللهُ خيرا من إمامٍ و باركتْ * يدُ الله فى ذاك الأديم المُمــزَّقِ

فمن يَسْعَ أو يركب جَناحَىْ نعامةٍ * ليُدرك ما حاولتَ بالأمس يُسبَقِ

قضيتَ أمورا ثم غادرتَ بعدها * بوائــقَ [3] فى أكمامهــا لم تُفَتَّقِ

وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته * بكَفَّىْ سَبَنْتَى [4] أزرقِ العين مُطْرِقِ

أخبرنى أحمد قال حدّثنــا عمر بن شَبّة قال حدّثنا سـليمان بن داود الهاشمىّ

١٥ قال أخبرنا إبراهيم بن ســعد الزُّهْرىّ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبــد الله بن أبى رَبيعة عن أم كلثوم بنت أبى بكر الصدِّيق :

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء . وفى حـ : « بدرد الموالى » وفى سائر الأصول : « بزرد الموالى » وهو تحريف . والدرد : جمع أدرد وهو من لا أسنان له . (٢) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك . والأسؤق : جمع ساق . (٣) البوائق : الشرور . (٤) السبنتى هنا : الجرىء .

٢٠ وأزرق العين : يريد به الأعجمى . والمطرق : المسترخى العين .

أن عائشة حدّثتها أن عمر أذِن لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم أن يَحْجُجْنَ فى آخر حِجّة حَجّها عمر . قال : فلما ارتحل عمر من المحصَّب[1] أقبل رجل متلثِّمٌ فقال وأنا أسمع : هذا كان منزله ، فأناخ فى منزل عمر[2] ثم رفع عَقِيرتَه يتغنَّى :

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ * يدُ الله فى ذاك الأديم الممزَّقِ

فمن يَجْرِ أو يركبْ جناحَىْ نَعامة * ليدرك ماقدَّمتَ بالأمس يُسْبَقِ

قضيتَ أمورًا ثم غادرتَ بعدها * بوائقَ فى أكمامها لم تفتَّقِ

قالت عائشة : فقلت لبعض أهلى : اعلَموا لى علمَ هذا الرجل ، فذهبوا فلم يجدوا فى مُناخه أحدًا . قالت عائشة : فوالله إنى لأحسَبه من الجنّ . فلما قُتل عمر نحل الناسُ هذه الأبيات للشمّاخ بن ضِرار أو جَمّاع بن ضِرار . هكذا فى الخبر، وهو جَزْء ابن ضرار .

وضعه ابن سلام فى الطبقة الثالثة

وجعل محمد بن سَلّام فى الطبقة الثالثة الشمّاخ وقرَنه بالنابغة ولَبِيد وأبى ذُؤَيب الهُذَلىّ ، ووصفه فقال : كان شديدَ متون الشعر أشدَّ كلاما[3] من لبيد ، وفيه كَزازةٌ[4] ، ولبيدٌ أسهلُ منه منطقًا . أخبرنا بذلك أبو خَليفة عنه .

قال الحطيئة إنه أشعر غطفان

وقد قال الحُطَيئة فى وصيّته : أبلغوا الشمّاخَ أنه أشعرُ غَطَفانَ ، قد كُتب ذلك فى شعر الحُطَيئة[5] .

(١) فى الأصول «من الحصبة» والتصحيح عن ابن سعد فى العبارة الآتية . (٢) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : «فى منزله عمر» وهو تحريف . وقد وردت هذه القصة فى كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٣ ص ٢٤١ هكذا : «قال ابن شهاب فأخبرنى ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة أن أمه أم كلثوم بنت أبى بكر حدثته عن عائشة قالت : لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين قالت : إذ صدرنا عن عرفة مررت بالمحصب سمعت رجلا على راحلته يقول : أين كان عمر أمير المؤمنين فسمعت رجلا آخر يقول : ها هنا كان أمير المؤمنين . قال : فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته ... الخ» . (٣) عبارة ابن سلام «أشد أسر الكلام من لبيد» . (٤) الكزازة : اليبس والتقبض . (٥) راجع الجزء الثانى ص ١٩٦ من هذه الطبعة .

هو أوصف الناس للحمير
١٠٣
٨

وهو أوصفُ الناس للحَمير . أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنى عمّى عن ابن الكلبىّ قال : أُنشِد الوليدُ بن عبد الملك شيئًا من شعر الشّماخ فى صفة الحمير فقال : ما أوصفه لها ! إنى لأحسَب أن أحد أبويه كان حمارًا .

أخبرنى إبراهيم بن عبد الله قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال :

٥ كان الشّماخ يهجو قومه ويهجو ضيفَه ويَمُنّ عليه بِقراه . وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأرْجَز الناس على البديهة .

حديث الشماخ ومزرّد مع أمهما

أخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال :

قال مُزَرِّد لأمّه : كان كعب بن زُهير لا يهاجى وهو اليومَ يهاجى . فقالت : ١٠ يا بُنَىّ نَعَمْ ! إنه يرى جَرْوَ الهِراش مُوثَقًا ببابك . تعنى أخاه الشّماخ . وقد ذكر محمد ابن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابىّ عن المُفَضَّل قال : قالت مُعاذة بنت بُجَير بن خَلَف للشّماخ ومُزَرِّد : عرّضتُمانى لشعراء العرب الحطيئة وكعب بن زُهير . فقالا : كلّا ! لا تخافى . قالت : فما يؤمّننى ؟ قالا : إنك ربطتِ بباب بيتك جَرْوَىْ هِراشٍ لا يجترئ أحدٌ عليهما . يعنيان أنفسَهما .

منازعته قوم امرأته الى كثير ابن الصلت

١٥ أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال أخبرنى شُعيب بن صخر قال : كانت عند الشّماخ امرأةٌ من بنى سُلَيم أحدِ بنى حَرَام بن سِمَاك ، فنازعته وادّعته طلاقًا وحضر معها قومُها فاختصموا إلى كَثير بن الصَّلْت — وكان عثمان بن عفّان أقعده للنظر بين الناس ، وهو رجل من كِنْدة وعِدادُه فى بنى جُمَح [وقد ولدتهم بنو جمح] ثم تحوّلوا الى بنى العبّاس فهم فيهم اليوم (١) — فرأى كَثيرٌ عليهم يمينا ، فالتوى الشّماخ ٢٠ باليمين يحرّضهم عليها ، ثم حلف وقال :

(١) هذه الجملة فى الأصول ولم ترد فى الطبقات لابن سلام .

أتتني سُلَيْمٌ قَضَّها وقَضيضُها * تمسّح حولى بالبَقيع سِبالَها
يقولون لى يا آحلِفْ ولستُ بحالف * أُخاتلهم عنها لكيما أنالَها
ففرّجتُ همَّ النفس عنّى بحَلْفةٍ * كما شَقَّتِ الشَّقْراءُ عنها جِلالَها

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال :

قدم ناسٌ من بَهْز المدينةَ يستَعْدُون على الشّماخ وزعموا أنه هجاهم ونفاهم، فجَحَد ذلك الشماخُ. فأمر عثمانُ كَثيرَ بنَ الصَّلْت أن يستحلفه على مِنْبَر النبيّ صلى الله عليه وسلم : ما هجاهم. فآنطلق به كَثيرٌ إلى المسجد ثم آنتحاه دون بنى بَهْز — وبهز : اسمه تَيْم آبن سُلَيم بن منصور — فقال له : وَيْلَك يا شَمّاخ! إنك لتحلف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن حلف به آثما يتبوّأْ مقعدَه من النار! قال : فكيف أفعل فداؤك أبى وأمّى؟! قال : إنى سوف أُحلّفك ما هجوتَهم، فآقلب الكلامَ علىّ وعلى ناحيتى فقل : والله ماهجوتكم، فأَرِدْنى وناحيتى بذلك، وإنى سأدفع عنك . فلمّا وقف حلَف كما قال له وأقبل على كَثير فقال : ما هجوتكم . فقالت بَهْز : ما عنَى غيرَكم، فأعِد اليمين عليه . فقال : مالى أتأوّله ! هل آستحلفتُه إلّا لكم ! وما اليمين إلا مرّةٌ واحدة ! انصرِفْ يا شمّاخ . فانصرف وهو يقول :

أتتنى سُلَيم قَضُّها وقَضيضُها * تمسّح حولى بالبَقيع سِبالَها
يقولون لى يا آحلِفْ ولستُ بحالف * أُخادعهم عنها لكيما أنالَها
فلو لا كَثيرٌ نعّم اللهُ بالَه * أزلّتْ(٢) بأعلى حُجّتَيْك نعالَها
ففرّجتُ همَّ الموت عنّى بحَلْفةٍ * كما شَقّتِ الشَّقْراءُ عنها جلالَها

(١) فى الأصول : « فاحلف » والتصويب عن ديوانه .
(٢) أزلت : أزلقت . ومرجع الضمير فيه سليم خصومه .

سألته امرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجه، وشعره فى ذلك

ونسختُ هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدّثنى علىّ بن صالح صاحب المصلّى قال قال القاسم بن مَعْن :

كان الشماخ تزوّج امرأة من بنى سُلَيم، فأساء اليها وضربها وكسر يدها. فعرَضت امرأةٌ من قومها، يقال لها أسماءُ، ذاتَ يوم للطريق تسأل عن صاحبتها. فآجتاز الشّماخ وهى لا تعرفه : فقالت له : ما فعل الخبيث شمّاخ ؟ فقال لها : وما تريدين منه ؟ قالت : إنه فعل بصاحبةٍ لنا كيت وكيت. فتجاهل عليها وقال : لا أعلم له خبرا، ومضى وتركها وهو يقول :

تُعارِضُ أسماءُ الرِّفاقَ عشيّةً * تسائل عن ضِغْنِ النساءِ النوّاكح

وماذا عليها إنْ قَلُوصٌ تمرّغتْ * بعِدْلين أو ألقتْهما بالصَّحاصِح (١)

فإنك لو أُنكحتِ دارتْ بك الرَّحا * وأُلقيتِ رَحْلِي سَمْحةً غيرَ طامح (٢)

أأسماءُ إنّى قد أتانى مخبِّرٌ * بفيقةِ يُنْبِى منطقًا غيرَ صالح (٣)

بَعَجتُ اليه البطنَ ثم آنتصحتُه * وما كلُّ من يُفشَى اليه بناصح

وإنّى من قوم على أن ذممْتَهم * اذا أَوْلَمُوا لم يُولِموا بالأنافِح (٤) (٥)

وإنكِ من قوم تَحِنّ نساؤُهم * إلى الجانب الأقصى حنينَ المَنائح (٦)

(١) كذا فى جـ . والصحاصح : جمع صحصح وهو الأرض الجرداء المستوية . يريد : ما ذا يهمها من امرأة أساءت عشرة زوجها فأدبها . وفى سائر الأصول : « الصحائح » وهو تحريف .

(٢) كذا فى ديوانه . يريد : لو تزوجتك دارت بك الرحى أى انقلب أمرك وتغير . وألقيت رحلى أى أنزلتنى عندك وأكرمت مثواى . وسمحة : منقادة . وغير طامح : غير ملتفتة الى الرجال . وفى الأصول : « فاياك إن أنكحت » . (٣) فيقة الضحى : أولها وارتفاعها .

(٤) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « قضيتهم » . (٥) الأنافح : جمع إنفحة (بكسر الهمزة وفتح الفاء) وهى كرش الحمل والجدى ما لم يأكلا، فاذا أكلا فهى كرش . (٦) المنائح : جمع منيحة وهى المعارة للبن فهى تحنّ لوطنها .

ثم دخل المدينةَ فى بعض حوائجه، فتعلّقت به بنو سُلَيم يطلبونه بظُلامة صاحبتهم، فأنكر. فقالوا : احلف، فجعل يطلُب اليهم ويغلِّظ عليهم أمرَ اليمين وشدّتَها عليه ليرضَوْا بها منه حتى رَضُوا، فحلف لهم وقال :

ألا أصبحتْ عِرْسِى من البيت جامحًا * بغــير بــلاءٍ[1] أىُّ أمرٍ بَــدا لَهَــا
على خَــيْرةٍ[2] كانتْ أم العِــرْسُ جامحٌ * فكيف وقد سُــقْنا الى الحَىِّ ما لَهَــا
سترجِع غَضْــبَى رَثَّةَ الحال عنــدنا * كما قطعتْ منَّــا بلَيْــلٍ وصالَهَــا

فذكر بعد هذه الأبيات قولَه :

* أتتــنى سُلَيْمٌ قَضُّها وقَضِيضُها *

الى آخر الأبيات .

خطب امــــرأة فتزوّجها أخــوه جزء فماتا متهاجرين

وقال ابن الكلبىّ :

كان الشّماخ يهوَى امرأةً من قومه يقال لهــا كَلْبَةُ بنتُ جَوّال أختُ جَبَل بن جَوّال الشاعر ابن صَفْوان بن بِلال بن أَصْرَم بن إياس بن عبد تَميم بن جِحَاش بن بَجَالة بن مازِن بن ثعْلَبــة ، وكان يتحدّث اليها ويقول فيها الشعر ، فخطَبها فأجابته وهمّت أن تتزوّجه . ثم خرج إلى سفر له فتزوّجها أخوه جَزْءُ بن ضِرَار، فآلَى الشّماخ ألّا يكلّمه أبدا، وهجاه بقصيدته التى يقول فيها :

لنا صاحبٌ قد خان من أجل نَظْرةٍ * سقيمُ الفؤاد حبُّ كَلْبــةَ شاغلُهْ

فماتا متهاجرين .

---

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى ديوانه : « على غير شىء » . وفى الأصول : « بخير بلاء » وهو تحريف .
(٢) أى على حالة خيرة . وأم للإضراب بمعنى بل .

استنشد المهدى ابن دأب من أشعر ما قالت العرب فأنشده من شعره

١٠٥ / ٨

أخبرنى أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمّار قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد الوراق قال حدّثنى أحمد بن محمد بن بكر الزُّبَيرى قال حدّثنا الحسن بن موسى بن رَبَاح مولى الأنصار عن أبى غُزَيّة الأنصارى قال :

كنتُ على باب المهدىّ يومًا، فخرج حاجبه فقال : أين ابن دَأب ؟ فقال : ها أنذا . فقال : ٱدخل؛ فدخل ثم خرج فجلس . فقلت : يا بنَ دأب ، ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين؟ قال قال لى : أنشِدْنى أبياتا من أشعر ما قالت العرب؛ فأردت أن أُنشده قولَ صاحبك أبى صِرْمةَ الأنصارى التى يقول فيها :

لنا صُوَرٌ يؤول الحقُّ فيها * وأخلاقٌ يَسُود بها الفقيرُ

ونصحٌ للعَشيرة حيث كانت * إذا مُلئت من الغشّ الصدور

وحِلْمٌ لا يَصُوب الجهلُ فيه * وإطعامٌ اذا قَحَط الصَّبِير (١)

بذات يدٍ على ما كان فيها * نجود (٢) به قليلًا أو كثير

فتركتُها وقلت : إن من أشعر ما قالت العرب قولَ الشّمّاخ :

وأشعثَ قد قَدّ السِّفارُ (٣) قميصَه * يجرّ شِواءً بالعصا غيرَ مُنْضَجِ (٤)

دعوتُ الى ما نابنى فأجابنى * كريمٌ من الفتيان غيرُ مُزَلَّجِ (٥)

فتًى يملأ الشِّيزَى (٦) ويُرْوِى سِنانَه * ويضرب فى رأس الكَمِىّ المُدَجَّجِ

فتًى ليس بالراضى بأدنى معيشةٍ * ولا فى بيوت الحىّ بالمتولِّجِ

(١) الصبير : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر . (٢) فى الأصول : « يجود » . والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) السفار : السفر، أى رب أشعث شقت كثرة السفر وكثرة العمل لرفقائه ثوبه . (٤) فى ديوانه : « وجر الشواء بالعصا غير منضج » . (٥) المزلج : الملصق بالقوم وليس منهم، والرجل الناقص المروءة . (٦) الشيزى : خشب تتخذ منه القصاع .

فقال : أحسنتَ ! ثم رفع رأسه الى عبد الله بن مالك فقال : هذه صفتُك يا أبا العباس . فأكبّ عليه عبد الله فقبّل رأسه وقال : ذكرك اللهُ بخير الذِّكر يا أمير المؤمنين . قال أبو غُزَيَّةَ فقلت له : الأبياتُ التى تركتَ واللهِ أشعرُ من التى ذكرت .

عرابة الذى مدحه ونسبه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

عَرَابةُ الذى عَناه الشمّاخ بمدحه هو أحد أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو عرابة بن أَوْس بن قَيْظِىّ بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرج . وإنما قال له الشماخ : عرابة الأَوْسىّ ، وهو من الخَزْرج ، نسبةً الى أبيه أوس بن قَيْظِىّ . ولم يصنع إسحاقُ فى هذا القول شيئا . عَرَابةُ من الأَوْس لا من الخَزْرج ، وفى الأوس رجل يقال له الخَزْرج ليس هذا هو الجدّ الذى ينتهى اليه الخَزْرجيّون الذى هو أخو الأوس ، هذا الخَزْرج بن النَّبِيت بن مالك بن الأَوْس ، وهكذا نَسبه النسّابون .

ردّ النبى عرابة فى غزاة أحد مع غلمة فردّهم

وأخبرنى به الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن عبد الله بن جعفر بن مُصْعَب عن جدّه مصعب الزُّبَيرىّ عن ابن القَدّاح : وأتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى غَزاة أُحُد ليغزوَ معه ، فردّه فى غِلْمة استصغرهم : منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأُسَيْد بن حُضَير والبَرَاءُ بن عازِب وعَرَابة بن أَوْس وأبو سعيد الخُدْرىّ .

أخبرنى بذلك محمد بن جرير الطبرىّ عن الحارث بن سعد عن الواقدىّ عن محمد بن حُمَيد عن سلَمةَ عن ابن إسحاق .

قصة أبى عرابة وعمه مع النبى

وأوس بن قَيْظِىّ أبو عَرَابة من المنافقين الذين شهدوا أُحُدًا مع النبىّ صلّى الله عليه وسلم وهو الذى قال له : إنّ بيوتنا عَوْرةٌ . وأخوه مِرْبَع (١) بن قَيْظِىّ الأعمى

(١) كذا فى سيرة ابن هشام ص ٥٥٩ . وفى الأصول : « مرفع » بالفاء .

الذى حثا فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب لمّا خرج الى أُحُد وقد مرّ فى حائطه[1] وقال له : إن كنتَ نبيًّا فما أُحِلّ لك أن تدخل فى حائطى . فضربه سعد بن زيد الأشهلى بقوسه فشجّه وقال : دعْنى يا رسولَ الله أقتلْه فإنه منافق . فقال صلى الله عليه وسلم : "دعُوه فإنه أعمى القلبِ أعمى البصر" . فقال أخوه أوْس بن قَيْظِىّ أبو عَرَابة : لا والله ولكنها عداوتكُم يا بنى عبد الأشهل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا والله ولكنه نِفاقكم يا بنى قَيْظِىّ" .

١٠٦ / ٨

كان عرابة سيدا فى قومه وأبوه من وجوه المنافقين

أخبرنا بذلك الحَرَمىّ عن عبد الله بن جعفر الزُّبَيرىّ عن جدّه مُصْعَب عن ابن القَدّاح :

أن عَرابة كان سيِّدا من سادات قومه وجوادًا من أجوادهم، وكان أبوه أوس ابن قَيْظِىّ من وجوه المنافقين .

لقى الشماخ بالمدينة فأكرمه فدحه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدائنى عن ابن جُعْدُبة، وأخبرنى علىّ بن سليمان عن محمد بن يَزيد، وأخبرنى إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم :

أنّ الشمّاخ خرج يريد المدينة، فلقيه عَرابةُ بن أوس فسأله عما أقدمه المدينةَ، فقال : أردت أن أَمْتارَ لأهلى . وكان معه بَعيران فأوقرهما له بُرًّا وتمرا وكساه وبرّه وأكرمه . فخرج عن المدينة وامتدحه بهذه القصيدة التى يقول فيها :

رأيت عَرابةَ الأَوْسىَّ يسمو * الى الخيرات منقطعَ القرين

سأله معاوية بأى شىء سدت فأجابه

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشى قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

---

(١) الحائط : البستان .

قال معاوية لعرابة بن أوس : بأى شىء سُدْتَ قومَك ؟ فقال : أعفو عن جاهلهم، وأعطى سائلَهم، وأسعى فى حاجاتهم، فمن فعل كما أفعل فهو مثلى، ومن قصّر عنه فأنا خيرٌ منه، ومن زاد فهو خيرٌ منّى . قال الأصمعىُّ: وقد انقرض عَقِبُ عرابة فلم يبق منهم أحد.

اعترض عليه ابن دأب فى شعره لابن جعفر

أخبرنى أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهَمْدانى قال قال يحيى بن الحسن ابن جعفر بن عُبيد الله بن الحسين بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

قال ابن دَأْب، وسمع قولَ الشمّاخ بن ضِرار فى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

إنك يا ٱبنَ جعفرٍ نِعم الفتى * ونعـم مأوى طارقٍ اذا أتَى

وجارُ ضيفٍ طرَق الحىَّ سُرَى * صادف زادًا وحديثًا ما ٱشتهى

* إن الحديثَ طَرَفٌ من القِرَى *

فقال ابن دأب : العَجَب للشمّاخ! يقول مثلَ هذا لٱبن جعفر و يقول لعَرَابة :

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد * تلقّاها عَرابةُ باليمين

ابن جعفر كان أحقّ بهذا من عرابة! .

نقد أبو نواس بيتا له ووازنه بشعر الفرزدق

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنى الكُرَانىُّ محمد بن سعد قال حدّثنى طائع قال أخبرنى أبو عمرو الكَيِّس قال قال لى أبو نواس : ما أحسن الشمّاخُ فى قوله :

إذا بلغتِنى وحملتِ رحلى * عَرابةَ فٱشرَقى بدمِ الوتينِ (١)

(١) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه .

لا كما قال الفرزدق :

علامَ تَلَفَّتين وأنتِ تحتى * وخيرُ النّـاس كلّهـم أمامى
متى تَرِدِى الرُّصافةَ تستريحى * من التَّهْجير[٢] والدَّبَرِ الدَّوَامى

قلت أنا : وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داودُ بن سَلْم فى مدحه قُثَمَ بن العباس
٥ فأحسن فقال :

نجـوتِ من حِلِّ ومن رِحْلتى * يا نَاقُ إن أدنيتِنى من قُثَمْ
إنكِ إن أدنيتِ منـه غدًا * حالفنا اليُسْرُ ومات العَـدَمْ
فى كفّـه بحـرٌ وفى وجهـه * بدرٌ وفى العِرْنين منـه شَمَمْ
أصمُّ عن قِيل الخنا سمعُـه * وما عن الخير به من صَمَم
١٠ لم يَدْرِ ما "لا" و"بلَى" قد درَى * فعافها واعتاض منهـا "نعم"

١٠٧/٨

نقد عبد الملك بن مروان شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا الخَرَاز عن المَدائنىّ قال :
أنشد عبدُ الملك قولَ الشمّاخ فى عَرابة بن أوس :

إذا بلّغتِنى وحملتِ رحـلى * عرابةَ فاشْرَقى بدم الوَتين

فقال : بئست المكافأةُ كافأها ! حملتْ رحلَه وبلّغتْه بُغيتَه فجعل مكافأتَها نَحْرَها ! .

المهلب والشعراء

١٥ قال الخَرَاز : ومثل هذا ما حدّثَناه المدائنىُّ عن ابن دَأْب أن رجلًا لقِى المهلّبَ فنحر ناقته فى وجهه؛ فتطيّر من ذلك وقال له : ما قصّتك ؟ فقال :

إنى نذرتُ لئن لَقِيتُكَ سالمًـا * أن تستمرّ بها شِفارُ الجازر

فقال المهلّب : فأطعمونا من كَبِد هذه المظلومة، ووصَلَه .

قال المدائنىّ : ولقِيتْه امرأةٌ من الأزْد وقد قدِم من حرب كان نهض اليهـا،
٢٠ فقالت : أيها الأمير، إنى نذرتُ إن وافيتك سالمًـا أن أُقبّـل يدك وأصوم يوما

(٢) التهجير : المشى فى الهاجرة . والدبر (بفتحتين) جمع دبرة (بفتحتين) وهى قرحة الدابة .

وتهبَ لى جارية صُغْدِيّة[١] وثلثمائة درهم . فضحك المهلّب وقال : قد وفّينا لكِ بنذرك فلا تعاودى مثله ، فليس كل أحد يفى لك به .

المهدى وأبو دلامة

وأخبرنى الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى بعض أصحابنا عن القَحْذَمىّ : أن أبادُلَامة لقِىَ المهدىَّ لمّا قدِم بغدادَ، فقال له :

إنى نذرتُ لئن رأيتكَ وارداً * أرضَ العراق وأنت ذو وَفْر
لَتُصَلِّيَنّ على النبىّ محمدٍ * ولتملأَنّ دراهماً حِجْرى

فقال له : أمّا النبىّ فصلّى الله على النّبىّ محمد وآلِه وسلّم ، وأمّا الدراهم فلا سبيل اليها . فقال له : أنت أكرمُ من أن تُعطِيَنى أسهلَهما عليك وتمنعَنى الأخرى . فضحك وأمر له بما سأل . وهذا مما ليس يجرى فى هذا الباب ولكن يُذكر الشىء بمثله .

لطيفة الأعرابى على مائدة عبد الملك ابن مروان بسبب بيت له

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا مسعود بن عيسى العَبْدىّ قال حدّثنى أحمد بن طالب الكنانى (كنانة تَغْلِب)، وأخبرنى به محمد بن أحمد بن الطَّلّاس عن الخَرّاز عن المَدائنى لم يتجاوزه به قال :

نصَب عبد الملك بن مروان الموائد يُطعم الناس، فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد . فنظر اليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره ، فقال له : أَعِراقىٌّ أنت؟ قال : نعم . قال : أنت جاسوس؟ قال : لا . قال : بَلَى . قال : وَيْحَك ! دَعْنِى أتهنّأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغّصْنى به . ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال مَن القائل :

(١) صغدية : نسبة الى الصغد وهى كورة قصبتها سمرقند .

إذا الأَرْطَى[1] توسَّـد أَبْرَدَيْهِ * خدودُ جوازِئٍ بالرَّمْلِ عِينِ

وما معناه؟ ومن أجاب فيه أجزْناه، والخادم يسمع. فقال العراقىّ للخادم: أتحبّ أن أشرح لك قائله وفيم قاله؟ قال: نعم. قال: يقوله عَدِىّ بن زيد فى صفة البِطِّيخ الرَّمِّىّ. فقال ذلك الخادم. فضحك عبد الملك حتى سقط. فقال له الخادم: أخطأتُ أم أصبتُ؟ فقال: بل أخطأتَ. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا العراقىّ فعل الله به وفعل لقَّنَنِيه. فقال: أىُّ الرجالِ هو؟ فأراه إياه. فعاد اليه عبد الملك وقال: أنت لقَّنْتَه هذا؟ قال: نعم. قال: أخطأً لقَّنْتَه أم صوابا؟ قال: بل خطأً. قال: ولِمَ؟ قال: لأنى كنت متحرِّما بمائدتك فقال لى كيت وكيت، فأردتُ أن أَكُفَّه عنّى وأُضحِكَكَ. قال: فكيف الصواب؟ قال: يقوله الشّمّاخ بن ضِرَار الغَطَفانىّ فى صفة البقر الوحشيّة قد جَزَأَتْ بالرُّطْب عن الماء. قال: صدقتَ وأجازه، ثم قال له: حاجتَك؟ قال: تُنَحِّى هذا عن بابك فإنه يَشِينُه.

سأل كثير يزيد ابن عبد الملك عن معنى بيت له فسبه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال كتب الىّ إسحاق ابن إبراهيم الموصلىّ أن أبا عُبيدة حدّثه عن غير واحد من أهل المدينة:

---

(١) قال البغدادى نقلا عن ابن قتيبة: الأرطى: شجر من أشجار البادية تدبغ به الجلود. وهو مفعول لفعل محذوف أى إذا توسد الأرطى. وأبرديه بدل اشتمال من الأرطى. ومعنى توسد أبرديه: اتخذها كالوسادة. والأبردان: الظل والفىء، سميا بذلك لبردهما، والأبردان أيضا: الغداة والعشى. وخدود فاعل توسد. والجوازئ: الظباء وبقر الوحش، سميت جوازئ لأنها اجتزأت بأكل النبت الأخضر عن الماء. قال فى اللسان فى مادة جزأ: الظباء لا تعنى فى هذا البيت كما ذهب اليه ابن قتيبة؛ لأن الظباء لا تجزأ بالكلأ عن الماء، وإنما عنى البقر. ويقوى ذلك أنه قال عين، والعين من صفات البقر لا من صفات الظباء. والعين: الواسعات العيون، جمع عيناء. والمعنى: أن الوحوش تتخذ كناسين عن جانبى الشجر تستتر فيهما من حر الشمس فترقد قبل زوال الشمس فى الكناس الغربى، فاذا زالت الشمس الى ناحية المغرب وتحول الظل فصار فيئا زالت عن الكناس الغربى ورقدتْ فى الكناس الشرقى. (راجع ديوانه ص ٩٤).

أن يزيد بن عبد الملك لمّا قَدِم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم. فأقبل اليه كثيّر يرجو أكثر من ذلك، وكان قد عوّده مَنْ كان قبلَ يزيدَ من الخلفاء أن يُلْقِى عليهم بيوتَ الشعر ويسألَهم عن المعانى . فألقى على يزيدَ بيتا وقال : ياأمير المؤمنين، ما يَعْنى الشّمّاخُ بقوله :

فما أَرْوَى وإن كَرُمتْ علينا * بأدنَى من موقَّفَـةٍ حَرُونِ [1]

تُطِيفُ على الرُّماة فتتّقِيهم * بأوعالٍ مُعَطَّفةِ القُرونِ [2]

فقال يزيد : وما يضرُّ ياماصَّ بَظْرِ أمّه ألّا يعلم أميرُ المؤمنين هـذا ! وإن احتاج الى علمه سأل عبدًا مثلَك عنه ! . فنـدم كثيّر وسكّته مَنْ حضَر من أهـل بيته، وقالوا له : إنه قد عوّده مَنْ كان قبلك من الخلفاء أن يُلْقِى عليه أشباهَ هذا، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه؛ فطَفِئَ عنه غضبُه . وكانت جائزته ثلاثين ألفا، وكان يطمع فى أكثر من جائزة الأحوص .

وأخبرنا أبو خَليفة بهـذا الخبر عن محمـد بن سَـلّام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشّمّاخ :

وقد عَرِقتْ مَغَابِنُها وجادتْ * بِدِرَّتِها قِرَى جَحِنٍ قَتِينِ [3]

---

(١) كذا فى جـ وديوانه . وقد جاء فيه شرح هذا البيت هكذا : الموقفة : الأروية (أنثى الوعول) التى فى قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلخال . والتوقيف : البياض مع السواد . فأراد أن فى قوائمها خطوطا تخالف لونها . والحرون : التى تحـرن فى أعلى الجبل فلا تبرح . وأروى : اسم محبوبته . يريد أن محبوبته ليست بأقرب من هذه الأروية التى لاتنال . وفى سائر الأصول : «مفوقة» وهو تحريف . (٢) أى تطيف بهذه الأروية الرماة فلا تبرح لأنها فى أعلى الجبل ودونها أوعال فلا يصل اليها نبل الرماة ، لأنهم يرمون الأوعال لأنها أقرب اليهم فكأنها تتق نفسها بهـا . وإنمـا يؤكد بهذا بعدها وأنها لا يقدر عليها . (٣) كذا فى ديوانه واللسان مادة «جحن وجن» والمغابن : الآباط ، وقيل : الأرفاغ . والقتين : مثل الجحن ، أراد به قرادا سيئ الغذاء ، وجعل عرق هذه الناقة قوتا له . وفى الأصول : «بدرتها بها جحن قتين» .

فسكت عنه يزيد، فقال يزيد : وما على أمير المؤمنين لا أمَّ لك ألّا يعرفَ هذا! هو القُرَاد أشبهُ الدوابِّ بك !.

تمثل ابن الزبير ببيت له فى حواره لمعاوية

نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدّثنا علىّ بن صالح صاحب المُصَلَّى قال حدّثنا ٱبن دَأْب قال .

٥ قال معاوية لعبد الله بن الزّبير وهو عنده بالمدينة فى أُناس : يٱبنَ الزُّبير، ألَا تَعْذِرنى فى حسن بن علىّ! ما رأيتُه مُذْ قدِمتُ المدينةَ إلا مرّةً. قال : دَعْ عنك حسنًا، فأنت والله وهو كما قال الشمّاخ :

أجامِلُ أقوامًا حياءً وقد أَرَى * صدورَهمُ تَغْلِى علىّ مِراضُها

والله لو يشاء حسنٌ أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك ! والله لأهلُ العراق ١٠ أرأمُ له من أمّ الحُوار لحُوارها . فقال معاوية رحمه الله : أردتَ أن تُغرِيَنى به ! والله لأصِلنّ رَحِمَه ولأُقْبِلَنّ عليه، وقال :

ألَا أيها المرءُ المُحَرِّشُ بيننا * ألَا ٱقْتُلْ أخاك لستُ قاتلَ أرْبَدِ

أبَى قُرْبُهُ منّى وحسنُ بلائه * وعلمى بما يأتى به الدهرُ فى غد

— والشعر لعُرْوة بن قَيْس — فقال ابن الزُّبير : أمَا واللهِ إنّى وإيّاه لَيَدٌ عليك بحِلْف(١)

١٥ (١) حلف الفضول : حلف تداعت له قريش واجتمعوا من أحله فى دار عبدالله بن جدعان تعاهدوا فيه على ألا يجدوا بمكة مظلوما إلا ردوا عليه مظلمته، كان قبل البعث بعشرين سنة . وأوّل من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب . وسببه أن رجلا من زبيد قدم مكة بتجارة له، فاشتراها منه العاص بن وائل وحبس عنه ثمنها . فٱستعدى عليه الزبيدى الأحلاف من قريش فأبوا أن يعينوه على العاص لمكانته فيهم . فأوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته :

٢٠ يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر

فقام الزبير بن عبد المطلب واجتمعت هاشم وزهرة وتيم فى دار ابن جدعان وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى عليه حقه . فسمى ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا : لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر . ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى وردّوها اليه .

الفُضُول . فقال معاوية : من أنت ! لا أَعرِض لك وحِلْفَ الفُضول ! والله ما كنتَ فيها إلا كالرَّهينة تُنْخَن معنا وتَرَدَّى هزيلًا، كما قال أخو هَمْدان :

١٠٩ / ٨

إذا ما بعيرٌ قام علّق رحله * وإن هو أبقى بالحياة مُقَطَّعا[1]

صوت من مُدُن معبد

صوت معبد فى شعر كثير بن كثير بن المطلب

وهو الذى أوّله :

* كم بذاك الحَجُون من حىّ صدقٍ *

أَسْعدانِى بعَبْرةٍ أَسْرابِ * من شؤون كثيرةِ التَّسْكاب

إن أهلَ الحِصاب قد تركونى * مُوزَعًا مُولَعًا بأهل الحِصاب

كم بذاك الحَجُونِ من حىّ صِدْقٍ * وكهول أَعِفَّةٍ وشَباب

سكنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيت أبى مو * سى إلى النخل من صُفِىّ السِّباب

فارقونى وقد علمتُ يقينًا * ما لمن ذاق ميتةً من إياب

فَلِىَ الويلُ بعدهم وعليهم * صرتُ فردًا وملّنى أصحابى

عَروضه من الخفيف . الشؤون : الشُّعَب التى يتداخل بعضُها فى بعض من عظام الرأس، واحدها شأن مهموزا . والجِزْع : منعطَف الوادى . وصُفِىّ[2] السِّباب : جمع صَفَاة وهى الحجارة . ولُقِّبتْ صُفِىّ السِّباب لأن قومًا من قريش ومواليهم كانوا يخرجون اليها بالعَشِيّات يتشاتمون ويذكرون المعايبَ والمثالبَ التى يُرْمَوْن بها؛ فسمِّيتْ تلك الحجارةُ صُفِىّ السِّباب .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ عن علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ عن أبيه قال يقال: صَفَا السِّبابِ وصُفِىّ السِّبَاب بفتح الفاء وكسرها جميعا، وهو شِعْبٌ من

(١) كذا ورد هذا البيت فى الأصول .

(٢) صفىّ : جمع صفا، وصفا جمع صفاة ، فصفىّ جمع الجمع لصفاة .

شِعاب مكة فيها صَفًّا أى صخرٌ مطروح . وكانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشاتمون وذلك فى الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال؛ثم صار ذلك فى صدرٍ من الإسلام أيضا حتى نشأ سُدَيْف مولى عُتْبة[1] بن أبى سُدَيف وشَبِيبٌ مولى بنى أُميّة ، فكان هذا يخرج فى موالى بنى هاشم وهذا فى موالى بنى أُميّة، فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف . وكان يقال لهم السُّدَيْفيّة والشَّبِيبيَّة . وكان أهل مكّة مقتسَمين بينهما فى العصبيّة؛ ثم درَس ذلك فصارت العصبيّة بمكة بين الجزّارين والحنّاطين، فهى بينهم الى اليوم، وكذلك بالمدينة فى القِمار وغيره .

الشعر لكَثِير بن كَثِير بن المطّلب بن أبى وَدَاعة السَّهْمىّ، وقيل: بل هو لكثيّر عَزَّة . وقد رُوى فى ذلك خبر نذكره . والغناء لَمعْبَد ثقيلٌ أوّل بالوسطى فى مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه ثقيلًا أوّل بالخنصر للغَريض ولحنًا آخر لابن عَبّاد ولم يجنّسه . ولابن جامع فى الخامس والسادس رَمَلٌ بالوسطى . ولابن سُرَيج فى الأربعة الأُوَل ثقيلٌ أوّل بالسَّبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن أبى دُبَاكل الخُزَاعىّ فيها ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ وأبى أيّوبَ المدنىّ وحَبَش . فمن روى هذا الشعر لكثيّر عزّة يرويه :

* إنّ أهل الخضاب قد تركونى *

ويزعم أن كثيِّرا قاله فى خِضاب خضَبتْه عَزّةُ به .

١١٠ / ٨

ابن عائشة يذكر بحادثة لكثير وعزة فيغنى بشعره

أخبرنى بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة ولم يتجاوزه، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى الزُّبيرىّ

(١) فى جـ : « مولى بنى عتبة بن سديف » .

قال حدّثنى بهذا الخبر أيضا وفيه زيادة وخبرُه أحسن وأكثر تلخيصا وأدخل فى معنى الكتاب، قال الزُّبيرى حدّثنى أبى قال :

خرجت إلى ناحية فَيْد[1] متنزِّها، فرأيت ابن عائشة يمشى بين رجلين من آل الزُّبَير وإحدى يديه على يد هذا والأخرى على يد هذا، وهو يمشى بينهما كأنه امرأة تُجْلَى على زوجها . فلمّا رأيتهم دنوت فسلّمت وكنت أحدثَ القومِ سِنًّا ، فآشتهيتُ غِناء ابن عائشة فلم أدر كيف أصنع . وكان ابن عائشة إذا هيَّجتَه تحرّك . فقلت : رحم الله كثيِّرا وعَزّة! ما كان أوفاهما وأكرمَهما وأصونَهما لأنفسهما! لقد ذكرتُ بهذه الأودية التى نحن فيها خبر عَزّة حين خضَبتْ كثيِّرا . فقال ابن عائشة : وكيف كان حديث ذلك ؟ قلت : حدّثنى مَنْ حضره بذلك — ومن هاهنا تتفق رواية عمر بن شَبَّة والزُّبَيرى — قال : خرج كثيِّر يريد عَزّة وهى منتجعة بالصَّوارى وهى الأودية بناحية فَدَك، فلما كان منها قريبًا وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابيًّا فقال له : اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأةً جسيمةً لَحِيمةً تُبالِط الرجالَ الشعر — قال إسحاق : المبالطة : أن تُنْشِد أوّلَ الشعر وآخرَه — فإذا رأيتَها فنادِ : من رأى الجملَ الأحمر؟ مرارا . ففعل . فقالت له : وَيْحَك قد أسمعتَ فآنصرِف، فآنصرف اليه فأخبره . فلم يلبَث أن أقبلتْ جاريةٌ معها طَسْتٌ وتَوْرٌ[2] وقربة ماء حتى آنتهتْ اليه، ثم جاءت بعد ذلك عَزّةُ فرأته جالسًا محتبيا قريبًا من ذراع راحلته . فقالت له : ما على هذا فارقتُك ! . فركب راحلتَه وهى باركةٌ وقامت إلى لِحيته فأخذت التَّوْر نخضَبتْه وهو على ظهر جمله حتى فرغتْ من خِضابه، ثم نزل فجعلا يتحدّثان حتى عَلِق الخضابُ ، ثم قامت اليه فغسلت لِحيتَه ودهَنَتْه، ثم قام فركب وقال :

(١) فيد : منزل بطريق مكة . (٢) تور : إناء صغير .

إنّ أهل الخضاب قد تركونى * مُوزَعًا مُولَعًا بأهل الخضاب

وذكر باقىَ الأبيات كلّها . والى هاهنا رواية عمر بن شَبّة . فقال ٱبن عائشة : فأنا والله أُغنّيه وأُجيده ، فهل لكم فى ذلك ؟ فقلنا : وهل لنا عنه مَدْفَعٌ! فٱندفع يغنّى بالأبيات ، فخُيِّل إلىّ أن الأودية تنطق معه حسنا . فلمّا رجعنا الى المدينة قصصت القصّة، فقيل لى : إن ذلك أحسن صوت يغنّيه ابن عائشة ؟ فقلت : ٥ لا أدرى إلّا أنى سمعت شيئًا وافق محبّتى .

معبد وابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما

وقال عبد الله بن أبى سعد حدثنى عبد الله بن الصَّبّاح عن هشام بن محمد عن أبيه قال :

زار معبدٌ ابنَ سُريج والغَرِيضَ بمكة، فخرجا به الى التّنْعيم [1] ثم صاروا الى الثَّنِيّة ١٠ العُلْيا ثم قالوا : تعالَوْا حتى نُبْكِىَ أهل مكة، فٱندفع ٱبن سُرَيج فغنّى صوتَه فى شعر كَثير بن كَثير السَّهْمىّ :

أَسْعِدِينى بعَبْرةٍ أَسْرابِ * من دموعٍ كثيرةِ التَّسْكاب

فأخذ أهلُ مكة فى البكاء وأَنُّوا حتى سُمع أنينُهم . ثم غنّى معبد :

صــوت

١٥ يا راكبًا نحوَ المدينة جَسْرةً * أُجُدًا [2] تلاعب حَلْقةً وزماما

اِقرأ على أهل البَقيع من ٱمرئٍ * كَمِدٍ على أهل البقيع سلاما

كم غيّبوا فيه كريمًا ماجدًا * شَهْمًا ومُقْتَبَلَ الشبابِ غلاما

ونَفيسةً فى أهلها مرجوّةً * جمعتْ صَباحةَ صورةٍ وتَماما

فنادَوْا من الدروب بالويل والحَرَب والسَّلَب ، وبقى الغَريض لا يقدر من البكاء ٢٠ والصُّراخ أن يغنّى .

١١١ / ٨

(١) التنعيم : موضع بمكة على بعد فرسخين منها . ومنه يحرم المكيون بالعمرة .

(٢) ناقة جسرة : ضخمة . وأجد : قوية موثقة الخلق .

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لمَعْبد ثقيل أوّل بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكى، وقد غلط . وذكر حبش أن لعلّويه فيه ثقيلا أوّل آخر .

صوت من مدن معبد فى شعر قيس ابن ذريح

ومن مُدُن معبد

صـــــوت

وقد أُضيف اليه غيره من القصيدة : ٥

سَلِي[1] هل قَلَانِى من عَشيرٍ صَحِبْتُه * وهــل ذَمّ رحلى فى الرِّفاق رفيقُ

وهل يَجْتَوِى القومُ الكِرامُ صَحابَتى * اذا اغبرّ مَخْشِىُّ الفِـجاجِ عَمِيــق

ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنّنى * لكم والهَدَايا المُشْعَراتِ صـديق

تكاد بلادُ الله يا أمّ مَعْمَـرٍ * بمـا رَحُبتْ يومًا علىّ تَضِــيق

أذُود سَوَامَ الطَّرْف عنكِ وهل لها * الى أحدٍ إلا إليــكِ طــريق ١٠

وحـدّثتَنِى يا قلبُ أنك صـابرٌ * على البَيْن من لُبْنَى فسوف تذوق

فمُتْ كَمَدًا أو عِشْ سَـقِيمًا فإنمـا * تكلّفنـى مالا أراك تُطيــق

بلُبْنَى أنادى عنــد أوّل غَشْـية * ولو كنتُ بين العائدات أُفيــق

إذا ذُكرت لبنى تَجلّتْـكَ زَفْـرةٌ * ويَثْنِى لك الدّاعى بهـا فتُفيــق

عروضه من الطويل . الشعر لقيس بن ذَرِيح . والغناء لمَعْبد فى اللحن المذكور ثقيل ١٥ أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق فى الأول والثانى والثالث. وذكر فى موضع آخر وافقته دنَانيرُ[2] أن لمعبد ثقيلا أوّل بالبنصر فى مجرى الوسطى أوّله :

---

(١) فى الأصول : «سلا» والخطاب لأنثى . وقبل البيت :

وإن كنت لمـا تخبرى فسـائلى * فبعض الرجال للـرجال رموق

(راجع هـذه القصيدة بتمامها فى الأمالى ج ٢ ص ٢٥٧) والقصـيدة فيه منسوبة لمضرس بن قرط ابن الحارث المزنى . ٢٠

(٢) كذا بالأصول . ولعله : ومرافقته دنانير . أو : وافقته فيه دنانير .

صـــــوت

أتجمع قلبًا بالعــراق فَرِيقُــه * ومنــه بأطلال الأَرَاكِ فــريقُ

فكيف بها لا الدارُ جامعةُ النّوَى * ولا أنت يومًا عن هواكَ تُفيقُ

ولو تعلمين الغيب أيقنتِ أنّنى * لكم والهدايا المُشْعَرَاتِ صــديقُ

٥ البيتان الأوّلان يُرْوَيان لجرير وغيره، والثالث لقيس بن ذَرِيح أضافه إليهما مَعْبد . وذكر عمرو ويونس أن لحن معبد الأوّل فى خمسة أبيات أُولَى من الشعر . وذكر عمرو بن بانة أنّ لبَذل الكبيرة خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى فى الرابع من الأبيات وبعده :

دَعَوْنَ الهوى ثم ٱرْتَمَيْنَ قلوبَنــا * بأعيُنِ أعداءٍ وهنّ صــديقُ

وبعده الخامس من الأبيات وهو "أَذُود سَوَام الطَّرْف" . وزعم حَبَشٌ أن فى لحن ١٠ معبدٍ الثانى الذى أوّله : " أتجمع قلبــا " لابن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبنصر . وذكر أيضا أن للغَرِيض فى الأوّل والثــانى والسابع ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر ، ولابن مِسْجَح خفيف رملٍ بالبنصر . وفى السادس وما بعــده لحَكَمٍ الوادىّ ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَش أن للغريض فيها ثقيلًا أوّل بالوسطى ،

١١٢/٨

ذكر قيس بن ذَرِيح ونسبه وأخباره

نسبه

هو، فيما ذكر الكلبيّ والقَحْذَمِيّ وغيرهما، قيس بن ذَرِيح بن سُنَّة بن حُذَافة ابن طَرِيف بن عُتْوَارة بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاة وهو علىّ بن كِنَانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار. وذكر أبو شُرَاعة القَيْسِيّ[1] أنه قيس ابن ذَرِيح بن الحُبَاب بن سُنَّة، وسائر النسب متّفق. واحتجّ بقول قيس:

فإنْ يك تَهْيامِى بُلُبْنَى غَوايةً * فقد ياذَرِيحُ بنَ الحُبَابِ غَوَيْتُ

وذكر القَحْذَمِيّ أن أمه بنتُ سُنَّة بن الذاهِل[2] بن عامر الخُزَاعىّ، وهذا هو الصحيح؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سُنَّة شاعر، وهو الذى يقول:

ضربوا الفِيلَ بالمغمَّس[3] حتى * ظَلَّ يحبو كأنه مَحْمومُ

وفيه يقول قيس:

أُنبئتُ أنّ لخالى هَجْمةً[4] حُبُسًا * كأنهن بجَنْبِ المَشْعَرِ النُّصُلُ[5]

قد كنتَ فيما مضى قِدْمًا تجاوِرُنا * لا ناقةٌ لك تَرعاها ولا جملُ

ما ضَرَّ خالىَ عمرًا لو تَقَسَّمها * بعضُ الحياض وجَمُّ البئر مُحْتَفِلُ[6]

هو رضيع الحسين ابن على

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن موسى بن حَمّاد قال حدّثنى أحمد ابن القاسم بن يوسف قال حدّثنى جَزْء بن قَطَن قال حدّثنا جَسّاس بن محمد بن عمرو

(١) كذا فى جـ والأغانى (ج ٧ ص ٢٣٢ من هذه الطبعة). وفى سائر الأصول: «أبو شراعة الضبي». وهو تحريف. (٢) فى تجريد الأغانى: «الكاهل». (٣) المغمس: موضع قرب مكة فى طريق الطائف. (٤) الهجمة من الإبل: أولها أربعون الى مازادت، أو ما بين السبعين الى المائة. (٥) النصل: جمع نصيل، وهو حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة، يشبه به رأس البعير وخرطومه اذا رجف فى سيره. (٦) جم الماء: معظمه. ومحتفل: ملآن. يريد: ما على خالى أن نصيب من ماله وهو غنى مكثر.

أحدُ بنى الحارث بن كعب عن محمد بن أبى السَّرِىّ عن هشام بن الكلبىّ قال حدّثنى عدد من الكنانيّين :

أن قيس بن ذَرِيح كان رضيعَ الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما، أرضعتْهُ أمّ قَيْس .

أول عشقه لبنى ثم زواجه بها

٥ أخبرنى بخبر قيس ولُبْنَى آمرأته جماعةٌ من مشايخنا فى قَصَص متّصلة ومنقطعة وأخبار منثورة ومنظومة، فألّفتُ ذلك أجمعَ ليتّسق حديثُه إلّا ما جاء مفردا وعَسُر إخراجُه عن جملة النظم فذكرته على حدة . فممّن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ولم يتجاوزه إلى غيره، وإبراهيم بن محمد بن أيّوب عن آبن قُتيبة، والحسنُ بن علىّ عن محمد بن موسى بن حمّاد البَرْبرىّ عن أحمد

١٠ ابن القاسم بن يوسف عن جَزْء بن قَطَن عن جَسّاس بن محمد عن محمد بن أبى السَّرِىّ عن هشام بن الكلبىّ وعلى روايته أكثر المعوَّل. ونسختُ أيضا من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القَحْذَمِىّ عن رجاله، وخالدُ بن كُلثوم عن نفسه ومن روى عنه، وخالدُ ابن جَمَل ونُتَفًا حكاها اليوسفىّ صاحبُ الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حمّاد عن جميل عن آبن أبى جَنَاح الكَعْبىّ . وحكيت كلَّ مُتَّفِقٍ فيه متّصلا ، وكلَّ مختلِف

١٥ فى معانيه منسوبا الى راويه . قالوا جميعا :

$\frac{113}{8}$

كان منزل قومه فى ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة . وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسَرِف(١)، وآحتجّ بقوله :

الحمد لله قــد أمستْ مُجَاورةً * أهلَ العَقيق وأمسَيْنا على سَرِف

قالوا : فمرّ قيس لبعض حاجته بخيام بنى كعب بن خُزَاعة، فوقف على خَيْمة منها

٢٠ والحىّ خُلُوف(٢) والخيمةُ خيمةُ لُبْنَى بنت الحُبَاب الكَعْبيّة، فاستسقَى ماءً، فسقتْه وخرجتْ

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة . (٢) خلوف : غيب .

اليه به، وكانت امرأةً مَديدةَ القامة شَهْلاءَ[1] حُلْوةَ المنظر والكلام. فلما رآها وقعتْ في نفسه، وشرب الماء . فقالت له : أتنزل فتتبرَّدَ عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم . وجاء أبوها فنحر له وأكرمه. فآنصرف قيس وفى قلبه من لُبْنَى حَرٌّ لا يَطْفَأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوِى . ثم أتاها يوما آخر وقد آشتدّ وجدُه بها ، فسلّم فظهرتْ له وردّت سلامَه وتحفّتْ به ؛ فشكا اليها ما يَجِدُ بها وما يَلْقَى من حبّها، وشكت اليه مثلَ ذلك فأطالتْ ، وعرف كلُّ واحد منهما ما له عنـد صاحبه . فآنصرف إلى أبيـه وأعلمه حالَه وسأله أن يزوّجه إياها . فأبى عليـه وقال : يا بنىّ ، عليـك بإحدى بنـاتِ عمّك فهنّ أحقُّ بك . وكان ذَرِيحٌ كثير المـال موسِرا ، فأحبّ ألّا يخرج آبنه إلى غريبة . فآنصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به . فأتى أمَّه فشكا ذلك اليها وآستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يحبّ . فأتى الحسينَ بن علىّ بن أبى طالب وآبنَ أبى عَتيق فشـكا اليهما ما به وما ردّ عليه أبوه . فقال له الحسين : أنا أكْفِيك . فمشى معه إلى أبى لُبْنَى. فلما بَصُر به أعظمه ووثَب اليه ، وقال له : يآبنَ رسول الله، ما جاء بك ؟ ألّا بعثتَ إلىّ فأتيتُك ! قال : إن الذى جئتُ فيـه يُوجب قصـدَك وقد جئتـك خاطبًا آبنتَـك لُبنى لقيس بن ذَرِيح . فقال : يآبنَ رسول الله ، ما كنّا لنَعْصِىَ لك أمرًا وما بنـا عن الفتى رغبة ، ولكن أحَبّ الأمرِ الينا أن يخطُبَها ذَرِيح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره ، فإنّا نخاف إن لم يَسْعَ أبوه فى هذا أن يكون عارًا وسُبّةً علينا . فأتى الحسينُ رضى الله عنه ذَرِيحًا وقومَه وهم مجتمعون ، فقاموا اليـه إعظاما له وقالوا له مثـل قول الخُزَاعِيّين . فقـال لذَرِيح : أقسمتُ عليـك إلّا خطبتَ لُبْنَى لآبنـك قيس . قال : السمعَ والطاعةَ لأمرك. فخرج معه فى وجوه من قومه حتى أتوْا لُبْنَى فخطبها

(١) الشهلاء : التى يخالط سواد عينها زرقة .

ذَرِيحٌ على ابنه إلى أبيها فزوّجه إيّاها، وزُفّت اليه بعد ذلك. فأقامت معه مدّة لا يُنكر أحدٌ من صاحبه شيئا. وكان أبرّ الناس بأمّه، فألهته لُبْنَى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك، فوجدتْ أمّه فى نفسها وقالت: لقد شغلتْ هذه المرأةُ ابنى عن برّى؛ ولم تَرَ للكلام فى ذلك موضعا حتى مرض مرضا شديدا. فلما برأ من علّته قالت

٥ أمّه لأبيه: لقد خَشِيتُ أن يموت قيسٌ وما يترك خَلَفًا وقد حُرِم الولدَ من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصيرُ مالك إلى الكَلالة[1]، فزوّجْه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولدا، وألحّتْ عليه فى ذلك. فأمهلَ قيسا حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: ياقيس، إنك اعتللتَ هذه العلّةَ فخفتُ عليك ولا ولد لك ولا لى سواك. وهذه المرأة ليست بوَلُود؛ فتزوّجْ إحدى بنات عمّك لعلّ الله أن يَهَب لك ولدا تَقَرُّ به عينُك

١٠ وأعينُنا. فقال قيس: لست متزوّجا غيرها أبدا. فقال له أبوه: فإن فى مالى سَعَةً فتَسَرَّ بالإماء. قال: ولا أسوءها بشىء أبدا والله. قال أبوه: فإنى أُقسِم عليك إلّا طلّقتَها. فأبى وقال: الموتُ والله علىّ أسهل من ذلك، ولكنى أخيّرك خَصْلةً من ثلاث خصال. قال: وما هى؟ قال: تتزوّج أنت فلعلّ الله أن يرزُقَك ولدا غيرى. قال: فما فىّ فَضْلة لذلك. قال: فدَعْنى أرتحلْ عنك بأهلى وأصنعْ ما كنتَ صانعا

١٥ لو متُّ فى علّتى هذه. قال: ولا هذه. قال: فأدَعُ لُبْنَى عندك وأرتحلُ عنك فلعلّى أسلوها فإنى ما أحبّ بعد أن تكون نفسى طيّبة أنها فى خيالى. قال: لا أرضى أو تطلّقَها، وحلَف لا يُكِنُّه سقفُ بيت أبدًا حتى يطلّق لُبْنَى، فكان يخرج فيقفُ فى حرّ الشمس، ويَجِىء قيسٌ فيقف إلى جانبه فيُظِلّه بردائه ويَصْلَى هو بحرّ الشمس

أبواه يغريانه بطلاقها وبأبى هو

١١٤ / ٨

(١) اختلف فى معنى الكلالة فقيل: إن الكلالة الرجل الذى لا ولد له ولا والد؛ أو من عدا الاب

٢٠ والابن من الورثة؛ وقيل من عدا الأب والابن والأخ؛ وقيل ما لم يكن من النسب لحا، أى لاصقا؛ وقيل الإخوة لأم.

حتى يَفِىءَ الفىءُ فينصرفَ عنه، و يدخل إلى لُبنى فيعانقها وتعانقه و يبكى وتبكى معه وتقول له : يا قيس، لا تُطِعْ أباك فتَهلِكَ وتُهْلِكَنى. فيقول: ما كنت لأُطيعَ أحدا فيك أبدا . فيقال : إنه مكث كذلك سنةً . وقال خالد بن كُلثوم : ذكر آبنُ عائشة أنه أقام على ذلك أربعينَ يوما ثم طلّقها . وهذا ليس بصحيح .

طلاقه لبنى ثم ندمه على فراقها، وشعره فى ذلك

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى أحمد بن زُهير قال حدّثنى يحيى بن معين قال حدّثنا عبد الرزّاق قال أخبرنا آبن جُرَيْج قال أخبرنى عمر بن أبى سفيان عن ليث بن عمرو :

أنه سمع قيس بن ذَرِيح يقول لزيد بن سليمان : هَجَرنى أبواى فى لُبْنَى عشرَ سنين أستأذنُ عليهما فيَردّانى حتى طلّقتُها . قال آبن جُرَيج : وأُخبرت أن عبد الله بن صَفْوان الطويل لَقِيَ ذَرِيحا أبا قيس فقال له : ما حمَلك على أن فرّقتَ بينهما؟ أمَا علمتَ أن عمر بن الخطاب قال : ما أُبالى أفرقتُ بينهما أو مشيتُ اليهما بالسيف . ورَوَى هذا الحديثَ إبراهيم بن يَسَار الرَّمادىّ عن سُفْيان بن عُيَينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن علىّ رضى الله عنهما لذَرِيح بن سُنّة أبى قيس : أحَلَّ لكَ أن فرّقتَ بين قيس ولُبنى؟! أمَا إنى سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما أُبالى أفرّقتُ بين الرجل وامرأته أو مشيتُ اليهما بالسيف. قالوا: فلما بانت لُبنى بطلاقه إيّاها وفُرغ من الكلام، لم يلبَثْ حتى آستُطير عقلُه وذُهب به ولحقه مثلُ الجنون. وتذكّر لُبنى وحالَها معه فأسِف وجعل يبكى ويَنْشِج أحرَّ نَشيج. و بلغها الخبرُ فأرسلتْ الى أبيها ليحتملها، وقيل : بل أقامت حتى آنقضت عدّتها وقيسٌ يدخل عليها . فأقبل أبوها بهَوْدَج على ناقة و بإبل تحملُ أثاثها. فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال : وَيْحَكِ! ما دهانى فيكم ؟ فقالت: لاتسألنى وسَلْ لُبْنَى. فذهب ليُلِمَّ بخِبائها

فيسألها، فمنعه قومها. فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له : ما لك ويحك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل! هذه لُبْنَى ترتحل الليلةَ أو غدًا. فسقط مغشيًّا عليه لا يَعقل ثم أفاق وهو يقول :

وإنّى لمُفْنٍ دمعَ عينىَ بالبكا * حِذَارَ الذى قد كان أو هو كائنُ

وقالوا غدًا أو بعد ذاك بليلةٍ * فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائن

وما كنتُ أخشى أن تكون منيّتى * بكفَّيْك إلّا أنّ ما حان حائن

في هذه الأبيات غِناء ولها أخبار قد ذُكرت فى أخبار المجنون. قال وقال قيس :

يقولون لُبْنَى فتنةٌ كنتَ قبلها * بخير فلا تَنْدَمْ عليها وطلِّقِ

فطاوعتُ أعدائى وعاصيتُ ناصحى * وأقررتُ عين الشامت المُتخلِّق (١)

وَدِدْتُ وبيتِ الله أنّى عَصَيتُهم * وحُمِّلت فى رِضوانها كلَّ مُوبِق (٢)

وكُلِّفتُ خوضَ البحر والبحرُ زاخرٌ * أَبِيتُ على أثْبَاج موجٍ مُغَرِّق

كأنّى أرى الناسَ المحبّين بعدها * عُصارةَ ماء الحنظل المُتَفَلِّق

فتُنكِرُ عينى بعدها كلَّ منظرٍ * ويكره سمعى بعدَها كلَّ منطق

قال : وسقط غرابٌ قريبا منه فجعل يَنْعَق مرارا، فتطيّر منه وقال :

لقد نادى الغرابُ ببَيْن لُبْنَى * فطار القلب من حَذَرِ الغرابِ

وقال غدًا تَبَاعَدُ دارُ لُبْنَى * وتَنْأى بعد ودٍّ واقتراب

فقلتُ تَعِستَ وَيْحَك من غراب * وكان الدهرَ سعيُك فى تَبَاب

(١) المتخلق : الذى يتكلف ما ليس فى خلقه .

(٢) الموبق : المهلك .

وقال أيضا وقد منعه قومه من الإلمام بها :

صـــوت

أَلَا يا غرابَ البَيْنِ وَيْحَكَ نَبِّنِى * بعلمك فى لُبْنَى وأنتَ خبيرُ

فإن أنتَ لم تُخْبِرْ بما قد علمتَه * فلا طِرْتَ إلّا والجَناح كَسيرُ

ودُرْتَ بأعداءٍ حبيبُك فيهمُ * كما قد تَرانى بالحبيب أدورُ ٥

غنّى سليمانُ أخو حَجَبَةَ رملًا بالوسطى .

قالوا : وقال أيضا وقد أُدخِلتْ هودجَها ورحلتْ وهى تَبكى ويتبعُها :

صـــوت

أَلَا يا غرابَ البَيْنِ هل أنتَ مُخبِرى * بخيرٍ كما خَبَّرتَ بالنأى والشرّ

وقلتَ كذاك الدهرُ ما زال فاجعًا * صدقتَ وهل شىءٌ بباقٍ على الدهرِ ١٠

غنّى فيهما ٱبن جامع ثانىَ ثقيلٍ بالبِنصر عن الهشامى . وذكر حَبَش أنّ لقفًا النجّار فيهما ثقيلًا أوّل بالوسطى . قالوا : فلما ٱرتحل قومُها ٱتّبَعها مَلِيًّا ، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها ، فوقف ينظر اليهم ويبكى حتى غابوا عن عينه فكَرّ راجعًا . ونظر الى أثر خُفّ بعيرها فأكبّ عليه يقبِّله ورجع يقبِّل موضعَ مجلسها وأثرَ قَدَمِها . فلِيمَ على ذلك وعنّفه قومُه على تَقبيلِ التراب ، فقال : ١٥

وما أحببتُ أرضَكمُ ولكن * أُقَبِّل إثْرَ مَن وَطِئَ الترابا

لقد لاقيتُ من كَلَفى بلُبْنَى * بَلاءً ما أُسِيغ به الشرابا

إذا نادى المنادِى بٱسمِ لُبْنَى * عَيِيتُ فما أُطيقُ له جوابا

وقال وقد نظر الى آثارها :

صـــوت

١١٦ / ٧

أَلَا يا رَبْعَ لُبْنَى ما تقولُ * أَبِنْ لى اليومَ ما فعل الحُلولُ

فلو أن الديارَ تُجيب صَبًّا * لرَدّ جوابىَ الرَّبعُ المُحِيلُ

ولو أنّى قَدَرْتُ غداةَ قالتْ * غَدَرتَ(١) وماءُ مُقلتِها يَسيلُ

٥

نحرتُ النفسَ حين سمعتُ منها * مقالتَها وذاك لها قليلُ

شَفَيْتُ غليلَ نفسى من فِعالى * ولم أغبُرْ بلا عقلٍ أَجُولُ

غنّى فيه حسين بن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ من روايتى بَذْل وقُرَيض . وتمام هذه الأبيات :

١٠ كأنّى واِلٰهِ بفراق لُبْنَى * تَهِيمُ بفقد واحدِها ثَكُولُ

أَلَا يا قلبُ وَيْحَكَ كن جَلِيدًا * فقد رحَلتْ وفات بها الذَّميل(٢)

فإنك لا تُطيق رجوعَ لُبنى * إذا رحَلتْ وإن كثُرَ العَوِيلُ

وكَمْ قد عِشْتَ كَمْ بالقرب منها * ولكنّ الفِراقَ هو السبيل

فصبرًا كلُّ مؤتلِفَيْنِ يومًا * من الأيام عيشُهما يزول

١٥ قال : فلما جَنّ عليه الليلُ وآنفرد وأوَى الى مضجعه لم يأخذه القرارُ وجعل يتململ فيه تململ السليم ، ثم وثَب حتى أتى موضعَ خِبائها ، فجعل يتمرّغ فيه ويبكى ويقول :

صـــوت

بِتُّ والهمُّ يا لُبينى ضَجيعى * وجرتْ مُذْ نأيتِ عنّى دموعى

وتنفّستُ إذ ذكرتُكِ حتّى * زالت اليومَ عن فؤادى ضلوعى

٢٠ (١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى ب ، س : «وردت» وهو تحريف . وقد سقط هذا البيت من سائر الأصول .

(٢) الذميل : السير اللين .

أتناسَاكِ كى يُرِيغَ(١) فــؤادى * ثم يشــتدُّ عنــد ذاك وَلُوعى

يا لُبَيْنَى فَدَتْكِ نفسى وأهــلى * هل لدهرٍ مضى لنا من رجوعِ

غنّت فى البيتين الأوّلين شارِيَةُ خفيفَ رملٍ بالوسطَى. وغنّى فيهما حسين بن مُحْرِز ثانىَ ثقيل، هكذا ذكر الهشامىّ؛ وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال قال الزُّبَير بن بَكّار حدّثنى عبد الجبّار بن سعيد المُسَاحِقىّ عن محمد بن مَعْن الغِفَارىّ عن أبيه عن عجوز لهم يقال لهـا حَمّادةُ بنت أبى مُسافِر قالت :

جاورتَ آلَ ذَرِيح بقَطيعٍ لى فيه الرَّائِمَةُ(٢) وذات البَوّ والحائلُ والمُتْبِــع . قالت : فكان قيسُ بن ذَرِيح الى شَرَفٍ(٣) فى ذلك القطيع ينظر الى مايَلْقَيْن فيتعجّبُ . فقلّمـا لبث حتى عزم عليه أبوه بطلاق لُبْنَى فكاد يموتُ، ثم آلَى أبوه لئن أقامتْ لايُساكِن قيسًا . فظعَنتْ فقال :

أيا كبِدًا طارتْ صُــدوعًا نوافذًا * ويا حَسْرتا ما ذا تَغَلْغَلَ فى القلب

فأقسِمُ ما عُمْشُ العيون شــوارِفٌ(٤) * روائمُ بَــوٍّ حائمــاتٌ على سَقْب(٥)

تشمَّمْنَه لو يَسْتطعن آرتشــفْنَه * إذا سُــفْنَه(٦) يَزْددنَ نَكْبًا على نَكْب

رَئِمْنَ فمــا تَنْحــاش منهنّ شارفٌ * وحالَفْنَ(٧) حبسًا فى المُحُول وفى الجَدْب

(١) كذا فى تجريد الأغانى . ويريغ : يحيد . وفى الأصول : « يريع » بالعين المهملة وهو تصحيف . (٢) الرائمة : العاطفــة على غير ولدها . والبو : جلد الحوار يحشى ثماما أو تبنا أو غيرهمـا فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدرّ . والحائل : الناقة التى لا تحمــل . والمتبع : التى يتبعها ولدها . (٣) الشرف : المكان العالى . (٤) الشوارف : جمع شارفة وهى الناقة المسنّة . (٥) السقب : ولد النـاقة . (٦) ساف الشىء : شمه . والنكب (محركة وقد سكنت لضرورة الشعر) : ظلع البعـير ، وقيل : داء يأخذ الإبل فى مناكبها تظلع منه وتمشى منحرفة .

(٧) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « وحاولن » وهو تحريف .

بأَوْجَدَ منّى يــومَ وَلَّتْ حُمُولُهــا * وقد طلعتْ أولَى الرِّكاب من النَّقْبِ
وكلُّ مُلِمّــات الزمان وجدتُهــا * سوى فُرْقَةِ الأحباب هيِّنَةَ الخَطْبِ

١١٧/٨ أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ قال سمعتُ آبن عائشةَ يقول : قال إسحاق ابن الفَضْل الهاشمىّ : لم يقل الناس فى هذا المعنى مثل قول قَيْس بن ذَرِيح :

٥ وكلُّ مُصيبات الزمان وجدتُها * سوى فُرْقَةِ الأحباب هيِّنَةَ الخَطْبِ

قال وقال ابن النطّاح قال أبو دِعَامةَ :

خرج فى فتية الى بلادها حتى رآها، وشعره فى ذلك

خرج قيسٌ فى فِتْيَة من قومه وآعتلّ على أبيه بالصيد، فأتى بلادَ لُبْنَى، فجعل يتوقّعُ أن يراها أو يرى من يُرسِل اليها. فآشتغل الفتيانُ بالصيد، فلما قضَــوْا وَطَرَهم منه رجعوا اليه وهو واقف، فقالوا له : قد عرفنا ما أردتَ بإخراجنا معك وأنك لم تُرِدِ

١٠ الصيدَ وإنمــا أردتَ لقاءَ لبنى، وقد تعذّر عليك فآنصرِف الآن . فقال :

وما حائماتٌ حُمْنَ يومًا وليــلةً * على المــاء يَغْشَيْنَ العِصِىَّ حَــوَانِ
عَوَافٍ[1] لا يَصْــدُرْنَ عنــه لِوجهةٍ * ولا هنّ من بَرْدِ الحِيــاض دَوَانِ
يَرَيْنَ حَبَاب المــاء والموتُ دونه * فهنّ لأصــوات السُّــقَاةِ رَوَانِ
بأجهــدَ منّى حَرَّ شــوقٍ ولَوْعةٍ * عليــك ولكنّ العــدوّ عَدَانى

١٥ خليــلىَّ إنى ميّتٌ أو مُكَلِّمٌ * لُبَيْنَى بســرٍّ فآمضيا وذَرَانى
أَنَلْ حاجتى وَحْدِى ويارُبَّ حاجةٍ * قضيتُ على هَــوْلٍ وخوفِ جَنَانِ
فإنّ أحــقَّ النــاس ألا تُجَــاوِزَا[2] * وتَطَّــرِحا من لو يشــاء شــفانى
ومن قادنى للموت حتى إذا صفَتْ * مشاربُــه السمَّ الذُّعَاف ســقانى

---

(١) العواف : جمع عافية وهى التى ترد المــاء .
(٢) كذا فى جـ . وفى سائر الأصــول :
٢٠ « فإنى أحق الناس ألا تجاوزا » .

قال : فأقاموا معـه حتى لقيَهـا ، فقالت له : يا هـذا ، إنك متعـرِّضٌ لنفسك وفاضحِى . فقال لها :

صدَعْتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيه * هـواكِ فلِيمَ فالتأم الفُطُـورُ[1]

تَغَلْغَـلَ حيثُ لم يبـلُغ شَرابٌ * ولا حزنٌ ولم يبـلغ سرور

أبو السائب المخزومى وشعر قيس

وقال القَحْذَمِىّ حدّثنى أبو الوَرْدانِ قال حدّثنى أبى قال : أَنْشَدتُ أبا السّائب المخزومىّ قولَ قيس : ٥

صدعتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه * هـواكِ فليم فالتأم الفطـور

فصاح بجارية له سِنْدِيّة تسمَّى زُبْدة، فقال: أىْ زبدةُ عجِّلى . فقالت: أنا أعجِن . فقال : وَيْحَـكِ ! تعالَىْ ودَعى العجينَ . فجاءت فقال لى : أنشِـدْ بيتَىْ قيس، فأعدتُهما . فقال لهـا : يازُبْدة، أحسنَ قيس وإلّا فأنت حرَّة ! ارجعى الآنَ الى عجينك أدركيه لا يَبرُدْ . ١٠

حسرته على فراقها وتأنيبه نفسه

قالوا : وجعل قيس يعاتب نفسـه فى طاعته أباه فى طلاقه لُبْنَى ويقـول : فألّا رحلتُ بها عن بلده فلم أرَ ما يفعل ولم يَرَنى ! فكان اذا فقَدنى أقلع عمّا يفعله واذا فقَدتُه لم أتحرّج من فعله ! وما كان علىّ لو آعتزلتُه وأقمت فى حيّها أو فى بعض بَوَادِى العرب، أو عَصَيْته فلم أُطِعْـه ! هذه جنايتى على نفسى فلا لومَ على أحد ! ١٥ وهأنذا ميّتٌ مما فعلته ،فمن يردُّ رُوحى الىّ ! وهل لى سبيل الى لُبْنى بعد الطلاق؟! وكلّما قرّع نفسَه وأنبّها بلونٍ من التقريع والتأنيب بكى أحرّ بكاء والصق خدّه بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال :

---

(١) الفطور : الشقوق .

١١٨
٨

صـــوت

وَيْلِي وعَوْلِي ومالى حين تُفلِتُنِى * من بعد ما أحرزتْ كفّى بها الظَّفَرا
قد قال قلبى لطَرْفى وهو يعذُله * هذا جزاؤك منّى فاْكدِمِ الحجـرا
قد كنتُ أنهاك عنها لو تُطاوِعُنى * فاْصبرْ فما لك فيها أجرُ من صبرا

٥ غنّاه الغَرِيض خفيفَ ثقيـلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيه لإبراهيم ثقيـلُ أوّلُ بالوسطى عن حَبَش . وفى الثالث والأوّل خفيفُ رَمَلٍ يقال إنه لاْبن الهِرْبِذ.

قالوا وقال أيضا :

بانت لُبَيْنَى فأنت اليوم متبولَ * والرأى عندك بعد الحزم مخبول
أستودع الله لُبْـنَى إذ تفارقنى * بالرغم منّى وقولُ الشيخ مفعول
١٠ وقد أرانى بلبنى حقَّ مُقتنِـعٍ * والشملُ مجتمعٌ والحبل موصول

قال خالد بن كُلْثوم وقال :

ألَا ليت لُبْنَى فى خلاءٍ تزورنى * فأشـكو اليهـا لَوْعتى ثم ترجِعُ
صحـا كُلُّ ذى لبٍّ وكُلُّ متيَّم * وقلبى بلُبْـنَى ما حَيِيتُ مروَّع
فيامَنْ لِقلبٍ ما يُفيق من الهوى * ويامَـنْ لعينٍ بالصَّبابة تَدْمَع

١٥ قالوا وقال فى ليلته تلك :

قد قلتُ للقلب لا لُبْناكَ فاْعترِف * واْقضِ اللُّبانةَ ما قضَّيْتَ واْنصرِف
قد كنت أحلف جَهْدًا لا أُفارقها * أُفٍّ لكثرة ذاك القيـل والحَلِف
حتى تكنَّفنى الواشـون فاْفتُلِتتْ [1] * لا تأمَنَنْ أبدًا من غشّ مُكتنِف
هيهات هيهات قد أمستْ مُجاورةً * أهــلَ العَقيق وأمسينا على سَرِف

٢٠ (١) افتلتت : أخذت بغتة .

— قال : وسَرِف على ستة أميال[1] من مكة . والعَقيق : واد باليمامة —

حَىٌّ يَمَانُونَ والبَطْحاءُ منزلُنا * هذا لَعَمْرُكَ شَملٌ غيرُ مؤتلِفِ

من شعره فى لبنى وقد سنحت له ظبية

قالوا : فلمّا أصبح خرج متوجّها نحوَ الطريق الذى سلكته يتنسّم روائحَها ، فسَنَحتْ له ظبيةٌ فقصدها فهربتْ منه فقال :

أَلَا يا شِبْهَ لُبْنَى لا تُرَاعِى * ولا تتيمّمِى قُلَلَ القِلاعِ ٥

وهى قصيدة طويلة يقول فيها :

فوا كَبِدِى وعاودنى رُدَاعِى[2] * وكان فراقُ لُبْنَى كالخِداع

تكنّفنى الوُشاةُ فازعجونى * فيا لله لِلْواشِى المُطاعِ

فأصبحتُ الغَداةَ ألومُ نفسى * على شيءٍ وليس بمستطاعِ

كمغبونٍ يَعَضُّ على يديه * تَبيَّنَ غَبْنَهُ بعد البِياعِ ١٠

بدارِ مَضِيعةٍ تركْتُكَ لُبْنَى * كذاكَ الحَيْنُ يُهْدَى للمُضاعِ

وقد عِشْنا نَلَذُّ العيشَ حِيناً * لوَ انّ الدهرَ للإنسانِ داعِ

ولكنّ الجميعَ الى افتراقٍ * وأسبابُ الحُتوفِ لها دواعِ

غنّاه الغَرِيضُ من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو والهِشامىّ . ولشارِيَةَ فى البيتين الأوّلين ثقيلٌ أوّلُ آخر بالوسطى . ولابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن الهشامىّ فى : ١٥

١١٩ / ٨

* بدارِ مَضِيعةٍ تركْتُكَ لُبْنَى *

(١) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى . وفى الأصول : « أيام » وهو تحريف من النساخ .

(٢) الرداع : النكس ، وقيل : وجع الجسد كله .

وقبـــله :

* فوا كبـــدى وعاودنى رُدَاعى *

ولِسَياطٍ فى البيتين الأوّلين خفيف رملٍ بالبنصر عن حَبَش .

حدثنى عمّى عن الكُرَانىّ عن العُتْبىّ عن أبيه قال :

أغرت أمه فتيات الحى بأن يعبن عنده لبنى ليسلوها فلم يسل ، وشعره فى ذلك

٥ بعثتْ أمُّ قيس بن ذَرِيح بفتيات من قومه اليه يَعِبْنَ اليـه لُبْنَى و يَعِبْنَه بجزعه و بكائه و يتعرّضْنَ لوصـاله ، فأتينه فاجتمعْنَ حواليْه وجعلن يمازحْنه و يَعِبْن لُبْنَى عنده و يعيّرْنَه ما يفعله . فلما أطلْنَ أقبل عليهنّ وقال :

صـــوت

يَقَـــرُّ بعينى قربُهـا و يَزيدُنى * بها كَلَفاً مَنْ كان عندى يَعِيبُها

١٠ وكم قائلٍ قد قال تُبْ فعصَيْتُه * وتلك لعَمْرى توبةٌ لا أتوبهـا

فيانفسُ صبرًا لستِ واللهِ فاعلمى * بأوّلِ نفسٍ غاب عنهـا حبيبُها

— غنّاه دَحْمانُ ثقيلًا أوّلَ بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالبِنصر لسُلَيم ، وذكر حَبَش أنه لإسحاق — قال : فانصرفْنَ عنه الى أمّه فأيأسْنَها من سَلْوته . وقال سائر الرُّواة الذين ذكرتهم : اجتمع اليـه النِّسوةُ فأطلْنَ الجلوسَ عنده ومحادثتَه وهو ساهٍ عنهنّ ، ثم

١٥ نادَى : يالُبْنَى! فقلن له : مالكَ ويْحـك ! فقال : خَدِرتْ رجلى، ويقال: إن دعاء الإنسان بآسم أحبِّ الناس اليه يُذهِب عنه خَدَر الرِّجل فناديتُها لذلك. فقمن عنه، وقال :

إذا خدِرتْ رجلى تذكرتُ مَنْ لها * فناديتُ لُبْـنَى بآسمها ودعوتُ

دعوتُ التى لو أنّ نفسى تُطيعنى * لفارقتُها من حبِّهـا وقضيتُ

٢٠ بَرَتْ نبلَها للصـيد لبنى و رَيَّشتْ * ورَيَّشتُ أُخرى مثلَهـا وبَرَيْتُ

فلمّـا رمتنى أقصـدتْنى بسهمها * وأخطأتُها بالسَّهم حين رميتُ

وفارقتُ لبنى ضَلَّةً فكأنّنى * قُرِنت إلى العَيُّوق ثم هَوَيْتُ
فيا ليتَ أنّى مُتُّ قبل فراقها * وهل تَرْجِعَنْ فوتَ القضيّة لَيْتُ
فصرتُ وشيخى كالذى عثَرتْ به * غَداةَ الوَغَى بين العُداة كُمَيْتُ
فقامت ولم تُضْرَرْ هناك سَوِيّةً * وفارسُها تحت السَّنابك مَيْتُ
فإن يك تَهْيامى بلُبْنَى غَوايَةً * فقد يا ذَرِيحُ بنَ الحُبَاب غَوَيْتُ
فلا أنت ما أمَّلتَ فىّ رأيتَه * ولا أنا لبنى والحياةَ حَوَيْتُ
فوَطِّنْ لَهُلْكِى منك نفسًا فإنّنى * كأنك بى قد يا ذَرِيحُ قَضَيْتُ

حديثه فى مرضه مع عواده ومع طبيبه عن لبنى، وشعره فى ذلك

وقال خالد بن كلثوم: مرِض قيس، فسأل أبوه فتياتِ الحى أن يَعُدْنه ويحدّثْنه لعلّه أن يتسلّى أو يعلَق بعضَهن، ففعلن ذلك. ودخل اليه طبيب ليداويَه والفتياتُ معه، فلما آجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علّته، فقال:

صوت

١٢٠ / ٨

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبنى ولُبنى * داءُ قيس والحبُّ داءٌ شديدُ
وإذا عادنى العوائدُ يومًا * قالت العين لا أرَى من أُريد
ليت لُبْنَى تَعُودنى ثم أَقْضِى * إنها لا تعود فيمن يعود
وَيْحَ قيس لقد تضمَّن منها * داءَ خَبْلٍ فالقلبُ منه عَميد

— غنّاه آبن سُرَيْج خفيفَ رملٍ عن الهشامىّ. وفيه للهَجَرىّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى. وفيه ليحيى المكى رَمَلٌ — قالوا: فقال له الطبيب: منذُ كم هذه العلّةُ؟ ومنذُ كم وجدتَ بهذه المرأة ما وجدتَ؟ فقال:

صوت

تعلّق رُوحِى روحَها قبل خَلْقنا * ومن بعدِ ما كنّا نِطافاً وفى المهد
فزاد كما زِدنا فأصبح نامياً * وليس إذا مُتْنا بمُنْصَرِم العهد

ولكنّه باقٍ عــلى كلّ حادثٍ * وزائرُنا فى ظُلْمــة القبر واللّحْــد

— غنّاه الغَريض ثقيلا أوّلَ بالوسطى من رواية حَبَش — قالوا: فقال له الطبيب: إن ممـا يُسْليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوئ والمعايب وما تَعافُه النفس من أقذار بنى آدم، فإن النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخفّ ما بها. فقال:

٥ اذا عِبْتُها شبَّهْتُها البــدرَ طالعًـا * وحَسْبُكَ من عيبٍ لها شَبَهُ البدرِ

لقد فُضِّلتْ لبنى على الناس مثلَ ما * على ألف شهر فُضِّلتْ ليلةُ القدر

صــــوت

اذامامشتْ شبرًامن الأرض أرْجَفتْ * من البُهْر حتى ما تَزيدُ على شــبرِ

لها كَفَلٌ يَرْتَجُّ منها اذا مشتْ * ومَتْنٌ كغصن البان مُضْطَمِرُ الخَصْر

١٠ — غنّى فى هذين البيتين ابن المكّىّ خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى. وفيهما رمل يُنسب الى آبن سُرَيج والى آبن طُنْبورة عن الهِشامىّ — قالوا: ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأنّبه ولامه وقال له: يا بنىّ! اللهَ اللهَ فى نفسك! فإنك ميّت إن دمتَ على هذا! فقال:

وفى عُرْوةَ العُذْرِىّ[1] إن متُّ أُسوةٌ * وعمرِو بن عَجْلانَ[2] الذى قتلتْ هندُ

١٥ وبى مثلُ ما ماتا به غيرَ أننى * الى أجلٍ لم يأتِنى وقتُه بعــدُ

---

(١) هو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بنى حزام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة، شاعر إسلامى، أحد المتيمين الذين قتلهم الهــوى، لا يعرف له شعر إلا فى عفــراء بنت عمه. (انظر ترجمته فى ج ٢٠ ص ١٥٢ من الأغانى طبع بلاق). (٢) ورد هذا الاسم فى تزيين الأسواق كما جاء فى الأصول. وذكره البحترى أيضا فقال:

٢٠ هوى لا جميــل فى بثينــة ناله * بمثل ولا عمرو بن عجلان فى هنــد

وذكر أبو الفرج ترجمته (فى ج ١٩ ص ١٠٢ من الأغانى طبع بلاق) فقال: هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب، شاعر جاهلى أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم. وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم عليها. ولما زوجت زوجا غيره مات أسفا.

صـــــوت

هــل الحبُّ إلّا عَبْرةٌ بعـــد زَفْرةٍ * وحَرٌّ على الأحشاء ليس له بَـــرْدُ
وفَيْضُ دموعٍ تَستهِلُّ اذا بـــدا * لنــا علمٌ من أرضكم لم يكن يبـــدو

غنّى فى هذين البيتين زيد بن الخطّاب مولى سليمان بن أبى جعفر، وقيل: إنه مولى سليمان بن علىّ، ثقيلًا أوّلَ بالوسطى عن الهشامىّ . ٥

إعجاب أبى السائب المخزومى بشعر له

وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير، وأخبرنا اليَزيدىّ عن ثَعْلَب عن الزُّبَير قال حدّثنى إسماعيل بن أبى أُوَيس قال :

جلستُ أنا وأبو السائب فى النبّالين، فأنشدنى قولَ قيس بن ذَريح :

١٢١ / ٨

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبْنَى ولُبنى * داءُ قيسٍ والحبّ داءٌ شديدُ
لَيت لُبْنَى تعـــودنى ثم أَقْضِى * إنهـا لا تعود فيمن يعود ١٠

قال : فأنشدته أنا لقيس :

تعلّق رُوحى رُوحَها قبل خَلْقنا * ومن بعد ما كنّا نطافًا وفى المهد
فـزاد كما زِدنا وأصـــبح ناميًا * وليس إذا متْنا بمنتقِض العهــد
ولكنّه باقٍ على كل حادثٍ * وزائرُنا فى ظلمــة القبر واللّحْــد

فحلف لا يزال يقوم و يقعد حتى يرويَها. فدخل زُقَاقَ النبّالين وجعلتُ أُرَدِّدها عليه و يقوم و يقعد حتى رواها . ١٥

رجع الخبر الى سِياقته .

زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوّجت لبنى، وما قال فى ذلك من الشعر

وقال خالد بن جَمَل: فلمّا طال على قيس مابه أشار قومه على أبيه بأن يزوّجه امرأةً جميلة فلعلّه أن يسلو بها عن لُبنى. فدعاه الى ذلك فأباه وقال :

لقد خِفتُ ألّا تَقنَع النفسُ بعدها * بشىءٍ من الدنيـا و إن كان مَقْنَعا ٢٠
وأزجُر عنها النفس إذ حيل دونها * وتأبَى اليهـا النفسُ إلّا تَطلُّعـا

فأعلمهم أبوه بما ردَّ عليه . قالوا : فمُرْه بالمَسير فى أحياء العرب والنزول عليهم فلعلَّ عينه أن تقع على امرأةٍ تُعجبه . فأقسم عليه أبوه أن يفعل . فسار حتى نزل بحىٍّ من فَزارة ، فرأى جاريةً حسناء قد حسَرَتْ برُقَعٍ خَزٍّ عن وجهها وهى كالبدر ليلة تمِّه ، فقال لها : ما آسمك ياجارية ؟ قالت : لُبْنَى . فسقط على وجهه مغشيًّا عليه ، فنضَحتْ على وجهه ماء وآرتاعت لِما عراه ، ثم قالت : إن لم يكن هذا قيسَ بن ذَرِيح إنه لمجنون ! فأفاق فنَسَبتْه فآنتسب . فقالت : قد علمتُ أنك قيس ، ولكن نَشَدْتُك بالله وبحق لُبْنَى إلّا أصبتَ من طعامنا . وقدَّمتْ اليه طعامًا ، فأصاب منه بإصبَعه . وركب فأتى على أَثَرِه أخٌ لها كان غائبًا ، فرأى مُناخ ناقته ، فسألهم عنه فأخبروه ، فركب حتى ردَّه إلى منزله ، وحلف عليه ليُقيمنَّ عنده شهرًا . فقال له : لقد شَقَقْتَ علىَّ ، ولكنِّى سأتبع هواك ، والفَزارىُّ يزداد إعجابًا بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصِّهرَ . فقال له : يا هذا إن فيك لرغبةً ، ولكنِّى فى شغل لا يُنتفع بى معه . فلم يزل يعاوده والحىُّ يلومونه ويقولون له : قد خشينا أن يصير علينا فعلُك سُبَّةً . فقال : دعونى ، ففى مثل هذا الفتى يرغب الكرام . فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصِّهرَ بينه وبينه على أخته المسماة لُبنى ، وقال له : أنا أسوق عنك صَداقها . فقال : أنا والله يا أخى أكثر قومى مالًا ، فما حاجتك إلى تكلُّف هذا ؟ أنا سائر إلى قومى وسائق اليها المَهْر . ففعل وأعلم أباه الذى كان منه ، فسرَّه وساق المهرَ عنه . ورجع إلى الفزاريِّين حتى أدخلت عليه زوجته ، فلم يَرَوْهُ هَشَّ إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف ولا نظر إليها . وأقام على ذلك أيامًا كثيرة . ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياما فأذنوا له فى ذلك ، فمضى لوجهه إلى المدينة . وكان له صديق من الأنصار بها ، فأتاه فأعلمه الأنصارىُّ أن خبر تزويجه بلغ لُبنى فغمَّها وقالت : إنه لغَدَّار ! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومى إلى التزويج فأنا الآن أُجيبهم ، وقد كان أبوها شكا قيسًا إلى معاوية

وأعلمه تعرُّضَه لما بعد الطلاق . فكتب إلى مروان بن الحكم يُهْدِر دمَه إن تعرّض لها، وأمر أباها أن يزوّجها رجلًا يعرف بخالد بن حِلِّزة من بنى عبد الله بن غَطَفان — ويقال : بل أمره بتزويجها رجلًا من آل كَثِير بن الصَّلْت الكِنْدىّ حليف قريش — فزوّجها أبوها منه . قال : فجعل نساءُ الحىِّ يقلن ليلةَ زفافها :

لُبَيْنَى زوجُها أصبـ * ـح لا حـرٌّ بواديه[1]
له فضلٌ على الناس * بما باتت تُناجيه
وقيسٌ ميّتٌ حىٌّ * صريعٌ فى بَواكيه
فلا يُبعِدُه الله * وبُعْدًا لنواعيه

قال : فجزع قيس جزعًا شديدا وجعل يَنْشِج أحرَّ نَشِيج ويبكى أحرَّ بكاء . ثم ركب من فَوْره حتى أتى مَحَلَّة قومها، فناداه النساء : ما تصنع الآن هاهنا ! قد نُقِلتْ لُبنى إلى زوجها ! . وجعل الفتيانُ يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يُجيبهم حتى أتى موضع خِبائها فنزل عن راحلته وجعل يتمعّك[2] فى موضعها ويُمرِّغ خدّه على ترابها ويبكى أحرَّ بكاء . ثم قال :

صوت

إلى الله أشكو فَقْدَ لُبنى كما شكا * إلى الله فقدَ الوالدَيْن يتيمُ
يتيمٌ جفاه الأقربون بجسمه * نحيلٌ وعهدُ الوالدَيْن قديمُ
بكت دارُهم من نأيهم فتهلّلتْ * دموعى فأىَّ الجازِعَيْن ألومُ
أمُستعبِرًا يبكى من الشوق والهوى * أم آخَرَ يبكى شَجْوَه ويَهيمُ

(١) فى تزيين الأسواق (ج ١ ص ٥٦ طبع بلاق) : «بوازيه» .
(٢) يتمعك : يتمرغ .

لابن جامع فى البيتين الأولين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ. ولَعريبَ فيهما ثانى ثقيل. وفى الثالث والرابع لمَيَّاسةَ خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو وحَبَش والهشامىّ.

وتمام هذه الأبيات، وليست فيه صنعة، قوله :

تهيَّضَنِى من حبّ لُبْنَى علائقُ * وأصنافُ حبٍّ هَوْلُهن عظيمُ
ومن يتعلّق حبّ لبنى فؤادُه * يَمُتْ أو يعِشْ ماعاش وهو كَليم
فإنّى وإن أجمعتُ عنكِ تجلُّدًا * على العهد فيما بيننا لَمُقيم
وإنّ زمانًا شتّت الشملَ بيننا * وبينكمُ فيه العِدَا لمَشوم
أفى الحقّ هذا أنّ قلبكِ فارغٌ * صحيح وقلبى فى هواكِ سَقيم

وقد قيل : إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خُلطت بشعره، ولكنّها فى هذه الرواية منسوبة اليه.

قال : وقال أيضا فى رحيل لُبنى عن وطنها وانتقالها الى زوجها بالمدينة وهو مقيم فى حيّها :

صوت

بانت لُبَيْنَى فهاج القلبَ مَنْ بانا[1] * وكان ما وعدتْ مَطْلًا ولَيَّانا[2]
وأَخلفتْكَ مُنًى قد كنتَ تأمُلها * فأصبح القلبُ بعد البين حيرانا
الله يدرى وما يدرى به أحدٌ * ماذا أُجَمْجِم من ذكراكِ أحيانا
يا أكملَ الناسِ من قَرْنٍ إلى قدمٍ * وأحسنَ الناس ذا ثوبٍ وعُرْيانا
نعم الضَّجيعُ بُعَيْدَ النوم تَجْلُبُه * إليكَ ممتلئًا نومًا ويَقْظانا

---

(١) فى جـ : «بانت لبينى فقلبى اليوم من بانا». (٢) ليان ومثله لىّ (بفتح اللام فيهما وكسرها) : مصدر لوى بمعنى مطل. تقول لواه دينه وبدينه. وقال أبو الهيثم : لم يجئ من المصادر على فعلان إلا ليان. وعن ابن زيد أن كسر اللام فى هذا المصدر لغية.

للغَريض فى هـذه الأبيات ثانى ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاقَ وعمرو . وذكر الهِشامىّ أنّ فيه لابن مُحرِز ثانىَ ثقيلٍ آخرَ . وقال أحمد بن عُبيد : فيه لحنانِ ليحيى المكّىّ وعَلّويه . وتمام هذه القصيدة :

لا بارك اللهُ فيمن كان يحسَبُكم * إلّا على العهد حتى كان ما كانا
حتى آستفقتُ أخيرًا بعد ما نُكحت * كأنما كان ذاك القلب حيرانا
قد زارنى طَيفُكم ليلًا فأرّقنى * فبِتُّ للشوق أُذرِى الدمعَ تَهْتانا
إن تَصرِمى الحبلَ أو تُمْسِى مُفارِقةً * فالدهر يُحدث للإنسان ألوانا
وما أرى مثلَكم فى الناس من بَشَرٍ * فقد رأيتُ به حَيًّا ونِسْوانا

شكاه أبوها الى معاوية فأهدر دمه، وشعره فى ذلك

وقال آبن قُتَيبة فى خبره عن الهَيْثم بن عَدِىّ، ورواه عمر بن شَبَّة أيضا : أن أبا لُبْنى شَخَص إلى معاوية فشكا اليه قيسًا وتعرُّضَه لابنته بعد طلاقه إيّاها . فكتب معاوية إلى مروانَ أو سعيدِ بن العاص يُهْدِر دمَه إن أَلَمَّ بها وأن يشتدّ فى ذلك . فكتب مروان أو سعيد فى ذلك إلى صاحب الماء الذى ينزله أبو لُبْنى كتابًا وكيدًا . ووجّهتْ لُبنى رسولًا قاصدًا إلى قيس تُعلمه ما جرَى وتحذّره . وبلغ أباه الخبرُ فعاتبه وتجهّمه وقال له : انتهى بك الأمر إلى أن يُهْدِر السلطان دمك ! فقال :

صـــوت

فإن يَحْجُبوها أو يَحُلْ دون وصلها * مقالةُ واشٍ أو وَعيدُ أمير
فلن يمنعوا عينىَّ من دائم البُكا * ولن يُذهبوا ما قد أَجَنّ ضميرى
إلى الله أشكو ما أُلاقِى من الهوى * ومن حُرَقٍ تعتادنى وزَفير
ومن حَرَقٍ(١) للحبّ فى باطن الحشى * وليلٍ طويلِ الحزن غيرِ قصير

(١) الحرق بالتحريك : النار، ويحتمل أن تكون حرق بضم أوله جمع حرقة .

سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ * بكاءَ حزينٍ في الوَثاق أسيرِ
وكنّا جميعًا قبل أن يظهر الهوى * بأنعمِ حالَىْ غِبْطةٍ وسرور
فما برِح الواشون حتى بَدَتْ لهم * بطونُ الهوى مقلوبةً لظهور
لقد كنتِ حَسْبَ النفسِ لو دام وصلُنا * ولكنّما الدنيا متاعُ غرور

— هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذَريح . وذكر الزُّبَير بن بكّار أنه لجدّه عبد الله بن مُصْعَب — غنّى يزيدُ حَوْراءَ في الأوّل والثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى . وغنّى إبراهيم في الأوّل والثاني لحنًا من كتابه غيرَ مجنّس . وذكر حَبَش أنّ فيهما لإسحاق خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى . وفي الخامس وما بعده لَعرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ ابتداؤه نشيد . وقال ابن الكلبيّ في خبره : قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها :

إن تك لُبْنَى قد أتى دون قربها * حجابٌ منيعٌ ما إليه سبيل
فإنّ نسيم الجوّ يجمع بيننا * ونُبصر قَرْنَ الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل في الحيّ تلتقي * ونعلم أنّا بالنهار نَقيل
وتجمعنا الأرضُ القرارُ وفوقنا * سماءٌ نرى فيها النجومَ تجول
إلى أن يعود الدهر سَلْمًا وتنقضي * تِراتٌ بغاها عندنا وذُحول

شعره فيها حين صادفها في موسم الحج

ومما وجد في كتاب لابن النطّاح قال العُتْبيّ حدّثني أبي قال : حَجّ قيس بن ذَرِيح، واتّفق أن حجّتْ لُبْنَى في تلك السنة، فرآها ومعها امرأة من قومها، فدَهِش وبقي واقفا مكانَه ومضت لسبيلها . ثم أرسلت اليه بالمرأة تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره، فألفَتْه جالسًا وحدَه يُنشد ويبكي :

ويومَ مِنًى أعرضتِ عنّي فلم أقل * بحاجة[1] نفس عند لُبْنَى مقالَها

(١) كذا في تجريد الأغاني . وفي الأصول : «لحاجة نفس» باللام .

وفى اليأس للنفس المريضة راحةٌ * إذا النفسُ رامت خُطّةً لا تَنالُها

فدخلتْ خباءه وجعلتْ تحدّثه عن لُبنى ويحدّثها عن نفسه مَليًّا، ولم تُعلِمْه أنّ لُبنى أرسلتْها اليه. فسألها أن تُبلغها عنه السلامَ، فامتنعت عليه؛ فأنشأ يقول:

إذا طلعتْ شمسُ النهار فسلِّمى * فآيةُ تسليمى عليكِ طلوعُها

بعشر تحيّاتٍ إذا الشمسُ أشرقتْ * وعشرٍ إذا اصفرّتْ وحان رجوعُها

ولو أبلغتْها جارةٌ قولىَ اسلَمِى * بكتْ جَزَعًا وارفَضّ منها دموعُها

وبانَ الذى تُخْفِى من الوجد فى الحَشَى * إذا جاءها عنّى حديثٌ يَرُوعُها

— غنّى فى البيتين الأوّلين عَلُّويه خفيفَ رملٍ بالوسطى — قال: وقضَى الناسُ حجَّهم وانصرفوا. فمرض قيس فى طريقه مرضا شديدًا أشفَى منه على الموت، فلم يأته رسولها عائدًا لأن قومها رأَوْه وعلموا به؛ فقال:

أَلُبْنَى لقد جَلّتْ عليكِ مصيبتى * غَدَاةَ غدٍ إذ حلّ ما أتوقّعُ

تُمَنِّيَنِى نَيْلًا وتَلْوِينَنِى به[1] * فنفسىَ شوقًا كلَّ يوم تَقَطَّعُ

وقلبكِ قَطُّ ما يَلِين لما يَرى * فوا كبدى قد طال هذا التضرُّعُ

ألومُكِ فى شأنى وأنتِ مُليمةٌ * لعَمْرى وأَجْفَى للمحبّ وأقطعُ

أُخُبِّرتِ أنّى فيكِ مَيْتٌ حَسْرتى * فما فاض من عينيكِ للوَجْد مَدْمَعُ

ولكن لعَمْرى قد بكيتُكِ جاهدًا * وإن كان دائى كلُّه منك أجمعُ

صَبِيحةَ جاء العائداتُ يَعُدْنَنِى * فظَلّتْ علىّ العائداتُ تَفَجَّعُ

فقائلةٌ جئنا اليه وقد قضَى * وقائلةٌ لا، بل تركْناه يَنْزِعُ

وروى القَحْذَمِىّ ها هنا:

فما غَشِيتْ عينيكِ من ذاك عَبْرةٌ * وعينى على ما بى بذِكْراكِ تدمعُ

(١) كذا فى جـ وتجريد الأغانى وتزيين الأسواق. وفى سائر الأصول: «وتلوينى قلى».

إذا أنتِ لم تَبْكِي عليّ جِنَازَةً (١) * لديكِ فلا تبكي غدًا حين أُرفَع

قال: فبلغتْها الأبياتُ، فجزِعتْ جزعًا شديدا وبكت بكاء كثيرا. ثم خرجتْ اليه ليلًا على موعد فاعتذرتْ وقالت: إنما أُبقِي عليك وأخشى أن تُقتَل، فأنا أتحاماكَ لذلك، ولولا هذا لما افترقنا. وودّعتْه وانصرفتْ.

١٢٥ / ٨

شعره فيها وقد بلغه أنها كذبت مرضه

وقال خالد بن كُلثوم: فبلغه أنّ أهلها قالوا لها: إنه عَليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا. فقالت لهم لتدفَعهم عن نفسها: ما أراهُ إلا كاذبًا فيما يدّعي ومتعلّلًا لا عَليلا. فبلغه ذلك فقال:

تكاد بلادُ الله يا أُمّ مَعْمَرٍ * بما رحُبتْ يومًا عليّ تَضِيقُ

تكذّبني بالودّ لُبْنَى وليتَها * تُكَلَّف منّي مثلَه فتَذوق

ولو تعلمين الغَيْبَ أيقنتِ أنني * لكِ والهدايا المُشْعَراتِ صديق

تَتُوق اليكِ النفس ثم أَرُدُّها * حياءً ومثلي بالحياء حَقيق

أَذُود سَوَامَ النفس عنكِ وما له * على أحدٍ إلا عليكِ طريق

فإنّي وإن حاولتِ صُرْمي وهِجْرتي * عليكِ مِنَ احداثِ الرَّدَى لشَفيق

ولم أَرَ أيّامًا كأيّامنا التي * مَرَرْنَ علينا والزمانُ أَنِيق

ووعدُكِ إيّانا، ولو قلتِ عاجلٌ، * بعيدٌ كما قد تعلمين سَحِيق

وحدّثتني يا قلبُ أنك صابرٌ * على البين من لُبْنَى فسوف تذوق

فمُتْ كَمَدًا أو عِشْ سَقيمًا فإنّما * تكلّفني ما لا أراكَ تُطيق

أطعتَ وُشَاةً لم يكن لك فيهمُ * خليلٌ ولا جارٌ عليك شَفيق

فإن تك لمّا تَسْلُ عنها فإنّني * بها مُغْرَمٌ صَبُّ الفؤاد مَشُوق

(١) الجنازة (بالكسر والفتح): الميت. وقيل: بالجنازة بالكسر الميت وبالفتح السرير، وقيل عكس ذلك. والمراد هنا المريض المشرف على الموت.

بلُبْنَى أُنادَى عنـد أوّل غَشْـيَة * ويَثْنِى بها الدّاعِى لها فأفيـق
شهِـدتُ على نفسى بأنك غادةٌ * رَدَاحٌ (١) وأنّ الوجه منك عَتيـق
وأنكِ لا تَجـزِيننى بصَـحابة * ولا أنا للهجـران منك مُطيق
وأنكِ قسّمتِ الفـؤادَ فنصـفُه * رَهـينٌ ونصفٌ فى الحبال وَثيق
صَبُوحِى إذا ماذَرّتِ الشمسُ ذِكرُكم * ولى ذِكرُكم عنـد المَسـاء غَبُوق
إذا أنا عَزّيتُ الهـوى أو تركتُـه * أتتْ عَـبَراتٌ بالدموع تَسُـوق
كأنّ الهوى بين الحَيَازِيم والحَشَى * وبين التّرَاقِى واللَّهـاة (٢) حَريق
فإن كنتِ لمّا تَعلمِى العلمَ فاسألى * فبعضٌ لبعضٍ فى الفَعال فَؤوق
سَلِى هل قَلانِى من عَشيرٍ صحِبتُـه * وهل مَلّ رَحْلِى فى الرِّفاق رفيـق
وهل يَجتوِى القومُ الكِرامُ صَحابتى * اذا اغْـبرّ مَخْشِىّ الفِجاج عَمِيـق
وأكتُم أسرارَ الهـوى فأميتها * اذا باح مَزّاحٌ بهنّ بَـرُوق (٣)
سعَى الدهرُ والواشون بينى وبينها * فقُطِّع حبلُ الوصـل وهو وَثيـق
هل الصبر إلا أن أَصُدّ فلا أرَى * بأرضِكِ إلّا أن يكون طريق

قصته مع لبنى وزوجها وقد باعه ناقة وهو لا يعرفه

قال : ثم أتى قومَه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويمتارَ لأهله بثمنها . فعرَف أبوه أنه انما يريد لُبْنَى، فعاتبه وزجَره عن ذلك؛ فلم يقبل منه، وأخذ إبلَه وقدِم بها المدينةَ . فبينا هو يَعرِضها إذ ساومه زوجُ لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان ، فباعه إيّاها . فقال له : إذا كان غَدٌ فأْتِنِى فى دار كَثِير بن الصَّلْت فاقبِض الثمن؛ قال : نعم . ومضى زوج لُبنى اليها فقال لها : إنى ابتعتُ ناقـة من

١٢٦ / ٨

(١) الرداح : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الكريم . (٢) الحيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر . والتراقى : جمع ترقوة وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (٣) فى الأمالى : «زروق» .

رجل من أهل البادية وهو يأتينا غدا ليقبض ثمنها، فأعدّى له طعاماً، ففعلتُ. فلما كان من الغد جاء قيس فصوّت بالخادم: قُولِى لسيّدك: صاحبُ الناقة بالباب. فعرفتْ لُبْنَى نَغْمَتَه فلم تقل شيئا. فقال زوجها للخادم: قولى له: ادخل، فدخل فجلس. فقالت لُبْنَى للخادم: قولى له: يا فتى، مالى أراك أشعثَ أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفّس ثم قال لها: هكذا تكون حالُ مَنْ فارق الأحبّةَ وآختار الموتَ على الحياة، وبكى. فقالت لها لُبْنى: قولى له: حدّثنا حديثَك. فلما آبتدأ يحدّث به كشفت الحجابَ وقالت: حَسْبُك! قد عرفنا حديثَك! وأُسبلتِ الحجابَ. فبُهِت ساعة لا يتكلّم ثم آنفجر باكيا ونهض فخرج. فناداه زوجها: وَيْحَك! ما قصّتك؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك، وإن شئتَ زِدْناك. فلم يكلّمه وخرج فآعْتَرَز[1] فى رَحْله ومضى. وقالت لُبنى لزوجها: وَيْحَك! هذا قيس بن ذريح. فما حمَلك على ما فعلتَ به؟ قال: ما عرفتُه. وجعل قيس يبكى فى طريقه ويندُب نفسه ويوبّخها على فعله ثم قال:

صوت

أتبكى على لُبْنَى وأنت تركتَها * وأنت عليها بالمَلَا أنت أقدرُ

فإن تكن الدنيا بلُبْنَى تقلّبتْ * علىّ فللدنيا بطونٌ وأظْهُر

لقد كان فيها للأمانة موضعٌ * وللكَفّ مُرتادٌ وللعين مَنْظَر

وللحائم العطشانِ رِىٌّ بريقها * وللمَرِح المختالِ خمرٌ ومُسْكِر

كأنّى لها أُرْجوحةٌ بين أَحْبُلٍ * إذا ذُكْرَةٌ منها على القلب تَخْطُر

للغَرِيض فى البيتين الأوّلين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو والهِشامى وفيهما لَعريبَ رَمَلٌ. ولشارِيَةَ خفيفُ رملٍ من رواية أبى العُبَيْس.

(١) أى ركب، والغرز للجمل مثل الركاب للبغل

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بنُ بَكَّار قال حدّثنى عبد الملك ابن عبد العزيز قال :

تزوّج رجل من أهل المدينة يقال له أبو دُرَّة آمرأةً كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بُطَينة، فلقيــه زوجها الأوّل فضربه ضربة شلّت يدَه منها. فلقيه أبو السائب المخزومى فقال له : يا أبا دُرّة! أضربكَ أبو بُطَينة فى زوجته؟ قال : نعم . قال: أمَا إنى أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذَرِيح فى زوجته لُبْنى :

لقــد كان فيها للأمانة موضعٌ * وللكَفّ مُرْتَادٌ وللعين مَنْظَرُ
وللحائم العطشانــ رِىٌّ برِيقِها * وللمَرِح المختــال خمر ومُسْكِر

قال : وكانت زوجة أبى دُرَّة هذه سوداء كأنها خُنْفَساء .

مرضه بعد هذه الحادثة

قال : وعاد إلى قومه بعــد رؤيته إيّاها وقد أنكر نفســه وأسِف ولحقه أمر عظيم؛ فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم، ومرض مرضًا شديدا أشرف منه على الموت . فدخل إليــه أبوه ورجال قومه فكلّموه وعاتبوه وناشــدوه اللهَ . فقــال : وَيْحكم ! أتُرَوْنِى أمرضتُ نفسى أو وجدت لهـا سَلْوةً بعــد اليأس فآخترتُ الهَمَّ والبــلاء ، أو لِى فى ذلك صُنْع! هذا ما آختاره لى أبواى وقتلانى به . فجعل أبوه يبكى ويدعو له بالفرج والسَّلْوة. فقال قيس :

لقــد عذّبتَنِى يا حبَّ لُبْــنَى * فقَــعْ إمّا بمــوتٍ أو حيــاةِ
فإنّ المـــوت أَرْوحُ من حياةٍ * تدوم على التباعد والشَّــتاتِ
وقال الأقربون تَعَــزَّ عنها * فقلت لهـــم إذًا حانت وفاتى

دست اليه رسولا يسأله لم تزوج حتى تزوجت هى

قال : ودَسَّتْ اليه لُبنى بعد خروجه رسولًا وقالت له : استنشِدْه، فإن سألك عن نسبتك فانتسِبْ له خُزاعيًا ؛ فإذا أنشدك فقل له : لم تزوّجتَ بعدها حتى أجابت

إلى أن تتزوج بعـدك ؟ وآحفَظْ ما يقول لك حتى تردّه عليّ . فأتاه الرسـول فسلّم وآنتسب خُزاعيًّا ، وذكر أنه من أهل الشأم وآستنشده، فأنشده قوله :

فأُقسم ما عُمْشُ العيونِ شـوارِفٌ * روائمُ بوٍّ حانيـاتٌ على سَقْبِ

ــ وقد مضت هذه الأبيات ــ فقال له الرجل: فلم تزوّجتَ بعدها؟ فأخبره الخبر، وحلف له أنّ عينه ما اكتحلتْ بالمرأة التى تزوّجها ، وأنه لو رآها فى نَدْوة ما عرفها ، وأنه ما مدّ يدَه اليها ولا كلّمها ولا كشف لهـا عن ثوب . فقال له الرجل : فإنى جارٌ لها وإنها من الوَجْدِ بك على حالٍ قد تمنّى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلُح حالُها بك ، فحمِّلْنى اليها ما شئت أؤدِّه اليها . قال : تعُود الىّ اذا أردتَ الرحيل ، فعاد اليه لمـّا أراد الرحيلَ . فقال تقول لها :

أَلَا حىِّ لُبْنَى اليومَ إن كنتَ غاديَا * وأَلْمِمْ بها من قبلِ أنْ لَا تَلَاقِيَا
وأَهْـدِ لهـا منك النصيحةَ إنها * قليـلٌ ولا تَخْشَ الوُشاةَ الأدانيا
وقـل إنّنى والراقصاتِ إلى مِنًى * بأَجْبُـلِ جَمْـعٍ[1] ينتظرنَ المناديا
أصونُكِ عن بعض الأمور مَضَنَّةً * وأخشى عليـكِ الكاشحين الأعاديا
تَسَاقطُ نفسى حين ألقـاكِ أنفُسًا * يَرِدْنَ فمـا يَصْـدُرْنَ إلا صَوادِيَا
فإنْ أَحْيَ أو أهلِكْ فلستُ بزائلٍ * لكم حافظًا ما بَلَّ ريقٌ لسانيـا
أقول اذا نفسى من الوَجْد أَصْعدتْ * بها زَفْـرةٌ تعتـادنى هى ما هيا
وبين الحَشَى والنحرِ مـنِّى حرارةٌ * ولوعةُ وجدٍ تترك القلب ساهيا:
ألَا ليت لُبْنَى لم تكن لىَ خُلّةً[2] * ولم تَرَنِى لُبْـنَى ولم أدرِ ما هيـا
سَلِى الناسَ هل خبّرتُ سِرّكِ منهمُ * أخا ثقـةٍ أو ظاهرَ الغشِّ باديا
يقول لىَ الواشون لمـّا تَظاهروا * عليكِ وأَضحَى الحبلُ للبين واهيا:

(١) جمع : المزدلفة . (٢) خلة : صديقة .

لعَمْرى لقبلَ اليوم حُمِّلتَ ما ترى * وأُنْذِرتَ من لُبْنَى الذى كنتَ لاقيا
خليلىَّ مالى قد بَلِيتُ ولا أرَى * لُبَيْنَى على الهِجْران إلّا كما هيا
ألَا يا غرابَ البَيْن مالكَ كلّما * ذكرتُ لُبَيْنَى طِرْتَ لى عن شِماليا
أعندكَ علمُ الغيبِ أم لستَ مُخْبِرى[1] * عن الحىِّ إلا بالذى قد بدا ليا
جَزِعتُ عليها لو أرى لىَ مَجْزَعًا * وأفنيتُ دمعَ العين لو كان فانيا ٥
حياتَك لا تُغْلَبْ عليها فإنه * كفَى بالذى تَلْقَى لنفسك ناهيا
تَمرّ الليالى والشهور ولا أرَى * وَلُوعِى بها يزداد إلّا تماديا
فما عن تَوالٍ من لُبَيْنَى زيارتى * ولا قِلةَ الإلمام أن كنتُ قاليا
ولكنّها صَدّتْ وحُمِّلتُ من هوًى * لها ما يَؤود الشامخاتِ الرواسيا

وهذه القصيدة تُخْلَط بقصيدة المجنون التى فى وزنها وعلى قافيتها لتشابههما، فقلّما ١٠ يتميّزان .

غنّى الحسين بن مُحْرِز فى البيت الأوّل والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلًا أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى من روايتى بَذْل والهشامىّ .

١٢٨
٨

أنب لبنى زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت

حدّثنى المَدائنىّ عن عَوانة عن يحيى بن علىّ الكِنانىّ قال :

شُهِر أمرُ قيس بالمدينة وغَنّى فى شعره الغَرِيض ومَعْبَد ومالك وذووهم، فلم يبق ١٥ شريف ولا وضيع إلّا سمع بذلك فأطربه وحزِن لقَيْس ممّا به . وجاءها زوجها فأنّبها على ذلك وعاتبها وقال : قد فضحتِنى بذكرك . فغضبتْ وقالت : يا هذا ، إنى والله ماتزوّجتك رغبةً فيك ولا فيما عندك ولا دُلِّس أمرى عليك، ولقد علمتَ أنى كنتُ زوجته قبلك وأنه أُكْرِه على طلاقى . ووالله ماقبِلت التزويج حتى أُهدِر

(١) كذا فى س . وفى جميع الأصول : « أم أنت » . ٢٠

دمه إن أَلَمَّ بحيِّنا، فخشيتُ أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيُقْتَل، فتزوّجتك . وأَمرُك الآنَ اليك، ففارِقْنى فلا حاجة بى اليك . فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجوارى المدينـة يغنِّينَها بشعر قيس كيما يستصلحَها بذلك ، فلا تزدادُ إلّا تمـادياً وبُعـدا، ولا تزال تبكى كلَّمـا سمعتْ شيئاً من ذلك أحرَّ بكاءٍ وأشجاه .

٥ رجع الحديث الى سياقته .

وسـط بريكة فى لقائها، وشعره فى ذلك

وقال الحِرْمازىُّ وخالد بن جَمَل : كانت آمرأة من موالى بنى زُهْرة يقال لهـا بُرَيْكَة من أظارف النساء وأكرمهن ، وكان لهـا زوج من قريش له دارُ ضيافة . فلما طالت عِلَّةُ قيس قال له أبوه : إنى لأعلم أن شفاءك فى القرب من لُبنى فآرحَلْ إلى المدينـة . فرحَل اليهـا حتى أتى دارَ الضيافة التى لزوج بُريكة . فوثَب غلمانُه
١٠ إلى رَحْل قيس ليحطُّوه . فقال: لا تفعلوا فلستُ نازلاً أو ألقَ بُرَيْكة فإنى قصدتها فى حاجة ، فإن وجدتُ لهـا عندها موضعاً نزلتُ بكم وإلّا رحلت . فأتوها فأخبروها . فخرجتْ اليه فسلَّمتْ عليه ورحَّبتْ به وقالت : حاجتُك مقضيةٌ كائنةً ما كانت ، فآنزِلْ . فنزل ودنا منهـا فقال : أذكُرُ حاجتى ؟ قالت : إن شئتَ . قال : أنا قيس بن ذَرِيح . قالت : حيَّاكَ الله وقرَّبك ! إنّ ذكرك لجديدٌ عنـدنا
١٥ فى كل وقت . قال : وحاجتى أن أرى لُبْنَى نظرةً واحدةً كيف شئتِ . قالت : ذلك لك علىّ . فنزل بهـم وأقام عنـدها وأخفتْ أمرَه ، ثم أهدى لهـا هدايا كثيرةً وقال : لاطِفيها وزوجَها بهذا حتى يأنَس بكِ . ففعلتْ وزارتْها مرارا ، ثم قالت لزوجها : أخبِرْنى عنك : أنت خيرٌ من زوجى؟ قال : لا . قالت : فلُبْنَى خير منّى؟ قال : لا . قالت : فما بالى أزورها ولا تزورنى ؟ قال : ذلك اليها . فأتتها
٢٠ وسألتْها الزيارةَ وأعلمتْها أن قيسًا عندها . فتسارعتْ إلى ذلك وأتتْها . فلمّـا رآها

ورأته بكيا حتى كادا يتلفان . ثم جعلت تسأله عن خبره وعلته فيخبرها ، ويسألها فتخبره . ثم قالت : أنشدنى ما قلت فى علتك ، فأنشدها قوله :

أعالج من نفسى بقايا حُشاشةٍ[1] * على رَمَقٍ والعائداتُ تعود
فإنْ ذُكرتْ لُبْنَى هَشِشْتُ لذكرها * كما هَشَّ للثدى الدَّرُورِ وَليدُ
أجيب بلُبنى مَنْ دعانى تجلُّدًا * وبى زَفَراتٌ تنجلى وتعود
تُعيد إلى روحى الحياةَ وإننى * بنفسىَ لو عاينتنى لأجود

قال : وفى هذه القصيدة يقول :

صوت

ألَا ليتَ أيامًا مَضَيْن تعود * فإن عُدْنَ يومًا إننى لسعيدُ
سَقَى دارَ لُبنى حيث حَلَّتْ وخَيَّمتْ * من الأرض مُنْهَلُّ الغَمامِ رَعود

فى هذين البيتين لعَريبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق فى مجرى الوسطى ، وقيل : إنه لغيرها . وتمام هذه القصيدة :

على كلِّ حالٍ إن دَنَتْ أو تباعدتْ * فإن تَدْنُ منّا فالدنوُّ مَزيدُ
فلا اليأسُ يُسْلِينى ولا القربُ نافعى * ولُبْنَى مَنُوعٌ ما تكاد تجود
كأنّىَ من لُبنى سليمٌ مُسَهَّدٌ * يَظَلُّ على أيدى الرجال يَميد
رمتْنِى لُبَيْنَى فى الفؤاد بسهمها * وسهمُ لبينى للفؤاد صَيُود
سلا كُلُّ ذى شَجْوٍ علمتُ مكانَه * وقلبى للبنى ما حَيِيتُ وَدود
وقائلةٍ قد مات أو هو ميّتٌ * وللنفس منِّى أن تَفيض رَصيد
أُعالِج من نفسى بقايا حُشاشةٍ * على رَمَقٍ والعائداتُ تعود

(١) الحشاشة : بقية الروح فى المريض والجريح .

وقال الحِرْمازىّ فى خبره خاصّة : وعاتبتْه على تزوُّجه؛ فحلف أنه لم ينظر اليها ملءَ عينيه ولادنا منها، فصدّقتْه . وقال :

صَــــوت

ولقد أردتُ الصبر عنكِ فعاقنى * عَلَقٌ بقلبى من هواكِ قديمُ

يبقَى على حَدَثِ الزمانِ ورَيْبه * وعلى جَفائك ، إنه لكريمُ ٥

فصَرَمتِه وصَحَحْت وهو بدائه * شتّانَ بين مُصَحَّح وسَقيم

وَارَبْتِــه[1] زمنًا فعاد بحلمه * إنّ المحبّ عن الحبيب حليمُ

— لغَريبَ فى هــذه الأبيات خفيفُ ثقيــلٍ، وللدّارِمىّ خفيفُ رمــلٍ من رواية الهشامىّ . ومن الناس من يَنسُب خفيفَ الثّقيل اليه وخفيفَ الرمل اليها — قالوا :

١٠ فلم يزل يومَه معها يحدّثها و يشكو اليهــا أعفَّ شكوى وأكرمَ حديث حتى أمسى؛ فانصرفتْ و وعدتْه الرجوعَ اليه من غدٍ فلم ترجع . وشاع خبره فلم تُرسل اليه رسولًا . فكتب هذه الأبيات فى رُقعة ودفعها الى بُرَيْكةَ وسألهــا أن تُوصلها اليها ، و رحل متوجِّها الى معاوية . والأبياتُ :

صــــوت

١٥ بنفسىَ مَنْ قلبى له الدَّهرَ ذاكرٌ * ومَنْ هو عنِّى مُعرِضُ القلبِ صابرُ

ومَنْ حُبُّــه يزداد عنــدى جِدّةً * وحبِّى لديه مُخْلَقُ العهــدِ داثرُ

١٣٠/٨ — غنّت فى هذين البيتين ضنين جاريةُ خاقان بن حامد خفيفَ رَمَــلٍ — قالوا : ثم ارتحل الى معاوية، فدخل الى يزيد فشكا مابه اليــه وامتدحه؛ فرَقّ له وقال : سَــلْ ما شئت، إنْ شئتَ أن أكتب الى زوجها فأُحتِّمَ عليــه أن يطلّقها فعلتُ .

شكا الى يزيد ما به وامتدحه فرقّ له

٢٠ (١) الموارَبة : المخاتلة والمخادعة

قال : لا أُريد ذلك، ولكن أحبّ أن أقيم بحيث تقيم من البلاد، أتعرّفُ أخبارَها وأقنَعُ بذلك من غير أن يُهْدَر دمى . قال : لو سألتَ هـذا من غير أن ترحل الينا فيه لَما وجب أن نَمْنَعه، فاقم حيث شئت ؛ وأخذ كتابَ أبيه له بأن يُقيم حيث شاء وأحبّ ولا يَعترِض عليه أحد، وأزال ما كان كتب به فى إهدار دمه ؛ فقدم الى بلده . وبلغ الفَزَاريّين خبرُه وإلمـامُه بلُبْنَى ، فكاتبوه فى ذلك وعاتبوه . فقال للرســول : قل للفتى (يعنى أخا الجارية التى تزوجها) : يا أخى ما غرَرتُك من نفسى ، ولقــد أعلمتك أنى مشــغول عن كل أحد، وقد جعلتُ أمرَ أُختك اليك فأَمْضِ[1] فيه من حكمك ما رأيتَ. فتكرّم الفتى عن أن يُفرّق بينهما، فمكثتْ فى حِباله مدّةً ثم ماتت .

لقيه عياش السعدى ذاهلا شارد اللب وأنشـده من شعره فيها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدثنى سليمان بن عَيّاش السَّعْدىّ عن أبيه قال :

أقبلتُ ذاتَ يوم من الغابة[2]؛ فلما كنت بالمَذَاد[3]، اذا رَبْعٌ حديثُ العهدِ بالساكن، وإذا رجل مجتمِعٌ فى جانب ذلك الربع يَبْكى ويحدّث نفسَه . فسلّمتُ فلم يَرُدّ علىّ ســلامًا . فقلت فى نفسى : رجل مُلْتَبِسٌ[4] به فولّيتُ عنه . فصاح بى بعد ساعة : وعليكَ السلام، هَلُمَّ هلم إلىّ يا صاحب السلام ! فأتيته فقال: أمَا والله لقد فهمتُ سلامَك ولكنّى رجل مُشْتَرَكُ اللُّبّ يَضِلُّ عنّى أحيانًا ثم يعود إلىّ . فقلت : ومن

(١) كذا فى جـ وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : «فى خباء له» وهو تحريف .
(٢) الغابة : بريد من المدينة على طريق الشام . (٣) المذاد : موضع بالمدينة حيث حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق . وقيل : هو واد بين سلع وخندق المدينة . (راجع معجم ما استعجم للبكرى ومعجم البلدان لياقوت ولسان العرب مادة مذد) . (٤) فى تجريد الأغانى : «ملتبس» بدون كلمة «به» . وفى الأصول : «مكتس عنه» . وقد اعتمدنا فى اصــلاحه على ماورد فى حديث المبعث : «فجاء الملك فشق عن قلبه قال نخفت أن يكون قد التبس بى» أى خولطت فى عقلى .

أنت ؟ قال : قيس بن ذَريح اللَّيْثيّ . قلت : صاحبُ لُبْنَى ؟ قال : صاحبُ لُبْنَى لعَمْري وقتيلُها ! . ثم أرسل عينيه كأنهما مَزادتانِ ؛ فما أنْسَى حسنَ قوله :

أبائنةٌ لُبْنَى ولم تَقطعِ المَدَى * بوصلٍ ولا صُرْمٍ فييأسَ طامعُ

نهارِى نهارُ الوالهين صَبابةً * وليلِى تنبو فيه عنِّى المضاجع

وقد كنتُ قبل اليوم خِلْوًا وإنما * تُقَسَّم بين الهالكين المَصارِعِ

فلولا رجاءُ القلب أن تُسْعِفَ النَّوَى[1] * لَمَا حبسَتْه بينهنّ الأضالع

له وَجَباتٌ إثْرَ لُبْنَى كأنها * شَقائقُ برقٍ فى السماء لَوَامعُ

أَبَى اللهُ أن يَلْقَى الرشادَ مُتَيَّمٌ * ألَا كلُّ أمرٍ حُمَّ لا بُدَّ واقعُ

هما بَرَّحَابى مُعْوِلَيْنِ كلاهما * فؤادٌ وعينٌ جفنُها الدَّهرَ دامع

عبد الله بن مسلم ابن جندب ينشد من شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبير قال ، وأخبرنا به وَكيع عن أبى أيُّوب المَدِينىّ ، قال الزُّبير قال حدّثتنى ظَبْية قالت : سمعتُ عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدَب يُنْشِد زوجى قولَ قيس بن ذَرِيح :

اذا ذُكِرتْ لُبْنَى تأوَّه وٱشتكى * تأوُّهَ محموم عليه البَلابلُ

يَبيت ويُضْحِى تحت ظِلّ منيّةٍ * به رَمَقٌ تَبْكى عليه القبائل

قتيلٌ للُبْنَى صدَّع الحبُّ قلبَه * وفى الحب شغلٌ للمحبِّين شاغل

فصاح زوجى: أوَّه! واحَرَباه واسَلَباه! . ثم أقبل على ٱبن جُنْدَب فقال: وَيْلَك! أتُنشد هذا كذا ! قال : فكيف أُنشِدُه ؟ قال : لم لا تتأوّه كما يتأوّه وتشتكى كما يشتكى ! .

١٣١/٨

استنشده ابن أبى عتيق أحسن ما قال فى لبنى

وقال القَحْذَمِىّ : قال ٱبن أبى عَتيق لقيس يومًا : أَنْشِدْنى أحسنَ ماقلتَ فى لُبْنَى . فأنشده قولَه :

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : «تسعر» . ولعلها محرفة عن «تسعد» .

وإنى لأهوَى النَّومَ فى غير حِينه * لعلَّ لقاءً فى المنام يكون
تُحَدِّثنى الأحلامُ أنِّى أَرَاكمُ * فياليتَ أحلامَ المنام يقين
شهدتُ بأنى لم أحُلْ عن مَوَدّةٍ * وأنِّى بكم لو تَعْلَمين ضَنين
وأن فؤادى لا يَلِين الى هوًى * سواكِ وإن قالوا بَلَى سيَلِين

فقال له ٱبن أبى عَتيق : لَقَلَّ ما رضِيتَ به منها يا قَيْس. قال : ذلك جُهْدُ المُقِلِّ.

غَنَّى فى البيتين الأوّلين قَفَا النجّار ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش .

أنشد ثعلب من شعره وكان يستحسنه

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظَة قال أنشدنى أحمد بن يحيى ثَعْلب لقيس بن ذَرِيح وكان يستحسن هذه الأبياتَ من شعره :

سقَى طَلَلَ الدارِ التى أنتمُ بها * حَيًا ثم وَبْلٌ صَيِّفٌ[1] ورَبيعُ
مضى زمنٌ والناس يستشفعون بى * فهل لى إلى لُبْنَى الغَداةَ شَفيع
سأصرِم لُبْنَى حبلَكِ اليومَ مُجْمِلًا * وإن كان صَرْمُ الحبلِ منكِ يَرُوع
وسوف أُسَلِّى النفسَ عنكِ كما سَلَا * عن البلد النائى البعيد نَزِيع[2]
وإنْ مَسَّنى للضُّرِّ منكِ كآبةٌ * وإن نال جسمى للفراق خُشوع
يقولون صَبٌّ بالنساء موكَّلٌ * وما ذاك من فعلِ الرجال بَديع
نَدِمتُ على ما كان منّى ندامةً * كما ندِم المغبونُ حين يَبيع
فقدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ ألم أكن * نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جَميع
فقرّبتِ لى غيرَ القريبِ وأشرفتْ * هناكَ ثَنايا ما لهنّ طلوع
الى الله أشكو نِيّةً شَقّت العصا * هى اليومَ شَتّى وهى أمسِ جميعُ
فيا حَجَراتِ الدارِ حيث تَحَمَّلوا[3] * بذى سَلَمٍ لا جادكنّ ربيع

(١) فى ب ، س : «صيب» بالباء الموحدة. (٢) نزيع : غريب.
(٣) كذا فى جـ : وفى سائر الأصول : «كيف».

صــــوت

فلو لم يَهِجْنى الظاعنون لهاجَنِى * حمائمُ وُرْقٌ فى الدِّيار وُقوع [1]
تَداعَيْنَ فاستبكَيْنَ مَنْ كان ذاهوًى * نوائحَ لم تَقْطُر لهنّ دُموع

— غنّى فى هذين البيتين ابنُ سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّل عن الهِشامىّ —

صــــوت

٥

اذا أمرتْنى العاذلاتُ بهجرها * أبتْ كَبِدٌ عمّا يَقُلْنَ صَديع
وكيف أُطِيع العاذلاتِ وذكْرُها * يؤرِّقنى والعاذلاتُ هُجُوع

غنّى فى هذين البيتين إبراهيمُ ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو .

فكاهات لأبى السائب المخزومى فى شعره وفى سيرته

أخبرنى الحَرَمىُّ قال حدثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى عبد الملك بن

١٠ عبد العزيز قال :

أنشدتُ أبا السائبِ المَخْزُومِىّ قولَ قيس بن ذَرِيح :

صــــوت

أُحبُّك أصنافًا من الحبّ لم أجِدْ * لها مَثَلًا فى سائر الناس يُوصَفُ
فمنهنّ حبٌّ للحبيب ورحمةٌ * بمعرفتى منه بما يتكلّف

١٣٢
٨

١٥ ومنهن ألّا يَعرِضَ الدّهرَ ذكرُها * على القلب إلّا كادتِ النفس تَتْلَفُ
وحبٌّ بدا بالجسم واللونِ ظاهرٌ * وحبٌّ لدى نفسى من الرُّوح ألطف

قال أبو السائب : لا جَرَمَ والله لأُخْلِصَنّ له الصَّفاءَ ولأَغضَبَنّ لغضبه ولأَرضَيَنّ لرضاه . غنّى فى البيتين الأوّلين الحسين بن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ عن الهِشامى و بذل.

---

(١) يقال : وقع الطير على شجر أو أرض ، اذا نزلت ، فهن وقوع ووقع .

أخبرنى الحَرَمىُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن أبى السائب المخزومىّ أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد الله بن كَثِير فى سَقيفة دار كَثِير، إذ مُرّ بجنازة؛ فقال لى : يا أبا السائب، جارُك آبن كَلَدة، ألّا تقوم بنا فنصلِّىَ عليه! قال : قلت : بَلَى والله فديتُك! . فقمنا حتى إذا كنّا عند دار أُوَيْس إذ ذكرتُ أن جدّه كان تزوج لُبْنَى ونزل بها المدينة، فرجعتُ فطرحتُ نفسى فى السَّقيفة وقلت : لا يرانى الله أُصلِّى عليه . فرجع الكَثِيرىُّ فقال : أكنتَ جُنُباً؟ قلت : لا والله . قال : فعلى غير وُضوء؟ قلتُ : لا والله . قال : فمالك؟ قلتُ : ذكرتُ أن جدّه كان تزوج لُبْنَى وفرَّق بينها و بين قيس بن ذَرِيح لمّا ظعَن بها من بلادها، فما كنت لأُصلِّىَ عليه .

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى قال حدّثنا عبد الله آبن شَبِيب قال حدّثنى هارون بن موسى الفَرْوىّ قال أخبرنا الخليل بن سعيد قال: مررتُ بسُوق الطَّيْر، فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضُهم بعضا ، فاطّلعتُ فإذا أبو السائب المخزومىّ قائم على غراب يُبَاع وقد أخذ بطَرَف ردائه وهو يقول للغراب : يقول لك قيس بن ذَرِيح :

ألَا يا غرابَ البين قد طِرْتَ بالذى * أُحاذِر من لُبْنَى فهل أنت واقعُ

لِمَ لا تقع! و يضربه بردائه والغراب يصيح . قال : فقال قائل له : أصلحك الله يا أبا السائب ! ليس هذا ذاك الغرابَ . فقال : قد علمت، ولكن آخذ البرىء حتى يقع الجرىء[1] .

آلت لبنى ألا ترى غرابا الا قتلته لبيت قاله من قصيدة، وذكر المختار منها

وقال الحِرْمازىُّ فى خبره : لمّا بلغ لُبْنَى قولُ قيس :

ألَا يا غرابَ البين قد طِرْتَ بالذى * أُحاذِر من لبنى فهل أنت واقع

(١) فى ح : « النطف »، والنطف : المريب .

آلتْ ألّا ترى غراباً إلّا قتلته؛ فكانت كلّما رأته أو رأته خادمٌ لها أو جارة آبتيع ممن هو معه وذبحته .

وهذه القصيدة العينيّة أيضا من جيِّد شعر قيس . والمختارُ منها قوله :

أتبكى على لُبنى وأنت تركتَها * وكنتَ كآتٍ حَتْفَه وهو طائعُ

٥ فيا قلبُ صبراً وآعترافاً لما ترى (١) * ويا حبَّها قَعْ بالذى أنت واقع

ويا قلبُ خبِّرنى إذا شَطَّتِ النَّوَى * بلُبْنَى وبانت عنك ما أنت صانع

أتصبِر للبَيْنِ المُشِتِّ مع الجَوَى * أم آنت آمرؤ ناسى الحياء بجازع

كأنّك بِدْعٌ (٣) لم تَرَ الناسَ قبلَها * ولم يَطَّلِعْك الدهرُ فيمن يُطالع (٤)

ألا يا غرابَ البَيْن قد طِرْتَ بالذى * أُحاذر من لُبنى فهل أنت واقع

١٠ فليس محبٌّ دائمًا لحبيبه * ولا ثقةٌ إلا له الدهرَ فاجع

كأنَّ بلادَ الله ما لم تكن بها * وإن كان فيها الناسُ قَفْرٌ (٥) بَلَاقِع

فما أنت إذ بانت لُبَيْنَى بهاجعٍ * إذا ما اطمأنّتْ بالنِّيام المَضاجع

صوت

أُقَضِّى نهارى بالحديث وبالمُنَى * ويَجمعنى والهمَّ بالليل جامعُ

١٥ نهارى نهارُ الناس حتى إذا دَجَا (٦) * لِىَ الليلُ هَزَّتْنى إليك المضاجع

لقد رَسَخَتْ فى القلب منكِ مَوَدَّةٌ * كما رَسَخَتْ فى الراحتين الأصابع

(١) كذا فى الأمالى (جـ ٢ ص ٣١٥ ولسان العرب مادة عرف) . واعترف للامر : صبر . وفى الأصول : « واعترافا بحبها » . (٢) كذا فى تجريد الأغانى والأمالى . وفى الأصول : « الحياة » وهو تحريف . (٣) البدع : الغمر من الرجال، وهو الذى لم يجرب الأمور .
٢٠ (٤) كذا فى الأمالى . وفى الأصول : «فيا» . (٥) كذا فى الأمالى . وفى الأصول : «وحش بلاقع» . (٦) فى الأصول : «بدا» .

١٣٣ / ٨

أحالَ علىَّ الهمُّ من كلِّ جانب * ودامتْ فلم تبرح علىَّ الفواجع

ألا إنّما أبكى لما هو واقعٌ * فهل جَزَعِى من وَشْك ذلك نافع

وقد كنتُ أبكى والنَّوى مطمئنّةٌ * بنا وبكم من عِلْم ما البينُ صانع

وأهجُركم هجرَ البَغيض وحبُّكم * على كبدى منه كُلومٌ[1] صوادع

وأعمِد للأرض التى لا أريدها * لِتَرْجِعَنى يومًا إليك الرواجع

وأشْفِق من هِجرانكم وتَرُوعنى * مَخافةُ وَشْك البين والشَّملُ جامع

فما كلُّ ما منَّتْكَ نفسُك خاليًا * تُلاقِى ولا كلُّ الهوى أنت تابع

لَعَمْرِى لَمَنْ أَمْسَى ولُبْنَى ضَجيعُه * من الناس ما آختيرتْ عليه المضاجع

فتلك لُبَيْنَى قد تَراخَى مَزارُها * وتلك نَواها غُرْبةٌ[2] ما تُطاوع

وليس لأمرٍ حاول اللهُ جمعَه * مُشِتٌّ ولا ما فرّق اللهُ جامع

فلا تَبْكِيَنْ فى إثر لُبْنَى نَدامةً * وقد نَزَعتْها من يديك النوازع

غنَّى الغَرِيضُ فى الثالث والرابع والأوّل والعشرين وهو "لعمرى لَمَنْ أَمسى ولُبْنى ضَجيعُه" ثقيلًا أوّل بالسبَّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وغنَّى إبراهيم الموصلىّ فى العاشر وهو : "أَقَضِّى نهارى بالحديث وبالمُنَى" والحادى عشر والثانى عشر رَمَلًا بالوسطى عن عمرو . وقد قيل : إن ثلاثة أبياتٍ من هذه وهى : "أقضِّى نهارى بالحديث وبالمنى" [والبيتان اللذان بعده][3] لابن الدُّمَيْنة الخَثْعَمىّ؛ وهو الصحيح؛ وإنما أدخلها الناس فى هذه الأبيات لتشابهها .

(١) كذا فى الأمالى . وفى الأصول : «شؤون» . (٢) رواية الأمالى :

ألا تلك لبنى قد تراخى مزارها * وللبين غم ما يزال ينازع

(٣) زيادة يقتضيها السياق . (راجع الأغانى جـ ١٥ ص ١٥٤ طبع بلاق) .

مصير قيس ولبنى وهل ماتا زوجين أو مفترقين

وقد اختُلف فى آخر أمر قيس ولُبْنَى ؛ فذكر أكثر الرُّواة أنهما ماتا على افتراقهما ، فمنهم من قال : إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفًا عليه . ومنهم من قال : بل ماتت قبله ومات بعدها أسفًا عليها ، وممن ذكر ذلك اليوسُفىّ عن علىّ بن صالح صاحب المُصَلَّى ؛ قال قال لى أبو عمرو المَدَنىّ :

٥ ماتت لُبْنَى ، فخرج قيسٌ ومعه جماعةٌ من أهله فوقف على قبرها فقال :

ماتت لُبَيْنَى فموتُها موتى * هل تنفعنْ حسرتى على الفَوْتِ

وسوف أبكى بكاءَ مكتئبٍ * قضى حياةً وَجْدًا على مَيْتِ

ثم أكَبَّ على القبر يبكى حتى أغمى عليه ؛ فرفعه أهلُه إلى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلًا لا يُفيق ولا يجيب مكلِّمًا ثلاثًا حتى مات فدُفن إلى جنبها .

١٣٤ / ٨

١٠ وذكر القَحْذَمىّ وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبى عتيق صار إلى الحسن والحسين ابنىْ علىّ بن أبى طالب وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم وجماعةٍ من قريش ، فقال لهم : إن لى حاجةً إلى رجل أخشى أن يَرُدَّنى فيها ، وإنى أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه . قالوا : ذلك لك مُبْتَذَلٌ منّا . فاجتمعوا ليومٍ وعَدهم فيه ، فمضى بهم الى زوج لُبْنَى . فلمّا رآهم أعْظم مصيرَهم إليه ١٥ وأكبره . فقالوا : لقد جئناك بأجمعنا فى حاجة لابن أبى عَتيق . قال : هى مقضيّة كائنةً ما كانت . قال ابن أبى عَتيق : قد قضيتَها كائنةً ما كانت من مِلك أو مال أو أهل ؟ قال نعم . قال : تَهَب لهم ولى لُبْنَى زوجتَك وتطلّقها . قال : فإنى أُشْهِدكم أنها طالقٌ ثلاثا . فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا : والله ما عرفنا حاجته ، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إيّاها . وقال ابن عائشة : فعوَّضه الحسنُ من ذلك ٢٠ مائةَ ألف درهم وحملها ابن أبى عتيق اليه . فلم تزل عنده حتى انقضت عِدّتُها .

فسأل القوم أباها فزوجها قيسا ، فلم تزل معه حتى ماتا . قالوا : فقال قيس يمدح آبن أبى عَتيق :

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يُجازِى * على الإحسان خيْرا من صديق
فقد جَرَّبتُ إخوانى جميعًا * فما ألفيْتُ كآبنِ أبى عتيق
سعى فى جمع شَمْلى بعد صَدْعٍ * ورأيٍ حِدْتُ فيه عن الطريق
وأطفا لوعةً كانت بقلبى * أغصَّتْنى حرارتُها بريق

قال : فقال له آبن أبى عتيق : ياحبيبى أَمسِكْ عن هذا المديح ؛ فما يسمعه أحد إلّا ظنّنى قوّادا . مضى الحديث .

صوت من مدن معبد فى شعر عنترة

ومن مُدُن مَعْبَد وهو الذى أوّله :

* يادارَ عَبْلةَ بالجواء تكلّمى *

وقد جُمع معه سائرُ ما يغنّى فيه من القصيدة .

منها :

صوت

هل غادر الشعراءُ من مُتَردَّمِ * أم هل عَرَفتَ الدارَ(1) بعد تَوهمِ
يا دارَ عَبْلةَ بالجِوَاء تَكلّمى * وعِمِى صَباحًا دارَ عبلةَ وآسْلَمى
وتَحُلّ عبلةُ بالجِوَاء وأهلُنا * بالحَزْن فالصَّمّانِ(2) فالمُتَثلَّمِ
كيف القَرارُ(3) وقد تربَّع أهلُها * بعُنَيْزَتَيْنِ وأهلُنا بالغَيْلَمِ
حُيِّيتَ من طَلَلٍ تَقَادمَ عهدُه * أَقْوَى وأَقْفرَ بعد أُمّ الهَيْثَمِ

(١) ويروى : «أم هل عرفت الربع» وهى الرواية التى كتب عليها المؤلف . (٢) الصمان : موضع ، ويقال : هو جبل . وقال أبو جعفر : الجواء بنجد ، والحزن لبنى يربوع ، والصمان لبنى تميم . والمتثلم : مكان . (انظر شرح القصائد العشر للتبريزى) . (٣) فى المعلقات : «كيف المزار» .

ولقد نزلتِ فلا تَظُنّى غيرَه * منّى بمنزلة المُحَبّ المُكْرَمِ
ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ * للحرب دائرةٌ على ٱبنَىْ ضَمْضَمِ
الشّاتِمَىْ عِرْضِى ولم أشتُمْهما * والنّاذرَيْنِ إذا لَمَ ٱلْقَهما دمى
ولقد شَفَى نفسى وأبرأ سُقْمَها * قِيلُ الفوارسِ وَيْكَ عنترُ فَٱقْدِمِ
ما زِلتُ أرميهم بثُغْرة نَحْرِه * ولَبانِه حتى تَسَرْبَلَ بالدّمِ
هَلّا سألتِ الخيلَ يا ٱبنةَ مالكٍ * إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمى
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِد الوَقِيعةَ أنّنى * أَغْشَى الوَغَى وأعِفُّ عند المَغْنَمِ
يَدْعُون عَنْترَ والرِّماحُ كأنّها * أشْطانُ بئرٍ فى لَبَانِ الأدهمِ
فشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الطويلِ ثيابَه * ليس الكريمُ على القَنَا بمحرَّمِ
فإذا شَرِبتُ فإننى مستهلِكٌ * مالى، وعِرْضِى وافرٌ لم يُكْلَمِ
وإذا صحوتُ فما أُقَصِّر عن نَدًى * وكما علمتِ شمائلى وتكرّمى

الشعر لعنترة بن شَدّاد العَبْسىّ، وقد تقدّمتْ أخباره ونسبه . وغنّى فى البيت الأوّل، على ما ذكره ٱبن المكّىّ، إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى، وما وجدتُ هذا فى رواية غيره . وغنّى مَعْبد فى البيت الثانى والثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق، وهو الصوت المعدود فى مُدُن معبد . وغنّى سَلّام الغَسّال فى السابع والثامن والثالث والعاشر رَمَلًا بالسبّابة فى مجرى البنصر، ووجدت فى بعض الكتب أن له أيضا فى السابع وحده ثانىَ ثقيلٍ أيضا، وذكر عمرو بن بانة أن هذا الثقيل الثانىَ بالوسطى لمعبد ووافقه يونس، وذكر ٱبن المكىّ أن هذا الثقيل الثانىَ للهُذَلىّ، وذكر غيره أنه لٱبن مُحْرِز . وذكر أحمد بن عُبَيْد أنّ فى السابع ثقيلًا أوّل للهُذَلىّ، ووافقه حَبَش . وذكر حبش أن فى الثانى لمعبد ثقيلا أوّل، وأن لٱبن سُرَيج فيه رملًا آخر غير رمل ٱبن الغَسّال، وأن لٱبن مِسْجَح

أيضا فيه خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى . وفى كتاب أبى العُبَيْس: له فى الثالث لحن .
وفى كتاب أبى أيّوب المَدِينىّ: لآبن جامع فى هذه الأبيات لحن . ولمعبد فى الحادى
عشر والثانى عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق
فى مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا . ولعَلّويه فى السادس والرابع ثانى ثقيل، وله
أيضا فى الرابع عشر والثالث عشر رَمَلٌ . وفى كتاب هارون بن الزّيّات لعبدِ آلِ ٥
فى الخامس ثقيلٌ أوّل ؛ وقد نسَب الثقيلَ الثانىَ المختلَفَ فيه لآبن مُحْرِز .
وفى كتاب هارون : لأحمد النَّصْبىّ فى الرابع والخامس لحن .

" هل غادر الشعراء " البيتَ ، يدفع أكثرُ الرواة أن يكون لعنترة ؛ وممن
يدفعه الأصمعىّ وآبن الأعرابىّ . وأوّل القصيدة عندهما " يادارَ عَبْلَةَ " . فذكر
أبو عمرو الشَّيْبَانِىّ أنه لم يكن يَرْويه حتى سمع أبا حِزَام العُكْلىّ يرويه له . ١٠

قوله : " هل غادر الشعراء من متردَّم " يقول : هل تركوا شيئاً يُنْظَر فيه
لم ينظروا فيه ؟ . والمتردَّم : المتعطَّف، وهو مصدر . يقول : هل تركوا شيئا يُتردَّم
عليه أى يتعطَّف؛ ويقال: تردَّمت الناقةُ على ولدها إذا تعطَّفت عليه، وثوبٌ
مردَّم وملَدَّم إذا سُدَّتْ خروقُه بالرِّقاع . والرَّبع : المنزل ، سُمِّىَ ربعًا لآرتباعهم
فيه؛ والرُّبيعة : الصخرة . حكى أبو نصر أنه يقول : هل ترك الشعراء من خَرْقٍ ١٥
لم يرقَعوه وفَتْقٍ لم يرتُقوه ! وهو أشبهُ بقوله من متردَّم . وقال غيره : يعنى بقوله
من متردَّم البناءَ وهو الرَّدْم ، أى لم يتركوا بناءً إلا بنَوْه ؛ قال الله عزّ وجل :
﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ يعنى بناء ؛ وردَم فلان حائطَه أى بناه .
والجِواء : بلد بعينه ؛ والجِواء أيضا : جمع جَوٍّ وهو البطن الواسع من الأرض .
عِمِى صباحًا ، وآنْعِمِى صباحًا : تحيّةٌ . تَرَبَّع أهلُها : نزلوا فى الرَّبيع . ٢٠
وعُنَيْزَتَين : أَكَمَةٌ سوداء بين البَصْرة ومكة . والغَيْلَم : موضع . والطَّلَل : ما كان

له شخص من الدار مثل أُثْفِيَّة أو وَتِدٍ أو نُؤْيٍ[1]؛ وتقول العرب : حيّا الله طَلَلَك، أى شخصَك . وآبنا ضَمْضَم : حُصَيْن وهَرِم المُرِّيّان. وثُغْرة نحره : موضع لَبّته . واللَّبَان : مَجْرَى لَبَبه من صدره وهو الصدر نفسه . ويروى « بغُرّة وجهه » . وتَسَرْبل، أى صار له سربال من الدم . وقوله : « هَلّا سألت الخيلَ » يريد فرسانَ الخيل ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وآسألِ القَرْيَةَ ﴾ . والوقيعة : الوَقْعةُ . والوَغَى والوَحَى : أصواتُ الناس وجَلَبتُهم فى الحرب ؛ وقال الشاعر :

وليلٍ كَسَاجِ الحِمْيَرِىِّ[2] آدّرعتُه * كأنَّ وَغَى حافاته لَغَطُ العُجْمِ

والأشطان : الحبال ، واحدها شَطَن . شبَّه اختلافَ الرِّماح فى صدر فرسه بالأشطان . وشَكَكتُ بالرمح : نظمت . وقال أبو عمرو : يعنى بثيابه قلبه . والعِرْض : موضعُ المدح والذَّم من الرجل ؛ يقال : طيِّب العِرْض أى طيِّب ريح الجسم . والكُلوم : الجراح . والوافر : التامّ . وشمائلى : أخلاقى، واحدها شِمَال . يقال : فلان حُلو الشَّمائل والنَّحائت والضَّرائب والغرائز .

عنترة يقول معلقته لأن رجلا سبه وعيره سواده

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّرىّ قال قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ :

قال عنترةُ هذه القصيدةَ لأن رجلًا من بنى عَبْس سابّه فذكر سوادَه وسوادَ أُمّه وإخوته وعيَّره ذلك . فقال عنترة : والله إن النّاس لَيَتَرافَدُونَ[3] بالطُّعْمة، فوالله ما حضرتَ مَرْفَدَ الناس أنت ولا أبوك ولا جَدُّك قَطُّ . وإنّ الناس لَيُدْعَوْن فى الفزع فما رأيتُك فى خيلٍ قطُّ، ولا كنتَ فى أوّل النساء . وإنَ اللَّبْس (يعنى الاختلاط) لَيكونُ بيننا فما حضرتَ أنت ولا أحدٌ من أهل بيتك لخُطّةٍ فَيْصَلٍ قطُّ،

(١) الأثفية : الحجر توضع عليه القدر .
(٢) الساج : الطيلسان الأسود .   (٣) يترافدون : يتعاونون .

وكنتَ فَقْعًا بقَرْقَرة[1] . ولو كنتُ فى مَرْتَبتك ومغْرِسك الذى أنت فيــه ثم ماجَدْتُك لمجدتُك ، أو طاولتُك لطُلْتُك . ولو سألتَ أُمَّك وأباك عن هذا لأخبراك بصحته . وإنّى لأحتضِر الوَغَى ، وأُوَفِّى المَغْنَم ، وأَعِفّ عن المســألة ، وأَجُود بمـا ملكتُ ، وأفصِل الخُطَّةَ الصَّمْعاء[2] . فقال له الآخر : أنا أشعرُ منك . فقال : ستعلم ! . وكان عنـترة لا يقول من الشِّــعر إلّا البيتَ أو البيتين فى الحرب فقال هــذه القصيدة . ويزعمون أنها أوّل قصيدة قالها . وكانت العرب تسمِّيها المُذَهَّبة .

بقية مدن معبد

نسبة الأصوات التى جُعِلتْ مكان بعض هذه الأصوات فى مدن معبد ، وهنّ :

صوت من مدنه فى شعر كثير عزة

صـــــوت

تَقطَّع من ظَلّامةَ الوصـلُ أَجْمَـعُ * أخيرًا على أنْ لم يكن يَتَقَطَّـعُ

وأصبحتُ قد وَدّعت ظَلّامةَ التى * تَضُرُّ وماكانت مع الضُّرّ تنفـع

الشعر لكُثَيّر . والغِناء لمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالبِنصر عن عمرو و يونس .

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنـا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى سليمان ابن عَيّاش السَّعْدىّ قال قال السائبُ راويةُ كُثَيّر ، وأخبرنى إسمـاعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال زعم ٱبن الكَلْبىّ عن أبى المُقَوَّم قال حدّثنى سائب راويةُ كُثَيّر قال :

١٣٧ / ٨

كنتُ مع كُثَيّر عنــد ظَلّامة فأقمنا أيّاما . فلمــا أردنا الانصرافَ عقدتْ له فى عِلَاقة سَوْطه عُقَــدًا وقالت : احفَظْها . ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبنى ضَمْـرة ،

(١) ويقال أيضا فقع قرقرة . وهو مثل يضرب للضعيف الذليل الذى لا يمتنع على من يضيمه . والفقع : هجين الكمأة ، وهو أبيض ضخم سريع الفساد قليل الصبر عن الحيا لا يمتنع على من اجتناه ، وقيل : لأنه يداس دائما بالأرجل ، وقيــل : لأنه لا أصل له ولا أغصان . والقرقرة والقرقر : الأرض المستوية السهلة . (انظر ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه) . (٢) الصمعاء : الحازمة .

فقال : إن فى هذه الأخبية جاريةً ظريفةً ذاتَ جمال، فهل لك أن تستبرزها ؟ فقلت : ذاك إليك . قال : فمِلنا اليهم فخرجتْ الينا جاريتها فأخرجتْها إلينا، فاذا هى عَزّة، فجلس معها يحادثها، وطرح سَوْطه بينه و بينها الى أن غلبتْه عيناه . وأقبلتْ عَزّة على تلك العُقَد تَحُلّها واحدةً واحدةً . فلما آستيقظ آنصرفْنا . فنظر الى علاقة سوطه فقال : أحلّتْها ؟ قلت : نعم ! فلا وصلها الله ! والله إنك لمجنون. قال : فسكت عنّى طويلًا ثم رفع السَّوْط فضرب به واسطةَ رَحْله وأنشأ يقول :

تقطّع من ظَلّامة الوصلُ أجمعُ * أخِيرًا على أن لم يكن يتقطّعُ
وأصبحتُ قد ودّعت ظَلّامةَ التى * تَضُرّ وما كانت مع الضُّرّ تنفَعُ
وقد سُدّ من أبواب ظَلّامة التى * لنا خَلَفٌ للنفس منها ومَقْنَع

ثم وصل عزّةَ بعد ذلك وقطع ظَلّامة .

ومنها :

وهو الذى أوّله : "خَمْصانةٌ قَلِقٌ مُوَشّحُها" .

صوت من مدنه فى شعر الحارث ابن خالد

صوت

أقوى مِنَ آلِ ظُلَيمةَ الحَزْمُ * فالغَمْرتانِ فأوْحَش الخَطْمُ(١)
فجنوبُ أثْبِرةٍ فمُلْحَدُها * فالسِّدْرتانِ فما حَوَى دَسْمُ(٢)
وبما أرَى شخصًا به حسنًا * فى القوم إذ حيّتْكُمُ نُعْمُ
إذ وُدُّها صافٍ ورؤيتُها * أُمنيّةٌ وكلامُها غُنْمُ

(١) أقوى : خلا . والحزم : موضع أمام خطم الحجول . والغمرة : منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها . (٢) أثبرة : عدة جبال بمكة، واحدها ثبير . والسدرتان : موضع . ودسم : موضع قرب مكة فيه قبر ابن سريج المغنى .

لَفَّاءُ[1] مَمْلُوءٌ مُخَلْخَلُها * عَجْزَاءُ ليس لَعَظْمِها حَجْمُ
خَمْصانةٌ قَلِقٌ موشَّحُها * رُؤْدُ الشَّبابِ علَا بها عَظْمُ
وكأنَّ غاليَةً[2] تُباشرها * تحت الثيابِ إذا صَغا[3] النَّجْمُ
أَظُلَيْمُ إنَّ مُصابَكم رجلًا * أَهْدَى السلامَ تحيةً ظُلْمُ
أَقْصيتِه وأراد سِلْمَكمُ * فَلْيَهْنِه إذ جاءك السِّلْمُ

عروضه من الكامل . الشعر للحارث بن خالد المخزومىّ . والغناء لمَعْبد، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البِنصر . قال : ولحن معبد[4] :

* خَمْصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها *

وأوّل لحْنٍ[5] مالك :

* أقوى مِنَ آلِ ظُلَيْمةَ الحزمُ *

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «هيفاء» . ولفاء : ضخمة الفخذين مكتنزة .
(٢) الغالية : ضرب من الطيب . (٣) صغا النجم : مال للغروب .
(٤) لعله : « وأوّل لحن معبد » . (٥) يلاحظ أنه لم يتقدم لمالك لحن فى هذا الشعر .

ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره فى هذا الشعر

الحارث بن خالد بن العاصى بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ؛ وقد تقدّم ذكره وأخباره فى كتاب المائة المختارة فى بعض الأغانى المختارة التى شعرُها له وهو :

* إنّ آمرأً تَعْتادُه ذِكَرٌ *

٥

تزوّج حميدة بنت النعمان بن بشير ثم طلقها

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

١٣٨ / ٨

بلغنى أن الحارث بن خالد بن العاصى بن هشام بن المُغيرة — ويقال : بل خالد بن المُهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة — كان تزوّج حُمَيْدة بنت النُّعْمان بن بَشير بدمَشْق لمّا قدم على عبد الملك بن مَرْوان . فقالت فيه :

١٠

نَكَحتُ المَدينىَّ إذ جاءنى * فيالَكِ من نَكْحَةٍ غاويهْ

كهولُ دِمَشْقَ وشُبّانُها * أحبُّ الينا من الجاليهْ

صُنَانٌ لهم كصُنَان التُّيو * س أعيا على المسك والغاليه

فقال الحارث يجيبها :

صــــوت

١٥

أَسَنَا ضوءِ نارِ ضَمْرة بالقَفْـ * ـرة أبصرْتَ أم سَنَاضوءِ بَرْقِ

قاطناتُ الحَجُونِ أشْهى الى قلـ * ـبِىَ من ساكنات دُورِ دِمَشْقِ

يَتَضوّعْنَ لو تضمَّخْنَ بالمسـ * ـكِ صُنَانًا كأنّه رِيحُ مَرْقِ(١)

غنّاه مالكُ بن أبى السَّمح خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر من رواية إسحاق . وفيه لأبن مُحرِز(٢) لحنٌ من رواية عمرو بن بانة ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

٢٠

(١) المرق (بالفتح) : صوف العجاف والمرضى وهو منتن ، أو هو الجلد المنتن .

(٢) فى جـ : « لأبن مسجح » .

رجعت الرواية إلى خبر الحارث

قال : وطلّقها الحارث، فخلف عليها رَوْح بن زِنْباع . قال : وكان الحارث خَطَب أَمَةً لمالك بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وخطبها عبد الله بن مُطِيع . فتزوجها عبد الله ثم طلّقها أو مات عنها، فتزوجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوج : ٥

أَقْوَى مِنَ آلِ ظُلَيمةَ الحَزْمُ * فالغَمْرتانِ فأَوْحَش الخَطْمُ

الأبياتَ التى فيها الغناء .

قال وأخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا محمد بن الحَكَم عن عَوَانة بهذا الخبر فذكر مثلَه ، ولم يذكر أنّ الحارث هو المتزوِّجُها، وفسّر قولَها : ١٠

* أحبُّ الينا من الجالِيَةْ *

وقال : الجالية أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمُّونهم بذلك لأنهم كانوا يجْلُون عن بلادهم إلى الشام . وقال فى الحديث : فبلغ عبدَ الملك قولُها فقال : لولا أنها قدّمت الكهولَ على الشبّان لعاقبتُها .

قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار

قال عَوَانة : وكانت لحُمَيْدة أختٌ يقال لها عَمْرة ، وكانت تحت المختار بن أبى عُبَيد الثّقَفىّ، فأخذها مُصْعَب بعد قتله المختار وأخذ آمرأتَه الأخرى وهى بنت سَمُرَةَ بن جُنْدَب ، فأمرهما بالبراءة من المختار . أمّا بنت سَمُرَةَ فبرئتْ منه، وأبتْ ذلك عَمْرةُ . فكتب به مُصْعَب إلى أخيه عبد الله . فكتب اليه : إن أبت أن تبرأ منه فاقتُلْها . فأبتْ فحفَر لها حَفِيرةً وأقيمت فيها فقُتلت . فقال عمر بن أبى رَبيعة فى ذلك : ١٥ ٢٠

إنّ من أعجبِ العجائب عندى * قتــلَ بيضــاءَ حُرَّةٍ عُطْبولِ[1]

قُتِلَتْ حُرَّةٌ عــلى غــيرِ جُرْمٍ * إنّ للهِ دَرَّها من قتيــلِ

كُتب القتلُ والقتــالُ علينــا * وعلى الغانيــاتِ جَــرُّ الذيول

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شَبّة

١٣٩/٨ قال أبو زيد وحدّثنى آبن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوه، وزاد فيه أن ٥
الحارث لمّا تزوجها قالت فيه :

نَكَحتُ المَدِينيَّ إذ جاءنى * فيــالكِ من نَكْحةٍ غاويهْ

تهاجى حميدة مع زوجها روح ابن زنباع

وذكر الأبيات المتقدّمة . وقال عمر بن شَبّة فيه : وتزوجها رَوْح بن زِنْبــاع ؛
فنظر إليها يومًا تنظر إلى قومه جُذَامَ، وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل
أرى إلا جُذَامَ ! فوالله ما أُحِبُّ الحَلالَ منهم فكيف بالحرام! . وقالت تهجوه : ١٠

بكى الخَزُّ من رَوْحٍ وأنكر جلدَه * وعَجَّتْ عَجيجًا من جُذامَ المَطارفُ

وقال العَبا قد كنتُ حينًا لباسَكم * وأكْسِـيَةٌ كُرْدِيّةٌ وقَطائفُ

فقال رَوْح :

إن تَبْكِ منّا تَبْكِ ممن يُهِينُهــا * وإن تَهْوَكم تهوَ اللّئامَ المَقارِفَا[2]

وقال رَوْح : ١٥

أَثْنِي[3] عليّ بمــا علمتِ فإنّنى * مُثْنٍ عليك لبئس حَشْوُ المِنْطَقِ[4]

فقــالت :

أُثْنِي عليكَ بأنّ باعَكَ ضَــيِّقٌ * وبأن أصلَكَ فى جُذَامٍ مُلْصَقُ

(١) العطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق .

(٢) المقارف : الأنذال . ويروى : «وما صانها إلا اللئام المقارف» . (٣) الثناء : ٢٠
ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص بعضهم به المدح . (٤) المنطق والنطاق (وزان
منبر وكتاب) : شبه إزار فيه تكة كانت المرأة تنتطق به . وفى حديث أم إسماعيل : أوّل ما اتخذ النساء المنطق .

فقال رَوْح :

أَثْنِي عـــلَىَّ بمـا عَلِمْتِ فإنّنى * مُثْنٍ عليك بمثل رِيح الجَوْرَب

فقـالت :

فثنـاؤنا شرُّ الثَّنـاء عليكـمُ * أسْوَا وأنْتَنُ من سُلَاح الثَّعْلَبِ

وقالت :

وهل أنا إلا مُهْرَةٌ عربيّــةٌ * سَليلةُ أفراس تجلَّلهـا بَغْــلُ

فإنْ نُتِجتْ مُهْرًا كريما فبالحَرَى * وإن يك إقرافٌ[1] فما أَنْجب الفحلُ

فقال رَوْح :

فمـا بالُ مُهْرٍ رائعٍ عَرَضتْ له * أتانٌ فبالتْ عند جَحْفَلَة[2] البغلِ

إذا هو وَلّى جانبـا ربِخَتْ[3] له * كما ربخت قَمْراء[4] فى دَمِس سهل

وقالت عَمْرة لأخيها أَبَان بن النُّعمان :

أطال اللهُ شأوَك[5] من غُـــلَامٍ * مـــتى كانتْ مَنَاكِحَنـا جُذَامُ

أترضَى بالأكـارع والذُّنَابَى[6] * وقـــد كنّا يقَرُّبنـا السَّـنامُ

وقال ٱبن عمٍّ لرَوْح :

رَضِى الأشياخ بالفِطْيَوْن[7] فَحْلًا * وترغَب للحماقـــة عن جُـــذَامِ

---

(١) المقرف : الذى أمه عربية وأبوه ليس كذلك ، ضد الهجين والمقرف أيضا : النذل ، وعليه وجه هذا البيت . (٢) الجحفلة : لذى الحافر كالشفة للإنسان . (٣) ربخت : استرخت .

(٤) القمراء : البيضاء . (٥) ستأتى فيه رواية أخرى (جـ ١٤ ص ١٢٩ طبع بلاق) : « أضل الله حلمك من غلام » . (٦) فى الأصول هنا : «بالفواسق والذنابى» . والتصويب عن الموضع المذكور . (٧) كذا فى نسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . والفطيون (بكسر الفاء وسكون الطاء) : رجل من اليهود سيىء فاجر كانت اليهود تدين له إلى أن كانت لا تتزوج امرأة منهم حتى تدخل عليـه قبل دخولهـا على زوجها ، و يقال إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس والخزرج . حتى كان زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت فى أخيها عوامل الحمية والغيرة فقتله . (راجع الجزء الثالث من هذه الطبعة ص ٤٠ الحاشية رقم ٣) . وفى الأصل هنا : « القيطون » وهو تحريف .

يهـــودىٌّ له بُضْعُ العَـذارَى * مُقبحًا للكهول وللغـــلام

تُزَفُّ اليـه قبل الزوج خَـوْدٌ * كأنْ شَمْسًا تدلَّتْ من غَمـام

فأبـقِ ذلكم عارًا وخِزْيًا * بقاءَ الوَحْيِ[1] فى صُمِّ السِّـــلام

يهـودٌ جَمَّعُـــوا من كلِّ أَوْبٍ * وليســـوا بالغَطاريف الكرام

٥ وقالت :

سُمِّيتَ رَوْحًا وأنتَ الغَمُّ قد عَلِموا * لا روَّح اللهُ عن رَوْح بن زِنْباع

فقال رَوْح :

لا روَّح اللهُ عمَّن ليس يمنعنـا * مالٌ رَغيبٌ وبعلٌ غير مِمْناع

كشافعٍ[2] جَوْنةٍ مُجْـلٍ مَحَاصِرُها * دَبَّابةٍ شَثْنةِ الكَفَّـيْنِ جُبّـاع

١٠ قال : والجُبَّاع : القصيرة . والجُبَّاع من السهام : الذى لا نصل له . والجُبَّاع : الرُّصُفُ[3] .

وقالت :

١٤٠ / ٨

تُكَحِّل عينيكَ بَرْدَ العَشِيِّ * كأنّكَ مُومِســـةٌ زانيـــهْ

وآيةُ ذلك بعـــد الخُفُوقِ * تَغَلُّفُ رأسِك بالغاليـــه

وأنّ بَنيـــكَ لِرَيْبِ الزما * نِ أمستْ رِقابهمُ حاليـــه

١٥ فلو كان أَوْسٌ لهم حاضرًا * لقـال لهم إنّ ذا ماليـــه

وأَوْس رجل من جُذَام يقال : إنه استودَع رَوْحًا مالاً فلم يردّه عليه . فقال لها رَوْح :

إن يكن الخُلْعُ من بالكم * فليس الخلاعةُ من باليهْ

---

(١) الوحى : الكتابة . والسلام : الحجارة .

(٢) الشافع من النوق والشاء : التى فى بطنها ولد و يتبعها آخر . وجونة : ســوداء . ومُجل : جمع ٢٠ أمجل أو مجلاء . والمجل : عظم البطن وسعته . وشثنة الكفين : غليظتهما . (٣) الرصف : جمع رصفة وهى العقبة (والعقب : العصب الذى تعمل منه الأوتار) تلوى فوق الرعظ (والرعظ السهم : مدخل سنخ السهم فى النصل) .

وإن كان مَنْ قد مضَى مثلَكم * فأُفٍّ وتُفٍّ على الماضيه
وما إنْ بَرَا اللهُ فآستيقنيه * ـه من ذات بعلٍ ومن جاريه
شبيهًا بكِ اليوم فيمن بَقِى * ولا كان فى الأعْصُر الخاليه
فبُعدًا لمَحْيَاكِ إذ ما حَيِيتِ * وبُعدًا لأعظُمِك الباليه

تزوّجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم

وقال رَوْح فى بعض ما يتنازعان فيه : اللّهُمّ إن بَقِيتْ بعدى فآبتَلِها ببعلٍ يلطِم وجهَها ويملأ حِجْرَها قيئًا . فتزوّجها بعده الفَيْض بن محمد بن الحَكَم بن أبى عَقِيل وكان شابًّا جميلا يُصيب من الشَّراب فأحبّتْه . فكان ربّما أصاب من الشَّراب مُسْكِرًا فيلطِم وجهَها ويقىءُ فى حِجْرها ؛ فتقول : يرحَم الله أبا زُرْعة ! قد أُجيبتْ دعوتُه فىّ . وقالت لفَيْض :

سُمِّيتَ فيضًا وما شىءٌ تَفِيضُ به * إلّا سُلَاحَكَ بين الباب والدارِ
فتلك دعوةُ رَوْحِ الخيرِ أعرِفُها * سقَى الإلهُ صَدَاه الأَوْطَفَ(١) السّارِى

وقالت لفَيْض أيضا :

ألا يا فَيْضُ كنتُ أراكَ فَيْضًا * فلا فَيْضًا أصبتُ ولا فُرَاتَا

وقالت :

وليس فيضٌ بفَيّاضِ العَطاء لنا * لكنّ فيضًا لنا بالقَىْءِ فَيّاضُ
ليثُ اللّيوثِ علينا باسلٌ شَرِسٌ * وفى الحروب هَيُوبُ الصدرِ جَيّاضُ(٢)

تزوّج ابنتها من الفيض الحجاج ابن يوسف

فولدتْ من الفَيْض ٱبنة فتزوّجها الحَجّاج بن يوسف؛ وقد كانت قبلها عند الحَجّاج أُمّ أَبَانٍ بنتُ النُّعْمان بن بَشير . فقالت حُمَيْدة للحَجّاج :

إذا تذكّرتُ نكاحَ الحَجّاجْ * من النّهارِ أو من اللّيلِ الداجْ
فاضتْ له العينُ بدمعٍ ثَجّاجْ * وأُشْعِلَ القلبُ بوَجْدٍ وَهّاجْ

(١) الأوطف من السحاب : الدانى من الأرض . (٢) الجياض : الرّواغ .

لو كان نُعمانُ قتيلُ الأَعْلاجْ (١) * مُسْتَوِيَ الشَّخص صحيحَ الأوداجْ
لكنتَ منها بمكان النَّسَّاجْ * قد كنتُ أرجو بعضَ ما يرجو الرَّاجْ
* أن تَنْكِحيه مَلِكًا أو ذا تاجْ *

فقَدِمتْ حُمَيْدة على ٱبنتها زائرةً. فقال لها الحجّاج: يا حُمَيْدة، إنّي كنتُ أحتمل مُزَاحَك مَرّةً (٢)، وأمّا اليوم فإني بالعراق وهم قومُ سَوْءٍ فإيّاكِ! . فقالت: سأَكُفّ حتى أرحَل.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا سليمان بن أيوب قال حدّثنا المدائنيّ عن مَسْلَمةَ بن مُحارِب قال:

قالت حُمَيْدة بنت النُّعمان لزوجها رَوْح بن زِنْباع، وكان أسودَ ضخمًا: كيف تَسُود وفيك ثلاثُ خصَال: أنت من جُذام، وأنت جَبانٌ، وأنت غَيُور. فقال: أمّا جُذَام فأنا في أَرُومتها (٣)، وبحَسْبِ الرجلِ أن يكون في أَرُومة قومه. وأمّا الجُبْن فإنما لي نفسٌ واحدة، ولو كان لي نفسان لجُدْتُ بإحداهما. وأمّا الغَيْرة فهو أمر لا أُحبّ أن أُشارَك فيه، وإن المرء لحقيقٌ بالغيرة على المرأة مثلِكِ الحَمْقاء الوَرْهاء لا يأمَنُ أن تأتِيَ بولد من غيره فتقذِفَه في حِجْره. ثم ذكر باقيَ خبرها مثلَ ما تقدّم، وقال فيه: فخلَف بعده عليها الفَيْضُ بن محمد عمُّ يوسف بن عمر، فكان يشرب ويلطِمها ويقيءُ في حِجْرها؛ فقالت:

سُمِّيتَ فَيْضا وما شيءٌ تَفيض به * إلا سُلاحَكَ بين الباب والدار

قال المدائنيّ: وتمثّل فيضٌ يومًا بهذا البيت:

إن كنتِ ساقيةً يومًا على كَرَمٍ * صَفْوَ المُدامةِ فاسقِيها بني قَطَنِ

ثم تحرّك فضَرَط. فقالت: وٱسْقِ هذه أيضا بني قَطَن!.

(١) في جـ: «قتيل الإدلاج». (٢) لعله: «مدة». (٣) الأرومة (بالفتح وتضم): الأصل.

أبو عثمان المازنى والواثق

وهذا الصوت أعْنِى :

* أَقْوَى مِن آلِ ظُلَيْمَةَ الحَزْمُ *

هو الصوت الذى أَشْخَص الواثقُ له أبا عثمان المـازنىّ بسبب بيت منـه ٱختُلف فى إعرابه بحضرته، وهو قوله :

أظُلَيْمُ إنّ مُصابَكم رجلًا * أَهْدَى السَّلامَ تحيّةً ظُلْمُ

وقال آخرون : "رجلٌ" . حدّثنى بذلك علىّ بن سليمان الأَخْفَش عن أبى العباس محمد ابن يَزيد عن أبى عثمان ، وأخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا القاسم بن إسماعيل وعَوْنُ بن محمد وعبدُ الواحد بن العبّاس بن عبد الواحد والطيِّبُ بن محمد الباهلىّ، يزيد بعضُهم على بعض، قالوا حدّثنا أبو عثمان المـازنىّ قال :

كان سبب طلب الواثق لى أنّ مُخارِقًا غنّى فى مجلسه :

أظُليمَ إنّ مُصابَكم رجلًا * أهْدَى السَّلامَ تحيةً ظلمُ

فغنّاه مخارق "رجلٌ" ، فتابعه بعض القوم وخالفه آخرون . فسأل الواثقُ عمّن بقى من رؤساء النحويين فذُكِرت له ، فأمر بحَمْلى . فلما وصلتُ اليه قال : ممن الرجلُ؟ قلت : من بنى مازِن . قال : أمن مازِنِ تَميم أم مازنِ قَيْس أم مازنِ رَبيعةَ أم مازنِ اليمن ؟ . قلتَ : من مازن ربيعة . فقال لى بَا ٱسْمُك ؟ (يريد ما ٱسْمُك وهى لغة كثيرة فى قومنا) فقلت على القياس : مَكْرٌ [(١)] (أى بكر) . فضحك فقال : اجلس واطْبَئِنّ (يريد: واطمئنّ) فجلست . فسألنى عن البيت . فقلت : « إن مصابكم رجلا » فقال : أين خبرُ «إن» ؟ قلت : «ظلم» وهو الحرف الذى فى آخر البيت . وقال الأخفش فى خبره : وقلتُ له : إن معنى «مصابكم» إصابتُكم، مثل ما تقول :

(١) لعله : « وقال » .

إنّ قتلكم رجلًا حيّاكم ظلمٌ . ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إن البيت كله معلّق
لا معنى له حتى يتمّ بقوله «ظلم» . ألاترى أنه لو قال: أظُلَيم إن مصابكم رجلٌ أهدى
السلام تحيةً ، لَمَا آحتيجَ الى «ظلم» ولا كان له معنًى ، إلا أن يجعل التحيةَ بالسلام
ظلما ، وذلك محال ، ويجب حينئذ أن يقول :

٥ أَظُلَيمَ إن مُصابَكم رجلٌ * أَهْدَى السَّلامَ تحيةً ظُلْما

ولا معنى لذلك ؛ ولا هو ، لو كان له وجهٌ ، معنى قول الشاعر فى شعره . فقال :
صدقتَ ، ألك ولدٌ ؟ قلت : بُنَيَّةٌ لا غيرُ . قال: فما قالت حين ودّعتَها؟ قال
قلتُ : أَنْشدتْ شعرَ الأعشى :

تقول آبنتى حين جدَّ الرَّحيلُ * أَرَانا سواءً ومَنْ قد يَتِمْ
١٠ أبانا فلا رِمْتَ من عندِنا * فإنّا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ
أَرَانا إذا أضمرتْك البلا * دُ نُجْفَى وتُقْطَع منّا الرَّحِمْ

قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قلتُ لها قولَ جرير :

ثِقِى بالله ليس له شريكٌ * ومِن عندِ الخليفةِ بالنَّجاحِ

فقال : ثِقِى بالنجاح إن شاء الله تعالى . إنّ هاهنا قومًا يختلفون الى أولادنا فامتحِنْهم ،
١٥ فمَنْ كان منهم عالمًا يُنتفَع به ألزمناهم إيّاه ، ومَنْ كان بغير هذه الصورة قطعناه
عنهم . فأمر بجمْعِهم إلىّ فامتحنتُهم فما وجدت فيهم طائلا ، وحَذِروا ناحيتى ،
فقلت : لا بأس على أحد . فلمّا رجعتُ اليه قال : كيف رأيتَهم ؟ قلت : يفضُل
بعضهم بعضا فى علوم ، و يفضُل الباقون فى غيرها ، وكلٌّ يُحتاج اليه . فقال لى
الواثق : إنى خاطبتُ منهم واحدًا فكان فى نهاية من الجهل فى خطابه ونظره .
٢٠ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أكثرُ من تقدّم منهم بهذه الصفة ، ولقد أَنْشدتُ فيهم:

إنّ المعلّمَ لا يزال مُضَعَّفًا * ولو ٱبتنَى فوق السماء بناءَ
من علّم الصبيانَ أَضْنَوْا عقلَه * مما يلاقى غُدْوةً ومساء

مضى الحديث .

صوت من مدن معبد فى شعر الأعشى

ومنها :

صوت

يومَ تُبْدِى لنا قُتَيْلةُ عن جِيـ * ـدٍ أَسِيلٍ تَزِينُه الأطواقُ
وشَتِيتٍ كالأُقْحُوانِ جَلاه الـ * ـطَّلُّ فيه عُذوبةٌ وٱتِّساق

الشعر للأعشى . والغناء لمعبد. وذكر إسحاق أن لحنه خفيفُ ثقيلٍ من أصواتِ قليلاتِ الأشباه، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر . ولإسحاق لحنٌ من الثقيل أيضا وهو مما عارَض فيه معبدًا فٱنتَصف منه ، ومن أوائل أغانيه وصدورها . ١٠

أخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعِيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال ذَكر الحسن بن عُتْبة اللِّهْبِيّ المعروف بفَوْرَك قال :

قال لى الوليد بن يزيد : أريد الحجّ، فما يمنعنى منه إلا أن يلقانى أهل المدينة

قتيلات معبد

بقُتَيْلات معبد و بقَصْره ونَخْله فأفتضحَ به طربًا . يعنى ثلاثةَ أصوات لمعبد من شعر الأعشى فى قُتَيْلة هذه، ونسبتُها تأتى بعدُ . و يعنى بقصره ونخله لحنَه : ١٥

* القصرُ فالنخلُ فالجَمّاء بينهما *

قال أبو زيد قال إسحاق وحدّثنى عبد الملك بن هِلال : وبلغنى أن فِتْيةً من قريش دخلوا الى قَيْنةٍ ومعهم رَوْح بن حاتم المُهَلّبِيّ، فتماروْا فيما يختارونه من الغناء . فقالت لهم : أغنّى لكم صوتا يُزِيل الاختلاف و يُوقع بينكم الاجتماع، فرَضُوا بها . ٢٠
فغنّتْ :

يومَ تُبْدِى لنا قُتَيْلةُ عن جِيـ * ـدٍ أَسِيلٍ تَزِينُـه الأطواقُ

فرَضُـوا به واتّفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه ، وأقاموا عندها أسـبوعا لا يسمعون غيرَه .

نسبة أصوات معبد فى قُتَيلة

الصوتان الباقيان من قتيلات معبد فى شعر الأعشى

٥ منهـا :

أثـوَى وقَصَّـر ليـلَه ليُزَوَّدا * فمَضَى وأَخْلف من قُتَيْلةَ مَوْعِـدا

يَجْحَدْنَ دَيْنِى بالنَّهار وأقتضِى * دَيْنِى اذا وقَـذَ(1) النُّعاسُ الرُّقَّـدا

وأرى الغـوانىَ لا يُواصِلْنَ آمرأً * فقَد الشَّبابَ وقد يَصِلْنَ الأمردا

١٤٣ / ٨

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى .

١٠ أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أبو شُرَاعة فى مجلس الرِّياشىّ قال :

حُدِّثت أنّ رجلاً نظر الى الأعشى يَدُور بين البيوت ليلاً ، فقال له : يا أبا بَصير، الى أين فى هذا الوقت ؟ فقال :

يجحدن دَيْنِى بالنَّهار وأقتضِى * دَيْنِى إذا وقَـذ النُّعاسُ الرُّقَّدا

١٥ أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال حدّثنى أبى قال :

غنّيتُ بين يَدَى الرشيد وسِتارتُه منصوبة :

وأرى الغوانىَ لا يُواصلن آمرأً * فقَد الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمردا

---

٢٠ (1) وقذه النعاس : غلبه .

فطرب وآستعاده وأمر لى بمال . فلما أردتُ أن أنصرف قال لى : ياعاضّ كذا وكذا ! أتغنّى بهذا الصوت وجوارىّ من وراء ستارة يسمعْنه ! لولا حُرْمتُك لضربت عنقك ! . فتركته والله حتى أُنسيته .

ومنها :

صوت

أَلَمَّ خيالٌ من قُتَيْلَةَ بعد ما * وهَى حبلُها من حبلنا فتَصرَّمَا

فبِتُّ كأنّى شاربٌ بعد هَجْعةٍ * سُخَامِيَّةً(1) حمراءَ تُحْسَبُ عَنْدَمَا

الشعر للأعشى . والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنصر عن عمرو . وفيه لآبن مُحْرِز ثانى ثقيلٍ بالوسطى عنه وعن آبن المكىّ .

سبعة آبن سريج

فأمّا السبعة التى جُعلت لآبن سُرَيج بازاء سبعة مَعْبد فإنى قرأت خبرها فى كتاب محمد بن الحسن، قال حدّثنى الحسين بن أحمد الأَكْثَمىّ عن أبيه قال :

ذكرنا عند إسحاق يوما أصواتَ معبد السبعةَ فقال : والله ما سبعةُ آبن سُرَيج بدونهنّ . فقلنا له : وأىُّ سبعة ؟ فقال : إن مُغنِّى المكّيين لمّا سمعوا بسبعة معبد وشهرتها لحقتْهم لذلك غَيْرة، فآجتمعوا فآختاروا من غِناء آبن سُرَيج سبعةً فجعلوها بازاء سبعة معبد، ثم خايروا(2) أهلَ المدينة فآنتَصفوا منهم . فسألوا إسحاقَ عن السبعة السُّرَيْجيّة، فقال : منها :

* تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْىَ لمّا جَهَدْتُه *

وقد مضت نسبتُه فى الثلاثة الأصوات المختارة .

و * لقد حَبَّبتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها *

(1) خمر سخام وسخامية : لينة سلسة .

(2) أى غالبوهم، يقال : خايره فى العلم وغيره مخايرة فخاره، أى غالبه فغلبه وكان خيرا منه .

و * قَــرَّب جِـيرانُنا جِمالَهم *

و * أَرِقتُ وما هـذا السُّهاد المؤرِّقُ *

— وقد مضى فى أخبار الأعشى المذكورة فى مُدُن معبد —

و * بَيْنَـا كذاك إذا عَجَـاجةُ مَوْكِبٍ *

٥ و * فـلم أَرَ كالتَّجْمير منظَر ناظـرٍ *

— وقد مضى فى الأرمال المختارة —

و * تَضوَّع مِسْكًا بطنُ نُعْمَانَ إذ مشتْ *

— وقد ذُكر فى المـائة مع غيره فى شعر النُّمَيْرِىّ —

و * إن جاء فَلْيأْت على بغـلةٍ *

١٠ نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدّما

الكلام على ما لم يمض الكلام عليه من هـذه السبعة

فمنهـا :

صـــوت

لقـد حَيَّتْ نُعْمٌ إلينـا بوجهها * مسـاكنَ ما بين الوَتَائر[1] فالنَّقْع

١٤٤ / ٨

١٥ ومن أَجْلِ ذاتِ الخال أَعْملتُ ناقتى * أُكلِّفها سَـيْرَ الكَلَالِ مع الظَّلْع

عروضه من الطويل . والشعر لعمرَ بن أبى رَبيعة ، والغناء لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالبنصر . وذاتُ الخالِ التى عَنَاها هاهنا عمر امرأةٌ من ولد أبى سُفْيانَ بنِ حَرْب ، كان عمر يَكْنِى عنها بذلك .

عمر بن أبى ربيعة وذات الخال

حدّثنى علىّ بن صالح بن الهَيْثَم قال حدّثنى أبو هِفَّان عن إسحاق بن إبراهيم ٢٠ المَوْصلىّ عن الزُّبَيرىّ والمُسَيَّبىّ ومحمد بن سَلّام والمَدائنىّ، وأخبرنا به الحَـرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمّى ولم يجاوزه :

(١) الوتيرة : ماء بأسفل مكة لخزاعة . والنقع : موضع قرب مكة فى جنبات الطائف .

أن عمر بن أبى رَبيعة وآبن أبى عَتيق كانا جالسين بفناء الكعبة ، إذ مرّتْ بهما آمرأة من آل أبى سُفْيان، فدعا عمرُ بكَتِفٍ(١) فكتب اليها وكَنى عن آسمها :

صـــوت

أَلِمَّا بذاتِ الخالِ فآستطلِعا لنا * على العهد باقٍ ودُّها أم تَصَرَّما
وقولَا لهـا إنّ النَّوى أجنبيّـةٌ * بنا وبكم قد خِفتُ أن تَتَيَّما ٥

ـ غنّاه آبن سُرَيج خفيفَ ثقيـلٍ أوّلَ بالسـبّابة فى مجرى البِنصر عن إسحاق ـ
قال فقال له آبن أبى عَتيق : سـبحانَ الله ! ما تريد الى آمرأةٍ مُسْلِمـة مُحْرِمةٍ أن تكتب اليها مثل هذا! قال : فكيف بمـا قد سيَّرتُه فى الناس من قولى :

لقـــد حَبَّبتْ نُعْــمٌ الينـا بوجهها * مساكِنَ ما بين الوتائر والنَّقْـعِ
ومن أجل ذات الخال أعملتُ ناقتى * أُكلِّفها سـيرَ الكَلالِ مع الظَّـلْعِ ١٠
ومن أجل ذات الخال يـومَ لقيتُها * بمُنْـدَفَع الأخبـاب(٢) أَخْضلنى دمعى
ومن أجل ذات الخال آلَفُ منزلًا * أُحُلّ به لا ذا صـديقٍ ولا زَرْعِ
ومن أجل ذات الخـال عُدْتُ كأننى * مُخَامَرُ سُـقْمٍ داخلٍ أو أخو رَبْـعِ(٣)
ألمّا بذات الخـال إنّ مُقَامَهـا * لدى الباب زاد القلبَ صَدْعًا على صَدْعِ
وأُخرى لَدَى البيت العَتيق نظرتُهـا * اليهـا تَمَشّتْ فى عظـامى وفى سمعى ١٥

وقال الحَرَمِىّ فى خبره : أَمَا ترى ما سار لى من الشعر! ما علم اللهُ أنّى آطّلعتُ حرامًا قطّ! ثم آنصرفنا . فلما كان من الغدِ التقينا . فقال عمر : أشعَرت أنّ ذلك الإنسان قد رَدّ الجواب؟ قال : وما كان من ردّه ؟ قال : كتب :

(١) فى ب ، س : « بكاتب » وهو تحريف .
(٢) موضع قرب مكة . وفى الأصول : « الأجناب » بالجيم والنون وهو تصحيف . ٢٠
(٣) الربع : النعش ، ويكنى به عن الموت .

صـــوت

أمسى قَرِيضُك بالهوى نَمّـاما * فَٱرْبَعْ هُـديتَ وكن له كَتّاما

وٱعلم بأن الخال حين وصفتَه * قعـد العدوُّ به عليـك وقاما

لا تحسَبنَّ الكاشحين عَدِمتَهم * عمـا يسوءك غافلين نِيـاما

لا تمكننَّ من الدَّفينة كاشحًـا * يتلو بهـا حفظًا عليك إماما

غنّى فيه سُلَيم خفيفَ رَمَلٍ بالبِنصر عن عمرو . قال: وفيه لفَرِيدة ولإبراهيمَ لحنان . وفى بعض النسخ: لإسحاق فيه ثقيلٌ أوّل غير منسوب . وذكر حَبَش أن خفيف الرَّمَل لفَرِيدة .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال أخبرنا أبو أيُّوب المَدِينِىّ عن محمد بن سَلّام، قال وأخبرنى حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلّام قال : ١٤٥/٨ ١٠

سألتُ عمر بن أبى خَليفة العَبْدىّ — وكان عابدًا وكان يُعجبه الغِناء — أىُّ القوم كان أحسنَ غناء؟ قال : ابن سُرَيج اذا تَمَعْبَد — يريد(١) : اذا غنّى فى مذهب مَعْبَد من الثقيل — قلت : مثل ما ذا ؟ قال : مثل صوته :

صـــوت

١٥ لقد حَبَّبتْ نُعْمٌ الينا بوجهها * مساكنَ ما بين الوَتائر فالنَّقْع

وقال حَمّاد بن إسحاق حدّثنى أبى قال حدّثنى أبو محمد العامِرىّ قال :

جلس مَعْبَد والأبْجَر وجماعةٌ من المغنّين فتذاكروا ٱبنَ سُرَيج وما ٱشتهاه الناس من غنائه ، فقالوا : ما هو إلا من غِناء الزُّفّاف والمخنّثين . فنُمِى الحـديث الى ٱبن سُرَيج فغنّى :

٢٠ * لقد حَبَّبتْ نعمٌ الينا بوجهها *

(١) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « قوله » .

فلمّا جاء مَعْبد وأصحابه وآجتمعوا غنَّاهم إيّاه . فلمّا سمعوه قاموا هاربين ، وجعل آبن سُرَيج يصفِّق خَلْفَهم ويقول: الى أين؟! إنما هو آبن ليلته فكيف لو آختَمر! .

قال فقال معبد : دَعُوه مع طرائقِه الأوَل ولا تَهيجُوه على طرائقكم ، وإلّا لم يَدَعْ لكم والله خبزًا تأكلونه .

قال الزُّبَير فى خبره عن عمّه : وعَلِق نُعْمًا هذه فقال فيها شعرا كثيرا . ونحن نذكر هاهنا ما فيه غناءٌ من ذلك . فمنه قولُه :

صــــوت

خَطَرتْ لذات الخال ذِكْرَى بعد ما * سلَكَ المَطِيُّ بنا على الأنصابِ (1)

أنصابِ عَمْـرةَ والمَطِىُّ كأنّها * قِطَعُ القَطَا صدَرتْ عن الأَجْبابِ (2)

فآنْهَلَّ دمعى فى الرِّداء صَبابةً * فسترتُه بالبُرْدِ عن أصحابى

فرأى سوابقَ دمعةٍ مسكوبةٍ * بَكْرٌ فقال بكَى أبو الخَطّاب

عروضه من الكامل . "بكر" الذى ذكره هاهنا عمر هو آبن أبى عَتيق وهو يسمّيه فى شعره ببكر وبعَتيق ، وإياه يَعْنِى بقوله :

لا تَلُمْنِى عَتِيقُ حَسْبِى الذى بى * إنّ بى يا عَتيقُ ما قد كفانى

الغناء فى "خطرت لذات الخال" للغَريض ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه ثقيلًا أوّلَ بالبِنصر لأبى سَعيد مولى فائد .

وأخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبير قال حدّثنى عمّى :

أنّ عمر بن أبى ربيعة وافقها وهى تستلم الركنَ ، فقرُب منها . فلما رأته تأخّرتْ وبعثتْ اليه جاريتَها . فقالت له : تقول لك آبنةُ عمّك : إنّ هذا مَقامٌ

(1) الأنصاب : موضع . (2) الأجباب : جمع جُب وهو البئر التى لم تطو أى لم تبن .

لا بدّ منه كما ترى، وأنا أعلم أنك ستقول فى موقفنا هذا فلا تقولنّ هُجْرا . فأرسل اليها : لستُ أقول إلّا خيرا . ثم تعرّض لها وهى ترمى الجمار، فأعرضتْ عنه وآستترتْ ، فقال :

صوت

دِينَ هذا القلبُ من نُعْمِ * بِسَقَامٍ ليس كالسُّقْمِ
إن نُعْمًا أقصدتْ رجلًا * آمِنًا بالخَيْف إذ تَرْمى
اِسمعى منّا تَحَاوُرَنا * وٱحكُمِى رُضِّيتُ بالحكم
بشَتِيتٍ نبْتُه(١) رَتِلٍ * طيِّبِ الأنياب والطَّعْمِ(٢)
يأتِكم(٣) منه بحُجّته * فله العُتْبَى ولا أَحْمِى(٤)

عَروضُه من المَديد . الغناء لإسحاقَ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمالك ثقيلٌ أوّل من أصوات قليلاتِ الأشباه عن إسحاق . وفيه لآبن سُرَيج رملٌ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لآبن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حبش أيضا . وذكر الهشامىّ أنّ هذا الصوت مما يُشَكّ فيه أنه لمعبد أو غيره .

قال : وقال فيها أيضا :

صوت

أبِينِى اليومَ أىْ نُعْمُ * أوَصْلٌ منكِ أم صُرْمُ
فإن يكُ صُرْمُ عاتبةٍ(٥) * فقد نَغْنَى وهُو سَلْمُ

(١) الشتيت : المتفرق . والرتل : بياض الأسنان وحسن تناسقها . (٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « والفم » . (٣) كذا فى ديوانه . وقد ورد فيه قبل هذا البيت بيت يرجح رواية الديوان وهو :

وأنشديه هل أتيت له * سخطا منى على علم

وفى الأصول : «ولياتكم» . (٤) كذا فى الديوان . وفى الأصول : «ولم أحم» .
(٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «غانية» وهو تصحيف .

تَلُومكَ فى الهــوى نُعْمُ * وليس لهـا به عِـلْمُ
صحيـحٌ لو رأى نُعْماً * لخـالط جسمَه سُقْمُ

عروضه من الهَزَج . غنّاه مالك ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لمتيَّم خفيفُ رَمَـلٍ بالبنصر عن إسحاق، (١) وذكر أنّ فيه أيضا صنعةً لابن سُرَيج .

ومما يُغَنَّى فيه مما قاله فيها — وهو من قصيدة طويلة — :

صـــوت

فقلتُ لجنّادٍ خُذِ السَّيْفَ وٱشتمِلْ * عليه بحزمٍ وٱنظُر الشمس تَغْرُبِ
وأَسْرِجْ لنا الدَّهْماءَ وٱعجَلْ بمِمْطَرِى (٢) * ولا تُعلِمَنْ خَلْقًا من الناس مذهبى

عروضه من الطويل . غنّاه زُرْزور غلامُ المـارِقِ خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر .

أخبرنى الحَرَمىُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمّى قال :

قيـل لعمر بن أبى ربيعة : ما أَحَبُّ شىء أصبتَه إليـك ؟ قال : بينـا أنا فى منزلى ذاتَ ليلة إذ طرقَنى رسول مُصْعَب بن الزُّبَير بكتابه يقول: إنه قد وقعت عندنا أثوابٌ ممـا يُشْبهك، وقد بعثتُ بها إليـك و بدنانيرَ ومسك وطيب و بغلة . قال: فاذا بثياب من وَشْىٍ وخَزِّ العراق لم أَرَ مثلها قطّ وأر بعمائة دينار ومسكٍ وطيبٍ كثير و بغلة. فلمّـا أصبحتُ لبست بعضَ تلك الثياب وتطيَّبت وأحرزتُ الدنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لاهمَّ لى قد أحرزتُ نفقةَ سنتى؛ فمـا أفدتُ فائدةً كانت أحبَّ إلىّ منها . وقلت فى ذلك :

(١) فى جـ : «عن حبش» . (٢) الممطر : ما يلبس للوقاية من المطر .

ألَا أَرسلتْ نُعْمٌ إلينا أنِ آئتِنا * فأحْبِبْ بها من مُرسِلٍ مُتَغَضِّبِ
فأرسلتُ أن لا أستطيعُ فأرْسلتْ * تؤكِّد أيمانَ الحبيبِ المؤنِّبِ
فقلت لجنّادٍ خُذِ السيفَ وآشتمِلْ * عليه بحزمٍ وآنظُرِ الشمسَ تغرُبُ
وأسرِجْ لىَ الدَّهْمَاء واعجَلْ بمِمْطَرِى * ولا تُعلِمَنْ خَلْقًا من الناس مذهبى
٥ وموعدُك البَطْحاءُ أو بَطْنُ يأجَجٍ (١) * أو الشِّعْبُ بالمَسْرُوحِ (٢) من بطن مُغْرِبِ
فلما آلتقينا سلَّمتْ وتبسَّمتْ * وقالت مقالَ المُعْرِضِ المُتَجنِّبِ
أمِنْ أجلِ واشٍ كاشحٍ بنَميمةٍ * مشَى بيننا صدَّقتَه لم تُكَذِّبِ
قطعتَ وصالَ الحبلِ منّا ومن يُطِع * بذى ودِّه (٣) قولَ المحرِّش يُعتِبِ
فبات وِسادِى ثِنْىَ كفٍّ مُخضَّبٍ * مُعاوِدَ عَذْبٍ لم يُكَدَّرْ بمَشْرَبِ
١٠ اذا مِلتُ مالتْ كالكَثيب رخيمةٌ * مُنعَّمَةٌ حُسّانَةُ المُتَجلَّبِ

أخبرنى الحَرَمىُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدثنى عمِّى قال :

بلغ عمرَ بن أبى ربيعة أنّ نُعْمًا آغتسلتْ فى غَدير، فنزل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نضَب .

قال الزُّبَير قال عمِّى : وقال فيها أيضا :

١٥ صـــوت

طال ليلِى وعادنى اليومَ سُقْمُ * وأصابت مقاتِلَ القلب نُعْمُ
وأصابتْ مَقَاتِــلى بسهامٍ * نافِذاتٍ وما تَبيَّنَ كَلْمُ
حُرَّةُ الوجه والشمائِلِ والجو * هر تكليمُها لمن نال غُنْمُ

---

(١) يأجج : مكان من مكة على ثمانية أميال . (٢) كذا فى الديوان . وفى الأصول :
٢٠ « أو الشعب ذى المسروح » . (٣) كذا فى جـ وديوانه . وفى الأصول : « لدى وده » .

هكذا وَصْفُ ما بدا لِى منها * ليس لى بالذى تغيَّب عِـلْمُ
ضيرَ أنى أرى الثيابَ مِلاءً * فى يَفَـاعٍ يَزِين ذلك جسمُ
وحديثٍ بمثله تَنْزِل العُصْـ * ـمُ رَخيمٍ يشوب ذلك حِلْمُ

عروضــه من الخَفيف . غنَّى آبن سُرَيج فى الأربعـة الأبيات لحنًا ذكره إسحاق وأبو أيّوب المَدِينى فى جامع غنائه ولم يجنِّسه، وذكر حبش أنه خفيفُ رملٍ بالبنصر. ٥

مناقشة بين إسحاق وإبراهيم بن المهـدى فى معبد وآبن سريج

أخبرنى عمى قال حدّثنى الحسين بن يحيى أبو الجمـار قال حدّثنى عمــرو بن بانة قال :

كنتُ حاضرًا مع إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ عند إبراهيمَ بنِ المهدىّ . فتفاوضْنا حديثَ المغنِّين ، حتى آنتهَوْا الى أن حَكى إسحـاقُ قولَ عمر بن أبى خَليفة : « اذا تَمَعْبَدَ آبن سُرَيج كان أحسن الناس غناءً » . فقال إبراهيم لإسحاق : حاشاك ١٠ يا أبا محمـد أن تقول هـذا ! فقد رفع الله عِلمك وقَدْرَ آبن سُرَيج عن مثل هـذا القول، وأغنَى آبنَ سُرَيج بنفسه عن أن يقال له تَمَعْبَد، وما كان مَعْبَد يضع نفسَه هذا الموضعَ، وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول: أصبحتُ اليومَ سُرَيْجيًّا . وما قد أنصف أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهدىّ معبدا فى هـذا القول ؛ لأن معبدا وإن كان يعظِّم ابنَ سُرَيج ويوفِّيه حقَّه فليس بدونه ولا هو بمرذول عنده . وقد مضى فى صدر ١٥ الكتاب خبرُ آبن سُرَيج لـمّا قَدِم المدينةَ مع الغَريض ليستمنحا أهلَها ، فسمعاه وهو يصيد الطير يغنِّى لحنه :

* القَصْرُ فالنخل فالجَمَّاءُ بينهما *

فرجـع آبن سريج وردَّ الغَريضَ وقال : لا خير لنا عند قوم هذا غناء غلامٍ فيهم يصيد الطير، فكيف بمَنْ داخل الجَوْنة ! . ٢٠

تعظيم ابن سريج لمعبد وأخذه عنه

وأظرفُ من ذلك من أخباره وأدلُّ على تعظيم آبن سُرَيج معبدًا ما أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنى علىّ بن سليمان النَّوْفلىّ، قال حدّثنى أبى قال:

التقى آبن سُرَيج ومعبد ليلةً بعد آفتراق طويل وبُعْد عهد، فتساءلا عما صنعا من الأغانى بعد آفتراقهما، فتغنّى هذا وتغنّى هذا، ثم تغنّى آبنُ سُرَيج لحنَه فى:

١٤٨ / ٨

٥ أنا الهالكُ المسلوبُ مهجةَ نفسه * إذا جاوزَتْ مَرًّا[1] وعُسْفانَ عِيرُها

فغنّاه مُرْسَلًا لاصَيْحة فيه. فقال له معبد: أفَلَا حسَّنْتَه بصيحة! قال: فأين أضعها؟ قال: فى:

* غدتْ سافرًا والشمسُ قد ذَرَّ قَرْنُها *

قال: فصِحْ أنت فيه حتى أسمعَ منك. قال: فصاح فيه معبدٌ الصَّيْحة التى يُغَنَّى بها

١٠ فيه اليوم. فآستعاده آبنُ سُرَيج حتى أخذه فغنّى صوته كما رسمه معبدٌ فحسن به جدًّا. وفى هذا دليل يَبِين فيه التحاملُ على معبد فى الحكاية.

صـــوت

غَدَتْ سافرًا والشمسُ قد ذَرَّ قَرْنُها * فأَغْشَى شُعَاعَ الشمسِ منها سفورُها

وقـد علمتْ شمسُ النهار بأنّها * إذا ما بدتْ يومًا سيذهب نورها

١٥ أنا الهالكُ المسلوبُ مهجةَ نفسِه * إذا جاوزتْ مَرًّا وعُسْفانَ عيرُها

أهاجتْك سلمى إذ أَجَدَّ بُكورُها * وهَجَّـر يومًا للـرَّواح بعـيرُها

الشعر يقال: إنه لطَرِيف العَنْبَرىّ. والغناء لآبن سُرَيج خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى فى مجراها عن آبن المكّىّ، وذكر عمرو أنه لسِياط. ولإبراهيمَ فى الثالث والأوّل والرابع خفيفُ رَمَلٍ مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو. وفيه لبَسْباسةَ ثقيلٌ

٢٠ (١) يريد مر الظهران وهو موضع على مرحلة من مكة. وعسفان على مرحلتين منها.

أوّلُ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لابن جامع لحنٌ عن حَبَش من رواية أبى أيّوبَ المَـديٰنىّ .

ومن سبعة ابن سريج :

أصوات من سبعة ابن سريج فى شعر ابن أبى ربيعة

صـــوت

قَرُب جـيرانُنـا جِمالَهُمُ * ليلًا فأَضْحَوْا معًا قد ٱرتفعوا ٥

ما كنت أَدرِى بوَشْكِ بينِهمُ * حتى رأيتُ الحُداةَ(١) قد طلَعوا

على مِصَكَّيْنِ من جِمـالِهمُ * وعَنْتَرِيسَيْنِ(٢) فيهما شَجَعُ

يا نفسُ صـبرًا فإنّه سَفَهٌ * بالحُرِّ أن يستفزّه الجَـزَعُ

الشعر لعمر بن أبى رَبيعة . والغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . وذكر حَبَش أن فيه للغَريض ثقيلًا أوّل بالبنصر. وذكر ابن أبى حَسّان أن هِبةَ الله ١٠ ابنَ إبراهيم بن المهـدىّ حدّثه عن أبيه عن ابن جامع قال : عِيبَ على ابن سُرَيج خِفّةُ غِنائه ، فأخذ أبياتَ عمر بن أبى رَبيعة :

* قَرُب جيرانُنـا جِمـالَهمُ *

فغنّى فيها فى كل إيقاع لحنًا . بجميع ما فيها من الألحان له .

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدّثنى منصور بن أبى مُزاحِم ١٥ قال حدّثنى رِزَام أبو قَيْس مولى خالد بن عبد الله قال :

قال لى إسمعيل بن عبد الله : يا أبا قَيْس ، أىّ رجل أنت لولا أنك تحب السَّماع ! . قلت : أصلحك الله ! أمَا والله لو سمعتَ فلانةَ تُغَنِّيك :

قَرُب جـيرانُنـا جِمـالَهمُ * ليلًا فأضحَوْا معًا قد ارتفعوا

لعذَرْتَنى . فقال : يا أبا قيس ، لا عاتبتُك بعد هذا أبدا . ٢٠

---

(١) كذا أ ، م . وفى سائر الأصول : «الفداة» وهو تحريف .

(٢) المصك : القوى . والعنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة . والشجع فى الإبل : سرعة نقل القوادم.

١٤٩/٨

ومنها :

صـــوت

بَيْنَا كذلك إذ عَجَاجةُ مَوْكِبٍ * رفَعوا ذَمِيلَ العِيسِ فى الصحراءِ
قالت أبو الخَطّاب أعرِف زِيَّه[1] * ولبـاسَه لا شكَّ غيرَ خَفـاء

الشعر لابن أبى رَبيعة . والغِناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل بالبنصر ، وذكر الهشامىّ وأبو العُبَيس أنه لمعبد ، وليس الأمر كما ذكرا .

ومنها :

صـــوت

وهو الذى أوّله :

* إن جاء فَلْيَأْتِ على بغلةٍ *

سَلْمَى عِديهِ سَرْحَتَىْ مالكٍ * أو الرُّبَا دونَهما مَنْزِلَا
إن جاء فَلْيَأْتِ على بغـلةٍ * إنى أخاف المُهْرَ أن يَصْهَلا

الشعر لعمر بن أبى رَبيعة . والغِناء لابن سُرَيج من رواية يحيى بن المكّىّ والهشامىّ ثقيلٌ أوّل بالبنصر ، وذكر يونس أنه للغَرِيض ، وذكره إسحاق فى أغانى الغريض ولم يجنّسه .

(١) كذا فى ... . وقبل البيت :

قالت بجارتها انظرى هامن أولى * وتأملى من راكب الأدماء

وفى الأصول : « تعرف » .

أغانى الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم

من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى ومن لم يثبت عنه ذلك

قال مؤلف هـذا الكتاب : المنسوبُ إلى الخلفـاء من الأغانى والمُلْصَقُ بهم منها لا أصلَ لجُلِّه ولا حقيقةَ لأكثره، لا سيَّما ما حكاه ٱبن خُرداذْبَة فإنه بدأ بعُمر ابن الخطاب رضى الله عنه فذكر أنه تغنَّى فى هذا البيت :

* كأنّ راكبها غصنٌ بمَرْوَحةٍ *

ثم والَى بين جماعة من الخلفاء واحدًا بعد واحد ، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بدّ منه ولا مَعْدِل عنه ، يخبِط خَبْطَ العَشْواء ويجمع جمع حاطب الليل. فأمّا عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يُرْوَى عن كل أحد لبعُد عنه؛ وإنما رُوِى أنه تمثّل بهذا البيت وقد ركب ناقةً فٱستوطأها، لا أنه غنّى به، ولا كان الغناء العربىُّ أيضا عُرِف فى زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النَّصْب[1] والحُدَاء، وذلك جارٍ مَجْرَى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب وترجيع يسير ورفعٍ للصوت. والذى صَحّ من ذلك عن رُوَاة هذا الشأن فأنا ذاكرٌ منه ما كان متقَن الصَّنْعة لاحقًا بجيّد الغناء قريبًا من صنعة الأوائل وسالكا مذاهبهم لا ما كان ضعيفا سخيفا؛ وجامعٌ منه ما ٱتصل به خبرٌ له يُستحسَن ويجرى مجرى هذا الكتاب وما تضمّنه .

فأوّل من دُوِّنَتْ له صنعةٌ منهم عمر بن عبد العزيز؛ فإنه ذُكر عنه أنه صنع فى أيّام إمارته على الحجاز سبعةَ ألحان يذكر سُعَاد فيها كلِّها؛ فبعضُها عرفتُ الشاعرَ القائلَ له فذكرتُ خبره، وبعضها لم أعرف قائله فأتيتُ به كما وقع إلىّ . فإن مرّ

(١) النصب : غناء للعرب يشبه الحداء إلا أنه أرق .

بى بعد وقتى هذا أثبتّه فى موضعه وشرحتُ من أخباره ما ٱتصل بى ، وإن لم يقع
لى ووقع إلى بعض من كَتَب هذا الكتاب فمن أقلّ الحقوق عليه أن يتكلّف إثباته
ولا يستثقلَ تجشُّمَ هـذا القليل فقد وصل الى فوائد جمّـة تجشّمناها له ولنظرائه
فى هذا الكتاب ، فحظى بهـا من غير نَصَب ولا كَدْح ؛ فإن جهِلَ ذلك موفَّر عليه
٥ اذا نُسب اليه ، وعيبه عنّا ساقطٌ مع اعتذارنا عنه إن شاء الله .

١٥/٨

ومن الناس من يُنكِر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصَّنْعةُ ويقول : إنها
أصواتٌ مُحكَمَة العمل لا يقدِر على مثلها الّا مَنْ طالت دُرْبته بالصَّنعة وحذَق الغناءَ
ومهَر فيه وتمكّن منه . ولم يوجد عمر بن عبد العزيز فى وقت من الأوقات ولا حال
من الحالات ٱشتهر بالغناء ولا عُرف به ولا بمعاشرة أهـله ، ولا جالس من يُنقل
١٠ ذلك عنـه ويؤدّيه ؛ وإنمـا هو شيء يحسِّن المغنُّون نسبته اليـه . ورُوى من غير
وجه خلافٌ لذلك وإثباتٌ لصنعته إيّاها . وهو أصح القولين ؛ لأن الذين أنكروا
ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجّة أكثر من هذا الظن والدعوى ، ومخالفوهم قد أيّدتهم
أخبارٌ رُويتْ .

عمر بن عبد العزيز والغناء

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى
١٥ أبى عن أبيه وعن إسماعيل بن جامع عن سِيَاط عن يونس الكاتب عن شُهْدة
أمّ عاتكةَ بنتِ شُهْدة عن كَرْدَم بن معبد عن أبيه :

أنّ عمر بن عبد العزيز طارحه لحنَه فى :

* أَلِمَّـا صاحِبَىَّ نَزُرْ سُعَادَا *

ونسختُ هـذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدّثنى أبو يَعْلَى زُرْقانُ
٢٠ غلامُ أبى الهُذَيْل وصاحبُ أحمـد بن أبى داود قال حدّثنى محمـد بن يونس قال

حدّثنى هاتفٌ أراه قال أمّ ولد المعتصم قالت حدّثتنى عُلَيّة بنت المهدىّ قالت حدّثتنى عاتكة بنت شُهْدة عن أمّها شهدة عن كَرْدَم قال :

طرح علىّ عمر بن عبد العزيز لحنَه :

عَلِقَ القلبُ سُعَادا * عادتِ القلبَ فعادا

كلّما عُوتبَ فيها * أو نُهِى عنها تمادَى

وهو مشغوف بسُعْدَى * قد عصَى فيها وزادا

قال كَرْدَم : وكان عمر أحسنَ خَلْقِ الله صوتا، وكان حسنَ القراءةِ للقرآن .

ونسختُ من كتاب ٱبن الكَرْنبىّ بخطّه حدّثنى أحمد بن الفتح الحجّاجىّ فى مجلس حمّاد بن إسحاق قال أخبرنى أحمد بن الحسين قال :

رأيت عمر بن عبد العزيز فى النوم وعليه عِمامةٌ ورأيت الشَّجّةَ فى وجهه تدلّ على أنها ضربةُ حافرٍ، فسمعته يقول : قال عمر بن الخطّاب : لا تُعلّموا نساءَكم الخُلْع(١). قال حدّثنى محمد بن الحسين(٢) : فأقبلتُ عليه فى نومى فقلت له : يا أمير المؤمنين، صوتٌ يزعمُ الناسُ أنك صنعتَه فى شعر جرير :

أَلِمّا صاحِبَىّ نَزُرْ سُعَادا * لوَشْكِ فِراقها وذَرَا البِعادا

لَعَمْرُك إنّ نفعَ سُعَاد عنّى * لمصروفٌ ونفعِى عن سعادا

إلى الفاروقِ ينتسبُ ٱبنُ ليلَى * ومروانَ الذى رفع العِمادا

فتبسّم عمر ولم يردّ علىّ شيئا .

---

(١) الخلع : تطليق المرأة ببذل منها للزوج . (٢) كذا فى الأصول . ولعل صوابه «أحمد ابن الحسين» .

نسبة هذين الصوتين

صـــوت

أَلِمَّا صاحبىَّ نَزُرْ سُعادا * لوَشْكِ فِراقها وذَرَا البِعادا
لَعَمْرُك إنّ نفعَ سعاد عنّى * لمصروفٌ ونفعى عن سعادا
إلى الفاروق يَنتسبُ ابنُ لَيْلَى * ومروانَ الذى رفع العِمادا

١٥١ / ٨

٥

الشعر لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان . والغناء لعمر بن عبد العزيز ثقيلٌ أوّلُ مطلَق فى مجرى البِنصر . وفيه خَفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى مَعْبَد .

صـــوت

عَلِق القلبُ سُعادا * عادتِ القلبَ فعادا
كُلَّما عُوتب فيها * أو نُهِى عنها تَمادى
وهو مشغوفٌ بسُعْدَى * قد عصَى فيها وزادا

١٠

الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيفُ ثقيلٍ . وفيه ثانى ثقيلٍ يُنسب إلى الهُذَلِىّ .

ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره

هو أشج بنى مروان

عمرُ بن عبد العزيز بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبى العاصى بن أُمَيّة بن عبد شمس ابن عبد مَناف . ويُكْنَى أبا حَفْص . وأُمُّه أُمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخَطّاب رضى الله عنه . وكان يقال له أَشَجُّ قريش ؛ لأنه كان فى جبهته أثر يقال إنه ضربة حافر . فذكر يحيى بن سعيد الأَموىّ عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كان يُؤْثِر ٥ عمر بن عبد العزيز ويَرِقّ عليه ويُدْنيه ، و إذا دخل عليه رفَعه فوق ولده جميعا إلا الوليدَ . فعاتبه بعضُ بَنِيه على ذلك ، فقال له : أوَما تَعْلم لِمَ فعلتُ ذلك ؟ قال لا . قال : إن هذا سيَلِى الخلافةَ يومًا وهو أَشَجُّ بنى مَرْوان الذى يملأ الأرض عدلًا بعد أن تُملأ جَوْرًا ، فمالى لا أُحبُّه وأُدْنيه ! .

أخبرنى محمد بن يزيد قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا سالم بن عَجْلان قال : ١٠

خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرمَحتْه بغلة على جبينه. فبلغ الخبرُ أُمَّهُ أُمَّ عاصم، فخرجتْ فى خَدَمِها، وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت: أمّا الكبير فيُخْدَم، وأمّا الصغير فيُكْرَم ، وأما الوَسَطُ فيَضيع ! لِمَ لا تتخذ لابنى حاضنًا حتى أصابه ما ترى ! فجعل عبدُ العزيز يمسَح الدَّمَ عن وجهه، ثم نظر إليها وقال لها : وَيْحَكِ! إن كان أَشَجَّ بنى مَرْوان، أو أَشَجَّ بنى أُميّة، إنه لسَعيد ! . ١٥

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن أحمد المُقَدَّمىّ قال حدّثنا عُبيد الله ابن سعد الزُّهْرىّ قال حدّثنا هارون بن معروف قال حدّثنا ضَمْرة قال سمعت ثَرْوانَ مولى عمرَ بنِ عبد العزيز قال :

دخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام إصطبلَ أبيه ، فضربه فرس على وجهه ، فأُتِيَ به أبوه يُحمَل . فجعل أبوه يمسح الدمَ عن وجهه ويقول : لئن كنتَ أَشَجَّ بني أمية إنك لسعيد .

أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا مُصْعَب الزُّبَيريّ قال :

كانت بنتٌ لعُبيد الله بن عمر بن الخطّاب تحت إبراهيم بن نُعَيْم النَّحّام فماتت ، فأخذ عاصمُ بن عمر بيده فأدخله منزلَه ، وأخرج إليه ٱبنتيه حَفْصةَ وأُمَّ عاصم ، فقال له : ٱختَرْ، فٱختار حفصة فزوّجها إيّاه . فقيل له : تركتَ أُمَّ عاصم وهي أجملُهما ! فقال : رأيت جاريةً رائعة ، وبلغني أن آل مروان ذكروها فقلت : علّهم أن يُصيبوا من دنياهم . فتزوّجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له أبا بكر وعمر وكانت عنده . وقُتل إبراهيم بن نُعَيم يوم الحَرَّة . وماتت أُمّ عاصم عند عبد العزيز ابن مروان ، فتزوّج أختها حَفْصةَ بعدها ، فحُملت إليه بمصر ، فمرّت بأَيْلةَ[1] وبها مخنَّث أو معتوه وقد كان أَهْدَى لأُمّ عاصم حين مرّتْ به فأثابته . فلمّا مرّتْ به حفصةُ أَهْدَى لها فلم تُثِبْه . فقال : « ليست حَفْصةُ من رجال أُمّ عاصم » فذهبتْ مثلاً .

لما ولي بدأ بأهل بيته وأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا أبو بكر الرَّمادي وسليمان بن أبي شَيْخ قالا حدّثنا أبو صالح كاتبُ اللَّيْث قال حدّثني الليث قال :

لمّا وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز، بدأ بلُحْمته[2] وأهلِ بيته، فأخذ ما كان في أيديهم وسمّى أعمالَهم المظالمَ . ففَزِعتْ بنو أُميّة إلى فاطمة بنت مَرْوان عمّته . فأرسلتْ

(١) أيلة : هي المعروفة الآن باسم « العقبة » وهي التي تقع على نهاية الساحل الشرقي لخليج العقبة . وكانت قديما تابعة لمصر، وهي الآن من بلاد إمارة شرق الأردن . (٢) لحمته : قرابته .

إليــه : إنه قد عنانى أمرٌ لا بدّ من لقائك فيه . فأتته ليلاً فأنزلها عن دابّتها . فلمّا أخذتْ مجلسَها قال : ياعَمّةِ، أنتِ أولى بالكلام لأنّ الحاجة لكِ فتكلّمى . قالت : تكلّمْ يا أمير المؤمنين . فقال : إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليــه وسلم رحمةً، لم يبعثه عذاباً، إلى الناس كافّة، ثم آختار له ما عنده فقبَضه إليه، وترك لهم نهراً شِرْبُهم فيــه سواء . ثم قام أبو بكر فترك النَّهَر على حاله . ثم وَلِى عمرُ فعمِل على عمل صاحبه . فلمّا وَلِىَ عثمانُ آشتقّ من ذلك النهر نهرا . ثم وَلِىَ معاويةُ فشَقّ منه الأنهار . ثم لم يزل ذلك النهر يَشُقُّ منه يزيدُ ومروانُ وعبد الملك والوليــد وسليمان حتى أفْضَى الأمرُ إلىّ، وقد يَبِسَ النهر الأعظم ولن يَرْوَى أصحابُ النهر حتى يعود اليهم النهرُ الأعظم الى ما كان عليه . فقالت له : قد أردتَ كلامَك ومُذاكرتَك . فأمّا إذ كانت هــذه مقالتَك فلستُ بذاكرةٍ لك شيئاً أبدا . ورجعتْ اليهم فأبلغتْهم كلامَه .

وقال سليمان بن أبى شَيْخ فى خبره : فلمّا رجعتْ الى بنى أميّة قالت لهم : ذُوقُوا مَغَبّةَ أمرِكم فى تزويجكم آلَ عمرَ بنِ الخطاب .

كثير والأحوص ونصيب عند عمر بن عبد العزيز

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال أخبرنى عبــد الله بن دِينار مولى بنى نصر بن مُعاوية قال حدّثنا محمد بن عبــد الرحمن التَّيْمىّ قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن سُهَيْل عن حمّاد الراوية، وأخبرنى محمــد بن حسين الكِنْدى خطيبُ القادسيّة قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا شَيْبان بن مالك قال حدّثنا عبد الله بن إسماعيل الجَحْدرىّ عن حمّاد الراوية، والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرِّياشى، قال :

دخلتُ المدينةَ ألتمس العلم، فكان أوّل مَنْ لقيتُ كثيرَ عزّةَ . فقلت : يا أبا صخر، ماعندك من بضاعتى؟ قال : عندى ماعند الأحوص ونُصَيْب . قلت : وما هو؟

قال : همـا أحقّ بإخبارك . فقلت له : إنّا لم نَحُثّ المَطِىَّ نحوَكم شهراً نطلب ما عنـدكم إلا ليبقى لكم ذكرٌ ، وقلَّ مَنْ يفعل ذلك ، فأخبرْنى عما سألتُك ليكون ما تُخبرنى به حديثًا آخُذه عنك . فقال : إنه لمـّا كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان ، قَدِمتُ أنا ونُصَيْب والأحوصُ وكلُّ واحدٍ منا يُدِلُّ بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر . فكان أولُ من لقِينا مَسْلَمَةَ بن عبـد الملك وهو يومئذ فتى العرب ، ٥
وكلُّ واحد منّا ينظر فى عِطْفَيْه لا يَشُـكّ أنه شريك الخليفة فى الخلافة ، فأحسنَ ضيافتَنا وأكرم مَثْوانا ، ثم قال : أمَا علمتم أن إمامكم لا يُعْطِى الشعراءَ شيئاً؟ قلنا : قدجئنا الآن ، فوجِّه لنا فى هذا الأمر وَجْها . فقال : إن كان ذو دينٍ من آل مروان قد وَلِىَ الخلافة فقد بقِىَ من ذوى دنياهم من يَقْضِى حوائجكم ويفعـل بكم ما أنتم له ١٥٣/٨
أهل . فأقمنا على بابه أربعةَ أشهرٍ لا نصلُ اليه ، وجعل مَسْلَمَةُ يستأذن لنا فلا يُؤْذَن. ١٠
فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفَّظتُ من كلام عمرَ شيئا ! . فأتيت المسجد فأنا أوّل مَنْ حفظ كلامه ، سمعته يقول فى خطبة له : لكل سَفَرٍ زادٌ لا محالة ، فتزوّدوا من الدنيا الى الآخرة التَّقْوَى ، وكونوا كمَن عايَن ما أعدَّ اللهُ له من ثوابه وعقابه ، فعمِل طلبًا لهذا وخوفًا من هذا . ولا يَطُولَنّ عليكم الأَمَدُ فتَقْسُوَ قلوبكم ، وتنقادوا لعدوّكم . واعلموا أنه إنما يطمئنّ بالدنيا من وَثِق بالنَّجاة من عذاب الله فى الآخرة . ١٥
فأمّا مَنْ لايُداوِى جُرْحًا إلا أصابه جُرْحٌ من ناحيةٍ أخرى ، فكيف يطمئنّ بالدنيا ! أعوذ بالله أن آمُرَكم بمـا أَنْهَى نفسى عنه فتَخْسَرَ صَفْقتى ، وتَبْـدُوَ عَيْلَتى ، وتظهرَ مَسْكَنتى يومَ لا يَنْفع فيـه إلا الحقُّ والصدق . فَأرْتَجَّ المسجدُ بالبكاء ، وبكى عمر حتى بُلَّ ثوبُه ، حتى ظننّا أنه قاضٍ نَحْبَه . فبلغتُ الى صاحبىَّ فقلت : جَدِّدا لعمر من الشِّـعر غيرَ ما أعددناه ، فليس الرجلُ بدُنْيوِىّ . ثم إن مَسْلَمَة آستأذن لنا يومَ ٢٠
جُمُعة بعـد ما أُذِن للعامّة . فدخلنا فسلّمنا عليـه بالخلافة فـردَّ علينا . فقلت له :

يا أميرَ المؤمنين، طال الثَّوَاء وقلّت الفائدة وتحدّثتْ بجفائك إيّانا وفودُ العرب. فقال : يا كُثـيِّر، أمَا سمعتَ الى قول الله عزّ وجلّ فى كتابه ﴿ إنَّمَـا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ والعَامِلِينَ عَلَيْهَـا والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُـمْ وفِى الرِّقَابِ والغَارِمِينَ وفِى سَبِيلِ اللهِ وآبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَـةً مِنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أفَمِنْ هؤلاء أنت ؟ فقلت له وأنا ضاحك : أنا آبن سبيلٍ ومُنقَطَعٌ به . قال : أو لستَ ضيفَ أبى سَـعيد ؟ قلت بَلَى . قال : ما أحسَب مَنْ كان ضيفَ أبى سـعيد آبنَ سبيلٍ ولا مُنقَطَعًا به . ثم آستأذنتُه فى الإنشاد، فقال : قل ولا تقل إلّا حقًّا ؛ فإنّ الله سائلك . فقلت :

وَلِيتَ فـلم تَشْتُم عليًّـا ولم تُخِف * بَرِيًّا ولم تُتْبِـع مقـالة مُجْـرِمِ

وقلتَ فصدَّقتَ الذى قلت بالذى * فعلتَ، فأضحَى راضيًا كلُّ مسلم

ألَا إنّمـا يَكْفِى الفتى بعـد زَيْغه * من الأَوَدِ البـاقى ثِقافُ المُقَـوِّم

لقـد لبِستَ لُبْسَ الهَلُوكِ ثيابَهـا (١) * وأبْدتْ لك الدنيا بكفٍّ ومِعْصَم

وتُومِضُ أحيانًا بعينٍ مَرِيضـةٍ * وتَبْسِمُ عن مثـل الجُمَـانِ المنظَّم

فأعرضتَ عنهـا مشمئزًّا كأنّمـا * سَقتْك مَـدُوفًا (٢) من سِمامٍ وعلقَـم

وقـد كُنتَ من أجبالهـا فى مُمَنَّعٍ * ومن بحـرها فى مُزْبِد الموج مُفْعَم

وما زلتَ سَـبَّاقًا الى كلّ غايةٍ * صعِدتَ بهـا أعلى البناء المقـدَّم

فلمـا أتاك المُلكُ عفوًا ولم يكن * لطـالبِ دنيا بعـده من تَكَلُّم

تَركتَ الذى يَفْنَى و إن كان مُونِقًا * وآثرتَ ما يبـقى برأيٍ مصمِّـم

فأضررْتَ بالفانى وشمَّـرتَ للذى * أمامَك فى يومٍ من الهَـوْلِ مُظلم

ومالك أن كنتَ الخليفةَ مانعٌ * سوى الله من مالٍ رَغيبٍ ولا دمِ

(١) الهلوك من النساء: الفاجرة المتساقطة على الرجال . وفى الأصول : «لبس الملوك بيابها» . والظاهر أنه تحريف . (٢) مدوفا : مخلوطا . وأكثر ما يستعمل هذا اللفظ فى الدواء والطيب . والسمام : السم .

١٥٤
٨

سَمَا لَكَ همٌّ فى الفؤاد مؤرِّقٌ * صَعِدتَ به أعلى المعالى بسُلَّمِ
فما بين شرق الأرض والغرب كلِّها * مُنَادٍ ينادى من فصيح وأعجم
يقول: أميرَ المؤمنين ظلمتَنى * بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذِ درهم
ولا بسطِ كَفٍّ لامرئٍ ظالمٍ له * ولا السفكِ منه ظالمًا مِلْءَ مِحْجَم
٥ فلو يستطيع المسلمون تقسّموا * لك الشَّطْرَ من أعمارهم غيرَ نُدَّمِ
فعِشْتَ به ما حَجَّ لله راكبٌ * مُغِذٌّ مُطِيفٌ بالمَقام وزَمْزمِ
فأَرْبِحْ بها من صَفْقةٍ لمُبَايِعٍ * وأَعْظِمْ بها أَعْظِمْ بها ثم أَعْظِمِ

فقال لى : يا كثيِّر ، إن الله سائلك عن كل ما قلتَ . ثم تقدّم اليه الأحوص فاستأذنه فقال : قل ولا تقل إلا حقّا، فإن الله سائلك . فأنشده :

١٠ وما الشعرُ إلّا خطبةٌ من مؤلِّفٍ * بمنطقِ حقٍّ أو بمنطقِ باطلِ
فلا تَقْبَلَنْ إلّا الذى وافق الرِّضا * ولا تَرْجِعنَّا كالنساء الأرامل
رأيناك لم تَعْدِلْ عن الحقّ يَمْنةً * ولا يَسْرةً فعلَ الظَّلوم المُجَادِلِ
ولكن أخذتَ القَصْدَ جهدَك كلَّه * وتَقْفُو مثالَ الصالحين الأوائل
فقلنا ولم نَكْذِبْ بما قد بَدَا لنا * ومَنْ ذا يَرُدُّ الحقَّ من قول عاذلِ
١٥ ومَنْ ذا يردُّ السَّهمَ بعد مُروقه (١) * على فُوقِه إن عارَ (٢) من نَزْعِ نابلِ
ولولا الذى قد عوَّدتْنا خلائفٌ * غَطَارِيفُ كانت كالليوث البواسل
لَمَا وَخَدَتْ شهرًا بِرَحْلِيَ جَسْرةٌ * تَفُلُّ مُتونَ البِيدِ بين الرَّواحل
ولكن رجَوْنا منك مثلَ الذى به * صُرِفنا قديمًا من ذويكَ الأفاضل

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «صدوفه» وهو تحريف . (٢) السهم العائر :
٢٠ الذى لا يدرى من أين أتى . وأنشد أبو عبيدة :
أخشى على وجهك يا أمير * عوائرا من جندل تعير
وفى الأصول : «عاد» بالدال وهو تحريف .

فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ * وإن كان مثلَ الدُّرّ من قول قائلِ
وكان مُصيبًا صادقًا لا يَعيبه * سوى أنه يُبْنَى بناءَ المنازل
فإنّ لنا قُرْبَى ومَحْضَ مَوَدّةٍ * وميراثَ آباءٍ مَشَوْا بالمَناصل
فذادُوا عدوَّ السِّلْم عن عُقْر دراهم * وأَرْسَوْا عَمُودَ الدِّين بعد تَمَايُل
فقبلَك ما أعطَى الهُنَيْدةَ جِلَّةً (١) * على الشعر كَعْبًا من سَدِيسٍ و بازل
رسولُ الإله المصطفَى بنُبُوَّةٍ (٢) * عليه سلامٌ بالضُّحَى والأصائل
فكلّ الذى عدَّدتُ يَكْفيكَ بعضُه * ونَيْلُكَ خيرٌ من بحور السوائل

فقال له عمر : يا أحوصُ ، إنّ الله سائلُك عن كلّ ما قلت . ثم تقدّم اليه نُصَيْب فآستأذن فى الإنشاد، فأبى أن يأذن له وغضب غضبًا شديدا، وأمره باللَّحاق بدابِق (٣). وأمر لى وللأحوص لكلّ واحد بمائة وخمسين درهما .

وقال الرِّياشىّ فى خبره : فقال لنا : ما عندى ما أُعطيكم، فآنتظروا حتى يَخْرُجَ عطائى فأُواسيَكم منه . فآنتظرناه حتى خرج، فأمر لى وللأحوص بثلثمائة درهم، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهما . فما رأيت أعظمَ بركةً من الثلاثِ المائةِ التى أعطانى، إبتعتُ بها وَصيفةً فعلَّمتُها الغِناء فبعتُها بألف دينار .

خبره مع دكين الراجز معه

أخبرنى عمّى عبد العزيز بن أحمد قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدائنىّ قال :

---

(١) هنيدة : اسم للمائة من الإبل خاصة ، وقيل اسم للمائة من الإبل وغيرها . ويريد بكعب كعب بن زهير . والسديس من الإبل ما دخل فى السنة الثامنة . والبازل الذى فطر نابه أى انشق ، وذلك فى السنة التاسعة . (٢) المعروف المحفوظ فى كتب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنشده كعب بن زهير قصيدته اللامية «بانت سعاد» ووصل فيها إلى قوله :

إن الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه بردة كانت عليه ، بذل له فيها معاوية عشرة آلاف درهم ، فقال : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم .
(٣) دابق : قرية قرب حلب بينها وبين حلب أربعة فراسخ .

قال دُكَيْنٌ الراجز : امتدحتُ عمرَ بن عبد العزيز وهو والى المدينة، فأمر لى بخمسَ عشرةَ ناقةً كرائمَ ، فكرهتُ أن أَرْمِىَ بهنّ الفجاج ، ولم تَطِبْ نفسى ببيعهنّ . فقدمتْ علينا رُفْقةٌ من مصر ، فسألتُهم الصُّحْبةَ، فقالوا: ذاك إليك، ونحن نخرج الليلةَ . فأتيتُه فودَّعتُه وعنده شيخان لا أعرفهما . فقال لى: يادُكَيْنُ، إن لى نفسا تَوَّاقة ، فإن صِرْتُ إلى أكثر مما أنا فيه فأْتِنِى ولك الإحسان . قلت : أَشْهِدْ لى بذلك . قال : أُشْهِدُ اللهَ به . قلت : ومِنْ خَلْقِه ؟ قال: هذين الشيخين . فأقبلتُ على أحدهما فقلت : من أنت أعرفك ؟ قال: سالم بن عبد الله بن عمر . فقلت له : لقد ٱستسمنت الشاهد . وقلت للآخر : من أنت ؟ قال : أبو يحيى مولى الأمير. فخرجتُ إلى بلدى بهنّ، فرمَى الله فى أذنابهنّ بالبَرَكة حتى ٱعتقدتُ[1] منهن الإبلَ والعَبيد . فإنّى لبصَحْراء فَلْج[2] إذا ناعٍ يَنْعَى سليمانَ . قلت : فمن القائمُ بعده ؟ قال: عمرُ بن عبد العزيز . فتوجّهتُ نحوَه، فلقينى جريرٌ منصرفاً من عنده . فقلت : يا أبا حَزْرة، من أين؟ فقال: من عند من يُعطِى الفقراء، ويمنع الشعراء . فٱنطلقتُ فإذا هو فى عَرْصة دار وقد أحاط الناسُ به، فلم أخلُص اليه فناديتُ :

يا عُمَرَ الخيراتِ والمكارمِ * وعُمَرَ الدَّسائعِ[3] العظائمِ

إنى ٱمرؤٌ من قَطَنِ بن دارمِ * طلبتُ دَيْنِى من أخى مكَارِمِ

إذ تَنْتَحِى والليلُ غيرُ نائمِ[4] * عند أبى يَحْيَى وعند سالمِ

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين، لهذا البدوىّ عندى شهادة عليك . فقال : أعرفُها ، أُدْنُ يا دُكَيْن، أنا كما ذكرتُ لك، إن نفسى لم تنل شيئا قطُّ إلا تاقت

---

(١) اعتقد الشيء : اشتراه أو اقتناه .

(٢) فلج : واد بين البصرة وحمى ضرية .

(٣) الدسائع : الشمائل أو العطايا .

(٤) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصول : إذ تنتحى والله غير نائم .

لمـا هو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدنيا فنفسى تَتُوق إلى الآخرة ، والله ما رَزَأْتُ من أموال الناس شيئا ، ولا عندى إلا ألف درهم ، فخذ نصفَها . قال : فوالله ما رأيت ألفا كان أعظمَ بركةً منه . قال : ودُكَين الذى يقول :

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤم عِرْضُه * فكلُّ رداءٍ يَرتديه جميـلُ
وإن هو لم يَرْفَع عن اللـؤم نفسَه * فليس إلى حُسْنِ الثَّنَاء سـبيلُ [(١)]

زهده بعد أن ولى الخلافة

أخبرنى الحَرَمِىّ عن الزُّبَير عن هارون بن صالح عن أبيه قال :

كنّا نعطى الغَسّال الدراهمَ الكثيرةَ حتى يَغسِـلَ ثيابَنا فى أثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطِّيب فيها يعنى المِسْكَ . قال : ثم رأيت ثيابَه بعد ذلك وقد وَلِىَ الخلافةَ فرأيتُ غيرَ ما كنتُ أعرف .

حبه آل البيت

أخبرنى محمـد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنا الرِّيَاشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ عن نافع بن أبى نُعَيْم قال :

قدِم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز فقال : إنك لا تُغْنِم أهلَك شيئا خيرًا من نفسك فارجِعْ ، وأتبعَه حوائجَه .

قال الرِّياشىّ وحدّثنا نصر بن علىّ قال حدّثنا أبو أحمد محمد بن الزُّبَير الأَسَدىّ عن سعيد بن أَبَان قال :

رأيت عمر بن عبد العزيز آخذًا بسُرَّة عبد الله بن حسن وقال : أَذْكُرْها عندك تَشْفَعْ لى يومَ القيامة .

(١) المعروف أن هـذين البيتين للسموءل بن عادياء اليهودى . ويروى ، كما فى الحماسة والأمالى لأبى على القالى ، صدر البيت الثانى :

* وإن هو لم يحمل عن النفس ضيمها *

حدّثني أبو عُبَيْد الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا الفَضْل بن الحسن المصريّ قال حدّثنا عبد الله بن عمر القَوَارِيريّ قال حدّثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أَبَان القُرَشيّ قال:

دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السِّنّ وله وَفْرة[1]، فرفَع مجلسَه وأقبل عليه وقضَى حوائجَه، ثم أخذ عُكْنةً من عُكَنِه فغمَزها حتى أَوْجعه وقال له: أُذكُرْها عندك للشَّفَاعة. فلمّا خرج لامَه أهله وقالوا: فعلتَ هذا بغلام حديثِ السنّ! فقال: إن الثِّقَةَ حدّثني حتى كأنّي أسمعه مِنْ فِي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما فاطمةُ بَضْعةٌ منّي يسرُّني ما يسرُّها" وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حيّة لسرَّها ما فعلتُ بٱبنها. قالوا: فما معنى غَمْزِك بطنَه وقولِك ما قلتَ؟ قال: إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلّا وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

أكرم يزيد بن عيسى لأنه مولى علي

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مُورِق قال:

كنتُ بالشام زمنَ وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز، وكان بخُنَاصِرَةَ[2]، وكان يعطي الغرباءَ مائتيْ درهم. قال: فجئتُه فأَجِدُه متّكئا على إزار وكساء من صوف. فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل الحجاز. قال: من أيّهم؟ قلت: من أهل المدينة. قال: من أيّهم؟ قلت: من قريش. قال: من أيِّ قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أيِّ بني هاشم؟ قلت: مولى عليّ. قال: مَنْ عليٌّ؟ فسكتُّ. قال: مَنْ؟! فقلت: ابنُ أبي طالب. فجلس وطرَح الكِساء ثم وضع يده على صدره وقال: وأنا والله مَوْلَى عليّ، ثم قال: أَشْهَد على عددٍ ممّن أدرك النبيّ صلى

(١) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس. (٢) خناصرة: بليدة من أعمال حلب.

الله عليه وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه" . أين مُزَاحِم[1]؟ كم تُعْطِى مثلَه ؟ قال : مائتى درهم . قال : أعطِه خمسين دينارا لولائه من علىّ . ثم قال : أفى فَـرْضٍ أنت ؟ قلت لا . قال : وٱفْرِضْ له ، ثم قال : ٱلْحَقْ بلادَكَ فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتى غيرَك .

سمى عمـر بن على نحله غلامه مورقا

قال أبو زيد فحدّثنى عيسى بن عبد الله قال حدّثنى أبى عن أبيه قال قال أبى : ٥

وُلِد لى غلامٌ يومَ قام عمر بن عبـد العزيز، فغدوتُ عليـه فقلت له : وُلِد لى فى هذه الليلة غلام . فقال لى : ممّن؟ قلت : من التَّغْلَبية . قال : فهَبْ لى ٱسمَه . قلت نعم . قال : قد سَمَّيتُه ٱسمى ونَحَلتُه غُلامى مُورِقًا ، وكان نُوبِيًّا فأعتقه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك ؛ فولدُه اليومَ مَوَالينا .

كان يكرم عبدالله ابن الحسن

أخبرنى محمد بن العبّاس قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عيسى بن عبـد الله قال ١٠ أخبرنى موسى بن عبد الله بن حسن عن أبيه قال :

كان عمر بن عبد العزيز يرانى إذا كانت لى حاجةٌ أتردّد إلى بابه . فقال لى : ألم أقلْ لك : إذا كانت لك حاجةٌ فٱرفَعْ بها إلىّ ! فوالله إنى لأستحيى من الله أن يراك على بابى .

لم يفد من ولايته شيئا وخلف ولده فقـــراء

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانِىّ قال حدّثنى العُمَرىّ عن العُتْبىّ عن أبيه قال : ١٥

لمّـا حضرتْ عمرَ بن عبـد العزيز الوفاةُ جمع ولدَه حولَه ، فلمـا رآهم ٱستعبَر ثم قال : بأبى وأُمّى من خلّفتُهم بعدى فقراء! . فقال له مَسْلَمة بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، فَتَعَقَّبْ فعلَك وأَغْنِهم ، فما يمنعك أحدٌ فى حياتك ولا يرتجعُه الوالى بعدك . فنظر اليه نظرَ مُغْضَب متعجِّب فقال : يا مَسْلَمة ، منعتُهم إيّاه فى حياتى وأَشْقَى به

(١) هو مزاحم بن أبى مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز . ٢٠

بعد وفاتى! إن ولدى بين رجلين: إمّا مطيعٍ لله فالله مصلحٌ له شأنه ورازقُه ما يَكْفيه، أو عاصٍ له فما كنتُ لأُعِينَه على معصيته . يا مَسْلَمة، إنى حضرتُ أباك لمّا دُفن فحملتْنى عينى عند قبره فرأيته قد أَفْضَى الى أمرٍ من أمر الله راعَنِى وهالَنِى، فعاهدتُ الله ألّا أعملَ بمثل عمله إن وَلِيتُ، وقد آجتهدتُ فى ذلك طولَ حياتى، وأرجو أن أُفْضِىَ إلى عفوٍ من الله وغُفْران . قال مَسْلَمة: فلمّا دُفِن حضرتُ دفنَه، فما فُرِغ من شأنه حتى حملتْنى عينى، فرأيتــه فيما يَرَى النائم وهو فى رَوْضةٍ خَضْراءَ نَضِرة فَيْحاء وأنهارٍ مُطَّرِدةٍ وعليه ثيابٌ بِيضٌ، فأقبل علىّ فقال : يا مَسْلَمة، لمثل هذا فليعمَلِ العاملون . هذا أو نحوَه، فإن الحكاية تَزيد أو تنقص .

١٥٧/٨

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثنــا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ عن يحيى بن سَعيد الأموىّ قال :

رثاه مسلمة بن عبد الملك

لمّــا مات عمر بن عبد العزيز وقف مَسْلَمة عليه بعد أن أُدْرِج فى كفنه فقال : رحمك الله يا أمير المؤمنيــن ! فقد أورثْتَ صالحينا بك اقتداءً وهُــدًى، وملأْتَ قلوبَنا بمواعظك وذِكرِك خَشْيةً وتُقًى، وأثَّلْتَ لنا بفضلك شرفًا وفخرا، وأبقيتَ لنا فى الصالحين بعدَك ذِكْرا .

أخبرنى الحسن قال أخبرنا الغَلَابىُّ عن آبن عائشة عن أبيه :

كتابه الى أسارى قسطنطينية

أنّ عمــر بن عبــد العزيز كتب الى الأَسَارَى بقُسْطَنْطِينِيّة : أمّا بعــدُ، فإنكم تَعُدُّون أنفسكم أسارَى ولستم أسارَى . معاذَ الله! أنتم الحُبَساء فى سبيل الله . وآعلموا أنّى لستُ أَقْسِم شيئًا بين رعيّتى إلّا خصَصْتُ أهلَكم بأوفرِ ذلك وأطيبِه . وقد بعثتُ اليكم خمســةَ دنانير، خمســةَ دنانير . ولولا أنّى خَشِيتُ إن زدتُكم أن يَحبِسه عنكم

طاغيةُ الرُّوم لِزِدْتُكم . وقد بعثتُ اليكم فلانَ بن فلان يُفادِى صغيرَكم وكبيرَكم، ذكرَكم وأُنثاكم، حُرَّكم ومملوكَكم بما يسأل، فأَبْشِروا ثم أَبْشِروا .

كتاب الحسن البصرى له ورده عليه

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم قال زعَم لنا سليمانُ بن أَرْقَم قال :

كتب الحسن البصرىّ الى عمر بن عبد العزيز ، وكان يكاتبه، فلما آستُخلِف كتب اليه : "من الحسن البصرىّ الى عمر بن عبد العزيز". فقيل له : إن الرجل قد وَلِىَ وتغيَّر . فقال : لو علمتُ أنّ غير ذلك أَحَبُّ اليه لاتَّبعتُ محبّته . ثم كتب: "من الحسن بن أبى الحسن الى عمر بن عبد العزيز . أما بعد، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تَزَلْ" . قال : فمضيتُ اليه بالكتاب فقدمت عليه به . فإنى عنده أتوقّع الجواب إذ خرج يومًا غير يوم جُمُعة حتى صَعِد المنبرَ واجتمع الناس . فلما كثُرُوا قام فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناسُ، إنكم فى أسلاب الماضين، وسيَرِثُكم الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين . كلَّ يومٍ تجهِّزون غاديًا الى الله ورائحًا ، قد حضر أجلُه ، وطُوِى عملُه ، وعاين الحساب ، وخلع الأسلاب ، وسكن التراب، ثم تَدَعونه غيرَ مُوَسَّد ولا مُمَهَّد . ثم وضع يديه على وجهه فبكى مَلِيًّا ثم رفعهما فقال : يأيّها الناس، مَنْ وصل الينا منكم بحاجته لم نَأْلُه خيرا ، ومَنْ عَجَز فوالله لَوَدِدتُ أنه وآلَ عمر فى العجز سواء . قال : ثم نزل . فأرسل إلىّ فدخلتُ اليه، فكتب : " بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعدُ ، فإنك لستَ بأوّل مَنْ كُتِب عليه الموت، وقد مات . والسلام" .

آخر خطبة له

أخبرنى آبن عمّار قال حدثنى سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا أبو مُطَرِّف المُغيرة بن مُطَرِّف عن شُعَيب بن صَفْوان عن أبيه :

أنّ عمر بن عبد العزيز خطب بخُناصِرَةَ خطبةً لم يخطُب بعدها، حمد الله وأثنى
عليه ثم قال: أيها الناس، إنكم لم تُخلَقوا عبثًا ولم تُترَكوا سُدًى، وإن لكم مَعادًا يتولّى
الله فيه الحكم فيكم والفصلَ بينكم، فخاب وخسِر من خرج من رحمة الله التى
وَسِعَتْ كلَّ شيء، وحُرِم الجنّة التى عَرْضُها السماواتُ والأرضُ. وآعلموا أنّ الأمان
غدًا لمن حذِر اللهَ وخافه، وباع قليلًا بكثير، ونافدًا بباق، وخوفًا بأمانٍ. ألا ترَوْنَ
أنكم فى أسلاب الهالكين وسيَخلُفها من بعدكم الباقون، وكذلك حتى تُرَدُّوا الى خير
الوارثين. ثم إنكم فى كلّ يوم وليلة تُشَيِّعون غاديًا الى الله ورائحا، قد قضى نَحْبَه،
وآنقضى أجلُه، ثم تضعونه فى صَدْعٍ من الأرض فى بطن لَحْد، ثم تَدَعُونه غيرَ موسَّدٍ
ولا ممهَّد، قد خلَع الأسلاب، وفارق الأحباب، ووجِّه للحساب، غنيًّا عما ترك،
فقيرًا الى ما قدّم. وآيْمُ الله إنى لأقول لكم هذه المقالةَ ولا أعلم عند أحدٍ منكم أكثر
مما عندى، وأستغفر الله لى ولكم. وما يُبلغنا أحدٌ منكم حاجتَه يسعها ما عندنا إلا
سَدَدْنا من حاجته ما قَدَرنا عليه، ولا أحدٌ يتّسع له ما عندنا إلا وَدِدتُ أنه بُدِئَ بى
وبلُحْمَتِى الذين يَلُونَنى حتى يستوىَ عيشُنا وعيشُكم. وآيْمُ الله لو أردتُ غيرَ هذا
من عيش أو غَضَارة لكان اللسانُ به منّى ناطقا ذلولا عالما بأسبابه، ولكنه
من الله عزّ وجلّ كتابٌ ناطق، وسُنّةٌ عادلة، دَلّ فيهما على طاعته ونَهى فيهما عن
معصيته. ثم بكى فتلقّى دموعَه بطَرَف ردائه؛ ثم نزل فلم يُرَ على تلك الأعواد بعدُ
حتى قبضه اللهُ اليه. رحمة الله عليه.

اشترى موضع قبره بعشرة دنانير

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أبو سَلَمة
المَدينىّ عن إبراهيم بن مَيْسَرة: أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة
دنانير.

وفاته

أخبرنى اليزيدىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى أبو سلمة المدنىّ قال أخبرنى ابن مسلمة بن عبد الملك قال حدّثنى أبى مسلمة قال :

كنّا عند عمر فى اليوم الذى تُوُفّى فيه أنا وفاطمةُ بنت عبد الملك ، فقلنا له : يا أمير المؤمنين ، إنّا نرى أنّا قد منعناك النّومَ ، فلو تأخّرنا عنك شيئًا عسى أن تنام ! قال : ماأُبالى لو فعلتما . قال : فتنحّيتُ أنا وهى و بيننا و بينه سِتْر . قال : فما نَشِبْنا أن سمعناه يقول : حَيِّ الوجوهَ حَيِّ الوجوهَ . فآبتدرْناه أنا وهى فجئناه وقد أغمض ميّتًا ، فاذا هاتفٌ يهتف فى البيت لا نراه : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فى الأَرْضِ ولَا فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

من أصواته فى سعاد

ومن أصوات عمر فى سعاد

صــــوت

ألَا يا دِينَ قلبُــك من سُلَيْمَى * كما قد دِينَ قلبُك من سُعَادَا

هما سَــبَتَا الفــؤادَ وأَصْبَتاه * ولم يُدْرِك بذلك ما أرادا

قِفَا نَعْرِف منازلَ من سُــلَيْمَى * دَوَارِسَ بين حَوْمَلَ أو عُرَادَا(1)

ذكرتُ بها الشَّــبابَ وآلَ ليلَى * فلم يَرُدِ الشــبابُ بها مَرادا

فإن تَشِبِ الذُّؤابةُ أُمَّ زيدٍ * فقــد لاقيتُ أيّاماً شِــدادا

عروضه من الوافر . الشــعر لأشهبَ بن رُمَيْلة فيما ذكر ابن الأعرابىّ وأبو عمرو الشَّيْبانى . وحكى ابن الأعرابىّ أنه سمع بعض بنى ضَبّة يذكر أنها لابن أبى رُمَيْلة الضّبّىّ . والغناء لعمر بن عبد العزيز رَمَلٌ بالوسطى عن الهشامىّ وحَبَش وغيرهما . وفى نسخة عمرو بن بانة الثانية : لخزرج رَمَلٌ بالبنصر .

(1) عراد : جبل .

نسب الأشهب بن رُمَيْلة وأخباره

نسبه

رُمَيْلة أُمُّه، وهي أَمَةٌ لخالد بن مالك بن رِبْعِيّ بن سَلْمَى بن جَنْدَل بن نَهْشَل ابن دَارِم بن عمرو بن تَمِيم . وهو الأشهب بن ثَوْر بن أبى حارثة بن عبد الدار بن جَنْدَل بن نَهْشَل بن دارِم فى النَّسَب . قال أبو عمرو : وولدُها يزعمون أنها كانت سبيّةً من سَبَايا العرب ، فولدتْ لثور بن أبى حارثة أربعةَ نفر ، وهم رَبَاب ، وحُجْنَاء ، والأَشْهَب ، وسُوَيْد . فكانوا من أشدّ إخوةٍ فى العرب لساناً ويدا ، وأمنعِهم جانبا . وكثُرت أموالُهم فى الإسلام . وكان أبوهم ثَوْرٌ ابتاع رُمَيلة فى الجاهليّة ، وولدتْهم فى الجاهليّة ، فعزُّوا عِزًّا عظيما ، حتى كانوا إذا وردوا ماءً من مياه الصَّمّان[1] حظَروا على الناس ما يريدون منه . وكانت لرُمَيْلة قَطيفةٌ حمراء ، فكانوا يأخذون الهُدْبَ من تلك القطيفة فيُلقونه على الماء ، أى قد سبقْنا إلى هذا ؛ فلا يَرِدُه أحدٌ لعزّهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون اليه ويَدَعون ما يستغنُون عنه . فورَدوا فى بعض السنين ماءً من مياه الصَّمّان وورَد معهم ناسٌ من بنى قطَن ابن نَهْشَل . وكانت بنو قطن بن نهشل وبنو زيد بن نهشل وبنو مَنَاف بن دوام حُلفاءَ . وكانت الأعجازُ حُلفاءَ عليهم ، وهم جَنْدَل وجَرْوَل وصخر بنو نهشل . فأورد بعضُهم بعيرَه فأشرعه حوضًا قد حظَروا عليه . وبلَغهم ذلك فغضبوا منه واجتمعوا وأحلافُهم ، واجتمعت الأحلافُ عليهم ، فاقتتلوا قتالاً شديدا ، فضرب رَبَابُ ابن رُمَيلة رأسَ نُسَيْر بن صُبَيْح المعروف بأبى بَدَّال ، وأُمُّه بنتُ أبى الحَمَام بن قُرَاد ابن مخزوم . وقال رَبَاب فى ذلك :

إخوته وعزهم فى الجاهلية والإسلام

يوم الصمان بينهم وبين أبناء عمومتهم

(١) الصمان : جبل فى أرض تميم .

ضربتُه عَشِيَّةَ الهِــلالِ * أوّلَ يومٍ عُدّ من شوّالِ
ضرباً على رأس أبى بدَّال * ثُمّتَ ما أُبْتُ ولا أُبالِى
* ألّا يؤوبَ آخرَ اللَّيــالى *

فجمع كُلّ واحد منهما لصاحبــه . فقالت بنو قَطَن : يا بنى جَرْوَل ويا بنى صَخْر ويا بنى مَنَــاف[1] ، ضرب صاحبُكم صاحبَنا ضربةً لا نَدْرِى أيموتُ منها أم يعيش ، فأَنْصِفونا ؛ فأبى القــومُ أن يفعلوا ؛ فاقتتلوا يومَهم ذلك إلى الليــل . وكان أُبَىّ ابن أُشَيْم أخو بنى جَرْوَل وهو سيِّدهم خرج فى حاجة له ، فلقيه بعض بنى قَطَن فأسَره وأتى به أصحابَه . فقال نَهْشَل بن حَرِّىّ[2] : يا بنى قَطَن ، أطيعونى اليوم واعصونى أبدا . قالوا : نعم ، فقلْ . فقال : إن هــذا لم يشهد شَرَّكم ولا حربَكم ، ولا يَحِلّ لكم دمُه ، وإنّ قومه أحْرَى مَنْ يقاتلكم وشَوْكتُهم ؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخَلُّوا سبيلَه . قالوا : افعلْ ما رأيتَ . فأتاه نَهْشَل بن حَرِّىّ فقال له : يا أبا أَسْماء ، إنّ قومك قــد حالوا بيننا وبين حقِّنا وقاتلوا دونه ، وقد أمكننا اللهُ منك ، وأنت والله أَوْفَى دمًا عنــدنا من بنى رُمَيْلة ، فوالله لأقتلنّك أو تُعطيَنى ما أسألك . قال : سَــلْ . قال : تَجْعَل أن تَصرِفَ بنى جَرْوَل جميعا ، فإن لم يطيعوك انصرفتَ ببنى أُشَــيْم ، فإن لم يطيعوك أتيتَنا . قال نعمْ . فخَلَّى سبيلَه تحت الليل . فأتاهم وهم بحيث يَرى بعضهم بعضا فقــال : يا بنى جَرْوَل انصرفوا ؛ أتعترضــون على قوم يريدون حقّهم ! ألَا تتّقون الله ! والله لقــد أَسَرنِى القوم ولو أرادوا قتلى لكان

---

(١) يلاحظ أن بنى مناف ليســوا حلفاء لبنى جرول و بنى صخر ، و إنما هم حلفاء بنى قطن بن نهشل و بنى زيد بن نهشل .

(٢) هو نهشل بن حرىّ بن ضمرة ، كان شاعرا وهو القائل :

إنا بنى نهشل لا ندّعى لأب * عنه ولا هو بالأبنــاء يشرينا
إن تبتــدر غاية يوما لمكرمــة * تلق الســوابق منــا والمصلينا

(انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ص ٤٠٤ — ٤٠٥) .

فيه وَفَاءٌ بحقّهم، ولكنّهم يكرهون حَرْبَكم فلا تَبْغُوا عليهم . فآنصرف منهم أكثرُ من سبعين رجلًا . فلما رأى ذلك بنو صخر وبنو جَرْوَل قالوا : والله إنا لنظلم[1] قومنا إن قاتلناهم ؛ وآنصرفوا، وتخاذل القومُ . فلما رأى ذلك الأشهبُ بن رُمَيْلة قال : وَيْلَكم ! أفى ضربةٍ من عَصًا لم تصنع شيئا تسفِكون دماءكم ! والله ما به من بأس، فأعطُوا قومكم حقّهم . فقال تَجْناء ورَبَاب : والله لَنَنصرِفنَّ فلنلحقَنَّ بغيركم ولا نُعطِى ما بأيدينا . فجعل الأشهبُ بن رُمَيْلة يقول : وَيْلَكم ! أتُخَرِّبون دارَ قومكم فى ضربة عصًا لم تبلُغ شيئا ! . فلم يزل بهم حتى جاءوا برَبَابٍ فدفعوه الى بنى قَطَن ، وأخذوا منهم أبا بَدَّال وهو المضروب فمات فى تلك الليلة فى أيديهم؛ فكتموه، وأرسلوا الى عَبّاد بن مسعود ، ومالك بن رِبْعِىّ ، ومالك بن عَوْف ، والقَعْقاع بن مَعْبد ، فعرضوا عليهم الدِّية . فقالوا : وما الدِّية وصاحبُنا حىّ ! قالوا : فإن صاحبكم ليس بحىٍّ . فأمسكوا وقالوا : ننظر . ثم جاءوا الى رَبَاب فقالوا : أَوْصِنا بما بدالك . قال : دَعُونى أُصَلّ . قالوا : صَلّ . فصلّى ركعتين ثم قال : أمَا والله إنّى الى ربّى لذو حاجة ، وما منعنى أن أزيد فى صلاتى إلا أن تَرَوْا أن ذلك فَرَقٌ من الموت ، فليَضرِبْنى منكم رجلٌ شديد السّاعد حديدُ السيف . فدفعوه الى أبى خُزَيمة بن نُسَيْر المُكْنِىّ بأبى بَدّال فضرب عنقه ، فدفنوه؛ وذلك فى الفتنة بعد مقتل عثمان بن عَفّان . فقال الأشهب يرثى أخاه ويلوم نفسه فى دفعه إليهم لتسكُن الحرب :

أعَيْنَىَّ قَلّتْ عَبْرةٌ من أخيكما * بأن تسهرا ليلَ التِّمام وتجْزَعا

وباكيةٍ تَبْكى الرَّبابَ وقائلٍ * جزَى اللهُ خيرًا ما أعفَّ وأمْنَعا

وأَضْرَبَ فى الهَيْجا إذا حَمِس الوَغَى * وأَطعَمَ إذ أمْسَى المَرَاضِيعُ جُوَّعا

(١) فى أ، م : «لنضيع» .

إذا ما اعترضْنا من أخينا أخاهمُ * رَوِينا ولم نَشْفِ الغَليــلَ فينْقَعا
قَرَوْنا دمًا والضَّيفُ منتظِرُ القِرَى * ودعــوةِ داعٍ قــد دعانا فأسمعا
مَرَدْنا[1] وكانت هفوةً من حُلومنا * بثَــدْيٍ إلى أولاد ضَمْرةَ أقْطعا
وقــد لامني قومي ونفسي تَلُومُني * بمـا فال رأيي في ربابٍ وضَـيَّعا
فلو كان قلبي من حــديدٍ أذابَه * ولو كان من صُمِّ الصَّفَا لتصــدَّعا ٥

مضى الحديث .

أصوات عمر في سعاد

ونسختُ من كتاب محمــد بن الحسن الكاتب حدّثنى محمد بن أحمــد بن يحيى المَكِّيّ عن أبيه قال :

لِعمرَ بنِ عبد العزيز فى سُعَادَ سبعةُ ألحان .

منهـا : ١٠

يا سُعادُ التى سَبَتْنِى فؤادى * ورُقَادى هَبِى لعينى رُقَادِى

ولحنُه رَمَلٌ مطلَق .

ومنهـا :

حــظُّ عينى مِن سُعَاد * أبــدًا طــولُ السُّهَاد

ولحنه رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرى البِنصر . ١٥

ومنهـا :

ســبحان ربِّى بَرَا سُــعادَا * لا تعرف الوصــلَ والوِداد

ولحنُه خفيفُ[2] رَمَلٍ .

(١) مرد الصبى ثدى أمه : مرسه .
(٢) فى جـ : «خفيف ثقيل» . ٢٠

ومنها :

لَعَمْرِى لئن كانت سعادُ هى المُنَى * وجنّــةَ خُلْدٍ لا يُمَــلُّ خلودُها

ولحنُه ثقيلٌ أوّل .

ومنها :

٥ أسُــعادُ جُودِى لا شَقِيتِ سُعَادا * وٱجْزِى مُحِبَّــكِ رأفــةً ووِدادَا

ولحنُه خفيفُ رَمَلٍ .

ومنها :

* ألِمَّا صاحِبىَّ نَزُرْ سُعادَا *

ومنها :

١٠ * ألَا يا دِينَ قلبُكَ من سُلَيْمَى *

وقد ذكرتُ طريقتهما .

وقد رُوِى عن عمر بن عبد العزيز حديثٌ كثيرٌ وفقهٌ، وحمَل عنه أهلُ العلم .

كان محدثا وفقيها وراويا

أخبرنا محمد بن جرير الطَّبَرِىّ قال حدّثنا عِمْران بن بَكّار الكَلَاعىّ قال حدّثنا خالد بن علىّ قال حدّثنا بَقِيَّةُ بن الوليد عن مبشِّر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن ١٥ عبد العزيز عن أبيه عمر عن جدّه عبد العزيز عن معاوية بن أبى سُفْيان قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مَنْ أحبَّ أن تَمْثُل له الرجالُ قِيامًا فليتبوّأْ مقعدَه من النار" .

أخبرنى محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرفىّ وعمّى قالا حدّثنا العَنَزِىُّ قال حدّثنى وَزِير بن محمــد أبو هاشم الغَسّانىّ قال حدّثنى محمد بن أيّوب بن سـعيد السُّكَّرىّ عن عمر بن ٢٠ عبد العزيز عن أمّه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ " .

غناء يزيد بن عبد الملك

وممن حُكى عنه أنه صنَع فى شعره غناءً يزيدُ بن عبد الملك، ولم يأت ذلك برواية عمّن يحصّل قولُه كما حُكى عن عمر بن عبد العزيز، وإنما وُجد فى الكتب أنه صنَع لحنًا فى شعره، وذكره من لا يُوثق به، ولم نَرْوِه عن أحد فلم نأت بأخباره ها هنا مشروحةً، وأتيت بها فى أخباره مع حَبَابةَ بحيث يصلح . وأما اللحن الذى ذُكر أنه صنعه فهو : ٥

صـــوت

أبلغْ حَبَابةَ أَسْقَى رَبْعَها المطرُ * ما للفؤاد سِوى ذكراكُمُ وَطَرُ
إن سار صَحْبِى لم أَمْلِكْ بذكركُمُ * أو عرّسوا فهمومُ النفسِ والفِكَرُ

فى هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ يقال إنه ليزيد بن عبد الملك . وذكر ابن المكّىّ أنه لحَبَابة . ١٠

وحُكى عن الهيثم بن عَدِىّ أن يزيد بن عبد الملك لمّا رأى حَبَابةَ تعلّقها ولم يقدر على ابتياعها خوفا من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز، وقال فيها هذين البيتين وهو راحل عن الحجاز، وغنّاه فيهما مَعْبد، فوصله بعد ذلك بما كان يُغْنيه، وأخذتْه حَبَابةُ وغيرُها عنه . وذكر الهشامىّ أنه مما لا يُشَكّ فيه من غناء معبد . وقد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك وحَبَابةَ فى صدر هذا الكتاب فاستُغْنِىَ عن إعادتها هنا . ١٥

غناء الوليد بن يزيد

وممن غنّى منهم الوليد بن يزيد .

وله أصوات صنَعها مشهورةٌ، وقد كان يَضْرِب بالعود ويُوقِع بالطبل ويمشى بالدُّفّ على مذهب أهل الحجاز .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى عبدالله بن أبى سعد عن القَطِرانىّ عن محمد بن جَبْر قال حدّثنى مَنْ سمع خالدَ صامةَ يقول: ٢٠

كنت يوما عند الوليد بن يزيد وأنا أغنّيه :

* أَرانِى الله يا سَلْمَى حياتى *

وهو يشرب حتى سَكِر . ثم قال لى : هات العودَ ، فدفعتُه إليه ، فغنّاه أحسنَ غناء ، فنَفِسْتُ عليه إحسانَه ، ودعوت بطبل فجعلت أُوقع عليه وهو يضرِب حتى دفع العودَ وأخذ الطَّبْل فجعـل يُوقِع به أحسنَ إيقاع ، ثم دعا بدُفٍّ فأخذه ومشى به وجعل يغنّى أهزاجَ طُوَيْس حتى قلت قد عاش ، ثم جلس وقد آنبهر . فقلت : يا سيّدى ، كنت أُرى أنك تأخذ عنّا ونحن الآن نحتاج الى الأخذ عنـك ! فقال : آسكت وَيْلَكَ ! فوالله لئن سمع هذا منك أحدٌ ما دمتُ حيًّا لأقتلنّك . فوالله ما حكيته عنه حتى قُتل .

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال أخبرنا أبو أيُّوبَ المَدِينىّ قال ذكَر أبو الحسن المَدائنى أن يحيى مولى العَبَلات المعروف بفيل وهو الذى غنّى :

* أَزْرَى بنا أننا شالتْ نَعامتُنا *

كان مقيماً بمكة . فلمّا قدِمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن النـاس غناءً وحكايةً لأبن سُرَيج ، فقيل له : فيل . فدعاه وقال له : امش لى بالدُّفّ ، ففعل . ثم قال له الوليد : هاته حتى أمشىَ به ، وإن أخطأتُ فقوِّمْنى . فمشى به أحسنَ من مِشية فيل . فقـال له يحيى : جُعلت فداءك ! إيذَنْ لى حتى أختلفَ اليك لأتعـلّمَ منك .

فمن مشهور صنعته فى شعره :

وَصَفْراءَ فى الكأس كالزعفران * سـباها التُّجِيبىُّ من عَسْقَلانْ

تُرِيكَ القَــذاةَ وعَرْضَ الإناء * سِـتْرٌ لها دون لمْسِ البَنانْ

لحنه فيه خَفيفُ رَمَلٍ . وفيه لأبى كامل ثانى ثقيل بالسبَّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق و يونس . ولعمرَ الوادىّ فيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن يونس والهِشامىّ . وقد مضت أخباره مشروحة فى المـائة الصوت المختارة .

غناء الواثق

ومِمن دُوِّنت صنعتُه من خلفاء بنى العبَّاس الواثق بالله .

ولم نعلمه حُكى ذلك عن أحد منهم قبله إلّا ما قدّمنا سوءُ العهدة فيه عن آبن خُرداذْبَة ، فإنه حَكى أن للسَّفّاح والمنصور وسائرهم غِناء وأتى فيها بأشياءَ غَثّة لايحسُن لمحصِّل ذكرها .

غنى الواثق فى شعر لأبى العتاهية بحضرة إسحاق ووصله

وأخبرنى يحيى بن محمد الصُّولىّ قال حدّثنى أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنا ٥ حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلتُ يوماً دارَ الواثق بغير إذْن إلى موضع أمَرَ أن أدخله إذا كان جالسا . فسمعت صوت عود من بيت وترنّمـا لم أسمع أحسنَ منه قطّ ، فأَطْلَعَ خادمٌ رأسَه ثم ردّه وصاح بى فدخلت فإذا الواثق . فقال : أىّ شىء سمعتَ ؟ فقلت : الطَّلاقُ لازمٌ لى وكلُّ مملوك لى حرٌّ لقد سمعتُ ما لم أسمع مثلَه قطّ حُسْنا ! فضحك فقال : ١٠ وما هو! إنما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل وآشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و رَحِمَهم والتابعون بعدهم وكثُر فى حَرَم الله ومُهَاجَر رسولِ الله . أتحبّ أن تسمعه منّى؟ قلت : إى والذى شرّفنى بخطابك و جميل رأيك . فقال : ياغلام، هاتِ العود وأعْطِ إسحاق رِطْلًا . فدفع الرِّطلَ إلىّ وضرب وغنّى فى شعرٍ لأبى العتاهية بلحنٍ صنعه فيه : ١٥

أضحتْ قبورهمُ من بعــد عِزِّهمُ * تَسْفِى عليها الصَّبا والحَرْجَفُ الشَّمَلُ

لا يَدْفَعــون هَوَاماً عن وجوههمُ * كأنهــمْ خَشَبٌ بالقاع مُنْجَدِلُ

١٦٣ / ٨

فشربتُ الرِّطلَ ثم قمتُ فدعوتُ له ، فأجلسنى وقال : أتشتهى أن تسمعه ثانيـةً ؟ فقلت : إى والله ، فغنّانيه ودعا لى برِطْل ، ففعلت كما فعلت ثانيةً ثم ثالثةً . وصاح ببعض خَدَمه وقال له : احمِلْ إلى إسحاق ثلثمائة ألف درهم . ثم قال : يا إسحاق، ٢٠

قد سمعتَ ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة أرطال وأخذتَ ثلثمائة ألف درهم ، فآنصرِف إلى أهلك ليُسَرُّوا بسرورك ؛ فآنصرفت بالدراهم .

صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط

أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفُرَات يقول سمعتُ عَرِيبَ تقول : صنع الواثقُ مائةَ صوتٍ ما فيها صوتٌ ساقطٌ . ولقد صنع في هذا الشعر :

٥ هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً * تُدْنِي إليك فإنّ الحبَّ أقصاني
هذا كتابُ فتًى طالتْ بَلِيّتُه * يقول يا مُشْتَكَى بَثِّي وأحزاني

لحنًا من الرَّمَل تشبَّه فيه بصنعة الأوائل .

نسبة هذا الصوت

الشعر ليعقوب بن إسحاق الرِّبعيّ المخزوميّ . والغناء للواثق رَمَلٌ بالوسطى من

١٠ رواية الهشاميّ .

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ والحَرَميُّ بن أبي العَلَاء وعليّ بن سليمان الأخفش قالوا حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال قال الزُّبير بن بكّار :

كتب آبن أبي مَسَرَّةَ المكّيّ الى أهل المدينة بيتين وهما :

هذا كتابُ فتًى طالتْ بَلِيّتُه * يقول يا مُشْتَكَى بَثّي وأحزاني

١٥ هل تعلمين وراءَ الحبِّ منزلةً * تُدنِي اليك فإنّ الحبّ أقصاني

قال الزُّبير : وكنتُ غائبًا، فلما قدمت قال لي أهل المدينة ذلك . فقلت لهم : أيكتُب اليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تجيبونه ! .

شعر يعقوب بن إسحاق الربعي

أنشدني يعقوب بن إسحاق الرِّبعيُّ المخزوميّ لنفسه :

قال الوُشاةُ لهند عن تَصَارُمِنَا * ولستُ أنسَى هوى هندٍ وتنساني

٢٠ يعقوبُ ليس بمتبولٍ ولا كَلِف * وَيْحَ الوُشاةِ فإنّ الداء أضناني

مابى سوى الحبِّ من هندٍ و إن بَخِلتْ * حُبِّى لهنـدٍ بَرى جسمى وأبلانى
قد قلتُ حين بدا لى بُخْلُ سيِّدتى * وقـد تتابع بى بَثِّى وأحــزانى
هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً * تُدْنِى اليـك فانّ الحبَّ أقصانى
قالت نعم قلتُ ما ذاكم أسـيِّدتى * وطاعةُ الحبِّ تَنـفى كلَّ عِصْيان
قالت فدَعْنا بلا صُرْمٍ ولا صِـلَةٍ * ولا صدودٍ ولا فى حال هِجـران ٥
حتّى يَشُــكَّ وُشاةٌ قد رَمَوْك بنا * وأعلنـوا بك فينا أىَّ إعـلان

غناؤه فى شعر لذى الرمة

ومن غناء الواثق بالله :

صـــوت

خليلىَّ عُوجَا من صدور الرَّواحل * بجَـرْعاء حُزْوَى وٱبكيا فى المنازل
لعلّ ٱنحــدارَ الدمع يُعْقِب راحةً * من الوَجْدِ أو يَشْفِى نَجِىَّ البَلابل ١٠

١٦٤ / ٨

الشعر لذى الرُّمّة . والغناء للواثق بالله رَمَلٌ مطلَق فى مجرى الوسطى عن الهِشامىّ . ولإسحاق فيهما رَمَلٌ بالسَّبابة فى مجرى البنصر . ولحنُ الواثق منهما الذى أوّلهُ البيت الثـانى وهو اللحن المحثوث المُسْجَح وله رَدَّةٌ فى "لعلّ" . ولحنُ إسحاق أوّلهُ البيتُ الأوّل ثم الثانى وهو أشدُّهما إمساكًا وفيه صِياح .

غنى إسحاق الموصلى بحضرته صـوتا أخذته عنه شاجى فأجازه

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينىّ قال ١٥ حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعِىّ قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ :
أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهرىّ وقد كان تكلّم له فى حاجة فقُضِيتْ . فقال له : أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِطْ به أُمنيّة ولم تَبلُغْه رغبة . قال : فٱشتهى هذا الكلامَ فاستعاده فأعدتُه . قال : ثم مكثنا ما شاء الله، وأرسل الواثق إلى محمد ابن إبراهيم يأمره بإشخاصى اليه فى الصوت الذى أمرنى أن أتغنّى فيه وهو : ٢٠

* لقد بَخِلتْ حتى لَوَ ٱنّى سألتُها *

فأمر لى بمـائة ألف درهم . فأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر على أن يأخذ هـذا الصوت منّى . فلما طال مُقامى قلت : يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنّين يقدِر على أن يأخذ هذا الغناء منّى . فقال لى : ولِمَ وَيْحَك ؟ قلت : لأنى لا أُصحّحه ولا تسخو نفسى لهم به . فمـا فعلتَ يا أمير المؤمنين فى الجارية التى أخذتَها منّى ؟ (يعنى شَجَا، وهى التى كان أهـداها إلى الواثق وعَمِل لهـا المُصَنَّف الذى فى أيدى الناس لإسحـاق) . قال : وكيف ؟ فقلت : لأنهـا تأخذه منّى وأَطِيبُ به لهـا نَفْسا ، وهم يأخذونه منها . قال : فأمَر بهـا فأُخرِجتْ وأخذتْه على المكان . فأمر لى بمـائة ألف درهم أُخرى ، وأذِن لى فى الآنصراف . وكان إسحـاق بن إبراهيم الطاهرىّ حاضرًا عنده ، فقلت له عنـد وَداعى إيّاه : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِطْ به أُمْنِيّة ولم تبلُغه رغبة . فآلتفت إلىّ إسحاق ابن إبراهيم فقال لى : وَيْحَكَ يا إسحاق ! تعيد الدعاء! فقلت: إى والله أعيده قاصٌّ أنا أو مُغَنٍّ . فآنصرفتُ إلى بغـداد وأقمتُ ، حتى قـدِم إسحاقُ بجملته مسلّمـًا . فقال : وَيْلَكَ يا إسحاق ! أتدرى ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنـده ؟ قلت : لا ، أيها الأمير . قال : قال لى : وَيْحكَ ! كنّا أغنَى الناسِ عن أن نبعَث إسحاقَ على لحننا فيُفسِدَه علينا . هذه رواية أبى أيّوب .

تقـدير إسحـاق لغناء الواثق

قال أبو أحمد يحيى بن علىّ بن يحيى وأخبرنى أبى رحمه الله عن إسحاق أنه قال: لـمّـا صنعتُ لحنى فى :

* خليلىّ عُوجا من صـدور الرواحل *

غنّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحّة قسمته ، ومكث صوتَه أيّاما ثم قال لى : يا إسحـاق ، قد صنعتُ لحنـًا فى صوتك وفى إيقاعه، وأمر فغُنِّيتُ به؛ فقلت :

يا أمير المؤمنين، بَغَّضتَ إلىَّ لحنى وسمَّجتَه عنـدى . وقد كنتُ ٱستأذنته مرّاتٍ فى الآنحدار إلى بغداد بعد أن ألقيت اللحنَ الذى كان أمرنى بصنعه فى :

* لقـد بَخِلتْ حتى لَوَ آنى سألتها *

فمنعنى ودافعنى بذلك . فلما صنع لحنه الرَّمَلَ فى :

* خليلىَّ عُوجَا من صدور الرّواحل * ٥

قلت له : يا أمير المؤمنين، قد والله ٱقتصصتَ وزدتَ ؛ فأَذِنَ لى بعد ذلك . قال أبو الحسن علىُّ بن يحيى قلت لإسحـاق : فأيُّهما أجود الآن لحنُك فيـه أو لحنه ؟ فقال : لحنى أجود قسمةً وأكثر عملًا، ولحنه أظرف، لأنه جعل رَدَّتَه من نفس قسمته، فليس يقدِر على أدائه إلا متمكِّنٌ من نفسه . قال أبو الحسن : فتأمّلت اللحنين بعـد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق . قال وقال لى إسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بالغناء . ١٠

١٦٥ / ٨

فأمّا نسبة هذين الصوتين، فإن أحدهما قد مضى ومضت نسبته . والآخر :

صـــوت

أيا مُنْشِرَ الموتى أَقِــدْنى من التى * بها نَهِلتْ نفسى سَـقامًا وعَلَّتِ

لقـــد بَخِلتْ حتى لَوَ آنّى سألتُهـا * قَذَى العين من ضاحِى التُّراب لضَنَّتِ ١٥

الشعر لأعرابىٍّ رواه إسحاق عنـه ولم يذكر ٱسمه، والنـاس يَغْلَطون فينسُبونه الى كثيِّر ويظنُّونه من قصيدته التى أوّلها :

خليلىَّ هـــذا رَسْمُ عَزّةَ فٱعْقِـلَا * قَلُوصَيْكما ثم ٱبكيا حيث حَلَّتِ

وهذا خطأ ممن قال ذلك . والغناء للواثق ثانى ثقيلٍ بالوسطى . ولإسحاق فى البيت الثانى وبعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى الوسطى . ٢٠ والبيتُ الذى ألحقه إسحاق به من شعره :

فإن بَخِلتْ فالبخلُ منها سجيـةٌ * وإن بَذَلتْ أعطتْ قليلًا وأكْدَتِ

كان يعرض غناءه على إسحاق فيدلى فيه برأيه

أخبرنى عمّى رحمه الله قال حدّثنى أبو جعفر بن الدِّهْقانة النَّديم قال :

كان الواثق إذا أراد أن يَعْرِض صنعتَه على إسحاق نسبَها الى غيره وقال : وقع الينا صوتٌ قديم من بعض العجائز ماسمعه أحدٌ، ويأمر مَنْ يغنّيه إيّاه. وكان ٥ إسحاق يأخذ نفسَه فى ذلك بقول الحق أشدَّ أَخْذٍ، فإن كان جيِّدًا من صناعته قرَّظه ووصفه وآستحسنه، وإن كان مُطَّرَحا أو فاسدا أو متوسِّطا ذكر ما فيه. فربّما كان للواثق فيه هَوًى فيسألُه عن تقويمه وإصلاح فَسَاده، وربما اطَّرحه بقول إسحاق فيه؛ الى أن صنع لحنًا فى قول الشاعر :

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ آنّى سألتُها * قَذَى العين من ضاحى التراب لضَنَّتِ

١٠ فأُعْجِبَ به وآستحسنه، وأمر المغنِّين فغنَّوْا فيه، وأمر بإشخاص إسحاقَ اليه من بغداد ليسمعه. فكاده مخارق عنده وقال : يا أمير المؤمنين، إن إسحاق شيطانٌ خبيث داهية، وإن قولك له فيا تصنعه : هذا صوت وقع الينا، لا يخفَى عليه به أنّ الصوت لك ومن صَنْعتك ولا يُوقِعُ فى فهمه أنه قديم، فيقولُ لك وبحضرتك مايُقارب هواك، فاذا خرج عن حضرتك قال لنا ضدَّ ذلك. فأَحْفَظَ الواثقَ قولُه ١٥ وغاظه، وقال له : أريد على هذا القول منك دليلا. قال : أنا أُقيم عليه الدليل إذا حضر. فلما قُدِم به وجلس فى أوّل مجلس آندفع مُخَارِق يغنِّى لحنَ الواثق :

كاد عنده مخارق لإسحاق لجفاه وأصلحت بينهما فريدة

* لقد بَخِلتْ حتّى لَوَ آنّى سألتُها *

فزاد فيه زوائدَ أفسدتْ قِسْمتَه فساداً شديدًا وخفيتْ على الواثق لكثرة زوائد مُخارِقٍ فى غنائه. فسأله الواثق عنه؛ فقال : هذا غناء فاسدٌ غيرُ مَرْضِىّ عندى. ٢٠ فغضِب الواثق وأمر بإسحاقَ فسُحِب حتى أُخرِجَ من المجلس. فلما كان من الغد

١٦٦
―
٨

قالت فَريدة للواثق : يا أمير المؤمنين، إن إسحاق رجل يأخذ نفسَه بقول الحق
فى صناعته على كل حالٍ ساءته أو سَرّته ، لا يخاف فى ذلك ضررًا ولا يرجو نفعًا ؛
وما لك منه عوض . وقد كاده مخارقٌ عندك فزاد فى صدر الصوت من زوائده التى
تَعْرِف، وتركه فى المِصراع الثانى على حاله ، ونقص من البيت الثانى، وقد تبيّنتُ
ذلك . وأنا أعرِضه على إسحاق وأُغَنّيه إيّاه على صِحّته، وآسمَعْ ما يقول . وما زالت ٥
تَلْطُف للواثق حتى رضِى عنه وأمر بإحضاره . فغنّتْه إيّاه فَريدةُ كما صنعه الواثق.
فلمّا سمِعه قال : هذا صوتٌ صحيحُ الصَّنْعةِ والقسمةِ والتجزئة ، وما هكذا سمعته
فى المرة الأولى . ثم أخبر الواثقَ عن مواضع فَساده حينئذ ، وأبان ذلك له بما فهِمه .
وغنّته فَريدةُ عدّةَ أصوات من القديم والحديث كلِّها يقول فيها بما عنده من مدحٍ
لبعضها وطعنٍ على بعض . فآستحسن الواثقُ ذلك وأجازه يومئذٍ وحَبَاه ، وجفا ١٠
مُخارِقًا مدّةً لِما فعله به .

أخبرنى جَحظة قال حدّثنى آبن المَكّىّ عن أبيه قال :

كان الواثقُ إذا صنع شيئا من الغناء أخبر إسحاقَ به وعَرَضه عليه حتى يُصلح
ما فيه ثم يُظهِرَه .

وقد أخبرنى الحسن بن علىّ عن يزيد بن محمد المهلّبىّ بهذا الخبر فذكر نحو ما ١٥
ذكرتُه هاهنا وفى ألفاظه آختلاف . وقد تقدّم ذكره[1] وابتدأناه فى أخبار إسحاق .

والأبيات الثانية التى غنّى فيها الواثقُ و إسحاق أنشَدَنيها علىُّ بن سليمان الأخفش
وعلىّ بن هارون بن علىّ بن يحيى جميعا عن هارون بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن
إسحاقَ لأعرابىّ ، وأنشدَناها محمدُ بن العبّاس اليَزيدىّ قال أنشدنى أحمد بن يحيى
ثَعْلَب لبعض الأعراب : ٢٠

(١) راجع جـ ٥ ص ٣٦٠ — ٣٦١ من هذه الطبعة .

أَلَا قاتل اللهُ الحمامــةَ غُــدْوةً * على الغصن ماذا هَيَّجتْ حين غنَّتِ
فغنَّتْ بصـوتٍ أعجميٍّ فهيَّجتْ * هَوايَ الذى كانت ضُلوعى أكنَّتِ
فلو قطَرتْ عينُ آمرِئٍ من صَبابةٍ * دمًا قطَــرتْ عينى دمًا وألمَّتِ
فما سكتتْ حتى أَوَيتُ لصوتها * وقلتُ أرى هٰذى الحمامةَ جُنَّتِ
٥ ولى زَفَراتٌ لو يَدُمْنَ قتلْنَنِى * بشــوقٍ إلى نادى التى قد تولَّتِ
إذا قلتُ هٰذى زفرةُ اليوم قد مضتْ * فمَنْ لى بأُخرَى فى غدٍ قــد أظلَّتِ
أيا مُنْشرَ المــوتَى أغِثْنى على التى * بها نَهِلَتْ نفسى ســقامًا وعلَّتِ
لقــد بَخِلَتْ حتى لَوَ آنِّى سألتُها * قَذَى العين من سَافِى(١) التراب اضَنَّتِ
فقلتُ آرْحَــلَا يا صاحبىَّ فليتَنِى * أرى كلَّ نفس أُعطِيَتْ ما تمنَّتِ
١٠ حلَفتُ لها بالله ما أُمُّ واحــدٍ * إذا ذكرتْه آخرَ الليــل أنَّتِ
وما وَجْدُ أعرابيَّـــةٍ قذفتْ بها * صُروفُ النَّوى من حيثُ لم تَكُ ظَنَّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ العِضَاهِ وطيبَـه * وبطنَ الحَصَى من بطن خَبْت أرنَّتِ
بأعظمَ من وجدى بها غيرَ أننى * أُجَمْجِمُ أحشائى على ما أجَنَّتِ

غناه إسحاق فوصله وشعره فيه ١٦٧/٨

أخبرنى جَحْظةُ وآبن أبى الأزهر ويحيى بن علىّ والحسين بن يحيى قالوا جميعا
١٥ أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وقد جمعتُ رواياتهم فى هذا الخبر وزدتُ فيه
ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه ، قال :

ما وصلنى أحد من الخلفاء بمثل ماوصلنى به الواثقُ ، وما كان أحد منهم يُكرِمنى
إكرامَه . ولقد غنَّيتُه لحنى :

لعلَّكَ إن طالتْ حياتُك أن تَرَى * بِلادًا بها مَبْدًى لليــلَى ومَحْضَرُ

٢٠ (١) ويروى : « ضاحى التراب » (راجع ص ٢٨٠ س ١٥) .

فآستعاده منّى ليلةً[1] لا يشرَب على غيره، ثم وصلنى بثلثمائة ألف درهم. ولقد قَدِمتُ عليــه فى بعض قَدَماتى، فقال لى : وَيْحَكَ يا إسحاق ! أمَا آشتقتَ إلىّ ! فقلتُ : بلَى والله يا سـيِّدى ! وقلت فى ذلك أبياتا إن أمرتَنى أنشـدتُها . قال : هاتِ ؛ فأنشـدتُه :

أشكو إلى الله بُعْدى عن خليفته * وما أقاسيه من هَمٍّ ومن كِبَر
لا أستطيع رَحيلًا إن هَمَمتُ به * يومًا إليـه ولا أقوَى على السـفر
أنوى الرحيـلَ إليه ثم يمنَعـنى * ماأَحْدثَ الدهرُ والأيّامُ فى بصرى

ثم آستأذنتُه فى إنشاد قصيدةٍ مدحته بها فأذن لى، فأنشدتُه قصيدتى التى أقول فيها :

لمّا أمرتَ بإشخاصى إليك هَوَى * قلـبى حَنينًا الى أهـلى وأولادى
ثم آعترمتُ فـلم أحْفـلْ ببَيْنِهِمُ * وطابت النفسُ عن فَضْلٍ وحَمّاد
كم نعمــةٍ لأبيك الخَـيْرِ أفردنى * بهـا وخَصَّ بأخرى بعد إفرادى
فـلو شـكرتُ أياديَكم وأَنْعُمَـكم * لمَّا أحاط بها وصفى وتَعْـدادى
لأشـكرنّك ما غار النجـومُ وما * حَدَا على الصُّبْحِ فى إثر الدُّجَى حاد

قال علىّ بن يحيى خاصّةً فى خبره : فقال لى أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن، أَخْبِرْنى لو قال الخليفةُ لإسحاق : أحْضِرْ لى فَضْلًا وحَمّادا أليس كان يفتضح إسحاق! (يعنى من دَمامة خِلقتهما وتخلُّف شاهدِهما) .

خرج معه إسحاق الى النجف، وشعره فيها وفى حنينه الى ولده

قال إسحـاق : ثم آنحـدرتُ مع الواثق الى النَّجَف، فقلت : يا أمير المؤمنين، قد قلتُ فى النَّجَف قصيدةً . فقال : هاتِها ؛ فأنشدتُه قولى :

ياراكبَ العِيسِ لاتَعْجَلْ بنا وقِفِ * نُحَيِّ داراً لسُـعْدَى ثم ننصرِف

(١) فى حـ : « جمعة » .

لم يَنْزِلِ الناسُ فى سهلٍ ولا جبلٍ * أَصْفَى هواءً ولا أَغْذَى من النَّجَفِ

حُفَّتْ ببَرٍّ وبحـــرٍ فى جوانبهـا * فالبَرُّ فى طَرَفٍ والبحـرُ فى طَرَفِ

ما إن يزال نســـيمٌ من يَمـانِيَةٍ * يأتيـك منهـا بَرِيًّا رَوْضـةٍ أُنُفِ

حتى آنتهيت الى مديحه فقلت وقد آنتهيتُ إلى قولى فيه :

٥ لا يَحْسَبُ الجـودَ يُفنِى مالَه أبدًا * ولا يرى بَذْلَ ما يَحْوِى من السَّرَفِ

فقال لى: أحسنتَ ياأبا محمد! فكّانى، وأمر لى بألف درهم. وآنحدرنا الى الصالحيّة التى يقول فيها أبو نُوَاس :

* فالصالحيّةُ من أكناف كَلْواذا[1] *

وذكرتُ الصبيان وبغداد فقلت :

١٠ أتَبْـكِى على بغـــدادَ وهى قريبـــةٌ * فكيف إذا ماآزددتَ منها غدًا بُعدا

لَعَمْرُك ما فارقتُ بغـــدادَ عن قِـلًى * لَوَ انّا وجدنا من فِراقٍ لهـا بُدّا

إذا ذَكرتْ بغـداذَ نفسى تَقَطَّعتْ * من الشوقِ أوكادت تموت بها وجدا

كفى حَزَنًا أن رُحْتَ لم تستطع لها * وَدَاعًا ولم تُحْـــدِثْ لساكنها عهـدا

١٦٨
٨

فقال لى : يا موصلىّ، لقد آشتقتَ الى بغداد ! فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين،

١٥ ولكنى آشتقتُ إلى الصبيان، وقد حضرنى بيتان . فقال هاتِهما . فقلت :

حَنَنتَ الى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ * وشاقكَ منهـمُ قُرْبُ المَزَارِ

وكلُّ مُفارِقٍ يزداد شـــوقاً * اذا دنت الدِّيارُ من الديار

فقال لى : يا إسحاق، سِرْ إلى بغداد فأقم شهرا مع صِبيانك ثم عُدْ إلينا، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

٢٠ (١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٥٧ ج ٥ من هذه الطبعة .

امتياز إسحاق على المغنين فى مجلسه

أخبرنى جَحْظة عن آبن حَمْدون: أن إسحاق كان يحضُر مجالس الخلفاء اذا جلسوا للشُّرْب فى جملة المغنِّين وعُودُه معه الى أيام الواثق، فإنه كان إذا قَدِم عليه يحضُر مع الجلساء بغير عُود، ويُدْنيه الواثق ولا يُغَنِّى حتى يقول له : غَنِّ، فإذا قال له غَنِّ جاءوه بعُودٍ فغَنَّى به، وإذا فرَغ رُفِع العود من بين يديه إكراماً من الواثق له .

برز إسحاق عليه فى لحن اشتركا فيه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن وَسْوَاسةَ بنِ الموصلىّ عن حَمّاد بن إسحاق قال: ٥

كتب حَمْدون بن إسماعيل إلى أبى: إن أمير المؤمنين الواثق يأمرك أن تصنع لحنا فى هذا الشعر :

* لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ آنِّى سألتُها *

وقد كان الواثق غَنَّى فيه غناءً أعجبه ؛ فغَنَّى فيه أبى . فلما سمعه الواثق قال : أفسد علينا إسحاق ما كُنّا أُعْجِبنا به من غنائنا. قال حَمّاد: ثم لم أعلم أن أبى صنع بعده غناءً حتى مات . ١٠

ومن مشهور أغانى الواثق :

صــــوت

سقَى العَلَمَ الفردَ الذى فى ظِلَاله * غزالان مكحولان مؤتلفان
أرَغْتُهما خَتْلاً فلم أستطعهما * ورَمْياً ففاتانى وقد رَمَيانى (١) ١٥

ولحنُه فيه من الثقيل الأوّل . ولإسحاق فيه رَمَلٌ .

قصة لأعرابى عاشق مع إسحاق ابن سليمان بن على

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال أخبرنى محمد بن منصور بن عُلَيّة القُرَشىّ قال أخبرنى جعفر بن عُبَيد الله بن جعفر الهاشمىّ عن إسحاق بن سليمان بن علىّ قال :

(١) ويروى : « وقد قتلانى » (انظر الصفحة الآتية) . ٢٠

لقيتُ أعرابياً بالسُّمَيَّة[1] فصيحا، فآستخففتُه وتأمّلته فاذا هو مُصْفَرٌّ شاحب ناحل الجسم، فآستنشدته فأنشدنى الشيءَ بعد الشيء على آستكراهٍ منّى له. فقلت له: ما بالُك؟ فوالله إنك لفصيح! فقال: أمَا ترى الجبلين؟ قلت بَلَى. قال: فى ظلالها والله ما يمنعنى من إنشادك ويَشْغَلُنِى ويُذْهِلنى عن الناس. قلت: وما ذاك؟ قال: بنتُ عمٍّ لى قد تيّمَتْنى وذهبتْ بعقلى، والله إنه لتأتى علىّ ساعاتٌ ما أدرى أفى السماء أنا أم فى الأرض، ولا أزال ثابتَ العقل ما لم يُخامِرْ ذكرُها قلبى، فاذا خامره بَطَلَتْ حواسّى وعزَب عنّى لُبّى. قلت: فما يمنعك منها؟ أقِلّةُ ما فى يدك؟ قال: والله ما يمنعنى منها غيرُ ذلك. قلت: وكم مهرُها؟ قال: مائةُ ناقة. قلت: فأنا أدفعها إليك إذًا لتدفعها اليهم. قال: والله لئن فعلتَ ذلك إنك لأعظم الناس علىّ مِنّةً. فوعدتُه بذلك وآستنشدتُه ما قال فيها، فأنشدنى أشياءَ كثيرةً منها قوله:

سقى العَلَمَ الفردَ الذى فى ظلاله * غَزَالانِ مكحولانِ مؤتلفانِ

البيتان. فقلت له: يا أعرابىّ، والله لقد قتلتَنى بقولك «ففاتانى وقد قتلانى» وأنا برىءٌ من العبّاس ان لم أقُمْ بأمرك. ثم دعوتُ بمركوب فركبتُه وحملتُ معى الأعرابىَّ، فصِرْنا الى أبى الجارية فى جماعة من أهلى وموالىّ حتى زوّجتُه إيّاها وضمِنتُ عنه الصَّداقَ وآشتريت له مائة ناقة فسُقْتُها عنه؛ وأقمتُ عندهم ثلاثاً ونحرتُ لهم ثلاثين جَزُورا، ووهبت للأعرابىّ عشرةَ آلاف درهم وللجارية مثلَها، وقلت: آستعينا بهذا على آتّصالكما وآنصرفتُ. فكان الأعرابىّ يطرُقنا فى كلّ سنة وآمرأته معه فأهَبُ له وأَصِلُه وينصرف.

---

(١) السمية: جبل، كما فى معجم البلدان لياقوت.

غناؤه فى شعر حسان

ومن أغانيه — أخبرنى به ذُكَاء وجه الرُّزّة عن أحمد بن أبى العَلاء عن مُخَارِق وأنه أخذه عنه — :

صـــوت

إنّ التى عاطيتَها فرَدَدْتَها * قُتِلتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقْتَلِ

كلتاهما حَلَبُ العَصير فعاطِنى * بزجاجةٍ أرخاهما للمَفْصِلِ ٥

يروى : "كلتاهما جَلَبُ العصير" و "حَلَبُ العصير" . ويروى : "للمَفْصِل" و "للمِفْصَل" . والمَفْصِل : الواحد من المفاصل ، والمِفْصَل هو اللسان . ذكر ذلك علىّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ٱبن الأعرابى .

الشعر لحَسّان بن ثابت . والغناء للواثق خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر . وفيه لإبراهيمَ الموصلىّ رَمَلٌ مطلَقٌ فى مجرى الوسطى . وهذه الأبيات من قصيدة حسّان ١٠ المشهورة التى يمدح بها بنى جَفْنة ، وأوّلها :

* أسألتَ رسمَ الدار أم لم تسألِ *

وهى من فاخر المَديح ، منها قوله :

أولادُ جَفْنةَ عند قبر أبيهمُ * قبرِ ٱبن ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ

يَسْقُون مَنْ وَرَد البَرِيصَ[1] عليهمُ * بَرَدَى يُصفَّق بالرَّحيق السَّلْسَلِ ١٥

بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أنسابُهم * شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوّلِ

يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كِلابُهم * لايَسألون عن السَّواد المُقْبِلِ

تفسير القاضى عبيد الله بن الحسن لهذا الشعر

نسخت من كتاب الشّاهِينىّ : حدّثنى ٱبن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى أحمد بن عبد الملك بن أبى السَّمّال السَّعْدىّ قال حدّثنى أبو ظَبْيانَ الحِمّانىّ قال :

(١) البريص : اسم غوطة دمشق . وبردى : نهر دمشق . ٢٠

اجتمعتْ جماعةٌ من الحيّ على شراب لهم، فتغنّى رجل منهم بشعر حسّان :

إنّ التى عاطيتَنى فرددتُها * قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقتَلِ

كلتاهما حَلَبُ العصيرِ فعاطِنى * بزجاجةٍ أرخاهما للمَفْصِلِ

فقال رجل من القوم : ما معنى قوله « إن التى عاطيتَنى » فجعلها واحدة، ثم قال : « كلتاهما حلب العصير » فجعلهما ثنتين ؟ فلم يعلم أحد منّا الجواب . فقال رجل من القوم : امرأتُه طالقٌ ثلاثًا إن بات أو يسألَ القاضىَ عُبَيدَ الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر . قال أبو ظَبْيانَ : فحدّثنى بعض أصحابنا السعديّين قال : فأتيناه نتخطّى اليه الأحياءَ حتى أتيناه وهو فى مسجده يصلّى بين العشاءين . فلما سمع حِسَّنا أَوْجز فى صلاته، ثم أقبل علينا وقال : ما حاجتُكم ؟ فبدأ رجل منّا كان أحسننا بَقِيّةً[1] فقال : نحن، أعزّ الله القاضىَ، قومٌ نَزَعْنا اليك من طَرَف البَصْرة فى حاجةٍ مهمّة فيها بعضُ الشىء، فإن أذنتَ لنا قلنا . قال : قولوا . فذكر يمينَ الرجل والشعرَ . فقال : أمّا قولُه « إن التى ناولتَنى »[2] هى الخمرة . وقوله : « قُتِلتْ » يعنى مُزِجتْ بالماء . وقوله : « كلتاهما حَلَب العصير » يعنى به الخمرَ ومِزاجَها، فالخمر عصير العنب، والماء عصير السّحاب، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ انصرفوا اذا شئتم .

١٧٠ / ٨

غناؤه لحنا على مثال لحن لمخارق

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى أحمد بن يزيد المُهَلَّبىّ عن أبيه قال :

غَنَّى مُخارِقٌ يوماً بحضرة الواثق :

حتى إذا الليلُ خَبا ضوءُه * وغابتِ الجَوْزاءُ والمِرْزَمُ[3]

(١) أى أحسننا رأيا وفضلا . وإنما سمى ذلك بقية، لأن الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله .

(٢) الرواية المتقدمة فى البيت : « ... عاطيتنى » . (٣) الجوزاء : برج فى السماء، سميت بذلك لأنها معترضة فى جوز السماء أى وسطها . والمرزمان : نجمان مع الشعريين .

خرجتُ والوطءُ خَفِىٌّ كما * ينسابُ من مَكْمَنه الأرقمُ

فاستملح الواثقُ الشعر واللحن، فصنع فى نحوه :

قالت إذا الليـلُ دَجا فأْتِنا * فجئتُها حين دجا الليـلُ

خَفِىَّ وطءِ الرِّجلِ من حارسٍ * ولو درَى حلَّ بىَ الويل

ولحنه فيه من الرَّمَل . وصنع فيه الناس ألحاناً بعده : منهـا لعَرِيبَ خفيفُ رَمَلٍ ، ومنها ثقيلٌ أوّل لا أعلم لمن هو؛ وسمعت ذُكَاءَ ومحمد بن إبراهيم قُرَيضاً يغنّيانه وذكرا أنهما أخذاه عن أحمد بن أبى العَلاء، ولا أدرى لمن هو .

حدّثنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال :

تحدث إسحاق إليه بقصة أعرابىّ عاشق وغنى فى شعره فوصله ووصل الأعرابىّ

سرتُ إلى سُرَّمَنْ رأى بعد قدومى من الحجّ ، فدخلتُ إلى الواثق فقال : بأى شىء أطْـرفتَنى من أحاديث الأعراب وأشعارهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنـين جلس إلىَّ فتًى من الأعراب فى بعض المنازل، فحادثنى فرأيتُ منـه أحلى ما رأيت من الفِتيان منظرًا وحديثًا وأدباً . فآستنشدته فأنشدنى :

سقَى العَلَمَ الفَرْدَ الذى فى ظِلاله * غزالان مكحولان مؤتلفـان

إذا أمِنَا التفَّا بجِيدَىْ تَواصُـلٍ * وطَرْفاهمـا للرَّيْب مُسـترِقان[1]

أرغْتُهما خَتْلًا فلم أسـتطعهما * ورميًـا ففاتانى وقـد قتلانى

ثم تنفَّس تنفُّسًا ظننت أنه قـد قطع حَيَازِيمَه . فقلت : مالك بأبى أنت ؟ فقال : إن لى وراء هـذين الجبلين شَجَنًا ، وقد حِيـل بينى وبين المرور به ونذَروا دمى ، وأنا أتمتّع بالنظر الى الجبلين تعلُّلًا بهما إذا قدِم الحاجُّ ، ثم يُحال بينى وبين ذلك . فقلت له : زِدْنى مما قلتَ فى ذلك . فأنشدنى :

(١) الاستراق : اختلاس النظر والسمع، ومثله التسرق والمسارقة .

إذا ما وردتَ الماءَ فى بعض أهله * حَضُورُ فعرِّض بى كأنّك مازحُ
فإنْ سألتْ عنّى حَضُورُ فقُلْ لها * به غُبَّرٌ[1] من دائه وهو صالحُ

فأمرنى الواثق فكتبتُ له الشعرين . فلمّا كان بعد أيّام دعانى فقال : قد صنع بعض عجائز دارنا فى أحد الشعرين لحنًا فآسمَعْه . فإن آرتضيته أظهرناه وإن رأيتَ فيه موضع إصلاح أصلحتَه . فغُنِّىَ لنا من وراء الستار . فكان فى نهاية الجودة ، وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئا . فقلت له : أحسن والله صانعُه يا أمير المؤمنين ما شاء ! . فقال : بحياتى ؟ فقلت : وحياتِك ، وحلفتُ له بما وثِق به ، وأمر لى برِطْلٍ فشربتُه ، ثم أخذ العود فغنّاه ثلاثَ مرات ، وسقانى ثلاثة أرطال وأمر لى بثلاثين ألف درهم . فلما كان بعدَ أيّام دعانى فقال : قد صُنِع أيضا عندنا فى الشعر الآخر ، وأمر فغُنِّىَ به ؛ فكانت حالى فيه مثلَ الحال فى الأوّل . فلما آستحسنته وحلفت له على جودته ثلاث مرات ، سقانى ثلاثة أرطال وأمر لى بثلاثين ألف درهم . ثم قال لى : هل قضيتُ حقَّ هديّتك ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فأطال الله بقاءك ، وتمّم نعمتك ، ولا أُفقدنيها منك وبك . ثم قال : لكنك لم تَقْضِ حقَّ جليسك الأعرابىّ ولا سألتَنى مَعُونتَه على أمره ، وقد سبقتُ مسألتَك وكتبت بخبره الى صاحب الحجاز وأمرتُه بإحضاره ، وخُطبت المرأةَ له وحُمِل صداقُها الى قومها عنه من مالى . فقبّلتُ يده وقلت : السَّبْقُ إلى المكارم لك ، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس .

(١) غبر الشىء : بقيته .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى :

منها الصوتان اللذان فى الأخبار المتقدّمة .

صـــوت

حتى إذا الليـلُ خَبَا ضوءُه * وغابتِ الجَـوْزاءُ والمِـرْزَمُ
أقبلتُ والوطءُ خَـفِىٌّ كما * ينساب من مَكْمَنه الأرقمُ

ذكر يحيى المكىّ أنّ اللحن لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبّـابة فى مجرى البِنصر ، وذكر الهشامىّ أنه منحولٌ .

طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه فى الفرات

فأخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّـار وإسماعيلُ بن يونس وغيرُهما قالوا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم عن ابن كُنَاسة قال :

اِصطحب شيخٌ مع شَباب فى سفينةٍ فى الفُرَات ومعهم مغنّيَة . فلمّـا صاروا فى بعض الطريق قالوا للشيخ : معنا جاريةٌ لبعضنا وهى مغنّية، فأحببنا أن نسمع غناءها فهِبْناك، فإن أذِنتَ لنا فعلْنا . قال : أنا أصعَد الى ظُلَلِ[1] السفينة، فآصنَعوا أنتم ما شئتم . فصعِد، وأخذت الجاريةُ عودَها فغنّت :

حتى إذا الصبحُ بدا ضوءُه * وغابت الجَـوْزاءُ والمِـرْزَمُ
أقبلتُ والوطءُ خَـفِىٌّ كما * ينساب من مَكْمَنه الأرقمُ

فطرِب الشـيخ وصاح ثم رمَى بنفسه بثيابه فى الفُرَات ، وجعل يغُوص فى الفرات ويطفو ويقول : أنا الأرقمُ ! أنا الأرقم ! فألقَـوْا أنفسهم خلفَه ، فبعـد لأْيٍ ما آستخرجوه ، وقالوا له : يا شيخ، ما حملك على ما صنعتَ ؟ فقال : إليكم عنِّى ! فإنّى والله أعرف من معانى الشـعر ما لا تعرفون . وقال إسمـاعيل فى خبره :

(١) فى الأصول : «ظلال السفينة» بالظاء المعجمة . والتصويب عن كتب اللغة . وظلل السفينة : جلالها ، وهو غطاء تغشى به كالسقف للبيت .

فقلت له : ما أصابك ؟ فقال : دبّ شيء من قدمي الى رأسي كدبيب النمل ونزل في رأسي مثله ، فلمّا وردا على قلبي لم أعمل ما عملت .

وأمّا ما في الخبر من الصّنْعة في : « قالت إذا الليل دجا » فإنّ لحن الواثق هو المشهور، وما وجدتُ في كتب الأغاني غيره، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقريض وذُكاء وجه الرُّزة يغنّيان فيه لحناً من الثقيل الأوّل المذموم، فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه، وذكرا جميعا أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العلاء . ٥

١٧٢
٨

علمه بالغناء وعدد أصواته وذكر المشهور منها

وأخبرني الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حمّاد بن إسحاق قال :
كان الواثق أعلمَ الخلفاء بالغناء، وبلغتْ صنعتُه مائةَ صوتٍ، وكان أحذقَ مَنْ غنّى بضرب العود . قال : ثم ذكرها فعدّ منها :

١٠
يفرح النـاسُ بالسّماع وأبكي * أنا حُـزْنًا إذا سمعتُ السّماعا
ولهـا في الفؤاد صَـدْعٌ مُقيمٌ * مثلُ صَدْع الزُّجاج أعيا الصُّناعا

الشـعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء للواثق خفيفُ ثقيلٍ . وفيـه لأبي دُلَف خفيفُ رَمَلٍ .

ومنهـا :

١٥
ألَا أيُّها النفسُ التي كادها الهوى * أفأنتِ إذا رمتُ السُّـلُوَّ غريمي
أفيقي فقد أفنيتِ صبري أو اصبري * لمـا قـد لقيتيـه علىَّ ودُومي

الشعر والغناء للواثق خفيفُ رَمَلٍ .

ومنهـا :

سَقَى العَـلَمَ الفردَ الذي في ظـلاله * غزالان مكحولان مؤتلفان
أرعَتُهـما خَتْلًا فـلم أستطعْهما * ورميًـا ففاتاني وقـد قتـلاني ٢٠

الغناء للواثق ثقيلٌ أوّل . وفيه لإسحاق رَمَلٌ وهو من غريب صنعته، يقال إنه صنعه بالرَّقَّة .

ومنها :

كلَّ يومٍ قَطيعةٌ وعِتابُ * ينقضى دهرُنا ونحن غِضابُ
ليت شعرى أنا خُصِصْتُ بهذا * دون ذا الخلق أم كذا الأحبابُ
فاْصبرِ النفسَ لا تكونَنْ جَزُوعًا * إنما الحبّ حَسْرةٌ وعذاب

فيه للواثق رَمَلٌ، ولزُرْزُور ثقيلٌ أوّل، ولعَرِيبَ هَزَجٌ .

ومنها :

ولم أر لَيْلَى بعد موقف ساعةٍ * بَخْيف مِنًى ترمى جِمارَ المحصَّبِ
ويُبْدى الحَصى منها إذا قذَفتْ به * من البُرْد أطرافَ البَنانِ المُخَضَّب
فأصبحتُ من ليلَى الغَداةَ كناظِرٍ * مع الصبح فى أعْقاب نجم مغرِّب
ألَا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ * صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يَذْهب

الصنعة فى هذا الشعر ثقيلٌ أوّل وهو لحن الواثق فيما أرى. ونسبه حَبَش، وهو قليل التحصيل، الى ابن مُحْرِز فى موضع، والى سُلَيْم فى موضع آخر، و إلى مَعْبد فى موضع ثالث .

ومنها :

أمستْ وُشَاتُك قد دَبَّتْ عقارِبُها[1] * وقد رَمَوْك بعين الغِشّ وٱبتَدروا
تُرِيك أعيُنهم ما فى صدورهمُ * إنّ الصدور يؤدّى غيبَها النظر

الشعر للجنون . والغناء للواثق ثانى ثقيلٍ . وفيه لمتيَّم ثقيلٌ أوّلُ . وقد نُسب لحنُ كل واحد منهما الى الآخر .

(١) لوكان : « عقاربهم » لا تحدت الضمائر .

ومنهـا :

عجبتُ لسَعْى الدهر بيني و بينهـا * فلمّـا آنقضى ما بيننا سكَن الدهرُ
فياهجرَ لَيْلَى قـد بلغتَ بىَ المَـدَى * وزدتَ على ما لم يكن بلَـغ الهجـر

الغناء للواثق رَمَلٌ . وفيـه لَمْبدٍ ثانى ثقيـلٍ بالوسطى، ولآبن سُرَيج ثقيـلٌ أوّل بالبِنصر ، ولَعرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ آخر .

ومنهـا :

كأنّ شخصى وشخصه حَكَيـا * نظـامَ نِسْرِيتَيْـن فى غُصُنِ
فليت لَيْـلِى وليـلَه أبـدًا * دام ودُمْنـا به فـلم نَبِن

الشعر أظنّه لعلىّ بن هِشـام أو لمُرَادٍ[1] . ولحن الواثق فيه ثقيلٌ أوّلُ . وفيه لَعرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ آخر . وفيه لأبى عيسى بنِ الرشيد ولمتيَّم لحانٍ لم يقع إلىّ جنسُهما .

ومنهـا :

أهابُكِ إجلالًا وما بكِ قدرةٌ * علىّ ولكـن ملءُ عينٍ حَبيبُها
وما فارقتْكِ النفسُ يا ليلُ أنها * قَلَتْكِ ولكن قَلَّ منـكِ نصيبُها

لحن الواثق فيه ثقيلٌ أوّلُ مطلَق فى مجرى الوسطى . وفيه لغيره لحن .

ومنها[2] :

فى فمى ماءٌ وهـل ينـ * ـطِق مَنْ فى فيه ماءُ!
أنا مـمـلوكٌ لمـمـلو * كٍ عليـه الرُّقَبـاءُ
كنت حُرًّا هاشميًّـا * فآسـترقَّتْنى الإماءُ
وسـبانى مَنْ له كا * ن على الكُرْه السِّباءُ

(١) مراد : شاعرة على بن هشام وهى التى رثته لما قتله المأمون . (راجع ص ٤٠٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة) . (٢) فى الأصول : « ومنه » .

أَحْمَــدُ اللهَ على ما ساقه نَحْوِى القضاءُ
ما بعينىَّ دمــوعٌ * أنفد الدمـــعَ البكاء

الغناء للواثق رَمَلٌ .

ومنها[1] :

أىُّ عَوْنٍ على الهموم ثلاثٌ * مُتْرَعاتٌ[2] من بعـدهنَّ ثلاثُ
بعـــدها أربعٌ تَتِمَّـةُ عَشْرٍ لابِطاءٌ لكنهنَّ حِثَـاثُ

فيه رَمَلٌ يُنسب إلى الواثق وإلى مُتَيَّم .

ومنها[1] :

أيا عَبْرة العينين قـد ظَمِئ الخدُّ * فما لكما من أن تلِمَّـا به بُدُّ
ويا مُقْلةً قد صار يُبغضها الكَرَى * كأن لم يكن من قبـلُ بينهما وُدّ
لئن كان طولُ العهد أحدث سَلْوةً * فوعدٌ بين العين والعَـبْرة الوُجْد[3]
وما أنا إلّا كالذيـن تحرّمـوا * على أنّ قلبى من قلوبهـــمُ فَرْد

الشعر والغناء للواثق رَمَلٌ . وفيـه لأبى حَشيشة هَزَجٌ ، ذكر ذلك الهشامىّ الملقَّب بالمِسْك ، وأخبرنى جَحْظة أنه لسـدود . وأخبرنى جَحْظة أن من صنعة أبى حشيشة فى شعر الواثق خفيفَ رَمَلٍ وهو :

سألتُــه حُوَيْجـةً فأعرضـا * وعَـــاقَ القلبُ به ومَرِضَـا
فاستَلَّ منّى سيفَ عزمٍ مُنْتَضَى * فكان ما كان وكابرْنا القَضَـا

قال : وفى هذا الشعر أيضا بعينه للواثق رَمَلٌ ، ولقَلَمَ الصالحيّة فيه هَزَجٌ . وقد غلط جَحْظةُ فى هذا الشعر ، وهو لسَعيد بن حُمَيْد مشهور ، وله فيـه خبر قد ذكرناه فى موضـــعه[4] .

---

(١) فى الأصول : « ومنه » . (٢) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « متبعات » .
(٣) الوجد : اللقاء . (٤) راجع الجزء السابع عشر من الأغانى ص ٢ – ٩ طبع بلاق .

غاضبه خادم له فقال فيه شعرا غنى فيه

أخبرنى عمى عن على بن محمد بن نصر عن جده[1] ابن حمدون عن أبيه حمدون ابن إسماعيل قال :

كان الواثق يحب خادما له كان أهدى إليه من مصر، فغاضبه يوما وهجره ، فسمع الخادمَ يحدّث صاحبا له بحديث أغضبه عليه، الى أن قال له : والله إنه ليجهد منذُ أمس على أن أصالحه فما أفعل . فقال الواثق فى ذلك :

١٧٤ / ٨

٥

يا ذا الذى بعذابى ظلَّ مفتخرا * هل أنت إلّا مليكٌ جار إذ قدرا

لولا الهوى لتجازَينا على قَدَرٍ * وإن أفِقْ مرّةً منه فسوف ترى

قال : وغنّى الواثق وعلّويه فيه لحنين، ذكر الهشامى أن لحن الواثق خفيفُ ثقيلٍ، وفى أغانى علّويه : لحنُه فى هذا الشعر خفيفُ رَمَلٍ .

غنى فى شعر لعلى ابن الجهم

١٠

حدّثنى الصُّولى قال حدّثنى ابن أبى العَيناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن ابن سهل قال :

كنا وقوفا على رأس الواثق فى أوّل مجالسه التى جلسها لمّا وَلِىَ الخلافة، فقال : مَنْ يُنشدنا شعرا قصيرا مليحا؟ فحرَصْتُ على أن أعمل شيئا فلم يجئنى، فأنشدته لعلىّ ابن الجهم :

١٥

لو تنصّلتَ إلينا * لَوَهَبْنا لكَ ذَنْبَكْ

ليتنى أملِك قلبى * مثلما تملك قلبَكْ

أيُّها الواثقُ بالله * لقد ناصحتَ ربَّكْ

سيّدى ما أبغضَ العيـ * ـشَ إذا فارقتُ قُربَكْ

أصبحتْ حُجّتُك العُليـ * ـا وحِزْبُ الله حِزْبَكْ

٢٠

(١) كذا فى الأصول . والمعروف أن ابن حمدون خال على بن محمد بن نصر لا جده . (راجع الاستدراك الأول فى الجزء الخامس ص ٥٣٧ من هذه الطبعة) .

فآستحسنها وقال : لمن هذه؟ فقلت : لعبدك علىّ بن الجَهْم . فقال : خذ ألف دينار لك وله . وصنع فيها لحنا كنّا نغنّى به بعد ذلك .

يوم له مع المغنين بسر من رأى

أخبرنى محمد بن يحيى بن أبى عبّاد قال حدّثنى أبى قال :

لمّا خرج المعتصم إلى عَمُّورِيَّةَ آستخلف الواثقَ بِسُرَّ مَنْ رأى، فكانت أموره كلّها كأمور أبيه . فوجّه إلى الجُلَساء والمغنّين أن يُبكّروا إليه يوما حُدِّد لهم، ووجّه إلى إسحاق، فحضر الجميعُ . فقال لهم الواثق : إنى عزمتُ على الصَّبُوح، ولست أجلس على سرير حتى أختلطَ بكم ونكونَ كالشىء الواحد، فآجلسوا معى حَلْقَةً، وليكن كلُّ جليس إلى جانبه مغنٍّ، فجلسوا كذلك . فقال الواثق : أنا أبدأ، فأخذ عوداً فغنّى وشربوا وغنّى مَنْ بعده، حتى آنتهى إلى إسحاق فأُعطِىَ العودَ فلم يأخذه . فقال : دَعُوه . ثم غنّوا دَوْرًا آخر . فلما بلغ الغناءُ إلى إسحاق لم يُغَنِّ، وفعل هذا ثلاثَ مرّات . فوثب الواثق فجلس على سريره وأمر بالناس فأُدخلوا، فما قال لأحد منهم : آجلِس . ثم قال : علىّ بإسحاق ! . فلما رآه قال : يا خُوزِىُّ يا كلب ! أَتنزَّلُ لك وأُغنِّى وترتفع عنّى ! أتُرَى لو أنّى قتلتُك كان المعتصم يُقِيدُنى بك ! اِبْطَحوه ! فبُطِح فضُرِب ثلاثين مِقْرعةً ضربا خفيفا، وحلف ألّا يُغَنِّىَ سائرَ يومه سواه . فآعتذر وتكلّمت الجماعة فيه ، فأخذ العودَ وما زال يغنّى حتى آنقضى ذلك اليومُ، وعاد الواثق إلى مجلسه .

شعره فى خادم يهواه

وجدتُ فى بعض الكتب عن آبن المعتزّ قال : كان الواثق يهوَى خادماً له فقال فيه :

سأمنع قلبى من مودّةِ غادر * تعبّدنى خُبْثًا بمكرٍ مُكاشِرِ
خطبتُ إليه الوصلَ خِطْبةَ راغبٍ * فَلاحَظَنِى زَهْوًا بطَرْفِ مُهَاجِرِ

قال أبو العبّاس عبد الله بن المعتزّ : وللواثق فى هذا الشعر لحن من الثقيل الأوّل .

١٧٥ / ٨

ألقى على غلمانه صوتا فأخذوه عنه

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الجمار قال حدّثني عبدُ أتم غلام الواثق قال :

دعا بنا الواثق مع صلاة الغَداة وهو يَسْتاك فقال : خذوا هذا الصوتَ، ونحن عشرون غلاما كلُّنا يُغَنِّي و يضرب، ثم ألقى علينا :

أشكو الى الله ما ألقَى من الكَمَـدِ * حَسْبِي بربِّى فـلا أشكو إلى أحدِ

٥

فما زال يردِّده حتى أخذناه عنه .

نسـبة هـذا الصـوت :

أشكو إلى الله ما أَلْقَى من الكَمَـدِ * حَسْبِي بربِّى فلا أشـكو إلى أحد

أين الزمانُ الذى قد كنت ناعمـةً * مُهـلَّةً بدُنُوِّى منك يا سَـنَدِى

وأسألُ الله يوماً منـكِ يُفْرِحُنى * فقد كَحَلْتِ جُفونَ العـين بالسَّهَد

١٠

شوقًا اليـكِ وما تَدْرِين ما لقيتُ * نفسى عليكِ وما بالقلب من كَمَـد

الغناء للواثق ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه لعَرِيبَ أيضا ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

كان إسحاق يصحح له غناءه

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني محمـد بن أحمد المَكِّيّ قال حدّثني أبى قال :

كان الواثق يَعْرِض صنعتَه على إسحاق، فيُصلِح الشيءَ بعد الشيء ممّـا يَخْفَى على

١٥

الواثق؛ فإذا صحَّحه أخرجه إلينا وسمعناه .

أمر مخارقا وعلويه وعريب أن يعارضوا لحنا له

حدّثنا جَحْظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال حدّثني مُخَارِق قال :

لمّـا صنع الواثق لحنَه فى :

حَـوْراءُ مَمْكُورةٌ[1] منعّمةٌ * كأنما شَفَّ وجهَها نُزُفُ

(١) الممكورة : المدمجة الخلق من النساء، وقيل : المستديرة الساقين . وقوله : « كأنما شف وجهها نزف » يريد أنها رقيقة المحاسن وكأن دمها ودم وجهها نزف . والمرأة أحسن ما تكون غب نفاسها لأنه يكون قد ذهب تهيج الدم فتصير رقيقة المحاسن .

٢٠

وصنع لحنه فى "سأذكر سِرْبًا طال ما كنت فيهم" أمرنى وعَلّويه وعَرِيبَ أن نُعارض صنعتَه فيهما، ففعلنا واجتهدنا ثم غنّيناه. فضحك فقال: أمّا معكم أن نجد من يبغّض الينا صنعتَنا كما بغّض إسحاق إلينا "أيا مُنْشِرَ المَوْتَى". قال حمّاد: هذا آخر لحنٍ صنعه أبى. يعنى الذى عارض به لحنَ الواثق فى "أيا مُنْشِرَ المَوْتَى".

غناه إسحاق صوتا فتطير به

أخبرنى جَحْظة قال حدّثنى حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلتُ يومًا إلى الواثق وهو مُصْطَبِحٌ، فقال لى: غَنِّنى يا إسحاق بحياتى عليك صوتا غريبًا لم أسمعه منك حتى أُسَرَّ به بقيّة يومى. فكأن الله أنسانى الغناء كلّه إلا هذا الصوت:

يا دارُ إن كان البِلَى قد مَحَاكِ * فإنه يُعجبنى أن أراكِ

أَبْكِى الذى قد كان لى مَأْلَفًا * فيكِ فآتى الدارَ من أجل ذاكِ

— والغناء فى هذا اللحن للأبْجَر رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المكّىّ وهو الصواب، وذكر عمرو بن بانة أنه لسُلَيْم — قال فتبيّنتُ الكراهيةَ فى وجهه، ونَدِمتُ على ما فَرَط منّى. وتجلّد فشرِب رِطلاً كان فى يده، وعدَلْتُ عن الصوت إلى غيره. فكان والله ذلك اليومُ آخرَ جلوسى معه.

غناء المنتصر

ومِمّن حُكِى عنه أنه صنَع فى شعره وشعر غيره المنتصرُ

فإنّى ذكرتُ ما رُوِى عنه أنه غنّى فيه على سوء العُهدة فى ذلك وضَعْف الصنعة، لئلا يَشُذّ عن الكتاب شىءٌ قد رُوِى وقد تداوله الناس. فمما ذُكر عنه أنه غنّى فيه:

١٧٦ / ٨

صوت

سُقِيتُ كأسًا كشَفَتْ * عن ناظرىَّ الخُمُرا

فنشَّطَتْنِى ولقد * كنتُ حزينا خاثِرا

الشعر للمنتصر، وهو شعرٌ ضعيفٌ رَكِيك إلا أنه يُغَنَّى فيه.

كان متخلفا في قول شعر ومتقدما في غيره وكان يخفي قبل الخلافة

وحدّثني الصُّولِيّ عن أحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أبيه قال :

كان طبع المنتصر متخلّفا في قول الشعر وكان متقدّما في كل شيء غيره؛ فكان إذا قال شعرا صنع فيه وأمر المغنّين بإظهاره ، وكان حسنَ العلم بالغناء . فلمّا ولي الخلافةَ قطع ذلك وأمر بستر ماتقدّم منه . من ذلك صَنْعتُه في شعره وهو من الثقيل الأوّل المذموم :

سُقِيتُ كأسًا كشَفَتْ * عن ناظريَّ الخُمُرَا

قال : ومن شعره الذي غَنّى فيه ولحنُه ثاني ثقيل :

صـــوت

متى تَرْفَعُ الأيّامُ مَنْ قد وضعْنَه * وينقادُ لي دهرٌ عليّ جَمُوحُ

أُعَلِّلُ نفسي بالرجاء وإنني * لأغدو على ما ساءني وأروحُ

قال: وكان أبي يَستجيد هذين البيتين ويستحسنهما . ونذكر هاهنا شيئا من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أُسوةَ ما فعلنا في نُظَرائه .

أراد الشرب علانية بجفاء الناس ثم وبه فقال شعرا فتفرقوا

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن يحيى بن أبي عبّاد قال حدّثني أبي قال :

أراد المنتصر أن يشرب في الزَّقاق، فوافَى الناسُ من كل وجه ليَرَوْه ويخدُموه؛ فوقف على شاطئ دِجْلة وأقبل على الناس فقال :

لَعَمْري لقد أَصْحرتْ خيلُنا * بأكناف دِجْلةَ للمَلْعَبِ

— والشعر "بأكناف دجلة للمُصعَب" ولكنّه غيّره لأنه تطيَّر من ذكر المُصْعَب —

فمَنْ يَكُ منّا يَبِتْ آمناً * ومَنْ يَكُ من غيرنا يهرُبِ

قال: فعُلِم أنه يريد الخَلْوةَ بالنُّدَماء والمغنّين، فانصرفوا، فلم يبق معه إلا من يَصلُح للأُنْس والخدمة .

جفا يزيد المهلبي لاختصاصه بالمتوكل ثم عفا عنه وأكرمه

حدّثنى الصُّولى قال حدّثنى أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال : كان أبى أخصَّ الناس بالمنتصر، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكّل . فدخل المتوكّل يوماً على المنتصر على غفلة، فسمع كلامَه فآستحسنه، فأخذه اليه وجعله فى جُلسائه . وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان، فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه، فعتَب عليه لتأخُّره عنه على ثقةٍ بمودّة وأُنس به . فلما أُفضتْ اليه الخلافة استأذن عليه، فحَجبه وأمر بأن يُعتقل فى الدار فحُبِس أكثرَ يومه . ثم أذِن له فدخل وسلَّم وقبَّل الأرضَ بين يديه ثم قبَّل يده، فأمره بالجلوس، ثم آلتفت الى بَنَان بن عَمْرو وقال له : غَنِّ، وكان العود فى يده، :

غدَرْتَ ولم أغدِر وخُنْتَ ولم أَخُنْ * ورُمْتَ بَديلاً بى ولم أتَبَدَّلِ

— قال : والشعر للمنتصر — فغنّاه بَنَانٌ . وعلم أبى أنه أراده بذلك فقام فقال : والله ما آخترتُ خدمةَ غيرك ولا صرتُ إليها إلا بعد إذنك . فقال : صدقت ، إنما قلتُ هذا مازحا ، أتُرانى أتجاوز بك حكمَ الله عزّ وجلّ إذ يقول : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيماً ﴾ . ثم آستأذنه فى الإنشاد فأذن له فأنشده :

ألَا يا قَومِ قد بَرِح الخفاء * وبان الصبرُ منّى والعزاءُ
تَعَجَّبَ صاحبى لضياع مثلى * وليس لداء محروم دواء
جفانى سيّدٌ قد كان برًّا * ولم أُذْنِبْ فما هذا الجفاء
حَلَلْتُ بدارِه وعلمتُ أنّى * بدار لا يَخيبُ بها الرجاء
فلمّا شاب رأسى فى ذَرَاه * حُجِبتُ بعُقْب ما بَعُد اللقاء[1]
فإن تَتَأَّى[2] سُتورُ الإذن عنّا * فما نأتِ المحبّةُ والثناء

(١) كذا فى أ . وفى سائر الأصول : «مابعد الرخاء» وهو تحريف . (٢) فى حـ : «تنى» .

وإن يَكُ كادنى ظلمًا عَدُوٌّ * فعند البحث يَنكشف الغطاء
ألم تر أنّ بالآفاق منّا * جماجِمَ حَشْوُ أقبرِها الوفاء
وقد وصف الزمانَ لنا زيادٌ (١) * وقال مقالةً فيها شفاء
ألَا يا رُبَّ مغمومٍ سيَحْظَى * بدولتنا ومسرورٍ يُساء
٥ أمنتصرَ الخلائف جُدْتَ فينا * كما جادت على الأرض السماء
وَسِعْتَ الناسَ عدلًا فآستقاموا * بأحكامٍ عليهنّ الضياء
وليس يفوتنا ما عِشْتَ خيرٌ * كفانا أن يطول لك البقاء

قال : فقال له المنتصر : والله إنك لمن ذوى ثقتى وموضعُ آختيارى ، ولك عندى الزُّلْفَى ، فطِبْ نفسًا . قال ووصلنى بثلاثة آلاف دينار .

شعر الحسين بن الضحاك فيه

١٠ حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال :

لمّا وَلِىَ المنتصرُ الخلافةَ دخل عليه الحسين بن الضحّاك فهنّأه بالخلافة وأنشده :

تجدّدتِ الدنيا بمُلْكِ محمدٍ * فأهلًا وسهلًا بالزمان المجدَّدِ
هى الدولة الغرّاء راحت وبكّرتْ * مُشَهَّرةً (٢) بالرُّشْد فى كل مَشْهَدِ
١٥ لَعَمْرِى لقد شَدَّتْ عُرَا الدِّين بَيْعةٌ * أعزّ بها الرحمنُ كلَّ موحِّدِ
هَنَتْكَ أميرَ المؤمنين خلافةٌ * جمَعْتَ بها أهواءَ أُمّة أحمدِ

قال : فأظهر إكرامَه والسرورَ به ، وقال له : إن فى بقائك بهاءً للملك ، وقد ضَعُفْتَ عن الحركة ، فكاتِبْنى بحاجاتك ولا تَحْمِلْ على نفسك بكثرة الحركة . ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضىَ بها دينًا بلغه أنه عليه .

٢٠ (١) يريد زياد ابن أبيه وهو معروف .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « مشمرة »

قال : وقال الحسين بن الضحّاك فيه وقد ركب الظهورَ وراءَه الناسُ، وهو آخر شعر قاله :

ألَا ليتَ شعرى أبَدْرٌ بَدَا * نهارًا أم المَلِكُ المنتصرْ
إمامٌ تَضَمَّنُ أثوابُه * على سَرْجه قمرًا من بَشَر
حمى اللهُ دولةَ سلطانه * بجُنْد القضاء وجُنْد القَدَر
فلا زال ما بَقِيتْ مدّةٌ * يروح بها الدهرُ أو يَبْتكِرْ

قال : وغنّى فيه بَنَانٌ وعَرِيبُ .

١٧٨ / ٨

شعر يزيد المهلبى فيه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمد بن يزيد المهلّبىّ قال : أوّل قصيدة أنشدها أبى فى المنتصر بعد أن وَلِىَ الخلافةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكٌ بالسعادة طائرُهْ * مَوَارِدُه محمودةٌ ومَصَادِرُهْ
فأنت الذى كنّا نُرَجّى فلم نَخِبْ * كما يُرْتَجَى من واقع الغيث باكره
بمنتصرٍ بالله تمّتْ أمورُنا * ومَنْ ينتصرْ بالله فاللهُ ناصره

فأمر المنتصرُ عَرِيبَ أن تغنّىَ نشيدًا فى أوّل الأبيات وتجعلَ البَسِيط فى البيت الأخير، فعملتْه وغنّتْه به .

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمد بن يزيد قال : صلّى المنتصرُ بالناس فى الأضحى سنة سبع وأربعين ومائتين، فأنشده أبى لمّا آنصرف :

ما آستشرف الناسُ عيدًا مثلَ عِيدِهمُ * مع الإمامِ الذى بالله ينتصرُ
غَدَا بجَمْع كجُنْح الليل يقدُمه * وجهٌ أغرُّ كما يجلو الدُّجَى القمرُ
يَؤُمُّهم صادعٌ بالحق أَحْكَمه * حزمٌ وعلمٌ بما يأتى وما يَذَرُ
لو خُيِّر الناسُ فآختاروا لأنفسهم * أحظَّ منك لِما نالوه ما قدَروا

قال : فأمر له بألف دينار، وتقدّم إلى آبن المكّىّ أن يغنّىَ فى الأبيات .

غناء بنان بن عمرو بشعر مروان فأمره ألا يغنى فى شعر آل أبى حفصة

حدثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى قال حدّثنى بَنَانُ بن عمرو المغنّى قال : غنّيتُ يومًا بين يَدَىِ المنتصر :

هــل تَطْمِسون من السماء نجومَها * بأكُفِّكم أو تسـتُرون هلالَـا

فقال لى : إيّاك وأن تغنِّىَ بحضرتى هـذا الصوتَ وأشباهَه ، فـا أُحِبُّ أن أغنَّى إلّا[1] فى أشعار آل أبى حَفْصةَ خاصّة .

غناء المعتز بالله

وممن هــذه سبيلُه فى صنعة الغِناء المعتزّ بالله :

فإنى لم أجد له منهـا شيئا إلا ما ذكره الصُّولىّ فى أخباره ؛ فأتيت بما حكاه للعلّة التى قدّمتُها من أنّى كرِهتُ أن يُخِلّ الكتاب بشىء قد دونه الناس وتعارفوه . فما ذكر أنه غنّى فيه :

صـــوت

لعَمْرِى لقد أَصْحرتْ خيلُنا * بأكنـاف دِجْلَةَ للمُصْعَبِ

فمَنْ يَكُ منّـا يَبِتْ آمنًـا * ومن يَكُ من غيرنا يَهْـرُبِ

الشعر لعَدِىّ بن الرِّقَاع . والغِناء للمعتزّ خفيفُ رَمَلٍ . وهذه الأبيات من قصيدة لعدىّ يقولهـا فى الوقعة التى كانت بين عبـد الملك بن مَرْوانَ والمُصْعَب بن الزُّبَير بطَسُّوج[2] مَسْكِن ، فقُتل فيهـا مصعبٌ بقرية من مَسْكِن يقال لهـا دَيْرُ الجاثَلِيق ، وذكرتْه الشعراءُ فى هذه الأبيات :

لَعَمْرِى لقد أَصْحرتْ خيلُنا * بأكناف دِجْـلةَ للمُصْعَبِ

(١) لعله : « فـا أحب أن أغنى فى أشعار الخ » بحذف « إلا » ؛ لأن هذا البيت من قصيدة مشهورة لمروان بن أبى حفصة مطلعها :

طرقتك زائرة فحى خيالها * بيضاء تخلط بالجمال دلالها

(٢) الطسوج : القرية أو الناحيـة . وطسوج مسكن : بالعراق . ودير الجاثليق يقع من طسوج مسكن غربى دجلة قرب بغداد من آخر السواد وأوّل أرض تكريت .

يهزّون كلّ طويل القنا * ة لدْن ومعتدل الثّعلب[1]

فداؤك أمّى وأبناؤها * وإن شئتَ زدتُ عليها أبى

وما قلتُها رهبةً إنما * يحلّ العقابُ على المذنب

إذا شئتُ نازلتُ مُسْتقتِلًا * أُزاحِمُ كالجمل الأجرب

فمن يكُ منّا يبتْ آمناً * ومن يكُ من غيرنا يهرُب

(١) الثعلب هنا : رأس الرمح .

أخبار عَدِىّ بن الرِّقَاع ونسبه

نسبه

هو عَدِىّ بن زيد بن مالك بن عَدِىّ بن الرِّقَاع بن عَصْر بن عَكّ(١) بن شَعْل(٢) بن معاوية بن الحارث وهو عاملةُ بن عَدِىّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد. وأُمّ معاويةَ ابنِ الحارث عاملةُ بنت وَدِيعةَ من قُضَاعة، وبها سُمُّوا عاملةَ . ونَسَبه الناسُ إلى الرِّقَاع، وهو جدُّ جدّه، لشهرته؛ أخبرنى بذلك أبو خَليفةَ عن محمد بن سَلّام .

شاعر أموى اختص بالوليد ابن عبد الملك

وكان شاعرا مقدّما عند بنى أُمَيّة مَدّاحا لهم خاصًّا بالوليد بن عبد الملك . وله بنت شاعرة يقال لها سَلْمَى، ذكر ذلك آبن النَّطّاح . وجعله محمد بن سَلّام فى الطبقة

جعله ابن سلام فى الطبقة الثالثة

الثالثة من شعراء الإسلام . وكان منزله بدمشق . وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرّض لجرير وناقضه فى مجلس الوليد بن عبد الملك، ثم لم تتمّ بينهما مُهاجاةٌ، إلّا أنّ جريرا قد هجاه تعريضاً فى قصيدته :

* حَىِّ الهِدَمْلَةَ(٣) من ذات المَوَاعِيس *

ولم يصرّح لأن الوليد حلَف إن هو هجاه أَسْرَجَه وأَلْجَمه وحمله على ظهره، فلم يصرّح بهجائه .

ما جرى بينه وبين جرير فى حضرة الوليد بن عبد الملك

أخبرنى أبو خَلِيفَةَ إجازةً قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال أخبرنى أبو الغَرّاف قال : دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عَدِىّ بن الرِّقَاع العاملىّ . فقال الوليد لجرير : أتعرف هذا ؟ . قال : لا يا أمير المؤمنين . فقال الوليد :

---

(١) كذا فى الأصول . وفى شرح القاموس مادة (رقع) : « عدى » . وفى المقتضب لياقوت (ص ٧٩) : « عدة » . (٢) كذا فى شرح القاموس والاشتقاق لابن دريد والمقتضب . وفى الأصول : « شغل » بالغين المعجمة، وهو تصحيف . (٣) الهدملة والمواعيس : موضعان .

هـذا عدىّ بن الرِّقاع . فقال جرير : فشَرُّ الثيابِ الرِّقاعُ ، قال : ممّن هو ؟ قال : العاملىّ . فقال جرير : هى التى يقول [فيها] الله عزّ وجلّ ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾ . ثم قال :

يُقَصِّر باعُ العاملىِّ عن النَّـدَى * ولكنّ أيْرَ العامـلِىِّ طـويلُ

فقال له عَدِىّ بن الرِّقاع :

أأُمُّكَ كانت أخـبرتْك بطُوله * أمَ انت امرؤٌ لم تَدْرِ كيف تقول

فقـال لا ! بل أدرى كيف أقول . فوثَب العاملىّ الى رِجْل الوليد فقبّلها وقال : أجِرْنى منه . فقال الوليد لجرير : لئن شتمتَه لأُسْرِجنّك ولألجمنّك حتى يركبك فيعيِّرَكَ الشعراءُ بذلك . فكنى جريرٌ عن ٱسمه فقال :

إنى إذا الشاعرِ المغرورُ حَرَّبنى * جارٌ لقبرٍ على مَرّانَ مَرْمُوسِ[1]

قـد كان أشْـوَسَ آباءِ فورّثنا * شَغْبًا على الناس فى أبنائه الشُّوسِ[2]

أقصِرْ فإنّ نِزارًا لن يفاضِـلَها[3] * فرعٌ لئيمٌ وأصـلٌ غيرُ مغروسِ

وٱبن اللَّبُون إذا ما لُزّ فى قَرَنٍ * لم يَستطعْ صَوْلةَ البُزْلِ القَناعِيسِ

أخبرنى أحمـد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَـبّة قال قال أبو عُبَيدة :

دخل جريرٌ على الوليد بن عبد الملك وعنـده عدىُّ بن الرِّقاع العاملىّ . فقال له الوليد : أتعرف هذا؟ قال : لا ، فمن هو ؟ قال : هذا ٱبن الرِّقاع . قال : فشَرُّ الثياب الرِّقاع ، فممّن هو؟ قال : من عاملةَ . قال : أمن التى قال الله تعالى فيها : ﴿عَامِلَةٌ

(١) أراد قبر تميم بن مر بمرّان على أربع مراحل من مكة الى البصرة . وحربنى : أغضبنى ، يقال : منه حرب الرجل يحرب حربا (من باب فرح) . (٢) الشوس (بالتحريك) : التكبر والنظر بمؤخر العين .

(٣) كذا فى ديوانه المخطوط . وفى أكثر الأصول : « لن يفاخركم » . وفى س : « لن يفاخرهم » .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

١٨٠ / ٨

نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴾ ! . فقال الوليد: والله لَيَرْكَبَنّك ! لشاعرنا ومادِحنا والراثى لأمواتنا تقول هذه المقالة ! يا غلام علىّ بإكَافٍ[1] ولجام . فقام اليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيَه فأعفاه . فقال : والله لئن هجوتَه لأفعلنّ ولأفعلنّ . فلم يصرّح بهجائه وعرّض، فقال قصيدته التى أوّلها :

٥ * حَىِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَوَاعِيسِ *

وقال فيها يعرّض به :

قد جَرّبَتْ عَرَكِى فى كلّ مُعْتَرَكٍ * غُلْبُ الأُسـودِ فما بالُ الضَّغَابِيسِ[2]

فضّل جرير عليه كثيرا فى مجلس بعض الخلفاء

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَـلاء قال حدّثنى الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى سليمان ابن عَيّاش السَّعْدىّ قال :

١٠ ذُكِرَ كُثَيِّر وعدىّ بن الرِّقَاع العاملىّ فى مجلس بعض خُلفاء بنى أُمَيّة، فَٱمْتَرَوْا فيهما أيُّهما أشـعر وفى المجلس جرير . فقال جرير : لقد قال كُثَيِّر بيتًا هو أشهر وأعرَف فى الناس من عَدِىّ بن الرِّقاع نفسِـه، ثم أنشد قولَ كثيِّر :

أألْن زُمَّ أجمـالٌ وفارق جِـيرةٌ * وصاح غرابُ البين أنت حزينُ

قال: فحلف الخليفة لئن كان عدىٌّ بن الرِّقَاع أعرَفَ فى الناس من بيت كثيِّر لَيُسْرِجَنّ

١٥ جَرِيرًا ولَيُلْجِمنَّه ولَيَرْكَبَنّ عَدِىٌّ بن الرِّقَاع على ظهره . فكتب إلى والِيـه بالمدينة : إذا فرغتَ من خطبتك فَسَلِ الناسَ من الذى يقول :

أألْن زُمَّ أجمـالٌ وفارق جِـيرةٌ * وصاح غرابُ البين أنت حزين

وعن نسب ٱبن الرِّقَاع . فلمّا فرغ الوالى من خطبته قال : إنّ أمير المؤمنين كتب إلىّ أن أسألكم من الذى يقول :

٢٠ * أألْن زُمّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ *

(١) الإكاف : برذعة الحمار . (٢) الغلب : جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة . والضغابيس : جمع ضغبوس وهو الضعيف .

قال : فٱبتَدروا من كل وجه يقولون : كُثِّر كثِّر . ثم قال : وأمرنى أن أسأل عن نسب ٱبن الرِّقَاع ، فقالوا : لا ندرى ، حتى قام أعرابىٌّ من مؤخَّر المسجد فقال : هو من عاملة .

نقد محمد بن المنجم بيتا من شعره

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه قال قال لى محمد بن المنجِّم : ما أحدٌ ذُكر لى فأحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرتُ بصَفْعه إلا عَدِىَّ بن الرِّقَاع . قلت : ولِم ذلك ؟ قال : لقوله :

وعلمتُ حتى ما أُسائل عالمًا * عن علم واحدةٍ لكى أزدادَها

فكنت أَعْرِض عليه أصنافَ العلوم ، فكلما مَرَّ به شىء لا يُحسنه أمرتُ بصفعه .

جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم

حدّثنى إبراهيم بن محمد بن أَيُّوبَ قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم قال : كان عدىُّ بن الرِّقَاع ينزل بالشام ، وكانت له بنت تقول الشعر . فأتاه ناس من الشعراء لِيُماتِنُوه(1) وكان غائبًا ، فسمعت بنتُه وهى صغيرة لم تبلُغْ دَوْرَ وَعيدِهم ، فخرجتْ إليهم وأنشأتْ تقول :

تجمّعتُمُ من كل أَوْبٍ وبَلْدةٍ * على واحدٍ لا زلتُمُ قِرْنَ واحدِ

فأفحمتْهم :

كان من أوصف الشعراء للطية

وقال عبد الله بن مُسْلِم :

ومما يَنْفرد به و يقدّم فيه وصفُ المطيّة ؛ فإنه كان من أوصف الشعراء لها .

استحسن أبو عمرو شعره

حدّثنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا محمد بن عبّاد بن موسى قال : كنت عند أبى عمرو أَعْرِض أو يَعْرِض عليه رجلٌ بحضرتى من شعر عَدِىّ بن الرِّقَاع ، وقرأتُ أو قرأ هذه الأبيات :

(1) ماتنه فى الشعر : عارضه .

لولا الحياءُ وأنّ رأسى قد عَسَا[1] * فيه المَشِيبُ لزُرْتُ أمَّ القاسِمِ

١٨١ / ٨

وكأنها وَسْطَ النساء أعارَها * عينيه أَحْوَرُ من جآذِرِ جاسِمِ

وَسْنانُ أَقْصدَه النُّعاسُ فرَنَّقتْ * فى عينه سِنَةٌ وليس بنائمِ

فقال أبو عمرو : أحسنَ واللهِ ! . فقال رجل كان يحضُر مجلسه أعرابىٌّ كأنه مدنىٌّ : أمَا والله لو رأيتَه مشبوحاً بين أربعةٍ وقُضْبانُ الدِّفْلَى[2] تأخذه لكنتَ أشدَّ له آستحسانا . يعنى اذا كان يُغَنَّى به على العود .

استحسن أبو عبيدة بيتا له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد عن علىّ بن المغيرة قال :

كان أبو عُبَيدة يستحسن بيت عدىّ بن الرِّقاع :

وَسْنانُ أَقْصدَه النُّعاس فرَنَّقَتْ * فى عينه سِنَةٌ وليس بنائمِ

جدًّا ويقول : ما قال أحد فى مثل هذا المعنى أحسن منه فى هذا الشعر . وفى هذا الشعر غناء، نسبتُه :

صـــوت

لولا الحياءُ وأن رأسىَ قد عَسَا * فيه المَشِيبُ لزُرْتُ أمَّ القاسِمِ

وكأنّها وَسْطَ النساء أعارَها * عينيه أَحْوَرُ من جآذِرِ جاسِمِ

وَسْنانُ أَقْصدَه النُّعاسُ فرَنَّقتْ * فى عينه سِنَةٌ وليس بنائمِ

أَلْمِمْ على طَلَلٍ عَفَا مُتَقادِمِ * بين الذُّوَيْبِ[3] وبين غَيْبِ النّاعِمِ

---

(١) عسا : اشتد . (٢) الدفلى : نبت مرّ زهره كالورد الأحمر وحمله كالخروب .

(٣) كذا فى معجم البلدان فى الكلام عن الذويب وغيب الناعم . وفى الأصول : « الركيك » وهو تحريف . والذويب : ماء بجدلبنى دهمان بن نصر بن معاوية . وذكر ياقوت أن غيب الناعم موضع فى شعر عدى بن الرقاع، وذكر البيت .

عروضه من الكامل . الجآذر : جمع جُؤْذُر وهى أولاد البقر الوحشيّة . وجاسِمٌ: موضع . ويُروى فى هـذا الشعر "عاسِم" مكان "جاسِم" . والوَسْنَانُ : النائم ، والوَسَنُ النوم، الواحدة منه سِنَة . والتّرْنيق: الدنُوُّ من الشىء يريد أن يفعله ، يقال: رَنّقت العُقابُ لصيدها إذا دَنَتْ منـه ، وترنيقُها أيضا أن تُقَصِّر عن الخَفَقان بجَناحيها . ويقال : طيرٌ مرنِّقة إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوعَ ومدَّتْ أجنحتَها فلم تَخْفِق وترجَّحتْ . ويقال للقوم إذا قصّروا فى سيرهم، وللسابح إذا قصّر فى الخفْق بيديه ورجليه: قد رنّقوا ترنيقا . الشـعر لعدِىّ بن الرِّقاع . والغِناء لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاقَ ، وفيه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر يُنسب إليه أيضا ، وذكر الهِشامىّ أنه من منحول يحيى بن المَكِّىّ إليه .

استحسن أبو عمرو شعره واستحسن مدنى الغناء به

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو قال :

كنت عند أبى ورجلٌ يقرأ عليه شعر عَدِىّ بن الرِّقاع . فلما قرأ عليه القصيدة التى يقول فيها :

لولا الحياءُ وأنّ رأسِىَ قد عَسَا * فيـه المَشيبُ لزرتُ أمَّ القاسم

قال أبى : أحسن والله عَدِىُّ بن الرِّقاع ! . قال: وعنده شيخ مَدَنِىّ جالس، فقال الشـيخ : والله لئن كان عَدِىٌّ أحسن لَمَا أساء أبو عَبّاد . قال أبى : ومن هو أبو عبّاد ؟ قال: مَعْبَد . والله لو سمعتَ لحنه فى هـذا الشعر لكان طربُك أشـدَّ واستحسانُك له أكثرَ . فجعل أبى يضحك .

مدح عبيدة بن عبد الرحمن حين عزله الوليد بجفاء الوليد ثم رضى عنه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن جَرير عن محمد بن سَلّام قال :

عزل الوليدُ بن عبد الملك عُبَيْدَةَ بن عبد الرحمن عن الأُرْدُنّ وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للتوكّلين به : من أتاه متوجّعًا وأثنى عليه فأتونى به . فأتى عَدىُّ ابن الرِّقاع، وكان عُبَيْدة إليه محسنا، فوقف عليه وأنشأ يقول :

١٨٢
٨

فما عزلوك مسبوقًا ولكن * إلى الخيرات سَبّاقًا جَوَادا

وكنتَ أخى وما ولدتْك أُمّى * وَصُولًا باذلًا لى مستزادا

٥

وقد هِيضتْ لِنَكْبتك القُدَامَى * كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثّب المتوكّلون به اليه، فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جَرى . فتغيّظ عليه الوليد وقال له : أتمدح رجلًا قد فعلتُ به ما فعلت ! . فقال : يا أمير المؤمنين، إنه كان إلىّ مُحْسِنا، ولى مُؤْثِرا، وبى بَرًّا، ففى أىّ وقت كنت أُكافئه بعد هذا اليوم ! . فقال: صدقتَ وكَرُمتَ ! فقد عفوتُ عنك وعنه لك ! خُذْه وانْصرِفْ. فانصرف به إلى منزله .

١٠

عدّه جرير أنسب الشعراء لشعرله

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنى أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال :

قال نوح بن جَرير لأبيه : يا أبتِ، مَنْ أنْسَبُ الشعراء؟ قال له : أتعنى ما قلتُ؟ قال: إنّى لست أُريد من شعرك إنما أُريد من شعر غيرك . قال : ابنُ الرِّقاع فى قوله :

لولا الحياء وأنّ رأسىَ قد عَسَا * فيه المَشيب لزُرْتُ أُمَّ القاسم

١٥

الثلاثةَ الأبياتِ . ثم قال لى : ما كان يُبالِى أن لم يقل بعدها شيئا .

عجب جرير من توفقه فى تشبيه دقيق

أخبرنى الحسن بن علىّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنىّ قال :

قال جَرير: سمعت عَدِىَّ بن الرِّقاع يُنشد :

* تُزْجِى أغَنَّ كأنّ إبرةَ رَوْقِه[1] *

٢٠

(١) الروق : القرن .

فرَحِمتُه من هذا التشبيه فقلت : بأىّ شىء يُشَبِّهه تُرَى! فلما قال :

* قلمٌ أصاب من الدَّواةِ مِدادَها *

رحِمتْ نفسى منه .

تابع روح بن زنباع ثم خالفه وتابع نائل بن قيس فى نسبهم

أخبرنى اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى عُبيد الله عن آبن حَبيبَ عن أبى عُبَيْدة قال :

مال رَوْح بن زِنْباع الجُذَامىّ إلى يزيد بن معاوية لمّا فصَل بين الخطبتين ٥
فقال : يا أمير المؤمنين، أَلحِقْنا بإخوتنا من معَدٍّ فإنا معَدِّيُّون، والله ما نحن من
قَصَب الشأم ولا من زعاف اليمن(١) . فقال يزيد : إن أجمع قومُك على ذلك جعلناك
حيث شئتَ . فبلغ ذلك عَدِىَّ بن الرِّقَاع فقال :

إنَّا رَضِينا و إن غابت جماعتُنا * ما قال سيِّدُنا رَوْح بن زِنْباع
يرعَى ثمانين ألفًا كان مثلُهمُ * ممَّا يُخالِف أحيانًا على الرّاعى ١٠

قال : فبلغ ذلك نائلَ بن قَيْس الجُذَامىّ، فجاء يركُض فرسَه حتى دخل المقصورةَ
فى الجمعة الثانية . فلمّا قام يزيد على المنبر، وثَب فقال : أين الغادر الكاذب رَوْح
ابن زِنْباع؟! فأشاروا إلى مجلسه . فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال : يا أمير المؤمنين،
قد بلغنى ما قال لك هذا، وما نعرف شيئا منه ولا نُقِرُّ به، ولكنّا قوم من قَحْطان يَسَعُنا
ما يسعهم و يَعْجِز عنّا ما يعجز عنهم . فأمسك رَوْح ورجع عن رأيه . فقال عَدِىّ ١٥
ابن الرقَاع فى ذلك :

أضلالُ ليلٍ ساقطٍ أكنافُه * فى الناس أعْذَرُ أم ضلالُ نهارِ
قَحْطانُ والدُنا الذى نُدْعَى له * وأبو خُزَيْمةَ خِنْدِفُ بن نِزار

(١) كذا فى الأصول . ولعله «من رعان اليمن» أى جبالها أو «من زعانف اليمن» .

أنبيــع والدّنا الذى نُدْعَى له * بأبى مَعَاشِرَ غائبٍ مُتَــوارِى

تلك التجارةُ لا زَكَاءَ لمثلهـا * ذهبٌ يبـاع بآنُكٍ[(١)] وإبار

١٨٣ / ٨

فقال له يزيد : غَيَّرتَ يابنَ الرِّقاع . قال : إنَّ نائلًا والله علىّ أعزُّهما سُخْطًا، وأنصحُهما لى ولعَشيرتى . قال أبو عُبَيدة : الإبار : جمع إبرة .

ما كان بينه وبين ابن سريج فى حضرة الوليد ابن عبد الملك

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم :

أن الأحوص وابنَ سُرَيج قَدِما المدينـةَ[(٢)]، فنزلا فى بعض الخانات ليُصْلِحا من شأنهما، وقد قدم عَدىٌّ بن الرِّقاع وكانت هذه حالَه، فنزل عليهما . فلما كان فى بعض الليل أفاضوا فى الأحاديث، فقال عَدىٌّ بن الرِّقاع لابن سُرَيج : والله لخروجُنا كان إلى أمير المؤمنين أَجْدَى علينا من المُقام معك يامولى بنى نَوْفَل . قال : وكيف ذلك؟ قال : لأنك تُوشِك أن تُلْهِيَنا فتشغَلَنا عمّا قصدنا له . فقال له ابن سُرَيج : أوَ قِلّةَ شكرٍ أيضا ! . فغضب عَدىٌّ وقال : إنك لَتَمُنُّ علينا أن نزلنا عليك، وإنى أُعاهد الله ألّا يُظِلَّنِى وإياكَ سقفٌ إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين . وخرج من عندهما . وقدم الوليد من باديته فأذن لهما فدخلا . وبلغه خبر ابن الرِّقاع وما جرى بينه وبين ابن سُرَيج؛ فأمر بابنِ سُرَيج فأُخْفِىَ[(٣)] فى بيت ودعا بعَدىٍّ فأدخله، فأنشده قصيدةً امتدحه بها . فلمـا فرَغ، أومأ إلى بعض الخدَم فأمر ابنَ سُرَيج فغنّى فى شـعر عَدىٍّ بن الرِّقاع يمدح الوليدَ :

عرَف الديارَ تَوَهُّمًـا فاعتادها[(٤)] * من بعـد ما شَمِل البِلَى أبلادَها

---

(١) الآنك : الرصاص . (٢) كذا فى الأصول . والأحرى أن تكون «دمشق» إذ المعروف أن دمشق كانت عاصمة ملك بنى أمية التى كان يقصد اليها الزوّاد والوافدون وبها ينزلون .

(٣) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : «فأدخل» . (٤) اعتادها : أعاد معرفتها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها . وشمل : عم . والأبلاد : الآثار .

فطرِب عَدِىٌّ وقال : لا والله ما سمعتُ يا أمير المؤمنين بمثل هـذا قطُّ ولا ظننت أن يكون مثلُه طِيبًا وحُسْنًا. ولولا أنه فى مجلس أمير المؤمنين لقلتُ طائفٌ من الجنّ. أيأذَن لى أمير المؤمنين أن أقول ؟ قال : قل . قال : مثلُ هـذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ٱبن سُرَيج يتخطّى به قبائلَ العرب فيقال : ابنُ سُرَيج المغنِّى مولى بنى نَوْفَل بعث أمير المؤمنين اليه ! . فضحك ثم قال للخادم : أَخرِجْه فخرج . فلما رآه عدِىٌّ أَطْرَق خَجِلًا ثم قال : المعذرةَ إلى الله و إليك يا أخى، فما ظننتُ أنك بهذه المنزلة ، و إنك لحَقيقٌ أن تُحْتَمَل على كل هفوة وخطيئة . فأمر لهم الوليد بمال سَوّى بينهم فيه، ونادمهم يومئذ إلى الليل .

نسبة هذا الصوت المذكور فى هذا الخبر وسائرِ ما مضى فى أخبار عَدى قبله من الأشعار التى فيها غناء :

صـــوت

عرَف الدِّيارَ تَوَهُّمًا فٱعتادها * من بعد ما شمِل البِلَى أبلادَها

إلّا رَوَا كِدَ كلُّهن قد ٱصطلَى * حمراءَ أَشْعل أهلُها إيقادَها

عروضه من الكامل . الشعر لعَدِىّ بن الرِّقَاع . والغناء لٱبن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

أنشد كثيرًا فى حضرة الوليد ابن عبد الملك

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنى أحمد بن الهَيْثم بن فِرَاس قال حدّثنى العُمَرىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال :

أنشد عَدِىٌّ بن الرِّقَاع الوليدَ بن عبد الملك قصيدتَه التى أوّلها :

* عرَف الديارَ تَوَهُّمًا فٱعتادها *

وعنده كثيِّر وقد كان يَبلُغه عن عَدِىّ أنه يطعن على شعره و يقول: هذا شعر حجازىٌّ مَقْرورٌ إذا أصابه قُرُّ الشام جمَد وهلَك . فأنشده إيّاها حتى أتى على قوله :

١٨٤
٨

وقصيدةٍ قد بِتُّ أجمع بينها * حتى أقوِّمَ مَيْلَها وسِنَادها(١)

فقال له كثيِّر : لو كنتَ مطبوعا أو فصيحا أو عالما لم تأتِ فيها بميلٍ ولا سِنَاد فتحتاج إلى أن تقوِّمها . ثم أنشد :

نَظَرَ المثقِّف فى كُعوب قَنَاته * حتى يُقِيمَ ثِقافُه مُنْآدَها

٥ فقال له كثيِّر : لا جَرَمَ أنّ الأيام إذا تطاولتْ عليها عادت عوجاءَ ، ولأن تكونَ مستقيمةً لا تحتاج الى ثِقَافٍ أجودُ لها . ثم أنْشد :

وعلمتُ حتى ما أُسائل واحدًا * عن علم واحدةٍ لكى أزدادَها

فقال كثيِّر : كذَبتَ وربِّ البيت الحرام ! فليمتحنْك أميرُ المؤمنين بأن يسألك عن صِغار الأمور دون كِبارها حتى يتبيَّنَ جهلك . وما كنتَ قطُّ أحمقَ منك الآنَ حيث تظنّ
١٠ هذا بنفسك . فضحك الوليد ومَنْ حضر، وقُطِع بعدىٍّ بن الرِّقَاع حتى ما نطَق .

(١) يريد بالسناد هنا عيبا فى الشعر . والسناد فى اصطلاح العروضيين هو اختلاف الحرف الذى قبل الردف بالفتح والكسر . والردف هو حرف اللين الذى قبل الروىّ . (انظر الكلام عليه فى العقد الفريد ج ٣ ص ٢٢٢ — ٢٢٣ طبع بلاق ، واللسان مادة « سند ») .

أخبار المعتزّ فى الأغانى ومع المغنّين وما جَرَى هذا المجرَى

شعره فى جارية يهواها

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى علىّ بن محمد بن نصر(1) قال حدّثنى جدّى حَمْدون بن إسماعيل قال :

اصطبح المعتزّ فى يوم ثُلَاثاءَ ونحن بين يديه ثم وثَب فدخل ، واعترضتْه جارية كان يحبّها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبّلها وخرج؛ فحدّثنى بما كان وأنشدنى لنفسه فى ذلك :

صــــوت

إنى قَمَرْتُكَ يا سؤلى ويا أمَلِى * أمرًا مُطاعًا بلا مَطْلٍ ولا عِلَلِ
حتّى متى ياحبيبَ النفس تَمْطُلنى * وقد قمرتك(2) مَرّاتٍ فلم تَفِ لى
يومُ الثلاثاء يومٌ سوف أشكره * إذ زارنى فيه مَنْ أهوى على عَجَلِ
فلم أنَلْ منه شيئا غيرَ قُبْلته * وكان ذلك عندى أعظمَ النَّفَلِ

قال : وعُمِل فيه لحن خفيف وشربنا عليه سائرَ يومنا . الغناء فى هذه الأبيات لعَرِيبَ رَمَلٌ عن الهشامىّ . ولأبى العُبَيْس فى الثالث والرابع هَزَجٌ .

طارحه بنان المغنى فى بيت من الشعر وتغنى فيه

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمد بن يزيد المهلّبىّ قال حدّثنى أبى قال :

كان المعتزّ يشرب على بستان مملوء من النمَّام(3) وبين النمّام شقائق النعمان ، فدخل اليه يونس بن بُغَا وعليه قَبَاءٌ أخضر ؛ فقال المعتزّ :

(1) فى الأصول : « محمد بن على بن نصر » . وقد تقدّم هذا الاسم غير مرة كما أثبتناه .

(2) كذا فى ا ، م . وفى سائر الأصول : « قصدتك » . (3) النمام : نبت ورقه كالسذاب عطرىّ قوىّ الرائحة . سمى بذلك لسطوع رائحته .

صـــــوت

شبّهتُ حُمرةَ خدّه فى ثوبه * بشـقائق النُّعمان فى النمّـامِ

ثم قال : أَجيزوا . فابتدر بَنَانُ المُغَنّى ، وكان ربّما عبِث بالبيت بعد البيت ، فقال :

والقَدُّ منه إذا بدا فى قَرْطَقٍ[1] * كالغصن فى لِينٍ وحسنِ قَوامِ

٥ فقال له المعتزّ : فغَنّ فيه الآن ، فعمِل فيه لحنا . لحنُ بَنَانٍ فى هذين البيتين من خفيف الثقيل الثانى وهو المـاخُورِىّ .

أخبر بوفاة أم يونس بن بغا فغتر المجلس ثم عاد أحسن ما كان

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى محمد بن يحيى بن أبى عبّاد قال حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك قال :

شرب المعتزّ و يونس بن بُغَا بين يديه يَسْقيه والجلساءُ والمغنُّون بين يديه وقد أَعَدّ

١٠ الخِلَعَ والجوائز، إذ دخل بُغَا فقال : يا أمير المؤمنين ، والدة عبدك يونسَ فى الموت وهى تُحِبّ أن تراه ؛ فأذن له فخرج . وفَتَرَ المعتزُّ ونَعَس بعده ، وقام الجلساء وتفرّق المغنُّون ، الى أن صُلّيت المغرب ، وعاد المعتزّ إلى مجلسه ، ودخل يونس و بين يديه الشموع . فلما رآه المعتزّ دعا بِرِطْلٍ فشربه وسقَى يونسَ رِطْلًا وغنّاه المغنُّون ، وعاد المجلس أحسنَ ما كان ؛ فقال المعتزّ :

١٥ صـــــوت

تَغِيبُ فـــلا أَفْرَحُ * فليتَـــك ما تَبْرَحُ

وإنْ جئتَ عذَّبتَنى * بأنّك لا تَسْـــمَحُ

فأصبحتُ ما بين ذَيْـ * ـنِ لى كبِـــدٌ تُجْـــرَحُ

على ذاك يا سـيِّدى * دُنُوُّك لى أَصْـــلَحُ

٢٠ ثم قال : غنُّوا فيــه ، فجعلوا يفكّرون . فقال المعتزُّ لسليمان بن القَصّار الطُّنْبُورىّ : وَيْلَكَ ! ألحانُ الطُّنبور أَملَحُ وأخفُّ فغَنّ فيه أنت ؛ فغنّى فيه لحنا ؛ فدفع اليه دنانيرَ

---

(١) القرطق : قباء ذو طاق واحد (معرب) .

الخَريطة وهى مائة دينار مكيّة ومائتان مكتوبٌ على كلّ دينار منها "ضُرب هــذا الدينار بالجَوْسَق بخريطة أمير المؤمنين المعتزّ بالله"[1] ثم دعا بالخِلَع والجوائز لسائر الناس، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس .

لحنُ سليمانَ بن القصّار فى هذه الأبيات رَمَلٌ مطلَق .

لما قتل بغا هنأه الناس بالظفر

حدّثنى الصُّولى قال حدّثنى محمد بن عبد السميع الهاشمى قال حدّثنى أبى قال: ٥

لمّا قُتل بُغَا[2] دخلنا فهنأنا المعتزّ بالظَّفَر، فآصطبح ومعه يونس بن بُغَا، وما رأينا قطُّ وجهين آجتمعا أحسنَ من وجهيهما . فما مضت ثلاثُ ساعات حتى سكِر، ثم خرج علينا المعتزّ فقال :

ما إنْ تَرَى مَنْظَراً إن شئته حسنًا * إلّا صَريعًا يُهَادَى[3] بين سُكْرَيْنِ

سُكْرِ الشراب وسكرٍ من هَوَى رَشَاٍ * تخـاله والذى يَهْـواه غُصْنَيْنِ ١٠

ثم أمر فتغنَّى فيه بعضُ المغنِّين .

قصة المعتز ويونس ابن بغا مع ديرانى

حدثنى الصُّولى قال حدّثنى أحمد بن محمـد بن إسحاق الخُرَاسانىّ قال حدّثنى الفضل بن العبّاس[4] بن المأمون قال :

(١) لعله : «لخريطة أمير المؤمنين» أى ضربت لخزانته الخاصة .

(٢) هو أحد قوّاد الأتراك المبرزين وقد اشترك فى قتل المتوكل بدسيسة من ابنه المنتصر، وكان يتولى الحرس ليلة قتل فسهل للقتلة الدخول للقصر . خدم عدّة خلفاء فى الدولة العباسية . وجفاه المعتز فوكل به وليدا المغربى فقتله غيلة وحمل رأسه اليه، فوهبه عشرة آلاف دينار وخلع عليه خلعة، ونصب رأسه بسامرا ثم ببغداد . (راجع الطبرى القسم الثالث ص ١٤٥٨ — ١٤٦١، ١٦٩٤ — ١٤٩٧) . ١٥

(٣) جاء فلان يهادى بين اثنين مهاداة (بالبناء للفعول) : جاء يتمايل .   (٤) كذا فى مسالك الأبصار (حـ ١ ص ٢٨٢ طبع دار الكتب المصرية) ومعجم البلدان فى كلامهما عن دير مرمار — ٢٠ وفى معجم البلدان : « دير مرمارى » بياء . وفى الأصول : « العباس بن الفضل بن المأمون » . وذكر اليعقوبى فى تاريخه أن المأمون خلف من الولد الذكور ستة عشر وذكر منهم « العباس » و « الفضل » .

كنت مع المعتزّ فى الصيد، فآنقطع عن الموكب وأنا ويونس بن بُغَا معه، ونحن بقرب قَنْطَرة وَصِيف[1]، وكان هناك دَيْرٌ فيه دَيْرَانِىٌّ يعرفنى وأعرفه، نظيفٌ ظريفٌ مليحُ الأدب واللفظ. فشكا المعتزُّ العطشَ. فقلت: يا أمير المؤمنين، فى هذا الدير دَيْرانِىٌّ أعرفه خفيفُ الروح لا يخلو من ماء بارد، أفترى أن تميلَ اليه؟ قال نعم. فجئناه فأخرج لنا ماءً بارِدًا، وسألنى عن المعتزّ ويونس فقلت: فَتَيانِ من أبناء الجُنْد؛ فقال: بل مُفْلَتانِ من حُورِ الجَنّة. فقلت له: هذا ليس فى دِينك. فقال: هو الآن فى دينى. فضحك المعتزّ. فقال لى الدَّيْرانِىُّ: أتأكلون شيئا؟ قلت نعم. فأخرج شطيراتٍ وخبزًا وإدامًا نظيفا، فأكلنا أطيبَ أكلٍ، وجاءنا بأطراف أُشْنانٍ[2]. فآستظرفه المعتزّ وقال لى: قل له فيما بينك وبينه: مَنْ تحبّ أن يكون معك من هذين لا يفارقك. فقلتُ له. فقال: "كلاهما وتمرا"[3]. فضحك المعتزّ حتى مال على حائط الدَّيْر. فقلت للدَّيْرانِىّ: لا بدّ من أن تختار. فقال: الاختيار والله فى هذا دَمَار، وما خلق الله عقلا يميّز بين هذين. ولحقهما الموكب، فآرتاع الدَّيْرانِىُّ. فقال له المعتزّ: بحياتى لا تنقطع عما كنا فيه، فإنّى لِمَنْ ثَمَّ مولًى ولِمَنْ هاهنا صَديق. فمزَحْنا ساعةً، ثم أمر له بخمسمائة[4] ألف درهم. فقال[5]: والله ما أقبلها إلا على شرط. قال: وما هو؟ قال: يجيب

(١) كذا فى حـ ومسالك الأبصار. وفى سائر الأصول: «مطرة وصيف». (٢) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «بأطرف إنسان» وهو تحريف. (٣) فى مسالك الأبصار: «فقال: كلاهما» بدون «وتمرا». و«كلاهما وتمرا» مثل قائله عمرو بن حمران وقد مر به رجل أضر به العطش والسغوب وبين يديه زبد وتامك وتمر. فقال له الرجل: أطعمنى من هذا الزبد والتامك. فقال عمرو: «نعم كلاهما وتمرا» فصارت مثلا فى زيادة الاكرام. أى لك كلاهما وأزيد تمرا. ويروى «كليهما وتمرا» بالنصب على تقدير فعل محذوف أى أطعمك. (٤) فى مسالك الأبصار: «بخمسين ألف درهم». (٥) فى الأصول: «فقبلها فقال... الخ» بزيادة كلمة «فقبلها». والظاهر أنها من زيادات النساخ، اذ يأباها سياق الكلام، وليست موجودة فى مسالك الأبصار.

أمير المؤمنين دَعْوتى مع من أراد . قال : ذلك لك . فأتَعدْنا ليوم جئناه فيـه ، فلم يُبْـقِ غايةً ، وأقام للمَوْكب كلّه ما احتاج اليه، وجاءنا بأولاد النصارى يخدُمونَنا . ووصلَه المعتزّ يومئذ صلةً سنيّةً، ولم يزل يعتاده ويُقيم عنده .

ولى الخـلافة وله سبع عشرة سنة ، وشعره فى ذلك

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا عبد الله بن المعتزّ قال :

بُويع للمعتزّ بالخلافة وله سبعَ عشرةَ سنةً كاملةً وأشهرٌ . فلما انقضت البَيْعة قال :

تَوَحّدنِى الرحمنُ بالعزِّ والعُـلَا * فأصبحتُ فوق العالمين أميرَا

هكذا ذكر الصُّولىّ فى قافية الشعر . ووجدته فى أغانى بَنَـانٍ مرفوعَ القافية، وله فيه صنعة . ولعلّ المعتزّ قال البيت، فأضاف بَنَانٌ اليـه آخرَ وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتزّ فقال :

صـــوت

تَوَحّدكَ الرحمنُ بالعز والعُـلَا * فأنت على كل الأنام أميـرُ
تُقاتِلُ عنك الـتُّرْكُ والخُزْرُ كلُّها * كأنّهمُ أُسْـدٌ لهنّ زَئـيرُ

الغناء لبَنـانٍ [لحنان][1] خفيفُ ثقيلٍ وخفيفُ رملٍ . وممـا قاله المعتزّ وغنّى فيه قولُه — ذكر الصُّولىّ أن عبد الله بن المعتزّ أنشده إيّاه لأبيه — :

صـــوت

ألَا حيِّ الحبيبَ فَـدَتْه نفسى * بكأسٍ من مُـدامة خانقينَـا[2]
فإنّى قـد بَقِيتُ مـع الليـالى * أُقاسِى الهَـمّ فى يـده سِنينـا

الغناء فيه لِعَريبَ خفيفُ رَمَلٍ، ولبَنانٍ هَزَجٌ .

(١) زيادة عن حـ . (٢) خانقين : بلدة من نواحى السواد فى طريق همذان من بغداد .

ومِمّن ذُكر أن له صنعةً من الخلفاء المعتمِد .

غناء المعتمد

قال محمد بن يحيى الصُّولِىّ ذكر عبد الله بن المعتزّ عن القاسم بن زُرْزُور أن المعتمِد أَلْقَى عليه لحناً صنعه فى هذا الشعر وهو :

ليس الشَّفيعُ الذى يأتيكَ مُؤْتزِرا * مثلَ الشَّفيع الذى يأتيكَ عُرْيانَا

الشعر للفرزدق . والغناء للمعتمِد ، ولحنُه فيه خفيفُ ثقيلٍ . هذه حكاية الصُّولِىّ . وفى غناء عَرِيبَ : لها فى هذا البيت خفيفُ ثقيلٍ . ولا أعلم لِمَنْ هو منهما على صحة ، إلا أنّ المشهور فى أيدى النـاس أنه لعَرِيبَ . ولم أسمع للمعتمِد غناءً إلا من هذه الجهة التى ذكرتُها .

ذكر أخبار الفرزدق فى هذا الشعر خاصة دون غيره

لأنّ أخباره كثيرة جدا ، فكرهت أن أثبتها هاهنا فى غناء مشكوك فيه ، فذكرت نسبه وخبره فى هذا الشعر خاصة ، وأخباره تأتى بعد هذا فى موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه

نسبه

الفرزدق لقبٌ غلب عليه . وآسمه همّام بن غالب بن صَعْصَعة بن ناجيةَ بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك [بن حَنْظَلة بن مالك] بن زيد مَناةَ بن تَميم .

هو وجرير والأخطل أشعر طبقات الاسلاميين

١٨٧ / ٨

وهو وجرير والأخطل أشعرُ طبقات الإسلاميّين والمقدَّمُ فى الطبقة الأولى منهم. وأخباره تُذكر مفردةً فى موضع آخر يتّسع لها ، ونذكر هاهنا خبره فى هذا المعنى . فأخبرنى خبَره فى ذلك جماعة . فممّن أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنى به أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام ، وأخبرنى به محمد ابن العباس اليَزيدىّ عن السُّكَّرىّ عن محمد بن حَبيبَ عن أبى عُبَيْدة وآبن الأعرابىّ ، قال عمر بن شَبَّة خاصّة فى خبره حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى أبى :

حديث الفرزدق والنوار وذمه بنى قيس وزهيرا وبنى أم النسير لمعاونتهم إياها

أنّ عبد الله بن الزُّبَير تزوّج تُماضِرَ بنت منظور بن زَبّانَ ، وأمّها مُلَيكة بنت خارجة ابن سِنان بن أبى حارثة ، فخاصم الفرزدقُ امرأته النَّوَارَ الى آبن الزُّبير . هكذا ذكر محمد بن يحيى ولم يذكر السببَ فى الخصومة ، وذكرها عمر بن شبّة ولم يَروِها عن أحد ، وذكرها آبن حَبيبَ من أصحابه ، وذكرها أبو غَسّان دَمَاذٌ عن أبى عُبَيْدة : أن رجلا من بنى أُميّة خطَب النَّوارَ بنت أَعْيَنَ المُجاشعيّة ، فرَضِيَته وجعلتْ أمرَها الى الفرزدق . فقال لها : أَشهِدى لى بذلك على نفسك شهودا ففعلتْ ، وآجتمع الناس لذلك . فتكلّم الفرزدق ثم قال : اشهَدوا أنّى قد تزوّجتها وأصدقتها كذا وكذا ، فانا آبن عمّها

وأحقُّ بها . فبلَغ ذلك النَّوَارَ فأبَتْه وآستترتْ من الفرزدق وجزِعتْ ولجأتْ الى بنى قيس بن عاصم المِنْقَرىّ . فقال فيها :

بَنِى عاصمٍ لا تُلْجِئوها فإنكم * مَلاجئُ للسَّوْءات دُسْمُ العمائمِ (1)

بنى عاصمٍ لو كانَ حيًّا أبوكمُ * لَلَامَ بَنِيه اليومَ قيسُ بنُ عاصم

فقالوا: والله لئن زدتَ على هذين البيتين لنقتلنَّك غِيلةً . فنافرته الى عبد الله بن الزُّبَيْر وأرادت الخروج اليه ؛ فتحامَى الناسُ كِرَاءَها . ثم إن رجلا من بنى عَدِىّ يقال له زُهَير بن ثَعْلَبة وقومًا يُعْرَفون ببنى أُمِّ النُّسَيْر أَكْرَوْها ؛ فقال الفرزدق :

ولولا أنْ تقول بنو عَدِىٍّ * أليستْ أُمَّ حَنْظَلةَ النَّوارُ

أتتكم يا بنى مِلْكانَ عنِّى * قوافٍ لا تُقَسَّمها التِّجارُ (2)

يعنى بالنَّوار هاهنا بنت جُلِّ (3) بن عَدِىّ بن عبد مَنَاةَ وهى أُمُّ حَنْظلةَ بن مالك بن زيد مَنَاةَ وهى إحدى جَدَّاته . وقال فيها أيضا :

سَرَى بالنَّوار عَوْهَجِىٌّ (4) يَسُوقه * عُبَيْدٌ قَصِيرُ الشِّبْرِ (5) نائى الأقارِبِ

تؤمُّ بلادَ الأمنِ دائبةَ السُّرَى * إلى خيرِ والٍ من لُؤَىِّ بن غالب

فدونكَ عِرْسِى (6) تبتغى نَقْضَ عُقْدتى * وإبطالَ حقٍّ باليمين الكواذب

(1) دسمت عمائمهم، أى وسخت وقذرت .

(2) لعله يريد أن التجار يروونها كلها فى رحلاتهم لا ينقصون منها شيئا لجودتها، فلا يختارون بعضها دون بعض لأنها كلها جيدة مختارة . (3) كذا فى شرح القاموس مادة «جلل» والنقائض ص ٨٠٤ وفى الأصول: «حل» بالحاء المهملة وهو تصحيف. (4) عوهجى: طويل العنق . يريد جملا . (5) كذا فى أ، م والنقائض . وقصير الشبر: متقارب الخطو . ونائى الأقارب: غريب بعيد عن أهله . وفى سائر الأصول: «السير» بالسين المهملة وهو تصحيف . (6) كذا فى النقائض، وقد ورد فيها البيت هكذا :

فدونك عرسى تبتغى نقض عهدتى * وإبطال حق بالمنى والأكاذب

وفى الأصول: «فدونك أرشا» وهو تحريف .

وقال أيضا :

ولولا أنّ أمّى من عَدِىّ * وأنى كارهٌ سُخْطَ الرِّباب
إذًا لأتى الدواهىَ من قريب * جزاءً غيرَ منصرفِ العقاب
وصُلْتُ على بنى مِلْكانَ منّى * بجيشٍ غيرِ منتظَرِ الإياب

وقال لزهير أيضا :

لبئس العِبْءُ يحمله زُهَيرٌ * على أعجاز صِرْمته نَوارُ
لقد أهدتْ وليدتُنا اليكم * عوائرُ لا تقسِّمها التِّجار

١٨٨
٨

وقال لبنى أمّ النُّسَير :

لعَمْرى لقد أردَى النَّوارَ وساقها * الى الغَوْر أحلامٌ خِفافٌ عقولُها
أطاعت بنِى أُمِّ النُّسَير فأصبحتْ * على قَتَبٍ يعلو الفَلاة دليلُها
وقد سَخِطتْ منِّى النَّوارُ الذى ٱرتضَى * به قبلَها الأزواجُ خاب رَحيلُها
وإن ٱمرأً أمسَى تخبِّبَ زوجتى * كماشٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتبيلها
ومن دونِ أبوالِ الأسود بَسالةٌ * وبَسْطةُ أيدٍ يمنَع الضَّيمَ طُولُها
وإنّ أميرَ المؤمنين لعالمٌ * بتأويلِ ما أوصَى العبادَ رسولها
فدونَكها يا بنَ الزُّبَير فإنها * مولَّعةٌ يُوهِى الحجارةَ قيلُها

استشفعت النوار الى ابن الزبير بامرأته فاستشفع هو بابنه حمزة

فلما قدمتْ مكّةَ نزلت على بنت منظور بن زَبّانَ ، وٱستشفعتْ بها إلى زوجها عبدِ الله . وٱنضمّ الفرزدق الى حمزة بن عبد الله بن الزُّبَير، وأمّه بنت منظورٍ هذه، ومدحه فقال :

(١) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «الزواهر» وهو تحريف . (٢) لعله يريد أنه يغزو ويحتل فلا يعود ولا ينتظر إيابه . (٣) الصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين . (٤) عوائر : سوائر . يريد قصائده . (٥) كذا فى جـ واللسان مادة «بول» أى يأخذ بولها فى يده . وفى الأصول : «يستغيلها» بالغين المعجمة ، وهو تحريف .

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتي * إن المنوه باسمه الموثوق

الأبيات . وقال فيه أيضا :

يا حمز هل لك في ذي حاجة غرضت[1] * أنضاؤه بمكان غير ممطور

فأنت أحرى قريش أن تكون لها * وأنت بين أبي بكر ومنظور

بين الحواري والصديق في شعب * نبتن في طيب الإسلام والخير

هذه الأبيات كلها من رواية أبي زيد خاصة . قالوا جميعا : وقال في النوار :

هلمي لابن عمك لا تكوني * كمختار على الفرس الحمارا

وقال فيها أيضا :

تخاصمني النوار وغاب فيها * كرأس الضب يلتمس الجرادا

قال أبو زيد في خبره خاصة : فجعل أمر الفرزدق يضعف وأمر النوار يقوى .

وقال الفرزدق :

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم[2] * وشفعت بنت منظور بن زبانا

صوت

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

— غنت في هذا البيت عريب خفيف ثقيل أول بالبنصر — فبلغ ابن الزبير هذا فدعا النوار فقال: إن شئت فرقت بينكما وقتلته فلا يهجونا أبدا ، و إن شئت سيرته إلى بلاد العدو . فقالت : ما أريد واحدة منهما . قال : فإنه ابن عمك وهو فيك راغب ، أفأزوجه إياك ؟ قالت نعم . فزوجه إياها . فكان الفرزدق يقول : خرجنا متباغضين ورجعنا متحابين .

(١) كذا في ديوانه . وفي الأصول : «عرضت» بالعين المهملة . وعرض بالمكان : مل وضجر . والأنضاء : جمع نضو وهو المهزول من الإبل . (٢) كذا في جـ والنقائض . وفي سائر الأصول : «بنوك» .

هدده ابن الزبير وعيره جلاء قومه تميم عن البيت فقال فى ذلك شعرا

١٨٩ / ٨

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر بن شَبة قال قال عثمان بن سليمان :

شَهِدتُ الفرزدق يوم نازَع النَّوارَ فتوجّه القضــاءُ عليه ، فأشفق من ذلك وتعرّض لابن الزُّبَير بكلام أغضبه، وكان ابن الزُّبَير حديدًا . فقال له ابن الزُّبَير : أيا ألأمَ الناس! وهل أنت وقومُك إلا جالِيةُ العرب! وأمر به فأُقيم . وأقبل علينا فقال : إن بنى تميم كانوا وثَبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه؛ وأَجْمعت العــربُ عليها لمــا انتهكتْ مالم يَنْتهكه أحد قطُّ فأَجْلَتْها من أرض تِهامة. فلما كان فى طائفة من ذلك اليوم لقينى الفرزدق فقال : هِيهِ! أيعيِّرنا ابنُ الزُّبَير جَلاءنا(١) عن البيت! اِسمَعْ! ثم قال :

فإن تَغْضَبْ قريشٌ ثم تغضبْ * فإنّ الأرض ترعاها(٢) تميمُ

همُ عَدَدُ النجوم وكلُّ حىٍّ * سواهم لا تُعَــدُّ لهم نجــوم

فــلولا بنتُ مُرٍّ(٣) مِن نِزارٍ * لَمَــا صــحَّ المَنَــابتُ والأديم

بها كثُر العَــديدُ وطاب منكم * وغيرُكمُ أحــذُّ(٤) الرِّيش هِــيم

فمهــلًا عن تذلُّل مَنْ عَزَزْتم * بحُولَتِــه وعَــزَّ به الحَمِــيم

أعبــدَ الله مهــلًا عن أذاتى * فإنّى لا الضعيف ولا السَّــؤوم

ولكــنّى صَــفاةٌ لم تُوَبَّس(٥) * تَزِلُّ الطــيرُ عنهــا والعُصُوم(٦)

(١) فى الأصول : « أيعيرنا ابن الزبير بجلائنا » وهى لغة رديئة . (٢) كذا صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . وفى جـ : « ترغبها » وهو تصحيف عن « ترعيها » . وفى سائر الأصول : « ترضاها » وهو تحريف . (٣) كذا صححها الأستاذ الشنقيطى . وفى الأصول : « نبت » وهو تصحيف . (٤) أحذ الريش : قصيره . والهيم : العطاش . ولعله يكنى بذلك عن الضعف والذلة . (٥) كذا فى جـ ونسخة الشنقيطى . وتؤبس : تكسر . وفى سائر الأصول : « تؤنس » بالنون، وهو تصحيف . (٦) لعله جمع عصم (بالضم) الذى هو جمع عصماء . والعصم الظباء .

أنا آبن العاقرِ الخُورِ[1] الصَّفَايَا * بصَوْءَرٍ[2] حيث فُتِّحت العُكوم[3]

وذكر الزُّبَير بن بَكّار عن عمه أن عبد الله بن الزُّبَير لمّا حكم على الفرزدق قال: إنما حكمتَ علىَّ بهذا لأفارقَها فتثبَ عليها؛ وأمَر به فأُقيم، وقال له ما قال فى بنى تميم.

قال: ثم خرج عبد الله بن الزُّبَير الى المسجد فرأى الفرزدقَ فى بعض طرق مكة وقد بلغتْه أبياته التى قالها، فقبض آبن الزُّبَير على عنقه فكاد يَدُقُّها، ثم قال:

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفرزدق ناشِزاً * ولو رضيتْ رُمْحَ آسته[4] لآستقرّتِ

قال الزُّبير: وهذا الشعر لجعفر بن الزُّبَير.

ما كان بينه وبين ابن الزبير بعد ما قال له ما حاجتك بالنوار وقد كرهتك

أخبرنا أبو خَليفة قال أخبرنا آبن سَلّام قال أخبرنا إبراهيم بن حَبيب الشَّهيد قال: قال ابن الزُّبَير للفرزدق: ماحاجتُك بها وقد كرهتْك! كُنْ لها أكرهَ وخَلِّ سبيلَها. فخرج وهو يقول: ما أمرنى بطلاقها إلا لَيثِبَ عليها. فبلغ ذلك آبنَ الزُّبَير فخرج وقد آستهلّ هلال ذى الحِجّة ولبس ثيابَ الإحرام يريد البيتَ الحَرام، فألفَى الفرزدقَ بباب المسجد عند الباعة، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسَه بين ركبتيه وقال:

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفرزدقِ ناشِزاً * ولو رضيتْ رُمْحَ آسته لآستقرّتِ

قال الزُّبَير: وهذا البيت لجعفر بن الزبير.

---

(١) كذا صححها الأستاذ الشنقيطى. والخور: جمع خوّارة، وهى الغزيرة اللبن من النوق والشاء، على غير قياس. وفى جـ: «الجول». والجول: الجماعة من الابل. وفى سائر الأصول: «الحور» بالحاء المهملة وهو تصحيف. (٢) صوءر: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلى الشام، وهو الماء الذى تعاقر عليه غالب بن صعصعة أبو الفرزدق وسحيم بن وثيل الرياحى، وكان قد عقر غالب ناقة وفرقها على بيوت الحى، وجاء الى سحيم منها بجفنة، فغضب سحيم وردها فقام وعقر ناقة؛ فعقر غالب أخرى، وتعاقرا حتى أقصر سحيم. (٣) العكوم: جمع عكم، وهو العدل (بكسر العين) أو الكارة وهى وعاء الثياب والطعام. لعله يريد أنه ينهب ما تحمله هذه النوق ثم يذبحها.

(٤) رمح الاست: الكناية فيه واضحة.

هجاء جعفر بن الزبير فنهاه أخوه عن ذلك

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال :

لمّا قال الفرزدق فى ٱبن الزّبير :

أمّا بنوه فلم تُقبَل شفاعتُهم * وشُفِّعتْ بنتُ منظورِ بن زَبّانَا

قال جعفر بن الزّبير :

ألا تَلكُمُ عِرْسُ الفرزدق جامحاً * ولو رضيتْ رمحَ ٱستِه لٱستقرّتِ

فقال عبد الله بن الزّبير: أتُجْزِرُنا[1] كلباً من كلاب بنى تميم ! لئن عُدْتَ لم أُكلّمك أبدا .

قال : وتُماضِرُ التى عَناها الفرزدقُ أُمُّ خُبَيْب وثابتٍ ٱبنَىْ عبد الله بن الزّبير . وماتت عند عبد الله ، فتزوّج أُختها أمّ هاشم فولدتْ له هاشما وحَمزة وعَبّادا .

١٩٠ / ٨

قال : وفى أمّ هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ٱبن الزّبير ويشكو طولَ مُقامه :

تروّحتِ الرُّكبانُ يا أُمَّ هاشم * وهُنّ مُناخاتٌ لهنّ حَنينُ

وخُيِّسْنَ[2] حتى ليس فيهنّ نافقٌ * لبَيْعٍ ولا مركوبُهن سَمينُ

قال : وهذا يدلّ على أن النّوار كانت استعانتْ بأُمّ هاشم لا بتُماضِر .

لما أذنت النوار فى تزويجها منه استعان فى مهرها سلم بن زياد فأعانه

فلما أَذِنتِ النّوارُ لعبد الله فى تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرةِ آلافِ درهم . فسأل : هل بمكة أحد يُعينه ؟ فدُلّ على سَلْم بن زِياد ، وكان ٱبنُ الزّبير حبسه ، فقال فيه :

دَعِى مُغلِقِى الأبوابِ دون فَعالهم * ومُرِّى تَمَشَّى بى — هُبِلْتِ — الى سَلْمِ

الى من يَرى المعروفَ سَهْلاً سبيلُه * ويفعل أفعال الكرام التى تَنْمى

(١) يقال : أجزرت القوام اذ أعطيتهم شاة يذبحونها . يريد : أتعرض أعراضنا للفرزدق ينهشها .

(٢) خيسن : لم يسرّحن .

ثم دخل على سَلْم فأنشده . فقال له : هى لك ومثلها نفقتُك، ثم أمر له بعشرين ألفا فقبضها . فقالت له زوجته أُمُّ عثمان بنتُ عبد الله بن عثمانَ بنِ أبى العاصى الثَّقفيَّة : أتُعطى عشرين ألفا وأنت محبوس ! فقال :

ألاَ بكَرت عِرسِى تلُوم سَفاهةً * على ما مضَى منِّى وتأمر بالبخل

فقلت لها والجودُ منِّى سجيّةٌ * وهل يمنع المعروفَ سُؤَّالَه مثلى

ذَرِينى فإنّى غير تاركِ شِيمتِى * ولا مُقْصِرٍ عن السّماحةِ والبَذْل

ولا طاردٍ ضَيْفِى إذا جاء طارقًا * فقد طرَق الأضيافُ شَيْخِىَ من قبلى

أأبخَل ! إنّ البخل ليس بمُخْلِدٍ * ولا الجُود يُدْنِينى الى الموت والقتل

أَبِيع بنى حَرْبٍ بآل خُوَيْلِدٍ (١) * وما ذاكَ عند الله فى البيع بالعدل

وأشْرِى (٢) آبنَ مروان الخليفةَ طائعًا * بنَجْل بنى العَوّام! قُبّح من نَجْل

فإن تُظْهِروا لى البخلَ آلَ خُوَيلدٍ * فما دَلُّكم دَلِّى ولا شَكْلُكم شكلى

و إن تَقْهَرونى حيث غابت عَشيرتى * فمن عَجَبِ الأيام أن تَقْهَروا مثلى

لم تحسن النوار عشرته فتزوّج عليها حدراء بنت زيق ومدحها وذم النوار

قال دَمَاذٌ فى خبره : ثم اصطلحا و رضيتْ به، وساق إليها مهرَها ودخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عَدِيلانِ فى مَحْمِل. فكانت لا تزال تُشَارُّه وتخالفه، لأنها كانت صالحةً حسنة الدِّين وكانت تكره كثيراً من أمره . فتزوّج عليها حَدْراء بنت زِيق بن بِسْطام بن قيس بن مسعود بن قَيْس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان، فتزوّجها على مائة من الإبل . فقالت له النَّوارُ : وَيْلَكَ ! تزوجتَ أعرابيّةً دقيقة السّاقين بوّالة على عَقِبيْها على مائة بعير! . فقال الفرزدق يفضِّلها عليها و يعيِّرها أنها كانت تربِّيها أَمَةٌ :

(١) خويلد : هو الجد الثانى لابن الزبير . (٢) أشرى : أبيع .

لجَارِيَةٌ بين السَّلِيلِ عُروقُها * وبين أبى الصَّهْباء(١) من آل خالد
أحقّ بإغلاء المُهور من التى * رَبَتْ وهى تنزو فى حُجور الولائد

ومدحها أيضا فقال :

١٩١/٨

عَقيلةٌ من بنى شَيْبانَ ترفعها * دَعائمٌ للعُلا من آل همّام
من آل مُرّةَ بين المُستضاء بهم * من رهْطِ صِيدٍ مَصاليتٍ وحُكّام
بين الأحاوِص(٢) من كَلبٍ مُركّبُها * وبين قيس بن مسعودٍ وبِسْطام

وقال أيضا يمدحها و يعرّض بالنّوار :

لعَمْرِى لأعرابيّةٌ فى مَظَلّةٍ(٣) * تَظَلُّ بأعلى(٤) بيتها الرِّيحُ تَخْفِقُ
كأُمّ غزالٍ أو كَدُرّةِ غائصٍ * إذا ما أتتْ مثلَ الغَمامة تُشْرِق
أحبُّ إلينا من ضِنَاكٍ(٥) ضِفَنّةٍ * إذا وُضِعتْ عنها المراوحُ تَعْرق

فقال بعض باهلةَ(٦) يُجيبه :

أعوذ بالله من غُولٍ مُغَوّلةٍ * كأنّ حافرَها فى الحدِّ ظُنْبوبُ(٧)
تَسْتَرْوِحُ الشاةَ من مِيلٍ اذا ذُبِحتْ * حُبَّ اللّحامِ كما يَسْتَرْوِحُ الذّيبُ

هاجاه جرير باغراء النوار

وأغضب الفرزدقُ النّوارَ بمدحه إيّاها، فقالت: والله لأُخزينّك يا فاسق ! وبعثتْ الى جرير فجاءها، فقالت : ألا ترى ما قال لى الفاسق ! وشكتْ اليه . فقال :

(١) أبو الصهباء : يعنى بسطام بن قيس . والسليل : هو السليل بن قيس أخو بسطام .
(٢) الأحاوص : عوف وعمرو وشريح وربيعة ، أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب .
(٣) المظلة (بفتح الميم وكسرها) : الخباء الكبير . (٤) فى حـ والنقائض : «بروق بيتها» . والروق من البيت : رواقه أى شقته التى دون الشقة العليا . (٥) الضناك (بكسر الضاد) : الضخمة من النساء . والضفنة (بكسر الضاد وفتح الفاء وكسرها وتشديد النون) : الحمقاء مع عظم خلق .
(٦) هو عبد الله بن الحجاج بن عبد الله المعروف بالأسم الباهلى . (٧) فى حـ والنقائض : «فى حد ظنبوب» . والظنبوب : حرف الساق اليابس من قدم . وبعده فى النقائض :

وركبتاها سلاح ما يقوم لها * إلا الشياطين فى تلك الأعاريب

فلا أنا مُعطِى الحُكْمِ عن شِفِّ مَنْصِبٍ (١) * ولا عن بنات الحَنْظَلِيِّين راغبُ

وهنّ كماء المُزْن يُشْفَى به الصَّدَى * وكانت مِلاحاً غيرَهُنّ المَشاربُ

لقد كنتَ أهلًا أن تَسُوقَ دِيَاتِكم (٢) * الى آل زِيقٍ أن يَعِيبَك عائبُ

وما عَدَلَتْ ذاتُ الصَّلِيبِ ظعينةً (٣) * عُتَيْبَةُ والرِّدْفانِ منها وحاجبُ

٥ أَلَا رُبَّما لم نُعْطِ زِيقًا بحُكْمِه * وأدّى الينا الحُكْمَ والغُلُّ لازبُ (٤)

حَوَيْنا أبا زِيقٍ وزِيقًا وعَمَّه * وجَدَّةُ زِيقٍ قد حَوَتْها المَقانِبُ (٥)

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها :

ألستَ إذ القَعْساءُ (٦) أَنْسَلَ (٧) ظهرُها * الى آل بِسْطامِ بن قيس بخاطبِ

---

(١) الشف (هاهنا) النقصان ، وقد يكون الشف الفضل أيضا . (النقائض ص ٨٠٧) .

١٠ (٢) أى لقد كنت أهلا أن يعيبك عائب لأجل سوقك الديات الى آل زيق . والمراد بالديات المائة من الإبل التى ساقها الفرزدق مهرا الى آل زيق . (٣) ذات الصليب : يريد بها حدراء ، وذلك أن أجدادها كانوا نصارى فعيره ذلك . وظعينة : امرأة . والأصل فى الظعينة المرأة تكون على البعير ، ثم استعمل العرب الظعينة حتى صيروا المرأة ظعينة بغير بعير . وعتيبة : يريد عتيبة بن الحارث بن شهاب ابن عبد قيس بن كباس بن جعفر بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وقد رأس

١٥ وكان فارس مضر فى زمانه . وحاجب : هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . والردفان هما : عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع ، وعوف بن عتاب بن هرمى . والردف : الذى يردف الملك يعادله فى ركوبه ويجلس فى مجلسه اذا قام من مجلسه . (عن النقائض ص ٨٠٨ الى ٨٠٩ ببعض تصرف) .

(٤) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « والعر » وهو تحريف . ولا زب : لازم .

٢٠ (٥) المقانب : جمع مقنب ، وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة . (٦) القعساء من النساء : الداخلة الصلب العظيمة البطن . وانما عنى هاهنا أتانا . يعنى أن بنى كليب قالوا لجرير : مالك وقد حسنت حال أعيارك لا تأتى آل بسطام فتخطب اليهم كما فعل الفرزدق . (النقائض ص ٨١٣) . (٧) كذا فى النقائض . وأنسل ظهرها أى طرت فسقط وبرها القديم ونبت وبر جديد وذلك لسمنها . وفى الأصول : « أنحل ظهرها » .

فَنَلْ مثلَها من مثلهم ثم لُمْهمُ * بمِلْكك من مالٍ مُرَاحٍ وعازِب

فلو كنتَ من أكفاء حَذْراءَ لم تَلُمْ * على دَارِمىٍّ بين لَيْلَى وغالب

وإنى لأخشى إن خطبتَ إليهمُ * عليك التى لاقى يَسَارُ الكواعب

ــ يَسَارٌ كان عبدا لبنى غُدَانةَ، فأراد مولاتَه على نفسها، فنهته مرّةً بعد مرة، وألحّ فوعدتْه، فجاء فقالت له : إنى أُريد أن أُبخِّرك فإن رائحتك متغيِّرة، فوضعتْ تحته مِجْمرةً وقد أَعَدّتْ له حديدةً حادّة، فأدخلتْ يدها فقبضتْ على ذكره وهو يرى أن ذلك لشىء، فقطعتْه بالمُوسَى ؛ فقال : «صبرًا على مجامر الكرام» فذهبتْ مثلًا ــ عاد الشعر :

ولو قَبِلوا منِّى عَطيّةَ سُقْتُه * الى آلِ زِيقٍ من وَصيفٍ مُقارِبِ[1]

همُ زوّجوا قبلِى ضِرارًا وأنكحوا * لَقيطًا وهم أكفاؤنا فى المَناسب

ولو تُنْكِح الشمسُ النجومَ بناتِها * إذًا لنكحناهنّ قبل الكواكب

وقال جرير :

يازِيقُ أنكحتَ قَيْنًا بآستِه حَمَمٌ * يازِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكحتَ يازِيقُ[2]

غاب المثنّى فلم يَشْهَدْ نَجِيَّكما * والحَوْفَزانُ ولم يَشْهَدْك مفروق

أين الأُلَى أَنزلوا النعمانَ مُقْتسَرًا * أم أين أبناءُ شَيْبانَ الغرانيقُ

يا رُبَّ قائلةٍ بعد البِناء بها * لا الصِّهْرُ راضٍ ولا آبنُ القَيْنِ معشوق

وقال الفرزدق لجرير فى هذا[3] :

إن كان أنفُك قد أعياكَ مَحْمَلُه * فآركبْ أتانَك ثم آخطُبْ الى زِيقِ

(١) عطية : هو أبو جرير . والمقارب : الدون، وقيل : هو الوسط بين الجيد والردىء.

(٢) راجع هذا الشعر وشرحه فى ترجمة جرير فى الجزء الثامن من هذه الطبعة ص (٨٥ ــ ٨٦) .

(٣) فى الأصول : «وقال جرير الفرزدق» وقد صححها كما أثبتناها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته .

قال : ولامه الحجّاج وقال : أتزوّجتَ ٱبنـةَ نَصْرانىّ على مائة ناقة؟! قال : وما هى فى جُود الأمير! قال : فٱشترى الإبلَ وساقها . فلمّا كان فى بعض الطريق ومعه أَوْفَى بن خِنْزير أحدُ بنى التَّيْم بن شَيْبانَ بن ثَعْلبةَ دليلُه رأى كبشًا مذبوحا ، فقال : يا أوفى، هلكتْ واللهِ حَدْراءُ ! . قال : مالك بذلك من علم ! . فلمّا بلغ قال له بعض قومها : هذا البيتُ فٱنزل، وأمّا حَدْراء فهلكتْ . وقد عرفنا الذى يُصيبكم فى دِينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا . فقال : لا والله لا أَرْزَأُ منه قِطْميرا، وهذه صَدُقَتُها[1] فاقبضوها . فقال: يا بنى دارِم! والله ما صاهرنا أكرمَ منكم . قال : وفى هذه القصة يقول الفرزدق :

رأى فى طريقه إلى حدراء كبشا مذبوحا فتشاءم بموتها وشعره حين خبر بوفاتها

عجبتُ لحادينا المقحِّمِ سيره * بنا مُوجَفاتٍ من كَلالٍ وظُلَّعَا
لِيُدْنِيَنَا ممّن إلينا لقاؤه * حبيبٌ ومن دارٍ أَرَدْنَا لتجمَعا
ولو يعلم الغَيْبَ الذى مِنْ أمامنا * لكَرَّ بنا حادى المطىِّ فأَسْرَعا
يقولون زُرْ حَدْراءَ والتُّرْبُ دونَها * وكيف بشىءٍ وصلُه قد تقطّعا
وما مات عند ٱبنِ المَرَاغة مثلُها * ولا تبعتْه ظاعنًا حيث ودّعا
يقول ٱبنُ خِنْزيرٍ بكيتَ ولم تكن * على ٱمرأةٍ عينًا أخيك لتدْمَعا
وأهونُ رُزْءٍ لآمرئٍ غيرِ جازعٍ * رَزِيَّةُ مُرْتَجِّ الرَّوادفِ أَفْرَعا

وقال ابن سَلَّام فيما أخبرنا به أبو خَليفةَ عنه قال حدّثنى حاجب بن زيد وأبو الغَرَّاف قالا :

استعان الحجاج فى مهر حدراء فعذله فشفع له عنبسة بن سعيد

تزوّج الفرزدق حَدْراءَ بنت زِيق بن بِسْطام بن قَيْس بن مسعود بن قيس ابن خالد بن ذى الجَدَّين وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان على حكم أبيها، فاحتكم مائةً من الإبل . فدخل على الحجّاج

(١) الصدقة : المهر .

فعذَله فقال : أتزوّجتَها على حكمها وحكمِ أبيها مائةِ بعير وهى نصرانية وجئتنا متعرِّضا أن نَسُوقَها عنك ! أُخْرُجْ ما لك عندنا شيء ! . فقال عَنْبَسة بن سَعيد بن العاصى وأراد نفعَه : أيها الأمير، إنها من حَوَاشِى إبل الصدقة؛ فأمر له بها . فوثَب عليه جَرير فقال :

يازِبْرِقُ قد كنتَ من شَيْبانَ فى حَسَبٍ * يازِبْرِقُ وَيْحَكَ مَنْ أنكحتَ يازِبْرِقُ ٥
أَنْكحتَ وَيْحَكَ قَيْنًا بآسته حَمَمٌ * يازِبْرِقُ وَيْحَكَ هل بارتْ بك السُّوقُ

ثم ذكر باقىَ القصيدة بمثل رواية دَمَاذ .

أراد أن تحمل حدراء فاعتلوا بموتها وشعر لجرير فى ذلك

١٩٣ / ٨

قال ابن سَلّام : وأراد الفرزدقُ أن تُحْمَل، فأعتلّوا عليه وقالوا : ماتت، كراهةَ أن يَهْتِك جَرِيرٌ أعراضَهم . فقال جَرير :

وأُقْسِم ما ماتتْ ولكنّه التَّوَى * بحَذْراءَ قومٌ لم يَرَوْك لها أهلا ١٠
رأوا أن صِهْرَ القَيْنِ عارٌ عليهمُ * وأن لِبسطامٍ على غالبٍ فضلا
إذا هى حَلّتْ مُسْحُلانَ[1] وحاربتْ * بشَيْبان لاقى القومُ من دونها شُغْلا

وحَذْراءُ هذه هى التى ذكرها الفرزدق فى أشعاره . ومن ذلك قوله :

صــــوت

عزَفْتَ بأَعْشاشٍ[2] وما كِدْتَ تَعْزُفُ * وأنكرتَ من حَذْراءَ ما كنتَ تعرِفُ ١٥
ولَجّ بك الهِجْرانُ حتى كأنّما * ترى الموتَ فى البيت الذى كنتَ تألَفُ[3]

عروضه من الطويل . عزَفْتَ عن الشىء انصرفت عنه، عزَف يعزُف عُزُوفا . الشعر للفرزدق . والغناء لسَلْسَل ، ثانى ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لحنٌ للغَرِيض من الثّقيل الأوّل بالبنصر من رواية حَبَش .

(١) مسحلان : موضع فى بلاد بنى يربوع . (٢) أعشاش : موضع فى بلاد بنى تميم لبنى يربوع بن حنظلة . (٣) فى النقائض : «الذى كنت تيلف» وهى لغة تميم . ٢

قصة ما كان بينه وبين ابن أبي بكر ابن حزم حين أنشده من شعر حسان في المسجد

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيديّ قالا حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال حدّثنا محمد بن حَبيب وأبو غسّان دَمَاذٌ عن أبي عُبيدة قال قال اليَرْبوعيّ :

قال إبراهيم بن محمد بن سَعْد بن أبي وقّاص الزُّهْريّ : قدم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أَبَانِ بن عثمان . قال : فإني والفرزدقَ وكثيرًا لجلوسٌ في المسجد نتناشد الأشعار، إذ طلع علينا غلامٌ شَخْتٌ(١) آدَمُ في ثوبين مُمَصَّرين (أي مصبوغين بصُفْرة غير شديدة) ثم قصد نحوَنا حتى جاء إلينا فلم يسلِّم، فقال : أيُّكم الفرزدق ؟ فقلت مخافةَ أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيِّد العرب وشاعرها ! فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له . فقال له الفرزدق : ومَنْ أنت لا أمَّ لك ؟ ! قال : رجل من بني الأنصار ثم من بني النَّجّار ثم أنا ابن أبي بكر بن حَزْم . بلغني أنك تزعمُ أنك أشعر العرب وتزعُمُ مُضَرُ ذلك لك ، وقد قال صاحبنا حَسّان شعرًا فأردتُ أن أعرضه عليك وأؤجِّلك سنةً، فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنتَ كذّاب مُنْتَحِل. ثم أنشده قول حسّان :

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى * وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دَمَا

مَتَى ما تَزُرْنا من مَعَدٍّ عِصابةٌ * وغسّانَ نَمْنَعْ حَوْضَنا أن يُهَدَّما

— قيل إن قوله : «وغسان» هاهنا قسمٌ أقسم به، لأن غسّان لم تكن تغزوهم مع مَعَدّ —

أَبَى فعلُنا المعروفَ أن نَنْطِق الخَنَا * وقائلُنا بالعُرْف إلّا تَكَلُّما

وَلَدْنا بني العَنْقاء وابنَيْ مُحَرِّقٍ * فأَكْرِمْ بنا خالًا وأَكْرِمْ بنا ابْنَمَا

(١) الشخت : الدقيق الضامر أصلا لا هزالا .

فأنشده القصيدة الى آخرها وقال له : إنى قد أجّلتُك فيها حولًا ، ثم آنصرف .
وآنصرف الفرزدقُ مُغْضَباً يسحَب رداءه ما يَدْرِى أىَّ طريقٍ يسلكُ ، حتى خرج
من المسجد . قال : فأقبل كثيِّر علىّ فقال : قاتل الله الأنصارىَّ ! ما أفصحَ لهجتَه ،
وأوضح حُجَّتَه ، وأجْوَدَ شعرَه ! . قال : فلم نزل فى حديث الفرزدق والأنصارىّ
بقيّةَ يومنا . حتى إذا كان الغدُ خرجتُ من منزلى الى مجلسى الذى كنت فيه بالأمس ؛ ٥
وأتانى كثيِّر فجلس معى . فإنّا لنتذاكر الفرزدقَ ونقول : ليت شعرى ما فعل ، إذ طلع
علينا فى حُلّة أفْوافٍ(١) يَمانِيَةٍ مُوَشّاةٍ ، له غَديرتان ، حتى جلس فى مجلسه بالأمس ، ثم ١٩٤/٨
قال : ما فعل الأنصارىّ ؟ قال : فنِلْنا منه وشتَمْناه . فقال : قاتله الله ! ما رُميتُ
بمثله ولا سمعت بمثل شعره ! فارقتُكما فأتيتُ منزلى فاقبلتُ أُصَعِّدُ وأُصَوِّبُ فى كلّ
فنٍّ من الشعر ، فلَكأنّى مُفْحَمٌ أو لم أقل قطُّ شعرا حتى نادى المنادى بالفجر ، فرحَلْتُ ١٠
ناقتى ثم أخذت بزِمامها فقُدْتُها حتى أتيتُ ذِبَاباً(٢) ، ثم ناديتُ بأعلى صوتى : أخاكم
أبا لُبْنَى — وقال سعدان(٣) : أبا ليلى ! — فجاش صدرى كما يجيش المِرْجَل ، ثم عَقَلتُ
ناقتى وتوسّدتُ ذراعها ، فما قمتُ حتى قلتُ مائةً وثلاثةَ عَشَرَ بيتا . فبينا هو يُنشدنا ،
إذ طلع علينا الأنصارىّ حتى آنتهى إلينا فسلّم ثم قال : أمَا إنى لم آتِك لأُعْجِلَك عن
الأجل الذى وقّتُّه لك ، ولكنّى أحببت ألّا أراك إلا سألتُك عما صنعتَ . فقال : ١٥
اجلس ، ثم أنشده :

* عزَفْتَ بأعْشاشٍ وما كِدْتَ تَعْزِفُ *

فلمّا فرَغ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصارىُّ كئيباً . فلمّا توارَى طلع أبوه وهو
أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم فى مَشْيَخة من الأنصار ، فسلّموا علينا وقالوا :

(١) الأفواف : جمع فوف (بالضم) وهو القطن . (٢) ذباب (رواه الحزامى بكسر أوله ٢٠
والعمرانى بضمه) : جبل بالمدينة . (٣) لم يتقدم فى سند هذا الخبر شخص بهذا الاسم .

يا أبا فِرَاس، قد عرفتَ حلَّنا ومكانَنا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ووصيّته بنا. وقد بلَغنا أنّ سفيهًا من سُفَهائنا تعرَّض لك، فنسألك بالله لَمَّا حفظت فينا وصيّةَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ووهبتَنا له ولم تفضَحْنا . قال إبراهيم بن محمد : فأقبلتُ أكلّمه أنا وكثيِّر، فلما أكثرنا عليه قال : اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشيّ.

٥ قال : وقد كان جرير قال :

أَلا أيُّها القلبُ الطَّروبُ المُكَلَّفُ * أفِقْ رُبَّما يَنْأَى هواكَ ويُسْعِفُ

ظَلِلتَ وقد خَبَّرْتَ أنْ لستَ جازعاً * لِرَبْعٍ بسُلْمانَيْنِ[1] عينُك تَذْرِفُ

فجعل الفرزدقُ هذه القصيدة نَقيضة لها .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأصوات

١٠ منها :

صوت

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى * وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دما

وَلَدْنا بنى العَنْقاءِ وٱبْنَىْ مُحَرِّقٍ * فأكْرِمْ بنا خالاً وأكرم بنا ٱبْنَمَا

عروضه من الطويل . الشعر لحسّان بن ثابت . والغناء لمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ أول

١٥ بالبنصر عن عمرو بن بانة .

ما كان بين النابغة وحسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء

أخبرنى عمِّى الحسن بن محمد قال حدّثنى محمد بن سَعْد الكُرَانىّ عن أبى عبد الرحمن الثّقفى، وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوبَ الصائغ عن ابن قُتيبة :

(١) سلمانان (بضم أوّله وتكرير النون) : اسم موضع، تضاف اليه البرقة المعروفة ببرقة سلمانين .

٢٠ (راجع معجم البلدان فى سلمانين و برقة سلمانين) .

أن نابغةَ بنى ذُبْيانَ كان تُضرَب له قُبّة من أَدَم بسُوقِ عُكاظ يجتمع اليه فيها الشعراء ؛ فدخل اليه حَسّان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعرَه وأنشدته الخَنْساءُ قولَها :

* قَذًى بعينِك أم بالعين عُوّارُ *

حتى آنتهتْ الى قولها :

وإنّ صخرًا لَتأْتَمُّ الهُداةُ به * كأنه عَلَمٌ فى رأسه نار

وإنّ صخرًا لمولانا وسيِّدُنا * وإن صخرًا إذا نَشْتُو لَنحّار

فقال : لولا أن أبا بَصِيرٍ أنشدنى قبلكِ لقلت : إنكِ أشعر الناس ! أنت والله أشعر من كل ذات مَثانة(١) . قالت : والله ومن كلّ ذى خُصْيتين . فقال حَسّان : أنا والله أشعر منكَ ومنها . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لنا الجَفَناتُ الغُرّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى * وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دَمَا

وَلَدْنا بنى العَنْقاء وآبنَىْ محرِّقٍ * فأَكْرِمْ بنا خالًا وأَكْرِمْ بنا آبْنَمَا

فقال : إنك لشاعر لولا أنك قلّلتَ عدد جِفانك وفخرتَ بمن وَلدتَ ولم تَفخرْ بمن وَلَدك . وفى رواية أخرى : فقال له : إنك قلت «الجَفَنات» فقلّلتَ العدد ولو قلت «الجفان» لكان أكثرَ . وقلت « يلمعن فى الضُّحَى» ولو قلت « يَبْرُقْنَ بالدُّجَى» لكان أبلغ فى المديح لأن الضيف بالليل أكثر طُروقًا . وقلت «يَقْطُرْنَ من نجدة دما» فدلّلْتَ على قلة القَتْلِ ولو قلت «يَجْرِينَ» لكان أكثرَ لانصباب الدّم . وفخرتَ بمن ولَدْتَ ولم تفخرْ بمن ولَدك . فقام حَسّان منكسِرا منقطِعا .

مما يغنّى فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قولُه :

صــــوت

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسِيرُون خَلْفَنا * وإن نحن أَوْمَأْنا الى الناس وَقَفُوا

فيه ثَقِيلٌ بالوسطى ، يقال : إنه لابن سُرَيج ، وذكر الهشامىّ أنه من منحولِ يحيى المكّىّ .

(١) المثانة : المراد بها هنا موضع الولد من الأنثى .

انحل بيتا لجميل

أخبرنا الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى أبو مَسْلَمَةَ موهوبُ بن رَشِيد الكِلَابِىّ قال :

وقف الفرزدق على جَمِيل والناس مجتمعون عليه وهو يُنْشِد :

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسِيرُون خَلْفَنا * وإن نحن أَوْمَأْنا الى الناس وَقَّفُوا

٥ فأَشْرع اليه رأسَه من وراء الناس وقال : أنا أحقُّ بهذا البيت منك . قال : أَنْشُدك اللهَ يا أبا فِرَاس! . فمضى الفرزدقُ وٱنتحله .

عرض هو وكثير كل منهما للآخر أنه سرق بيتا من جميل

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنى أبى عن جدّى :

أنّ الفرزدق لقِىَ كثيِّرا فقال له : ما أشعرك يا كثيِّر فى قولك :

أُريد لأنسَى ذِكرَها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى لَيْـلَى بكلّ سبيل

١٠ فعرّض له بسرقته إيّاه من جَميل :

أُريد لأنسى ذِكرها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى على كلّ مَرْقَبِ

فقال له كثيِّر : أنت يا فرزدق أشعر منّى فى قولك :

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسِيرُون خَلْفَنا * وإن نحن أَوْمَأْنا الى الناس وَقَّفوا

— قال : وهذا البيت لجميل سرَقه الفرزدق — فقال الفرزدق لكثيِّر : هل كانت

١٥ أُمُّك تَرِدُ البصرةَ؟ قال : لا! ولكن أبى كان نَزِيلًا لأُمّك .

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز ابن عِمْرانَ عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شِهاب عن طَلْحةَ بن عبد الله بن عَوْف قال : لقِى الفرزدق كثيِّرا بقارعة البَلاط وأنا وهو نمشى، فقال له الفرزدق : يا أبا صَخْر! أنت أنسبُ العرب حيث تقول :

أريد لأَنْسَى ذكرَها فكأنما * تَمَثَّلُ لى ليــلى بكلّ سبيلِ

قال : وأنت يا أبا فِراس أفخر العرب حيث تقول :

١٩٦ / ٨

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسيرُون خَلْفَنا * وإن نحن أَوْمَأْنا إلى الناس وَقَّفوا

— قال عبد العزيز : وهذان البيتان جميعا لجَميل، سرق أحدَهما الفرزدق، وسرَق الآخرَ كثيِّر — فقال له الفرزدق : يا أبا صَخْر، هل كانت أُمّك تَرِدُ البَصرة ؟ قال : لا ! ولكن أبى كان كثيرا يَرِدُها. قال طَلْحة: فوالذى نفسى بيده لقد تعجّبتُ من كثيّر وجوابه، وما رأيت أحدًا قطُّ أحمقَ منه؛ لقد دخلتُ عليه يومًا فى نَفَر من قريش، وكنّا كثيرًا نَهْزَأُ به، وكان يتشيّع تشــيُّعًا قبيحا، فقلنا له : كيف تجدك يا أبا صَخْر ؟ فقال : بخير. هل سمعتم الناس يقولون شيئا ؟ قلت : نعم ! يتحدّثون أنك الدجّال . قال : والله إنْ قلتَ ذلك إنّى لأجد فى عينى هذه ضعفا منذ أيام ! .

وجرير قصيدة يناقض بهـا هذه القصيدة فى أوّلها غناء نسبته :

أَلَا أيُّها القلب الطَّرُوب المكلَّفُ * أفِقْ رُبَّمـا يَنْأَى هواك ويُسعِفُ

ظَلِلْتَ وقد خَبَّرتَ أنْ لستَ جازعًا * لرَبْعٍ بِسُلْمانَيْنِ عينُـك تَذْرِفُ

الشعر لجرير. والغِناء لمحمد بن الأشعث الكُوفىّ ثانى ثقيــل بالبِنصر، عن عمرو بن بانة . وقال حَبَش : فيه ثقيل أوّل بالوسطى . وليس ذلك بصحيح .

رجع الحديث الى سياقة حديث الفرزدق والنّوار :

تزوّج رهيمة بنت غنيم اليربوعية

قال دَماذ : وتزوّج الفرزدق على النَّوار آمرأةً من اليَرابيع، وهم بطن من النَّمِر ابن قاســط حُلَفاءُ لبنى الحــارث بن عُبَاد القَيْنِىّ، وقد آنتَسَبوا فيهــم . فقالت له النّوار : وما عسى أن تكون القَيْنِيّة ؟ ! فقال :

أرتكَ نجومَ اللَّيــلِ والشمسُ حيَّةٌ[1] * زِحامُ بناتِ الحــارث بن عُبَــاد
نســاءٌ أبوهنّ الأغرُّ ولم تكــن * من الحُتِّ[2] فى أجبالهــا وهَــدَاد[3]
ولم يكن الجَــوْفُ[4] الغموضُ مَحَلَّها * ولا فى المِجَاريِّين رَهْــطِ زياد
أبوها الذى أدْنَى النَّعامةَ بعــد ما * أبَتْ وائلٌ فى الحــرب غيرَ تَمَــاد

ه — يعنى بأبيها الذى أدنى النعامةَ الحارثَ بن عُبَاد، وأراد قوله :

* قرِّبا مَرْبَط النَّعامة منّى * —

عدلتُ بها مَيْلَ النَّــوَار فأصبحتْ * مُقارِبةً لى بعــد طــول بِعــادِ
وليست و إنْ أنبأتُ أنّى أحبُّهــا * الى دَارِمِيّــات التِّجار جيــادِ

وقال أبو عُبَيْدة حدّثنى أعيَنُ بن لَبَطَةَ قال : تزوّج الفرزدق، مُضَارَّةً للنوَّار، امرأةً

١٠ يقال لها رُهَيْمة بنت غُنَيم بن دِرْهَم من اليَرابيع، قوم من النَّمِر بن قاسط فى بنى الحارث ابن عُبَاد . وأمّها الحُمَيْضَة[5] من بنى الحارث . فنافرته الحميضة فاستعدت عليه . فأنكرها الفرزدق وقال : أنا منها برىء، وطلّق ٱبنتها وقال :

إنّ الحميضة كانت لى ولابنتها * مثلَ الهَرَاسة[6] بين النَّعل والقَدَمِ
اذا أتتْ أهلَها منّى مُطَلَّقــةً * فلن أرُدَّ عليها زَفْرَةَ النَّدمِ

١٥ (١) فى ديوانه : «أراك» . وفى النقائض : «ســوف يريك النجم» . (٢) الحت : قبيلة من كندة . (٣) هداد : حى من اليمن . (٤) الجوف : المطمئن من الأرض . ويحتمل أن يكون الغموض بفتح الغين صــيغة مبالغة من غمض المكان اذا تطامن وخفى . ويحتمل أن يكون جمع غمض، وهو المكان المنخفض المطمئن . وانمـا وصف المفرد بالجمع لارادة الجنس، كما يقال الدينار الصفر، والدرهم البيض . ومنه قول الفرزدق نفسه على رواية الأغانى كما تقدّم فى صفحة ٣٢٥ من

٢٠ هذا الجزء : * و إبطال حق باليمين الكواذب *

(٥) فى النقائض ص ٥٩٥ : «الخبيصة» بالخاء المعجمة والصاد المهملة . (٦) الهراسة : واحدة الهراس، وهو شوك كأنه حسك .

مضى الحديث . ولم اجد لأحدٍ من الخلفاء الذين ذكرتُهم والذين لم أذكرهم ،
بعد الواثق، صَنْعةً يُعتَدّ بها إلا المعتضدَ، فإنه صَنَع صنعةً متقنة عجيبة ، أَبَرَّت[1] على
صنعة سائر الخلفاء سوى الواثق ، وفَضَل فيها أكثرَ أهل الزمان الذى نشأ فيه .
وإنما ذكرتُ صنعة مَنْ بينهما ، لأنها قد رُوِيتْ ، فأمّا حقيقة الغناء الجيِّد فليس
بينهما مثلُهما . وذكر عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر صنعةَ المعتضد فقرَّظها ،
وقال : لم أجد لحنًا قديما قد جمع من النَّغَم ما جمعه لحن آبن مُحْرِز فى شعر مُسافِر
ابن أبى عمرو وهو :

يا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرٍ * تَرَكَ المُنَى لفواتها

فإنه جمع من النغم العشر ثمانيا، ولحن آبن مُحْرِز أيضا فى شعر كثيِّر :

توهَّمتُ بالخَيْف رَسْمًا مُحِيلَا * لِعزَّةَ تَعْرِفُ منه الطُّلُولا

وهو أيضا يجمع ثمانيا من النَّغَم . وقد تلطَّف بعضُ مَنْ له دُرْبةٌ وحِذْقٌ بهذه الصناعة
حتى جمع النَّغَم العشرَ فى هذا الصوت الأخير متوالية ، وجمعها فى صوت آخر غيرَ
متوالية، وهو فى شعر آبن هَرْمة :

فإنّك إذ أطمعتنى منك بالرضا * وأيأستنى من بعد ذلك بالغضبْ

وأعجبُ من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله؛ فإنه صنع فى رَجَز دُرَيْد بن
الصِّمّة "يا ليتنى فيها جَذَعْ" لحنًا من الثقيل الأول يجمع النَّغَم العشرَ، فأتى به مستوفَى
الصنعة مُحْكَمَ البناء، صحيحَ الأجزاء والقِسْمة، مُشبَعَ المفاصل، كثيرَ الأدوار، لاحقًا
بجيِّد صنعة الأوائل . وإنما زاد فضلُه على من تقدّمه لأنه عمله فى ضرب من الرجز

(١) كذا فى جـ . وأبرت : علت . وفى سائر الأصول : « أبرزت » وهو تحريف .

قصير جدًّا، وآستوفَى فيه الصنعة كلَّها على ضيق الوزن، فصار أعجب مما تقدّمه؛ إذ تلك عُمِلتْ فى أوزان تامّة وأعاريضَ طِوال يتمكّن الصانع فيها من الصنعة ويقتدر على كثرة التصرُّف؛ وليس هذا الوزن فى تمكُّنه من ذلك فيه مثلَ تلك .

نسبة هذا اللحن

صوت

يا ليتنى فيها جَذَعْ * أَخُبُّ فيها وأَضَعْ[1]

أَقُود وَطْفاءَ الزَّمَعْ[2] * كأنها شاةٌ صَدَعْ[3]

الشعر لدُرَيْد بن الصِّمَّة . والغِناء للمعتضد، ولحنُه ثقيلٌ أوّل يجمع النَّغَم العشر .

---

(١) الجذع : الصغير السن . والخبب والوضع : نوعان من السير . (٢) الزمْع : هنات شبه أظفار الغنم فى الرسغ، فى كل قائمة زمعتان كأنما خلقتا من قطع القرون؛ أو الزمعة : الشعرة المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب . ووطفاء : كثيرة الشعر سابغته . يريد فرسا هذه صفتها .

(٣) الصدع من الأوعال والظباء والإبل والحمر : الفتى الشاب القوى منها .

التراجم التى فى هــذا الجزء

تراثنا



تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء العاشر

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر ج. ع. م
تليفون ٩٠٠١١٨ س. ت ٦٣٤١١

بيان

بحمد الله وحسن توفيقه، تمّ هذا الجزء بعد مقابلته بأصوله المخطوطة والمطبوعة، وبعد تصحيح ما وفّقنا له، وضبط ما ينبغى ضبطه من لغة وأسماء، وتحرّى وجه الصواب جهد الطاقة فيما وضعناه من شروح وتعليقات .

والأصول التى اعتمدنا عليها فى المراجعة هى الأصول التى اعتمدنا عليها فى مراجعة الأجزاء السابقة، وقد تقدّم وصف هذه الأصول جميعا فى تصدير الجزء الأوّل . وتقدّم فى هذا التصدير أن النسخة التى اصطلحنا على أن نرمز لها بحرف « ا » مكتوبة بخطوط مختلفة .

والمجلد الذى راجعنا عليه فى هذا الموضع من هذه النسخة مكتوب بالخط المغربى، كتبه — كما هو وارد فى آخر صفحة منه — بثغر الجزائر محمد بن محمد المدعو السلاوى الحسنى الفاسى المنشأ والدار فى أواخر جمادى الثانية من سنة ست وتسعين ومائة وألف هجرية . وهو أكبر حجما من سائر مجلدات هذه النسخة ؛ إذ يبلغ طول صحفه ٣١ سنتيمترا، وعرضها ٢٠ وطول ما رسم من الكتابة فى الصحف ٢٢ بعرض ١٣ وفى كل صفحة ٢٩ سطرا . أما سائر الأجزاء فهى دونه فى الحجم وفى عدد السطور . وأوّل هذا المجلد محلى ومجدول بالذهب، ويقع فى ٣٠٣ ورقة وباقى الصحف مجدول بالمداد الأحمر .

ويبتدئ هذا المجلد بأخبار عنترة بن شداد العبسى التى تقع فى أول صفحة ٢٣٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة، وينتهى بأخبار أبى زبيد وتقع فى الجزء الثانى عشر من هذه الطبعة .

بيان

وعدم [illegible] بين هذا المجلد وسائر المجلدات يدل على أنه ليس من أسفار النسخة التي في دار الكتب المصرية والمرقومة برقم ١٣١٨ أدب، وإنما جمع معها وسلك في رقمها. وفي آخره ما يدل على ذلك صراحة إذ ورد فيه : « تم السفر الثالث من كتاب الأغاني ... » وهذا السفر يصل إلى قريب من نصف الكتاب مع أن هذه النسخة تقع في أربعة عشر مجلدا كما قلنا في وصفها في تصدير الكتاب. ووضح من هذا أن هذا المجلد لا بد أن يكون جزءا من نسخة أخرى لا تعدو أسفارها ستة أو سبعة على الأكثر.

وقد اطلع على هذا المجلد كما اطلع على [illegible] مجلدات هذه النسخة الأستاذ الكبير شيخ الأزهر الشيخ حسن بن محمد العطار [illegible] حلية العلماء والأدباء في القرن الثالث عشر الهجري.

وقد وضعت لهذا الجزء فهارس كاملة [illegible] الأجزاء السابقة، غير أنا توسعنا في فهرس هذا الجزء عند ذكر أسماء رجال السند، إذ لم نكتف بذكر رقم أو رقمين لكل رجل بل أثبتنا كل أرقام [illegible] من روى عنهم أو من رووا عنه، [illegible] مرجعا للرجال [illegible] أخباره التي ذكرها في كتابه.

وإنا نعتذر إلى القراء من [illegible] الأجزاء، فإن العمل شاق، والأصول التي بين أيدينا [illegible] كثيرة [illegible] أمانة ثقيلة.

وفي هذا المقام نرى اعترافا بالجميل [illegible] بجهود العاملين أن نسدي جميل الثناء والحمد لحضرة الأستاذ الكبير [illegible] "منصور فهمي بك" المدير العام لدار الكتب المصرية [illegible] وللإرشاد [illegible] من حسن التوجيه والإرشاد، والله أسأل أن [illegible]

[illegible] زكي العدوي

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء العاشر

من كتاب الأغانى

أخبار دريد بن الصمة ونسبه

نسبه

٥ هو دُرَيْد بن الصِّمَّة . وآسم الصِّمَّة ، فيما ذكر أبو عمرو ، معاويةُ الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن عَلْقَمَة ، وقيل : عَلْقَمة ، بن خُزَاعة بن غَزِيَّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هَوَازِن . وقال أبو عُبَيْدة [illegible] هو دُرَيْد بن الصِّمَّة ، وآسمه معاوية [illegible] بن عَلْقَمَة [illegible] ذكر [illegible] . وقال ابن سَلَّام : الحارث بن معاوية بن بكر بن عَلْقَمة .

صفاته

١٠ ودريد بن الصِّمَّة فارسٌ شجاع شاعر فَحْل ، وجعَله محمد بن سَلَّام أوّلَ شعراء الفُرْسان . وقد كان أطولَ الفُرْسان الشعراءِ غَزْوًا ، وأبعدَهم أثرًا ، وأكثرَهم ظَفَرًا ، وأيمَنَهم نَقِيبةً عند العرب ، وأشعرهم[1] دريد بن الصِّمَّة .

وقال أبو عبيدة : كان دريد بن الصِّمَّة سيِّدَ بنى جُشَم وفارسَهم وقائدَهم ، وكان مظفَّرًا ميمونَ النَّقِيبة ، وغزا نحوَ مائة غَزَاةٍ ما أَخْفَق فى واحدة منها ، وأدرك

---

١٥ (١) يلاحظ بأدنى تأمل أن سياق الكلام مستغن عن ذكر هذا .

الإسلامَ فلم يُسْلِم، وخرج مع قومه فى يوم حُنَيْنٍ مُظاهِرًا للشركين، ولا فضلَ فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمُّنا به وليقتبسوا من رأيه، فنعهم مالكُ بن عَوْف من قبول مَشُورته، وخالفه لئلا يكون له ذِكر، فقُتِل دُرَيد يومئذ على شِرْكه. وخبرُه يأتى بعد هذا.

قتل يوم حنين

إخوته

وكان لدريد إخوةٌ وهم عبد الله الذى قتلته غَطَفانُ، وعبدُ يَغُوثَ قتله بنو مُرَّةَ، وقَيْس قتله بنو أبى بكر بن كِلاَب، وخالدٌ قتله بنو الحارث بن كَعْب، أُمُّهم جميعًا رَيْحانةُ بنت مَعْدِ يكربَ الزُّبَيْدىّ أخت عمرو بن معد يكرِب كان الصِّمَّة سباها ثم تزوّجها فأولدها بَنيه. وإيّاها يَعنى أخوها عمرو بقوله فى شعره:

أَمِن رَيْحانةَ الدَّاعِى السَّميعُ * يؤرِّقنى وأصحابى هُجُوعُ

إذا لم تَسْتطِعْ شيئا فدَعْه[1] * وجاوِزْه إلى ما تستطيع

٣/٩

ابنه وبنته شاعران

وكان لدُرَيد آبنٌ يقال له سَلَمةُ، وكان شاعرًا وهو الذى رمى أبا عامر الأشْعَرِىّ[2] بسهم فأصاب ركبته فقتله وآرتجز فقال:

إن تَسْألوا عنّى فإنى سَلَمَهْ * إبنُ سَمَادِيرَ[3] لمن توسّمَهْ

* أضرب بالسيف رءوسَ المُسْلِمَهْ *

وكانت لدُرَيد أيضًا بنتٌ يقال لها عَمْرةُ [وكانت][4] شاعرة، ولها فيه مَرَاثٍ كثيرةٌ.

شعره فى الصبر على النوائب

أخبرنى بخبره هاشم بن محمد الخُزَاعِىّ قال: حدّثنا أبو غسّانَ دَمَاذ عن أبى عُبَيْدة وأخبرنى به محمد بن الحسن بن دُرَيد عن أبى حاتم عن أبى عُبَيدة، وأخبرنى بأخبار

---

(١) فى ا، ء، م: «أمرا».

(٢) أبو عامر الأشعرى هو ابن عم أبى موسى الأشعرى، وقد كان هذا الحادث يوم حنين.

(٣) سمادير اسم أم سلمة امرأة دريد بن الصمة.

(٤) الزيادة عن ء.

له مجموعةٍ ومتفرقةٍ جماعةٌ من شيوخنا أذكرهم فى مواضعهم ، وأخبرنى ايضا بخبره محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان عن صالح بن محمد عن أبى عمرو الشَّيْبانى وقد بيَّنتُ رواية كل واحد منهم فى موضعها ، قال أبو عُبَيدة سمعت أبا عمرو بن العَلَاء يقول : أحسنُ شعرٍ قيل فى الصبر على النوائب قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة حيث يقول :

تقول ألا تَبْكى أخاك ! وقد أرَى * مكانَ البكا لكن بُنِيتُ على الصبرِ
لمقتلِ عبد الله والهالكِ الذى * على الشَّرَف الأعلى قتيلِ أبى بكر
وعبدِ يغوثَ أو خليلِى خالدٍ * وعَزَّ مُصَاباً حَثْوُ(١) قبرٍ على قبر
أَبَى القتلَ إلّا آلُ صِمَّةَ إنهم * أبَوْا غيرَه والقَدْرُ يجرِى الى القَدْر
فإمّا تَرَيْنا ما تَزال دماؤنا * لدى واترٍ يَشْقَى بها آخرَ الدهر
فإنّا لَلَحْمُ السيفِ غيرَ نَكِيرةٍ * ونَلْحَمُه(٢) حيناً وليس بذى نُكْر
يُغَار علينا واترين فيُشْتَفَى * بنا إن أُصِبْنا ، أو نُغِير على وِتْر
بذاك قَسَمْنا الدهرَ شَطْرين قِسمةً * فما يَنقضِى إلا ونحن على شَطْر

وأخبرنى ابن عَمّار قال : حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنى محمد بن القاسم الأَسَدِىّ عن صاعِدٍ مولى الكُمَيْت بن زيد يقول : أحسنُ شعرٍ قِيل فى الصبر على النوائب قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة ، وذكَرَ هذه الأبيات .

يوم اللوى ومقتل أخيه عبد الله وما رثاه به من الشعر

قال أبو عُبَيدة : فأما عبد الله بن الصِّمَّة فإن السبب فى مقتله إنه كان غزا غَطَفانَ ومعه بنو جُشَم و بنو نَصْرٍ أبناءُ معاوية فظفِر بهم وساق أموالَهم فى يوم يقال له يوم اللِّوَى ومضى بها . ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له

(١) فى أ : «حثى قبر» يقال : حثوت عليه التراب أحثوه حثوا وحثيته أحثيه حثيا ، والياء أعلى .
(٢) لحمه (من باب فتح) : أطعمه اللحم . وفى الصحاح : « ولا تقل ألحمه والأصمعى يقوله » .

أخوه دُرَيد: يا أبا فرعان — [illegible] الله ثلاث بنين [illegible]، وأبو ذُفافة،
وأبو أوفى، وكنّاهم [illegible] ذكرهم دُرَيد فى شعره — [illegible]: إن غطفان
ليست بغافلة عن أموالها، فأقسم لا يَرِيمُ حتى يأخذ مِرباعه(١) وينقع(٢) نقيعه، فيأكل
ويُطعِم ويقسم البقية بين أصحابه، فبيناهم فى ذلك وقد سطعت الدواخن، إذا بغبار
قد ارتفع أشدّ من دُخانهم؛ وإذا عبسٌ وفزارةُ وأشجعُ قد أقبلت فقالوا لربيئتهم(٣):
انظر ما ذا ترى؟ فقال أرى قوماً جعاداً كأن سرابيلهم قد غُمِست فى الجادىّ(٤).
قال: تلك أشجعُ، ليست بشىء. ثم نظر فقال: أرى قوما كأنهم الصبيان، أسنّتهم
عند آذان خيلهم. قال: تلك فزارةُ. ثم نظر فقال: أرى قوما أُدماناً(٥) كأنما يحملون
الجبل(٦) بسوادهم، يَخُدُّون(٧) الأرض بأقدامهم خَدّاً، ويجُرّون رماحهم جرّاً، قال:
تلك عبسٌ والموتُ معهم! فتلاحقوا بالمُنعرَج من رُمَيلة اللِّوى فاقتتلوا فقتل رجل
من بنى قارِب وهم من بنى عبس عبدَ الله بن الصِّمَّة فتنادوا: قُتل أبو ذُفافة! فعطف
دُرَيد فذبّ عنه فلم يُغنِ شيئا وجُرِح دُرَيد فسقط فكفّوا عنه وهم يرون أنه قُتل،
واستنقذوا المالَ ونجا مَنْ هرب، ثم إن الزَّهدمان وهما من بنى عبس، وهما زَهْدَم
وقيسٌ ابنا حَزْن بن وهب بن رَواحة وإنما قيل لهما الزَّهدمان تغليبا لأشهر الاسمين
عليهما، كما قيل العُمَران لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، والقمران للشمس والقمر.
قال دُرَيد: فسمعتُ زَهْدَمًا العبسىَّ يقول لكَرْدَم الفزارىّ: إنى لأحسب دُرَيدًا حيًّا

(١) المرباع بكسر أوله: ربع الغنيمة، وهو حظ الرئيس فى الجاهلية.
(٢) نقع الشىء فى الماء وغيره ينقعه (من باب فتح) فهو نقيع، ومثله أنقعه. [illegible]: أى اتخذ منه النبيذ.
(٣) الربيئة: الطليعة. (٤) الجادىّ: الزعفران.
(٥) الأدمان: جمع آدم على مثال سودان وحمران. والآدم من الناس: [illegible].
(٦) فى جـ، م: «الأرض». (٧) يخدون: يشقون.

فانزل فأَجْهِز عليه، قال: قد مات، قال: آنزل فآنظر الى سُبّته[1] هل تَرَمَّز؟ قال دُرَيد: فسددتُ من حِتارها[2] أى من شَرَجها، قال فنظر فقال: هيهات، أى قد مات، فولّى عنّى، قال ومال بالزُّجّ فى شَرَج دُرَيد فطعنه فيه فسال دمٌ كان قد آحتقن فى جوفه، قال دُرَيد فعرفت الخِفّة حينئذ فأمهلتُ، حتى اذا كان الليلُ مَشَيْت وأنا ضعيف قد نَزَفنى[3] الدَّمُ حتى ما أكاد أبْصر، فجُزْتُ بجماعة تَسير[4] فدخلتُ فيهم، فوقعتُ بين عُرْقُوبَىْ بعير ظَعينة، فنفر البعيرُ فنادتْ: نعوذ بالله منك، فآنتسبتُ لها فأَعْلَمت الحىَّ بمكانى، فغُسِل عنّى الدم وزُوِّدتُ زادًا وسقاء فنجوتُ، وزعم بعض الغَطَفانيّين أن المرأة كانت فَزاريّة وأنّ الحىّ كانوا علموا بمكانه فتركوه فداوته المرأةُ حتى برأَ ولحق بقومه، قال: ثم حَجّ كَرْدَم بعد ذلك فى نَفَر من بنى عَبْس، فلما قاربوا ديارَ دُرَيد تنكّروا خوفًا، ومرّ بهم فأنكرهم، فجعل يمشى فيهم ويسألهم من هم؟ فقال له كَرْدم: عمّن تسأل؟ فدفعه دُرَيد، وقال: أمّا عنك وعمّن معك فلا أسأل أبدا، وعانقه، وأهدى اليه فرسًا وسلاحا، وقال له: هذا بما فعلتَ بى يوم اللِّوَى.

وقال دُرَيد يرثى أخاه عبد الله:

أرثّ جديدُ الحبلِ من أمّ معبدِ * بعاقبةٍ[5] وأخلفتْ كلّ موعدِ
وبانت ولم أحمَد إليك جِوارَها * ولم ترجُ منّا رِدّة اليوم أوغَدِ

(١) السبة بالضم: الاست. وترمز (بحذف إحدى تاءيها): تضطرب وتتحرك.
(٢) الحتار بالكسر: ما أحاط بالشىء كحتار الغربال والمنخل.
(٣) يقال: نزف الدم فلانا فهو منزوف ونزيف أى سال منه دم كثير حتى يضعف.
(٤) فى أ، م: «قيس».
(٥) بعاقبة أى بأخرة.

وهى طويلة وفيها يقول :

أعاذِلَتى كُلُّ آمرئ وآبْنُ أُمِّه * متاعٌ كزاد الراكب المتزوِّد

أعاذل إن الرُّزْءَ أمثالُ خالدٍ[1] * ولا رُزْءَ مما أهلكَ المرءُ عن يد

نصحتُ لعارضٍ وأصحاب عارض * ورَهْطِ بنى السَّوْداء[2] والقومُ شُهَّدى

فقلتُ لهم ظُنُّوا[3] بألفَىْ مدجَّج * سَرَاتُهُمُ فى الفارسىِّ المُسَرَّد ٥

أمرتُهُمُ أمرى بمُنْعَرَج اللِّوَى * فلم يَسْتَبينوا الرُّشْدَ إلا ضُحَى الغَد

فلما عَصَوْنى كنتُ منهم وقد أَرَى * غَوايتَهم وأننى[4] غيرُ مهتدِ

وهل أنا إلا من غَزِيَّةَ[5] إن غَوَتْ * غَوَيْتُ، وإن تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أرشُد

دعانى أخى والخيلُ بينى وبينه * فلما دعانى لم يجدْنى بقُعْدُد[6]

تنادَوْا فقالوا أَرْدَتِ الخيلُ فارسًا * فقلت أعبدُ الله ذلكمُ الرَّدِى ١٠

فإن يَكُ عبدُ الله خلَّى مكانَه * فلم يَكُ وَقَّافاً ولا طائشَ اليد

---

(١) ذكر المؤلف فيما مر إخوة دريد وذكر منهم خالدا وعبد الله . والتصريح بهذا الاسم فى هذا الشعر الذى قاله دريد فى رثاء أخيه عبد الله خاصة يدل على أن عبد الله وخالدا وعارضا (المذكور فى البيت التالى) ثلاثة أسماء لشخص واحد وقد صرح بذلك شارح الحماسة ج ٢ ص ١٥٦ حيث قال : « عارض هو أخو دريد وكانت له ثلاثة أسماء عارض وعبد الله وخالد، وثلاث كنى كان يكنى أبا أوفى وأبا ذفافة وأبا مرعان أو أبا فرغان » . ١٥

(٢) رهط بنى السوداء يعنى بهم أصحاب أخيه عبد الله . والقوم شهدى أى شهودى .

(٣) ظنوا أى أيقنوا أو معناه ما ظنكم بألفين من الأعداء راصدين لكم يرقبونكم . والمدجج : التام السلاح، من الدجة وهى شدة الظلمة لأن الظلمة تستر كل شىء ، والمدجج يستر نفسه بالسلاح . وسراتهم : أشرافهم وسادتهم . والفارسى المسرد عنى به الدروع المتتابعة الحلق فى نسجها . ٢٠

(٤) كذا فى حـ والحماسة . وفى سائر الأصول : « أو » . (٥) غزية : قبيلة من هوازن . وهى رهط الشاعر . (٦) القعدد كقنفذ : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .

ولا بَرِمًا(١) إذا الــرياحُ تناوحتْ * بَرَطْبِ العِضاهِ والهَشِيمِ المعضَّــد
نظرتُ اليــه والرِّماح تَنُوشُـــه(٢) * كَوَقْعِ الصَّيَاصِى فى النَّسِيج المُمَدَّد
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ * وحتى عَلَانِى أشـقرُ اللون مُزْبِدُ(٣)
فمــا رِمْتُ حتى خرَّقتْنى رماحُهــم * وغُودِرتُ أكبو فى القَنا المتقصِّد(٤)
قِتَــالَ آمْرِيءٍ واسَى أخاه بنفســه * وأيقن أنّ المرءَ غيرُ مخــلَّد
صــبور على وقع المصائب حافظ * من اليوم أعقابَ الأحاديث فى غَدِ

فى بعض هذه الأبيات غناء وهو :

صـــوت

تمثـل علىّ عليـه السلام بشعره

أمرتُهُــمُ أمرى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى * فلم يَسْتبينوا الرُّشْـدَ إلَّا ضُحَى الغدِ
فلما عصَوْنِى كنتُ منهم وقد أَرَى * غَوايَتَهــم وأنّنى غــير مهتــدِ
وهل أنا إلّا من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ * غَوَيتُ وإن تَرْشُـد غَزِيَّةُ أَرْشُـد

الغناء ليحيى المكىّ ثانى ثقيل بالسبّابة فى مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد، وذكره إسحاق فى هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحمد . وهذه الأبيات تمثّل بها أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه عند مُنْصَرَفِهِ من صِفِّين .

---

(١) البرم : الضــجر . وتناوحت الرياح هبت صــبا مرة وشمالا مرة وجنوبا مرة ، وذلك آية الجــدب . والعضاه : كل شجر يعظم وله شوك . والهشيم : النبت اليابس المتكسر . والمعضــد : المقطع بالمعضد . (٢) تنوشه : تتناوله . والصياصى : جمع صيصية وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة . (٣) هذه رواية الأصول وفيه إقواء . ورواية الحماسة ،

فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست * وحتى علانى حالك اللون أسودى

قال التبريزى : ويروى أسود على الإقواء . وأسودى يريد أسوديا كما قيل فى الأحمر أحمرى وفى الدوّار دوّارى ثم خففت ياء النسب بحذف إحداهما . (٤) المتقصد : المتكسر .

حدّثنى أحمد بن عيسى بن أبى موسى العِجْلىّ قال حدّثنا حسين بن نصر بن مُزَاحِم قال حدّثنا عمر بن سعيد عن أبى مِخْنَف عن رجاله أن عليًّا عليه السلام لمّا آختلفتْ كلمةُ أصحابه فى أمر الحَكَمَيْن وتفرّقت الخوارجُ وقالوا له آرجع عن أمر الحَكَمَيْن وتُبْ وآعترفْ بأنك كفرتَ إذ حَكَّمْتَ، ولم يَقْبَل ذلك منهم، وخالَفوه وفارقوه تمثّل بقول دُرَيد :

أمرتُهُمُ أمرى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى * فلم يَسْتَبِينوا الرُّشْدَ إلّا ضُحَى الغد

الأبيات :

أخوه عبد الله وأسماؤه وكناه

قال أبو عُبَيدة : كانت لعبد الله بن الصِّمَّة ثلاثةُ أسماءٍ وثلاثُ كُنًى : عبد الله ومَعْبَد وخالد . ويكنى أبا ذُفَافة وأبا فُرْعانَ وأبا أَوْفَى .

وقال دُرَيد :

أبا ذُفَافةَ مَنْ للخيل إذ طُرِدتْ * فآضطرَّها الطعنُ فى وَعْثٍ[1] و إيجافِ

يا فارسَ الخيلِ فى الهَيْجاء إذ شُغِلتْ * كلتا اليدين دَرُورًا غيرَ وَقّافِ

له أفضل بيت فى الصبر على النوائب

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عُبَيدة عن يونس أنه كان يقول : أفضلُ بيت قالته العرب فى الصبر على النوائب قولُ دُرَيد ابن الصِّمَّة :

قليلُ التَّشكّى للمُصيباتِ حافظٌ * من اليوم أعقابَ الأحاديثِ فى غد

عاتبته زوجته أم معبد على بكائه أخاه فطلقها وقال شعرا

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء عن الزُّبَير عن أبى المُهاجِر، وذكر مثلَه أبو عمرو الشَّيْبانىّ ، أنّ أُمّ مَعْبَد التى ذكرها دُرَيد فى شعره هذا كانت امرأتَه فطلّقها ، لأنها

(١) الوعث هنا : الطريق الخشن الغليظ العسر . والايجاف : سرعة السير .

رأته شديدَ الجَزَع على أخيه، فعاتبته على ذلك وصغّرتْ شأن أخيه وسبّته ، فطلّقها وقال فيها :

أرَثَّ جديدُ الحبل من أمّ مَعْبدِ * بعاقِبـةٍ وأَخْلفتْ كلَّ موعدِ
وبانت ولم أحمَـد اليكَ جِوارَها * ولم تَرْجُ منا رِدّة اليـوم أو غدِ

٦/٩

فقالت له أمّ مَعْبَد : بئسَ والله ما أَثْنيتَ عليّ يا أبا قُرّة! لقد أطعمتُك مأْدُومِي، وبَثَثْتُك مكتومي، وأتيتُك باهلاً[1] غيرَ ذاتِ صِرَار وما اسْتَفْرمتُ[2] قبلك إلا من حَيْض.

وقال أبو عُبَيدة فى خبره : بلغ دُرَيدَ بن الصِّمة أن زوجته سَبّتْ أخاه فطلّقها وألحقها بأهلها وقال فى ذلك :

أعبـدَ الله إن سَبّتْكَ عِرْسِي * تقدّم بعضُ لحمى قبلَ بعضِ
إذا عِرْسُ آمرئٍ شتمتْ أخاه * فليس فـؤاد شانئـه بحَمْضِ[3]
مَعَاذَ اللهِ أن يشتُمْنَ رَهْطِي * وأن يَمْلِكْنَ إبرامى ونقْضِى

حارب غطفان يوم الغدير طلبا بثأر أخيه وقال شعرا

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال :
أغار دُرَيد بن الصِّمّة بعد مقتل أخيه عبدالله على غَطَفانَ يطالبهم بدمه، فاستقراهم[4] حيًّا حيًّا، وقتل من بنى عَبْس ساعدةَ بن مُرّ، وأسَر ذُؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارب، أسَره مُرّةُ بن عوف [illegible] الجُشَمِي. فقالت بنو جُشَم : لو فادَيْناه[5]! فأبَى ذلك دُرَيد عليهم، وقتله بأخيه [illegible] وقتل من بنى فَزَارةَ رجلا يقال له حِزَام وإخوةً له ، وأصاب

(١) الباهل فى الأصل . الناقة لاصرار عليها ، تريد أنها أباحته نفسها . (٢) كذا فى ح ، واستفرمت المرأة : تضيقت بالفرم (بفتح أوله وإسكان ثانيه) أى عالجت ذلك الموضع منها ليضيق ويستحصف ، وربما تعالج بحب الزبيب ونحوه تضيق به متاعها . (٣) فؤاد حمض : فاسد متغير . (٤) استقراهم : تتبعهم . (٥) فاداه : أطلقه وقبل فديته . وفى القرآن الكريم (وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم) .

جماعةً من بنى مُرَّةَ ومن بنى ثَعْلبة بنِ سَعْد ومن أحياء غَطَفانَ ، وذلك فى يوم الغَدِير . وفى هذا اليوم وفى مَنْ قُتِل فيه منهم يقول :

تأبَّد من أهلِه مَعْشَرُ * فَجُوُّ سُوَيْقَةَ فالأَصْفَرُ[(١)]
فَجِزْعُ الحُلَيْفِ الى واسِطٍ[(٢)] * فذلك مَبْدًى وذا مَحْضَرُ
فأَبْلِغْ سُلَيْمَى وأَلْفافَها[(٣)] * وقد يَعْطِف النَّسَبُ الأكبرُ
بأنِّى ثأَرْتُ بإخوانكم * وكنتُ كأنِّى بهم مُخْفِرُ[(٤)]
صَبَحْنا فَزارةَ سُمْرَ القَنا * فَهَلَّا فَزَارةُ لا تَضْجَروا
وأَبْلِغْ لَدَيْك بنى مازنٍ * فكيف الوَعيدُ ولم تَقْرِروا
فإن تَقْتُلوا فِتْيَةً أُفْرِدوا * أصابهم الحَيْنُ أو تَظْفَروا
فإنّ حِزامًا لدى مَعْرَكٍ * وإخوتَه حولَهم أَنْسُر
ويومَ يزيدِ بَنِى ناشِبٍ * وقَبْلُ يَزِيدُكُم الأكبرُ
أَثَرْنا صَرِيخَ بنى ناشِبٍ * ورَهْطَ لَقِيطٍ فلا تَفْخَروا
تَجُرّ الضِّباعُ[(٥)] بأوصالهم * ويَلْقَحْنَ منهم ولم يُقْبَروا

---

(١) تأبد : أقفر . ومعشر وجو سويقة والأصفر أسماء مواضع .

(٢) الجزع : منعطف الوادى . والحليف وواسط : موضعان .

(٣) ألفافها : قومها المجتمعون حولها ، مفرده لف بالكسر .

(٤) أخفره : نقض عهده وغدره . والهمزة فيه للازالة أى أزال خفارته كأشكاه اذا أزال شكواه .

(٥) يشير الى ما هو معروف عن الضبع من أنها اذا لقيت قتيلا بالعراء وورم وانتفخ غرموله تأتيه فتركبه وتقضى حاجتها منه ثم تأكله (راجع نهاية الأرب ج ٩ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية والحيوان للجاحظ طبع مصر ج ٥ ص ٤٠) .

ويقول فى ذلك أيضا دُرَيد بن الصِّمَّة فى قصيدة له أخرى :

جَزَيْنا بَنى عَبْسٍ جزاءً موفَّرًا * بمقتل عبد الله يومَ الذَّنائبِ[1]

ولولا سوادُ الليل أدْرَكَ رَكْضُنا * بذى الرِّمْثِ[2] والأَرْطَى عِياضَ بنَ ناشب

قتلنا بعبد الله خيرَ لِداته * ذُؤابَ بن أسماءَ بنِ زيد بن قارب

قال أبو عبيدة : أنْشد عبدُ الملك بن مروان شعرَ دريد بن الصِّمَّة هذا فقال : كاد دريد أن يَنْسُب ذؤابَ بنَ أسماءَ إلى آدمَ . فلما بلغ المُنْشِدُ قولَه :

ولولا سوادُ الليل أدْرَكَ رَكْضُنا * بذى الرِّمْثِ والأَرْطَى عِياضَ بنَ ناشب

قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيتْ له قليلا حتى يُدْرِكَه .

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضا فى هذه الوقعة :

قتلْنا بعبد الله خيرَ لِداته * وخيرَ شبابِ الناس لو ضُمَّ أجمعَا

ذُؤابَ بنَ أسماءَ بن زيد بنِ قارب * منيّتُه أَجْرَى[3] إليها وأَوْضَعا

فتى مثل مَتْنِ السيف يَهتزُّ للنَّدَى * كعالية الرُّمْح الرُّدَيْنِىِّ أرْوَعا

اغرته أمه بالاستعانة بأخواله فى ثار أخيه فأبى وقتل ذؤاب بن أسماء.

وقال ابن الكَلْبِىّ : قالت رَيْحانةُ بنت معد يكرِب لدُرَيد بن الصِّمَّة بعد حولٍ من مَقْتَل أخيه : يابنىّ إن كنتَ عجَزتَ عن طلب الثأر بأخيك فاستعِنْ بخالك وعشيرته من زُبَيْد ، فأنِف من ذلك وحلَف لا يَكْتَحِل ولا يَدَّهِنُ ولا يَمَسّ طِيبًا ولا يأكل لحمًا ولا يشربُ خمرا حتى يُدْرِكَ ثأرَه ، فغزَا هذه الغَزاةَ وجاءها بذُؤاب بن أسماء فقتله بفِنائها ، وقال : هل بلغتُ مافى نفسك ؟ ! قالت : نعم مُتِّعتُ بك ! ورُوِىَ عن ابن الكَلْبِىّ لرَيْحانةَ فى هذا المعنى أبياتٌ لم تحضُرْن وقد كتبتُ خبرها .

---

(١) الذنائب يوم من أيام العرب المشهورة (راجع الأغانى ج ٥ ص ٣٥ — ٦٣ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) ذو الرمث : موضع . والرمث والأرطى نبتان . (٣) أجرى اليها : قصد اليها .

أخـوه قيس بن الصمة ومقتله

وأمّا قتيل أبى بكرٍ الذى ذكره دُرَيد فإنه أخوه قَيْس بن الصِّمَّة، قتله بنو أبى بكر ٱبن كلاب . وكان السببُ فى ذلك، فيما أخبرنى به هاشم بن محمد عن دَمَاذ عن أبى عُبَيدةَ، أنّه غزا فى قومه بنى خُزَاعةَ من بنى جُشَمَ، فأغاروا على إبلٍ لبنى كَعْب ابن أبى بكر بن كِلَاب، فٱنطلقوا بها . وخرج بنو أبى بكر بن كلاب فى طلبها حتى إذا دنَوْا منهم قال عمرو بن سُفْيانَ الكِلابىّ، وكان حازمًا عاقلا، امكثوا، ومضى هو متنكّرًا حتى لقِىَ رجلا من بنى خُزَاعةَ فسلَّمَ عليه وٱستسقاه فسقاه وٱنتسب له هِلاليًّا، فسأله عن قومه وأين مَرْعَى إبلهم، وأعلمه أنه جاء رائدًا[1] لقومه يريد مجاورتَهم ، فخبَّره الرجل بكلّ ما أراد، فرجَع إلى قومه وقد عرف بُغْيتَه، فصبَح القومَ فظفرتْ بهم بنو كِلَابٍ وقتلوا قيسَ بن الصِّمَّة، وذهبوا بإبل بنى خُزَاعة وٱرتجعوا إبلَهم[2] . وكان يقال لعمرو بن سُفْيانَ ذو السيفينْ ، لأنه كان يَلْقَى الحربَ ومعه سيفان خوفًا من أن يخونه أحدُهما . وإيّاه عَنَى دُرَيدُ بن الصِّمَّة بقوله :

إنّ ٱمرأً بات عمْرٌو بين صِرْمَتِـه[3] * عمْرو بن سُفْيانَ ذو السَّيفيْن مغرورُ

يا آلَ سـفيانَ ما بالِى و بالكُـو * هل تَنْتهون و باقى القـولِ مأثور؟

يا آلَ سُفْـيانَ ما بالِى وبالكُـو * أنتم كبـيرٌ وفى الأحلام عُصْـفور

هلّا نَهيتُمْ أخاكم عن سَفاهتـه * إذ تَشْربون وغاوِى الخمر مدحور؟

لا أعْرِفَنْ لِمَّةً سَـوْداءَ داجيـةً * تدعو كِلابا وفيهـا الرمحُ مكسـور

لن تَسْـبِقونى ولو أمهلتُكم[4] شَرَفًا * عُقَّى إذا أبطأ الفُحْجُ[5] المخَـاصير[6]

(١) فى ب، س، حـ : «زائرا» وهو تحريف . (٢) فى ب، س : «أموالهم» .

(٣) الصرمة بكسر الصاد : القطيع من الأبل والغنم اختلف فى عدده .

(٤) فى ب، س : «أمهلتكم» . (٥) الفحج بضم الفاء وسكون الحاء : جمع أفحج أو فحجاء، وصف من الفحج بفتح الفاء والحاء وهو تباعد ما بين أوساط الساقين من الرجل والدابة .

(٦) المحاصير : جمع مخصور وهو الذى يشتكى خصره .

خبر الحرب بين بني عامر وبني جشم وبين أسد وغطفان

وأخبرنا بخبر ٱبتداء هـذه الحروب محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ٱبن الأعرابىّ قال :

أغارت بنو عامر بن صَعْصَعَةَ وبنو جُشَم بن معاوية على أَسَد وغَطَفانَ، وكان دُرَيد بن الصِّمَّة وعمرو بن سفيان بن ذى اللِّحْية مُتساندَيْن[1]، فـدُرَيد على بنى جُشَم ابن معاوية، وعمرو بن سفيان على بنى عامر. فقال عبد الله بن الصِّمَّة لأخيه : إنّى غيرُ مُعْطِيكَ الرِّياسةَ، ولكنّ لى فى هذا اليوم شأنا. ثم ٱشترك عبدُ الله وشَراحِيلُ ٱبن سفيان، فلمـا أغار القوم أخذ عبد الله من نَعَم بنى أَسَد ستّين وأصاب القومُ ما شاءوا. وأدرك رجل من بنى جَذِيمةَ عبـدَ الله بنَ الصِّمَّة فقال له عبـد الله بن الصِّمَّة : ٱرجع فإنى كنتُ شاركتُ شَراحِيـلَ بن سُفْيانَ، فإن ٱسـتطاع دُرَيد فليأته وليأخذ مالى منه. وأقام دُرَيدٌ فى أواخر الحىّ فقال له عمرو : ٱرْتحِلْ بالناس قبل أن يأتيَك الصُّراخُ[2]، فقال : إنى أنتظر أخى عبدَ الله. حتى إذا أطال عليه قال له : إن أخاك قد أدْرك فوارسَ من الحُلَيْفِيِّين يسوقون بظُعُنهم فقتلوه. فٱنطلقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دُرَيد لشَراحِيلَ[3] : إن عبد الله أنبأنى ولم يكذِبْنى قَطُّ أن له شَرِكَةً مع شَراحِيلَ فأدُّوا إلينا شَرِكتَه. فقالوا له : ما شارَكَاه قطّ. فقال دريد : ما أنا بتارِكِكم حتى أستحلفَكم عند ذى الخَلَصَة (وثن من أوثانهم). فأجابوه إلى ذلك وحلَفوا، ثم جاء عبدُ الله بغَنيمة عظيمة فجاءوه يَنْشُدونه الشِّرْكَ. فقال لهم دريد : ألم أُحلِّفكم حين زعمتم أن عبد الله قد قُتـل. فقالوا : ما حلَفْنا وجعلوا يُناشِـدون عبدَ الله أن يعطيَهم، فقال : لا، حتى يرضى دريدٌ، فأبى أن يَرْضى فتوعّدوه أن يَسْرقوا إبلَه. فقال دريد فى ذلك :

(١) التساند : التعاضد. (٢) الصراخ : صوت الاستغاثة.

(٣) بالتأمل فى سياق هذه القصة يلاحظ أن [illegible].

هل مثلُ قلبِك فى الأهواء معذورُ * والحبُّ بعد مَشِيبِ المرءِ مغرورُ

وذكر الأبياتَ التى تقدّمتْ فى الخبر قبل هذا وزاد فيها :

إذا غلَبتم صديقًا تَبْطُشون به * كما تهـدّم فى المـاء الجمَاهيرُ[1]

وأنتم مَعْشرٌ فى عِرْقِكم شَنَجٌ[2] * بُزْخُ الظهورِ وفى الأَسْتاهِ تأخيرُ

قد علِم القـومُ أنىّ من سَرَاتهمُ * إذا تقبَّض فى البطن المذَاكيرُ

وقد أَرُوعُ سَوامَ القوم ضاحيةً * بالجُرْدِ يَرْكُضُها الشُّعْثُ المَغَاوِير[3]

يَحْمِلن كلَّ هِجَانٍ[4] صارِمٍ ذَكَرٍ[5] * وتحتهم شُزَّبٌ[6] قُبٌّ مَضَـامير

أَوْعَدْتمُـو إِبِلِى كلّا سيمنعُهـا * بنو غَزِيّةَ لا مِيلٌ ولا صُـورُ[7]

اخوه عبد يغوث ومقتله وما رثاه بـه

وأمّا عبد يَغُوثَ بن الصِّمّة وخبرُ مقتـله فإنه كان يترل بين أَظْهُر بنى الصّادر فقتلوه . قال أبو عُبَيدةَ فى خبره : قتـله مُجَمِّع بن مُزَاحِم أخو شَجْنةَ بنِ مُزاحِم وهو من بنى يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرَّة . فقال دُرَيد بن الصِّمّة :

أَبلِـغْ نُعَيماً وأَوْفَى إن لَقِيتَهمـا * إن لم يكن كان فى سَمْعَيْهما صَمَمُ

فـا أخى بأخى سَوْءٍ فَينْقُصَه * إذا تَقَارَبَ بابن الصّادرِ القِسَمُ

(١) الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكة .

(٢) العرق : الأصل . والشنج : التقبض والتقاص ، والبزخ : تقاعس الظهر عن البطن ، وقيل هو خروج الصدر ودخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة . (٣) الجرد : جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر . والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس الملبد الشعر . والمغاوير جمع مغوار وهو المقاتل الكثير الغارات . (٤) الهجان : الكريم . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «كرم» . (٦) الشزب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس ، والقب : جمع اقب وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . (٧) الصور : جمع أصور وهو المائل . وفى حـ ، ا ، م «ولا عور» .

ولن يَزال شِهاباً يُستضاء به * يَهْدِى المَقانبَ[1] مالم تَهْلِكِ الصِّمَمُ[2]

عارِى الأشاجِعِ[3] مَعْصوبٌ بلِمَّته * أمرُ الزَّعامة ، فى عِرْنِينِه شَمَمُ

خالد بن الصمة ومقتله

قال أبو عُبَيدة : أمّا قوله " أو نَدِيمَى خالدِ " ، فإنه يعنى خالدَ بن الصِّمَّة ؛ فإن بنى الحارث بن كعب غَزَتْ بنى جُشَم بنِ معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلتْ

٥ بنو الحارث خالدَ بن الصِّمَّة ، وإيّاه عَنَى . وقال غيرُ أبى عُبَيدةَ : خالد بن الحارث الذى[4] عناه دُرَيدٌ هو عمُّه خالد بن الحارث أخو الصِّمَّة بن الحارث قتلتْه أَحْمَسُ (بطنٌ من شَنُوءَةَ) ، وكان دُرَيد بن الصِّمَّة أغار عليهم فى قومه فظفِر بهم واستاق إبلَهم وأموالَهم وسَبَى نساءَهم وملأ يديه وأيدىَ أصحابه ، ولم يُصَبْ أحدٌ ممّن كان معه إلّا خالدَ بن الحارث عمَّه ، رماه رجل منهم بسهم فقتله ؛ فقال دُرَيد بن الصِّمَّة يرْثيه :

٩/٩

١٠ يا خالدًا خالدَ الأَيْسارِ والنّادِى * وخالدَ الرِّيح إذ هَبَّتْ بصُرّادِ[5]

وخالدَ القولِ والفعلِ المَعِيش به * وخالدَ الحرب إذ عَضَّتْ بأَزْرادِ[6]

وخالدَ الرَّكْبِ إذ جَدّ السِّفارُ بهم * وخالدَ الحىّ لمّا ضُنَّ بالزاد

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الصمم : جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عنى قومه .

١٥ (٣) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ؛ وقيل هى عروق ظاهر الكف واحدها أشجع . والعرنين : الأنف .

(٤) كذا فى الأصول . ولعله : « خالد الذى عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث ... الخ » .

(٥) الصراد : الغيم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا فى أ ، م . والأزراد : جمع زرد وهى الدرع المزرودة ؛ سميت بذلك للينها وتداخل

٢٠ بعضها فى بعض . وفى سائر الأصول : « عضت بأوراد » . والأوراد : جمع ورد . والورد من معانيه القطيع من الطير والجيش على التشبيه به .

وقال أبو عُبَيدة: قال دُرَيد يرثى أخاه خالدا :

أَمَيمَ أَجِدِّى عافِىَ الرُّزْءِ واَجْشَمِى * وشُدِّى على رُزْءٍ ضلوعَك وٱبأَسى

حرامٌ عليها أن تَرَى فى حياتها * كمثلِ أبى جَعْدٍ فعُودِى أوِ ٱجلِسى

أعَفَّ وأَجْدَى نائلاً لعَشِيرةٍ * وأكرمَ مخلود(١) لدى كلِّ مجلس

وأَلْيَنَ منه صَفْحةً لعَشيرةٍ * وخيراً أبا ضيفٍ وخيراً لمجلس

تقول هِلالٌ خارجٌ من غَمامةٍ * إذا جاء يَجْرِى فى شَلِيلٍ(٢) وقَوْنَس

يَشُدّ متونَ الأقْرَبين بهاؤه * ويُخْبِث نفسَ الشانئ المُتَعبِّس

وليس بمِكْبابٍ(٣) إذا الليلُ جَنَّه * نؤومٍ إذا ما أَدْلَجُوا فى المُعَرَّس

ولكنّه مِدْلَاجُ ليلٍ إذا سَرَى * يَنِدُّ(٤) سُرَاه كلَّ هادٍ مُمَلَّس(٥)

هذه روايةُ أبى عُبَيدة .

يوم نيل

وأخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد عن عمِّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه أن خالد بن الصِّمّة قُتل فى غارةٍ أغارتْها بنو الحارث بن كَعْب على بنى نَصْر بن معاوية فى يومٍ يقال له يوم نيل(٦)، فأصابوا ناسًا من بنى نصر. وبلغ الخبرُ بنى جُشَمَ فلحقوهم، ورئيس بنى جُشَمَ يومئذ مالكُ بن حَزْن، فٱستنقَذوا ما كان فى أيديهم من غنائم بنى نصر، فأصابوا ذا القَرْن الحارثىّ أسيراً وفقَئُوا عينَ شهاب بن أَبَان الحارثىّ بسهم،

(١) كذا فى الأصول . (٢) الشليل : الغلالة تلبس تحت الدرع . والقونس : أعلى بيضة الحديد، وقيل مقدم البيضة . (٣) المكباب : الكثير النظر الى الأرض .

(٤) ينذ : يشرد وينفر . (٥) كذا فى الأصول. والظاهر أنها محرفة عن «عملس» وهو القوى الشديد على السفر أو القوى على السير السريع ، ومثله « العمرس » .

(٦) لم نجد يوما بهذا الاسم فيما راجعنا من مصادر . وفى ياقوت : « نيتل بالفتح ثم السكون ماء قرب النباج كانت به وقعة مشهورة » .

وقُتل يومئذ خالد بن الصِّمَّة وكان مع مالك بن حَزْن، وأصابت بنو جُشَمَ منهم ناسا، وكان رئيسُ بنى الحارث بن كعب يومئذ شِهابَ بن أَبَان، ولم يشهد دُرَيد ابن الصِّمَّة ذلك اليوم؛ فلما رجعوا قتلوا ذا القَرْن بخالد بن الصِّمَّة، ولما قُدِّم لتُضرَبَ عُنُقُه، صاح بأَوْس بن الصِّمَّة، وكان له صديقا، ولم يكن أوس حاضراً، فلم ينفعه ذلك وقُتل. فلما قَدِم أَوْسٌ غضب وقال : أقتلتم رجلا آستجار بآسمى! فقال عَوْف بن معاوية فى ذلك :

نُبِّئتُ أَوْسًا بَكَى ذا القَرْنِ إذ شربا * على عُكَاظ بكاءً غالَ مجهودى[1]

إِنِّى حلَفتُ بما جمَّعتُ من نَشَبٍ * وما ذبَحتُ على أنصابكَ السُّودِ

لتبكينَّ قتيلًا منك مُقترِبًا * إنِّى رأيتُك تبكى للأَباعيد

قصة زواجه بامرأة وجدها ثيبا

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غَسّانَ دَمَاذ عن أبى عُبَيدة، وأخبرنى عبد الله بن مالك النحوىّ الضَّرير قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ عن آبن الأعرابىّ قال :

تزوّج دُرَيد بن الصِّمَّة آمرأةً فوجدها ثَيِّبا، وكانوا قالوا له إنها بكر، فقام عنها قبل أن يصل اليها، وأخذ سيفَه فأقبل به اليها ليضربها، فتلقَّته أُمُّها لتدفعه عنها، فوقَف يدَيْها (أى حَزّها ولم يقطعهما)، فنظر اليها بعد ذلك وهى معصوبة فقال :

أَقَرَّ العينَ أن عَصَبَتْ يديها * وما إن تُعصَبانِ على خِضابِ

فأبقاهنَّ أن لهنَّ جَدًّا * وواقيةً كواقية الكلاب

قالوا : يريد أن الكلب يُصيبه الجُرْح فيَلْحَس نفسَه فيَبْرَأ .

(١) فى ج : « مجلودى » .

ما جرى بينه وبين عياض الثعلبي

قال أبو عُبَيدة وابن الأعرابيّ جميعا فى هذه الرواية : أَسَرَ دُرَيْدُ بن الصِّمَّة عِياضًا الثَّعْلَبيّ أحدَ بنى ثَعْلبة بن سعد بن ذُبْيان فأنعم عليه (١) . ثم إن دُرَيدا أتاه بعد ذلك يَسْتثيبه . فقال له : ايتِ رَحْلَك حتى أبعثَ اليك بثوابك ، فانصرف دُرَيد . فبعث اليه بوَطْبٍ (٢) نصفُه لبن ونصفُه بول . فغضب دريد ولم يلبث إلّا قليلًا حتى أغار على بنى ثَعْلبةَ ، واستاق إبلَ عِياض ، وأَفْلتَ عياضٌ منه جريحًا ، فقال دُرَيد فى ذلك من قصيدة :

فإن تَنْجُ يَدْمَى عارضاكَ فإنّنا * تركنا بنيــكَ للضِّباع وللــرُّخْمِ (٣)
جزيتُ عياضًا كُفْرَه وعُقُوقَه * وأخرجتُه من المُدَفّأة (٤) الدُّهْمِ
ألا هــل أتاه ماركِبْنا سَراتَهم * وما قد عقَرْنا من صَفِيٍّ (٥) ومن قَرْمِ

هجا عبد الله بن جدعان ثم مدحه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال :
هجا دُرَيد بن الصِّمَّة عبدَ الله بن جُدْعانَ التَّيْميّ تَيْم قُرَيش فقال :

هــل بالحوادث والأيام من عَجَبِ * أم بابن جُدْعانَ عبد الله من كَلَبِ
اسْتٌ حميتٌ (٦) رِجْمى فى عِكْمِ رِبْتِه * فى يوم حرٍّ شديد الشرّ والهَرَبِ
إذا لقيتَ بنى حَرْبٍ وإخوتَهم * لا يأكلون عَطِينَ (٧) الجلد والأُهُبِ
لا يَنْكُلُون ولا تُشْوِى (٨) رِماحُهم * من الكُماة ذوى الأبدان والجُبَبِ (٩)

(١) أنعم عليه : أطلقه . (٢) الوطب : سقاء اللبن يتخذ من جلد . (٣) الرخم : (بضم الراء وسكون الخاء) : جمع رخمة (بفتح الراء والخاء) . وهى طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . (٤) المدفأة : الابل الكثيرة الأوبار والشحوم .
(٥) الصفى : الناقة الغزيرة اللبن . والقرم : الفحل . (٦) الحميت : المتين . والعكم (بكسر العين وسكون الكاف) : العدل يجعل فيه المتاع ويشد عليه بالعكام أى الحبل . ويلاحظ أن هذا الشطر غير واضح . (٧) العطين : الجلد المدبوغ . (٨) تشوى : تصيب الشوى ولا تقتل . والشوى : الأطراف . (٩) الأبدان : جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة . والجبب : جمع جبة وهى هنا الدرع أيضا .

فٱقعُد بَطِينًا مع الأقوام ما قعـدوا * وإن غزوتَ فلا تُبْعِدْ من النَّصَب

فلو ثَقِفتُكَ[1] وَسْطَ القوم تَرْصُـدُنى * إذًا تلبَّس منـك العِرْضُ[2] بالحَقَبِ

وما سمعتُ بصَقرٍ ظَلّ يرصُـــده * من قبل هذا بجَنْبِ المَرْج[3] من خَرَب[4]

قال: فلقيه عبد الله بن جُدْعان بُعكاظ فحيّاه وقال له: هـل تعرفنى يا دُرَيد؟ قال لا. قال: فلِمَ هجوتَنى؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا عبد الله بن جُدْعان. قال: هجوتك لأنك كنتَ امرأً كريما، فأحببتُ أن أضع شعرى موضعَه. فقال له عبد الله: لئن كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ، وكساه وحمله على ناقة برَحْلها. فقال دُرَيد يمدحه:

إليـك ٱبنَ جُدْعانَ أعْملتُهـا * مخفَّفــةً للسُّرى والنَّصَبْ

فلا خَفْضَ حتّى تُلَاقِى ٱمرأً * جَوادَ الرِّضا وحَلِيمَ الغَضَبْ

وجَلْدًا إذا الحربُ مَرَّتْ به * يُعينُ عليها بجَزْل الحَطَبْ

رَحلْتُ البـلادَ فما إن أَرَى * شَبِيهَ ٱبنِ جُدْعانَ وَسْطَ العَرَبْ

سـوى مَـلِكٍ شامخٍ ملكُه * له البحرُ يَجْرِى وعينُ الذَّهَبْ

تنزل فى الخنساء وخطبها فأمتنعت وتهاجيا

أخبرنا أبو خَليفةَ عن محمد بن سَلّام موقوفًا عليـه لم يتجاوزْه الى غيره، وحدّثنى حَبِيبُ بن نَصْر المهلّبىّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة عن الأصمعىّ وأبى عُبَيدة، وأخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبى عبيدة، وأخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدثنى علىُّ بن المُغيرة عن أبى عُبَيدة، وأخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان

---

(١) ثقفه: صادفه. (٢) العرض هنا: الجسد، والحقب شىء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلى تشده على وسطها. يريد اذا صادفتك وسط القوم لبست لبسة النساء واستخفيت.

(٣) كذا فى الأصول. ولعله «المرخ» وهو شجر سريع الورى يقتدح به. (٤) الخرب: ذكر الحبارى، وقيل الحبارى كلها.

قال حدّثنى أبو بكر العامرىّ قال حدّثنى ابن نوبة (١) عن أبى عَمْرو الشَّيْبانىّ، وأخبرنى عمّى قال حدثنا ثَعْلَب عن ابن الأعرابىّ (٢)، وقد جمعتُ أخبارَهم على اختلاف ألفاظهم فى هــذا الموضع، أن دُرَيد بن الصِّمَّة مرّ بالخَنساء بنت عمرو بن الشَّرِيد، وهى تَهْنَأ بعيرًا لها وقد تبذّلت حتى فرغت منه، ثم نَضَتْ عنها ثيابَها فاغتسلتْ ودُرَيد بن الصِّمَّة يراها وهى لا تشعر به فأعجبتْه، فانصرف الى رَحْله وأنشأ يقول :

حَيُّوا تُمَاضِرَ وآرْبَعوا صَحْبِى * وقِفُوا فإن وقوفَكم حَسْبِى

أخُنَاسُ قــد هام الفؤادُ بكم * وأصابه تَبْلٌ من الحُبِّ

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به * كاليوم طالِىَ أيْنُقٍ جُرْبِ

متبــذِّلا تَبْــدو محاسنُه * يضع الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ (٣)

متحسِّرا نَضَح الهِناءُ بــه * نَضْحَ العَبِير بِرَيْطَةِ العَصْبِ (٤)

فسَلِيهمُ عنّى خُناسُ إذا * عَضَّ الجميعَ الخَطْبُ ماخَطْبى

— قالوا : وتُماضِرُ اسمُها. والخنساءُ لقبٌ غلَب عليها — فلما أصبح غدا على أبيها (٥) فخطبها اليه. فقال له أبوها : مرحبًا بك أبا قُرَّة ! إنك لَلْكريمُ لا يُطْعَن فى حَسَبِه، والسيِّد لا يُرَدّ عن حاجته، والفحل لا يُقْرَع أنفُه. — وقال أبو عبيدة خاصّة مكانَ "لا يُطعن فى حسبه" "لا يطعن فى عيبه" (٦) — ولكن لهذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها، وأنا ذاكرُك لها

(١) الذى فى جـ، أ : « ... وأخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنى أبو نوبة ... الخ ».
(٢) فى أ، م هنا زيادة، هى : «وأخبرنى محمد بن خلف قال حدثنى أبو بكر العامرى عن ابن الأعرابى».
(٣) الهناء : القطران . والنقب (بضم النون وتسكين القاف أو فتحها) : القطع المتفرقة من الجرب . والواحدة نقبة، وقيل هى أول ما يبدو من الجرب . (٤) فى ب، س : «العطب» . والعطب (بالضم وبضمتين) : القطن . (٥) فى الأمالى ج ٢ ص ١٦١ طبع دار الكتب المصرية أنه خطبها الى أخيها معاوية . (٦) كذا فى الأصول . ولعلها : « فى غيبه » بالغين المعجمة .

وهى فاعلةٌ ، ثم دخل اليها وقال لها : ياخَنْساء، أتاك فارسُ هوازنَ وسيِّدُ بنى جُشَمَ دُرَيد بن الصِّمّة يخطُبك وهو مَنْ تعلمين، ودُرَيد يسمع قولَها . فقالت : يا أبتِ، أتُرَانى تاركةَ بنى عمّى مثلَ عَوَالِى الرِّماح وناكحةً شيخَ بنى جُشَم هامةَ اليومِ أو غدٍ(١)! . فخرج اليه أبوها فقال : يا أبا قُرَّة قد ٱمتنعتْ ، ولعلّها أن تُجيب فيما بعد . فقال : قد سمعتُ قولَكما ، وٱنصرف . هذه رواية مَنْ ذكرتُ . وقال ٱبن الكلبيّ : قالت لأبيها : أَنْظِرْنى حتى أُشاوِرَ نفسى ، ثم بعثتْ خَلْفَ دريد ولِيدةً فقالت لها : انظرى دُرَيدا إذا بال، فإن وجدتِ بولَه قد خَرَق الأرضَ ففيه بقيّة، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضلَ فيه . فٱتّبعتْه وليدتُها ثم عادت اليها فقالت : وجدتُ بولَه قد ساح على وجه الأرض، فأمسكتْ . وعاود دُرَيد أباها فعاودها فقالت له هذه المقالةَ المذكورةَ، ثم أنشأتْ تقول :

أتخطُبنى ، هُبِلْتَ ، على دُرَيدٍ * وقد أَطْرَدْتَ(٢) سيِّدَ آلِ بَدْرِ!
مَعَاذَ الله يَنْكِحُنى حَبَرْكَى(٣) * يقال أبوه من جُشَمَ بنِ بكر
ولو أمسيتُ فى جُشَمٍ هَدِيًّا(٤) * لقد أمسيتُ فى دَنَسٍ وفَقْر

فغضب دُرَيد من قولها وقال يهجوها :

وقاكِ اللهُ يابنةَ آلِ عَمْرٍو * من الفِتْيانِ أمثالى ونَفْسى
فلا تَلِدِى ولا يَنْكِحْكِ مثلى * اذا ما ليلةٌ طرقتْ بنَحْس

(١) يقال : فلان هامة اليوم أو غد، اذا شاخ وأشرف على الموت .

(٢) أطردت : أمرت بطرده . (٣) الحبركى : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين، والأنثى منه حبركاة . وقد ورد هذا البيت فى اللسان هكذا :

ولست بمرضع ثديى حبركى * قصير الشبر من جشم بن بكر

(٤) الهدى : العروس .

لقد علِم المَرَاضِعُ فى جُمادَى * إذا آستعجلْنَ عن حَزٍّ بنَهْس(١)

بأنّى لا أَبِيتُ بغير لحمٍ * وأَبْدَأُ بالأرامل حين أُمْسى

وأنّى لا يَنَالُ الحَىَّ ضَيْفِى(٢) * ولا جارِى يَبِيتُ خبيثَ نفس

اذا عُقَبُ القُدورِ تَكُنَّ مالًا(٣) * تَحُتُّ حلائلَ الأَبْرام عِرْسِى

وأصفرَ من قِداحِ النَّبْع صُلْبٍ * خفىِّ الوَسْمِ فى ضَرْسٍ(٤) ولَمْس

٥

دَفَعْتُ الى المُفِيضِ(٥) اذا آستقلُّوا * على الرُّكُباتِ(٦) مَطْلَعَ كلِّ شمس

فإن أَكْدَى(٧) فتامِكَةٌ(٨) تُؤدَّى * وإن أَرْبَى فإنى غيرُ نِكْس

وتزعُم أننى شيخٌ كبيرٌ * وهل خبّرتُها أنى آبنُ أمس

---

(١) الحز: القطع. والنهس: تعرّق ما على العظم وانتزاعه بمقدم الأسنان. (٢) رواية الأمالى:

١٠

* وأنى لا يهر الضيف كلبى *

أى لا ينبح فى وجهه لأنسه به. (٣) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «تتن ملا ى» وهو تحريف. ورواية هذا الشطر فى الأمالى واللسان (فى مادة برم): «اذا عقب القدور عددن مالا». وعقبة القدر: ما التزق بأسفلها من تابل وغيره. وتحت: تعجل، يقال حته دراهمه اذا عجل له النقد. وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول «تحب» والتصويب عن اللسان. يريد أنه اذا اشتد القحط وعدّت عقب القدور مالا عجلت زوجته العطاء لزوجات الأبرام. والأبرام: اللئام، الواحد: برم، وهو

١٥

فى الأصل الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر. (٤) ضرس السهم: عجمه. (٥) المفيض: الضارب بالقداح. (٦) فى الأصول: «الركان» والتصويب عن الأمالى؛ ويروى فيه:

دفعت الى النجىّ وقد تجاثوا * على الركبات مطلع كل شمس

قال أبو على قال لنا أبو بكر قال أبو حاتم عن الأصمعى: هذا غلط، إنما هو مغرب كل شمس، لأن الأيسار إنما يتياسرون بالعشيات. (٧) أكدى: أخفق ولم يصب.

٢٠

(٨) كذلك فى الأصول. ويلاحظ أنه لم يرد فى كتب اللغة إلا التامك بدون هاء التأنيث. والتامك: الناقة العظيمة السنام أو السنام نفسه. والنكس: الرجل الضعيف لا خير فيه.

تريد شَرَنْبَثَ القدمين شَثْنًا (١) * يُبادِر بالجَدائِر كلَّ كِرْس

وما قَصُرتْ يدى عن عُظْمِ أمر * أهُمُّ به ولا سَهْمِى بنِكْس

وما أنا بالمُزَجَّى (٢) حين يسمو * عظيمٌ فى الأمور ولا بوَهْس

قال : فقيل للخَنْساء : ألَا تُجيبينَه؟ فقالت : لا أَجْمَع عليه أن أرُدَّه وأَهْجُوَه .

٥ أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال : لمّا أَسَنَّ دُرَيد جعل له قومه بيتًا مفردا عن البيوت، ووكّلوا به أَمَةً تخدُمه، فكانت اذا أرادت أن تُبْعِدَ فى حاجة قَيَّدَتْه بقيد الفرس. فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت يادُرَيد؟ فأنشأ يقول :

آخر أيامه وشعره بعد أن أسن وضعف جسمه

أصبحتُ أقذف أهدافَ المنون كما * يَرْمى الدَّريئةَ (٣) (٤) أَدْنَى فُوقَةَ (٥) الوَتَر

١٠ فى مَنْصَفٍ (٦) من مَدًى تسعين من مائة * كَرْمية الكاعبِ العَذْراء بالحجر

فى منزلٍ نازحٍ م الحىِّ مُنْتَبَذٍ * كمَرْبَط العَيْرِ لا أدعَى الى خبر

(١) الشرنبث : الغليظ . والشثن : الغليظ أيضا . والكرس : ما تكرس أى صار بعضه فوق بعض . والجدائر : جمع جديرة وهى الحظيرة . وقد رواه أبو على فى الأمالى :

ترىد أفيحج الرجلين شثنا * يقلع بالجديرة كل كرس

١٥ وقال : ويروى :

تريد شرنبث الكفين شثنا * يقلع بالجدائر كل كرس

(٢) المزجى من القوم : المزلج وهو الملصق بالقوم وليس منهم، والرجل الناقص المروءة، والدون من كل شىء، والبخيل . والوهس : الذليل الموطوء . (٣) فى ا ، م : « السنين » . وفى ح : « المئين » . (٤) الدريئة : حلقة يتعلم عليها الرامى الرمى؛ قال عمرو بن معد يكرب :

٢٠ ظللت كأنى للرماح دريئة * أقاتل عن أبناء جرم وفرّت

(٥) فى اللسان : « الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وحرفاه : زنمتاه . وهذيل تسمى الزنمتين الفوقتين . (٦) منصف الشىء : وسطه .

كأنّى خَرَبٌ[1] قُصَّتْ قوادمُــه * أو جُثّةٌ من بُغَاثٍ فى يَدَىْ خَصِر[2]

يُمْضُون أمرَهمُ دونى وما فقـدوا * منّى عزيمــةَ أمرٍ ما خَلا كِبَرى

ونومةٌ لستُ أقضيها و إن مَتُعتْ[3] * ومامضَى قبلُ من شأوى ومن عُمُرى

وأننى رَابِنِى قيــدٌ حُبِسْتُ به * وقــد أكون وما يُمشَى على أثَرى

إن السِّنين إذا قَرَّبْنَ من مائة * لَوَيْنَ مِرّةَ[4] أحــوالٍ على مِرَرِ ٥

أخبرنى هاشم بن محمــد قال حدّثنا دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال : قالت امرأة دريد له : قد أَسْنَنْتَ وضعُف جسمك وقُتــل أهلك وفَنِىَ شبابك ، ولا مال لك ولا عُدّة، فعلى أىّ شىء تعوّل إن طال بك العمر أو على أى شىء تُخَلِّف أهلَك إن قُتلتَ ؟ فقال دُرَيد :

صــــوت ١٠

١٣/٩

أعاذلُ إنمـا أَفْــنَى شَــبابى * ركوبى فى الصَّريخ الى المُنادى

مع الفتْيان حتى كَلَّ جســمى * وأقْرح عاتِقِى حَمْــلُ النِّجاد

أعاذلُ إنــه مالٌ طَــرِيفٌ * أحَبُّ إلىّ من مالٍ تِلاد

أعاذل عُــدَّتِى بَدَنِى[5] وَرُمْحِى * وكُلُّ مقلِّص سَلِسِ القِياد

ويَبْقَى بعــد حِلْم القوم حِلْمى * ويَفْنَى قبــلَ زاد القوم زادى ١٥

هذا الشعر رواه أبو عُبَيــدة لدُرَيد، وغيرُه يرويه لعمرو بن معديكرب، وقول أبى عُبَيدة أصحّ . لابن محرز[6] فى هذه الأبيات ثانى ثقيــلٍ بالخنصر فى مجرى البنصر

(١) الخرب : ذكر الحبارى . (٢) كذا فى الأصول . ولعلها «هصر» . و يقال ليث هصور وهصر (ككتف) وهصر (كصرد) . (٣) متعت : طابت . (٤) المرة : طاقة الحبل .

(٥) البدن هنا : الدرع . وفرس مقلص (بكسر اللام) : طويل القوائم منضم البطن . ٢٠

(٦) فى الأصول هنا . « ولابن محرز ... الخ » .

عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أن لابن سُرَيْج فيها ثانيَ ثقيلٍ بالبِنْصر . وخلَط المغنّون بهذا الشعر قول عمرو بن معديكرب في هذين اللحنين :

أريد حياتَه[1] ويريد قتلي * عَذِيرَك من خليلك من مُرَادِ

ولو لاقيْتَني ومعي سلاحي * تكشَّفَ شحمُ قلبِك عن سواد

قتلت بنو يربوع الصمة أباه فغزاهم

وقال أبو عُبَيدة فيما رويناه عن دَمَاذ عنه : قتلتْ بنو يَرْبُوع الصِّمَّةَ أبا دُرَيد غَدْرا، وأسروا آبن عمٍّ له؛ فغزاهم دُرَيد ببني نصر فأوقع ببني يَرْبُوع وبني سعدٍ جميعا، فقتَل فيهم . وكان فيمن قُتل عَمّار بن كَعْب؛ وقال فيهم :

دعوتُ الحيَّ نصرًا فآستهلُّوا * بشُبّانٍ ذوي كَرَمٍ وشِيب

على جُرْدٍ كأمثال السَّعَالِي * ورَجْلٍ مثلِ أهمية[2] الكَثِيب

فما جَبُنوا ولكنّا نَصَبْنا * صدورَ الشَّرْعَبِيّة[3] للقلوب

فكم غادَرْنَ من كابٍ صريعٍ * يمُجُّ نَجِيعَ جائفةٍ[4] ذَنُوب

وتلكم عادةٌ لبَني رِبَابٍ * إذا ما كان موتٌ من قريب

فأَجْلَوْا والسَّوامُ لنا مُبَاحٌ * وكلُّ كَرِيمةٍ خَوْدٍ عَرُوب

وقد تُرِك آبنُ كَعْبٍ في مكَرٍّ * حَبِيسًا بين ضِبْعانٍ وذيب

كان أبوه شاعرا

قال أبو عبيدة : وكان الصِّمّة أبو دريد شاعرا، وهو الذي يقول في حرب الفِجَار التي كانت بينهم وبين قُرَيش :

(١) في ب، س : «حباءه» . (٢) كذا في أكثر الأصول . وفي م ، ﺣ : «أمهية» ولا معنى لها . فلعل الصواب «أهيلة» جمع هيال وهو ما انهال من الرمال .

(٣) الشرعبية : الطويلة، يريد الرماح . (٤) الجائفة : الطعنة التي تنفذ الى الجوف . وذنوب : طويلة الشر والأذى؛ ومثله قولهم : يوم ذنوب إذا كان طويل الشر لا ينقضي .

لاقت قُرَيْشٌ غَـداةَ العَقِيـ * ـقِ أمرًا لها وجدَتْهُ وَبِيلاَ

وجئنا إليهـم كموج الأَتِيِّ[1] * يعلو النِّجاد ويَملا المَسِيلا

وأعددتُ للحَـرْب خَيْفانةً[2] * ورمحا طويلا وسيفا صقيلا

ومُحْكَمَةً من دروع القُيو * ن تسمع للسيف فيها صليلا

وكان أخوه مالك شاعرا

قال : وكان أخوه مالك بن الصِّمَّة شاعرا، وهو القائل يَرْثى أخاه خالدا : ٥

أبنِى غَزِيّةَ إنّ شِـلْوًا[3] ماجِدًا * وَسْطَ البيوتِ السُّودِ مَدْفَع كَرْكَرِ[4]

لا تَسْقِنِى بيديك إن لم ألتمسْ * بالخيـل بين هبـولة فالقَرْقَرِ[5]

تحالف مع معاوية ابن عمرو بن الشريد ورثاه

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غَسّانَ دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال : ١٤/٩

تحالف دُرَيد بن الصِّمَّة ومعاويةُ بن عمرو بن الشَّرِيد وتواثقا إن هلَك أحدهما أن يَرْثِيَه الباقى بعده ، و إن قُتل أن يطلب بثأره . فقُتل معاوية بن عمرو بن الشَّرِيد، ١٠ قتله هاشم بن حَرْملةَ بن الأَشْعَر المُرِّىّ . فرثاه دُرَيد بقصيدته التى أولها :

ألَا هَبَّتْ تَلُوم بغَـيرِ قَدْرِ * وقد أحفظتِنى ودخلتِ سِتْرِى

و إلّا تَتْرُكِى لَوْمِى سَـفَاهًا * تَلُمْك عليه نفسُك غيرَ عَصْرِ

وفيها يقول :

فإنّ الرُّزْءَ يوم وقفتُ أدعو * فلم أُسمِـعْ معاويةَ بن عمرو ١٥

ولو أسمعتَـه لأتاكَ يسـعَى * حَثِيثَ السَّعْىِ أولأتاكَ يجرى

بشِـكّة[6] حازمٍ لا غُمْرَ فيـه * إذا لبِس الكُماةُ جلودَ نِمْـرِ[7]

(١) الأتى : السيل لا يدرى من أين أتى . (٢) الخيفانة : الفرس .

(٣) الشلو (بالكسر) هنا : الجسد . (٤) كركر : علم على عدة مواضع .

(٥) هبولة والقرقر : موضعان . (٦) الشكة : السلاح . (٧) يقال : لبس ٢٠ فلان لفلان جلد النمر اذا تنكر له . وكانت ملوك العرب اذا جلست لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت بقتل من تريد قتله .

عرفتُ مكانَه فعطَفتُ زَوْرًا[1] * وأين مكانُ زَوْرٍ ياَبنَ بكر

على إرَمٍ[2] وأحجارٍ ثِقَالٍ * وأغصانٍ من السَلَماتِ سُمْر

وبُنْيانُ القبورِ أتى عليها * طَوَالُ الدهرِ شهرًا بعد شهر

حديث عارض الجشمي عنه وقد خرف

أخبرنى عبدالله بن مالك النحوىّ قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ عن آبن الأعرابىّ قال :

وقف عارضٌ الجُشَمِىّ على دُرَيد وقد خَرِف وهو عُرْيانٌ وهو يكوّم كُوَمَ بَطْحاءَ[3] بين رجليه يلعب بذلك ؛ فجعل عارضٌ يتعجّب ممّا صار اليه دُرَيد . فرفع رأسَه دُرَيد اليه وقال :

كأنّنى رأسُ حَضَنْ[4] * فى يوم غَيْمٍ ودُجَنْ[5]

يا ليتنى عهدَ زَمَنْ * أنفُضُ رأسى وذَقَنْ

كأنّنى فَحْلُ حُصُنْ * أُرسِلَ فى حَبْلٍ عُنُنْ

أُرْسِلَ كالظَّبْيِ الأَرِنْ[6] * أَلْصَقَ أُذْنًا بأُذُنْ

قال : ثم سقَط ؛ فقال له عارضٌ : اِنهض دُرَيدُ! فقال :

لا نَهْضَ فى مثل زمانى الأوّلِ * مُجنَّبَ[7] الساقِ شديدَ الأَعْصَلِ

ضخمَ الكَرَاديسِ[8] خَمِيصَ الأَشْكَلِ[9] * ذى حَنْجَرٍ[10] رحب وصُلْبٍ أعدل

(١) الزور فى اللغة : الجمل القوى ، ولعله هنا اسم جمله . (٢) الإرم : حجارة تنصب علما فى المفازة .

(٣) البطحاء هنا : الحصى الصغار . (٤) حضن : اسم جبل . (٥) الدجن : جمع دجنة وهى الظلمة .

(٦) الأرن : النشيط . (٧) التجنيب : احديداب فى وظيفى يدى الفرس ، وهو مما يوصف صاحبه بالشدّة . والأعصل : المعوج الصلب من كل شىء ، ومنه ناب أعصل أى معوج شديد ؛ قال أوس بن حجر :

* رأيت لها نابا من الشر أعصلا * وفى الأصول : « أعضل » بالضاد وهو تصحيف .

(٨) الكراديس : جمع كردوس وهو كل عظم تام ضخم . (٩) ليس فى كتب اللغة إلا الشاكلة بمعنى الخاصرة وهى المرادة فى هذا الشعر . (١٠) كذا فى جميع الأصول ؛ والمراد به ليس واضحا .

خرج فى حرب حنين وهو شيخ ونصح مالك بن عوف فخالفه

حدّثنا محمد بن جَرير الطَّبَرى قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدثنا سَلَمَةُ بن الفَضْل عن محمد بن إسحاق عن الزُّهْرىّ عن عُبَيد الله بن عبد الله قال :

لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ أقام بها خمسَ عشرةَ ليلةً يَقْصُرُ[1]، وكان فتحُها فى عشر ليالٍ بَقِينَ من شهر رمضان . قال ٱبن إسحاق : وحدّثنى عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جدّه قال : لمّا سمعتْ به هَوَازِنُ جَمَعها مالك بن عَوْف النَّصْرىّ ، فٱجتمعتْ اليه ثَقِيف مع هوازنَ ، ولم يجتمع اليه من قَيْس إلا هوازنُ وناسٌ قليلٌ من بنى هِلال ، وغابت عنها كَعْبٌ وكِلَاب ، فجمعت نَصْرٌ وجُشَمٌ وسَعْدٌ وبنو بكر وثَقِيف وٱحتشدتْ ، وفى بنى جُشَمَ دُرَيدُ بن الصِّمَّة شيخٌ كبيرٌ فانٍ ليس فيه شىء إلا التيمُّنَ برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مجرِّبا ، وفى ثَقِيف فى الأحلاف قاربُ بن الأسود بن مسعود ، وفى بنى مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحارث ، وجِمَاعُ أمر الناس الى مالك بن عوف . فلمّا أجمع مالكٌ المسيرَ حَطَّ مع الناس أموالَهم وأبناءهم ونساءهم . فلمّا نزلوا بأَوْطاس[2] ٱجتمع اليه الناسُ وفيهم دُرَيد بن الصِّمَّة فى شِجارٍ[3] له يُقاد به . فقال لهم دريد : بأىّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نِعم مجالُ الخيل ، ليس بالحَزْن الضَّرِس[4] ولا السَّهْل الدَّهِس[5] . مالى أسمع رُغاءَ الإبل ونَهِيقَ الحمير وبكاءَ الصغير وثُغاءَ الشاء ؟ ! قالوا : ساق مالكُ بن عَوْف مع الناس أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم . فقال : أين مالكٌ ؟ فدُعِى له به . فقال له : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيسَ قومك ، وإنّ هذا اليوم كائن له ما بعدَه من الأيام ! . مالى أسمع رُغاء البعير ونَهِيقَ الحمير وبكاء الصِّبْيان وثُغاءَ الشاء ؟ ! قال : سُقْتُ مع الناس نساءَهم وأبناءَهم وأموالهم . قال :

---

(١) قصر الصلاة : أن يترك من ذوات الأربع ركعتين ويصلى ركعتين .

(٢) أوطاس : واد فى ديار هوازن . (٣) الشجار : مركب أصغر من الهودج .

(٤) الضرس : الصعب . (٥) الدهس : اللين السهل .

ولِمَ ؟ قال : أردتُ أن أجعل مع كلّ رجل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم . قال : فانقضَّ به وويْحَه ولامه، ثم قال: راعِي ضأنٍ والله (أى أحمق)! وهل يَرُدّ المنهزمَ شيء ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحتَ فى أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلتْ كَعْبٌ وكِلاب ؟ قال : لم يَشْهَدْها أحدٌ منهم . قال : غاب الحَدّ والجِدّ ! لو كان يومَ عَلاءٍ ورفعة لم تَغِبْ عنه كَعْبٌ وكِلاب ! ولوَدِدْتُ أنكم فعلتم مثلَ ما فعلوا . فمَنْ شَهِدها منهم؟ قالوا : بنو عمرو ابن عامر وبنو عوف بن عامر . قال : ذانك الجَذَعانِ(1) من عامرٍ لاينفعان ولا يَضُرّان . ثم قال : يا مالك إنك لم تَصْنَع بتقديم البَيْضة بَيْضة(2) هَوازنَ إلى نُحور الخيل شيئا . إرفعهم الى أعلى بلادهم(3) وعَلْياءِ قومهم ثم ٱلْقَ القومَ بالرجال على مُتونِ الخيل ، فإن كانت لك لَحِق بك مَنْ وراءَك ، وان كانت عليك كنتَ قد أحرزتَ أهلَك ومالَك ولم تُفْضَح فى حَرِيمك . قال : لا والله ما أفعل ذلك أبدًا ! إنك قد خَرِفتَ وخَرِف رأيُك وعلمُك . والله لَتُطِيعُنّنى يا معشر هوازن أو لأتّكِئَنّ على هذا السيف حتى يخرج من وراء ظهرى — فنفِس على دريد أن يكون له فى ذلك اليوم ذكرٌ ورأيٌ — فقالوا له : أطَعْناكَ وخالفنا دُرَيدًا . فقال دريد : هذا يوم لم أشْهَدْه ولم أغِبْ عنه . ثم قال :

يالَيْتَنى فيها جَذَعْ * أخُبُّ فيها وأَضَعْ
أقُود وَطْفاءَ الزَّمَعْ * كأنّها شاةٌ صَدَعْ

قال: فلما لَقِيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ٱنهزم المشركون فأتَوا الطائفَ ومعهم مالك بن عَوْف ، وعَسْكَرَ بعضُهم بأَوْطَاس وتوجّه بعضُهم نحوَ نَخْلَةَ(4) ، وتبعتْ خيلُ

---

(1) الجذع : الشاب الحدث . (2) بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم . (3) فى السيرة : « ممتنع بلادهم » . (4) نخلة : المراد هنا نخلة اليمانية ، وهى واد يصب فيه يدعان (اسم واد) وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، [illegible] هوازن [illegible]) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ سَلَك نخلةَ، فأدرك رَبيعةُ بن رُفَيع السُّلَمىّ أحدَ بنى يَربُوع بن سَمّال[1] بن عَوف دُرَيدَ بنَ الصِّمَّة فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة[2]، وذلك أنه كان فى شِجَارٍ له، فأناخ به فإذا هو برجلٍ شيخٍ كبيرٍ ولم يعرفه الغلامُ. فقال له دريد: ماذا تريد؟ قال: أقتُلُك. قال: ومن أنتَ؟ قال: أنا رَبيعة ابن رُفَيع السُّلَمىّ. فأنشأ دُرَيد يقول:

وَيْحَ ٱبن أَكْمَةَ[3] ماذا يُريد * من المُرْعَش الذاهب الأَدْرَدِ
فأُقسِمُ لو أنّ بى قُوّةً * لَوَلَّتْ فرائصُه تُرْعَدُ
ويالَهْفَ نفسىَ ألّا تكونَ * معى قُوّةُ الشارخ[4] الأَمْرَدِ

ثم ضربه السُّلَمىُّ بسيفه فلم يُغْنِ شيئا. فقال له: بئس ما سلّحتْك أُمُّكَ! خذ سيفى هذا من مؤخّر رحلى فى القِراب فٱضرِبْ به وٱرْفَع عن العظام وٱخْفِضْ عن الدِّماغ، فإنّى كذلك كنتُ أفعل بالرجال، ثم اذا أتيتَ أُمَّك فأخبِرْها أنك قتلتَ دُرَيدَ ابن الصِّمَّة، فرُبَّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءَك! . فزعمتْ بنو سُلَيم أن رَبيعةَ قال: لمّا ضربتُه بالسيف سقَط فانكشف، فاذا عِجَانُه[5] وبطن فَخِذَيْه مثلُ القراطيس من ركوب الخيل أَعْرَاء[6]. فلمّا رجع رَبيعةُ الى أمّه أخبرها بقتله إياه، فقالت له: لقد أعتَق قتيلُك ثلاثاً من أمهاتك. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجّه قِبَلَ أوْطَاس أبا عامر الأشعرىّ ابنَ عمِّ أبى موسى الأشعرىّ، فهزَمَهم

---

(١) فى الأصول: «سماك» والتصويب من السيرة لابن هشام والقاموس. (٢) كذا فى السيرة. وفى الأصول: «أنها». (٣) كذا فى الأصول. وفى مختصر الأغانى: «تكمة». وقد جاء فى سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٨٥٢) أن ربيعة بن رفيع هذا يقال له ابن الدغنة وهى أمه فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لذعة. (٤) كذا فى مختصر الأغانى. وفى سائر الأصول: «الشاخ» والشارخ: الشاب. (٥) العجان: الدبر، وقيل هو ما بين الدبر والقبل. (٦) فرس عرى: غير مسرج، وصف بالمصدر، ثم جعل اسما فجمع فقيل خيل أعراء. ولا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عرى.

الله جلّ وعزّ وفتح عليه . فيزعُمون أنّ سَلَمَةَ بن دُرَيد بن الصِّمّة رماه بسهم فأصاب رُكْبَته فقتله (يعنى أبا عامر) .

فقالت عَمْرةُ بنتُ دُرَيد ترثيه :

جَزَى عنّا الإلهُ بنى سُلَيمٍ * وأعْقبهم بما فعلوا عَقَاقِ[1]

وأسْقانا إذا سِرْنا إليهم * دماءَ خِيارِهم يومَ التّلاقى

فرُبّ مُنَوِّهٍ بك من سُلَيمٍ * أُجيبَ وقد دعاك بلا رِماقِ[2]

ورُبّ كريمةٍ أعتقتَ منهم * وأخرى قد فكَكتَ من الوَثاقِ

وقالت عَمْرةُ ترثيه أيضا :

قالوا قتلنا دُرَيْدًا قلتُ قد صدَقوا * وظَلّ دمعى على الخدّين يَنْحدِرُ[3]

لولا الذى قهَر الأقوامَ كلَّهمُ * رأت سُلَيمٌ وكَعْبٌ كيف تأتمِرُ

إذًا لصبّحهم غِبًّا وظاهِرةً[4] * حيث آستقرّ نواهم جَحْفَلٌ ذَفِرُ[5]

استحثه قومه على الأخذ بثأر أخيه خالد من بنى الحارث فقال شعرا وأجابه عبد الله ابن عبد المدان

ونسختُ من كتاب مترجَم بأنه نُسخ من نسخة عمرو بن أبى عمرو الشّيبانىّ يأثُره عن أبيه قال قال محمد بن السّائب الكَلْبىّ :

كان دُرَيْد بن الصِّمّة يومًا يشرَب مع نَفَرٍ من قومه ، فقالوا له : يا أبا ذُفَافةَ — وكان يُكنى بأبى ذُفافةَ وبأبى قُرّة — أينجو بنو الحارث بن كَعْب منك وقد قتلوا

(١) فى لسان العرب والسيرة لابن هشام : «وعقبّهم» بدل «وأعقبهم» . وعقاق (بالبناء على الكسر) : العقوق . (٢) الرماق من العيش : البلغة والقليل يمسك الرمق . (٣) فى أ ، م : «يحدر» . وفى سيرة ابن هشام : « فظل دمعى على السربال ينحدر » . (٤) كذا فى السيرة لابن هشام . وقد جاء فى لسان العرب (فى مادة «غبب») : «ومن كلامهم لأضربنك غب الحمار وظاهرة الفرس ؛ فغب الحمار أن يرعى يوما ويشرب يوما ، وظاهرة الفرس أن يشرب كل يوم نصف النهار» . وفى الأصول : «عنار ظاهرهم» وهو تحريف . (٥) كذا فى السيرة . والذفر : المتغير الرائحة ؛ يقال : كتيبة ذفراء أى إنها سهكة من الحديد وصدئه . وفى الأصول : « زفر » بالزاى وهو تحريف .

أخاك خالدًا !؟ فقال لهم : إنّ القوم جَمْرةُ[(١)] مَذْحِج، وهم أكفاءُ جُشَمَ، ولا يَحْمِل بى هجاؤهم . فأحفظوه بكثرة القول وأغضبوه، فقال :

يا بنى الحارثِ أنتم مَعْشَرٌ * زَنْدُكم وارٍ وفى الحرب بُهَم[(٢)]

ولكم خيلٌ طيها فتيةٌ * كأُسُودِ الغاب يَحْمِين الأَجَمْ

ليس فى الأرض قَبِيلٌ مثلُكم * حين يَرْفَضّ العِدَا غيرَ جُشَمْ

لستُ للصِّمَّة إن لم آتِكم * بالخَنَاذِيذ[(٣)] تَبَارَى فى اللُّجُمْ

فتقَرُّ العينُ منكم مرّةً * بانبعاث الحُرّ نَوْحًا تَلْتَدِمْ[(٤)]

وتُرَى نَجْرانُ منكم بَلْقعًا * غيرَ شَمْطاءَ وطفلٍ قد يَتِمْ

فأنظُروها كالسَّعَالِى[(٥)] شُزَّبًا * قبل رأس الحَوْل إن لم أُخْتَرَمْ

قال : فنُمِى قولُه الى عبد الله بن عبد المَدَان، فقال يُجيبه :

نُبِّئتُ أنّ دُرَيدًا ظلّ مُعترِضًا * يُهْدِى الوَعيدَ الى نَجْرانَ من حَضَنِ[(٦)]

كالكلب يَعْوِى إلى بيداء مُقْفِرةٍ * من ذا يُواعِدُنا بالحرب لم يَهُنِ[(٧)]

إن تَلْقَ حىّ بَنِى الدَّيّانِ تَلْقَهُمُ * شُمَّ الأنوف إليهم عِزّةُ[(٨)] اليمنِ

ما كان فى الناس للديّان من شَبَهٍ * إلّا رُعَيْنٌ وإلّا آلُ ذى يَزَنِ

---

(١) يقال : بنو فلان جمرة، اذا كانوا أهل منعة وشدّة . والجمرة : كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا ولا ينضمون الى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل، كما صبرت عبس لقبائل قيس . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة بنو ضبة بن أد، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نمير بن عامر، وطفئت منهم جمرتان : طفئت ضبة لأنها حالفت الرباب، وطفئت بنو الحارث لأنها حالفت مذحج، وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف . (٢) بهم : جمع بهمة وهو الشجاع . (٣) الخناذيذ : جياد الخيل، واحدها خنذيذ . (٤) تلتدم : تضرب صدرها فى النياحة . (٥) السعالى : الغيلان، واحدها سعلاة . والشزب : جمع شازب وهو الضامر . (٦) حضن : جبل بنجد . (٧) لم يهن : لم يهلك . (٨) فى الأصول : «غرة» بالراء المهملة وهو تصحيف .

أَغْمِضْ جفونَك عمّا لستَ نائلَه * نحن الذين سبقْنا الناسَ بالدمن

نحن الذين تركا خالدًا عَطِبًا * وَسْطَ العَجَاج كأنّ المرءَ لم يكُن

إن تَهْجُنا تَهْجُ أمجادًا شَرَاعِحةً[2] * بِيضَ الوجوهِ مَرَافِيدًا على الزمن

أوْرَى زِيادٌ لنا زَنْدًا ووالدُنا * عبدُ المَدَان وأَوْرَى زندَه قَطَنُ[3]

ردّه أسماء بن زنباع عن ظعينته زينب وطعنه فأصاب عينه

٥ أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا أبو بكر العامريّ عن ٱبن الأعرابيّ قال :

أغار دُرَيد بن الصِّمّة في نفر من أصحابه، فمرّوا بأَسْماءَ بن زِنْباع الحارثيّ ومعه ظَعِينتُه زينب، فأحاطوا به ليَنْتزعوها من يده، فقاتلهم دونَها فقتَل منهم وجرَح، ثم ٱختلف هو ودُرَيد طعنتين: فطعنه دُرَيْدٌ فأخطأه، وطعنه أسماءُ فأصاب عينَه،

١٠ وٱنهزم دُرَيدٌ ولَحِق بأصحابه؛ فقال دريدٌ في ذلك :

شَلَّتْ يميني ولا أشرَبْ معتَّقةً * إذ أخطأ الموتَ أسماءَ بنَ زِنْباعِ

قال : وهي قصيدة .

قصته مع أنس بن مدركة الخثعمي ويزيد بن عبد المدان وشعره في ذلك

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشَّيْبانيّ الذي ذكرتُه يأثُره عن محمد بن السّائب الكَلْبيّ قال :

١٥ جاور رجلٌ من ثُمَالةَ عبدَ الله بن الصِّمّة، فهلَك عبدُ الله وأقام الرجل في جِوار دُرَيد . وأغار أَنَسُ بن مُدْرِكةَ الخَثْعَميّ على بني جُشَمَ، فأصاب مالَ الثُّمَاليّ وأصاب ناسًا من ثُمَالةَ كانوا جيرانًا لدُرَيد؛ فكفّ دُرَيدٌ عن طلب القوم وشُغِل بحرب من يَلِيه، وقال لجاره ذلك : أَمْهِلْني عامي هذا . فقال الثماليّ : قد أَمْهلتُك عامين . وخرج دُرَيدٌ ليلةً لحاجته وقد أبطأ في أمر الثُّمَاليّ، فسمعه يقول:

٢٠ (١) كذا في الأصول، وهو غير واضح . (٢) الشراعحة : جمع شرعح وهو القوي والطويل .

(٣) في هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروي .

كساك دُرَيْدٌ الدهرَ ثوبَ خزايةٍ * وجَدّعك الحامى حقيقتَـــه أَنْسْ
دَعِ الخيلَ والسُّمْرَ الطِّوالَ لخثعمٍ * فما أنت والرُّمحُ الطويل وما الفَرَسْ
وما أنت والغــزْوُ المُتَابَع للعـــدا * وهَمُّكَ سَوْقُ العَوْدِ والدَّلْوُ والمَرَسْ[1]
فلو كان عبـــدُ الله حيًّـا لردَّها * وما أصبحتْ إبْلِى بنَجْرانَ تُحْتَبَسْ
ولا أصبحتْ عِرْسِى بأشْقَى معيشةٍ * وشيخٌ كبيرمن ثُمَـالةَ فى تَعَس
يُراعِى نجومَ الليـــل من بعـــد هَجْعةٍ * الى الصبح محزونا يُطاوله النَّفَس
وكنتُ وعبـــدُ الله حىٌّ وما أُرَى * أُبالِى من الأعداء مَنْ قام أو جلس
فأصبحتُ مهضوماً حزيناً لفقده * وهل من نكيرٍ بعد حولين تلْتَمِسْ

قال : فضاق دُرَيدٌ ذَرْعًا بقــوله ، وشاور أُولِى الرأى من قومه ؛ فقالوا له : آرحَلْ الى يزيد بنِ عبد المَدان ؛ فإن أنَسًا قد خلَّف المــالَ والعيالَ بنَجْرانَ لحرب التى وقعتْ بين خَثْعَم ، وإن يزيد يردُّها عليك . فقال دُرَيد : بل أُقدِّم اليه قبل ذلك مِدْحةً ثم أنظر ما مَوْقِعى من الرجل ، فقال هذه القصيدةَ وبعث بها الى يزيد :

بنى الدَّيَّانِ رُدُّوا مالَ جارى * وأَسْرَى فى كُبُــولِهُمُ[2] الثقالِ
ورُدُّوا السَّبْىَ إن شئتم بمَنٍّ * وإنْ شئتم مُفاداةً بمال
فأنتم أهـــلُ عائدةٍ وفضــلٍ * وأيْدٍ فى مواهبــكم طِوالِ
متى ما تمنعوا شيئًا فليست * حبائلُ أخذه غيرَ الســؤالِ
وحربُكُمُ بنى الدَّيَّان حربٌ * يَغَصُّ المـرءُ منهـا بالزُّلالِ
وجارتُكم بنى الدَّيَّان بَسْـلٌ[3] * وجارُكمُ يُعَـــدّ مع العيال
حذَا عبْدُ المَدان لكم حِذاءً * مُخَصَّرةَ الصدور على مثال

(١) العود : المسن من الابل . والمرس : الحبل ، والمراد هنا حبل الاستقاء .

(٢) فى أ ، م ، حـ : « فى كبولكم » . (٣) البسل : الحرام .

بَنِى الدَّيَّان إنّ بنى زِيادٍ * هُمُ أهلُ التكرُّم والفَعالِ
فأَوْلُونِى بنى الدَّيَّان خيراً * أُقِرّ لكم به أُخْرَى الليالى

قال : فلما بلَغ يزيدَ شعرُه قال : وجب حقُّ الرجل! فبعث اليه أنِ اقْدَمْ علينا . فلما قدِم عليه أكرمه وأحسن مَثْواه . فقال له دُرَيد يوماً : يا أبا النَّضْر ، إنى رأيتُ منكم خِصالاً لم أرَها من أحد من قومكم : إنى رأيتُ أبنيتَكم متفرِّقة ، ونِتاجَ خيلكم قليلاً ، وسَرْحَكم يجيء مُعتَّماً ، وصبيانَكم يَتَضاغَوْن(1) من غير جوع . قال : أجَلْ! أمّا قلّة نِتاجنا فنِتاجُ هَوَازِنَ يكفينا وأمّا تفرّق أبنيتنا فللغَيْرة على النساء . وأمّا بكاء صبياننا فإنّا نبدأ بالخيل قبل العِيال . وأمّا تمسِّينا بالنَّعم فإنّ فينا الغرائبَ والأراملَ ، تخرج المرأة الى مالها حيث لا يراها أحدٌ . قال : وأقبلتْ طلائعهم على يزيد ، فقال شيخ منهم :

أتتْكَ السلامةُ فارْعَ النَّعَمْ * ولا تَقْلِ الدَّهْرَ إلاّ نَعَمْ
وسَرِّحْ دُرَيْداً بنُعْمى جُشَمْ * وإن سَالَكَ المرءُ إحدَى القُحَمْ(2)

فقال له دُرَيد : من أين جاء هؤلاء ؟ فقال : هذه طلائعنا لا نَسْرَحُ ولا نَصْطَبِحُ حتى يرجعوا إلينا . فقال له : ما ظلمكم مَنْ جعلكم جَمْرةَ مَذْحِج . وردّ يزيد عليه الأُسارَى من قومه وجيرانه ، ثم قال له : سَلْنِى ما شئتَ ، فلم يسأله شيئا إلا أعطاه إيّاه . فقال دريد فى ذلك :

مَدَحتُ يزيدَ بن عبد المَدَان * فأَكْرِمْ به من فتًى مُمْتَدَحْ
إذا المدحُ زان فتى معشرٍ * فإنّ يزيد يَزِينُ المِدَحْ
حلَلْتُ به دونَ أصحابه * فأَوْرَى زِنادِى لمّا قدَحْ

---

(1) تضاغى من الطوى : تضوّر من الجوع وصاح . (2) القحم : جمع قحمة وهى الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد .

وردّ النساءَ بأطهارها * ولو كان غيرُ يزيدٍ فضَح

وفكّ الرجالَ وكلُّ امرئٍ * اذا أصلح اللهُ يومًا صلَح

وقلتُ له بعد عِتق النساء * وفكّ الرّجال وردّ اللّقح [1]

أَجْزِلى فوارسَ من عامرٍ * فأكرِمْ بنَفْحته إذ نَفَح

وما زلتُ أعرف فى وجهه * بكَرِّى السؤالَ ظهورَ الفرح ٥

رأيتُ أبا النَّضْر فى مَذْحِجٍ * بمنزلة الفجر حين ٱتّضَح

اذا قارعوا عنه لم يُقْرَعوا * وإن قدّموه لكَبْشٍ نطَح

وإن حضَر الناسَ لم يُخْزِهم * وإن وازنوه بقِرْنٍ رجَح

فذاك فتاها وذو فضلها * وإن نابحٌ بفَخَارٍ نَبَح

١٩/٩

قصته مع مسهر ابن يزيد الحارثى وشعره

قال وقال ٱبن الكلبىّ : خرج دريد بن الصِّمّة فى فوارس من قومه فى غَزاة له، ١٠ فلقيه مُسْهِر بن يزيد الحارثىّ، الذى فقأ عين عامر بن الطُّفَيل، يقود بامرأته أسماء بنت حَزْن الحارثيّة . فلما رآه القوم قالوا: الغنيمةَ، هذا فارسٌ واحد يقود ظَعينةً، وخليقٌ أن يكون الرجل قرشيًّا. فقال دريد: هل منكم رجل يمضى إليه فيقتله ويأتينا به وبالظّعينة؟ فانتَدَب إليه رجلٌ من القوم فحَمَل عليه، فلقيه مُسْهِر فٱختلفا طعنتين بينهما، فقتله مُسْهِر بن الحارث. ثم حمل عليه آخر فكانت سبيلُه سبيلَ صاحبه، حتى ١٥ قتل منهم أربعةَ نفر. وبَقِى دريد وحدَه فأقبل اليه؛ فلما رآه ألقى الخطامَ من يده إلى المرأة وقال : خُذِى خِطامَك، فقد أقبل إلىّ فارسٌ ليس كالفُرسان الذين تقدّموه، ثم قصد اليه وهو يقول :

أمَا ترى الفارسَ بعد الفارسْ * أرْداهمُ عاملُ رمحٍ يابسْ

(١) اللقح : جمع لقحة وهى الناقة الحلوب .

فقال له دُرَيد : من أنت لله أبوك؟ قال : رجلٌ من بنى الحارث بن كعب . قال : أنت الحُصَيْن ؟ قال لا . قال : فالمُحجِّل هَوْذَة ؟ قال لا . قال : فمن أنت ؟ قال : أنا مُسْهِر بن يزيد . قال : فانصرف دُرَيد وهو يقول :

أمن ذِكْرِ سَلْمَى ماءُ عينيك يَهْمِلُ * كما انهلّ خَرْزٌ من شُعَيْبٍ مُشَلْشِلُ [1]

وماذا تُرَجّى بالسلامة بعد ما * نأتْ حِقَبٌ وأبيضَّ منكَ المُرَجَّلُ [2]

وحالت عَوَادِي الحربِ بيني و بينها * وحربٌ تَعُلّ الموتَ صِرْفًا وتُنْهِل

قِراها إذا باتت لَدَىَّ مُفَاضَةٌ * وذو خُصَلٍ نَهْدُ المَرَاكِلِ هَيْكَل [3]

كَمِيشٌ [4] كتَيْسِ الرَّمْل أخلَص مَتْنَه * ضَرِيبُ [5] الخَلَايا والنَّقِيعُ المعجَّل

عَتِيدٌ لأيَّام الحروب كأنّه * إذا انجاب رَيْعانُ العَجاجة أَجْدَل [6]

يُحَاوِب [7] جُرْدًا كالسَّراحِينِ [8] ضُمَّرًا * تَرُود بأبواب البيوت وتَصْهَل

على كل حَىّ قد أطلّتْ بغارة * ولا مثل ما لاقَى الجَمَاسُ وزَعْبَلُ

ــ الجماس وزَعْبَل : قبيلتان من بنى الحارث بن كعب ــ

غَداةَ رأوْنا بالغَرِيف [9] كأنّنا * حَبِيٌّ [10] أدرَّتْه الصَّبَا متهلِّل

بمُشْعَلَةٍ تدعو هوازنَ ، فوقها * سَبِيجٌ من المَاذِىّ [11] لَأمٌ مُرَفَّل

(١) شلشل الماء : قطر . (٢) المرجل : الشعر؛ يقال : رجل الشعر إذا سرحه .
(٣) المفاضة هنا : الدرع . وذو خصل : يريد فرسا . والمراكل : جمع مركل وهو حيث تصيب رجلك من الدابة؛ يقال فرس نهد المراكل أى واسع الجوف . والهيكل : الضخم . (٤) الكميش : السريع .
(٥) الضريب : اللبن . والخلايا : جمع خلية وهى الناقة المخلاة للحلب . يريد أن هذا الفرس معنى به .
(٦) الأجدل : الصقر . (٧) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول «يحارب» وهو تحريف .
(٨) السراحين : الذئاب واحدها سرحان . (٩) كذا فى الأصول . ولعلها الغريف أو نحو ذلك .
(١٠) الحبي : السحاب المتراكم . وفى الأصول : «حي» بياءين . (١١) الماذى : الدروع اللينة السهلة . واللأم : الدروع، واحدها لأمة . والمرفل : المسبغ .

لدى مَعْـرَكٍ فيهـا تركنا سَراتَهـم * يُنادُون، منهـم مُوثَقٌ ومُجَـدَّل
تَجُـذُّ جِهاراً بالسـيوف رءوسَهم * وأرماحُنـا منهـم تَعُـلّ وتَنْهَـل
تَرى كلَّ مسودِّ العِـذارَين فارسٍ * يُطيف به نَسْـرٌ وعَرْفاءُ[1] جَيْأَل

قال مؤلِّف هذا الكتاب : هذه الأخبار التى ذكرتُها عن ٱبن الكلبىّ موضوعةٌ كلُّها، والتوليدُ بيّن فيها وفى أشعارها، وما رأيتُ شيئا منها فى ديوان دُرَيد بن الصِّمَّة على سائر الروايات. وأعجبُ من ذلك هذا الخبرُ الأخيرُ؛ فإنه ذكر فيه ما لحِق دريدًا من المَجْنة والفضيحة فى أصحابه وقتل من قُتِل معه وٱنصرافَه منفردًا، وشعرُ دريد هذا يفخر فيه بأنّه ظفِر ببنى الحارث وقتلَ أماثلَهم؛ وهذا من أكاذيب ٱبن الكلبىّ. وإنما ذكرتُه على ما فيه لئلا يسقطَ من الكتاب شىء قد رواه الناسُ وتداوَلُوه .

---

(١) كذا فى ح. والعرفاء: الضبع؛ سميت بذلك لكثرة شعر رقبتها. وجيأل: من أسماء الضبع أيضا، معرفة بغير ألف ولام. وقال كراع : الجيأل، فأدخل عليها الألف واللام، وشاهده قول العجاج :

يدعن ذا الثروة كالمجبل * وصاحب الإقتار لحم الجيأل

وفى سائر الأصول : «وغربان جيأل» وهو تحريف .

أخبار المُعْتَضِد فى صنعة هـذا اللحن وغيره من الاغانى

— دون أخباره فى غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حدّ الكتاب —

وشيء من أخباره مع المغنّين وغيرهم يصلح لما هاهنا

راسل عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر فى أمر النغم العشر حتى فهمها وجمعها فى صوت

حدّثنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه — لما صنعتْ جاريتُه شَاجِى اللحنَ الذى يجمع النَّغَمَ العشرَ — بِظَمْى وحبيب جاريتَىْ أخيه سليمان بن عبدالله بن طاهر حتى أخذتَا اللحنَ عنه ونقلتَاه اليه وألْقتَاه على جواريه . قال : ولم يزل يُراسلُنى مع عبدالله بن أحمد بن حمدون فى أمر النَّغَم العشر ويسألنى عنها وأشرحُها له ، حتى فهمها جيّدا وجمَعها فى صوتٍ صنعه فى شعر دُرَيد بن الصِّمّة :

يا ليتنى فيهـا جَـذَعْ * أَخُبّ فيها وأَضَـعْ

وألقاه عليهما حتى أدّتاه إلىّ مستعلمًـا بذلك هل هو صحيحُ القِسمة والأجزاء أم لا ، فعرّفتُه صحّتَه ودللتُه على ذلك حتى تيقّنه فسُرّ بذلك ؛ وهو لَعَمْرِى من جيّـد الصنعة ونادرها . وقد صنع المُعْتضِدُ ألحانًا فى عدّة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء والمُحْدَثِين وعارضَهم بصنعته فأحسن وشاكَل وضاهَى ، فلم يَعْجَز ولا قصَّر ولا أتى بشىء يُعْتَذر منه . فمن ذلك أنه صنع فى :

أمّا القَطاةُ فإنّى سـوف أنعتُها * نَعْتًـا يوافق نعتى بعضَ ما فيهـا

لحنًا من الثقيل الأوّل بالبنصر فى نهاية الجودة ، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرْزُور يُغَنّيـه ، فكان من أحسنِ ما صُنع فى هـذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشتراك

القدماء والمُحْدَثين فى صنعته مثل مَعْبَد ونَشِيط ومالك وابن مُحْرِز وسِنانٍ وعُمَر الوادى وآبن جامع و إبراهيم وآبنه إسحاق وعَلّويه . وأظرفُ من ذلك أنه صنع فى :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْىَ لمّا جهَدتُه * وبيَّنَ لو يسطيع أن يتكلّما

لحنًا من الثقيل الأوّل بالوسطى[1]،وقد صنع قبله آبن سُرَيج لحنًا هو من الألحان الثلاثة المختارة من الغناء كلّه، فما قصّر فى صنعته ولا عَجَز عن بلوغ الغاية فيها؛ هـذا بعد أن صنع إسحاقُ فيها لحنًا من الثقيل الثانى عارض آبنَ سُرَيْج به فى لحنه، فما آمتنع من أن يتلو مثل هذين ولا نظيرَ لهما فى القدماء والمُحْدَثين، ثم جوّد غاية التجويد فيما آتّبعهما به وعارضهما فيه . هذا مع أصوات له صنَعها تُزاهِى[2] المـائة صوت، مافيها ساقطٌ ولا مَرْذُول، وسأذكر منهـا ما يَصْلُح ذكُره فى موضعه إن شاء الله تعالى . ٥

ومن نادر صنعة المعتضد : ١٠

صـــوت

أَنَاةً فإن لم تُغْنِ عقّبَ بعـدَها * وَعِيدًا،فإن لم يُغْنِ أغنتْ عَزائمُهْ

٢١/٩ الشعر لإبراهيم بن العبّاس، والغناء للمعتضد ثقيلٌ أوّل . هذا بيتٌ قاله إبراهيم وهو لا يعلم أنه شعر، و إنمـا كتب به فى رسالة عن المعتصم[3] الى بعض أصحاب الأطراف فقال فى فصل منـه : « و إن عند أمير المؤمنين فى أمرك أَنَاةً، فان لم تُغْنِ عقّب بعدها وعيدًا، فان لم يُغْنِ أَغْنَتْ عزائمُه» . فلما تأمّله رأى أنه شعر وأنه بيتٌ نادر فأخرجه فى شعره . ١٥

(١) فى أ ، م : « الثانى » . (٢) تزاهى : تضاهى . وزهاء الشيء : قدره .
(٣) فى جـ : « عن المعتضد » .

اخبار إبراهيم بن العبّاس ونسبه

نسبه، وشيء عن آبائه

إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُول. وكان صُولٌ رجلا من الأتراك، ففتح يزيد ابن المهلّب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد. ولما دعا يزيدُ الى نفسه لحق به صُولٌ لينصرَه فصادفه قد قُتل. وكان يقاتل كلّ مَنْ بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه: صُولٌ يدعوكم الى كتاب الله وسنّة نبيّه. فبلغ ذلك يزيدَ بن عبدالملك، فآغتاظ وجعل يقول: وَيْلي على آبن القَلْفاء! وماله وللدُّعاء إلى كتاب الله وسنّة نبيّه! ولعلّه لا يَفْقَه صَلاتَه!. وكان آبنه محمد بن صُول من رجال الدولة العبّاسية ودُعاتها. وقد كان بعضُ أهليهم آدّعَوْا أنهم عربٌ وأن العباس بن الأحنف خالُهم. وأمّا صول فإن خالد بن خِداش[(1)] ذكر عن أهله قالوا: كان صولٌ وفَيْروزُ أخوين مَلِكا على جُرجانَ، وكانا تركيَّيْن تمجّسا وتشبّها بالفُرْس. فلما حضر يزيدُ بن المُهَلّب جُرجانَ أمّنهما، فأسلم صُولٌ على يديه ولم يزل معه حتى قُتِل يومَ العَقْر[(2)]. وكان محمد ابن صُول يُكْنى[(3)] أبا عُمَارة، أحَدَ الدُّعاة، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مُقاتِل ابن حَكيم العَكّي[(4)] وعدّةٍ آخرين. وأمّا إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكُتّاب، وكان عبدُ الله أسنّهما وأشدّهما تقدُّما، وكان إبراهيم آدبهما وأحسنَهما شعرا، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويُسْقط رَذْله، ثم يُسقط الوسطَ، ثم يسقط ما يُسْبَق اليه، فلا يَدَعُ من القصيدة إلا اليسيرَ، وربما لم يَدَعْ منها إلّا بيتًا أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

كان يقول الشعر ثم يختاره

(١) فى الأصول «خراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خداش غير مرة فى الأجزاء السابقة.

(٢) هو عقر بابل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (أنظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ج ٩ من الأغانى طبع دار الكتب المصرية). (٣) كذا فى الأصول. ولعله: «ويكنى أبا عمارة الخ».

(٤) هو أحد قواد أبي مسلم الخراسانى صاحب الدعوة العباسية. (أنظر الكلام عليه فى تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٢٠٠١ — ٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠١٦ طبعة أوربا).

ولكنّ الجوادَ ابا هشامٍ * وفىُّ العهدِ مأمونُ المَغيبِ

وهذا آبتداء يدُلّ على أن قبله غيرَه، وقولُه فى أخيه :

ولكنّ عبدَ الله لما حَوَى الغنى * وصار له من بين إخوته مالُ

وهذا أيضا آبتداء يدلّ على أنّ قبله غيرَه . وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذى الرِّياستين، آتّصلا به فرفع منهما . وتنقّل ابراهيمُ فى الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو يتقلّد ديوانَ الضِّياع والنفقات بسُرَّ مَنْ رأى فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان .

قال محمد بن داود وحدّثنى أحمد بن سَعيد[1] بن حَسّان قال حدّثنى آبن إبراهيم قال سمعت دِعْبِلًا يقول :

لو تكسّب إبراهيم بن العبّاس بالشعر لتركنا فى غير شىء . قال : ثم أنشدَنا له، وكان يستحسن ذلك من قوله :

إنّ امرأً ضَنَّ بمعروفه * عنّى لمبـذولٌ له عـذرى

ما أنا بالراغب فى عُرفـه * إن كان لا يرغب فى شكرى

مجاوزه محمد بن عبد الملك الزيات وتشفيه بموته

وكان إبراهيم بن العباس صديقا لمحمد بن عبد الملك الزيّات، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شَحْناء عظيمة لم يمكن تلافيها، فكان إبراهيم يهجوه؛ فمن قوله فيه:

أبا جعفرٍ خَفْ خَفْضةً بعد رِفْعةٍ * وقصِّرْ قليلًا عن مَدَى غُلَوائكا

لئن كان هـذا اليومُ يوماً حوَيْتَه * فإن رجائى فى غـدٍ كرجائكا

وله فيه أيضا :

دعـوتك فى بلْوَى ألمّتْ صروفُها * فأوقـدتَ من ضِغْنٍ علَّ سعيرَها

فإنى إذا أدعـوك عنـد مُلِمّـةٍ * كداعيةٍ عنـد القبور نَصيرَها

(١) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : « أحمد بن داود » .

وقال فيه لمّا مات :

لمّا أتانى خَبَرُ الزيّات * وأنّه قد صار فى الأموات

* أيقنتُ أنّ موته حياتى *

أخبرنى جَحْظة قال حدّثنى ميمون بن هارون قال: لمّا آنحرف محمد بن عبدالملك الزيّات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقَوْه، وكان الحارث بن بُسْخُنَّر صديقا له مصافيا، فهجره فيمن هجره من إخوانه؛ فكتب إليه :

هجره صديقه الحارث بن بسخنر مرضاة لمحمد بن عبدالملك الزيات فقال فى ذلك شعرا

تَغَيَّرَ لى فيمن تغيَّر حارثُ * وكم من أخ قد غيَّرته الحوادثُ

أحارثُ إن شوركتُ فيك فطالما * غَنِينا وما بينى و بينك ثالثُ

وقد قيل : إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ .

ومن جيِّد قولِ إبراهيم بن العباس وفيه غِناء :

صوت

خلِّ النِّفاقَ لأهله * وعليك فآلتمس الطَّريقا

وآذهَبْ بنفسك أن تُرَى * إلّا عدوّا أو صديقا

الغِناء لأبى العُبَيْس بن حمدون، ثقيلٌ أوّل .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال : كان إبراهيم ابن العباس يهوَى قَيْنة بسُرَّ مَنْ رأى، فكان لا يكاد يفارقها . فجلس يوما للشرب ومعه إخوان له، ودعا جماعةً من جوارى القيان، ودعاها فأبطأت، فتنغّص عليهم يومُهم لِما رأَوْا من شُغْل قلبه بتأخُّرها ، ثم وافتْ فسُرِّىَ عنه وطابت نفسه وشرب وطرِب، ثم دعا بدواة فكتب :

قصة عشقه لقينة وانكاشه لتأخرها وشعره فيها

ألم تَرنا يومَنا إذ نأتْ * فلم تأتِ من بين أترابها

وقد غمرتْنا دواعى السرور * بإشعالها وبإلهابها

ومَدّتْ علينا سماءَ النعيم * وكلُّ المُنَى تحت أطنابها[1]

ونحن فُتورٌ إلى أن بدتْ * وبدرُ الدُّجَى بين أثوابها

فلمّا نأتْ كيف كُنّا لها * ولمّا دَنَتْ كيف صِرْنَا بها

وأمر من حضَر فقرأ عليها الأبيات؛ فتجنّتْ وقالت : ما القصّةُ كما وصفتَ، وقد كنتم فى قَصْفكم مع مَنْ حضر، وإنما تجمّلتم لى لمّا حَضَرتُ . فأنشأ يقول :

يا مَنْ حنينى إليه * ومن فؤادى لديه

ومَنْ إذا غاب من بيـ * ـنهم أسِفتُ عليه

إذا حضرتِ فما مِنْ[1] * ـهُمُ مَنَ اصبو إليه

من غاب غيرُكِ منهم * فأمرُه فى يديه

قال : فرضيتْ عنه، وأتممنا يومَنا على أحسن حال .

أجازه دعبل فى شعر

وقال محمد بن داود حدّثنى محمد بن القاسم قال حدّثنى إبراهيم بن المدبّر قال حدّثنى إبراهيم بن العباس — قال حدّثنى به دِعْبِلٌ أيضا فكانا متفقَيْن فى الرواية — قال : كنّا نطلُب جميعا بالشعر، فخرجنا وكنّا فى تجمّل، فابتدأتُ أقول فى المطّلب ابن عبد الله بن مالك :

* أمطّلبُ أنت مُسْتَعْذَبٌ *

فقال دِعْبِل :

* لسمِّ الأفاعى ومُسْتَقْتِلُ *

فقلت :

* فإن أَشْفِ منك تكن سُبّةً *

فقال دِعْبِل :

* وإن أعْفُ عنك فما تفعل *

(١) الأطناب : جمع طنب : وهو حبل طويل يشدّ به سرادق البيت .

روى له الأخفش أبياتا كان يفضلها ويستجيدها

أنشدنى الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يُفضّلها ويستجيدها :

أميل مع الذّمام على ٱبن أمّى * وآخُذ للصّديق من الشقيق

وإن ألفيْتنى حُرًّا مُطاعا * فإنك واجدى عبدَ الصديق

أفرّق بين معروفى ومَنِّى * وأجمع بين مالى والحقوق

جوابه لأبى أيوب

٥ أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو الحسن بن أبى البَغْل قال حدّثنى عمّى قال :

اجتاز محمد بن علىّ بْرد الخيار[(1)] على أبى أيوب ابن أخت الوزير وهو متولّى ديار مُضَر فلم يتلقّه، ونزل الرّقّة فلم يصل إليه ولم يَبَرّه، وخرج عنها فلم يُشيّعه. فلامه إخوانُه وقالوا : يشكوك إلى إبراهيم بن العباس. فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلّة. فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه :

١٠ أبدًا مُعتَذِرٌ لا يُعْذَرُ * وركُوبٌ للتى لا تُغْفَرُ

ومُلَقًّى بمساوٍ كلّها * منه تبدو وإليه تصدُرُ

هى من كل الورى مُنْكَرةٌ * وهى منه وحده لا تُنكَرُ

كان يهوى جارية اسمها « سامر » أهدت له جاريتين

أخبرنى عمّى قال حدّثنى ٱبن برد الخيار عن أبيه قال :

كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنّين بسُرَّ مَنْ رأى يقال لها سامر، وشُهِر بها، فكان منزله لا يخلو منها. ثم دُعِيتْ فى وليمة لبعض أهلها فغابت عنه

١٥ أياما ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاتها. وقالت له : قد أهديتُ صاحبتيَّ إليك عِوَضًا من مَغيبى عنك، فأنشأ يقول :

(١) كذا فى الأصول وتاريخ الطبرى (ق ٣ ص ١٤٩٩). وفى معجم الأدباء لياقوت فى الكلام على إبراهيم بن العباس : " محمد بن على بن برد الخباز " بالزاى .

صـــــوت

أقبلن يحفُفن مثلَ الشمس طالعةً * قد حسّن الله أولاها وأخراها
ماكنتِ فيهن إلّاكنتِ واسطةً * وكنّ دونكِ يُمناها ويُسراها

الغناء لسَلْسَل مولى بنى هاشم، ثانى ثقيل بالوسطى مطلقٌ . وليس لسلسل خبر يُدَوَّن ولا هو من المشهورين ولا ممّن خدم الخلفاء أو دُوِّن له حديث . وذكر حَبَش أنه لسلسل مولاة محمد بن حرب الهلالىّ . وسَلْسَل هذه كانت من أحسن الناس وجها وغناءً، وكانت لبعض المغنّين بالبصرة ، وكان محمد بن حرب هذا يتعشّقها ولم تكن مولاته . فأخبرنى الحرمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعىّ قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال : أتى أبَانُ بن عبد الحميد الشاعر رجلا بالبَصرة وله قَيْنة يقال لها سَلْسَل، فصادف عندها محمد بن قَطَن الهلالىّ وعثمان بن الحَكَم بن صخر الثَّقَفىّ فقال :

فتنتْ سَلْسَلُ قلبَ ابنِ قَطَنْ * ثم ثَنَّتْ بابن صخر فافتتنْ
فأتيتُ اليومَ كى أُنقِذَهم * فإذا نحن جميعا فى قَرَنْ

فأظُنّ الغَلَطَ وقع على حَبَش من هاهنا أو سمع هذا الخبر فتوهّم أنها مولاة محمد ابن حرب .

ذهابه مع دعبل ورزين وذكر بهم خبر أهل الشوك وشعرهم فى ذلك

أخبرنى عمّى ووكيع قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن عيسى ابن عبد الرحمن قال :

خرج إبراهيم بن العباس ودِعْبِل بن علىّ وأخوه رَزِين فى نُظَرائهم من أهل الأدب رَجّالةً إلى بعض البساتين فى خلافة المأمون، فلقيهم قوم من أهل السواد من أصحاب الشَّوْك، فأعطَوْهم شيئا وركبوا تلك الحمير، فأنشأ إبراهيم يقول :

أعِيضَتْ بعد حَمْل الشَّو * كِ أحمالًا من الخرف(١)
تَسَاوَى لا من الصَّهبا * ء بل من شِدّة الضَّعْف

فقال رَزِين :

فلو كنتم على ذاك * تؤولون إلى قَصْف
تساوتْ حالُكم فيه * ولم تَبْقَوْا على خَسْف

٥ فقال دِعْبِل :

وإذ فات الذى فات * فكونوا من بنى الظَّرْف
ومُرُّوا نَقْصِف اليوم * فإنى بائعٌ خُفّى

فانصرفوا معه فباع خُفَّه وأنفقه عليهم .

١٠ أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال قال لى علىّ بن الحسين الإسكافىّ : — رثاؤه لابنه

كان لإبراهيمَ ابنٌ قد يَفَع وتَرَعْرَع، وكان مُعْجَبًا به فاعتلّ عِلّةً لم تَطُل ومات؛ فرثاه بمراثٍ كثيرة، وجزِع عليه جَزَعا شديدا. فمما رثاه به قوله :

كنتَ السوادَ لمُقْلتى * فبكى عليك الناظرُ
١٥ مَنْ شاء بعدَك فَلْيَمُتْ * فعليك كنتُ أحاذِر

فيه رَمَلٌ لابن القصّار . ومن مراثيه إيّاه قوله :

وما زلتُ مُذْ لَدُ أُعطيتُه * أُدافع عنه حِمامَ الأَجَلْ
أُعوِّذه دائبًا بالقُران * وأَرْمى بطرفى إلى حيث حَلّْ
فأضحت يدى قصدُها واحدٌ * إلى حيث حلّ فلم يرتحِلْ

٢٠ وقال أحمد بن أبى طاهر حدّثنى أبو وائلة قال : قلت لإبراهيم بن العبّاس : قد أخملتَ نفسك ورضيتَ أن تكون تابعا أبدا لاقتصارك على القَصْف واللعب؛ فأنشأ يقول : — عاتبه أبو وائلة فى لهوه فقال شعرا

(١) كذا فى الأصول .

إنّما المرء صورةٌ * حيث حلّتْ تَناهتِ
أنا مذ كنتُ فى التصرُّف لى حالُ ساعتى

وهبه أخوه عبد الله ثلث ماله وأخته الثلث الآخر وشعره فى ذلك

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى ٱبن السِّخىّ قال :
وهَب عبد الله بن العبّاس لأخيه إبراهيم ثُلُثَ ماله ، ووهب لأخته الثلث
الآخر ، فسار مساويًا لهما فى الحال ؛ فقال إبراهيم :

ولكنّ عبدَ الله لمّا حوى الغنى * وصار له من بين إخوته مالُ
رأى خَلّةً منهم تُسَدُّ بماله * فساهَمهم حتى ٱستوتْ بهمُ الحال

وهذا مما عِيبَ على إبراهيم قولُه ٱبتداءً "ولكنّ عبد الله". وقد كرّره فى شعره فقال :

٢٥/٩

ولكنّ الجوادَ أبا هشام * وفىُّ العهد مأمونُ المَغيبِ
بَطِىءٌ عنك ما ٱستغنيتَ عنه * وطَلّاعٌ عليك مع الخطوب
والسبب فى ذلك ٱختيارُه شعرَه و إسقاطُه ما لم يرضَه منه .

عزله عن الأهواز

وقرأت فى بعض الكتب : لمّا عُزِل إبراهيم بن العبّاس عن الأَهْواز فى أيام
محمد بن عبد الملك الزيّات ٱعتُقِل بها وأُوذِى ، وكان محمد قبْل الوزارة صديقَه ،
وكان يؤمِّل منه أن يُسامحه و يُطْلِقَه ، فكتب إليه :

فلو إذْ نَبَا دهرٌ وأُنكِر صاحبٌ * وسُلِّط أعداءٌ وغاب نصيرُ
تكون عن الأَهْواز دارى بنَجْوةٍ * ولكن مقاديرٌ جرتْ وأمور
وإنى لأرجو بعد هذا محمدًا * لأفضلِ ما يُرْجَى أخٌ ووزير

فأقام محمد على قصده وتكشُّفه والإساءةِ إليه حتى بلغ منه كلَّ مكروه، وٱنفرجت الحال
بينهما على ذلك، وهجاه إبراهيم هجاء كثيرا .

أرسل ابن الزيات أبا الجهم النكاية به

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثني أبو عبد الله الباقْطانيّ أو الطَّالْقانيّ قال حدّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى قال :

وجّه محمد بن عبد الملك بأبي الجَهْم أحمد بن سيف إلى الأَهْواز ليكشِف إبراهيم ابنَ العبّاس ، فتحامل عليه تحاملًا شديدًا . فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يُعَرِّفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له : أبو الجهم كافرٌ لا يُبالى ما عمِل ، وهو القائل لمّا مات غلامُه يخاطب مَلَكَ الموت :

وأقبلتَ تسعى إلى واحدى * ضِرارًا كأنّى قتلتُ الرسولا

تركتَ عَبيدَ بنى طاهرٍ * وقد ملئوا الأرضَ عَرْضا وطولا

فسوف أَدِين بترك الصلاة * وأَصْطَبِح الخمرَ صِرْفًا شَمولا

فكان محمد لعصبيّته على إبراهيم وقَصْدِه له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجَهْم، إنما إبراهيم قاله ونَسَبه إليه .

مدح المتوكل ببيتين وغنى بهما جعفر ابن رفعة

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفعة قال حدّثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العبّاس وقال : قد مدحتُ أمير المؤمنين المتوكّل ببيتين، فغنِّ فيهما وأشبِعْهما، ودعا لى بطِيب كثير فأعطانيه، وخلَع علىّ خِلعة سَرِيّة، فغنّيتُ فيهما . والبيتان :

صوت

ما واحدٌ من واحدٍ * أولى بفضل أو مُرُوّهْ

مِمّن أبوه وجدُّه * بين الخلافة والنُّبُوّهْ

وأشبَعْتُهما وغنّى فيهما المتوكّل فاستحسنهما ووصله صِلَةً سنيّة .

لحنُ جعفر بن رفعة فى هذين البيتين رَمَلٌ بالبِنصر .

مدح الرضا لما عقدت ولاية العهد فأجازه

أخبرنى محمد بن يونس الأنبارىّ قال حدّثنى أبى :

أن إبراهيم بن العباس الصُّولىّ دخل على الرِّضا لمّا عقَد له المأمون وولاّه العهدَ، فأنشده قولَه :

أزالت عَزاءَ القلب بعد التجلُّدِ * مصارعُ أولاد النبىِّ محمّدِ

— صلى الله عليه وسلم — فوهب له عشرةَ آلاف درهم من الدراهم التى ضُرِبت بآسمه. فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مُهور نسائه، وخلّف بعضَها لكَفَنه وجَهازه إلى قبره.

٢٦/٩

آذى إسحاق ابن أخى زيدان فهدّده فكف عنه

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى أبو العبّاس بن الفُرات والباقْطانىّ قالا :

كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخى زيدان صديقا لإبراهيم بن العبّاس، فأنسخه شعرَه فى مدح الرِّضا، ثم وَلِىَ إبراهيمُ بن العبّاس فى أيام المتوكِّل ديوانَ الضِّياع، فعزله عن ضِياع كانت بيده بحُلْوان، وطالبه بمال وجب عليه، وتباعَد بينهما. فقال إسحاق لبعض من يثق به : قل لإبراهيم بن العبّاس : واللهِ لئن لم يَكْفُف عمّا يفعله بى لأُخرجنّ قصيدتَه فى الرِّضا بخطّه إلى المتوكِّل. فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه، ووجّه من آرتجع القصيدةَ منه وجعله على ثقة من أنه لا يُظهرها، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به.

نادرته فى ثقيل

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا إبراهيم بن المُدَبِّر قال :

راكبت إبراهيمَ بن العبّاس، فلقِينا رجلٌ كان إبراهيم يستثقله، فسلَّم عليه. فلمّا مضى قال : يا أبا إسحاق إنه جَرْمىّ. فقلت : ما كان عندى إلّا أنه من أهل السَّواد. فضحِك وقال : إنما أردتُ قولَ الشاعر :

تُسائِل عن أخى جَرْمٍ * ثقيلٌ والذى خَلَقَهْ

كتابه فى شفاعة لرجل الى بعض إخوانه

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن السَّخىّ (١) قال حدّثنى الحسن بن عبد الله الصُّولىّ قال :

(١) كذا فى جميع الأصول هنا. وقد جاء فى صفحة ٥٥ فى جميع الأصول أيضا : «أحمد بن السخى». وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين.

كتب عمّي إبراهيمُ بن العبّاس شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه : فلان ممّن يزكو شكره ، ويحسُن ذكرُه ، ويَعْني أمرُه ، والصنيعةُ عنده واقعةٌ موقعَها ، وسالكةٌ طريقَها .

وأفضَلُ ما يأتيه ذو الدِّين والحِجا * إصابةُ شكر لم يَضِعْ معَهُ أجْرُ

مدحه عبيد الله ابن يحيى عند المتوكل

٥ أخبرني عمّي عن أبي العَيْناء قال :

كان عُبَيْد الله بن يحيى يقول للمتوكّل : يا أمير المؤمنين، إن إبراهيم بن العبّاس فضيلةٌ خبَأَها الله لك، وذخيرةٌ ذخَرها لدولتك .

طلب اليه المتوكل وصف القدور الابراهيمية ومجونهما في ذلك

وذُكِر عن عليّ بن يحيى :

أنّ المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العبّاس يأمره أن يصف له القُدورَ

١٠ الإبراهيميّة، وكان آبتدعها؛ فكتب له صِفَتَها، وكتب في آخرها في ذكر الأبازير: "ووزن دَانَق" ونسيَ أن يكتب من أيّ شيء. فلمّا وصلتْ إليه الصفةُ آغتاظ ثم قال لعليّ بن يحيى : إحلف بحياتي أن تقول له ما آمُرك به ، ففعل . فقال له : قل وزنُ دانق من أي شيء ؟ أمِن بظْر أمّك ! قال عليّ بن يحيى: فدخلتُ إليه فقلت : إني جئتك في رسالة عزيز عليّ أن أؤدِّيها ؛ فقال : هاتها ، فأدّيتُها . قال : فآرجع اليه وقل له

١٥ عنّي : ياسيّدي ، إن عليّ بن يحيى أخي وصديقي وقد أدّى الرسالة ؛ فإن رأيت أن تجعل وزن الدّانق من بَظْر أمّي وبَظْر أمّه جميعا تفضّلتَ بذلك . فقلت : قبّحك الله ! وأنا أَيْش ذنبي! قال : قد أدّيتَ الرسالة وهذا جوابُها . فدخلتُ إلى المتوكّل فقال: إيهِ ما قال لك؟ فقلتُ : قَبّح الله ما جئتُك به ! وأخبرته بالجواب ؛ فضحك حتى فَحَص برجله وجعل يَشْرب عليه بقيّة يومه . وإذا لَقيتُه قال لي : ياعليّ ، وزن دانق أَيْش !

٢٠ فأقول : لعنة آلله على إبراهيم .

داعب الحسن بن وهب وشعره فى ذلك

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى محمد بن موسى بن حمّاد قال :

دعا الحسنُ بنُ وَهْب إبراهيمَ بن العبّاس، فقال له : أَرْكَبُ وأجيئك عشيًّا فلا تنتظرنى بالغَداة. فأبطأ عليه، وأسرع الحسنُ فى شُرْبه فسكِر ونام، وجاء إبراهيم فرآه على تلك الحال، فدعا بدواة وكتب :

٢٧ / ٩

رُحْنا إليك وقد راحتْ بك الرّاحُ * وأسرعت فيك أوتارٌ وأقداح

قال : وحدّثنى محمد بن موسى قال :

نظر إبراهيم بن العباس الحسنَ بنَ وَهْب وهو مخمورٌ فقال له :

عيناكَ قد حكَتا مَبِيـ * ـتَك كيف كنتَ وكيف كانا
ولَرُبَّ عينٍ قد أرتـ * ـكَ مَبِيتَ صاحبها عِيانا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتا وطالبه بمثلها؛ فكتب اليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتا . وأبياتُ إبراهيم :

أأبا علىّ خيرُ قولك ما * حصَّلتَ أنجَعَه ومُخْتصَرَهْ
ما عندنا فى البيع من غَبَنٍ * لمُسْتَقِلٍّ بواحدٍ عَشَره
أنا أهلُ ذلك غيرَ مُحْتَشِمٍ * أرضَى القديمَ وأقتفِى أثره
ها نحن وفّيناك أربعةً * والأربعون لديك مُنتظَره

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى القاسم بن إسماعيل قال :

سمعتُ إبراهيمَ بن العبّاس وقد لبِس سوادَه يومًا يقول : ياغلامُ هاتِ ذلك السيفَ الذى ماضرَّ الله به أحدًا قطُّ غيرى .

كان يستثقل ابن أخيه وحكايات عنه فى ذلك

قال : وسأل يوما عن آبن أخيه طماس وهو أحمد بن عبد الله بن العبّاس فقيل له : هو مشغول بطبيب ومُنجِّم عنده، وكان يستثقله، فقال قل له يا غلام : والله مالك فى الناس طَبٌّ؛ ولا فى السماء نجم، فمالك تَكَلُّف هذا التكلّف .

أخبرنى الصّولىّ قال حدّثنى أحمد بن السّخىّ قال :

أمر إبراهيم بن العبّاس أن يُجمَع كلُّ أعور يمرُّ فى الطريق، فجمعوهم ووقّفوهم وخرج ومعه طماس، فلما رأى العُورَ مجتمعين قال لطماس : كُلُّهم مثلُك، فاترك هذا الصَّلَف فإنه داعية إلى التّلف .

٥ أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى مَيْمون بن موسى قال :

قال الحسن بن وَهْب لإبراهيم بن العبّاس : تعالَ حتى نَعُدَّ البُغَضَاء، قال : ابدأ بى أوّلًا من أجل آبن أخى طماس ثم ثَنِّ بمن شئتَ .

أمر الحسن بن مخلد بأمر فأبطأ فيه فقال شعرا

أخبرنى الصُّولىّ قال قال جعفر بن مجمود :

ركبتُ بين يَدَىْ إبراهيم بن العبّاس . فأمَرَ الحسنَ بن مُخْلَد[1] بأمرٍ فآستبطأه فيه

١٠ فنظر اليه فقال :

مُعْجِبٌ عند نفسه * وهو لى غير مُعْجِبِ

إن أقُلْ لا يَقُلْ نعم * عاتِبٌ غيرُ مُعْتِبِ

مُولَعٌ بالخلاف لى * عامِدًا والتجنُّبِ

قلتُ فيه بضدّ ما * قيل فى أمّ جُنْدُبِ

١٥ يريد قولَ امرئ القيس :

"خليلَىَّ مُرّابى على أمّ جُنْدُبِ"

أى فانا لا أريد أن أمُرّ بك .

تنادر بابن الكلبى عند المتوكل لما جاء كتابه

قال وأخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنا أحمد بن يزيد المُهَلَّبىّ عن أبيه قال :

كان المتوكل قد ولّى ابنَ الكلبىّ البريدَ ، وأحلفه بالطلاق ألّا يَكتُمَه شيئا

٢٠ من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو فى نفسه . فكتب اليه يوماً أن آمرأته

(١) هو الحسن بن مخلد بن الجراح . تولى ديوان الضياع للتوكل بعد موت إبراهيم بن العباس هذا . (انظر الكلام عليه فى تاريخ الطبرى : ق ٣ ص ١٤٣٥ و ١٤٤٤ — ١٤٤٧ و ١٦٤٧ — ١٦٤٨) .

٢٨ / ٩

خرجت مع حُبّتها فى نُزْهة، وأن حُبّتها عَرْبَدتْ عليها بجرحتْها فى صُدْغها. فقرأه إبراهيم ابن العبّاس على المتوكّل ثم قال له : ياأمير المؤمنين، قد صحّف آبنُ الكلبيّ، إنما هو : "جرحتْها فى سُرْمها" (٢)، فضحك المتوكّل وقال: صدقتَ. ما أظن القصة إلّا هكذا. قال: ولم يكن آبن الكلبيّ هذا من العرب، إنما كان أبوه يُلقّب "كلب الرَّحْل" فقيل له الكلبيّ.

استعطافه محمد بن عبد الملك الزيات

أخبرنى عمّى قال حدّثنا ميمون بن هارون قال :

كتب إبراهيم بن العبّاس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه : كتبت إليك وقد بلغت المُدْيةُ المَحزّ (٣)، وعدَت الأيامُ بك علىّ، بعد عَدْوى بك عليها، وكان أسوأ ظنّى وأكثر خوفى، أن تسكُنَ فى وقت حركتها، وتكُفّ عند أذاها، فصرتَ علىّ أضرّ منها، وكفّ الصديقُ عن نُصْرتى خوفاً منك، وبادر إلىّ العدوُّ تقرُّباً إليك. وكتب تحت ذلك :

أخٌ بينى وبين الدهـ * ـر صاحَبَ أيّنا غلبَا
صديق ما آستقام فإن * نبا دهرٌ علىّ نبا
وَثَبْتُ على الزمان به * فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا * لعاد به أخاً حَدِبا

قال وكتب إليه : أمَا والله لو أمِنتُ ودّك لقلت، ولكنى أخاف منك عَتْبا لا تُنصفنى فيه، وأخشى من نفسى لائمةً لا تحتملها لى. وما قد قُدّر فهو كائن، وعن كل حادثة أُحدوثة. وما آستبدلت بحالةٍ كنتُ فيها مغتبطًا حالةً أنا فى مكروهها وألمها أشدّ علىّ من أنّى فزعت إلى ناصرى عند ظلمٍ لحقنى، فوجدتُ من يظلمنى أخفّ نيّة فى ظُلْمى منه، وأحمَدُ الله كثيرا. ثم كتب فى أسفلها :

(١) الحبة : المحبوبة. (٢) فى الأصول : «صرمها» بالصاد، وهو تحريف.
(٣) كذا فى معجم الأدباء لياقوت. وفى الأصول : «المحزة».

وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ * فلما نَبا صرتَ حَرْبًا عَوانَا

وكنتُ أذُمُّ إليك الزمانَ * فأصبحتُ فيك أذُمُّ الزمانا

وكنتُ أعِدُّك للنائبات * فأصبحتُ أطلب منك الأمانا

٥

هجا محمد بن عبد الملك وكان قد أغرى به الواثق

أخبرنى الصُّولِىّ قال أخبرنى الحسين بن فَهْم قال :

كان محمد بن عبد الملك قد أغْرَى الواثقَ بإبراهيم بنِ العبّاس ، وكان إبراهيم يُعاتبه على ذلك ويُداريه ، ثم وقف الواثق على تحامُله عليه فرفَع يدَه عنه وأمر أن يُقْبَل منه ما رفَعه ، وردَّه الى الحَضْرة مَصُونًا ، فلما أحسَّ إبراهيمُ بذلك بَسط لسانَه فى محمد ، وحسَّن ما بينه وبين آبن أبى دُوَاد (١) . وهجا محمدَ بن عبد الملك هِجاءً كثيرًا، منه قوله :

١٠

قَدرتَ فلم تَضْرُرْ عدوًّا بقدرةٍ * وسُمْتَ بها إخوانَك الذُّلَّ والرَّغْما

وكنتَ مليئًا بالتى قد يَعافها * من الناس من يأبى الدَّنِيئةَ والذَّمّا

تمادح هو وأبو تمام

أخبرنى الصُّولِىّ قال حدّثنا آبن السَّخِىّ قال حدّثنى الحسين بن عبد الله قال :

سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يقول لأبى تَمّام الطائى وقد أنشده شعرًا له فى المعتصم : يا أبا تَمّام، أمراءُ الكلام رعيّةٌ لإحسانك. فقال له أبو تَمّام: ذلك لأنى أستضىء بك وأرِدُ شريعتَك .

١٥

اعتذر له إبراهيم ابن المدبر عن أخيه فقال شعرا

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال سمعت إبراهيم بن المُدَبِّر يقول :

٢٩ / ٩

جرى بين إبراهيم بنِ العبّاس وبين أخى أحمد بن المدبّر شىء، وكان يودُّنى دون أخى ، فلقِيتُه فاعتذرتُ إليه عنه ؛ فقال لى : يا أبا إسحاق :

(١) يعنى بهذا أن محمد بن عبد الملك كان يعادى أحمد بن أبى دواد ويهجوه . (انظر خبر ذلك مفصلا

٢٠

فى ج ٢٠ ص ٥١ من الأغانى طبع بلاق) .

صـــوت

خــلِّ النِّفاق لأهــله * وعليــكَ فالْتمسِ الطَّريقا
وٱذهب بنفسك أن تُرى * إلّا عــدوًّا أو صــديقا

الغناء لأبى العُبَيْس .

احتال على المتوكل لينجي بعض عماله من العقوبة

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى القاسم بن إسماعيل قال :

انصرف إبراهيم بن العبّاس يوما من دار المتوكِّل فقال لنا : أنا والله مسرورٌ بشىء مغمومٌ منه . فقلنا له : وما ذاك أعزّك الله؟ قال : كان أحمد بن المُدَبّر رفَع إلى أمير المؤمنين أن بعض عُمّالى ٱقتطع مالا ، وصدَق فى الذى قاله ، وكنتُ قد رأيت هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوتُ له ، وضحِك إلىَّ فقال لى : إن أحمد قد رَفع على عاملك كذا وكذا فٱصدُقْنى عنه ؛ فضاقت علىَّ الحُجّة ، وخفتُ أن احقِّق قولَه إن ٱعترفت ، ثم لا أرجع منه إلى شىء فيعود علىَّ الغُرْم ، فعدَلْت عن الحُجّة إلى الحيلة فقلت : أنا فى هذا يا أمير المؤمنين كما قلتُ فيك :

صـــوت

رَدّ قولى وصدّق الأقوالا * وأطـاع الوُشاةَ والعُــذّالَا
أتُراه يكون شهرَ صــدودٍ * وعلى وجهــه رأيتُ الهلالا

قال : لا يكون والله ذلك بحيــاتى يا إبراهيم ! رَوِّ هــذا الشعرَ بَنــانًا حتى يُغَنِّيَنِى فيه . فقلت : نعم يا سيّدى على ألّا يُطالَبَ صاحبي بقول أحمد . فقال للوزير : تقبَّل قولَ صاحبه فى المــال . فسُررتُ بالظَّفَر ، وٱغتممتُ لبُطلان هذا المــال وذَهابه بمثل هذه الحيلة ، ولعله قد جُمع فى زمن طويل وتعبٍ شديد .

سرق ابن دريد وابن الرومى شعره

أنشدتُ عمّى رحمه الله أبياتا لابن دُرَيْد يمدح رجلا من أهل البصرة :

يا من يُقبِّل كفَّ كلِّ مُخرِقٍ * هذا ابنَ يحيى ليس بالمِخراقِ
قَبِّلْ أناملَه فلسن أناملا * لكنّهنّ مفاتحُ الأرزاق

فقال : يا بُنَيَّ هذا سرقَه هو وابنُ الرُّومى جميعًا من إبراهيم بن العبّاس ؛ قال إبراهيم بن العبّاس يمدح الفضلَ بنَ سَهْل :

٥

لفضلِ بن سهلٍ يدٌ * تَقَاصَر عنها الأملْ
فباطِنُها للنَّدَى * وظاهِرُها للقُبَلْ
وبَسْطتُها للغِنَى * وسطوتُها للأجَلْ

وسرقه ابن الرُّومى فقال :

١٠

أصبحتُ بين خَصاصةٍ ومَذَلَّةٍ * والحُرُّ بينهما يموت هَزِيلا
فامْدُدْ إلىَّ يدًا تعوَّد بطنُها * بَذْلَ النَّدَى وظهورُها التَّقبيلا

قال ثعلب إنه كان أشعر المحدثين

أخبرنى الصُّولِى قال سمعتُ أحمدَ بن يحيى ثَعْلبًا يقول :

$\frac{٣٠}{٩}$

كان إبراهيم بن العبّاس أشعرَ المُحدَثين . قال: وما روى ثعلبٌ شعرَ كاتبٍ قطُّ قال : وكان يَستحسنُ كثيرا قولَه :

١٥

لنا إبلٌ كُومٌ[1] يَضيق بها الفَضا * ويَفْتَرُّ عنها أرضُها وسماؤُها
فمِن دونها أن تُستباح دماؤُنا * ومن دوننا ان تُستباح دماؤها
حِمى وقِرًى فالموتُ دون مَرامِها * وأيسرُ خطبٍ يوم حَقٍّ فناؤُها

ثم قال : والله لو كان هذا لبعض الأوائل لاستُجِيد له .

(١) الكوم : الابل الضخمة العظيمة السنام ، الواحد أكوم والأنثى كوماء .

مدح الحسن بن سهل

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال سمعتُ الحسن ابن رجاء يقول :

كنّا بفَمِ الصِّلح[1] أيامَ بَنَى المأمونُ ببُورانَ بنتِ الحسن بن سَهْل ؛ فقدِم إبراهيم ابن العبّاس علينا ودخل إلى الحسن بن سَهْل فأنشده

لِيَهْنِئْكَ أصهارٌ أذلّتْ بعِزِّها * خدوداً وجدّعتَ الأنوفَ الرّواغما

جمعتَ بها الشمْلَيْنِ من آل هاشمٍ * وحُزتَ بها للأكرمينَ الأكارما

بَنُوكَ غَدَوْا آلَ النبيّ ووارِثو الـ * خلافـةِ والحاوُون كِسْرَى وهاشما

فقال له الحسن: "شِنْشِنَةٌ أعرِفها من أَخْزَم"[2] أى إنّك لم تزل تمدحنا ، ثم قال له : أحسنَ الله عنّا جزاءك يا أبا إسحاق؛ فما الكثير من فعلنا بك بجزاءٍ لليسير من حقّك .

قال شعرا فى قينة اسمها "سامر" كان يهواها فغضبت عليه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال :

أنشدنى إبراهيم بن العبّاس لنفسه فى قَيْنة اسمها سامر كان يهواها فغضبتْ عليه :

وعلّمتِنى كيف الهوى وجهِلتِـه * وعلّمكم صبرى على ظُلْمكم ظُلْمى

وأعلم ما لى عندكم فيردّنى * هوايَ إلى جهل فأقصِر عن عِلْمى

شعره فى قصر الليل

أخبرنى الصُّولىّ قال :

سمعتُ عُبَيْدَ الله بن عبد الله بن طاهر يقول : لا يُعلَم لقديمٍ ولا لمُحْدَثٍ فى قِصَر الليل أحسن من قول إبراهيم بن العبّاس :

(١) فم الصلح : نهر كبير فوق واسط عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سهل . (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) هذا مثل ، قاله أبو أخزم الطائى وكان له ابن يقال له أخزم ؛ قيل : كان عاقا فمات وترك بنين ، فوثبوا يوما على جدهم فأدموه ، فقال :

إن بنىّ ضرّجونى بالدم * شنشنة أعرفها من أخزم

* من يلق آساد الرجال يكلم *

وليلةٍ من الليالى الزُّهْرِ * قابلتُ فيها بدرَها ببدرِ
لم تك غير شَفَقٍ وفجر[1] * حتى تولَّتْ وهى بِكْرُ الدهرِ

تنكر له ابن الزيات لصلته بابن أبى دواد فاعتذر له بشعر

أخبرنى أحمد بن عُبَيْد الله بن عمّار قال حدّثنى أحمد بن بِشْر المَرْثَدِىّ قال: كان إبراهيم بن العبّاس يوماً عند أحمد بن أبى دُوَاد، فلمّا خرج من عنده لقيَه محمد ابنُ عبد الملك الزيّات وهو خارج من داره؛ فتبيّن إبراهيمُ فى وجه محمدٍ الغضبَ فلم يخاطبه فى العاجل بشىء. فلما انصرف إلى منزله كتب اليه :

دَعْنِى أُواصِلْ مَنْ قطعـ * ـتَ يراكَ بى إذ لا يَرَاكا
إنِّى متى أهْجُرْ لهجـ * ـرِكَ لا أضرّ به سِواكا
وإذا قطعتُك فى أخيـ * ـك قطعتُ فيكَ غداً أخاكا
حتى أرى مُتَقَسِّماً * يومى لذا وغَدِى لذاكا

مسح المداد بكم ثوبه وشعره فى ذلك

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى أبو العَيْناء قال :

كنت عند إبراهيم بن العبّاس وهو يكتب كتابا، فنقّط من القلم نقطةً مُفسِدةً فمسَحها بكمّه؛ فتعجّبتُ من ذلك؛ فقال : لا تَعْجَبْ، المال فرع والقلم أصل، ومن هذا السَّواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المُرَاعاة من الفرع. ثم فكّر قليلا وقال :

إذا ما الفكر ولَّدَ حُسْنَ لفظ * وأسلَمه الوجود إلى العِيانِ
ووشّاه فنَمْنَمَه مُسِدٌّ[2] * فصيحٌ فى المقال بلا لسانِ
ترى حُلَلَ البيان مُنَشَّرات * تجلّى بينها صُوَرُ المعانى

(١) فى ب وس : «وبدر» . (٢) سد : مصيب السداد .

اتهمه المأمون بإفشاء سر مقتل الفضل بن سهل ثم عفا عنه بشفاعة هشام الخطيب

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن صالح بن النطّاح قال :

لمّـا عزم المأمون على الفتك بالفَضْل بن سَهْل[1]، وندَب له عبدَ العزيز بن عمران الطائىّ، ومُؤنسا البصْرىّ، وخَلَفًا المِصْرىّ، وعلىّ بن أبى سَعْد ذا القلمين ، وسراجًا الخادم، نُمِىَ الخبرُ إلى الفضل، فأظهره للأمون وعاتبه عليه . فلمّا قُتِل الفضلُ وقَتل المأمون قَتَلَتَه، سأل من أين سقَط الخبر إلى الفضل؟ فعُرِّف أنه من جهة إبراهيم بن العبّاس، فطلبه فآستتر. وكان إبراهيم عرَّف هذا الخبرَ من جهة عبد العزيز بن عمران، وكان الفضل آستكتب إبراهيمَ لعبد العزيز بن عمران، فأخبر به الفضلَ . قال : وتحمّل إبراهيمُ بالناس على المأمون، وجرّد فى أمره هشاما الخطيبَ المعروفَ بالعبّاسىّ وكان جريئا على المأمون لأنه ربّاه، وشخَص إليه إلى خُراسان فى فتنة إبراهيم بن المهدىّ، فلم يُجِبه المأمون إلى ماسأل. فلقيَه إبراهيم مستترًا وسأله عمّا عمِل فى حاجته. فقال له هشام: قد وعَدنى فى أمرك بما تُحِبّ. فقال له إبراهيم :أظنّ أن الأمر على غير هذا! قال : وما تظنّ؟ قال : محلُّك عند أمير المؤمنين أجلّ من أن يَعِدَك شيئا فترضَى بتأخيره، وهو أكرم من أن يَعِد مثلَك شيئا فيؤخّره ، ولكنك سمعتَ ما لا تحبّ فىّ فكرِهت أن تغُمّنى به فقلت لى هذا القوَل، وأحسَنَ الله على كل الأحوال جزاءك ، فمضى هشام إلى المأمون فعرّفه خبرَ إبراهيم، فعجِب من فِطْنته وعفا عنه. قال: وفى هشام يقول إبراهيم ابن العبّاس :

مَنْ كانت الأموال ذُخْرًا له * فإنّ ذُخْرى أمَلى فى هشـام
فتًى يَقِى اللّامةَ عن عِرْضه * وأنهبَ المـالَ قضاءَ الذّمام

(1) راجع الطبرى فى هذه القصة (ق ٣ ص ١٠٢٥ — ١٠٢٨) ففيها اختلاف عما هنا .

مدح الفضل بن سهل

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو الحسين بن أبى البَغْل قال :

دخل إبراهيم بن العبّاس على الفضْل بن سَهْل فآستأذنه فى الإنشاد ، فقال هاتِ، فأنشده :

يُمضِى الأمورَ على بديهته * وتُرِيه فكرتُه عواقبَها
فيَظَلُّ يُصدِرُها ويُورِدُها * فَيعُمُّ حاضرَها وغائبَها ٥
وإذا ألمّتْ صَعْبةٌ عظُمتْ * فيها الرزيّةُ كان صاحبَها
المستقِلّ بها وقد رَسَبتْ * ولوتْ على الأيام جانبَها
وعدَلْتَها بالحقّ فآعتدلَتْ * ووسِعت راغبَها وراهبَها
وإذا الحروبُ غَلَتْ بعثتَ لها * رأيا تَفُلُّ به كتائبَها
رأيًا إذا نَبَتِ السيوفُ مضى * عزمٌ بها فشفَى مَضاربَها ١٠
أَجْرى إلى فئة بدولتها * وأقام فى أخرى نَوادبَها
وإذا الخطوبُ تأثّلتْ ورَسَتْ * هَدّتْ فواصلُه نوائبَها
وإذا جرتْ بضميره يَدُه * أبدتْ به الدّنيا مناقبَها

٣٢ / ٩

وأنشدنى عمّى لإبراهيم بن العبّاس فى الفَضْل بن سهل وفيه غِناء :

صوت ١٥

فلو كان للشكر شخصٌ يَبِين * إذا ما تأمّله النّاظرُ
لمثّلتُه لك حتى تَراه * فتعلم أنّى آمرؤ شاكرُ

الغناء لأبى العُبَيْس ثقيل أوّل . وفيه لرَذَاذ ثانى ثقيل . حدّثنى أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النُّوبَختىّ قال حدّثنى جماعة من عُمومتى وأهلنا أن رَذَاذًا صنع فى هذين البيتين لحنا أُعجِب به الناسُ وآستحسنوه ، فلما كثُر ذلك صنع فيه أبو العُبَيْس لحنا ٢٠ آخر، فسقَط لحنُ رذاذ وآختار الناس لحنَ أبى العُبَيْس .

مدح المتوكل وولاة العهود فأجازوه

أخبرنى حَنْظلة قال حدّثنى ميمون بن هارون قال :

لمّا عَقَد المتوكّلُ لولاة العهود من وَلَده رِكب بِسُرَّ مَنْ رأى رَكْبَةً لم يُرَأحسنُ منها، وركب ولاةُ العهود بين يديه، والأتراكُ بين أيديهم أولادُهم يمشون بين يدَى المتوكّل بمناطق الذهب ، فى أيديهم الطَّبَرْزِينَاتُ(١) المُحَلَّاة بالذّهب، ثم نزل فى الماء فجلس فيه والجيش معه فى الجوانحيّات(٢) وسائر السفن ، وجاء حتى نزل فى القصر الذى يقال له العَروس، وأذِن للناس فدخلوا إليه . فلما تكاملوا بين يديه ، مَثَل إبراهيم بن العبّاس بين الصفّين، فآستأذن فى الإنشاد فأذِن له ، فقال :

ولمّا بدا جعفرٌ فى الخميـ * ـس بين المطلّ(٣) وبين العَروس

بدا لابسًا بهما حُلّةً * أُزِيلتْ بها طالعاتُ النُّحوس

ولمّا بدا بين أحبابه * وُلاةِ العهود وعزِّ النفوس

غـدا قمرًا بين أقماره * وشمسًا مُكلّلةً بالشموس

لإيقاد نارٍ وإطفائها * ويومٍ أنيقٍ ويومٍ عَبوس

ثم أقبل على ولاة العهود فقال :

أضحتْ عُرَى الإسلام وهى منوطةٌ * بالنّصر والإعزاز والتأييد

بخليفةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ * كَنَفوا الخلافةَ من وُلاة عهود

قمرٌ توافتْ حوله أقماره * فحَفَفْن مطلعَ سعده بسعود

رفَعتهمُ الأيامُ وآرتفعوا به * فسَمَوْا بأكرمِ أنفُسٍ وجدود

قال : فأمَر له المتوكّل بمائة ألف درهم، وأمر له وُلاةُ العهود بمثلها .

(١) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الطبر(الفأس) أو هو الطبر بعينه . وهذا أصح لأن أصل معناه الطبر المعلق فى السرج . فالفرس كان من عادتهم أن يعلقوا الطبر فى السروج . (كتاب الألفاظ الفارسية المعربة). (٢) الجوانحيات : نوع من السفن كما هو ظاهر من السياق . (٣) المطل : اسم مكان أو قصر، كما هو ظاهر من السياق . ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من معجمات البلدان .

فضل ابن برد الخيار شعره على شعر محمد بن عبد الملك الزيات

أخبرنى عمّى قال : اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وآبن برد الخيار فى مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون يُنشد من أشعار أبيه محاسنها ، و يفضلها ويقدّمها . فقال له آبن برد الخيار : إن كان لأبيك مثلُ قول إبراهيم بن العبّاس :

٥ أســدٌ ضارٍ إذا هيّجتَه * وأبٌ بَـرٌّ إذا ما قَـدَرا

٣٣/٩

يعرِف الأبعدَ إن أثْرَى ولا * يعرِف الأَدْنى إذا ما آفتقرا

أو مثلُ قوله :

تلج السنون بيوتَهم وتَرى لهم * عن جار بيتهم آزورارَ مناكبِ

وتراهمُ بسيوفهم وشِفارهم * مُسْتَشرِفين لراغبٍ أو راهب

١٠ حامِين أو قارِين حيث لقيتَهم * نَهْبَ العُفاة ونُهْزَةَ للرّاغب

فآذكُره وآنخَرْ به ، وإلّا فأقْلِلْ من الآفتخار والتّطاول بما لا طائل فيه ؛ فخجِل هارون . وقال عبيد الله بن سليمان : لَعَمْرى ما فى الكُتّاب أشعر من أبى إسحاق وأبى علىّ ، (يعنى عمّه الحسن بن وَهْب) ثم أمر بعضَ كُتّابه بكَتْب المقطوعتين اللتين أنشدهما آبن برد الخيار .

هنأ الحسن بن سهل بصهر المأمون

١٥ أنشدنى علىّ بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العبّاس يُهنِّئ الحسن بن سهل بصِهْر المأمون :

هَنَتْكَ أكرومةٌ جُلِّلْتَ نعمتَها * أعلتْ وليَّك وآجتثّتْ أعاديكا

ما كان يحيا(1) بها إلا الإمامَ وما * كانت إذا قُرِنت بالحقّ تعدوكا

هجا محمد بن عبد الملك الزيات

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثنى أبو محمد الحسن
٢٠ ابن مَخْلَد قال :

(1) كذا فى جميع الأصول ولعلها « يحبو » .

أودعَ محمد بن عبد الملك الزيّات مالًا عظيمًا وجوهرًا نفيسًا، وقد رأى تغيُّرًا من الواثق فخافه وفرّق ذلك فى ثِقاته من أهل الكَرْخ ومُعامليه من التُّجّار. وكان إبراهيم بن العبّاس يُعاديه ويَرْصُد له بالمكاره لإساءته إليه، فقال أبياتًا وأشاعها حتى بلغت الواثقَ يُغريه به:

نصيحةٌ شانَها وزيرُ * مُستَحفَظٌ سارقٌ مُغيرُ
ودائعٌ جَمّةٌ عِظام * قدأُسبِلتْ دونَها السُّتور
تسعةُ آلافِ ألفِ ألفٍ * خِلالَها جوهرٌ خطير
بجانب الكَرْخ عند قومٍ * أنت بما عندهم خبير
والمَلْكُ اليوم فى امور * تَحْدُث من بعدها أمور
قد شَغَلته مُحقَّراتٌ * وصاحبُ الكارة(١) الوزير

مدح المعتز بشعر

أنشدنى علىّ بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العبّاس يمدح المعتزّ وفيه غناء:

صوت

سَحُورُ مَحاجِرِ الحَدَقهْ * مليحٌ والذى خَلَقهْ
سَواءٌ فى رِعايتِه * مُجانِبُه ومَنْ عَشِقَهْ
لعينى فى محاسنه * رياضُ محاسنٍ أَنِقَهْ
فأحيانًا أُنَزِّهها * وطورًا فى دمٍ غَرِقَهْ

يقول فيها فى مدح المعتزّ بالله:

فيا قمرًا أضاء لنا * يُلألئُ نورُه أُفُقَهْ
يُشَبِّهه سنا المعتزّ * ذو مِقَةٍ إذا رَمَقَهْ
أميرٌ قلَّد الرحمـ * نُ أمرَ عبادِه عُنُقَهْ

(١) الكارة: ما يجمع ويشد، ويعنى بها الصرة التى فيها المال.

وفضْـله وطيبـــه * وطهْر فى الورى خُلُقَهْ

فى الأربعة الأبيات الأوَل رَمَلٌ ذكر الهشامىّ أنه لآبن القصّار، ووجدتُه فى بعض الكتب لعَريب .

هنأه أحمد بن المدبر وكان يحرض عليه فقال شعرا

أنشـدنى الأخفش لإبراهيم بن العبّاس يقولها لأحمد بن المُدَبِّر وقـد جاءه بعد خلاصه من النكبة مهنِّئا ، وكان آستعان به فى أمر نكبته فقعد عنه، وبلغه أنه كان يحرِّض عليه آبن الزيّات :

وكنتَ أخى بالدّهر حتى إذا نَبا * نَبَوْتَ فلمّـا عاد عُدْتَ مع الدّهر

فـلا يومَ إقبـال عَدَدْتُك طائلا * ولا يومَ إدبارٍ عـــددتُك فى وِتْر

وما كنتَ إلّا مثلَ أحــلام نائمٍ * كِلَا حالتَيْكَ من وفاءٍ ومن غَـــدْر

عاتبه ابن المدبر فقال شعرا

وأنشدنى الصّولىّ له فى أحمـد بن المدبر أيضا وقد عاتبـه أحمد بن المدبّر على شىء بلغه فقال :

هَبِ الزّمانَ رمانى * الشأنُ فى الخـلّان

فيمَنْ رمانىَ لمّـا * رأى الزمانَ رمانى

ومن ذَخَرتُ لنفسى * فصار ذُخرَ الزمانِ

لو قيل لى خُذْ أمانًا * من أعظم الحـدَثان

لَمّـا أخـذتُ أمانًا * إلّا من الإخوان

* * *

ومن أخبار المُعْتَضِد بالله الجاريةِ مَجْرى هذا الكتاب

المعتضد وغلامه بدر

حدّثنى عمّى عن جَدّى رحمهما الله قال قال لى عُبَيْـد الله بن سليمان، وكان يأنَس بى أُنْسًا شديدًا لقديم الصُّحبة وآئتلاف المَنْشأ : دعانى المعتضد يوما فقال :

أَلَا تُعاتب بدراً[1] على مالا يزال يستعمله من التخرّق فى النّفقات والإثابات والزيادات والصِّلات! وجعل يؤكّد القول علىّ فى ذلك؛ فلم أخرج عن حضرته حتى دخل إليه بدر فجعل يَستأمره فى إطلاقات مُسرِفة ونفقات واسعة وصِلات سنيّة وهو يأذن له فى ذلك كلّه . فلما خرج رأى فى وجهى إنكاراً لما فعله بعد ما جرى بينى وبينه؛ فقال لى : يا عُبَيد الله قد عَرفتُ ما فى نفسك، وأنا وإيّاه كما قال الشاعر : ٥

صــــوت

فى وجهه شافعٌ يمحــو إساءته * من القـلوب مطاعٌ حيثما شَـفَعَا

مُسْتَقبَلٌ بالذى يَهْوَى وإن كَثُرتْ * منه الإساءةُ مغفورٌ لما صَـنَعا

وفى هذين البيتين خفيفُ رَمَلٍ .

كان المعتضد يطرب لغناء ابن العلاء فى شعر الوليد بن يزيد

حدّثنى محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال حدّثنى أحمد بن العَلَاء قال : ١٠ غنّيتُ المُعْتَضِدَ :

كلّلانى توِّجانى * وبشعرى غنّيانى[2]

أطلِقانى من وَثاقى * وآشدُدانى بعِنانى

فآستحسنه جدًّا، ثم قال لى : ويحك يا أحمد! أمَا ترى زَهْوَ المُلْك فى شعره وقوله :

كلّلانى توِّجانى * وبشعرى غنّيانى ١٥

وآستعاده مِراراً، ثم وصَلَنى كلَّ مرّة آستعاده بعشرة آلاف دِرهم، وما وصل بها مغنّياً قبلى ولا بعدى . قال : وآستعاده منّى ستَّ مرّاتٍ ووهب لى ستّينَ ألفا. وقال النُّوشجانىّ: بل وصَله بعشرة آلاف درهم مرّةً واحدة .

٣٥/٩

(١) كان بدر هذا غلام المعتضد، ولاه الشرطة يوم ولى الخلافة، ثم ولاه بعد ذلك فارس . (انظر تاريخ ابن الأثير ص ٣١٧، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٥ ج ٧) . قتله المكتفى سنة ٢٨٩ لأنه أبى أن يبايعه . (انظر سبب مقتله بإسهاب فى تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٢٢٠٩ — ٢٢١٦) . ٢٠

(٢) هذا من شعر الوليد بن يزيد (انظر ج ٧ ص ٩٣ من هذه الطبعة) .

صنعة أولاد الخلفاء الذُّكور منهم والإناث

فأوّلهم وأتقنهم صنعةً وأشهرهم ذِكرًا فى الغناء إبراهيم بن المهدىّ؛ فإنه كان يتحقق[1] به تحقُّقا شديدًا و يبتذل نفسَه ولا يستتر منه ولا يُحاشى أحدا. وكان فى أوّل أمره لا يفعل ذلك إلّا من وراء سِتر وعلى حال تصوُّنٍ عنه وترَفُّع، إلاأن يدعوَه اليه الرّشيد فى خَلْوة والأمينُ بعدَه. فلمّا أمَّنه المأمونُ تَهتَّك بالغناء وشُرْبِ النَّبيذ بحضرته والخروج من عنده ثَمِلًا ومع المغنِّين، خوفًا منه و إظهارًا له أنه قد خلع رِبْقَةَ الخلافة من عُنُقه وهتَك سِتْرَه فيها حتى صار لا يصلُح لها. وكان من أعلم الناس بالنَّغَم والوَتَر والإيقاعات وأطبعهم فى الغناء وأحسنهم صوتًا. وهو من المعدودين فى طِيبِ الصَّوت خاصّةً؛ فإنّ المعدودين منهم فى الدولة العبّاسية: آبن جامع وعمرو بن أبى الكَنَّات و إبراهيم آبن المهدىّ ومُخارق. وهؤلاء من الطبقة الأولى، و إن كان بعضهم يتقـدَّم. وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مُقَصِّرًا عن أَداء الغناء القديم وعن أن يحوَه فى صنعته، فكان يَحذِف نَغَم الأغانى الكثيرةَ العمل حذفًا شديدا و يُخفِّفها على قَدْر ما يَصلُح[2] له و يَفِى بأدائه. فإذا عِيب ذلك عليه قال: أنا مَلِكٌ وآبن ملك، أُغَنِّى كما أشتهى وعلى ما ألتذّ. فهو أوّل من أفسد الغناء القديمَ، وجعل للنـاس طريقًا إلى الجَسارة على تغييره. فآلناس إلى الآنَ صِنفان: من كان منهم على مذهب إسحـاق وأصحابه ممّن كان يُنكِر تغييرَ الغِناء القديم ويُعظِم الإقدام عليه ويَعيب مَنْ فعله، فهو يُغنِّى الغناء القديمَ على جهته أو قريبًا منهـا. ومن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدىّ أو آقتدى به مثل مُخارق وشارِيةَ ورَيِّق ومن أخذ عن هؤلاء إنمـا يغنِّى الغِناء القديم كما

(١) كذا فى الأصول. ولعلها «يجنى به تحفيا ... الخ».

(٢) فى الأصول: «ما أصلح له» وهو تحريف.

يشتهى هؤلاء لا كما غنّاه من يُنْسَب اليه، و يجد على ذلك مساعدين ممّن يشتهى أن يَقْرُبَ عليه مأخذُ الغناء ويكره ما ثقل وثقلت أدواره، و يستطيل الزمانَ فى أخذ الغناء الجيّد على جهته بِقِصَر معرفته . وهذا إذا آطّرد فإنّما الصنعة لمن غنّى فى هذا الوقت لا للتقدّمين ؛ لأنهم إذا غيّروا ما أخذوه كما يَرَوْن وقد غيّره مَنْ أخذوه عنه وأخذ ذلك أيضا عمّن غيره، حتى يمضى على هذا خمسُ طبقات أو نحوُها ـ لم يتأدّ[1] إلى الناس فى عصرنا هذا من جهة الطبقة غناء قديم على الحقيقة البتّة . وممن أفسد هذا الجنسَ خاصّةً بنو حَمْدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مُخارق، وما نفع الله أحدًا قطّ بما أخذ عنه، وزرياب الواثقية فإنها كانت بهذه الصورة تُغَيِّر الغناء كما تريد، وجوارى شارية وريّق . فهذه الطبقة على ما ذكرتُ . ومَنْ عداهم من الدُّور بمثل[2] دُورِ غريب ودُورِ جواريها والقاسم بن زُرْزُور وولده ودُورِ بَذْل الكبرى ومن أخذ عنها، وجوارى البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن مُعاذ ودُورِ آل الرّبيع ومن جرى مجراهم ممّن تمسّك[3] بالغناء القديم وحمله كما سمعه، فعسى أن يكون قد بقى ممّن أخذ بذلك المذهب قليلٌ من كثير، وعلى[4] أن الجميع من الصحيح والمُغَيَّر قد آنقضى فى عصرنا هذا.

فمن مشهور غناء إبراهيم بن المهدىّ :

صـــوت

هل تَطمِسون من السماء نجومَها * بأكُفِّكم أو تَسْتُرُون هلالَها
أو تدفعون مقالةً من ربِّكم * جِبريلُ بلّغها النبىَّ فقالها
طرقَتْك زائرةً فحىِّ خيالها * زهراءُ تخلِط بالدَّلال جمالها

الشعر لمروان بن أبى حَفْصة . والغناء لإبراهيم بن المهدىّ ، ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وذكر حَبَش أن فيه لآبن جامع لحنًا ماخوريًّا .

(١) فى الأصول : «فلم» . (٢) لعله : «مثل» . (٣) لعله : «فقد» .
(٤) لعله : «على» .

أخبار مروان بن أبي حَفصة ونسبه

نسبه وشيء من أخبار آبائه

هو مَرْوان بن سليمان بن يحيى بن أبي حَفْصة . ويُكنى أبا السِّمْط . وٱسم أبي حَفْصة يزيد . وذكر النَّوْفَلِيّ عن أبيه أنه كان يهودياً ، فأسلم على يَدَيْ مَرْوانَ بن الحَكَم . وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَبْي إصْطَخْر(١) ، وأنّ عثمان ٱشتراه فوهبه لمروان بن الحكم . وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان ابن يحيى بن أبي حفصة بمثل ذلك . قال : وشهِد أبو حفصة الدَّار(٢) مع مولاه مروان

جدّه أبو حفصة وأخباره

ابن الحكم ، وقاتل قتالاً شديدا وقَتل رجلا من أَسْلَمَ يقال له بَنَان . وجُرح مروان يومئذ ، أصابته ضربة قطعتْ عِلْباءه(٣) فسقط ، فوثب عليه أبو حفصة وٱحتمله ، فجعل يحمله مرّة على عنقه ومرّة يجرّه ، فيتأوّه ، فيقول له : ٱسكت وٱصْبِر ، فإنه إن علموا أنك حيّ قُتِلتَ . فلم يزل به حتى أدخله دار ٱمرأة من عَنَزة فَدَاواه فيها حتى بَرِئَ ، فأعتقه مروان ونزل له عن أمّ ولدٍ له يقال لها سُكّر كانت له منها بنت يقال لها حَفْصة ، فحضنها ، فكُنِيَ أبا حَفْصة ، بحفصةُ بنت مروان . قال : وكان مروان اذا وَلِيَ المدينةَ وجّه أبا حَفْصة إلى اليمامه — وكانت مُضَافةً إلى المدينة — ليجمع ما فيها من المال ويحمله إليه . قال : فمرّ أبو حفصة بقرية من قُرَى اليمامة يقال لها العِرْض ، فوقف على باب فٱستسقى ماء ، فخرجت إليه جارية مُعْصِر(٤) فسَقَتْه فأعجبته ، فسأل عنها ليشتريها ، فقيل له : هي حرّة ، وهي مولاةٌ لبني عامر بن حنيفة . فمضى حتى قدِم حَجْرا(٥) ، ثم تبِعتْها نفسُه

(١) إصطخر : بلدة بفارس ، وهي من أعيان حصونها ومدنها . (٢) يريد دار عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، وذلك أنه يوم هاجت الفتنة عليه لزم داره فحصروه فيها حتى قتلوه وسمي ذلك يوم الدار . (٣) العلباء : عصبة صفراء في صفحة العنق . (٤) أعصرت المرأة : بلغت عصر شبابها وأدركت . (٥) حجر : حاضرة اليمامة .

فتزوّجها، فلم يخرج من اليمامة حتى حَمَلتْ بيحيى بن أبى حَفْصة، ثم حملتْ بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز . فلما وقَعَتْ فتنة آبن الزُّبَيْر خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشأم .

قال محمد بن إدريس وحدّثنى أبى قال كان مروان بن أبى الجَنُوب يقول : أمّ يحيى بن أبى حفصة لحناء بنت ميمون (١) من ولد النابغة الجَعْدىّ، وإنّ الشعر أتى آل أبى حفصة بذلك السبب . قال : وشَهِد أبو حَفْصة مع مَرْوان يوم الجَمَل وقاتل قتالا شديدا . فلما ظفِر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، لجأ مروانُ الى مالك بن مِسْمَع فدخل دارَه ومعه أبو حَفْصة، فقال لمالك : أغلِق بابك . فقال له مالك : إن لم أَمْنَعكَ والبابُ مفتوحٌ لم أمنعك والبابُ مُغْلَقٌ . فطلب علىّ رضى الله عنه مروانَ منه، فلم يدفعه اليه إلا برَهينة، فدفع مالكٌ الرهينةَ إلى أبى حَفْصة، ومضى مروان إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقال لأبى حفصة : إن حَدَث حَدَثٌ بصاحبك فعليك بالرَّهينة . فلما أتى مروانُ عليًّا كساه كُسْوةً، فكساها مروانُ أبا حَفْصة، فغدا فيها أبو حفصة. وبلغ عليًّا رضى الله عنه ذلك فغضب وقال : كسوته كُسْوةً فكساها عبدًا ! . وشهد أبو حفصة مع مروان مَرْج (٢) راهط، وكان له بلاء . وكان أبو حفصة شاعرا .

قال أبو أحمد قال لى محمد بن إدريس أخبرنى أبى أن أبا السِّمْط مروان بن أبى الجَنُوب أنشده لأبى حَفْصة يوم الدّار :

وما قلتُ يومَ الدّار للقوم صالِحُوا * أَجَلْ لا، ولا آخترتُ الحياةَ على القتلِ
ولكنّى قد قلتُ للقوم جالِدوا * بأسيافكم لا يُخْلَصنّ إلى الكهل

(١) فى ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٣) : « حيا بنت ميمون » . (٢) مرج راهط : فى غوطة دمشق من ناحية الشرق، وفيه كانت الواقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس داعية ابن الزبير، فقتل مروان فيها الضحاك وخلصت له الخلافة .

قال : وأنشدنى لأبى حَفْصة أيضا :

لستُ على الزّحام بالأصَرّ[1] * إنى لَوَرّادٌ حياضَ الشرّ

* مُعَاوِدٌ للكرّ بعدَ الكرّ *

قال يحيى وأخبرنى محمد بن إدريس قال :

عُكْلٌ تدّعى أنّ أبا حفصة منهم، يقولون : هو من كَنَانةَ بن عَوْف بن عبد مَنَاةَ بن طابِخة بن إليـاس بن مُضَر، وقـد كانوا آستَعْدَوْا عليـه مروانَ ابن الحَكَم، وقالوا : إنمـا باعته عمّتُـه لمجاعةٍ ؛ فأبى هو أن يُقرّ لهم بذلك . ثم آستعدوْا عليه عبد الملك بن مروان أيضا؛ فأبى إلّا أنه رجل من العجم من سَبْى فارس، نَشأ فى عُكْل وهو صغير . قال محمد بن إدريس : ووَلَدُ السَّمَوْءل بن عادياء يدّعُونَه، والسموءل من غَسّان . قال محمد : وزعم أهل اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أنّ ثلاثةَ نَفَرٍ أتَوْا مروانَ بن الحَكَم وهم أبو حفصة ورجل من تميم ورجل من سُلَيْم، فباعوا أنفسَهم منه فى مجاعة نالتهم؛ فآستعدى أهلُ بيوتاتهم عليهم، فأقرّ أحدُهم وهو السُّلَمىّ أنه إنمـا أتى مروانَ فباعه نفسَـه وأنه من العرب؛ فدسّ اليـه مروانُ مَنْ قتله . فلمّـا رأى ذلك الآخران ثَبَتا على أنهما مَوْلَيان لمروان . فأخبرنى الحَسَن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال : زعم المدائنىّ أنه كان لأبى حفصة ابنٌ يقال له مروان سمّاه مروانُ بن الحَكَم بآسمه، وليس بالشاعر، وأنه كان شجاعاً مجرّبا، وأمدّ به عبدُ الملك بن مروان الحجّاجَ وقال له : قد بعثنا إليـك مولاى آبنَ أبى حفصة وهو يَعْدِل ألفَ رجل . فشهد معه محاربةَ ابن الأشعث . فأَبْلَى بلاءحسناوعُقرتْ تحتَه عِدّةُ خيول، فآحتَسَب بها الحجّاجُ عليه من عطائه . فشكاه الى عبد الملك وذمّ الحجّاجَ عنده؛ فعوّضه مكانَ ماأغرمَهَ الحجّاجُ . وكان يحيى جدّ مروان بن سليمان جواداً مُمَدَّحا .

(١) من الصرير يقال : صر الرجل اذا صاح صياحا شديدا .

جرير يودع ابنه يحيى بن أبى حفصة

أخبرنا محمد العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّرىّ عن محمد بن حَبِيبَ عن ٱبن الأعرابىّ قال :

أراد جرير أن يوجِّهَ ابنَه بلالَ بنَ جريرٍ إلى الشام فى بعض أمره ، فأتى يحيى ٱبنَ أبى حفصة فأودعه إيّاه ، ثم بلغ بلالًا أنّ بعض بنى أميّة يريد الخروج ، فقال لأبيه : لو كَلَّفتَ هذا القرشىَّ أمرى ! فقال له جرير :

أزادًا سوى يحيى تريد وصاحبًا * ألَا إنَّ يحيى نعم زادُ المسافرِ
وما تأمن الوَجْناءُ[1] وقعةَ سيفه * إذا أنْفَضُوا[1] أو قَلَّ ما فى الغرائرِ

٣٨ / ٩

يحيى بن أبى حفصه يتزوّج بنت زياد بن هوذة

أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال :

تزوّج يحيى بن أبى حفصة بنتَ زياد بن هَوْذَةَ بن شَمّاس بن لَأْى بن أَنْف الناقة ؛ فٱستعدى عليه عمّاها عبدَ الملك بن مروان وقالا : أيَنكح إبراهيمُ بنُ عَدِىّ وهو من كنانة منك واليك بنتَنا، ويَنكح هذا العبدُ هذه ! . فقال عبد الملك : بل العبد ٱبن العبد واللّه إبراهيمُ بن عدىّ — وكان مغمور النسب فى الإسلام — واللّه لَهذا أشرفُ منه، وإن لأبيه من البلاء فى الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما، وما أُحبُّ أنّ لى بيحيى ألفًا منكما . واللّه لو تزوّج بنتَ قيس بن عاصم ما نزعتُها منه . ومَنْ زوّجه فقد زوّج ٱبنى هذا ، وأشار إلى ٱبنه سليمان . فخرجا وتخلّف يحيى بعدهما ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنهما قد أنْضَيا رِكابَهما وأخلقا ثيابهما والتزما مؤونة فى سفرهما ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يعوضهما عِوَضًا ! فقال : أبَعْدَ ماقالا فيك ! ! قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بل أُعطيك أنت ماسألتَ لهما وتُعطيهما ما شئتَ . فكساه ووصّله وحمله . فخرج يحيى اليهما ففرّق ذلك عليهما ، وزوّج ٱبنَه سليمانَ بنتَ أحدهما ، وولدتْ بنتُ زياد منه أولادا .

(١) الوجناء : الناقة الشديدة . وأنفض القوم : أرملوا ، وقيل هلكت أموالهم وفنى زادهم .

يهنئ الوليد بن عبد الملك ويعزيه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخْفَش قال حدّثنا الفضل اليزيدىّ قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال حدّثنى مروان بن أبى حفْصة قال :

دخل يحيى بن أبى حفصة على الوليد بن عبد الملك لمّا بُويع له بالخلافة بعد أبيه ، فهنّاه وعزّاه وأنشده :

٥

إنّ المنايا لا تغادر واحدًا * يمشى ببِزّته ولا ذا جُنّهْ
لو كان خَلْقٌ للمنايا مُفْلِتًا * كان الخليفةُ مُفْلِتًا منهنّهْ
بكتِ المنابرُ يوم مات وإنما * بكت المنابرُ فقْدَ فارسِهُنّهْ
لمّا علاهُنّ الوليدُ خليفةً * قلن ابنُه ونظيرُه فسَكَنّهْ
لو غيرُه قَرَع المنابرَ بعده * لَنَكِرْنَه فطرَحْنَه عنهنّهْ

زوج بنيه من بنات مقاتل المنقرى فهجاه القلاح فرد عليه

١٠ أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ قال حدّثنا العَنزىّ قال :

خطب يحيى بن أبى حفصة الى مُقاتل بن طُلْبة بن قَيْس بن عاصم المِنْقَرىّ ابنتَه وأُخْتَيْه ، فأنعَمَ[1] له بذلك . فبعث يحيى الى بنيه سليمان وعمر وجميل ، فأتَوْه بالجَفْر[2] فزوّجهن بَنِيه ثلاثتَهم ، ودخلوا بهنّ ثم حملوهن الى حَجْر . فقال القُلَاحُ بن حَزْن المِنْقَرىّ فى ذلك :

١٥

سلامٌ على أوصال قيس بن عاصمٍ * وإن كُنّ رَمْسًا فى التراب بَوَالِيَا
أضَيّعتمو خيلًا عِرابًا فأصبحتْ * كواسدَ لا يَنْكِحن إلّا المَوَاليا
فلم أر أبرادًا أجَرَّ لخِزْيةٍ * وألأمَ مكسُوًّا وألأمَ كاسيا
من الخَزّ واللائى بحَجْرٍ عليكمُ * نُشِرْنَ فكنّ المُخْزِياتِ البواقيا

(١) أنعم له : أفضل وقال نعم .

٢٠ (٢) جفر : علم على أسماء مواضع كثيرة . (أنظر معجم البلدان لياقوت فى الكلام عليه) .

فقال يحيى يردّ عليه :

ألَا قَبّح اللهُ الفُلاحَ ونِسْوَةً * على البئرِ يعطِشْنَ الكلابَ من النَّتْنِ
نَكَحْنا بناتِ القَرْمِ قيس بن عاصم * وعمدًا رغبنا عن بنات بنى حَزْن
أبًا كان خيرًا من أبيك أُرومةً * وأوسطَ فى سَعْدٍ وأرجحَ فى الوَزْن
لبيتِ بنى حَزْن من الذُّلّ وَهْنةٌ * كوهنة بيت العنكبوت التى تَبْنِى
ولم تَرَ حَزْنيًّا ، ولو ضَمّ أربعًا * وأبْرَز[1] ، فى فرج يَعِفُّ ولا بطن
وضيفُ بنى حَزْنٍ يجوع وجارُهم * إذا أمِن الجيرانُ ناءٍ من الأمن

ذكر خروج ابن المهلب

أخبرنا يحيى بن علىّ قال أنشدنى محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروجَ يزيد بن المُهَلَّب ويتأسّف على الحَجّاج :

لا يُصلح الناسَ إلّا السيفُ إذ فُتِنوا * لَهْفِى عليك ولا حَجّاجَ للدين
لو كان حيًّا غداةَ الأَزْد إذ نكَثوا * لم يُحْصِ قتلاهُمُ حسّابُ ديرين
لم تأته الأَزْدُ عند الباب تَرْبُصُه[2] * مثلَ الجراد تَنَزَّى فى التَّبابين
من كلّ أَفْحَجَ[3] ذى حَنَفٍ مُخالفةً * أرفَتْ به السُّفْنُ عِلْجًا غيرَ مَجْنون

قال أبو أحمد : وأنشدنى ليحيى فى سفيان بن عمرو والى اليمامة :

لقد عَصانى ابن عمرو إذ نَصَحتُ له * ولو أطِعْتُ[4] لما زلّتْ به القَدَمُ
لو كنتُ أنفُخ فى فَحْمٍ لقد وقَدتْ * نارى ولكن رمادٍ ماله حَمَمُ

(١) أبرز : اتخذ الابريز وهو الذهب الخالص يريد باتخاذ الابريز كثرة المال .

(٢) تربصه : تنتظره . والتبابين : جمع تبان ، وهو سراويل صغير ، فارسى معرب .

(٣) الأفحج : ذو الفحج ، يقال رجل أفحج وامرأة فحجاء . والفحج هو تدانى صدور القدمين وتباعد العقبين . والحنف : اعوجاج الرجل الى الداخل . وأرفت السفينة : دنت من الشط . وغير مجنون : غير مغطى . من جنه الشيء إذا ستره يريد علجا لا شك فيه .

(٤) فى الأصول : «اطقت» بالقاف وظاهر أنه مصحف عما أثبتناه .

بخل مروان بن أبي حفصة ونوادر له في ذلك

وليحيى أشعارٌ كثيرة، وإنما ذكرنا ها هنا منها ما ذكرنا لنعرف أعْراقَ مروان في الشعر. وكان مروان أبخلَ الناس على يَساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء، لاسيّما من بني العبّاس، فإنه كان رَسْمُهم أن يُعطوه بكل بيت يمدحهم به ألفَ درهم.

أخبرنا أحمد بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوْفَليّ قال سمعت أبي يقول:

كان المهديّ يُعطي مروان وسَلْماً الخاسر عطيّةً واحدة، وكان سَلْمٌ يأتي بابَ المهديّ على البِرْذَون قيمتُه عشرةُ آلاف درهم، والسَّرج واللجام المَقْذُوذين[(1)]، ولباسُه الخَزُّ والوَشْي وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان، ورائحةُ المسك والغالية والطِّيب تفوح منه، ويجيء مروان وعليه فَرْوُ كبش، وقميصُ كَرَابيس[(2)] وعمامةُ كرابيس، وخُفّا كَبْلٍ[(3)] وكساءٌ غليظٌ مُنْتِنُ الرائحة، وكان لا يأكل اللحم بخلاً حتى يَقْرَم[(4)] إليه، فإذا قَرِم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله. فقيل له: نَراك لا تأكل إلّا الرءوس في الصَّيف والشتاء، فلِمَ تختار ذلك؟ قال: نعم! الرأس أعرف سعره، ولا يستطيع الغلام أن يغبِنَني فيه، وليس بلحم يطبُخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مسّ عيناً أو أذُناً أو خدّاً وقفتُ عليه، فآكل منه ألواناً، آكل عينيه لوناً، وأُذُنيه لوناً، وغَلْصَمته[(5)] لوناً، وأُكفَى مؤنةَ طَبْخه، فقد اجتمعتْ لي فيه مرافق.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العَلاء المِنْقَريّ قال حدّثني موسى بن يحيى قال:

أوْصَلْنا الى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم، وجمع إليها مالاً حتى تمّت مائةَ ألف وخمسين ألف درهم، وأودَعها يزيد بن مَزْيَد.

(1) المقذوذ: المزين المسوّى. (2) الكرابيس: جمع كرباس وهو هنا الثوب الخشن. (3) الكبل: الكثير الصوف من الفراء. (4) كذا في أ، حـ. وقرم الى اللحم اشتدت شهوته له. وفي الأصول: «يقدم» بالدال المهملة وهو تحريف. (5) الغلصمة: اللحم بين الرأس والعنق، وقيل رأس الحلقوم بشواربه.

قال : فبينا نحن عنـد يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مَزْيَد ، وكانت فيـه دُعابة ، فقال : يا أبا علىّ أودَعَنى مروان خمسين ومائة ألف درهم وهـو يشترى الخبز من البقّال . قال فغضب يحيى ثم قال : علىّ بمروان ، فأُتِىَ به . فقال له : أخبرَنى أبو خالد بمـا أودَعتَه من المـال وما تبتاعه من البقّال ، والله لَمـا يُرَى من أَثَر البخل عليك أضرّ من الفقر لو كان بك .

أخبرنا يحيى قال وحدّثنى عمر بن شبّة عن أبى العَلَاء المِنْقرىّ عن موسى بهذا الخبر ، إلّا أنه قال : فقال له يحيى : يا مروان ، والله لا البُخْلُ أَسْوَأُ عليك أثرًا من الفقر لو صرتَ اليه ، فلا تَبْخَل .

أخبرنا يحيى قال حدّثنى عمر بن شبّة قال :

بلغنى أن مروان بن أبى حفصـة قال ما فَرِحتُ بشىء قطّ فَرَحى بمائة ألف وهبها لى أمير المؤمنين المهدىّ ، فوزنتُها فزادتْ درهمـا فاْشتريتُ به لحمـا .

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غَسّان عن أبى عُبَيْدة عن جَهْم بن خَلَف قال :

أتينا اليمـامةَ فنزلنا على مروان بن أبى حفصة ، فأطعمنا تمرًا ، وأرسل غلامَه بفَلْس وسُكُرُّجَة[1] ليشترى له زيتًا . فلما جاء بالزيت قال لغلامه : خُنْتَنى! قال : من فَلْس كيف أخونك ! قال : أخذتَ الفَلْس لنفسك واْستوهبت الزيتَ .

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التَّوَّزِىّ عنه قال :

مرّ مروان بن أبى حفصة فى بعض سَفَراته وهو يريد مِنًى[2] بآمرأة من العـرب فأضافته ، فقال : لله علىّ إن وهب لى الأمـير مائة ألف أن أهب لك درهمـا ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاها أربعة دَوَانق .

(١) السكرجة : الصحفة . (٢) كذا فى م . وفى ب ، حـ ، سـ : « وهو يريد مغنى امرأة » . وفى أ : « وهو يريد مغنى بامرأة » وكلاهما تحريف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال :

اشترى مروان لحمًا بنصف درهم ، فلما وضعه في القِدْر وكاد أن ينضَج ، دعاه صديق له ، فردّه على القَصّاب بنُقصان دانَق . فشكاه القصّابُ وجعل ينادى : هذا لَحْمُ مروان ، وظنّ أنه يأنَف لذلك . فبلغ الرشيدَ ذلك فقال : ويلك ! ما هذا ! قال : أكره الإسراف .

قصة له مع أبي الشمقمق

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال :

أنشدتُ لرجل من بني بكر بن وائل في مروان :

وليس لمروانٍ على العِرْسِ غَيْرةٌ * ولكنّ مروانًا يَغار على القِــدْرِ

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هِفّان قال حدّثني يحيى بن الجَوْن العَبْدىّ قال :

فرّق المهدىُّ على الشعراء جوائزَ، فأعطى مروانَ ثلاثين ألفا. فجاءه أبو الشَّمَقْمَق فقال له : أجِزْني من الجائزة . فقال له : أنا وأنتَ نأخذ ولا نُعْطى . قال : فاسمع منّى بيتين . قال : هاتِ . فقال أبو الشَّمَقْمق :

لِحيــة مروان تَبِى عَنْــبرا * خالَط مسكًا خالصًا أذْفَرا(1)

فما يُقيمان بهـا ساعةً * إلا يَعُــودان جميعًا خَرَا

فأمر له بدرهمين . وأخبرني بهـذا الخبر أحمد بن جعفـر جَحْظة عن أبي هِفّان فذكر مثل الخبر المـاضى وزاد فيـه . فأعطاه عشرة دراهم ، فقال له خذ هـذه ولا تكن راويةَ الصِّبيان .

مدح الهادى فداعيه في المعجل والمؤجل ووصله

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّى مُصْعَب عن جدّى عبد الله بن مصعب قال .

(1) الأذفر : الجيد من المسك .

دخل مروان بن أبى حفصة على موسى الهادى، فأنشده قولَه فيه :

تَشَابه يومَا بأسِه ونوالِه * فما أحدٌ يدرى لأيّهما الفضلُ

فقال له الهادى : أيّما أحبّ اليك : أثلاثون ألفًا مُعَجَّلةً أم مائةُ ألف تدوَّن فى الدّواوين ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين أنت تُحسن ما هو خير من هذا ولكنّك نَسيتَه، أفتأذَن لى أن أذكِّرك ؟ قال نعم . قال : تُعَجِّل لى الثلاثين ألفًا وتدوِّن المائة الألف[1] فى الدّواوين . فضحِك وقال : بل يعجّلان جميعا ؛ فحُمِل المالُ اليه أجمع .

٤١/٩

مدح المهدى فلحنه اليزيدى فاعترض على سوء أدبه

أخبرنى أحمد بن عُبَيْد الله بن عمّار قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى سليمان بن جعفر قال حدّثنى أحمد بن عبد الأعلى قال :

اجتمع مروان بن أبى حَفْصة وأبو محمد اليَزيدىّ عند المهدىّ ؛ فابتدأ مروان يُنشد :

* طَرَقَتْكَ زائرةٌ فحىِّ خيالَهَا *

فقال اليزيدىّ : لَحَن والله وأنا أبو محمد . فقال له مروان : يا ضعيف الرأى أهذا لى يقال ! ثم قال :

* بيضاءُ تخلِط بالجمال دلالَهَا *

فقال له[2] بعض من حضر : يا أمير المؤمنين أيَتكنَّى فى مجلسك ! (يعنى اليزيدىّ) فقال : اعذِروا شيخَنا، فإن له حُرْمة .

ساله الرشيد عن الوليد بن يزيد فأجابه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال أخبرنى مروان بن أبى حَفْصة قال قال لى الرشيد : هل دخلتَ على الوليد بن يزيد؟ فقلت : نعم دخلت مع عمومتى اليه . قال : فأخبِرْنى عنه . قال :

(١) فى الأصول المائة ألف . (٢) كذا فى الأصول ولعلها من زيادات النساخ .

فذهبتُ أتزحزح. فقال لي: إنّ أمير المؤمنين لا يكره ما تقول، فقل ما شئت. فقلت:
يا أمير المؤمنين، كان من أجمل الناس وأشدّهم وأشعرهم وأجودهم. دخلتُ عليه مع
عُمومتي ولي لِمّةٌ فَيْنانة، فجعل يغمز القضيبَ فيها و يقول: ولَدَتْك سُكَّر؟ — وهي أمّ وَلَدٍ
لمروان بن الحكم فوهبها لجَدّي أبي حفصة فولَدتْ منه — فقلت له: نعم. قال لي
٥ الرشيد: فهل تحفَظ من شعره شيئا؟ قلت: نعم، سمعته يُنشِد في خلافته وذكر
هشامًا وتَحَامُلَه عليه وما كان يريد من نَقْض أمره وولايته:

ليت هشامًا عاش حتى يَرَى * مِكْتَلَه[2] الأوفرَ قد أُتْرِعا
كِلْنا له الصاعَ التي كالها * وما ظلَمناه بها أَصْوُعَا
وما أتَيْنا ذاك عن بِدْعةٍ * أحلَّه الفُرْقانُ لي أجمعا

١٠ فقال الرشيد: ياغلامُ، الدواةَ والقرطاسَ، فأُتِيَ بهما، فأمر بالأبيات فكُتِبت.

فضل خلف الأحمر شعراله على شعر الأعشى

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا
عمر بن شبّة قال حدّثني خَلّادٌ الأَرْقَط قال:

جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حَلْقة يونس، فأخذ بيد خَلَف الأحمر فأقامه،
وأخذ خَلَفٌ بيدي فقمنا إلى دار أبي عُمَير[3] فجلسنا في الدهليز. فقال مروان لخَلَف:
١٥ نَشَدْتُك اللهَ يا أبا مُحْرِز إلّا نصحتني في شعري فان الناس يُخْدَعون في أشعارهم،
وأنشده قولَه:

طرقَتْك زائرةٌ فحَيِّ خيالَها * بيضاءُ تَخلِط بالجمال دلالَها

فقال له: أنت أشعر من الأعشى في قوله:

* رَحَلتْ سُمَيّةُ غُدْوةً أجمالَها *

٢٠ (١) كذا بالأصول ولعله «وهبها». (٢) المكتل: زبيل يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره يسع خمسة عشر صاعا. (٣) في جـ: «أبي عمير».

فقال له مروان : أتبلغ بى الأعشى هكذا ! ولا كلّ ذا ! قال : ويحك ! إن الأعشى قال فى قصيدته هذه :

* فأصاب حبّة قلبها وطحالها *

والطّحال ما دخل قطّ فى شىء إلا أفسده ، وأنت قصيدتك سليمة كلّها . فقال له مروان : إنى إذا أردتُ أن أقول القصيدة رفعتُها فى حول ، أقولها فى أربعة أشهر ، وأنخلها[1] فى أربعة أشهر ، وأعرضها فى أربعة أشهر .

عرض شعرا له على يونس فدحه وفضله على شعر للأعشى

وأخبرنى بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعى قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلّام قال أبو دُلَف هاشم بن محمد وحدّثنى به الرّياشىّ عن الأصمعى قال :

٤٢ / ٩

جاء مروان بن أبى حفصة إلى حلقة يونس ، فسلّم ثم قال لنا : أيّكم يونس ؟ فأومأنا إليه . فقال له : أصلحك الله ، إنى أرى قومًا يقولون الشعر ، لأن يكشف أحدهم سوءته ثم يمشىَ كذلك فى الطريق أحسنُ له من أن يُظهر مثل ذلك الشعر . وقد قلتُ شعرا أعرضه عليك ، فإن كان جيّدًا أظهرتُه ، وإن كان رديئًا سترتُه . فأنشده قوله :

* طرقتك زائرةٌ فحىِّ خيالها *

فقال له يونس : ياهذا اذهب فأظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى فى قوله :

* رحلت سميّةُ غُدوةً أجمالها *

فقال له مروان : سررتنى وسؤتنى . فأمّا الذى سررتنى به فآرتضاؤك الشعر . وأمّا الذى ساءنى فتقديمُك إيّاى على الأعشى وأنت تعرف محلّه . فقال : إنما قدّمتُك عليه فى تلك القصيدة لا فى شعره كلّه لأنه قال فيها :

* فأصاب حبّة قلبها وطحالها .

والطّحال لا يدخل فى شىء إلّا أفسده . وقصيدتُك سليمة من هذا وشبهه .

(١) فى الأصول : « أنحلها » بالحاء المهملة وهو تصحيف .

قال الأصمعى إنه مولد ولا علم له باللغة

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى العبّاس بن ميمون طائع قال : سمعتُ الأصمعيّ ذكر مروان بن أبى حفصة فقال : كان مولّدا، لم يكن له علم باللغة .

أنشد شعر جماعة من الشعراء فقال عن كل واحد منهم إنه أشعر الناس

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى أحمد بن عُبَيد الله عن العُتْبىّ قال حدّثنى بعض أصحابنا قال :

أنشدَنا مروانُ بن أبى حفصة يوماً شعر زهير ثم قال : زُهَيْر والله أشعر الناس ، ثم أَنْشد للأعشى فقال : الأعشى أشعر الناس ، ثم أَنْشد شعرًا لامرئ القيس فقال : آمرؤ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناسُ والله أشعرُ الناس . أى إن أشعر الناس من أنشدتُ له فوجدته قد أجاد، حتى يُنْتقل الى شعر غيره .

اشترى من أعرابى شعرا مدح به مروان بن محمد فدح هو به معن ابن زائدة فأكرمه

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ قال حدّثنى أبى قال :

اجتاز مروانُ بن أبى حَفْصة برجل من باهلةَ من أهل اليمامة وهو يُنشد قومًا كان جالسا إليهم شعراً مدح به مروانَ بن محمد، وإنه قُتل قبل أن يلقاه ويُنشدَه إيّاه، أوّلُه :

مَرْوانُ يآبنَ محمدٍ أنت الذى * زِيدَتْ به شَرَفًا بنــو مروانِ

فأعجبتْه القصيدة. فأمهل الباهلىَّ حتى قام من مجلسه، ثم أتاه فى منزله فقال له : إنى سمعتُ قصيدَتك وأعجبتْنى، ومروان قد مضى ومَضى أهلُه وفاتكَ ما قد رُمتَه عنده[1]؛ أتبيعنى القصيدةَ حتى أنتحلَها، فإنه خير لك من أن تبقَى عليك وأنت فقير؟ قال نعم . قال : بكم؟ قال : بثلثمائة درهم. قال : قد آبتعتُها؛ فأعطاه الدراهمَ وحلّفه بالطلاق

(١) فى جـ : « ما قدرته » .

ثلاثا وبالأيمان المُحَرِّجة ألّا يَنْتحلها أبدًا ولا ينسُبها إلى نفسه ولا يُنْشِدَها، وآنصرف بها إلى منزله، فغيَّر منها أبياتًا وزاد فيها، وجعلها فى مَعْن، وقال فى ذلك البيت:

مَعْنُ بن زائدةَ الذى زِيدَتْ به * شرفًا إلى شرف بنو شَيْبان

ووفَد بها إلى مَعْن بن زائدة فملأ يديه، وأقام عنده مدةً حتى أثْرَى وآتّسعت حالُه. فكان معنٌ أوّلَ من رفَع ذكره ونوّه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومَرَاثٍ حسنةٌ.

حل قصة فرار معن أن عبدا أسود طلقه تكرما بعد ما عرفه

أخبرنى حبيب بن نصر المُهَلَّبىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن نُعَيم البَلْخىّ أبو يونس قال حدّثنى مروان بن أبى حفصة وكان لى صديقا قال:

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلبًا شديدًا، وجعل فيه مالا؛ فحدّثنى معن بن زائدة باليمن أنه آضطُرّ لشدّة الطلب إلى أن أقام فى الشمس حتى لوّحتْ وجهَه، وخفّف عارضيه ولحيَته، ولبس جُبّةَ صوف غليظة، وركب جملا من الجمال النقّالة ليمضىَ إلى البادية فيُقيمَ بها، وكان قد أبْلَى فى حرب يزيد بن عمر بن هُبَيْرة[1] بلاء حسنًا غاظ المنصور وجدَّ فى طلبه. قال معنٌ: فلما خرجتُ من باب حَرْب[2] تَبِعنى أسودُ متقلّدًا سيفًا، حتى إذا غِبتُ عن الحرس قبض على خِطام جملى فأناخَه وقبَض علىّ؛ فقلت له: مالك؟ قال: أنت طَلِبةُ أمير المؤمنين. قلت: ومن أنا حتى يطلبنى أمير المؤمنين! قال: مَعْنُ بن زائدة. فقلت: يا هذا آتّق الله! وأين أنا من معن! قال: دَعْ هذا عنك فأنا والله أعْرَفُ به منك. فقلت له: فإن كانت القصّة كما تقول

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد أحد رجالات بنى أمية وفرسانهم وولاتهم؛ أبلى مع مروان ابن محمد فى الدعوة العباسية، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٢ هـ (انظر الكلام عليه فى الطبرى ق ٢ ص ١٣٦٣، ١٣٧٢، ١٩١٣ — ١٩١٦، ق ٣ ص ٦١ — ٧٣).

(٢) موضع ببغداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخى ويعرف بالراوندى أحد قواد أبى جعفر المنصور. (انظر معجم البلدان لياقوت فى الكلام على الحربية).

فهـذا جوهرٌ حمَلتُـه معى يَفِى بأضـعاف ما بذله المنصـورُ لمَن جاءه بى ، فخُـذْه ولا تَسفِكْ دمى . قال: هاتِه فأخرجتُه اليه؛ فنظر اليه ساعة وقال: صدَقتَ فى قيمته، ولستُ قابِلَه حتى أسألك عن شىء ، فإن صـدَقْتنى أطلقتُك . فقلت : قُلْ . قال : إن النـاس قد وصفوك بالجود ، فأخبِرْنى هـل وهبتَ قـطّ مالَك كلَّه ؟ قلت لا . قال : فنصـفَه ؟ قلت لا . قال : فثُلُثَه ؟ قلت لا . حتى بلغ العُشْر فآستحيَيْتُ فقلت : أظنّ أنّى قد فعلتُ هـذا . فقال : ما أراك فعلتَـه ! أنا والله راجل، ورزقى من أبى جعفر عشرون درهمًا، وهـذا الجوهر قيمتُه آلافُ دنانير، وقد وهبتُـه لك ، ووهبتُك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين النـاس ، ولتعلمَ أن فى الدنيـا أجود منك، فلا تُعجِبك نفسُك ولتَحْقِرَ بعـد هذا كلَّ شىء تفعله ، ولا تتوقّف عن مكرمة. ثم رمى بالعقد فى حِجْرِى وخلَّى خِطامَ البعير وآنصرف . فقلت : ياهذا قد والله فضحتَنى، ولَسَفْكُ دمى أهونُ علىَّ ممّا فعلتَ، فخذ ما دفعتُه إليك فإنّى غنىٌّ عنه . فضَحِك ثم قال : أردتَ أن تكذّبنى فى مَقامى هذا، والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمنًا أبدا، ومضى . فوالله لقد طلبتُه بعـد أن أَمِنتُ و بذلتُ لمن جاءنى به ما شاء فما عرَفتُ له خبرًا، وكأن الأرض آبتلعتْه .

سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة

قال : وكان سبب رضا المنصور عن مَعْن أنه لم يزل مسـتترًا حتى كان يومُ الهاشميّة[1]، فلما وثَب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه، وثَب مَعْن وهو متلثّم فآنتضى سـيفَه وقاتل فأبلى بلاء حسـنا ، وذبَّ القومَ عنـه حتى نجا وهم يُحار بونه بعـدُ،

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالكوفة . وذلك أنه لما ولى الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية . فلما توفى دفن بها . واستخلف المنصور فنزلها واستتم بناء كان بقى فيها وزاد فيها ما أراد . وكانت فيها وقعة بين أبى جعفر المنصور والراوندية ، وهم قوم يقولون بتناسخ الأرواح ويزعمون أن روح آدم حلت فى أحد رجالات المنصور ، وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور وأن الهيثم بن معاوية جبريل . (راجع معجم البلدان لياقوت وتاريخ الطبرى ق ٣ ص ١٢٩ ، ١٣١) .

ثم جاء والمنصورُ راكبٌ على بغلة و لجامُها بيد الرّبيع، فقال له : تَنَحَّ فإنّى أحقُّ باللّجام منك فى هذا الوقت وأعظمُ فيه غَناء . فقال له المنصور : صدَق فآدفعه اليه، فأخذه ولم يزل يقاتل حتى آنكشفت تلك الحالُ . فقال له المنصور : من أنتَ لله أبوك ؟ قال : أنا طَلِبَتُك يا أمير المؤمنين مَعْنُ بن زائدة . قال : قد أمّنك الله على نفسك ومالك، ومثلُك يُصْطَنع . ثم أخذه معه وخلَع عليه وحَباه وزيّنه، ثم دعا به يوما وقال له : إنّى قد أمّلتك لأمر، فكيف تكون فيه؟ قال : كما يحبّ أمير المؤمنين — قال : قد ولّيتك اليمنَ، فآبسُط السيف فيهم حتى يُنْقَض حِلفُ ربيعةَ واليمن — قال : أُبْلُغُ من ذلك ما يحبّ أمير المؤمنين . فولّاه اليمنَ وتوجّه اليها فبسط السيفَ فيهم حتى أسرف .

عاتب المنصور معنا على إكرامه له فأجابه إنما أكرمه لمدحه هو

قال مروان : وقدِم مَعْن بَعقِب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك شىءٌ لولا مكانُك عنده ورأيُه فيك لغضب عليك . قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما تعرّضتُ لك منك، قال : إعطاؤك مروان بن أبى حفصة ألفَ دينار لقوله فيك :

مَعْنُ بن زائدةَ الذى زِيدَتْ به * شرفًا إلى شرف بنو شَيْبانِ
إنْ عُدَّ أيامُ الفعالِ فإنّما * يوماه يومُ ندًى ويومُ طِعانِ

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بلغك لهذا الشعر، وإنما أعطيته لقوله :

ما زلتَ يومَ الهاشميّة مُعْلِمًا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعتَ حَوْزتَه وكنتَ وِقاءه * من وَقْع كلّ مُهَنّدٍ وسِنانِ

فآستحيا المنصور وقال : إنما أعطيتَه ما أعطيته لهذا القول؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين! والله لولا مخافة النّقمة[1] عندك لأمكنتُه من مفاتيح بيوت الأموال وأبحته إيّاها، فقال له المنصور : لله دَرُّك من أعرابىّ! ما أهْوَنَ عليك ما يَعِزّ على الرجال وأهل الحزم !

(١) فى جـ : « الشنعة » .

مدح المهدى فرده لمدحه معنا ثم مدحه العام المقبل فأجازه مائة ألف درهم

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الله ابن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الرّبيع قال :

رأيت مروانَ بن أبي حفصة وقد دخل على المهديّ بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سَلْمٌ الخاسر وغيرُه ، فأنشده مديحًا فيه ، فقال له : ومن أنت ؟ قال : شاعرُك يا أمير المؤمنين وعبدُك مروان بن أبي حفصة . فقال له المهديّ : ألست القائل :

أقَمْنا باليمامة بعد مَعْنٍ * مُقامًا لا نُريد به زَوالا
وقُلْنا أين نرحل بعد مَعْنٍ * وقد ذهب النَّوالُ فلانوالا

قد ذهب النَّوالُ فيما زعمتَ ، فلِمَ جئتَ تطلب نوالَنا؟ لا شيء لك عندنا ، جُرُّوا برجله ؛ فجرّوا برجله حتى أُخرِج . قال : فلما كان من العام المقبل تلطَّف حتى دخل مع الشعراء — وإنما كانت الشعراءُ تدخل على الخلفاء في كلّ عام مرّة — فمَثَل بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء :

طَرَقَتْك زائرةٌ فحيِّ خيالَها[1] * بيضاءُ تخلط بالجمال دلالَها
قادت فؤادَك فآستقاد ومثلُها * قاد القلوبَ الى الصِّبا فأمالها

قال : فأنصت الناسُ لها حتى بلغ الى قوله :

هل تَطْمِسون من السماء نجومَها * بأكُفِّكم أو تَسترون هلالَها
أو تَجْحَدون مقالةً عن ربِّكم * جبريلُ بلَّغها النبيَّ فقالها
شَهِدتْ من الأنفال آخرُ آيةٍ[2] * بتُراثِهم فأَرَدْتمُ إبطالَها

(١) في ء في هذا الموضع : « بالحياء » .

(٢) يريد قوله تعالى : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم » .

قال : فرأيت المهدىَّ قد زحَف من صدر مُصَلّاه حتى صار على البِساط إعجاباً بما سمع ، ثم قال : كم هى؟ قال : مائة بيت . فأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أوّل مائة ألف درهم أُعطيها شاعرٌ فى أيام بنى العبّاس .

مدح الرشيد فرده لمدحه معنا ثم مدحه بعد أيام فأجازه لكل بيت ألفا

قال : ومضت الأيام وولِىَ هارون الرشيدُ الخلافةَ ، فدخل إليه مروان ، فرأيته واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة أمتدحه بها . فقال له : من أنت؟ قال : شاعرُك وعبدُك يا أمير المؤمنين مروانُ بن أبى حفصة . قال له : ألستَ القائلَ فى مَعْن بن زائدة ! وأنشده البيتين اللَّذَيْن أنشده إيّاهما المهدىُّ ، ثم قال : خذوا بيده فأخْرِجوه ، لا شىء لك عندنا ، فأُخْرِج . فلما كان بعد ذلك بأيام تلطَّف حتى دخل ؛ فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

٤٥ / ٩

لَعَمْرُك ما أَنْسَى غَداةَ المُحَصَّب * إشارةَ سَلْمَى بالبنان المُخَضَّبِ

وقد صدَر الحُجّاجُ إلّا أقلَّهم * مصادر شتى مَوْكِبًا بعد موكبِ

قال : فأعجبته ، فقال : كم قصيدتُك من بيت ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر له بعدد أبياتها ألوفا . فكان ذلك رَسْمَ مروانَ عندهم حتى مات .

مدح المهدى فى الرصافة فأجازه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الفضل بن محمد اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

دخل مروانُ بن أبى حفصة على المهدىّ فى أوّل سنة قَدِم عليه . قال : فدخلتُ عليه فى قصره بالرّصافة فأنشدته قولى فيه :

أَمَرُّ وأَحْلَى ما بلا الناسُ طعمَه * عذابُ أمير المؤمنين ونائلُه

فإنّ طليقَ الله مَنْ أنت مُطْلِقٌ * وإنّ قتيلَ الله مَنْ أنت قاتله

كأنّ أمير المؤمنين محمدا * أبو جعفر فى كلّ أمر يحاوله

قال : فأُعجب بها ، وأمر لى بمال عظيم ؛ فكانت تلك الصلةُ أوّلَ صلة سنيّة وصلتْ إلىّ فى أيام بنى هاشم .

مدح المهدى وذم عنده يعقوب ابن داود فأجازه من خالص ماله

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى محمد بن عبد الله العَبْدىّ الراوية قال حدّثنى حسين بن الضحّاك قال حدّثنى مروان بن أبى حفصة قال :

دخلتُ على المهدىّ فى قصر السلام[1]، فلما سلّمتُ عليه، وذلك بعَقِب سخطه على يعقوب[2] بن داود، قلت[3] : يا أمير المؤمنين إنّ يعقوب رجل رافضىّ وإنه سمعنى أقول فى الوراثة :

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ * لبَنِى البنات وراثةُ الأعمامِ

فذلك الذى حَمله على عداوتى . ثم أنشدته :

كأنّ أمير المؤمنين محمّدًا * لرأفته بالناس للناس والدُ

على أنه من خالَف الحقَّ منهمُ * سَقَتْه يدُ الموت الحُتوفَ الرّواصد

ثم أنشدته :

أحيا أميرُ المؤمنين محمّدٌ * سُنَنَ النبىّ حرامَها وحلالَها

قال فقال لى المهدىّ : والله ما أعطيك إلا من صُلْب مالى فأَعْذِرنى ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم ، وكسانى جُبَّةً ومُطْرَفًا ، وفرَض لى على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفًا أخرى .

مدح معنا فأعطاه عطايا سنية لم يستكثرها عليه ابن الأعرابى

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا ابن الأعرابىّ أن مروان بن أبى حفصة أخبره أنه وَفَد على مَعْن بن زائدة فأنشده قولَه :

---

(١) كذا فى الأصول . والذى فى كتابى ما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه ومعجم البلدان لياقوت أن قصر السلام من أبنية الرشيد بن المهدى بالرقة . والذى بناه المهدى هو قصر السلامة وهو القصر الذى بناه بالآجر فى عيساباذ الكبرى (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٥٠٢ ، ٥١٧) (٢) هو يعقوب بن داود السلمى ، كان وزيرا للمهدى ثم غضب عليه وسجنه فى المطبق وما زال به حتى أيام هارون الرشيد . وقد ذكره أبو الفرج فى ترجمة بشار بن برد فى الأغانى (ج ٣ من هذه الطبعة) . (٣) فى الأصول : «فقلت» .

بنــو مطرٍ يــومَ اللّقــاء كأنّهـم * أُسودٌ لهـا فى بَطْن خَفّانَ[1] أَشْبُلُ

هـمُ يمنعون الجـارَ حتّى كأنمـا * لجارهـم بين السّماكين منزل

لَهاميمُ[2]، فى الإسلام سادوا ولم يكن * كأوّلهم فى الجاهليّـة أوّل

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا * أجابوا وإن أعطَوْا أطابوا وأجزلوا

ولا يستطيع الفاعلون فعالَهـم * وإن أحسنوا فى النائبات وأجملوا ٥

قال: فأمر لى بصلة سنيّة وخَلَع علىّ وحَمَلنى وزوّدنى. قال ثم قال لنا ٱبن الأعرابىّ: لو أعطاه كلَّ ما يملك لَمَا وفاه حقّه. قال: وكان ٱبن الأعرابىّ يختم به الشعراء، وما دوّن لأحدٍ بعده شعرا.

٤٦ / ٩

سئل عن جرير والفرزدق أيهما أشعر فأجاب بشعر

أخبرنى حبيب بن نصر قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال أخبرنى أحمد بن موسى بن حمزة قال: ١٠

رأيت مروان بن أبى حفصة فى أيام محمد بن زُبَيْدة فى دار الخلافة وهو شيخ كبير، فسألته عن جرير والفرزدق أيّهما أشعر، فقال لى: قد سُئلتُ عنهما فى أيام المهدىّ وعن الأخطل قبل ذلك، فقلتُ فيهم قولا عقدتُه فى شعر لِيَثْبُتَ. فسألته عنه فأنشدنى:

ذهب الفرزدقُ بالهجاء وإنّمـا * حُلْوُ القريض ومُرّه لجـرير

ولقد هجا فأمضّ أخطلُ تَغْلِبٍ * وحوى النُّهَى ببيـانه المشهور ١٥

كلُّ الثلاثة قـد أجاد فمـدحُه * وهجـاؤه قد سـار كلَّ مَسـير

ولقـد جَرَيْتُ ففُتُّ غيرَ مُهلِّلٍ[3] * بجـراء لا قَرِفٍ[4] ولا مبهـور

إنى لآنَفُ أن أُحبِّرَ مِـدْحةً * أبـدًا لغـير خليفـة ووزير

ما ضَرّنى حَسَدُ اللئـام ولم يَزَلْ * ذو الفضل يحسُده ذوو التقصير

قال: فلم يَرَ أن يقدّم على نفسه غيرَها، وكتبتُ الأبيات عن فيه. ٢٠

(١) خفان كحسان: موضع كثير الغياض قرب الكوفة وهو مأسدة. (٢) اللهاميم: جمع لهميم وهو السابق الجواد. (٣) هلل الرجل: جبن وفر. (٤) القرف: الشديد الحرة ولعله يعنى به الهجين.

مدح معنا فسأله عن أمله فأعطاه إياه واستقله له

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني أبو حاتم السِّجِسْتانيّ قال حدّثني العَنْسيّ قال :

لمّا قدم مَعْن بن زائدة من اليمن، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاصٌّ بأهله، فأخذ بعِضَادَتَي[1] الباب وأنشأ يقول :

وما أَحْجَم الأعداءُ عنك بَقِيَّةً[2] * عليك ولكن لم يَرَوْا فيك مَطْمَعا

له راحتان الجودُ والحَتْفُ فيهما * أبى الله إلا أن تَضُرَّا وتَنْفَعا

قال فقال له مَعْن : اِحتكم، قال: عشرة آلاف درهم. فقال مَعْن : ربحْنا عليك تسعين ألفا . قال : أَقِلْني . قال : لا أقال الله من يُقيلك .

رمى محرز معنا بالظلم فرد عليه بما أخجله

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبي قال :

لمّا قَدِم مَعْن بن زائدة من اليمن ٱستقبله الناس، وتلقّاه مروان بن أبي حفصة، فأنشده قصيدةً يهنّئه فيها بقدومه وبرأي المنصور فيه، وتلقّاه فيمن تلقّاه أبو القاسم مُحْرِز[3] فجعل يقول له : سفَكْتَ الدماء، وظلمتَ الناس، وتعدّيت طَوْرَك بذلك. فلما أكثر على مَعْن ٱلتفت إليه ثم قال له : يا مُحْرِز أَخْبِرْني بأي خُفَّيْكَ تضرب اليوم : أبالسُّباعيّ أم بالثُّمانيّ ؟ قال : فٱنقطع وسكت خَجِلا .

ودخل مَعْنٌ على المنصور، فلما سلّم عليه وسلّم قال له : يا مَعْنُ، أعطيتَ ابن أبي حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك :

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زِيدَتْ به * شرفًا إلى شرفٍ بنو شَيْبان

فقال له : كلَّا يا أمير المؤمنين إنما أعطيتُه لقوله :

ما زلتَ يومَ الهاشميّةِ مُعْلِمًا * بالسيف دون خليفة الرحمن

فٱستحيا المنصورُ من تهجينه إيّاه فتبسّم وقال : أحسنتَ يا مَعْن في فعلك .

(١) عضادتا الباب : خشبتاه من جانبيه . (٢) البقية : الإبقاء .

(٣) هو أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية . انظر الكلام عليه في الطبري (ق ٢ ص ١٩٥٥ – ١٩٥٧) .

ترك يحيى بن منصور الشعر فلما سمع بكرم معن مدحه وقال مروان فى ذلك شعرا

أخبرنى الحَسَن بن علىّ المصرىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى علىّ بن ثَور قال حدّثنى أبو العبّاس العَدَوىّ قال :

لمّا وَلِىَ مَعْن بن زائدة اليمنَ كان يحيى بن منصور الذُّهْلىّ قد تنسّك وترك الشعر . فلما بلغته أفعال مَعْن وفَد إليه ومدحه ، فقال مروان بن أبى حفصة :

لا تَعْدَموا راحَتَىْ مَعْنٍ فإنّهما * بالجود أفْتَتا يحيى بنَ منصور
لما رأى راحتَىْ مَعْن تدفّقتا * بنائلٍ من عطاءٍ غيرِ مَنْزُور[1]
ألقى المُسُوحَ التى قد كان يَلْبَسها * وظلّ للشعر ذا رَصْفٍ وتَحْبير

٤٧
ـــ
٩

تزوجت امرأة من أهله فى بنى مطر فلم يرضهم وقال شعرا

أخبرنى محمد بن مَزْيَد وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيز قال :

ورد على مروان بن أبى حفصة كتاب وهو بالمدينة أن آمرأة من أهله تزوّجت فى قوم لم يَرْضَ صِهْرَهم يقال لهم بنو مطر ، فقال فى ذلك لأخيها :

لو كنتَ أشبهتَ يحيى فى مَناكحه * لما تَنَقّيْتَ فحلًا جَدُّه مَطَرُ
لله درّ جيادٍ كنتَ سائسَها * ضيّعتها وبها التّحجيلُ والغُرَرُ
نُبِّئْتُ خَوْلَةَ قالت يوم أنْكحها * قد طالما كنتُ منك العارَ أنتظر

تهكم بالجنى الشاعر فهجاه ولم يعف عنه حتى حقره

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا الحسن بن علىّ المعروف بحَدّان[2] عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأَيْهَم الحنفىّ قال :

مرّ مروان بن ابى حفصة برجل من تَيْم اللّات بن ثَعْلبة يُعْرَف بالجِنّىّ ، فقال له مروان : زعموا أنك تقول الشعر . فقال له : إن شئتَ عرّفْتُك ذلك . فقال له مروان : ما أنت والشعر ، ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله ! فقال الجنّىّ : آجلس وآسمع فجلس ؛ فقال الجنّى يهجوه :

(١) يقال : أعطاه عطاء غير منزور : اذا لم يلح عليه فيه بل أعطاه عفوا .
(٢) سمى بحدان وحدان بضم أوله وفتحه .

ثوى اللؤمُ فى العَجْلان يومًا وليلةً * وفى دار مروانٍ ثوى آخرَ الدَّهرِ
غـدا اللؤمُ يَبْغِى مَطْرَحًا لرحاله * فنقَّب فى بَرِّ البـلاد وفى البحر
فلمّـا أتى مروانَ خـيَّم عنـده * وقال رَضِينا بالمُقـام الى الحشر
وليست لمروانٍ على العِرْس غَيْرةٌ * ولكنّ مروانًا يَغـار على القِـدْر

٥ فقال له مروان : ناشـدتُك الله إلّا كففتَ، فأنت أشـعر الناس . فحلف الحِنْىّ بالطلاق ثلاثا أنه لا يكُفّ حتى يصير اليـه بنفر من رؤساء أهل اليمـامة ثم يقول بحضرتهم : قاق فى آستى بيضة . فجلَبهم اليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم، وكان فيهم جدّى يحيى بن الأَيْهم، فآنصرفوا وهم يضحكون من فعله .

عـزى الهادى فى المهدى ببيتين تناقلهما الناس

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عَمّـار قال حدّثنى أبو عبـد الله بن سليمان بن ١٠ زيد الدَّوْسىّ قال حدّثنى الفضـل بن العبّاس بن سـعيد بن سَلْم بن قُتَيْبة الباهلىّ قال حدّثنا محمد بن حرب بن قَطَن بن قَبِيصة بن مُخارق الهلالىّ قال :

لمّـا مات المهـدىّ وفدت العرب على موسى يهنّئونه بالخـلافة ويعزّونه عن المهدىّ، فدخل مروانُ بن أبى حفصة فأخذ بعِضَادَتَى الباب ثم قال :

لقد أصبحتْ تختال فى كلِّ بلدةٍ * بقـبر أمير المؤمنيـن المقـابرُ
١٥ ولو لم تُسَكَّنْ بآبنـه فى مكانه * لمـا بَرِحت تَبْكِى عليه المنـابر

قال فخرج الناس بالبيتين .

مـدح عمـرو بن مسعدة فى مرضه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمـد بن القاسم بن مَهْـرويه قال حدّثنى إبراهيم بن المُدَبِّر قال :

مَرِض عمرو بن مَسْعَدَة، فدخل عليه مروان بن أبى حفصة وقد أبَلّ من مرضه ٢٠ فأنشأ يقول :

صحَّ الجسمُ يا عمـرو * لك التَّمْحِيصُ والأَجْرُ

٤٨
٩

ولله علينـا الحمـ ـد والمنّـة والشـكر
فقد كان شكا شوقا * إليـك النّهيُ والأمر

قال فنحا نحوه مُسْلِم بن الوليد فقال :

قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلت لهم .. نفسى الفـداءُ له من كل محـذور
ياليت عِلّتَـه بى غـير أنّ له * أجْرَ العليـل وأنّى غـير مأجـور

رأى الغول فى بعض سفراته ففزع

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى أبو حُذَيْفة قال حدّثنى رجل من بنى سُلَيم فى مسجد الرُّصافة قال أخبرنى مروان بن أبى حفصة قال :

وفدتُ فى ركب إلى الرشيد فصرْنا فى أرض موحشةٍ قفْرٍ، وجَنّ علينا الليل فسرْنا لنقطعها ، فلم نشعر إلا بآمرأة تسوق بنا إبلنا وتحدو فى آثارنا ، فاذا هى الغُول . فلما لاح الفجر عدلتْ عنّا وأخذتْ عُرْضًا[1] وجعلت تقول :

يا كوكبَ الصّبح إليكَ عنّى * فلستُ من صبحٍ وليس منّى

قال : فما أذكر أنى فزِعت من شىء قطّ فزعى ليلتئذ .

عارضه التغلبى فى شعره فى وراثة بنى العباس

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى علىّ بن الحسن الكُوفىّ قال حدّثنى محمد بن يحيى بن أبى مُرّة التّغْلبىّ قال :

١٥

مررت بجعفر بن عفّان الطائىّ يوما وهو على باب منزله ، فسلّمت عليه؛ فقال لى : مرحبًا يا أخا تَغْلِب ، اجلس فجلست . فقال لى : أمَا تعجَب من ابن أبى حفصة لعنه الله حيث يقول :

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ * لبنى البنات وراثةُ الأعمام

٢٠

فقلت بل والله إنى لأتعجّب منه وأُكثِر اللعنَ له ، فهل قلتَ فى ذلك شيئا؟ فقال : نعم قلت :

(١) العرض : الناحية

لِمْ لا يكون وإنّ ذاك لكائنٌ * لبَنِى البنات وِراثة الأعمام
للبنت نصفٌ كامـلٌ من ماله * والعـمّ متروكٌ بغـير سِهام
ما للطَّلِيق وللـتُّراث وإنّمـا * صلّى الطليقُ مخافـةَ الصَّمْصام

لازمه صالح بن عطية الأضجم أياما ثم قتله

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد بن سليمان النَّوْفَلىّ
٥ قال حدّثنى صالح بن عطية الأضجم قال :
لمّا قال مروان :

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ * لبَنِى البنات وراثةُ الأعمام

لزمتُه وعاهدت الله أن أغتاله فأقتله أىَّ وقتٍ أمكننى ذلك ، وما زلت ألاطفه
وأبَرُّه وأكتب أشعاره حتى خُصِصْتُ به ، فأنِس بى جدّاً ، وعرفتْ ذلك بنو حفصة
١٠ جميعاً فأنِسوا بى ، ولم أزل أطلب له غِرّةً حتى مرِض من حُمّى أصابته ، فلم أزل
أظهر له الجزَع عليه وألازمه وألاطفه ، حتى خلا لى البيت يوماً فوثَبتُ عليه فأخذتُ
بحلقه فما فارقتُه حتى مات ، فخرجتُ وتركته ، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً ،
وارتفعت الصَّيْحةُ فحضرتُ وتباكيت وأظهرتُ الجزَع عليه حتى دُفن ، وما فطن
بمـا فعلت أحد ولا اتهمنى به .

١٥ * * *

نشأته ونسب أمه شكلة

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدىّ وأمّه شَكْلة(١) . ويكنى أبا إسحاق . وشَكْلةُ أمّه
مولّدة ، كان أبوها من أصحاب المـازيار ، يقال له شاه أفْرَنْد ، فقُتِل مع المـازيار
وسُبِيَتْ بنتُه شَكْلة ، فحُمِلَتْ إلى المنصور ، فوهبها لمُحَيّاةَ أمّ ولده فربّتها وبعثتْ بها
إلى الطائف فنشأت هناك وتفصّحتْ ؛ فلما كبِرتْ رُدّت إليها . فرآها المهـدىّ

٤٩
٩

(١) ضبط فى القاموس بالقلم بفتح أوّله . وفى الطبرى بفتح أوّله وكسره .

٢٠

عندها فأعجبته، فطلبها من مُحيّاة فأعطته إيّاها، فولدت منه إبراهيم. وكان رجلًا عاقلًا فَهِمًا دَيِّنًا[(1)] أديبًا شاعرًا راويةً للشعر وأيّام العرب خطيبًا فصيحًا حسنَ العارضة.

مدحه إسحاق الموصلى

وكان إسحاق الموصلىّ يقول: ما ولد العبّاس بن عبد المطّلب بعد عبد الله بن العباس: رجلًا أفضل من إبراهيم بن المهدىّ. فقيل له: مع ما تبذّل له من الغناء؟ فقال: وهل تمّ فضلُه إلا بذاك! . حدّثنى بذلك محمد بن يزيد عن حمّاد عن أبيه.

كان ينسب ما يصنع لشارية وريق جاريتيه

وكان أشدّ خلق الله إعظامًا للغناء، وأحرصَهم عليه، وأشدَّهم منافسةً فيه. وكانت صنعته ليّنةً، فكان إذا صنع شيئًا نسَبه الى شارِيةَ وريِّق، لئلا يقع عليه فيه طعن أو تقريع، فقلّتْ صنعتُه فى أيدى الناس مع كثرتها لذلك. وكان إذا قيل له فيها شىء قال: إنما أصنع تطرُّبًا لا تكسُّبًا، وأُغنّى لنفسى لا للناس فأعمل ما أشتهى. وكان حُسْنُ صوته يستوعب ذلك كلّه. وكان الناس يقولون لم يُرَ فى جاهليّة ولا إسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدىّ وأخته عُلَيّة. وكان يُماظُّ[(2)] إسحاقَ

كان ينازع إسحاق ويجادله وجرت بينهما مناظرات فى الغناء

ويُجادله، فلا يقوم له ولا يَفِى به، ولايزال إسحاق يغلبه ويَغُصُّه بريقه ويَغُضُّ منه بما يظهر عليه من السَّقَطات[(3)] ويبيّنه من خطئه فى وقته وعجزه عن معرفة الخطأ الغامض إذا مرّ به، وقصوره عن أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك. وقد ذكرتُ قطعةً من هذه الأخبار فى أخبار إسحاق وأنا أذكرها هنا منها مالم أذكرْ هناك.

وممّا خالف إبراهيمُ بن المهدىّ ومَنْ قال بقوله على إسحاق فيه: الثّقيلان وخفيفُهما؛ فإنّه سمّى الثقيل الأوّل وخفيفَه الثقيلَ الثانى وخفيفَه، وسمّى الثقيلَ الثانى وخفيفَه الثقيلَ الأوّلَ وخفيفَه؛ وجرَتْ بينهما فى ذلك مناظراتٌ ومجادلاتٌ ومراسلة ومكاتبة ومشافهة، وحضرهما النّاس، فلم يكن فيهم مَنْ يَفِى بفصل

(1) هذه الكلمة ليست فى ح. (2) يماظ: ينازع. (3) فى الأصول: «وقت».

ما بينهما والحكم لأحدهما على صاحبه . ووضع لذلك[1] مكاييل لتُعرَف بها أقدارُ الطرائق، وأمسك كلّ واحد منهما إلى آخر أقداره ، فلم يصحّ شيء يُعمل عليه، إلّا أن قول ابراهيم بن المهدى اضمحلّ وبطَل وتُرِك ، وعمِل الناس على مذهب إسحاق ، لأنّه كان أعلمَ الرجلين وأشهرَهما . وأوضح إسحاق أيضًا لذلك وجوهًا فقال : إنّ الثقيل الأوّل يجيء منه قَدْران ، الثّقيلُ الأوّل التّام، والقَدْرُ الأوسط من الثقيل الأوّل، وجميعًا طريقتُه واحدةٌ لاتّساعه والتمكّن منه ،والثقيلُ الثانى لا يجيء هذا فيه ولا يُقاربه . والثّقيلُ الأوّل يمكن الإدراج فى ضَرْبه لثِقَله ، والثّقيلُ الثانى لايَنْدرج لنقصه عن ذلك . ولهما فى هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتُها فى أخبارهما ، وشَرحتُ العِلَل مبسوطةً فى كتاب ألّفْتُه فى النَّغَم شرحًا ليس هذا موضعَه ولا يصلُح فيه . وأمّا التّجزئةُ والقسمةُ فإنّهما أفْنَيَا أعمارَهما فى تنازعهما فيهما ، حتى كان يَمضى لهما الزمانُ الطويلُ لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما فى قسمةِ وتجزئةِ صوتٍ واحدٍ فيه، وحتى كانا يخرجان إلى كلّ قبيح ، وحتى إنهما ماتا جميعا وبينهما منازعة فى هذا الصوت وقِسْمته :

حَيِّيَا أمّ يَعْمَرا * قَبْل شَحْط من النَّوَى

لم يُفْصَل بينهما فيها إلى أن افترقا . ولو ذهبتُ إلى ذكر ذلك وشَرْح سائر أخبار إبراهيم بن المهدى وقِصَصه لمّا وَلِىَ الخلافةَ وغيرِ ذلك من وصفه بفصاحة اللسان ، وحسنِ البيان ، وجَوْدةِ الشعر ، وروايةِ العلم ، والمعرفة بالجَدَل ، وجزالةِ الرأى ، والتصرّف فى الفقه واللّغة ، وسائرِ الآداب الشريفة ، والعلوم النفيسة ، والأدوات الرفيعة ، لأطَلْتُ . وإنّما الغرض فى هذا الكتاب الأغانى أو ما جرى مجراها، لاسيما لمن كثُرت الروايات والحكايات عنه ، فلذلك اقتصرتُ على ما ذكرتُه من أخباره دون ما يستحقّه من التفضيل والتّبجيل والثناء الجميل .

(١) لعله : ووضع كلاهما أو كل منهما أو نحو ذلك .

كلمة لابراهيم بن المهدى عن نفسه فى صنعة الغناء

أخبرنى عمّى رحمه الله قال حدّثنى علىّ بن محمد بن بكر عن جدّه حَمْدُون ابن إسماعيل قال قال لى ابراهيم بن المهدىّ :

لولا أنّى أَرْفَع نفسى عن هذه الصناعة لأظهرتُ فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يَرَوْا قبلى مِثْلى .

غنى الرشيد وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلى فأطرياه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى أحمد بن القاسم ابن جعفر بن سليمان الهاشمىّ قال حدّثنى أحمد بن إبراهيم بن المهدىّ عن أبيه قال:

دخلتُ يومًا إلى الرشيد وفى رأسى فَضْلةُ خُمَار ، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلىّ . فقال : بحياتى يا إبراهيم غَنِّنى . فأخذتُ العود ولم ألتفت إليهما لمَا فى رأسى من الفَضْلة فغَنَّيْتُ :

أَسْرَى بخالدةَ[1] الخيالُ ولا أَرَى * شيئًا أَلَذَّ من الخيال الطَّارِقِ

فسمعتُ إبراهيمَ يقول لآبن جامع : لو طلَب هذا بهذا الغناء ما نَطْلُب لمَا أكلنا خبزًا أبدا . فقال آبن جامع : صدقتَ . فلمّا فَرَغتُ من غنائى وضعتُ العودَ ثم قلت : خُذَا فى حقّكما ودَعَا باطلَنا .

نسبة هذا الصوت

صوت

أَسْرَى بخالدةَ[1] الخيالُ ولا أَرَى * شيئًا أَلَذَّ من الخيال الطارِقِ
إنّ البليّةَ مَنْ تَمَلُّ[2] حديثَه * فَآنْقَعْ فؤادَك من حديث الوامق
أَهْوَاكِ فوق هوى النفوس ولم يزل * مُذْ بِنْتِ قلبى كالجَناح الخافق

(١) رواية الديوان : « أسرى لخالدة الخ »

(٢) فى ديوان جرير : « يمل » بالبناء المجهول .

طَرَبًا إليك ولم تُبَالِى حاجتى * ليس المُكَاذِب كالخليل الصّادق(١)

الشعر لجرير . والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بالوُسْطى عن عمرو .

غنى الرشيد وعنده سليمان بن أبى جعفر وجعفر بن يحيى

أخبرنى جَحْظة قال أخبرنى هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال حدّثنى أبى، وحدّثنى الصولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى هبة الله — ولم يذكر عن أبيه — قال :

٥

كان الرشيد يحبّ أن يسمع أبى . وقال جَحْظة عن هبة الله عن إبراهيم قال : كان الرشيد يحب أن يسمعنى ، فخلا بى مَرّاتٍ إلى أن سَمِعنى . ثم حَضَرْتُه مَرَّةً وعنده سليمان بن أبى جعفر ، فقال لى : عَمُّك وسَيِّدُ ولدِ المنصور بعد أبيك وقد أحبّ أن يَسْمعك ، فلم يتركنى حتى غَنَّيتُ بين يديه :

١٠

إذ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ * وإذ أَجُرُّ إليكم سادرًا رَسَنِى

٥١/٩

فأمر لى بألف ألف درهم ، ثم قال لى ليلةً ولم يَبْق فى المجلس إلّا جعفر بن يحيى : أنا أحبّ أن تشرِّف جعفرًا بأن تغنّيه صوتًا . فغنَّيتُه لحنًا صنعتُه فى شعر الدّارمىّ :

كأنّ صورتَها فى الوصف إذ وُصِفَتْ * دينارُ عَيْنٍ من المصريّة العُتُقِ

نسبة هذين الصوتين، منهما(٢) :

١٥

صــــوت

سَــقْيًا لِرَبْعِك من رَبْعٍ بذى سَلَمٍ * وللزمان به إذ ذاك من زَمَنِ

إذ أنتِ فينا لمن ينهاكِ عاصيةٌ * وإذ أَجُرُّ إليكم سادرًا رَسَنِى

الشعرُ للأحوص . والغناءُ لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو

(١) فى الأصول :

٢٠

شــوقًا إليك ولم تجاز مودتى * ليس المكذب بالحبيب الصادق

والتصويب عن الديوان . (٢) لعله : « الأول منهما الخ » .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى أحمد بن زُهَيْر عن مُصْعَب قال : أَنْشد مُنْشِدٌ وآبنُ أبى عُبَيْدَةَ عندنا قولَ الأحوص :

إذ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ * وإذ أَجُرُّ إليكم سادراً رَسَنِى

فوثَب قائمًا وألقى طَرَف ردائه وجعل يخطو الى طَرَف المجلس ويَجُرُّه، ثم فعل ذلك حتى عاد إلينا . فقلنا له : ما حَمَلك على ما صنعت ؟ فقال : إنّى سمعتُ هذا الشعرَ مرّةً فأطْرَبنى، فجعلت على نفسى ألّا أسمعه أبدًا إلّا جررتُ رَسَنى .

والآخر من الصوتين :

صوت

كأنّ صورتَها فى الوصف إذ وُصِفَتْ * دينارُ عَيْنٍ من المِصْريّةِ العُتُقِ
أو دُرّةٌ أعيت الغَوّاصَ فى صَدَفٍ * أو ذَهَبٌ صاغه الصَّوّاغُ فى وَرِق

الشعرُ للدّارمىّ . والغناءُ لمرزوق الصَّوّاف رَمَلٌ بالبنصر عن آبن المكىّ . وذكر عمرو أن هذا اللحنَ للدّارمىّ أيضا . وذكر الهشامىّ أنه لآبن سُرَيْج . وفى هذا الخبر أنه لإبراهيم بن المهدىّ . وفيه خفيفُ رَمَلٍ يقال إنه لحَنُ مرزوق الصَّوّاف ، ويقال إنه لمتيَّم ثانى ثقيل عن الهشامىّ وآبنِ المعتزّ .

غنى صوتا على أربع طبقات

أخبرنى يحيى بن المنجّم قال ذكر لى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق بن عمرو بن بَزِيع قال

كنتُ أضرب على إبراهيم بن المهدىّ صوتا [1] ذكره فغنّاه على أربع طَبَقات ، على الطبقة التى كان العود عليها ، وعلى ضِعْفها ، وعلى إسْجاحها ، وعلى إسجاح الإسجاح . قال أبو أحمد قال عبيد الله : وهذا شىءٌ ما حُكِىَ لنا عن أحد غيرِ إبراهيم ،

(١) كذا فى ا ، م . وفى سائر الأصول : « ضربا » .

وقد تعاطاه بعضُ الحُذّاق بهذا الشأن، فوجده صعبًا متعذّرًا لا يُبْلَغ إلّا بالصوت القوىّ وأشدّ ما فى إسجاح الإسجاح؛ لأن الضّعف لا يُبْلَغ إلّا بصوت قوىّ مائل إلى الدقة، ولا يكاد ما اتّسع مَخْرَجُه يبلغ ذلك . فإذا دَقَّ حتى يبلغ الإضعاف لم يَقْدِر على الإسجاح فضلًا عن إسجاح الإسجاح . فاذا غَلُظ حتى يتمكّن من هذين لم يقدر على الضِّعْف .

غنى صوتا لمعبد

أخبرنى عمّى قال حدّثنى ابن أبى سعد قال حدّثنى أحمد بن القاسم بن جعفر ابن سليمان الهاشمىّ قال حدّثنى محمد بن سليمان بن موسى الهادى قال :

٥٢/٩

دعانى إبراهيم بن المهدىّ يومًا فصرت إليه، وغنّى صوتا لمَعْبَد :

أفى الحقّ هذا أنّنى بك مُولَعُ * وأنّ فؤادى نحوكِ الدَّهْرَ نازعُ

فقال لى : لمن هذا الغناء؟ فقلت : يا سيّدى يقولون إنه لمعبد، ولا غنّى والله معبد كذا قطّ ، ولا سمعتُ أحدًا يقول كذا، لا والله ما فى الدنيا كذا . قال : فضحك ثم قال : والله يا بُنَىّ ما قمتُ بنصف ما كان يقوم به معبد .

نسبة هذا الصوت

أمّا اللّحْن فمن الثقيل الثانى، وقد ذكر فى هذا الخبر أنه لمعبد، وما وجدتُه فى شىء من الكتب له . وذكر الهشامىّ أنه لابن المكىّ .

عاب مخارقا عند المأمون

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن محمد بن عَمّار قال حدّثنى يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنى إسحاق بن محمد قال حدّثنى عيسى بن محمد القَحْطَبىّ قال حدّثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

لمّا قدم المأمون من خُراسان لم يظهر لمغنّ بالمدينة مدينة السلام غيرى ، فكنتُ أُنادمه سرًّا، ولم يظهر للنُّدَماء أربعَ سنين، حتى ظفر بإبراهيم بن المهدىّ .

فلمّا ظفر به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمعنا؛ ووجّه إلى إبراهيم فحضر فى ثياب مُبتذَلة . فلمّا رآه المأمون قال : ألْقِ عمّى رداء الكِبْر عن مَنْكِبَيْه، ثم أمر له بخِلَع فاخرة وقال : يا فَتْح[1] غَدِّ عمّى؛ فتغدّى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحوّل إلينا، وكان مُخارِق حاضرًا، فغنّى مخارق :

هذا ورُبَّ مُسوِّفين[2] صَبَحْتُهم * من خمر بابِلَ لذّةً للشارب

فقال له إبراهيم : أسأتَ فأعِدْ؛ فأعاده. فقال : قارَبْتَ ولم تُصِبْ . فقال له المأمون : إن كان أساء فأَحْسِنْ أنت . فغنّاه إبراهيم ثم قال لمخارق : أَعِدْه فأعاده، فقال : أحسنت . فقال للمأمون : كم بين الأمرين؟ فقال : كثير. فقال لمخارق : إنما مَثَلُك كمَثَل الثوب الفاخر إذا غفَل عنه أهلُه وقع عليه الغبار فأحال لونَه، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره . ثم غنّى إبراهيمُ :

يا صاحِ يا ذا الضّامرِ العَنْسِ * والرَّحْلِ ذى الأقْتادِ والحِلْسِ[3]

أمّا النّهارُ فما تُقَصِّره * رَتْكًا[4] يزيدك كلّما تُمْسى

ضنّ على مخارق بصوت

قال : وكانت لى جائزة قد خرجتْ، فقلت : يا أمير المؤمنين، تأمر سيّدى بإلقاء هذا الصّوت علىّ مكان جائزتى فهو أحبُّ إلىّ منها. فقال : يا عمّ أَلْقِ هذا الصّوتَ على مُخارق، فألقاه علىّ، حتى إذا كدت أن آخذه قال: آذهبْ فأنت أحذق الناس به. فقلت : إنه لم يصلُح لى بعد. قال: فآغْدُ علىّ. فغدوت عليه فغنّاه متلوّيًا؛ فقلت : أيها الأمير، لك فى الخلافة ما ليس لأحد، أنت آبن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة،

(١) هو فتح خادم المأمون . انظر الطبرى (ق ٣ ص ١٠٤١) . (٢) المسوفون: الصبر؛ يقال : إن فلانا لمسوّف (بالبناء للفاعل) اذا كان صبورا . (راجع لسان العرب فى مادة سوف) . (٣) يقال جمل ضامر، وناقة ضامر (بغير هاء) وضامرة . والعنس : الناقة الصلبة القوية . والحلس : كل شىء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج . (٤) الرتك : سير للابل سريع .

تجود بالرَّغائب وتبخَل علىّ بصوت ! فقال : ما أحمقك ! إن المأمون لم يستبقني محبَّةً فىَّ ولا صِلَةً لرَحِمِي ولا رِبّاً للمعروف عندى ، ولكنه سمع من صوتى جِرْماً[1] ما لم يَسْمع من غيره . قال : فأعلمتُ المأمونَ مقالتَه ؛ فقال : إنّا لا نكدّر على أبى إسحاق عَفْوَنا عنه ، فدَعْه . فلما كانت أيّامُ المعتصم نَشِط للصَّبوح يومًا فقال : أحضروا عمّى ، فجاء فى دُرَّاعة من غير طَيْلَسان . فأعلمتُ المعتصمَ خبرَ الصَّوْت معه ، فقال : يا عمّ غنِّنى :

* يا صاحِ ياذا الضَّامرِ العَنْسِ *

فغنّاه ؛ فقال : أَلْقِه على مُخارِق . فقال : قد فعلتُ ، وقد سبق منّى قولٌ لا أعيده عليه . ثم كان يتجنّب أن يغنّيَه حيث أَحضُرُه . ٥٣ / ٩

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صـــوت

هـــذا وربِّ مُسوِّفِين صَبَحْتُهم * من خمر بابلَ لذّةً للشارب
بكَروا علىّ بسُحْرةٍ فصبحتُهم * بإناء ذى كَرَمٍ كقَعْب الحالب
بزُجاجةٍ مِـــلْءِ اليدين كأنّها * قِنديلُ فِصْحٍ[2] فى كنيسة راهب

الشعرُ لعَــدِىّ بن زيد . والغناء لحُنَيْنٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق .

صـــوت

يا صاحِ ياذا الضّـامرِ العَنْسِ * والرَّحْلِ ذى الأَقْتـاد والحِلْسِ
أمَّا النّهـار فـا تُقَصِّـــره * رَتَكًا يَزيدك كلّما تُمْسِى

الشعرُ لخـالد بن المُهاجِر بن خالد بن الوليد .

---

(١) الجرم هنا : الحلق أو الصوت . (٢) الفصح (بالكسر) : عيد للنصارى .

طلبت اليه أخته أسماء سماع غنائه

وذكر أحمد بن أبى طاهر عن أثير مولاة منصور بن المهدىّ عن ذُؤابة مولاته أيضا قالت قالت لى أسماء بنت المهدىّ :

قلت لأخى إبراهيم : يا أخى أشتهى والله أن أسمع من غنائك شيئا . فقال : إذًا والله يا أُختى لا تَسْمعين مثلَه ، علىَّ وعلىَّ ، وغلَّظ فى اليمين ، إن لم يكن إبليسُ ظهر لى وعلَّمنى النَّقْرَ والنَّغَم وصافحنى وقال لى : اذهَبْ فأنت منِّى وأنا منك .

عصب عليه الأمين ثم رضى عنه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى هِبَةُ الله بن إبراهيم ابن المهدىّ عن أبيه قال :

غَضِب علىَّ محمد الأمين فى بعض هَنَاته ، فسلَّمنى إلى كَوْثَرٍ(١) ، فحبسنى فى سِرْداب وأغلقه علىَّ فمكثت فيه ليلتى . فلما أصبحتُ إذا أنا بشيخ قد خرج علىَّ من زاوية السِّرداب ، ودفع إلىّ وسطا(٢) وقال : كُلْ فأكلتُ ، ثم أخرج قِنِّينة شراب فقال : اشرَبْ فشربت ، ثم قال لى : غَنِّ :

لى مُــــدّةٌ لا بُدَّ أبلغها * معلومةٌ فإذا انقضتْ مُتُّ
لو ساورتنى الأُسْدُ ضاريةً * لغلَبْتُها ما لم يَجِ الوقتُ

فغنّيته . وسمعنى كوثر فصار إلى محمد وقال : قد جُنَّ عمُّك وهو جالس يغنّى بكيت وكيت . فأمر بإحضارى فأُحْضِرتُ وأخبرته بالقصّة ، فأمر لى بسبعمائة ألف درهم ورضىَ عنّى .

طارح أخته علية فأطربا المأمون وأحمد بن الرشيد

أخبرنى عمّى قال حدّثنى ابن أبى سعد قال سمعت يَنْشُو يحدّث عن أبى أحمد ابن الرشيد قال :

كنتُ يومًا بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بياسِر وأدخله فسارّه(٣) بشىء ومضى وعاد . فقام المأمونُ وقال لى : قم ، فدخل دار الحُرَم ودخلتُ معه ، فسمعت غناءً

(١) هو كوثر خادم محمد الأمين . (انظر فقرا عليه فى الطبرى ق ٣ ص ٨٩٩ ، ٩٢٨ ، ٩٣٩ ، ٩٥٦ ، ٩٦٥) . (٢) كذا فى الأصول وظاهر أنه يريد نوعا من الطعام . (٣) فى الأصول : «فسره» .

أذهل عقلى ولم أقدر أن أتقدّم ولا أتأخّر. وفطِن المأمون لِمابى فضحك ثم قال : هذه عمّتك عُلَيّة تُطارح عمّك إبراهيم :

* ما لى أرى الأبصارَ بى جافِيَهْ *

نسبة هذا الصوت

مالى أرى الأبصارَ بى جافِيَهْ * لم تلتفتْ منّى إلى ناحِيَهْ

لا ينظر الناسُ إلى المُبْتلَى * وإنما الناسُ مع العافِيَهْ

وقد جفانى ظالمًا سيّدى * فأدمُعى مُنْهَلّةٌ هامِيَهْ(١)

صَحْبِى سَلُوا ربّكمُ العافِيَه * فقد دهتنى بعدكُمْ داهِيَهْ

الشعر والغناء لعُلَيّة بنت المهدىّ خفيفُ رمَلٍ . وأخبرنى ذُكاء وجه الرُّزّة أنّ لعَرِيبَ فيه خفيفَ رمل آخر مَزْموراً، وأنّ لحن عُلَيّة مُطْلَق .

كتب اليه اسحاق بجنس صوت فغناه من غير أن يسمعه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى أبى عن إبراهيم عن علىّ بن هشام أنّ إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدىّ بجنس صوت صنعه وإصبَعه ومَجْراه وإجراء لحنه؛ فغنّاه ابراهيم من غير أن يسمعه فأدّى ما صنعه . والصوت :

حَيِّيا أمّ يَعْمَرَا * قبل شَحْطٍ من النَّوى

قلت لا تُعْجِلوا الرَّوا * حَ فقالوا أَلَا بَلَى

أجمع الحىّ رِحلةً * ففؤادى كذى الأَسَى

نسبة هذا الصوت

الشّعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لابن سُرَيْج، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلَقٌ فى مَجْرى الوُسطى . وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك . وفيه للهُذَلىّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن ابن المكىّ، وزعم الهشامىّ أنه لحن مالك . وفيه

(١) فى ب، س، حـ : «واهية» .

لحنان من الثقيل الثانى أحدهما لإسحاق وهو الذى كتب به إسحاق إلى ابراهيم بن المهدى . والآخر زعم الهشامى أنه لإبراهيم ، وزعم عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لابن محرز .

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الحسين بن يحيى أبو الجمّان : أنّ إسحاق بن ابراهيم لمّا صنع صوته :

٥

* قُلْ لِمَنْ صَدّ عاتِبًا *

اتّصل خبرُه بإبراهيم بن المهدىّ فكتب يسأله عنه ؛ فكتب اليه بشعره و إيقاعه وبسيطه ومجراه و إصبعه وتجزئته وأقسامه ومخارج نَغَمه ومواضع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه ، فغنّاه . قال : ثم لَقِينى فغنّانيه ، ففضَلنى فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

١٠

قل لمن صدّ عاتبًا * ونأى عنك جانبًا
قد بلغتَ الذى أرد * تَ و إن كنتَ لاعبا

الشعر والغناء فى هذا اللحن لإسحاق ، ثانى ثقيل بالبنصر فى مجراها . وفيه لغيره ألحان .

سمعه أحمد بن أبى دواد فذهل عن نفسه ورجع عن إنكاره الغناء

أخبرنى ابن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثنى إسحاق بن محمد عن أبيه قال :

١٥

سمعت أحمد بن أبى دُواد يقول : كنتُ أَعِيبُ الغناء وأطعَن على أهله ، فخرج المعتصم يومًا إلى الشَّمّاسيّة فى حَرّاقة يشرب ، ووجّه فى طلبى فصرت إليه ؛ فلما قَرُبْتُ منه سمعت غناءً حيّرنى وشغَلنى عن كلّ شىء ، فسقط سَوْطى من يدى ؛ فالتفتُّ إلى زنقطة غلامى أطلب منه سوطَه ، فقال لى : قد والله سقط سوطى . فقلت له : فأىّ شىء كان سبب سقوطه؟ قال : صوت سمعته شغَلَنى عن كلّ شىء فسقَط سوطى من يدى ؛ فاذا قِصّته قِصّتى . قال : وكنت أنكر أمرَ الطَّرَب على

٢٠

الغناء وما يستفزّ الناسَ منه و يغلب على عقولهم، وأناظر المعتصمَ فيه . فلما دخلتُ عليه يومئذ أخبرته بالخبر، فضَحك وقال : هذا عمّى كان يغنّينى :

إنّ هـذا الطويلَ من آل حَفْصٍ * نَشَر المجدَ بعـد ما كان ماتا

فإن تُبْتَ ممّا كنتَ تناظرنا عليه فى ذمّ الغناء سألتُه أن يُعيده . ففعلتُ وفعل، و بلغ بى الطّربُ أكثرَ ممّا يَبْلُغُنى عن غيرى فأُنكره، ورجعت عن رأيى منذ ذلك اليوم . ٥
وقد أخبرنى بهذا الخبر أبو الحسن علىّ بن هارون بن علىّ بن يحيى المنجّم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصّة أو قريبًا منها لزيادة اللفظ ونُقْصانه، وذكر أنّ الصوت الذى غنّاه إبراهيم :

طرَقَتْـكَ زائرةً فحَىِّ خيالَهـا * بيضاءُ تَخْلِـط بالحياء دلالَهـا

١٠ هـل تَطْمِسون من السماء نجومَها * بأكُفِّكم أو تَسْتُرون هلالَهـا

اتخذ لمسه حراقة بحذاء داره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل قال :

سمعتُ هِبةَ الله بن إبراهيم بن المهدىّ يقول : اتّخـذ أبى حَرّاقةً فأمر بشدّها فى الجانب الغربىّ بحذاء داره، فمضيتُ اليها ليلةً فكان أبى يُخاطبنا من داره بأمره ونَهْيه، فنسمعه وبَيْننا عَرْض دِجْلة وما أجهدَ نفسَه .

ثناء ابن أبى ظبية عليه

١٥ أخبرنى عمى قال سمعت عبد الله بن مُسْلم بن قُتَيبة يقول حدّثنى آبن أبى ظَبْية قال : كنت أسمع إبراهيم بن المهدىّ يتنحنح فأطْرَبُ .

غنى وعنده عدة من المغنين وغنى بعده مخارق فأعاد هو وضرب

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى القَطِرانى المُغَنِّى عن محمد بن جبر عن عبد الله آبن العباس الرّبيعىّ قال :

كنّا عند إبراهيم بن المهدى ذاتَ يوم وقد دعا كلَّ مُطْرِبٍ مُحْسِن من المغنّين يومئذ وهو جالس يُلاعب أحدَهم بالشِّطْرَنج . فترنّم[1] بصوت فريدة :

قال لى أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بى * أتُحِبّ الغَداةَ عُتْبَةَ حقّا

وهو مُتَّكئ . فلما فرَغ منه ترنّم به مُخارق فأحسنَ فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم ، فأعاده إبراهيم وزاد فى صوته فعَفّى على غناء مُخارق . فلما فرَغ ردّه مخارق وغنّى فيه بصوته كلّه وتحفّظ فيه ، فكدنا نَطير سرورًا . وآستوى إبراهيمُ جالسا وكان متّكئا فغنّاه بصوته كلّه ووفّاه نَغَمَه وشُذُورَه ، ونظرتُ الى كتفيه تهتزّان وبدنه أجمع يتحرّك حتى فرغ منه ، ومُخارقٌ شاخِصٌ نحوَه يُرْعَد وقد آنتُقِع لونُه وأصابعُه تختلج ، فخُيِّل لى والله أن الإيوان يسير بنا . فلمّا فرغ منه تقدّم إليه مُخارق فقبّل يده وقال : جعلنى الله فداك أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقيّة يومه فى غنائه ، والله لكأنما كان يحدّث .

نسبة هذا الصوت

قال لى أحمدٌ ولم يَدْرِ مابى * أتُحِبّ الغَداةَ عُتْبَةَ حقّا

فتنفّستُ ثم قلت نعم حبًّ * ا جرى فى العروق عِرْقًا فعِرْقا

ما لدمعى عَدِمتُه ليس يَرْقا[2] * إنما يَستَهِلّ غَسْقًا فغَسْقا[3]

طَرَبًا نحوَ ظَبيةٍ تَرَكتْ قلـ * ـبى من الوجد قَرْحةً ما تَفَقّا[4]

---

(١) كذا فى جـ . وفى أ : « فترنم بعضهم » . وفى سائر الأصول : « فترنم أحدهم » وكلاهما تحريف . وفى نهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٢٨ طبع دار الكتب المصرية) : « فترنم ابراهيم » .

(٢) يرقا : يجف وينقطع ، وأصله الهمز .

(٣) الغسق : الانصباب ؛ يقال : غسقت العين تغسق (من باب ضرب) غسقا وغسقانا إذا دمعت .

(٤) تفقا : تتفلق وتنشق ، وأصله الهمز .

٥٦/٩

الشعر لأبى العتاهية . والغناء لفَريدة خفيفُ رمل بالوسطى . وفيه لإبراهيم ابن المهدىّ خفيفُ رَمَلٍ آخر . ولفَريدة أيضا لحنٌ من الثقيل الثانى فى أبيات من هذه القصيدة وهى :

قد لَعَمْرِى ملّ الطبيبُ وملّ الـ * ـأهل منّى مما أداوَى وأرْقَى

٥ ليتنى مُتّ فٱستَرحتُ فإنّى * أبدًا ما حَيِيتُ منها مُلَقًّى(١)

غنى الأمين فأطربه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى هِبَةُ الله بن إبراهيم ابن المهدىّ قال حدّثنى عمّى منصور بن المهدىّ :

أنه كان عند أبى فى يوم كانت عليه فيه نَوْبَةٌ لمحمد الأمين ، فتشاغل أبى بالشُّرْب فى بيته ولم يَمْضِ ، وأرسل إليه عِدّةَ رُسُل فتأخّر . قال منصور : ١٠ فلما كان من غَدٍ قال : ينبغى أن تَعْمَل على الرَّواح الىّ لِنمضى الى أمير المؤمنين فنترضّاه ، فما أشُكّ فى غضبه علىّ . ففعلتُ ومَضَيْنا . فسألنا عن خبره فأُعْلِمنا أنه مشرف على حَيْر(٢) الوحش وهو مخمور ، وكان من عادته ألّا يشرب إذا لحقه الخُمار . فدخلنا ، وكان طريقُنا على حجرة تُصنع فيها الملاهى . فقال لى أخى : ٱذهب فاختَرْ منها عودا تَرْضاه ، وأصْلِحْه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج الى تغييره البتّةَ عند الضَّرب ؛ ففعلت وجعلته فى كُمّى . ودخلنا على الأمين وظهرُه إلينا . فلما بَصُرنا به من بعيد قال : ١٥ أَخْرِجْ عودك فأخرجتُه ، وٱندفع يغنّى :

وكاسٍ شَرِبتُ على لذّةٍ * وأُخرى تداويتُ منها بها

لكى يعلمَ الناسُ أنّى ٱمرؤٌ * أتيتُ الفُتوّةَ من بابها

(١) الملقى : الممتحن الذى لا يزال يلقاه مكروه إثر مكروه .

(٢) الحير : الحظيرة والبستان .

٢٠

وشاهَدنا الجُلُّ[1] والياسَمِـ * ـينُ والمُسْمِعاتُ بقُصَّابِهـا
وبَرْبَطُـنا[2] دائمٌ مُعْـمَلٌ * فأىُّ الثـلاثة أزْرَى بهـا

فاستوى الأمين جالسًا وطرِب طربًا شديدًا وقال : أحسنتَ والله ياعمّ وأحييتَ لى طربًا، ودعا برطل فشربه على الرِّيق وامتدّ فى شربه. قال منصور : وغنّى إبراهيم يومئذ على أشدّ طبقة يُتناهَى اليها فى العود، وما سمعتُ مثل غنائه يومئذ قطّ. ولقد رأيتُ منه شيئًا عجيبًا لو حُدِّثت به ما صَدَّقت، كان إذا ابتدأ يغنّى أصغتِ الوحشُ إليه ومدّت أعناقَها، ولم تزل تدنو منّا حتى تكاد أن تضع رءوسها على الدُّكّان الذى كنّا عليه، فاذا سكتَ نَفَرتْ وبعُدت منّـا حتى تنتهى إلى أبعد غاية يمكنها التّباعد فيها عنّا، وجعل الأمين يَعْجَبُ من ذلك، وانصرفنا من الجوائز بما لم ننصرف بمثله قطُّ.

كتب له إسحاق بصوت صنعه فغناه وأجاده

أخبرنى عمّى والصُّولىّ قالا حدّثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجُمَان أنّ إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدىّ بصوت صنعه فى شعر له وهو :

قل لِمَنْ صَدّ عاتِبَـا * ونأى عنك جانِبَـا
قد بلغتَ الذى أرَدْ * تَ وإن كنتَ لاعبا

وبيّن له شـعرَه وإيقاعَه وبسـاطَه ومَجْراه وإصبعَه وتجزئتَه وقسمتَه ومخارجَ نَغَمه ومواضعَ مقاطعه ومقاديرَ أوزانه، فغنّاه إبراهيم، ثم لقيه بعد ذلك فغنّاه إيّاه فما خَرم منه شَذْرةً ولا نَغْمةً . قال : وفاقنى فيه بحسن صوته .

نسـبة هـذا الصـوت

قل لمن صـدّ عاتبا * ونأى عنـك جانبـا
قد بلغتَ الذى أردْ * تَ وإن كنتَ لاعبا

(١) أنظر شرح هذا البيت مفصلا فى الأغانى ج ٦ ص ٢٩٩ من هذه الطبعة .

(٢) البربط : العود، فارسى معرب . وفى أ و م : « وإبريقنا دائما معمل »

وآعترفنا بما آدّعيـ * ـتَ وإن كنتَ كاذبا
فآفعَـلِ الآنَ ما أرد * تَ فقد جئتُ تائبا

يقال : إنّ الشعر لإسحاق، ولم أَجِده فى مجموع شعره . ووجدتُ فيه لحنًا لحَكَم الوادىّ فى ديوان أغانيه ولحنه من الماخورىّ، وهو خفيفٌ من خفيف الثقيل الثانى[1] بالبِنصر . وكذلك ذكرتْ دَنَانيرُ أنّه لحَكَمٍ الوادى، ويُشبه أن يكون الشعرُ لغيره . ولحن إسحاق الذى كتب به الى إبراهيم بن المهْدى ثانى ثقيل بالبنصر فى مجراها . وفيه ثقيلٌ أوّل مطلق فى مَجْرى البنصر لم يقع الىّ نسبتُه الى صانعه، وأظنّه لحن حَكَم .

غنى أبا دلف العجلى وأهداه جارية

أخبرنى عمّى قال حدّثنا أبو عبد الله المَرْزُبان قال حدّثنى إبراهيم بن أبى دُلَف العِجْلىّ قال :

كنّا مع المعتصم بالقَاطُول[2]، وكان إبراهيم بن المهدىّ فى حَرّاقته بالجانب الغربىّ وأبى و إسحاقُ الموصلىّ فى حَرّاقتيهما فى الجانب الشرقىّ، فدعاهما يوم جمعة فعبرا إليه فى زلال[3] وأنا معهما وأنا صغير وعلىّ أَقْبِيةٌ ومِنْطَقةٌ . فلما دنونا من حَرّاقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضتْ بنهوضه صَبِيّة له يقال لها غَضّةُ، وإذا فى يديه كأسان وفى يديها كأس . فلما صَعِدنا إليه آندفع فغنّى :

حيّـاكما الله خَليليّا * إنْ مَيّتًا كنتُ وإنْ حيّا
إن قلتما خيرًا فأهلٌ له * أو قلتما غَيًّا فلا غَيّا

ثم ناول كلّا منهما كأسًا وأخذ هـو الكأسَ التى كانت فى يد الجارية وقال : آشربا على ريقكما، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشَربوا، ثم أخذوا العيدانَ فغنّاهما ساعةً

(١) فى أ و م : « وهو خفيف من الثقيل الثانى ... الخ » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، وهو نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا سماه أبا الجند . (٣) ظاهر أنه نوع من السفن ولم نقف عليه .

وغنّياه ، وضرب وضربنا معه ، وغنّت الجارية بعدهم . فقال لها أبى : أحسنتِ مرارا . فقال له : إن كانت أحسنتْ فخذها إليك، فما أخرجتُها إلّا إليك .

سمع من مخارق لحنا فأطراه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا علىّ بن محمد بن نصر قال حدّثنى أبو العُبَيس بن حمدون قال : لمّا صنع مخارق لحنه فى شعر العتّابى .

أَخضْنى المُقَامَ الغَمْرَ إن كان غرّنى * سَنا خُلَّبٍ أو زَلَّتِ القَدمانِ

غنّاه إبراهيمَ بنَ المهدىّ، فقال له : أحسنت وحياتى ما شئت ! فسجد مُخارق سرورًا بقول إبراهيم ذلك له .

غنى عمرو بن بانة لحنا وحدثه حديثه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى القطرانىّ عن عمرو بن بانة قال : غنّى إبراهيم بن المهدىّ يوماً :

أدارًا بحُزْوَى هِجْتِ للعين عَبْرةً * فماءُ الهوى يَرْفَضُّ أو يترقرق

فآستحسنتُه وسألتُه إعادتَه علىّ حتى آخُذَه عنه ففعل . ثم قال لى : إنّ حديث هذا الصوت أحسن منه . قلت : وما حديثُه أعزّك الله ؟ قال : غنّانيه آبنُ جامع والصنعة فيه له ، فلما أخذتُه عنه غنّيته إيّاه ليسمعه منّى ، فآستحسنه جدًّا وقال : كأنّى والله ماسمعتُه قطُّ إلّا منك ثم كان صوتُه بعد ذلك على نسبة هذا الصوت .

قصته مع ابن بسخنر وجاريته شارية ومخارق وعلوية

أخبرنى علىّ بن إبراهيم الكاتب قال حدّثنا عُبَيد الله بن عبد الله بن خُرْدَاذْبَه قال حدّثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

وجّه إلىّ إبراهيم بن المهدىّ يوماً يدعونى ، وذلك فى أوّل خلافة المعتصم ، فصرتُ إليه وهو جالس وحدَه وشاريةُ جاريتُه خلفَ السّتارة، فقال : إنى قلتُ شعرًا وغنّيت فيه وطرحتُه على شارية فأخذتْه وزعمت أنّها أحذق به منّى، وأنا أقول

إنى أحذق به منها، وقد تَراضَينا بك حَكَمًا بيننا لموضعك من هذه الصناعة، فآسمعه منّى ومنها وآحكم ولا تَعْجَل حتى تَسْمَعَه ثلاثَ مرّات . فقلت نعم . فآندفع يغنّى بهذا الصوت :

أضَــنُّ بليلَى وهى غيرُ سَخِيّةٍ * وتَبْخَــل ليلى بالهوى وأَجودُ

فأحسن وأجاد. ثم قال لها : تَغنَّىْ، فغنّته فبرَّزتْ فيه حتى كأنه كان معها فى أبجاد، ونظر إلىّ فعرف أنّى قد عرفتُ فضلَها عليه، فقال : على رِسْلك! وتحدّثنا ساعةً وشَرِبنا. ثم آندفع فغنّاه ثانية فأَضْعف فى الإحسان، ثم قال لها : تَغَنَّىْ، فغنّت فبرَعت وزادت أضعافَ زيادته، وكِدْتُ أَشُقّ ثيابى طربًا . فقال لى : تَثَبّتْ ولا تَعْجَلْ. ثم غنّاه ثالثة فلم يُبْقِ غايةً فى الإحكام، ثم أمرها فغنّت، فكأنه إنمـا كان يلعب . ثم قال لى : قل، فقضيتُ لهـا، فقال : أصبتَ، فكم تُساوى عندك ؟ فحمَلَنى الحسدُ له عليها والنَّفاسةُ بمثلها أنْ قلتُ : تُساوى مائةَ ألف درهم . فقال : أَوَما تُساوى على هذا الإحسان وهــذا التّفضيل إلّا مائةَ ألف ! قبّح اللهُ رأيَك ! والله ما أجد شيئا أبلغَ فى عقوبتك من أن أَصْرِفك، قم فآنصرِفْ الى منزلك مذمومًا . فقلت له : ما لقولك آخْرُجْ من منزلى جواب، وقمت وآنصرفت، وقد أَحْفَظنى كلامُه وأَرْمَضَنى[(١)] . فلمّا خطوت خُطُواتٍ التفتُّ إليه فقلت له : يا إبراهيم ! أَتَطْرُدُنى من منزلك ! فوالله ما تُحسن أنت ولا جاريتُك شيئًا . وضَرب الدّهرُ ضَرَبانَه، ثم دعانا المعتصمُ بعد ذلك وهو بالوزيريّة فى قصر التّل[(٢)]، فدخلتُ أنا ومخارق وعلّويه، وإذا أميرُ المؤمنين مُصْطَبِحٌ وبين يديه ثلاثُ جاماتٍ : جامُ فضّة مملوءةٌ دنانيرَ جُدُدًا، وجامُ ذهب مملوءة دراهم جُدُدًا، وجامُ قواريرَ مملوءةٌ عنبرًا، فظننّا أنها لنا بل لم نَشُكّ فى ذلك، فغنّيناه وأجهدنا

---

(١) فى ا ، م : «وأمضنى» . (٢) فى ب ، س : « قصر الليل » .

أنفُسَنا، فلم يطرب ولم يتحرّك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجبُ فقال: إبراهيم بن المهدىّ. فأذن له فدخل، فغنّاه أصواتًا أحسنَ فيها، ثم غنّاه بصوت من صنعته وهو:

ما بالُ شَمْسِ أبى الخطّاب قد غَرَبَتْ * يا صاحبيَّ أظنّ الساعةَ ٱقتربتْ

فٱستحسنه المعتصمُ وطرِب له، وقال: أحسنتَ والله! فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين فإن كنتُ أحسنتُ فهَبْ لى إحدى هذه الجامات؛ فقال: خذ أيّتها شئتَ، فأخذ التى فيها الدنانير؛ فنظر بعضُنا إلى بعض. ثم غنّاه إبراهيم بشعر له وهو:

قُمْ مُزَّةً قهوةً قَرْقَفٌ[1] * شَمُولٌ تَروق براوُوقِها

فقال: أحسنتَ والله ياعمّ وسَرَرْتَ. فقال: يا أمير المؤمنين إن كنتُ أحسنتُ فهَبْ لى جامًا أخرى؛ فقال: خذ أيّتهما شئتَ، فأخذ الجامَ التى فيها الدراهم؛ فعند ذلك ٱنقطع رجاؤنا منها. وغنّاه بعد ساعة:

ألَا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقَى من الهوى * عَشِيرَ[2] الذى أَلْقَى فيلتئمَ الحبُّ

فٱرتجّ بنا المجلسُ الذى كنّا فيه، وطرِب المعتصمُ وٱستخفّه الطربُ فقام على رجليه، ثم جلس فقال: أحسنتَ والله ياعمّ ما شئتَ! قال: فإن كنتُ قد أحسنتُ يا أمير المؤمنين فهَبْ لى الجام الثالثة؛ فقال: خُذْها فأخذها. وقام أمير المؤمنين، ودعا إبراهيمُ بمنديل فثناه طاقَيْن ووضع الجاماتِ فيه وشدّه، ودعا بطين فختَمه ودفعه الى غلامه، ونهضنا إلى الانصراف، وقُدِّمتْ دوابُّنا. فلما ركب إبراهيم التفتَ الىّ فقال: يا محمد بن الحارث، زعمتَ أنّى لا أُحسن أنا وجاريتى شيئًا، وقد رأيتَ ثمرة الإحسان. فقلتُ فى نفسى: قد رأيتُ، فخُذْها لا بارك الله لك فيها! ولم أُجبْه بشىء.

---

(١) المزة والقهوة والقرقف والشمول: من أسماء الخمر. والراووق: باطية الخمر.

(٢) العشير: جزء من عشرة كالعشر.

نسبة هذه الأصوات

صوت

مابالُ شمسِ أبى الخطّاب قد غَرَبَتْ * يا صاحبىّ أظنّ الساعة اقتربتْ

أم لا فما بالُ ريحٍ كنتُ آمُلُها * غدتْ علىّ بِصِرٍّ[1] بعد ما خُبِثَتْ

أشكو اليك أبا الخطّاب جاريةً * غريرةً بفؤادى اليوم قد لَعِبتْ

رأيتُ قَيِّمَها يوماً يحدّثها[2] * يا ليتها قُرِبَتْ منّى وما بَعُدَتْ

الشّعر والغناء لإبراهيم بن المهدىّ رَمَلٌ بالبنصر . وفيه هَزَجٌ بالبنصر، ذكر عمرو ابن بانة أنه لإبراهيم الموصلىّ، وذكر غيرُه أنه لإبراهيم بن المهدىّ .

صوت

ألَا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقَى من الهوى * عَشِيرَ الذى أَلْقَى فيلتئمَ الحبُّ

وِصالُكُمُ صَدٌّ وقربُكُمُ قِلًى * وعطفكمُ سُخْطٌ وسِلْمُكُمُ حَرْبُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لإبراهيم .

شعره فى باقة نرجس غنى به المعتصم

وقال ابن أبى طاهر حدّثنى المؤمّل بن جعفر قال : سمعتُ أبى يقول : كانت فى يد المعتصم باقةُ نرجس فقال لإبراهيم بن المهدىّ : ياعَمِّ قل فيها أبياتاً وغنِّ فيها . فنكَت فى الأرض بقضيبٍ فى يده هنيهةً ثم قال :

صوت

ثلاثُ عيونٍ من النَّرْجِس * على قائمٍ أخْضَرٍ أمْلَسِ

يُذَكِّرْنَنِى طِيبَ ريّا الحبيب * فيَمْنَعْنَنِى لَذّةَ المجلس

وصنع فيه لحناً وغنّاه به، فأعجبه وأمَر له بجائزة . لحنُ إبراهيم فى هذين البيتين خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر، ذكر لى ذُكَاءُ وغيرُه ذلك .

---

(١) ريح صر : شديدة الصوت والبرد . (٢) كذا فى ا ، م وفى جـ : «والنأى عندكم» وفى سائر النسخ : « والشوق يغلبنى » .

غضب عليه المأمون وسجنه فاستعطفه حتى عفا عنه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد النّحوى عن الجاحظ، وأخبرنى به محمد بن يحيى الصّولىّ قال حدّثنا يَمُوتُ بن المُزَرّع عن الجاحظ قال:

أرسل إلىّ ثُمَامةُ[1] يوم جلس المأمونُ لإبراهيمَ بن المهدىّ وأمَر بإحضار الناس على مراتبهم لحضروا لجىء بإبراهيم، وأخبرنى عمّى قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثنى محمد بن عمرو الأنبارىّ من أبناء خُرَاسان قال:

٦٠ / ٩

لمّا ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدىّ أحبّ أن يوبّخه على رءوس النّاس. قال: فجِىءَ بإبراهيم يَحْجُل[2] فى قيوده، فوقف على طَرَف الإيوان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاتُه. فقال له المأمون: لا سلّم الله عليك ولا حَفِظك ولا رعاك ولا كَلأك يا إبراهيم. فقال له إبراهيم: على رِسْلك يا أمير المؤمنين! فلقد أصبحتَ ولِىَّ ثأرى، والقدرةُ تُذْهِبُ الحَفِيظةَ، ومن مَدَّ له الاغترارُ فى الأمل هجَمَتْ به الأناةُ على التّلف. وقد أصبح ذنبى فوق كلّ ذنب، كما أنّ عفوك فوق كلّ عفو ـــ وقال الحسن بن عُلَيْل فى خبره: وقد أصبحت فوق كلّ ذى ذنب، كما أصبح كلُّ ذى عفو دونك ـــ فإن تُعَاقِبْ فبحقّك، وإن تَعْفُ فبفضلك. قال: فأطرق مليًّا ثم رفع رأسَه فقال: إنّ هذين أشارا علىّ بقتلك. فالتفتَ فإذا المُعْتَصِم والعبّاس بن المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، أمّا حقيقة الرأى فى مُعْظَم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به وما غَشّاك إذ كان ما كان منّى، ولكنّ الله عوّدك من العفو عادةً جريتَ عليها دافعًا ما تخافُ بما ترجو، فكفاك الله. فتبسّم المأمون وأقبل على ثُمامة ثم قال: إنّ من الكلام ما يفوق الدرّ ويغلِب السِّحْر، وإن كلام عمّى منه، أَطْلِقوا عن عمّى

(١) ثمامة: هو ثمامة بن أشرس أبو معن النميرى أحد المعتزلة البصريين، ورد بغداد واتصل بهارون الرشيد وغيره من الخلفاء، وله أخبار ونوادر يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغيره. (انظر تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٤٥).

(٢) انظر فى هذا المقام الطبرى ق ٣ ص ١٠٧٦ طبع أوربا وتاريخ بغداد ج ٦ ص ١٤٤ طبع مصر.

حديده وردّوه إلى مكرّمًا . فلما ردّ إليه قال : يا عمّ صر إلى المنادمة وارجع الى الأنس ، فلن ترى منّى أبدًا إلّا ما تحبّ . فلمّا كان من الغد بعث إليه بدَرْج (١) فيه :

يا خيرَ مَن ذَمَلتْ يمانيَةٌ به * بعد الرسول لآيِسٍ أو طامِع
وأبرَّ مَنْ عبد الإلهَ على الهُدَى * نفسًا وأحكَمَه بحقٍّ صادع
عَسَلُ الفوراع ما أطعْتَ فإن تُهَجْ * فالموتُ فى جُرَع السِّمام النّاقع (٢)
متيقّظًا حَذِرًا وما يَخْشى العدا * نَبهانَ من وَسَنات ليلِ الهاجع
والله يعلم ما أقول فإنها * جَهْدُ الأَلِيّة من حَنيفٍ راكع
قَسَمًا وما أُدْلِى إليك بحُجّةٍ * إلّا التضرّعَ من محبٍّ خاشع
ما إن عصيتُك والغُواةُ تَمُدّنى * أسبابُها إلّا بنيّة طائع
حتى إذا عَلِقتْ حبائلُ شِقْوتى * بِرَدًى على حُفَر المهالك هائع (٣)
لم أدرِ أنّ لمثل ذنبى غافرًا * فأقمتُ أرقُب أىَّ حَتْفٍ صارعى
رَدّ الحياةَ إلىّ بعد ذَهابها * وَرَعُ الإمام القاهرِ المُتواضع
أحياك مَنْ ولّاك أطولَ مدّةٍ * ورَمى عدوَّك فى الوَتين بقاطع
إنّ الذى قَسَم الفضائلَ (٤) حازها * فى صُلْب آدم للإمام السابع
كم من يَدٍ لك لا تحدّثنى بها * نفسى إذا آلتْ إلىّ مطامعى
أسديتَها عفوًا إلىّ هنيئةً * فشكرتُ مُصْطَنعًا لأكرم صانع
ورحمتَ أطفالًا كأفراخ القَطا * وعَويلَ عانسةٍ كقوس النّازع
وعفوتَ عمّن لم يكن عن مثله * عفوٌ ولم يَشفَعْ إليك بشافع
إلّا العُلُوّ عن العقوبة بعد ما * ظفِرت يداك بمستكينٍ خاضع

(١) الدرج (بالفتح ويحرك) : ما يكتب فيه . (٢) رواية الطبرى :
* فالصاب يمزج بالسمام الناقع * (٣) الهائع هنا : المنتشر . (٤) فى الطبرى : «الخلافة» .

٦١ / ٩

قال: فبكى المأمون ثم قال: علىّ به، فأُتى به فخلَع عليه وحمَله وأمر له بخمسة آلاف دينار، ودعا بالفَرّاش فقال له: إذا رأيتَ عمّى مُقْبِلا فاطرَح له تُكَأَةً، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئا. ورُوى بعضُ هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمىّ فقال فيه: لمّا فرَغ المأمونُ من خطابه دفعه الى ٱبن أبى خالد الأَحْوَل[1] وقال: هو صديقك فخُذْه اليك. فقال: وما تُغْنِى صداقتى عنه وأميرُ المؤمنين ساخطٌ عليه! أمَا إنّى وإن كنتُ له صديقًا لا أمتنع من قول الحقّ فيه. فقال له: قُلْ فإنّك غيرُ متَّهم. قال وهو يُريد التَّسلُّقَ على العفو عنه[2]: إن قتلتَه فقد قتلتِ الملوكُ قبلَك أقلّ جُرْمًا منه، وإن عفوتَ عنه عفوتَ عمّن لم يُعْفَ قبلَك عن مثله. فسكت المأمونُ ساعةً ثم تمثّل:

فلئن عفــوتُ لأعْفُوَنْ جَلَلًا * ولئن سطوتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِى[3]

قَوْمِى هُمُ قتــلوا أُمَــيْمَ أخى * فإذا رميتُ أصــابَنى سَهْمِى

خُذْه يا أحمد اليك مُكَرّما. فٱنصرفَ به. ثم كتب الى المأمون قصيدتَه العينيّة. فلمّا قرأها رقّ له وأمر بردّه الى منزله[4] وردّ ما قُبِض منــه من أمواله وأملاكه. وفى خبر عمّى عن الحسن بن عُلَيْل قال: حدّثنى محمد بن إسحاق الأَشْعَرىّ عن أبى داود: أن المأمون تقدّم إلى محمد بن مزداد لمّا أطلَق إبراهيمَ أن يمنعه دارَى الخاصّــة والعامّة، ويُوكِّل به رجلا من قِبَله يَثِق به ليعرِّفه أخبارَه وما يَتكلّم به. فكتب إليه الموكَّل به أنّ إبراهيم لمّا بلغه منعُه من دارَى الخاصّة والعامّة تمثّل:

يا سَرْحةَ الماء قد سُدّت مَوارِدُهُ * أمَا إليك طريقٌ غيرُ مَسْــدُودِ[5]

(١) هو أحمد بن أبى خالد الأحــول أحد رجالات المأمون وموضع ثقتــه. (انظر الطبرى ق ٣ ص ١٠٣٨، ١٠٤٢، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٧٥). (٢) فى الأصول: «قال وهو يريد التسلق على العفو عنه فقال... الخ» وكلمة «فقال» لا موضع لها فى الكلام. (٣) هذا شعر الحارث بن وعلة الذهلى. (انظر أشعار الحماسة ص ٩٦ طبع أوربا). (٤) لعله: «منزلته». (٥) هذا الشعر لإسحاق الموصلى.

لِحَائِمٍ حامَ حتى لا حِيامَ له * مُحَلأٍ عن طريق الماء مَطْرود

فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرَّمًا و إنزاله فى مرتبته ؛ فصار إليه محمد فبشَّره بذلك وأمره بالرّكوب فركب . فلما دخل على المأمون قبَّل البساطَ ثم قال :

البِرُّ بِى منك وَطَّا العُذْرَ عندك لى * دون اعتذارى فلم تَعْذُلْ ولم تَلُمِ

وقام علمُك بى فاحتجّ عندك لى * مقامَ شاهدٍ عَدْلٍ غيرِ مُتَّهَمِ ٥

رددتَ مالى ولم تَمْنُنْ علىّ به * وقبل رَدِّك مالى قد حقنتَ دمى

تعفو بعَدْلٍ وتسطو إن سطوتَ به * فلا عَدِمناك من عافٍ ومُنْتَقِمِ

فبؤتُ منك وقد كافأتها بيد * هى الحياتان من موت ومن عَدَمِ

فقال له : اجلس يا عمّ آمنًا مطمئنًّا ، فلن ترى أبدًا منّى ما تكره ، إلا أن تُحْدِثَ حَدَثًا أو تتغيّر عن طاعة ؛ وأرجو ألّا يكون ذلك منك إن شاء الله . ١٠

بد أحمد بن يوسف الكاتب فى حسن المحاضرة

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثنى ابن حمدون عن أبيه قال :

كنت أُحِبّ أن أجمع بين إبراهيم بن المهدىّ وأحمد بن يوسف الكاتب بما كنت أراه من تقدُّم أحمد وغَلَبَته الناسَ جميعا بحفْظه و بلاغته وأدَبه فى كل مَحْضَر ومجلس . فدخلتُ يوما على إبراهيم بن المهدىّ وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية الجَزَرىّ ، فجعل إبراهيم يحدّثنا فيُضيف شيئًا إلى شىء ، مرّةً يُضْحكنا ومرّةً يَعِظُنا ١٥ ومرّة يُنْشدنا ومرة يُذَكّرنا ، وأحمد بن يوسف ساكت . فلما طال بنا المجلسُ أردتُ أن أخاطب أحمد ، فسبَقَنى إليه أبو العالية فقال :

٦٢/٩

مالكَ لا تَنْبَح يا كلب الدَّوْمْ * قد كنتَ نَبَّاحًا فما لك اليَوْمْ

فتبسّم إبراهيم ثم قال : لو رأيتنى فى يد جعفر بن يحيى لَرَحِمْتَنى كما رحمتَ أحمدَ منّى . ٢٠

أثنى عليه إسحاق

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال قال لى إسحاق: ليس فيمن يدّعى العلمَ بالغناء مثلُ إبراهيم بن المهدىّ وأبى دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلىّ. فقيل له: فأين محمد ابن الحسن بن مُصْعَب منهما؟ فقال: لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغى لك أن تقول: وكيف يُبْصر الغناء من نَشَأ بخُراسان لا يَسمع من الغناء العربىّ إلّا مالا يفهمه!.

٥

إقرار ابن بانة له ولإسحاق بالعلو فى فن الغناء

أخبرنى يحيى قال حدّثنى أبو العُبَيْس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال: رأيت إسحاق الموصلىّ يُناظر إبراهيم بن المهدىّ فى الغِناء، فتكلّما فيه بما فَهِماه ولم نفهم منه شيئا. فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغِناء ما نحن منه فى قليل ولا كثير.

فضل المأمون غناءه على غناء إسحاق فى شعر للأخطل

١٠

أخبرنى عمّى عن علىّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون: أنّ المأمون قال لإسحاق: غَنِّنى لحنَك فى شعر الأخطل:

يا قَلّ خيرُ الغَوانِى كيف رُغْنَ به * فشِرْبُهُ وَشَلٌ منهنّ تَصْرِيدُ[1]

فغنّاه إيّاه فآستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن المهدىّ: هل صنعتَ فى هذا الشعر شيئا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهاته؛ فغنّاه فآستحسنه المأمون وقدّمه على صنعة إسحاق، ولم يدفع إسحاقُ ذلك.

١٥

علمه إسحاق لحنا طرب له الأمين وقصة ذلك

أخبرنى أبو الحسن علىّ بن هارون بن علىّ بن يحيى الموصلىّ قال ذكر أبى عن جدّى عن عبد الله بن عيسى الماهانىّ قال:

دخلتُ يوما على إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ فى حاجة، فرأيتُ عليه مُطْرَفَ خَزّ أسود ما رأيت قطُّ أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا فى أمر المِطْرف فقال: لقد كانت

(١) كذا فى ديوان الأخطل (طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩١ م). وفى الأصول: «لشربة». والشرب (بالكسر) هنا: الحظ من الماء. والوشل هنا: القليل. والتصريد: السقى دون الرى. يريد بهذا الشطر أن حظه منهن قليل.

٢٠

لكم أيّامٌ حسنة ودولةٌ عجيبةٌ، فكيف ترى هذا؟ فقلت له : ما رأيتُ مثلَه . فقال : إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب. فقلت له : ما أُقوِّمه إلّا نحوًا من مائة دينار. فقال إسحاق : اِسمع حديثَه : شرِبنا يومًا من الأيّام، فبتّ وأنا مُثخَن، فآنتبهت لرسول محمد الأمين، فدخل علىّ فقال لى : يقول لك أمير المؤمنين عجِّل إلىّ — وكان بخيلا على الطعام فكنتُ آ كُل قبل أن أذهب اليه — فقمتُ فتسوّكتُ وأصلحتُ أمرى، وأعجَلنى الرسول عن الغداء. فدخلت عليه و إبراهيم بن المهدىّ جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وجُبّة خزّ دَكْناء . فقال لى محمد : يا إسحاق تغدّيتَ ؟ فقلت : نعم يا سيّدى . فقال : إنّك لَنَهِمٌ، أهذا وقت غَدَاء! فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبى خُمَار، فكان ذلك ممّا حَدَانى[1] على الأكل . فقال لهم : كم شَرِبنا؟ فقالوا : ثلاثة أرطال . فقال : آسقوه مثلَها . فقلت : إن رأيتَ أن تفرّقها علىّ ! فقال : تُسْقَى رِطلين ورِطلًا . فدُفِع إلىّ رِطلان فجعلتُ أشربهما وأنا أتوهّم أنّ نفسى تَسيل معهما، ثم دُفع إلىّ رطلٌ آخر فشربتُه فكأنّ شيئا آنجلى عنّى . فقال غنِّنى :

كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أكثر ناصرًا * وأيْسَرَ جُرْمًا منك ضُرِّج بالدّمِ

فغنّيتُه؛ فقال : أحسنتَ وطرِب. ثم قام فدخل . وكان يفعل ذلك كثيرا، يدخل إلى النساء ويدَعُنا. فقمتُ فى أثر قيامه فدعوتُ غلامًا لى فقلت : آذهب إلى منزلى وجئنى ببزْماوَرْدَتين[2] ولُفّهما فى منديل وآذهب رَكْضًا وعجِّل . فمضى الغلامُ فجاءنى بهما . فلما وافى البابَ ونزل عن الدّابة آنقطع البِرْذَوْنُ فنَفَق من شدّة ما رَكَضه، فأدخَل إلىّ البزْماوَرْدَتَين فأكلتُهما ورجَعتْ الىّ نفسى وعُدْتُ الى مجلسى. فقال

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « جرأنى » .
(٢) البزماورد : طعام يسمى « لقمة القاضى » و « فخذ الست » و « لقمة الخليفة »، وهو مصنوع من اللحم المقلى بالزبد والبيض . (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ١٧٣ حاشية ٣) .

لى إبراهيم : إن لى إليك حاجة أُحبّ أن تقضيها لى . فقلت : إنما أنا عبدُك وآبن عبدك ، قل ما شئتَ . قال : تَرُدّ علىّ :

* كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا *

وهذا المِطْرَفُ لك . فقلت : أنا لا آخُذ منك مِطْرفًا على هذا ، ولكنّى أصير إليك إلى منزلك فألقيه على الجوارى وأردّه عليك مرارًا . فقال : أُحبّ أن تردّه علىّ الساعةَ وأن تأخذَ ٥ هذا المطرفَ فإنه من لُبْسك ومن حاله كذا وكذا . فرددتُ عليه الصوتَ مرارًا حتى أخذه . ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء بجلس ثم قعدنا ، فشرب وتحدّثنا . فغنّاه إبراهيم :

* كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا *

فكأنّى والله لم أسمعه قبل ذلك حسنًا ، وطرب محمد طربًا عجيبًا وقال : أحسنتَ ١٠ والله يا عمّ ! أَعْطِ يا غلام عَشْرَ بِدَرٍ لعمّى الساعةَ . فجاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إنّ لى فيها شريكًا . قال : ومن هو؟ قال : إسحاق . قال : وكيف؟ قال : إنما أخذتُه الساعةَ منه لمّا قمتَ . فقلت له : ولِمَ ! أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى يُشركك فيما تُعطاه ! قال : أمّا أنا فأُشْرِكك وأميرُ المؤمنين أعلم . فلما آنصرفنا من المجلس أعطانى ثلاثين ألفا وأعطانى هذا المطرف . فهذا أُخذ به مائة ألف درهم ١٥ وهى قيمتُه .

حج مع الرشيد ، وقصته مع جارية رآها

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال لى إبراهيم بن المهدىّ :

حَجَجْتُ مع الرشيد ، فلما صرنا بالمدينة خرجتُ أدور فى عَرَصاتها ، فآنتهيت إلى بئر وقد عَطِشتُ وجاريةٌ تستقى منها ، فقلت : يا جارية ، آمْتَحِى لى دَلْوًا . فقالت : ٢٠ أنا والله عنك فى شُغْل بضَرِيبة مَوَالِىَّ علىّ . فنقرتُ بسوطى على سَرْجى وغنّيتُ :

صــــوت

رام قلبى السُّلُوَّ عن أسماءِ * وتعزَّى وما به من عَزاءِ
سُخْـنةٌ فى الشتاء باردةُ الصيـ * ـف سِراجٌ فى الليـلة الظلماء
كفِّنانى إن مُتُّ فى دِرْع أَرْوَى * وآمْتَحا لِى من بئر عُرْوةَ مائى

— الشّعر للأحوص . والغناء لمعبد رَمَلٌ مُطْلَق فى مَجْرى الوسطى عن إسحاق —
وتمـام هذه الأبيات :

إنّى والذى تحُـجّ قـريشٌ * بيتَـه سالكين نَقْبَ كَدَاءِ (١)
لَمُـلِمٌّ بها وإن أُبْتُ منها * صادرًا كالذى وَرَدْتُ بـداءِ
ولهـا مَرْبَـعٌ ببُرْقـة خَاخٍ (٢) * ومَصِيـفٌ بالقصر قصرِ قُبَـاءِ
قلبتْ لى ظهـرَ المِجَـنّ فأمستْ * قـد أطاعت مقـالةَ الأعداءِ

ولمعبد أيضا فى البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأوّل والثانى خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشامىّ . ولابن سُرَيْج فى :

* ولهـا مَرْبَـعٌ ببُرْقـة خَاخٍ *
و * كفِّنانى إن متّ فى درع أَرْوَى *

رَمَلٌ عن الهِشامىّ أيضا . ولإبراهيم فى : «رام قلبى» وما بعده ثانى ثقيلٍ عن حَبَش —
قال إبراهيم بن المهدى فى الخبر : فرفعتِ الجـاريةُ رأسَها إلىّ فقالت : أتعرفُ بئرَ عُرْوةَ ؟ قلت لا . قالت : هذه والله بئر عُرْوة ، ثم سقَتْنى حتى رَوِيتُ ، وقالت : إنْ رأيتَ أن تُعيـده ففعلتُ ، فطربتْ وقالت : والله لأَحْمِلنّ قِرْبةً إلى رَحْلك ! . فقلت : آفعلى ، ففعلَتْ وجاءت معى تحملها . فلما رأتِ الجيشَ والخدمَ فزِعتْ . فقلت

(١) كداء : بأعلى مكة عند المحصب . (٢) برقة خاخ : قرب المدينة ، وكذلك قباء .

لها: لا بأس عليك! وكسوتُها ووهبتُ لها دنانيرَ وحبستُها عندى، ثم صرت الى الرشيد فحدّثته حديثَها، فأمر بآبتياعها وعِتقها؛ فما برِحتْ حتى آشترِيتْ وأُعتقت، وأخذتُ لها منه صلةً وآفترقنا .

حواره مع المأمون حين استعطفه بكلام سعيد بن العاص لمعاوية

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قالا حدّثنا محمد ابن يزيد النّحوىّ قال حدّثنا الفضل بن مروان قال :

لمّا أُدخِل إبراهيم بن المهدىّ على المأمون وقد ظَفِر به، كلّمه إبراهيم بكلام كان سعيد بن العاص كلّم به معاوية بن أبى سفيان فى سَخْطةٍ سخِطها عليه وآستعطفه به. وكان المأمون يحفظ الكلام، فقال له المأمون: هيهاتَ يا إبراهيم! هذا كلامٌ سَبَقك به فَحْلُ بنى العاص بن أُميّة وقارِحُهم سعيد بن العاص وخاطَب به معاوية . فقال له إبراهيم : مَهْ يا أمير المؤمنين (1) ؟ ! وأنت أيضا إن عفوتَ فقد سبقك فَحْلُ بنى حَرْب وقارِحُهم الى العفو، فلا تكن حالى عندك فى ذلك أبعدَ من حال سعيد عند معاوية، فإنّك أشرفُ منه، وأنا أشرف من سعيد، وأنا أقرب إليك من سعيد الى (2) معاوية، و إن أعظم الهُجْنة أن تسبِق أُميّةُ هاشمًا الى مَكْرُمة. فقال : صدقتَ يا عمّ، وقد عفوتُ عنك.

غضب عليه الأمين فاستعطفه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

جرى بين محمد الأمين و بين إبراهيم بن المهدىّ كلامٌ على النّبيذ، فوجَد عليه محمد. فلمّا كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بألْطافٍ فلم يقبلها؛ فوجّه إليه وصيفةً مليحة مغنّية معها عود معمول من عود هندىّ، وقال هذه الأبيات وغنّى فيها وألقاها عليها حتى أخذت الصنعةَ وأحكمَتْها، ثم وجّه بها اليه . فوقفت الجارية بين يديه وقالت له : عمّك وعبدُك يا أمير المؤمنين يقول لك — وآندفعتْ تغنّى بالشعر وهو — :

هَتَكْتَ الضميرَ بردِّ اللَّطَف * وكشّفتَ هجرَكَ لى فانْكَشَف

(1) فى ب، س : « فقال له ابراهيم فكان مه يا أمير المؤمنين » وكلمة « فكان » لا موقع لها فى الكلام . (2) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « عند » .

وإن كنتَ تُنكر شيئًا جرى * فَهَبْ للخلافة ما قد سَلَفْ

وجُدْ لى بصفحك عن زَلّتى * فبالفضل يأخذ أهلُ الشرف

قال : فسُرَّ محمدٌ بها ، و بعث إلى إبراهيم فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار وتمّم يومَه معه .

صالح جاريته صدوف

٥ أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرنى سعيد بن صالح الأَسَدىّ قال حدّثنى جعفر بن محمد الهاشمىّ قال حدّثنى بعض خدم إبراهيم بن المهدىّ قال :

كانت لإبراهيم بن المهدىّ جارية يقال لها صَدُوف، وكان لها من نفسه موضع . فحسدها جوار يه على محلّها منه ، فلم يَزَلْن يُبلغنه عنها مايكْره حتى غضب عليها وجفاها أياما ، ثم شقّ ذلك عليه واغتمّ به ، ولم يطب نفسًا بمراجعتها وصُلْحها . فدخل عليه

١٠ الأعرابىّ أخو مُعَلّة صاحبة الفضل بن الربيع ، وكان حسنَ الشِّعْر حُلْو اللفظ فصيحًا ، وكان إبراهيم يأنس به ، فقال له : مالى أرى الأمير منكسرًا منذ أيّام ؟ فأمسك . فقال : قد عرفتُ حالَ الأمير وقلتُ فى أمره أبياتًا إن أذن لى أنشدتُه إيّاها . فتبسّم وقال : هات ؛ فأنشده :

٦٥ / ٩

أَعَتَبْتَ أم عتبتْ عليك صَدُوفُ * وعتابُ مثلك مثلَها تشريفُ

١٥ لا تَقْعُدنّ تلوم نفسَك دائبا * فيها وأنتَ بحبّها مشغوف

إن الصَّريمة لا يَنُوء بحَمْلها * إلّا القوىّ بها وأنت ضعيف

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتى دينار ، و بعث إلى صَدُوف فخرجتْ إليه ورضى عنها ، و بعثتْ إليه صَدُوفُ بمائة دينار .

قيل له تب واحرق دفاتر الغناء فقال ريق تحفظ كل غنائى

أخبرنى الحسين بن القاسم الكَوْكبىّ قال حدّثنى أحمد بن علىّ بن حُمَيْدة قال

٢٠ حدّثتنى رِيّقُ قالت :

مرِض إبراهيم بن المهدىّ مَرْضَةً أشرفَ منها على الموت، فجعل يتذكّر شغفه بالغِناء وما سلَف له فيه ويتندّم عليه . فقال له بعض مَنْ حضر : فتُبْ وأحرِقْ دفاترَ الغِناء . فحرّك رأسه ساعة ثم قال : يا مجانين! فهبْنى أحرقتُ دفاتر الغِناء كلَّها ، رَبِّقُ أَيْش أعمَل بها ؟ أأقتلُها وهى تحفَظ كلَّ شىء فى دفاتر الغناء ! ! .

رأى عليا فى النوم

أخبرنى جعفر بن قُدَامة والحسين بن القاسم الكَوْكَبىّ قال حدّثنى المُبَرّد عن أحمد بن الربيع عن إبراهيم بن المهدىّ قال : ٥

رأيتُ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنـه فى النوم، فقلت له : إن الناس قد أكثروا فيك وفى أبى بكر وعمر، فما عندك فى ذلك ؟ فقال لى : إخْسَأ ! ولم يَزِدْنى على ذلك . وأخبرنى الكَوْكَبىّ بهذا الخبر عن الفضل بن الرّبيع عن أبيه قال :

كان إبراهيم شـديدَ الانحراف عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فحدّث المأمونَ يومًا أنه رأى عليًّا فى النوم، فقال له : من أنت؟ فأخبره أنه علىّ بن أبى طالب. ١٠ قال : فمشَيْنا حتى جئنا قنطرةً فذهب يتقدّمنى لعبورها، فأمسكتُه وقلت له : إنما أنت رجلٌ تَدّعى هذا الأمر بامرأة ونحن أحقّ به منك! فما رأيتُ له فى الجواب بلاغةً كما يُوصف عنه . فقال : وأىَّ شىء قال لك ؟ فقال : ما زادنى على أن قال سلامًا سلامًا . فقال له المأمون : قد والله أجابك أبلغَ جواب . قال : وكيف؟ قال : عرَّفك ١٥ أنك جاهلٌ لا يُجاوَب مثلُك، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ . فخجِل ابراهيم وقال : ليتنى لم أحدّثك بهذا الحديث .

تمنى له الأمين طول العمر

أخبرنى الكَوْكَبىّ قال حدّثنى المفضَّـل بن سَلَمة عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدىّ عن أبيه قال :

قلت للأمين يوما : يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداءك ! فقال : بل جعلنى الله ٢٠ فداءك، فأعظمتُ ذلك . فقال : يا عمّ لا تُعظِمْه فإنّ لى عمرًا لا يزيد ولا يَنْقُص،

لحياتى مع الأحبّة أطيبُ من تجرُّعى فقدَهم ، وليس يضرّنى عيش من عاش بعدى منهم .

غنى للأمين لحنا فطرب وطلب إليه أن يلقنه إحدى جواريه، وقصة ذلك

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال حدّثنى أبى قال :

كنت يومًا بين يدَىِ الأمين أغنّيه، فغنّيته :

٥

صــــوت

أَقْوَتْ منازلُ بالهضابِ * من آل هند والرَّبابِ

خطّـــارة بزمامهــا * وإذا وَنَتْ ذُلُلُ(١) الرِّكاب

تَرْمِى الحصـا بمَنَـاسِمٍ * صُمٍّ صَلادِمَةٍ صِلاب

قال : فآستحسن اللّحنَ وسألنى عن صانعه، فعرّفته أن آبن جامع حدّثنى عن سِيَاط

١٠ أنه لآبن عائشة، فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزه، ثم آنصرفنا ليلتَنا تلك. ووافانى رسوله حين آنتبهت من النوم وأنا أستاك، فقال لى : يقول لك : بحياتى يا عمّ لا تَشْتغِلْ بعد الصلاة بشىء غير الركوب الىّ . فصلّيتُ وتناولتُ طعامًا خفيفًا وأنا ألبسَ ثيابى خوفًا من رجوع رسوله، وركِبتُ إليه . فلما رآنى من بعيد صاح بى : يا عمّ بحياتى :

* خطّـارة بزمامهـا *

١٥ فلمّا دخلت المجلس آبتدأته وغنّيته، فأمر باحضار صَبِيّة كان يتحظّاها، فأخرِجَتْ إلىّ صبيّةٌ كأنها لؤلؤة فى يدها العود . فقال : بحياتى يا عمّ ألقِه عليها ! فأعدتهُ مرارًا وهو يشرب، حتى إذا ظننتُ أنها قد أخذته أمرتُها أن تغنّيه فغنّته، فإذا هو قد آستوى لها إلّا فى موضع كان فيه وكان صعبًا جدًّا فجَهَدتُ جَهدى أن يقع لها طلبًا لمَسَرّته، وكان حقيقًا منّى بذلك، فلم يقع لها البتّةَ. ورأى جهدى فى أمرها وتعذُّره عليها، فأقبل عليها

٦٦ / ٩

(١) ذلل : جمع ذلول وهو السهل المنقاد من الناس والدواب، الذكر والأنثى فيه سواء .

٢٠

وقد سَكِر ثم قال : نُفيتُ من الرشيد وكلُّ أَمَةٍ لى حُرَّةٌ وعلىَّ عهدُ الله لئن لم تأخُذِيه فى المرّة الثالثة لآمُرنّ بالقائك فى دِجْلة ! قال : ودِجلةُ تطفَح وبيننا وبينها نحو ذراعين وذلك فى الربيع ، فتأملتُ القصّة ، فاذا هو قد سَكِر ، وإذا الجارية لاتقوله كما أقوله أبدًا . فقلت : هذه والله داهية ، ويتنغّص عليه يومُه وأُشْرَكُ فى دمها ، فعدَلْتُ عمّا كنتُ أغنِّيه عليه وتركتُ ما كنت أقوله ، وغنّيته كما كانتْ هى تقوله ، وجعلتُ أُردّده حتى انقضت ثلاثُ مرّات أُعيده فيها على ما كانت هى تقوله ، وأريتُه أنّى أجتهد . فلما انقضت الثلاث المرّات قلت لها : هاتيه الآن ، فغنّته على ما كان وقع لها . فقلت : أحسَنَتْ يا أمير المؤمنين ، وردّدتُه معها ثلاث مرّات ، فطابت نفسُه وسكَن ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم . قال جَحْظةُ : وقد لَحِقنى مثلُ هذا ، فإنّ طَرْخانَ[1] ابن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسن صوتًا غنّيته وهو :

حدث لجحظة مع طرخان ما حدث له هو مع الأمين

أعايِنُ الشّادِنَ الرَّبيبُ * أكتُب أشكو فلا يُجيبُ

من أين أبغى شفاءَ دائى * وإنما دائىَ الطَّبيب

— ولحنُه رَمَلٌ — فقال : أُحبّ أن تطرَحه على زُهْرةَ جاريتى ، فكنتُ أتردّد إليها شهرًا وأكثر وأُرَدِّده عليها وهو يَصِلُنى ويخلَع علىّ ويُعطينى كلَّ شىء حسن يكون فى مجلسه ، فلا تأخذه منّى ولا يقع لها . فلمّا كان بعد شهر قلت له : أيُّها الأمير قد والله استَحْييتُ من كثرة ما تُعطينى بسبب هذا الصوت ، وقد أعيانى أن تأخذه زُهْرةُ ؛ ثم حدّثته حديثَ إبراهيم بن المهدىّ وقلت له : لولا أنّى آمَنُك عليها لقلتُه أنا كما تقوله هى حتى نتخلّص جميعا . وليس وحياتِك تأخذه أبدًا كما أقوله ولا فيه حيلة . فقال لى : فدَعْهُ إذًا .

(١) كان من الأمراء . (انظر الكلام عليه فى صلة تاريخ الطبرى ص ٦٣) .

غنى بحضرة المأمون لحنا أراد ابن بسخنر أن يأخذه عنه فضلله

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيم قال حدّثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

غنّى إبراهيم بن المهدىّ يومًا بحضرة المأمون :

صـــوت

٥ يا صاح ياذ الضّـامرِ العَنْسِ * والرَّحْلِ ذى الأنْساعِ والحِلْسِ

أمّا النَّهـارُ فأنت تقطعُـــه * رَتْكًا وتُصبح مثـلَ ما تُمسى

— فى هذين البيتين لحن لمـالك خفيفُ ثقيلٍ عن يونسَ والهشامىّ . قال : ولمعبد فيه ثقيل أوّل ، وقد نسب قومٌ لحنَ كلٍّ واحد منهما الى الآخر . قال محمد بن الحارث ابن بُسْخُنَّر فى الخبر : واللحن لمالك بن أبى السَّمْح وهو من قِصاره ، هكذا فى الخبر —

٦٧/٩

١٠ قال : فآستحسنه المأمون ، وذهبتُ آخذه ، ففطِنَ لى إبراهيم بَفعل يزيد فيه مرّةً وينقُص منه أخرى بزوائده التى كان يعملُها فى الغناء ، وعلمتُ ما هو يصنع فتركتُه . فلمّا قام قلت للمأمون : يا سيّدى إن رأيتَ أن تأمر إبراهيم أن يُلْقِى علىّ :

* يا صاح ياذا الضّامرِ العَنْسِ *

قال : أفْعَلُ . فلما عاد قال له : يا إبراهيم أَلْقِ على محمد :

١٥ * يا صاح ياذا الضّامرِ العَنْسِ *

فألقاه علىّ كما كان يغنّيه مُغيَّراً ، ثم آنقضى المجلس وسكِر المأمون . فقال لى إبراهيم : قم الآن فأنت أحذقُ الناس به ، فخرجتُ وخرج . ثم جئتُه الى منزله فقلت له : ما فى الأرض أعجبُ منك ! أنت آبن الخليفــة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة تبخل على ولىٍّ لك مثلى لا يُفاخرك بالغناء ولا يكاثرك بصوت ! ! فقال لى : يا محمد ما فى الدنيا

٢٠ أضعف عقلًا منــك ! والله ما آستبقانى المأمون محبّةً لى ولا صِـلةً لرَحِمى ، ولكنه سمع من هذا الجِرْم شيئا فقَده مِنْ سواه فآستبقانى لذلك . فغاظنى فعلُه . فلما دخلت

على المأمون حدّثتُه بما قال لى . فقال المأمون : يا محمد هذا أكفر الناس لنعمة ! وأطرق ملياً ثم قال لى : لا نكدّرُ على أبى إسحاق عَفْوَنا عنه ولا نقطع رَحِمَه ، فدَعْ هذا الصوتَ الذى ضَنَّ به عليك الى لعنة الله .

قال بيتا يكيد به لدعبل

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى محمد بن يزيد قال :

٥

قلت لدِعْبِل : بالله أسألك أنت القائل :

كذلك أهلُ الكهف فى الكهف سبعةٌ * إذا حُسِبوا يوماً وثامنُهم كلبُ

فقال : لا والله! فقلت : مَنْ قاله ؟ قال : مَنْ حشا الله قبره نارًا إبراهيمُ بن المهدىّ ، كافأنى بذلك عن هجائى إيّاه ليُشيط[1] بدمى .

خطأ مخارقا فى لحن غناه للمأمون ثم لقنه إياه على وجهه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى محمد بن الحارث ابن بُسْخُنَّر قال :

١٠

لمّا رَضى المأمون عن إبراهيم بن المهدىّ ونادمه ، دخل عليه متبذِّلًا فى ثياب المغنّين وزيّهم . فلما رآه ضحك وقال : نزع عمّى ثيابَ الكِبْر عن مَنْكِبيه . فدخل وجلس ، وأمر المأمونُ بأن يُخلَع عليه فأُلْبِس الخِلَعَ . ثم ٱبتدأ مُخارق فغنّى :

صوت

١٥

خليلىّ من كَعْبٍ ألِمّا هُدِيتُما * بزينبَ لا يَفْقِدْكُما أبدًا كعبُ

من اليوم زُورَاها فإنّ مَطِيّنا * غداةَ غدٍ عنها وعن أهلها نُكْبُ[2]

فقال له إبراهيم : أسأتَ وأخطأتَ . فقال له المأمون : يا عمّ إن كان أساء وأخطأ فأَحْسِنْ أنتَ . فغنّى إبراهيم الصوت . فلمّا فرغ منه قال لمخارق : أَعِدْه الآن ، فأعاده فأَحْسَنَ . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه فى أوّل الأمر؟

(١) أشاط دمه وبدمه : أذهبه . (٢) نكب : مائلات ، واحدها أنكب ونكباء .

٢٠

قال : ما أَبْعَدَ ما بينهما ! فالتفت إلى مخارِق ثم قال : إنما مَثَلُك يا مُخارق مَثَل الثوب الوَشْيِ الفــاخر، إذا تغافل عنه أهــلُه سقط عليه الغبار فحال لونُه ، فاذا نُفِضَ عاد الى جوهره .

ساله الرشيد عن أحسن الأسماء وأسمجها فأجابه

أخبرنى جعفر بن قُدَامة(١) قال حدّثتنى شاريةُ الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدىّ قالت : سمعت مولاى إبراهيم بن المهدىّ يحدّث قال :

٥

كنتُ بين يَدَيِ الرشيد جالسًا على طَرَف حَرَّاقةٍ من حَرَّاقاته وهو يريد المَوْصِلَ وقــد بلغنا الى السودقانية، والمَدَّادون(٢) يَمُــدُّون السفن ، والشِّطْرَنْجُ بينى و بينــه ، والدَّسْتُ متوجِّهٌ له ، إذ أطرق هُنَيْهَةً ثم قال لى : يا بنَ أُمّ، ما أحسنُ الأسماء عندك ؟ قلت : محمدٌ اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أىّ شيء بعده؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين . قال : فما أسْمَجُ الأسماء؟ قلت : إبراهيم . فزَجَرنى ثم قال : ويحك! أتقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن! فقلتُ له : بشُؤْم هذا الاسم لَقِيَ من نَمْرُودَ ما لَقِيَ وطُرِح فى النار . قال : فإبراهيمُ ابن النبىّ صلى الله عليه وسلم؟ قلت : لا جَرَم أنه لم يُعَمَّرْ من أجله . قال : فإبراهيمُ الإمام؟ قلتُ بحرفة(٣) اسمه قتله مروان فى حَرَّان(٤) . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيمُ بن الوليد خُلِــع ، و إبراهيمُ بن عبد الله بن حسن قُتل ، وعمُّه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات ، وما رأيتُ والله أحدًا يُسمَّى

٦٨ / ٩

١٠

١٥

(١) فى ب ، س : «جعفر بن محمد بن قدامة» . وقد تقدم هذا الاسم فى رجال السند غير مرة .

(٢) ظاهر من السياق أنها موضع . (٣) كذا فى الأصول وهو تحريف والمعنى المراد واضح اذ هو يريد بشؤم اسمه أو نحو ذلك . (٤) فى بعض الأصول هكذا : « فى جراب النورة » وفى بعضها : «فى حراب النورة» وكلاهما تحريف . والمذكور فى كتب التاريخ : أن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس القائم بالدعوة العباسية قتله مروان بن محمد وهو فى سجنه بحران ، وقيل : إنه مات بالطاعون فيه ، وقيل : إنه مات مسموما . وحران مدينة عظيمة وهى قصبة ديار مضر على طريق الموصل والشام والروم . (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٢٤ — ٢٧ ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على «حران») .

٢٠

بهذا الاسم إلا قُتِل أو نُكِب أو رأيتُه مضروبًا أو مقذوفًا أو مظلومًا . ثم ما انقضى الكلام حتى سمعت ملّاحًا يصيح بآخر: مُدّ يا إبراهيم ياعاضّ بَظر أمّه مُدّ . فقلت له : أبَقِيَ لك شيءٌ بعد هذا ! ليس والله فى الدنيا ٱسم أشأم من إبراهيم والسلام . فضحك والله حتى أشفقتُ عليه .

غنى للمأمون لحنا عرض فيه بالحسن ابن سهل

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله الهشامىّ عن أبيه قال :

دخل الحسن بن سَهْل على المأمون وهو يشرَب، فقال له : بحياتى و بحقّى عليك يا أبا محمد إلّا شربتَ معى قَدَحًا، وصبّ له من نبيذه قَدَحًا . فأخذه بيده وقال له : مَنْ تُحِبّ أن يغنّيك؟ فأومأ إلى إبراهيم بن المهدىّ فقال له المأمون : غنّه ياعمّ ؛ فغنّاه :

* تَسْمَعُ للحَلْيِ وَسْواسًا إذا ٱنصرفتْ *

يعرِّض به لِما كان لحِقه من السوداء والآختلاط . فغضب المأمون حتى ظنّ إبراهيم أنّه سيُوقِع به ، ثم قال له : أبَيْتَ إلّا كفرًا يا أكفرَ خلقِ الله لنِعَمِه ! وٱلله ما حَقَن دمَك غيرُه ! ولقد أردتُ قَتْلَك فقال لى : إن عفوتَ عنه فعلتَ فعلًا لم يَسْبِقك إليه أحد ، فعفوتُ وٱلله عنك لقوله . أفحقُّه أن تعرِّض به ولا تَدَع كيدَك ولا دَغَلك ! أو أَنِفتَ من إيمائه إليك بالغناء ! . فوثب إبراهيم قائمًا وقال : يا أمير المؤمنين ، لم أَذْهَبْ حيث ظننتَ ، ولستُ بعائد ؛ فأعرض عنه .

غنى للمعتصم لحنا وسمعه أحمد بن أبى دواد قال للغناء بعد أن كان يجتنبه

أخبرنى الحسين بن القاسم الكَوْكَبِىّ قال حدّثنى جرير بن أحمد بن أبى دُواد قال حدّثنى أخى عن أبى قال :

كنت أتجنّب الغناء وأطْعَن على أهله وأذمّ لَهَجهم به ؛ فوجّه المعتصم إلىّ عند خروجه من مدينة السلام : اِلْحَقْ بى ؛ فلحِقتُ به بباب الشمّاسيّة ومعى غلامى زنقطة ، فوجدته قد رِكب الزورق ، وسمعت عنده صوتًا أذهلنى حتى سقط سوطى

من يدى ولم أشعر به، ثم ٱحتجتُ وقد أعْنَق بى بِرْذَونى أن أكُفّه بسوطى. فقلت لغلامى : هاتِ سوطَك؛ فقال : سقَط والله من يدى لمّا سمعتُ هذا الغناء. فغلَبنى الضَّحِكُ حتى بان فى وجهى. ودخلتُ الى المعتصم بتلك الحال. فلمّا رآنى قال لى : ما يُضحكك يا أبا عبد الله؟ فحدّثته، فقال: أتتوب الآن من الطعن علينا فى السماع؟ فقلت له : قَبْلَ ذلك مَنْ كان يُغَنّيك؟ قال: عمّى إبراهيم، كان يُغَنّينى :

إنّ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ * أَنْشَرَ المجدَ بعد ما كان ماتا

ثم قال : أعِدْه يا عمّ ليسمعه أبو عبد الله فإنى أعلم أنه لا يَدَعُ مَذهبَه. فقلت : بلى والله لأدَعَنّه فى هذا ولا لُمْتُك عليه. فقال : أمّا إذ[1] كانت توبتُه على يديك يا عمّ فلقد فزتَ بفخرها وعَدَلْتَ برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا.

٦٩ / ٩

فضله مخارق على نفسه وعلى إبراهيم الموصلى وابن جامع

حدّثنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى طَلْحة بن عبد الله الطَّلْحىّ قال حدّثنى الحسين بن إبراهيم[2] قال :

كنت أسأل مُخارقًا: أىُّ النّاس أحسنُ غناءً؟ فيُجيبنى جوابًا مجملًا حتى حففْتُ[3] عليه يومًا قال : كان إبراهيم الموصلىّ أحسنَ غناءً من ٱبن جامع بعَشْر طبقات، وأنا أحسن غناءً من إبراهيم الموصلىّ بعشر طبقات، وإبراهيمُ بن المهدىّ أحسنُ غناءً منّى بعشر طبقات. قال ثم قال لى : أحسنُ الناس غناءً أحسنُهم صوتًا، وإبراهيم بن المهدىّ أحسنُ الجنّ والإنس والوحش والطير صوتًا، وحسبُك هذا.

سمع إسحاق الموصلى صوتا من لحنه وشعره فطرب له واستعاده عامة يومه وقصة ذلك

حدّثنى علىّ بن هارون المُنَجِّم قال حدّثنى محمد بن أحمد بن علىّ بن يحيى قال سمعت جدّى علىّ بن يحيى يقول حدّثنى محمد بن الفضل الجَرْجَرائى[4] قال :

(١) كذا فى جـ. وفى سائر الأصول: «إذا» وهو تحريف. (٢) فى ب، س : «الحسين ابن ابراهيم بن رياح» وورد فى الأصول المخطوطة كما أثبتناه. (٣) يقال حفه القوم و به وحواليه اذا أحدقوا به وأطافوا وعكفوا، فلعله يريد هنا حتى أحدقت به مضيقا عليه بالجواب. (٤) كذا فى الطبرى (ق ٣ ص ١٣٧٩، ١٤٠٧، ١٥١٤) وفى الأصول : «الجرجانى» وهو تحريف.

انتبهتُ يومًا مُغلِّسًا، فدخل إلىّ الغلامُ فقال لى : إسحاق الموصلىّ بالباب قبل أن أُصلِّى الغداةَ . فقلت : يدخل، فى الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق ! فدخل فقال : حملنى الشوقُ اليك على أن بَكَرتُ هذا البُكور، وقد حملتُ معى نبيذى وعملتُ على المُقام عندك . فقلت : مرحباً بك وأهلاً . ودعوت طبّاخى فسألته عمّا فى المطبخ، فذكر أشياء يَسيرةً، منها قطعةُ جَدْيٍ وطَبَاهِجُ[1] ودُرَّاجٌ معلّق . فقال : ما أُريد غيرَ ذلك، هاتِه الساعةَ . فقلت للطبّاخ : عَجِّلْ بإحضاره، وعملتُ على الأكل معه وعلى أن نأخذ فى شأننا . فدخل حاجبى فقال : رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم[2] بالباب، وإذا فُرانِقٌ يذكر أنه وجّه به الى محمد بن الفضل ليُحْضِرَه . قال فقال لى إسحاق : قم فى حفظ الله واجتهد فى أن تتعجّل . قال : فتقدّمت الى الخادم بإخراج الجوارى اليه ووَضْعِ النَّبيذ بين يديه، ولبستُ ثيابى وخرجت وركبت . فلمّا سِرتُ قليلا قلت فى نفسى : أنا أخْسَرُ النّاس صفقةً إن تركتُ إسحاقَ بن إبراهيم الموصلىّ فى منزلى ومضَيْتُ إلى إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبىّ، ولا أدرى ما يُريد منّى . فقلت لفُرانِق : هل لك فى خير؟ قال : وما هو؟ قلت : تأخذ ثلاثين درهما وتمضى فتقول : إنك وجدتنى شاربَ دواءٍ . قال نعم . فدفعتُ اليه ثلاثين درهما، وختمتُ له خَتْمًا ورجعت . فقال لى إسحاق : أسرعتَ الكرّةَ، فأخبرته بما صنعتُ، فقال وُفِّقتَ . فجلست وكان يأكل فأكلت معه، فأخذنا فى شأننا . وخرج الخورى ... معه حتى مرّ صوت إبراهيم بن المهدىّ فى شعره وهو :

جَدَّدَ الحبُّ بَلَايَا * أمرُها ليس يسيرا

(١) الطباهج : الكباب . (فارسى معرب) . والدراج : ضرب من الطير يطلق على الذكر والأنثى .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم المصعبى حاكم بغداد فى أيام المأمون والمعتصم والواثق، وهو من أرباب المكانة العالية فى الرواية والأدب ونقد الغناء . (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب التاج للجاحظ ص ٣١) .

— ولحنه من الثقيل الثانى — قال: فطرب إسحاق طرباً ما رأيته طرب مثله قط، وعجب من إحسانه فى صنعته وجودة قسمته، ولم يزل صوتنا يومنا أجمع لا نغنى غيره حتى شرب إسحاق قطرميزه[1]، وفيه من المشمس[2] الذى كان يشربه ثلاثة عشر رطلا، وكلما حضرت صلاة قام إسحاق يصلى بنا، فصلى بنا العتمة وقد فنى قطرميزه فشرب من نبيذى رطلين على الصوت. قال: وكان محمد بن الفضل ينزل بسوق الثلاثاء و إسحاق ينزل على نهر المهدى. وقد وزر محمد بن الفضل للمتوكل قبل عبيد الله بن يحيى.

نسبة هذا الصوت

٧٠/٩

جدد الحب بلايا * أمرها ليس يسيرا
كبر الحب وقدما * كان إذ حل صغيرا
ذلل[3] الحب رقابا * كان أدناها عسيرا
ليس لى من حب إلفى * غير حرمانى السرورا

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدى ثانى ثقيل.

أحب جارية عند بعض أهله وقال فيها شعرا

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى محمد بن موسى بن حماد قال حدثنى عبد الوهاب بن محمد بن عيسى قال:

استتر إبراهيم بن المهدى عند بعض أهله من النساء، فوكلت بخدمته جارية جميلة وقالت لها: إن أرادك لشىء فطاوعيه وأعلميه ذلك حتى يتسع له، فكانت توفيه حقه فى الخدمة والإعظام ولا تعلمه بما قالت لها، فجل مقدارها فى نفسه الى أن قبل يوما يدها، فقبلت الأرض بين يديه. فقال:

يا غزالا لى إليه * شافع من مقلتيه

(١) القطرميز: قلة كبيرة من الزجاج، فارسى معرب. (٢) كذا فى ج ولعله يعنى به نبيذا من الأنبذة صنع فى الشمس. وفى أ، م: «المشمشى». وفى ب، س: «المشمش».
(٣) فى أ، م: «ملك».

والذى أجللتُ خدَّ * يه فقبَّلتُ يديْه
بأبى وجهُك ما أكـ * ـثر حُسّادى عليه
أنا ضيفٌ وجزاءُ الضَّـ * ـيف إحسانٌ إليه

قال : وعمل فيه بعد ذلك لحنًا فى طريقة الهَزَج .

غنى المأمون بشعر له وكان يخشى بطشه فرق له وأمنه

وقال أحمد بن أبى طاهر :

غَنَّى إبراهيم بن المهدىّ يوما والمأمون مُصْطَبِحٌ ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكُّره :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منّى * هَوَى الدهرُ بى عنها وولّى بها عنّى

فـرَقّ له المأمون لمّـا سمعه ، وقال له : والله لا تذهب نفسُـك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين ، فَطِبْ نفسًا ؛ فإنّ الله قد أمَّنك إلّا أن تُحْدِث حَدَثًا يشهد عليك فيه عَدْلٌ ، وأرجو ألّا يكون منك حَدَثٌ إن شاء الله .

نسبة هذا الصوت

صوت

ذهبتُ من الدّنيا وقد ذهبتْ منّى * هوى الدّهرُ بى عنها وولّى بها عنّى
فإن أَبْكِ نفسى أَبْكِ نفسًا نفيسةً * وإن أَحْتَسِبْها أَحْتَسِبْها على ضَنّ

الشّعر والغناء لإبراهيم بن المهدىّ ثانى ثقيل بالوسطى . وهذا الشعر قاله إبراهيم ابن المهدىّ لمّـا أخرج الجُنْدُ عيسى بن محمد ابن أخى خالد من الحبس (1) ، وله فى ذلك خبر طويل ، وقـد شَرَطْنا ألّا نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء .

وفى هذه القصيدة يقول :

(1) كان من القوّاد ، وقد ناصر إبراهيم بن المهدى فى وثوبه على الخلافة ، وكان من وجوه شيعته ثم غضب عليه وأمر بضربه وحبسه لخيانة ظهرت منه . (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ١٠٠٢ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠١١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٣٠ — ١٠٣٤) .

وأَفْلَتَــنِى عيسى وكانت خديعــةً * حَلَلْت بهــا مُلْكِى وفَآتَتْ بهـا سِنِّى

قال ٱبن أبى طاهر وحدّثنى أبو بكر بن الخصيب قال حدّثنى محمد بن إبراهيم قال: غنّى إبراهيم بن المهدىّ يومًا عند المأمون فأحسن، وبحضرة المأمون كاتبٌ لطاهر ٥ يُكْنَى أبا زيد، فطرب حتى وثب فأخذ طرَف ثوب إبراهيم فقبّله . فنظر إليه المأمون مُنكِرًا لفعله . فقال ما تنظر! أُقَبِّلُه والله ولو قُتِلتُ عليه! فتبسّم المأمون وقال: أَبَيْتَ إلّا ظَرْفًا .

١١/٩

أراد الحسن بن سهل أن يضع منه فعرض هو به

قال ٱبن أبى طاهر وحدّثنى علىّ بن محمد قال سمعتُ بعض أصحابنا يقول :

اجتمع إبراهيم بن المهدىّ والحسن بن سَهْل عند المأمون ؛ فأراد الحسنُ أن يَضَع(١) من إبراهيم فقال له : يا أبا إسحاق أىّ صــوت تغنّيه العرب أحسنُ ؟ يريد ١٠ بذلك أن يُشَهِّر إبراهيمَ بالغناء والعلم به . فقال إبراهيم : بيت الأعشى :

* تَسْمَع للحَلْيِ وَسْواسًا اذا ٱنصرفتْ *

أى إنك مُوَسْوِس، وكان بالحَسَنِ شىءٌ من هذا .

غنت مغنيــة بحضرته فداعبها

أخبرنى عمّى عن جَدّى عن علىّ بن يحيى المنجِّم قال :

غنّت مُغَنِّية و إبراهيم بن المهدىّ حاضر :

* مَنْ رأى نُوقًا غدَتْ سَحَــرا *

١٥ فقال إبراهيم : أنا رأيتُ هذا . قيل له : وأين رأيتَــه أيها الأمير ؟ قال : رأيتُ ولد علىّ بن رَيْطة يَمضون فى السَّحَر الى الصيد .

سمعته رومية أعجميــة فبكت تأثرا من صوته

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ قال حدّثنى بعضُ الكُتّاب عن رَيِّق قالت :

---

٢٠ (١) فى ب ، س : «يسمع» وهو تحريف .

خرجتُ يوما الى سيّدى (تعنى إبراهيم بن المهدىّ) وقد صنع لحنه فى :

و إذا تُباع كريمةٌ أو تُشترى * فسواك بائعُها وأنت المُشترِى

و إذا صنعتَ صنيعةً أتممتَها * بيـدين ليس نَداهمـا بمُكدَّرِ

وجاريةٌ لنا روميّـة أعجميّة لا تُفصِح فى أقصى الدار تكنُس، وهو يطرح الصوت على شارية، والأعجميّة تبكى أحرَّ بكاء سمعتُه قطّ ، فجعلتُ أعجَبُ من بكائها وأنظر اليها حتى سكتَت، فلما سكت قطَعتِ البكاء. فعلِمتُ أنّ هذا من غَلَبته بحسن صوته لكل طبعٍ فصيحٍ وأعْجميٍّ .

غنى الأمين صوتا فأجازه

أخبرنى الحسين بن يحيى وابن المكّىّ وآبن أبى الأزهر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

غنّى إبراهيم بن المهدىّ ليلةً محمّدا الأمين صوتًا لم أَرْضَه فى شعر لأبى نُوَاس وهو :

ياكثيرَ النَّوْح فى الدِّمَنِ * لا عليها بل على السَّكَنِ

سُـنّةُ العُشّاق واحدةٌ * فإذا أحببتَ فآستكِنِ

ظَنّ بى من قد كَلِفتُ به فهو يجفونى على الظَّنَنِ

رَشَأٌ لـولا ملاحتُـه * خَلَتِ الدُّنيا من الفِـتَنِ

فأمر له بثلثمائة ألف درهم(١) . قال إسحاق فقال إبراهيم له : يا أمير المؤمنين قد أجَزْتَنى الى هذه الغاية بعشرين ألف درهم(٢). فقال: هل هى إلا خراج بعض الكُوَر! . هكذا ذكر إسحاق . وقد روى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال : لمّا أردتُ الآنصراف قال : أَوْقِروا زورق عمّى دنانيرَ، فآنصرفتُ بمال جليل .

كان يحسن الايقاع على الطبل والناى

أخبرنى أبو الحسن علىّ بن هارون قال ذكر لى أبو عبد الله الهشامىّ عن أهله قال قال إبراهيم بن المهدىّ — وقد خرج إلى ذكر الطَّبْل والإيقاع به — فقال إبراهيم :

(١) فى ب ، س : «دينار» . (٢) فى ب ، س : «بعشرين ألف ألف درهم هل هى الخ» .

هو من الآلات التى لا يجوز أن تُبلَغ نهايتُها. فقيل له : وكيف خُصَّ الطَّبل بذلك؟ فقال : لأن عمل اليدين فيه عملٌ واحد، ولا بُدّ من أن يَلحَق اليسارَ فيه تَقصٌ عن اليمين، ودعا بالطَّبل ليُرِيَنا كيف ذلك فأوقع إيقاعًا لم نكن نظنّ أن مثلَه يكون، وهو مع ذلك يرينا موضعَ زيادة اليمين على اليسار. قال وقال له الأمين فى بعض خَلَواته : ياعمّ أشتهى أن أراك تَزْمُر. فقال : يا أمير المؤمنين، ما وضعتُ على فمى نايًا قطّ ولا أضَعُه، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة — من موالى المهدىّ — حتى تَنفُخ فى النّاى وأُمِرّ يدى عليه. فأُحضِرتْ ووضَعَت النّاى على فيها وأمسكه إبراهيم، فكلما مَرّ الهواء أَمَرّ أصابعَه، فأجمع سائرُ من حضَر على أنه لم يَسمع مثلَه قطّ.

٧٢ / ٩

حسن ترجيعه فى لحن

وأخبرنى أبو الحسن علىّ بن هارون أيضا قال حدّثنى أبى قال حدّثنى عبيد الله ابن عبد الله وأبو عبد الله الهشامىّ قالا :

كان إبراهيم بن المهدىّ إذا غنّى لحنه :

هل تَطْمِسون من السماء نُجومَها * بأكفّكم أو تَسْتُرون هلالَها

فبلغ الى قوله :

* جبريلُ بلّغها النبىَّ فقالَها *

هزّ حَلْقه فيه ورجّعه ترجيعًا تتزلزل منه الأرضُ.

عنت متيم الهشامية لحنا فاختلس إيقاعه منها

أخبرنى محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ قال حدّثنى الهشامىّ قال :

كانت متيَّم الهشاميّة ذات يوم جالسة بين يدى المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدىّ حاضرٌ، فتغنّت متيّم فى الثقيل الأوّل :

* لزينبَ طيفٌ تَعترينى طوارقُهْ *

فأشار اليها إبراهيم أن تُعيده . فقالت متيّم للمعتصم : يا سيّدى إن ابراهيم يَستعيدنى الصوتَ وأظنّه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تُعيديه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضرًا بمجلس المعتصم وكانت متيّمُ غائبةً عنه ، فآنصرف ابراهيم بالليل إلى منزله ومتيّم فى منزلها بالميدان وطريقُه عليها وهى فى مَنْظَرةٍ لها مُشْرِفةٍ على الطــريق وهى تَطْرَح هــذا الصوتَ على بعض جَوارى بنى هاشم ، فتقدّم الى المَنْظرة على دابّته وتطاوَل حتى أخذ الصوتَ ، ثم ضرب بابَ المنظرة بِمقْرَعته وقال : قد أخذناه بلا حَمْدك .

نســبة هــذا الصــوت

لزينبَ طيفٌ تَعْــتَرِينى طوارِقُهْ * هُدُوءًا اذا النَّجْمُ آرْجَحَنَّتْ(١) لواحِقُهْ

سَــيُبْكِيك مِرْنانُ(٢) العَشِىّ يُجِيبُــه * لطيفُ بَنانِ الكفّ دُرْمٌ(٣) مَرافقُه

إذا ما بِساطُ اللَّهْــوِ مُــدّ وقُرِّبت * لــلـذّاته(٤) أنْمــاطُه ونَمــارِقُــه

الشعر للنُّمَيْرِىّ . والغناء لمعبد ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثّقيل الأول بالبنصر فى مجراها عن إسحاق . وفيه لمــالك خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر عن يونس والهِشامىّ .

أخبرنى علىّ بن هارون قال حدّثنى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

برهان محمد بن موسى المنجــم على أنه أحسن الناس غناء

كان محمد بن موسى المُنَجِّم يقول : حكَمْتُ أنّ إبراهيم بن المهدىّ أحسنُ الناس كلّهم غناءً ببرهان ، وذلك أنّى كنتُ أراه بمجالس الخلفاء مثلِ المأمون والمعتصم يغنى المغنون و يغنّى ، فإذا آبتدأ الصوت لم يَبْقَ من الغلمان والمُتَصرِّفين فى الخِدْمة وأصحاب الصناعات والمِهَن الصِّغار والكِبار أحدٌ إلّا تَرَك ما فى يده وقَرُب من أقرب موضع يمكنه أن يَسْمَعه ، فلا يزال مُصْغِيًا إليــه لاهيًا عمّا كان فيه ما دام يُغَنّى ، حتى إذا أمسك وتَغَنَّى غيرُه رجَعوا الى التّشاغُل بمــا كانوا فيه ولم يلتفتوا الى ما يسمعون .

(١) ارجحن النجم : مال نحو المغرب . (٢) المرنان : الكثير الرنين ، و يقال : سحابة مرنان وقوس مرنان ، أى كثيرة الرنين . والمراد هنا : آلة الطرب . (٣) درم : جمع أدرم وهو من لاحجم لعظامه . (٤) نسب هذا البيت فى الكامل للبرد ص ٧٠٨ طبع أوربا لنصيب .

ولا برهانَ أقوى من هــذا فى مثل هــذا من شهادة الفِطَن له واتّفاق الطّبائع — مع اختلافها وتَشَعُّب طُرُقها — على الميل إليه والانقياد له .

كانت له أشياء لم يكن لأحد مثلها

٧٣ / ٩

حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهدى قال: قلتُ للمعتصم : كانت لأبى أشياء لم يكن لأحدٍ مثلها . فقال : وما هى؟ قلت : شارية وزامِرَتُها مَعْمَعَة . فقال: أمّا شارية فعندنا، فما فعلت الزّامرة؟ قلت: ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : وساقِيَتُه مَكْنونة، ولم يُرَ أحسنُ وجهًا ولا أليَنُ ولا أظرفُ منها . قال : فما فَعَلَتْ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا؟ قلت : نخلةٌ كانت تحمل رُطَبًا طولُ الرُّطَبة منها شبر . قال : فما فعلت؟ قلت : جَمَرْتُها(١) بعد وفاته . قال : وماذا؟ قلت : قَدَحُه الضَّحْضَاح . قال : وما فعــل ؟ قلت : الساعةَ واللهِ تجَمَنِى فيــه أبو حَرْمَلة فسألته أن يَهَبه لى ففعل، ووجّهتُ به إلى منزلى فغُسِــلَ ونُظِّفَ وأُعِيد الى خِزانتى ، فرأيتُ أبى فيما يَرى النائمُ فى ليلتى تلك وهو يقول لى :

أيُتْرَعُ ضَحْضَاحِى دمًّا بعد ما غَدَتْ * علىّ به مكنونةٌ مُــتْرَعًا خمــرا

فإن كنتَ منّى أو تحبّ مَسَرّتى * فلا تُغْفِلَنْ قبــلَ الصّباح له كَسْرا

فآنتبهتُ فَزِعًا وما فَرَقَ(٢) الصبحُ حتى كسرتُه .

كتب اليه اسحاق الموصلى فأجابه

فأمّا المُمَــاظَّة(٣) التى كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى فى خبر إسحاق منها طَرَفٌ . ونذكر هاهنا منها ما جرى مجرى محاسنِ إبراهيم والقيامِ بحجّته إن كانت له، وعذره(٤) فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق . فمن ذلك نسختُ من كتاب أعطانيه أبو الفضل العبّاس بن أحمد بن ثَوَابة رحمه الله بخطّ إسحاق فى قِرْطاس — وأنا أعرف خطّه — وجوابٍ لإبراهيم بن المهدى فى ظهره بخطٍّ ضعيف وأظنّه خطّه؛ لأنه لو كان خطّ

(١) جمر النخلة : قطع جمارها . (٢) فرق الصبح : تبين واتضح . (٣) المماظة : المخاصمة والمنازعة . (٤) فى الأصول : «وعذر» من غير هاء الضمير .

كاتبٍ[1] لكان أجود من ذلك الخطّ ، وقد ذهب أوّلُ الكتاب فذهب منه أوّلُ الابتداء والجواب، ونسختُ بقيّتَه، فكان ما وجدتُه من ٱبتداء إسحاق :

وكنتَ — جُعِلتُ فِداءك — كتبتَ فى كتابك الى محمد بن واضح تذكر أنك مولاى وسيدى.[2] فتى دفعتُ ذلك! وهل لى فخرٌ غيره! أو لأحدٍ علىّ وعلى أبى رحمه الله من قبلى نعمةٌ سواكم! . وأُحِبُّ[3] ذلك أن يكون، وأرجو أن أموت قبل أن يَبْتَلِيَنِى الله بذلك إن شاء الله . فأمّا ذِكْرُك — جُعِلْتُ فِداءك — الصناعةَ فقد أجلَّ الله قدرَك عن الحاجة الى دفعها والاعتذار عنها . وأمّا أنا المسكينَ فانت تعلم أنى لم أتّخذ ما نحن فيه صناعةً قطّ، وأنى لم أُرِدْها إلّا لكم شكرًا لنعمتكم وحبًّا للقرب منكم واليكم . فليس ينبغى أن يَعِيبنى ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحدٍ أن يعيبنى به إذ كان لكم . وقد علمتُ أنك لم تضعنى من علّويه ومُخارِق بحيث وضَعْتَنى إلّا لغضَبٍ أحْوَجَك إلى ذلك ، وإلّا فانت تعلم أنهما لو كانا مملوكَيْن لى لآثرتُ تعجيلَ الرّاحةِ منهما بعتقهما أو تَخْلِيةِ سبيلهما على ثمنٍ أُصيبه ببيعهما أو حَمْدٍ أكتسِبُه بثمنهما ، فكيف أظنّ أنى عندك مِثْلُهما، أو أنك تَقْرِنُنِى[4] إليهما وتذكرنى معهما! . أَوَ تلومنى الآن على أن أَخْرَس فلا أنطق بحرف ، وأن أفرّ من الغناء فِرارَك من الخطأ فيه، وأمتعضَ منه ٱمتعاضَك ممن يُخفى عليك شيئًا من علومه! . كيف تَرَى — جُعِلْتُ فِداءك — الآن سِبَابى وأنت ترى أنّ أحدًا لا يُحسِن السَّبَّ[5] غيرُك! . قد أحدثتَ لى — جعلتُ فداءك — أدبًا وزدْتَنى بصيرةً فيما أُحِبُّ من تَرْكه وترك الكلام فيه . فإن ظننتَ أنّ هذا فِرارٌ من الحجّة وتَعْرِيدٌ[6] عن المناظرة، كما قلتَ، فقد ظفرت وصرت إلى ما أحببت، وإلّا فانه لاينبغى للحرّ أن يتلهّى بما لا تقوم لذّتُه بمَعَرّته،

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : «كتابه» . (٢) كذا فى أ ، م . وفى سائر النسخ : «مولى وسيد» . (٣) كذا فى الأصول ولعل صوابه : «ولا أحب ذلك أن يكون الخ» . (٤) فى الأصول : «تقرينى» وهو تحريف . (٥) كذا فى الأصول . (٦) التعريد : الفرار .

ولا لعاقلٍ أن يبذل ما عنده لمن لا يَحْمَده، ولعلّه لا يقلِّب العينَ فيه حتى يلحقَه ما يكره منه. وأمّا ما قاله أبى — رحمه الله — من أنه لم يزل يتمنَّى أن يَرى من سادته مَنْ يعرِف قَدْرَه حقَّ معرفته ويبلُغ علمُه بهذه الصناعة الغايةَ العظمى حتى رآك، فقد صدَق، ما زال يتمنّى ذلك وما زلتُ أتمنّاه. فهل رأيت — جُعِلْتُ فداءك — حظِّى[1] منه إلّا بأن ساويتَ به من لم يكن يساوى شِسْعَه[2]، ولعلك لا ترضى فى بعض القوم حتى تفضِّله عليه، لا تنفعه عندك معرفةٌ به، ولا رعايةٌ لطول الصُّحْبة والخِدْمة، ولا حفظٌ لآثارٍ محمودةٍ باقيةٍ نذكرها ونحتجُّ بها. ثم ها أنا من بعده تَضَعُنى بالموضع الذى تضعنى به، وتَنْسُبنى الى ما تنسبنى إليه، لأنى توخَّيْتُ الصوابَ وٱجتهدتُ فى البَذْل والمناصحة، لا يدفعك عنّى حِفْظٌ لسَلَفٍ، ولا صيانةٌ لخَلَفٍ، ولا ٱستدامةٌ لقديمٍ ما نعلم، ولا مصانعةٌ لمـا تطلب، ولا ولاء مما أكره أن أقوله[3]. فما أرى — جُعِلْتُ فداءك — من معرفتك بما فى أيدينا إلّا تجرُّعَ الحَسَرات، وتَطَلُّبَكَ لنا العَثَرات، وٱللهُ المستعان. كيف أصنع جُعِلْتُ فداءك! إن سكتُّ لم تقبل ذلك منى، وإن صَدَقتُ كذَّبتنى، وإن كَذَبتُ ظفِرتَ بى، وإن مَزَحتُ لأُطرِبك وأُضحِكك وأَقْرُبَ من أُنْسِـك وآخُذَ بنصيبى من كرمك غضبتَ وسَبَبتَ، ولو كنتُ قريبًا منك لضَرَبْتَ! وليتَك فعلتَ، فكان ذلك أيْسَرَ من غَضَبك. ثم من أعظم المصائب عنـدى أمرُك إيّاىَ أن أسأل محمد ابن واضح عن قولٍ قُلْتَه فىَّ عند عمرو بن بَانَة. فوالله — جُعِلْتُ فداءك — إنى لأَبْشَعُ[4] بذكره فكيف أُحبُّ أن أذكره وأُذَكَّر له!. وإنى لأرثى لك من النَّظر إليه، وأَعْجَب من صبرك عليه، مع أنى — أعوذ بالله من ذلك — لو رغبتُ فى هذا منه ومن مثله لكفيتُك ونفسى ذلك بأن أكْسُوَه ثوبين، أو أَهَبَ له دينارين، أو أقول له أحسنت فى صوتين، حتى نبلغ أكثرَ ممـا أردت لى أو أريده لنفسى. فالحمدُ لله الذى جعل

(١) لعله: «حظه». (٢) كذا فى جـ. وفى سائر الأصول «فيه» وهو تحريف.
(٣) كذا فى الأصول. (٤) بشع بالأمر: ضاق به ذرعا.

حظّى منك هذا! ومثلَه غيرَ مستصْغِر لشأنك ولا مستقِلٍّ لقليل حسن رأيك . واللهَ أسأل أن يطيل بقاءك، ويحسن جزاءك، ويجعلَنى فداءك . قد طال الكتاب، وكثر العتاب . وجملة ما عندى من الإعظام والإجلال اللذَيْن[1] لا أخاف أن أجعلهما عندك، والمحبة التى لا أمتنع منها ولا أعرف سواها، والسمع والطاعة فى تسليم ما تحب تسليمه والإقرار بمـا أحببتَ أن أُقرّ به، وسأَشهِد على ذلك محمد بن واضح وأُشْهِد لك به من أحببتَ وأؤدّى الخَـراج . ولكن لا بدّ من فائدة وإلّا آنكسر، فهات — جُعِلتُ فداءك — وأوفِ وآستوفِ فانك واجدٌ صحةً وآستقامةً إن شاء الله . مدّ الله فى عمرك، وصبّرنى عليك، وقدّمنى قَبْلَك، وجعلنى من كل سوء فداءك .

نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه

... وأيّةُ سلامةٍ أقدر لك عليها إلّا أسوقها إليك، أعطانى آلله ما أُحبُّ من ذلك لك . فأمّا أن أتكلّم من ورائك بشىء تستثقله متعمِّدًا، فما أنا إذًا بحُرٍّ ولا كريم، معاذَ الله من ذلك! . ولئن جمعنى وإيّاك وعلىَّ بنَ هشام مجلسٌ لأستشهِدَنَّه على أشياء لم أذكرها لك، ولم أكتب بها إليك، إجلالًا لقَدْرِ حالِك عندى من آعتدادٍ بمثل ذلك منى، وأنت عنه غافل، وآلله به عليم . وأما الرِّشوةُ[2] فأرجو أن تجيئك على ما تشتهى آتاك الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكرا . وأمّا الفوائدُ التى وعدتَ وروَدها علينا فإنّى لواثقٌ أنك لا تُفيدنى شيئا فأنظر فيه إلّا وجدتُنى فيه فَطِنًا أُجيد تفتيشه وأعرف كُنْهَه وأُفيدك فيه وفيما آستنبطتَ منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منـه، فأما غيرك فألهبـاءُ المنثور . ويا رأس المُتَنَعِّتين[3] تقول إنى عيَّرتُك بالصّناعة ثم تحتج بحِذْقك فى تحريف الأقوال وآكتساب الحجج، لتُفْحِم خَصْمَك، وتُعْلِى حُجّتك،

(١) كذا فى الأصول ولعلها : « وجملة ما عندى الإعظام والإجلال اللذان الخ » .

(٢) لعل ابراهيم يشير بهذا ونحوه الى أشياء خاصة جرت بينه وبين إسحاق .

(٣) كذا فى جـ وفى سائر الأصول « المتنين » .

فكيف أُعيبك بحاجتى إليك، وما أنا داخل فيه معك! لا! ولكنى قلت لك : إنى لستُ كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثقُل عليك، إنما أنا رجل من مواليك متوسِّلٌ إليك بما يَسُرُّك ، أو كصاحبٍ لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه. فليكن ذلك بالإنصاف وطلبِ الصواب أصبتَه أو أخطأتَه ، لا بالحَمِيَّة والأَنَفة والحيلة لتَرُدَّ الحقّ بالباطل . هذا معنى قولى؛ وقد آستشهدتُ عليك فيه أبا جعفر، وجاءنى كتابُك وهو عندى يشهد لى. والكتابُ الذى هذا فيه بخطّى عنده[1] لم يردَّه علىّ، فتتبَّعْ ما فيه وخُذْنى به . فلعَمْرى لئن كنتُ قرنتُك بمن ذكرتَ لأَعيبَك بالتشبيه لك بهم ماعِبْتُ غيرَ رأيى ، ولا جهّلتُ غيرَ نفسى . ولستُ أعتذر من هذا لأنك تشهد لى بالحقّ فيه. وإنما تريد أن تَخْصِمَنِى[2] بلا حُجّة، فيكفينى عِلْمُك بما عندى، وإلّا فأنت إذًا بى أجهلُ منّى بك . وقلتَ : «تذكرنى معهما»[3] فقد ذكر الله النارَ مع الجنة ، وموسى مع فرعون ، وإبليسَ مع آدم ، فلم يَهُنْ بذلك موسى ولا آدمُ ولا أُكْرِم فرعونُ وإبليس ، فأعفنى من المغالطة لى والتحريف لقولى، وآستمتعْ بى وأمْتِعْنى بالمصادقة . فإن أنت لم تفعل بقيتَ واحدًا مستوحِشًا ، ولم تَجِدْ غيرى إن علم ما تعلم لم ينقُصْكَ، وإن علم أكثرَ منك لم يَشِنْك، وإن أفهمتَه كافاك ، وإن آستفهمتَه شفاك . لا والله ما أردتُ إلا ما ذكرتُه لك ، ولا أحسبك ظننتَ فىَّ غيرَ ذلك؛ لأنك لا تجهلنى فأنا عندك غير جاهل . وواحدة هى لك دونى، ووالله ما كنت أبالى ألّا أسمع من مُخارق وعَلّويه شيئًا حتى أسمع بنعيهما، ولا أراهما حتى أراهما ميّتَيْن، وما فى هذا غيرُك والإعظامُ لك والإكرامُ. وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيّرتَهما ندّيْن تقول فيهما ويقولان فيك، وإنّما هما صَنيعتاك وخِرّيجا

(١) فى ب ، س : « عندك لم تردّه على » .
(٢) خصمه يخصمه (بكسر الصاد فى المضارع) : غلبه فى الخصومة . وكسر عين الفعل فى المضارع هنا شاذ فى هذا الباب .
(٣) يريد مخارقا وعلويه ، كما سيأتى فى السياق .

تأديبك و إن كانا غيرَ طائل . فلو أعرضتَ عن ٱنتقاصهما ورفعتَ ماَّ رفع الله من
قَدْرك عن الإفراط فى عيبهما ، لكان ذلك أشبهَ بك وأجملَ بمحلّك وخَطَرك ومكانك .
وكذلك الذى تَرْثِى له منه وصاحبُه محمد بن الحارث ، فوالله ما أُحبُّ لك فى أدبك
وفضلك ودينك ومحلّك أن تُشَهِّر نفسَك لها بهذا ومثله ، وأن ينتهىَ إليهما ذلك عنك .
أقول يعلم الله فى ذلك لا لها (١) . و إنّ ذلك ، لو صرتَ إليه ، لأجملُ بك وأجلُّ لقدرك
و إن كنت لَتَتَخَوَّلُها به . ولو أردتَ ذلك ، و إن زَهِدتَ فيه ، لم تَضَعْ نفسَك ومحلَّك
مع غِلْمانٍ أحداثٍ يبسُطون ألسنتَهم فيك بما بسطتَه منهم على نفسك ، ولو لم تفعل
لكنتَ أعظمَ فى عيونهم من بعض مواليهم الذين تولَّوْا مِنَّتَهم . هذا رأيى لك بمـا
هو أكبرُ لأمرك وأشبهُ بمحلّك . ووالله ما غَشَشْتُك ولا أوطأتُك عَشْواءَ ، فٱخترْ لنفسك
ما رأيتَ . ولا والله لا سَمِعَا بهذا أبدًا ولا بما قلتَه فىَّ إلا خَزِيَا حتى يموتا ، ولا أردتُ
ـــ يشهد الله ـــ بهذا غيرَك . وأمّا مَنْ ذكرتَ أنّى أسوّيه بأبى إسحاق رحمه الله وهو
لايساوى شِسْعَه فإنك عَنَيْتَ ٱبنَ جامع . وأنت لاتدخل بينى و بين أبى إسحاق رضى
الله عنه ، ولا أظنك والله أشدَّ حبًّا له منى ، ولا كان لك أشدّ حبًّا منه لى ، فقد تعلم
كيف كان لى ، ولكن لا أظلم ٱبنَ جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر . ولئن ضَمِنْتَ
أن تُنْصِفَنى لأكلمنَّك فيه بمـا لا تدفعه ، ولكنّى لا أكلّمك فى شىء حتى أَثِقَ بهذه
منك ، و إلّا وَسِعنى من السكوت ما وسعك . ومن العَجَب الذى لم أَرَ مثله والمكابرةِ
ٱلّتى لا يشبهها شىء ٱعتداؤُك علىَّ فى التجزئة (٢) حيث تقول :

حيّيَـا أُمَّ يعمَـــرَا * قَبْل شَحْطِ من النَّوى

(١) كذا فى الأصول . ولعل صواب العبارة : « أقول ـــ يعلم الله ـــ ذلك لك لا لها » .
(٢) فى جـ ، ب ، س : « حتى » .

يا أخى وحبيبَ نفسى فآنظرْ كم فى هذا من العيوب!! قولُك : «ييا» ليكون مثل «شَحْطٍ» فى الوزن، أيكون مثل هذا فى الكلام! وقولك فى الجزء الثانى «حَىّ» حتى يَكون مثل «قبل»، هل يكون مثل هذا! أو ليس فى «ييا» المشدّدة أربع ياءات، وفى "حى" التى عطفتَ بها ثلاثٌ فتصير سبع ياءات، وإنّما هى ثلاث فى الأصل: الياء المشدّدة وياء الاثنين حيث تقول «حييا»[1]!. والناس فى هــذا بينى وبينك بهائم، فمَنْ أَسْتعدِى عليك! ولو أنصفتَ لعلمتَ أنّه لا يمكن فى :

* حَيَيَــا أُمَّ يَعْمَـــرا *

غيرُ ما جزّأتُ أنا إلّا بهــذا الغلَط الذى لا يحـول من تحريك ساكنٍ تجعـله اوّلَ الكلام فقــد زدتَ قبله حرفا ، أو تسـكينِ متحرّك فتريد بعـده حرفا ؛ كقولك «أم يعمرا قابلٍ شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفا، وكقولك «أم يعمرن قَبْلَا» فزدتَ الألف لتسكتَ عليها لأن السكوت على متحرّك لا يمكن. فأيّةُ حُجّةٍ هذه ! أَوْ مَنْ يصبر لك على هذا ! وإنمــا أردتُ أنا ما يجوز بخفنى بتجزئةٍ واحدة، لا أريد غيرَ ذلك منك. مالَك يا أخى تَنْفَس علىَّ الصوابَ فيما لا نَقيصةَ عليك فيه ولا عيب، ثم آتخذتَ تَمحُّدى إليك، بما قلتُ لك أن تسأل[2] محمدا عن قولى فيك بظهر الغيب. ذنبًــا بطبعك على الظلم والتحريف؛ حتى كأنى أعلمتُك أن أحدًا تنقّصك فحَميتَ لذلك، ولم يكن غيرُ الرّدّ عليه . والله ما مثلى يَمُنّ بهذا، ولكنّى كنتُ إذا تحـدّثتُ مع محمد خاليًــا كلّمتُه بمثل ما أكلّمك به من الردّ والجدَل، فلما كان عندنا مَنْ يُحْتَشَم كان كلامى بمــا يجب[3] أن أتكلّم به من الإكرام والتقديم، فقال لى : أىُّ شىء هذا الذى أرى ؟ فقلت له : هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأنس . فأردتُ بإعلامك هذا أن تعلم أنّى لا أريد بمــا أنازعك فيه شيئًا يَزِيغ عما تعرف منى، وأنى أذكُرك

(١) فى جـ، ب، س: «حَىّ» . (٢) فى الأصول: «من» . (٣) فى الأصول: «يحب» .

بما يُشبهك فى موضعه . فلو ٱتّقيتَ الله وأبقيتَ على الإخاء لمَا كنتَ تحرِّف هذا بشىء، وهو جميل أرضاه من نفسى، فتصيِّره قبيحًا تريد أن أعتذر إليك منه .

وأما أداء الخَراج والإشهاد ، فهذا شىء لم أطلبه منك ، إنما أنت طلبتَه منّى ظالمًا لى . وذلك لأنى لم أنازعك إلّا منازعةَ مناظرٍ يُحبُّ أن يعرف حسنَ فَحْصه وثاقبَ نظرِه .

وأمّا الرِّياسةُ فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل، ولا رياسة لى عليهم ولا لك علىّ؛ لأنى فى العلم مناظر وفى العمل متلذِّذ . فلا تظلمنى ولا تفسك لى .

ومن بعدُ فإنى أُحبُّ أن تخبرنى كيف أنت اليوم بعدُ . والله غممتنى، لا غمّك الله ولا غمّنى بك . ولو شئتَ أرسلتَ إلى يحيى بن خالد طبيبِ أخى عُبيد الله فإنه رفيقٌ مبارَكٌ عَلِم ، وهو منك قريب فى دار الرُّوم، فأخذتَ برأيه ومن علاجه . وهَب الله لك العافيةَ ووهَبها لى فيك برحمته .

وإنّما ذكرتُ هذا الابتداءَ وجوابَه على طولها ، وهما قليلٌ من كثير من مكاتباتهما، لتعرف بهما طَرَفًا من مقدارهما فى المنازعة والمجادلة، وأن إسحاق كان يريد من إبراهيم التَّواضُعَ له والخُنوعَ برياسته ويتحامل عليه فى بعض الأوقات ، وينحو إبراهيم نحوَ ما فعله به؛ لأنّ نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه ، فيستعمل معه من المباينة مثلَ ما ٱستعمله ، ويكونان فى طَرَفَيْن من الظّلم يُبْعِدُ كلَّ واحدٍ منهما عن إنصاف صاحبه . وقد روَى يوسف بن إبراهيم أخبارًا فيما جرى بينهما — فوجدتُ كلامَهما مرصوفًا رَصْفَ إبراهيم بن المهدىّ ومنظومًا نَظْمَ مَنْطِقه — فيها تحاملٌ على إسحاق شديدٌ، وحكاياتٌ يَنْسُبُ مَنْ نَقَلَها إلى جهلٍ بصناعته كان إسحاق بعيدًا من مثله ، فعلمتُ أن إبراهيم عمل ذلك وألّفه وأمرَ يوسفَ بنشره فى الناس ليدور فى أيديهم ذِكرٌ له يفضُل به . وذلك بعيدٌ وقوعُه ، ولن تُدْفَع الحقائق بالأكاذيب ، ولا يُزيل

الخطأ الصوابَ، ولا الخطلُ السدادَ . وكفى مَنْ نضَح عن إسحاق بأن أغانى إبراهيم ابن المهدىّ لا يكاد يُعرَف منها صوتٌ ولا يُرْوَى منها إلّا اليسير، وأنّ كلامَه فى تجنيس الطرائق آطُّرِح، وعُمِل على مذهب إسحاق، وآنقضى الصُّنْعُ لإبراهيم بذلك مع آنقضاء مدّته، كما يضمحلُّ الباطلُ مع أهله . فعدَلْتُ عن ذكر تلك الأخبار؛ لا لأنّها لم تَقَعْ إلىَّ، ولكنّها اخبار يتبين فيها التحامل والحَنَق، وتتضمّن من السبِّ لإسحاق والشتم والتجهيل ما يعـلم أنه لم يكن يقضى على مثله لأحد ولو خاف القتل(1)، فآستبردتُ ذلك وآطَّرَحْتُه، وآعتمدتُ من أخبار إبراهيم على الصحيح، وما جرى مَجْرَى هذا الكتاب من خبرٍ مستحسنٍ وحكايةٍ ظريفةٍ دون ما يجرى مَجْرَى التحامل؛ فقد مضى فى صدر الكتاب من أخبارهما و إغْصَاص إسحاق إيّاه بريقه وتجريعه أَمَرَّ من الصبر ما ينبئ عن بطلان غيره .

✦ ✦ ✦

وممن صنع من أولاد الخلفاء عُلَيَّةُ بنتُ المهدىّ، ولا أعلم أحدًا منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدّمها . وكان يقال : ما آجتمع فى الجاهلية ولا الإسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدىّ وعُلَيَّةَ أختِه . وأخبارُها تُذكر بعد هذا تاليةً لمـا أذْكُره من غِنائها . فمن صنعتها :

صـــوت

تضحك عمّا لو سَقَتْ منه شَفَا * من أقحوانٍ بَلَّهُ قَطْرُ النَّـدَى
أغَرَّ يجلو عن غِشَا العين العَشَا * حُـلْوٍ بعَيْنَىْ كلِّ كَهْلٍ وفتى
إنَّ فـؤادى لا تسـلّيه الرُّقَى * لو كان عنهـا صاحيًا لقد صَحَا

الشعرُ لأبى النَّجْم العِجْلِىّ . والغناءُ لعُلَيَّةَ بنتِ المهدىّ رَمَلٌ بالوُسْطَى .

(1) فى هذه الجملة غموض . ولعلها تصح على هذا الوجه «... ما يعلم أنه لم يكن يقضى بمثله على أحد ولو خاف القتل» أو نحو ذلك .

أخبـار أبى النَّجْم ونسبُه

أصله ونسبه، وهو فى الطبقة الأولى من الرجاز

قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : اسمه المُفَضَّل . وقال ابن الأعرابىّ : اسمه الفضل ابن قُدَامة بن عُبَيد الله بن عبـد الله بن الحارث بن عَبدة بن الحارث بن إليـاس ابن عَوْف بن رَبيعة بن مالك بن ربيعة بن عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن علىّ بن بكر ابن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلةَ بن أَسَـد بن رَبيعـة ابن نِزار . وهو من رُجَّاز الإسلام الفُحُول المقدَّمين وفى الطبقة الأولى منهم .

هو أبلغ فى النعت من العجاج

أخبرنى أبو خَليفة الفضل بن الحُبَاب الجُمَحىّ إجازةً عن محمد بن سَلَّام وذكر ذلك الأصمعىّ أيضًا قالا قال أبو عمرو بن العَلَاء :

كان أبو النَّجْم أبلغَ فى النَّعْت من العَجّاج .

انتصف مع الرجاز من الشعراء

٧٨
―
٩

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنى أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنى الفَضْل ابن العبّاس الهاشمىّ عن أبى عُبَيدة قال :

ما زالت الشعراء تَغْلِبُ (١) حتى قال أبو النَّجْم :

* الحمـد لله الوهُـوبِ المُجْـزِلِ *

وقال العَجّاج :

* قـد جـبرَ الدينَ الإلٰهُ فجَـبَرْ *

وقال رُؤْبة :

* وقاتِمِ الأعماقِ خاوِى المُخْـتَرَقْ (٢) *

فانتصفوا منهم .

(١) كذا فى جـ . وفى سائر النسخ : « تقصر بالرجاز حتى ... الخ » . (٢) المخترق : المر .

أعظمه رؤبة وقام له عن مكانه

ووجدتُ فى أخبار أبى النّجْم عن أبى عمرو الشَّيْبانىّ قال :

قال له فتيانٌ من عِجْل : هذا رؤبةُ بالمِرْبَد[1] يجلس فيُسمِع شعرَه ويُنْشِد النّاسَ ويجتمع إليــه فتيان من بنى تَمِيم ، فمـا يمنعك من ذلك ؟ قال : أوَتُحِبّون هــذا ؟ قالوا نعم . قال : فأْتونى بعُسٍّ[2] من نبيذ فأتَوْه به ، فشَرِبه ثم نَهَض وقال :

٥ إذا ٱصطبحتُ أربعًا عرَفْتَنى * ثم تجشمتُ الذى جشَّمتنى

فلما رآه رؤبة أعْظَمه وقام له عن مكانه وقال : هــذا رَجّاز العرب . وسألوه أن يُنْشِدهم فأنشدهم :

* الحمــد لله الوَهُوبِ المُجْزِلِ *

وكان إذا أَنْشد أَزْبد ووحّش بثيابه (أى رمى بها) . وكان من أحسن الناس إنشادًا .

١٠ فلما فرَغ منها قال رؤبة : هذه أُمّ الرَّجَز . ثم قال : يا أبا النَّجْم . قد قرّبت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وٱبنه . يُوهِم عليه رؤبة أنه حيث قال :

تبَقَّلَتْ[3] من أول التبَقّــلِ * بين رِمَاحَىْ مالكٍ ونَهْشَلِ

أنه يريد نَهْشَــل بن مالك بن حَنْظَــلة بن زيد مَنَاةَ بن تَميم . فقال له أبو النَّجْم : هيهاتَ ! الكَمَرُ[4] تَشَابَهُ . أى إنى إنما أريد مالك بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثَعْلَبة بن عُكَابة

١٥ ابن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل . ونهشل قبيلة من رَبيعة وهؤلاء يرعَوْن الصَّمّانَ[5]

(١) يعنى مربد البصرة وهو من أشهر محالها ، كانت به سوق الابل قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء .   (٢) العس : القدح الكبير .

(٣) تبقلت : خرجت لطلب البقل .   (٤) الكمر : جمع كمرة ، وهى رأس الذكر . يريد أن الرجال اختلطت عليك . وقد صار هذا مثلا ، ولفظه «الكمر أشباه الكمر» .   (٥) الصمان :

٢٠ أرض فيها غلظ وارتفاع ، وفيها قيعان واسعة ورياض معشبة ، وإذا أخصبت ربعت العرب جميعا . وكانت الصمان فى قــديم الدهر لبنى حنظلة ، والحزن لبنى يربوع ، والدهناء لجماعتهم ، والصمان متاخم هناء والعرض : الوادى .

وعَرْض الدَّهْناء . قال أبو عمرو : وكان سببُ ذِكْرِ هاتين القبيلتين (يعنى بنى مالك ونهشل) أنّ دماءً كانت بين بنى دَارِم وبنى نَهْشَل وحروباً فى بلادهم، فتحامَى جميعُهم الرَّعْىَ فيما بين فَلْجٍ[1] والصَّمَّان مخافةَ أن يُعْرَوْا[2] بشرّ حتى عفا[3] كَلَؤه وطال ، فذكر أنّ بنى عِجل جاءت لِعزّها إلى ذلك الموضع فرعَتْه ولم تَخَف من هذين الحَيَّيْن ، ففخَر به أبو النَّجْم . قال : ويدُلّ على ذلك قول الفرزدق :

أترتع بالأحياء سعدُ بن مالكٍ * وقد قتلوا مَثْنَى بِظِنَّة[4] واحد

فلم يَبْقَ بين الحىّ سعدِ بن مالكٍ * ولا نَهْشَلٍ إلا دماءُ الأساود[5]

ترتيب الرجاز فى رأى بعض الرواة

وقال الأصمعىّ : قيل لبعض رُواة العرب : مَنْ أرْجَزُ الناس؟ قال : بنو عِجْل ثم بنو سعد ثم بنو عِجل ثم بنو سعد . (يريد الأغلبَ ثم العجّاج ثم أبا النَّجْم ثم رؤبة) .

كان يتسرع الى رؤبة فيكفه عنه المسمعى

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعىّ :

كان رؤبةُ وأبو النَّجْم يجتمعان عندى فأطلب لهما النبيذ ، فكان أبو النَّجْم يتسرّع الى رؤبة حتى أكُفَّه عنه .

ناجز العجاج حتى هرب منه

ونسختُ من كتاب أبى عمرو الشَّيْبانىّ قال حدّثنى بعض البَصْريّين منهم أبو بَرْزَة المَرْثَدىّ — قال وكان عالمًا راويةً — قال :

خرج العَجّاج متحفِّلًا[6] عليه جُبّةُ خزٍّ وعمامةُ خزٍّ على ناقةٍ له قد أجاد رَحْلَها حتى وقف بالمِرْبَد والناسُ مجتمعون، فأنشدهم قولَه :

* قد جبرَ الدِّينَ الإلهُ فجَبَرْ *

---

(١) فلج : علم على عدّة مواضع . (٢) يعروا : يصابوا . وفى الأصول : « يغروا » بالغين المعجمة وهو تصحيف . (٣) عفا : كثر . (٤) الظنة : التهمة .

(٥) الأساود : شخوص القتلى، وهو جمع الجمع للسواد؛ ومنه قول الأعشى :

تناهيتم عنا وقد كان فيكم * أساود صرعى لم يسوّد قتيلها

(٦) متحفلا : متزينا .

فذكر فيها رَبِيعةَ وهجاهم. فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النَّجْم وهو في بيته فقال له: أنت جالسٌ وهذا العجّاج يهجونا بالمِرْبَد قد آجتمع عليه الناس!! قال: صِفْ لي حالَه و زِيَّه الذي هو فيه، فوصَف له. فقال: آبغِني جَمَلًا طَحَّانًا قد أكثِر عليه من الهِنَاء[1]، فجاء بالجمل إليه. فأخذ سراويلَ له فجعل إحدى رجليه فيها وأتزر بالأخرى وركب الجمل ودفع خِطَامَه الى مَنْ يقوده، فآنطلق حتى أتى المِرْبَد. فلمّا دنا من العَجّاج قال: آخلَعْ خِطَامَه فخلَعه، وأنشد:

* تذَكَّرَ القلبُ وجَهْلًا مّا ذَكَرْ *

فجعل الجملُ يدنو من الناقة يتشمَّمها و يتباعد عنه العَجّاج لئلا يُفسِد ثيابَه ورَحْلَه بالقَطِران، حتى إذا بلغ إلى قوله:

* شيطانُه أُنثى وشيطاني ذَكَرْ *

تعلَّق الناسُ هذا البيتَ وهرَب العَجّاجُ عنه.

غلب الشعراء عند عبد الملك بن مروان أو سليمان بن عبد الملك وظفر منه بجارية

ونسختُ من كتاب أبي عمرو قال حدّثني أبو الأزهر آبن بنت أبي النَّجْم عن أبي النجم أنّه كان عند عبد الملك بن مروان — و يقال عند سليمان بن عبد الملك — يومًا وعنده جماعة من الشعراء، وكان أبو النّجم فيهم والفرزدقُ، وجاريةٌ واقفةٌ على رأس سليمانَ أو عبد الملك تَذُبّ عنه. فقال: من صَحَّحني بقصيدة يفتخر فيها وصدَق في فخره فله هذه الجاريةُ. فقاموا على ذلك ثم قالوا: إن أبا النَّجْم يَغلِبنا بمقطَّعاته (يعنون بالرَّجَز)، قال: فإني لا أقول إلّا قصيدةً. فقال من ليلته قصيدتَه التي فخر فيها وهي:

* عَلِقَ الهوى بحبائل الشَّعْثاء *

[1] الهناء: القطران.

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراءُ فأنشده، حتى إذا بلغ إلى قوله

مِنّا الذى رَبَّع الجيوشَ لظهره (١) * عشرون وهو يُعَدُّ فى الأحياء

فقال له عبد الملك : قِفْ، إن كنتَ صدَقتَ فى هذا البيت فلا نُريد ما وراءه.
فقال الفرزدق : وأنا أعرف منه ستة عشر، ومن وَلَد وَلَده أربعة كلُّهم قد رَبَّع.
فقال عبد الملك أو سليمان : وَلَد وَلَده هم وَلَدُه، ادفع إليه الجارية يا غلام. قال :
فغلَبهم يومئذ.

قال : وبلغنى من وجه آخر أنه قال له : فإذا أقررتَ له بستة عشر فقد وهبتُ
له أربعة، ودفَع اليه الجارية، فقدِم بها البادية، فكان بينه وبين أهله شرٌّ من أجلها.

وصف جارية لخالد بن عبد الله القسرى لساعته فوهبها له

وقال أبو عمرو :

بعث الجُنَيْدُ بن عبد الرحمن المُرِّىّ إلى خالد بن عبد الله القَسْرىّ بسَبْي
من الهند بِيض، فجعل يَهَبُ لأهل البيت كما هو للرجل من قريش ومن وجوه
الناس، حتى بَقِيتْ جاريةٌ منهنّ جميلةٌ كان يَدَّخِرها وعليها ثيابُ أَرْغَها فُوطتان.
فقال لأبى النَّجْم : هل عندك فيها شىءٌ حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم
أصلَحك الله! فقال العُرْيان بن الهَيْثم النَّخَعِىّ : كَذَب والله ما يقدر على ذلك.
فقال أبو النَّجْم :

عَلِقتُ خَوْدًا من بنات الزُّطِّ (٢) * ذاتَ جِهازٍ (٣) مُضْغَطٍ مُلَطِّ (٤)
رَابِى المَجَسِّ جَيِّدِ المَحَطِّ * كأنّما قُطَّ على مِقَطِّ
إذا بدا منها الذى تُغَطِّى * كأنّ تحت ثوبها المُنْعَطِّ (٥)

(١) ربع الجيوش : أخذ ربع أموالهم، وكان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة، واسم هذا النصيب المرباع. (٢) الزط : جيل أسود من السند. (٣) الجهاز هنا : فرج المرأة.
(٤) ملط : مستور، من ألط الشىء إذا ستره. (٥) انعط الثوب : انشق.

شَطًّا[1] رميتَ فوقه بشَطّ * لم يَنْزُ فى البطن ولم يَنْحَطّ
فيه شِفاءٌ من أَذى التَّمَطِّى * كهامة الشيخ اليمانى الثَّطّ[2]

وأومأ بيده الى هامة العُرْيان بن الهَيْثَم . فضحك خالد وقال للعُرْيان : كيف تَرى ! أَحْتَاجُ إلى أن يُرَوِّى[3] فيها ياعُرْيان؟! قال : لا والله! ولكنّه ملعون ابن ملعون :

٥ وقال أبو عمرو فى هذ الرواية وأخبرنى به علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المُبَرّد قال حدّثنى محمد بن المُغيرة[4] بن محمد عن الزُّبَير بن بَكّار عن فُلَيْح ابن إسماعيل بن جعفر بن أبى كَثِير قال :

٨٠ / ٩ — غضب عليه هشام ثم سمع منه ليلة فرضى عنه

ورد أبو النَّجْم على هشام بن عبد الملك فى الشعراء . فقال لهم هشام : صِفُوا لى إبلًا فقَطِّروها[5] وأوردوها وأصدِروها حتى كأنّى أنظر اليها . فأنشدوه وأنشده أبو النَّجْم :

١٠ * الحمدُ لله الوَهُوبِ المُجْزِلِ *

حتى بلغ الى ذكر الشمس فقال «وهى على الأُفْق كعين...» وأراد أن يقول «الأحول» ثم ذكر حَوْلَةَ هشام فلم يُتِمَّ البيتَ وأُرْتِجَ عليه . فقال هشام : أَجِزِ البيت . فقال «كعين الأحول» أَتِمَّ القصيدةَ . فأمر هشام فوُجِئَ[6] عُنُقُه وأُخرج من الرُّصَافة ، وقال لصاحب شُرْطته : يا رَبيع إيّاك وأن أرى هذا ! . فكلّم وجوهُ الناس صاحب

١٥ الشُّرْطة أن يُقِرّه ففعل ، فكان يُصيب من فُضول أطعمة الناس ويأوى الى المساجد . وقال الزُّبير فى خبره قال أبو النّجم : ولم يكن أحدٌ بالرُّصافة يُضيف إلّا سُلَيْم بن كَيْسان الكلبىّ وعمرو بن بِسْطام التَّغْلَبىّ ، فكنتُ آتى سُلَيْمًا فأتغدّى عنده ، وآتى عمرا فأتعشّى عنده ، وآتى المسجد فأَبِيتُ فيه . قال : فاْهتمّ هشام ليلةً وأمسى لَقِسَ النَّفْس

(١) الشط : جانب السنام . (٢) الثط : الخفيف اللحية . (٣) يروى : يتروى ويفكر
٢٠ (٤) فى ا ، م : «المغيرة بن محمد» . (٥) قطر الابل : قرب بعضها من بعض على نسق
(٦) فى ب ، س «بوجئ عنقه وإخراجه» . يقال وجأه باليد وبالسكين اذا ضربه .

وأراد محدّثا يحدّثه، فقال لخادم له : ابغِنى مُحَدِّثا أعرابيًّا أهوجَ شاعرًا يَرْوِى الشعر. فخرج الخادم الى المسجد فإذا هو بأبى النَّجْم، فضربه برجله وقال له : قُمْ أَجِبْ أميرَ المؤمنين. قال: إنّى رجل أعرابىّ غريب. قال: إيّاكَ أَبْغِى، فهل تَرْوِى الشعر؟ قال : نعم وأقوله . فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب، قال: فأيقن بالشرّ، ثم مضى به فأدخله على هشام فى بيت صغير، بينه و بين نسائه سِتْرٌ رقيقٌ والشَّمْعُ بين يديه تَزْهَر[1] . فلما دخل قال له هشام : أبو النَّجْم؟! قال : نعم يا أمير المؤمنين طَرِيدُك . قال : آجلس. فسأله وقال له : أين كنتَ تأْوِى ومن كان يُنْزِلك؟ فأخبره الخبرَ. قال : وكيف آجتمعا لك؟ قال: كنتُ أتغدَّى عند هذا وأتعشّى عند هذا. قال : وأين كنتَ تبيت؟ قال : فى المسجد حيث وجدنى رسولك . قال : وما لَكَ من الولَد والمال؟ قال : أمّا المالُ فلا مالَ لى ، وأمّا الوَلَدُ فلِى ثلاثُ بناتٍ وبُنَىٌّ يقال له شَيْبان . فقال : هل زَوَّجْتَ[2] من بناتك أحدا ؟ قال : نعم زوجتُ آثنتين، وبَقِيَتْ واحدة تَجْمِزُ[3] فى أبياتنا كأنّها نعامة . قال : وما وصَّيْتَ به الأولى؟ — وكانت تسمّى « بَرَّة » بالراء — فقال :

أَوْصَيتُ من بَرَّةَ قلبًا حُرّا * بالكلب خيرًا والحَماة شَرّا
لا تَسْأَمِى ضَرْبًا لها وجَرّا * حتى تَرَى حلوَ الحياة مُرّا
وإن كسَتْك ذهبًا ودُرّا * والحىَّ عُمِّيهم بشرٍّ طُرّا

فضحك هشام وقال : فما قلتَ للأُخرى؟ قال قلت :

سُبِّى الحَماةَ وآبْهَتِى[4] عليها * وإن دَنَتْ فآزْدَلِفى إليها
وأَوْجِعى بالفِهْر[5] ركبتَيْها * ومِرْفَقَيْها وآضْرِبى جَنْبَيْها

(١) زهر السراج : تلألأ . (٢) فى ح ، ب ، س : « أخرجت » . (٣) جمز : عدا وأسرع . (٤) بهته : قذفه بالباطل . وهى هنا على تضمين ابهتى معنى افترى عليها فتعدى بعلى . (٥) الفهر : الحجر يملأ الكف .

وظاهِرِى النُّذْرَ لها عليها * لا تُخْبِرِى الدَّهرَ به ٱبنَتَيْها

قال : فضَحِكَ هشام حتى بدَتْ نواجِذُه وسقط على قفاه . فقال : وَيْحَك ! ما هذه وصيّة يعقوب ولدَه ! فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلتَ للثالثة ؟ قال قلت :

٥ أُوصِيكِ يا بنتى فإنى ذاهبُ * أُوصِيكِ أن تَحْمَدكِ القرائبُ

والجارُ والضيفُ الكريمُ السّاغبُ * لا يُرْجَع المسكينُ وهو خائبُ

ولا تَنِى أظفارُكِ السَّلاهِبُ[1] * منهنّ فى وجه الحَماة كاتبُ

* والزوجَ إنّ الزوج بئس الصاحبُ *

٨١/٩

قال : فكيف قلتَ لها هذا ولم تَتَزوج؟ وأىّ شىء قلتَ فى تأخير تزويجها؟ قال

١٠ قلت فيها :

كأنّ ظَلّامةَ أختَ شَيْبانْ * يَتِيمةٌ ووالداها حيّانْ

الرأسُ قَمْلٌ كلُّه وصِئْبانْ[2] * وليس فى الساقَيْن إلّا خَيْطانْ

* تلك التى يَفْزَع منها الشيطانْ *

قال : فضحِك هشام حتى ضحك النساءُ لضَحِكه ، وقال للخَصِىّ : كم بَقِىَ من نفقتك؟

١٥ قال : ثلثمائة دينار . قال : أَعْطِه إيّاها ليجعلها فى رِجْل ظَلّامةَ مكانَ الخيطين .

كان أسرع الناس بديهة

وقال الأصمعىّ أخبرنى عمّى وأخبرنى ببعض هذا الحديث ٱبنُ بنت أبى النَّجْم أنّ أبا النَّجْم قال :

* الحمد لله الوَهُوبِ المُجْزِل *

فى قَدْر ما يَمشى الإنسان من مسجد الأَشْياخ الى حاتِمِ الجَزّار . ومقدارُ ما بينهما

٢٠ غَلْوةٌ[3] أو نحوُها . قال : وكان أسرعَ الناس بَديهةً .

---

(١) السلاهب : الطويلة . (٢) الصئبان : جمع صؤابة وهى بيضة القمل .

(٣) الغلوة : رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال : هى قدر ثلثمائة ذراع الى أربعمائة .

سئل الأصمعى أى الرجز أحسن وأجود فقال رجز أبى النجم

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أبو أيوب المدينى قال حدّثنا أبو الأسود النوجشانى[1] قال :

مرّ أبى بالأصمعى وأنا عنده فقال له : يا أبا سعيد أىّ الرّجز أحسن وأجود؟ قال : رجز أبى النّجم .

سأله هشام بن عبد الملك عن رأيه فى النساء فأجابه

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنىّ قال :

دخل أبو النّجم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة . فقال له هشام : ما رأيك فى النساء؟ قال : إنّى لأنظر إليهنّ شزرا[2] وينظرن إلىّ خزرا . فوهب له جاريةً وقال له : اغد علىّ فأعلمنى ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه . فقال له : ما صنعت؟ فقال : ما صنعتُ شيئا ولا قدرتُ عليه، وقد قلتُ فى ذلك أبياتا. ثم أنشده :

نظرتْ فأعجبها الذى فى درعها * من حُسنه ونظرتُ فى سرباليا
فرأتْ لها كفلا يميل بخصرها * وعثا[3] روادفه وأجثم[4] جاثيا
ورأيتُ منتشر العجان[5] مقلّصا * رخوا مفاصله وجلدا باليا
أدنى له الرّكب[6] الحليق كأنما * أدنى إليه عقاربا وأفاعيا
إنّ النّدامة والسّدامة فاعلمن * لو قد صبرتك للوآسى خاليا
ما بال رأسك من ورائى طالعا * أظننت أنّ حِرَ الفتاة ورائيا
فاذهب فإنّك ميّتٌ لا ترتجى * أبدَ الأبيد ولو عمِرت لياليا

(١) كذا فى الأصول . ولم نقف على هذه النسبة فيما لدينا من كتب الأنساب . والظاهر أنها محرفة عن « النوشجانى » نسبة الى نوشجان بلدة بفارس .

(٢) الشزر : النظر بجانب العين فى إعراض . والخزر : هو أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه . وتسكين الزاى فى الخزر لغة . (٣) الوعث : اللين . (٤) الكناية هنا ظاهرة .

(٥) العجان : القضيب الممدود من الخصية الى الدبر . (٦) الركب : الفرج .

أنت الغَـرُور إذا خُبِرتَ وربما * كانَ الغَرورُ لمن رجاه شافيا

لكنْ أُرى لا يُرتَجَى نفعُـه * حـتى أعود أخا قَنَـاءٍ ناشـيا

فضحِك هشام وأمر له بجائزة أخرى .

قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ قال ابن كُنَاسة :

حدث هشام بن عبد الملك عن نفسه فأضحكه

قال هشام بن عبد الملك لأبى النَّجْم : يا أبا النَّجْم حدِّثنى . قال : عنّى أو عن غيرى؟ قال : لا بل عنك . قال : إنّى لمّـا كَبِرتُ عرَض لى البَوْلُ، فوضعتُ عند رجلى شيئًا أبول فيه . فقمتُ من الليل أبول، فخرج منّى صوتٌ فتشدّدت، ثم عُدْتُ فخرج منّى صوتٌ آخر، فأوَيْتُ إلى فراشى، فقلت : يا أُمّ الخِيار هل سمِعْتِ شيئًا؟ فقالت : لا والله ولا واحدةً منهما! فضَحِك . قال : وأُمّ الخِيار التى يَعْنى بقوله :

٨٢ / ٩

قد أصبحتْ أُمُّ الخِيـار تَدّعى * عـلىّ ذنبًـا كلّه لم أصْـنَعِ

وهى أُرْجوزة طويلة .

ذكر فتاة فى شعره فتزوجت

وقال أبو عمرو الشَّيْبانى :

أتت مولاة لبنى قَيْس بن ثَعْلبَةَ أبا النّجم فذكرتْ له أنّ بنتًا لها أدركتْ منذ سنتين، وهى من أجمل النساء وأمدّهنّ قامةً ولم يخطُبها أحدٌ، فلو ذكرتَها فى الشعر! فقال : أفعل، فما آسمها ؟ قالت : نَفِيسة . فقال :

نَفِيسَ يا قتّـالةَ الأقـوامِ * أقصدتِ قلبى منك بالسِّهامِ

وما يُصيب القلبَ إلّا رامِ * لو يعـلَمَ العـلمَ أبو هشامِ

ساقَ إليهـا حاصِلَ الشآم * وجِزْيَةَ الأهْـواز كلَّ عامِ

وما سَـقَى النِّيلُ من الطعام * إذ ضاق منها مَوْضِعُ الإدغام[1]

(١) الكناية فى « موضع الإدغام » ظاهرة يفسرها البيت التالى .

أَجْثَمُ جاثٍ مُسْتَدِيرٌ حامِ * يَعَضُّ فى كَيْنٍ له تُؤَامِ[(١)]

* عَضَّ النجاريّ على اللِّجامِ[(٢)] *

فقالت : حَسْبُك حَسْبُك ! ووفد إلى الشأم، فلما رجع سمِع الزَّمْر والجَلَبة، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : نفيسة تزوّجت .

وصف فهود عبد الملك بن بشر ابن مروان

قال أبو عمرو وذكر عليّ بن المِسْوَر بن عمرو عن الأصمعيّ قال أخبرنى بعضُ الرُّواة وحدّثنى ٱبن أخت أبى النَّجْم :

أنّ عبد الملك بن بِشْر بن مروان قال لأبى النَّجْم : صِفْ لى فُهُودى هذه . فقال :

إنا نَزَلْنا خيرَ مَنْزِلاتِ * بين الحُمَيْراتِ المُبارَكاتِ

فى لَحْم وحْشٍ وحُبارَيَاتِ[(٣)] * وإنْ أرَدنا الصيدَ ذا اللَّذّاتِ

جاء مُطِيعًا لمُطاوِعاتِ * عُنّمن أو قد كنّ عالِماتِ

فسَكِّن الطَّرْفَ بمُطْرِفاتِ * تُرِيك آماقًا مخطَّطاتِ

مدح الحجاج برجز وطلب اليه واديا فى بلاده

ونسختُ من كتاب الخَزّاز عن المدائنيّ عن عثمان بن حَفْص أنّ أبا النَّجْم مدَح الحجّاجَ برَجَزٍ يقول فيه :

ويل آمّ دُور عِزّةٍ ومَجْدِ * دُورِ ثَقيفٍ بسَواء نَجْدِ

* أهلِ الحصون والخيول الجُرْدِ *

فأعجبَ الحجّاجَ رَجَزُه وقال : ما حاجتك ؟ قال تُقْطِعنى ذا الجبنين . فوجَم لها وسكت، ثم دعا كاتبَه فقال : ٱنظر ذا الجبنين ما هو ! فإن ذا الأعرابيّ سألنيه لعلّه نهر من أنهار العراق . فسألوا عنه فقيل: واد فى بلاد بنى عِجْل أعلاه حَشَفَةٌ[(٤)] وأسفلُه سَبَخَةٌ يخاصمه فيه بنو عمّ له . فقال : آكتبوا له به . قال : فأهلُه به إلى اليوم .

(١) الكين : لحم باطن الفرج . (٢) لم نعثر على هذه النسبة فى مظانها . ولعله يريد به فرسا كريم النجار . (٣) حباريات : مفردها حبارى وهو طائر يضرب به المثل فى البلاهة والحمق .
(٤) الحشفة : صخرة رخوة فى سهل من الأرض . والسبخة : أرض ذات نز وملح .

أخطأ فى أشياء أخذت عليه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبو أيُّوب المَدِينىّ قال قال الأصمعىّ : أخطأ أبو النَّجْم فى أشياء أُخِذَتْ عليه، منها قوله :

وهى على عَذْبٍ رَوِىّ المَنْهلِ * دَخْلِ أبى المِرْقَال خيرِ الأَدْخُلِ

* من نحت عادٍ فى الزمان الأوّل *

٥ قال الأصمعىّ : الدَّخْل لا تُورَده الإبلُ إنما تُورَد الرَّكايا[1] . وقد عِيب بهذا وعِيب بقوله فى البيت الذى يَلِيه : إنّ هذا الدَّخْلَ من نحت عاد . قال : والدُّخْلان لا تُحْفَر ولا تُنْحَت ، إنما هى خروق وشعاب فى الأرض والجبال لا تُصيبها الشمسُ ، فتَبقَى فيها المياه ، وهى هُوَّة فى الأرض يَضيق فَمُها ثم يتّسع فيدخلها ماء السماء .

83/9

قال الأصمعىّ : وقال يصف فرسه وقد أجراه فى حَلْبة :

١٠ * تَسبح أُخراهُ و يَطْفُو أوّلُهْ *

قال الأصمعىّ : أخطأ فى هذا؛ لأنه إذا سَبَح أُخراه كان حِمارُ الكُسَاح أسرعَ منه . قال الأصمعىّ : وحدّثنى أبى أنّه رأى فرسه هذا فقوّمه بسبعين درهما . و إنّما يُوصف الجواد بأنه تَسْبَح أُولاه وتَلْحَق رجلاه . قال : وخير عَدْو الذكور أن تُشْرِف ، وخيرُ عَدْو الإناث أن تَنْبَسط وتَصْغَى[2] كعَدْوِ الذئب .

١٥ (١) الركايا : جميع ركية وهى البئر . (٢) تصغى : تميل .

أخبارُ عُلَيّةَ بنتِ المهدىّ ونَسَبُها ونُتَفٌ من أحاديثها

أمها مكنونة أم ولد اشتريت للمهدى فى حياة أبيه

عُلَيّة بنت المهدىّ أُمّها أُمّ ولد مُغَنِّيَةٌ يقال لها مَكْنونة، كانت من جوارى المَرْوانيّة المغنّية .

نسختُ من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات أن آبن القَدّاح(1) حدّثه قال :

٥

كانت مكنونة جاريةُ المروانيّة - وليست من آل مروان بن الحكم، هى زوجة الحسين بن عبد الله بن عُبَيْد الله بن عبّاس - مغنّيةً، وكانت أحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجهًا، وكانت رَسْحاء(2)، وكان بعض من يمازحها يعبث بها فيصيح : طَشْت طَشْت(3) . وكانت حَسَنة الصدر والبطن، فكانت تُوضِع بهما وتقول: ولكن هذا(4)! . فآشْتُرِيَتْ للمهدىّ فى حياة أبيه بمائة ألف درهم، فغلَبَتْ عليه، حتى كانت الخَيْزُران تقول : ما ملك آمرأةً أغْلَظَ علىّ منها . وآستتر أمرُها عن المنصور حتى مات، فولدتْ له عُلَيّةَ بنتَ المهدىّ .

١٠

بعض صفاتها

أخبرنى عمّى قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ عن عمّه قال :

كانت عُلَيّةُ بنتُ المهدىّ من أحسن الناس وأظرفهم تقول الشِّعرَ الجيِّد وتصوغ فيه الألحانَ الحسنةَ، وكان بها عيب، كان فى جبينها فَضْلُ سَعَةٍ حتى تسمج(5)، فآتّخذت العصائب المكلّلة بالجوهر لتستُر بها جبينَها، فأحدثتْ والله شيئًا ما رأيتُ فيما آبتَدَعَتْه النساء وأحدَثَتْه أحسنَ منه .

١٥

(1) فى أ، م : «أبا القداح» . (2) الرسحاء : القليلة لحم العجز والفخذين .
(3) لعل المراد تشبيهها فى استواء عجزها مع ظهرها ونخذيها باستواء قعر الطست . (4) فى ب، س : «ويكنّ هذا» . (5) فى أ، م : «تسفح» (بتشديد الفاء) . وفى ح : «تسبح» .
وعبارة النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٩١ طبع دار الكتب المصرية) : «وكان فى جبهتها سعة تشين وجهها» .

٢٠

كانت حسنة الدين ولا تشرب ولا تغنى إلا أيام حيضها

أخبرنى الحسين بن يحيى ووَكِيع قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول :

كانت عُلَيَّةُ حَسَنَةَ الدِّين، وكانت لا تغنِّى ولا تشرَب النَّبيذ إلّا إذا كانت معتزِلةَ الصلاة، فاذا طَهُرَتْ أقبلتْ على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب ، فلا تَلَذّ بشىء غير قول الشعر فى الأحيان، إلّا أن يدعُوَها الخليفةُ إلى شىء فلا تَقدِر على خلافه . وكانت تقول : ما حرَّم الله شيئًا إلّا وقد جعل فيما حَلَّل منه عِوَضًا، فبأىّ شىء يحتجُّ عاصيه والمُنْتَهِكُ لِحُرُماته ! . وكانت تقول : لا غفَر الله لى فاحشةً آرتكبتُها قطّ ، ولا أقول فى شعرى إلا عَبَثًا .

لم يجتمع فى الاسلام أخ وأخت أحسن غناء منها ومن أخيها

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال سمعت عبد الله ابن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع يقول :

ما اجتمع فى الإسلام قطّ أخ وأخت أحسن غناءً من إبراهيم بن المهدىّ وأخته عُلَيَّة، وكانت تُقَدِّم عليه .

كانت تحب المكاتبة بالشعر وكاتبت طلا فنعها الرشيد

أخبرنى محمد قال حدّثنا عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال حدّثنا سعيد بن إبراهيم قال :

كانت عليّة تحب أن تُراسِل بالأشعار مَنْ تختصُّه ، فآختصَّتْ خادمًا يقال له « طَلّ » من خَدَم الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أيّاما، فمَشَتْ على مِيزَاب وحدّثته وقالت فى ذلك :

قد كان ما كُلِّفتُه زمنًا * يا طَلُّ من وَجْدٍ بكم يكفى
حتى أتيتُكَ زائرًا عَجِلًا * أمشى على حَتْفٍ إلى حَتْفِ

٨٤ / ٩

فحلَف عليها الرشيد ألّا تكلِّم طَلًّا ولا تسمِّيَه بآسمه، فضمِنَتْ له ذلك . وآستمع عليها يومًا وهى تَدْرُس[(١)] آخرَ سورة البقرة حتى بلغتْ إلى قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى أ ، م : « تريد » وهى محرفة عن « تدير » بالدال بمعنى تقرأ .

وابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ وأرادتْ أن تقول : "فَطَلٌّ" فقالت : فالذى نهانا عنه أميرُ المؤمنين. فدخل فقبّل رأسَها وقال : قد وهبتُ لكِ طَلًّا، ولا أمنعك بعد هذا من شىء تريدينه . ولها فى طَلّ هذا عِدّةُ أشعارٍ فيها لها صنعة . منها :

صوت

يا ربّ إنى قد غَرِضْتُ[1] بهجرها * فإليك أشكو ذاك يا رَبّاهْ
مولاةُ سَوْءٍ تستهين بعبدها * نِعْمَ الغلامُ وبئستِ المولاهْ
"طَلٌّ" ولكنّى حُرِمْتُ نعيمَه * ووصالَه إن لم يُغِثْنى الله
يا ربّ إن كانت حياتى هكذا * ضرًّا علىّ فما أريد حياه

الشعر والغناء لها خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى الوسطى . وقد ذكر آبن خُرْدَاذْبَه أن الشعر والغناء لِنُبَيْه الكوفىّ، وأنه هوِى جارية تُغَنِّى، فتعلَّم الغناء من أجلها وقال الشعر، ولم يزل يتوصّل إليها بذلك حتى صار مُقَدَّمًا فى المغنّين، وأنّ هذا الشعر له فيها والصنعة أيضا .

حجب عنها طل فقالت فيه شعرا وصحفت اسمه

أخبرنى أحمد بن محمد أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنى محمد بن صالح بن شيخ ابن عُمَيْر عن أبيه قال :

حُجِب طَلٌّ من عُلَيَّةَ فقالت وصحّفت آسمه فى أوّل بيت :

أيا سَرْوَةَ[2] البستان طال تشوّقى * فهل لى إلى ظِلٍّ لديك سبيلُ
متى يلتقى مَنْ ليس يُقْضَى خروجُه * وليس لمن يَهْوَى إليه دخولُ
عسى الله أن نرتاح من كُرْبةٍ لنا * فَيَلْقَى آغتباطًا خُلَّةٌ وخليلُ

---

(١) غرضت بهجرها أى ضجرت . وفى الأصول : « عرضت » بالعين المهملة وهو تصحيف .
(٢) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق، وقد ضربه صاحب القاموس المرهر .

عروضه من الطويل. الشعر والغناء لعليّة خفيفُ رَمَلٍ. كذا ذكر ميمون بن هارون، وذكر عمرو بن بانة أنه لسَلْسل خفيف رملٍ بالوسطى. وأوّل الصوت :

* متى يلتقِى مَنْ ليس يُقْضَى خروجُه *

وذكر حَبَشٌ أنه للهُذَلىّ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر.

٥ أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطّالقانىّ قال حدّثنى أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامىّ قال :

قالت عُلَيَّةُ فى طَلٍّ وصحّفت آسمه فى هذا الشعر وغَنّتْ فيه :

صـــوت

سَلِّمْ على ذاك الغـزالِ * الأغيدِ الحسنِ الدّلالِ

١٠ سَلِّمْ عليـه وقُلْ له * يا غُلَّ ألبـابِ الرجال

خلّيْتَ جسمى ضاحيًا * وسكنتَ فى ظلّ الحِجَالِ [١]

وبلغتَ مـنّى غايةً * لم أدرِ فيهـا ما آحتيالى

الشعرُ والغِناء لعُلَيَّة خفيفُ رَمَلٍ. وذُكر غيرهذا أن الغِناء لأحمد بن المكّىّ فى هذه الطريقة.

أنت تقول الشعر فى خادمها رشأ وتكنى عنه بزينب

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى ميمون بن هارون عن محمد بن علىّ بن عثمان

١٥ الشِّطْرَنجىّ :

٨٥/٩ أن عُلَيّة كانت تقول الشعر فى خادم لها يقال له « رشأ » وتَكْنِى عنه. فمن شعرها فيه وكَنَتْ عنه بزينب :

صـــوت

وجَد الفـؤادُ بزينبـا * وَجْدًا شديدًا مُتْعِبـا

٢ أصبحتُ من كَلَفى بها * أُدْعَى سَقِيًّا [٢] مُنْصَبـا

(١) الحجال : جمع حجلة وهى ستر العروس فى جوف البيت. (٢) فى أ، م : « شقيا ».

ولقد كَنَيْتُ عن ٱسمها * عمدًا لكى لا تَغْضَبا
وجعلتُ زينبَ سُتْرَةً * وكتمتُ أمرًا مُعْجِبا
قالت وقد عَزَّ الوصا * لُ ولم أجِدْ لى مذهبا
والله لا نلتَ المو * دّة أو تنالَ الكوكبا

هكذا ذكر ميمون بن هارون، وروايتُه فيه عن المعروف بالشِّطْرَنْجِىّ ولم يحصّل ما رواه. وهذا الصوت شعرُه لآبن رُهَيْمةَ المَدَنىّ. والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، وهو من زَيانِب يونس المشهورات وقد ذكرته معها[1]. والصحيح أنّ عُلَيّة غنّت فيه لحنًا من الثقيل الأوّل بالوسطى، حكى ذلك آبن المكىّ عن أبيه، وأخبرنى به ذُكاء عن القاسم بن زُرْزُور.

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجماز[2] قال حدّثنى عُبَيْد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ قال:

لمّا عَلِم من عُلَيَّةَ أنها تَكْنى عن رشأ بزينب قالت:

صوت

القلبُ مشتاقٌ إلى رَيْبِ * يا ربِّ ما هذا من العيب
قد تَيَّمَتْ قلبى فلم أستطع * إلّا البكا يا عالمَ الغيب
خبأتُ فى شعرىَ إسمَ الذى * أردتُه كالخَبْءِ فى الجيب

قال: وغنّت فيه لحنا من طريقة خفيف الرَّمَلِ الأوّل فصحّفتِ آسمَها فى ريب.

(١) انظر الجزء الرابع من الأغانى من هذه الطبعة ص ٤٠٢ وما بعدها. (٢) مر هذا الاسم فى الجزء الخامس ص ٢٧٣ باسم «الحسين بن يحيى أبى الجمان» وفى الجزء السابع ص ٢٠٨ باسم «الحسين بن يحيى أبى الحمار».

هجت طغيان حين وشت بها الى رشأ

قال : وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طُغْيانُ، فوشَتْ بعُلَيَّةَ إلى رَشَأ وحكَتْ عنها ما لم تقل ، فقالت عُلَيَّةُ :

لطُغْيانَ خُفٌّ مُذْ ثلاثين حِجّةً * جديدٌ فلا يَبْلَى ولا يتخرّقُ

وكيف بِلَى خُفٍّ هو الدَّهْرَ كُلَّه * على قدميها فى الهواء مُعَلَّقُ

٥ فما خَرَقَتْ خُفًّا ولم تُبْلِ جَوْرَبًا * وأَمَّا سَرَاويلاتها فتُمَزَّقُ

شعرها حين امتنع رشأ عن شرب النبيذ

قال : وحلَف رَشَأٌ ألّا يشرب النبيذ سنةً ، فقالت :

صـــوت

قد ثبت الخاتمُ فى خِنصرى * إذ جاءنى منك تَجَنِّيك[1]

حَرَّمتُ شربَ الراح إذ عِفْتَها * فلستُ فى شىء أعاصيك

١٠ فلو تَطَوَّعتِ لعوّضتنى * منه رُضابَ الرِّيق من فيك

فيالها عندىَ من نعمةٍ * لستُ بها ماعشتُ أَجْزيك

يا زينبًا قد أرَّقتْ مُقْلتى * أمتعنى الله بحبّيك

غنَّتْ فيه عليّةُ هَزَجًا .

٨٦ / ٩

غنى عقيد للمعتصم بشعر فسأل عنه فقال محمد بن اسماعيل إنه لها فغضب وأعرض عنه

أخبرنى جَحْظة ومحمد بن يحيى قالا حدّثنا ميمون بن هارون قال حدّثنى

١٥ الحسن[2] بن إبراهيم بن رَبَاح قال : قال لى محمد بن إسماعيل بن موسى الهادى :

كنت عند المعتصم وعنده مُخارِق وعَلّويه ومحمد بن الحارث وعَقِيد ، فتغنَّى عَقِيد وكنت أضرب عليه :

صـــوت

نام عُذّالى ولم أَنَمِ * وٱشتفَى الواشون من سَقَمى

٢٠ وإذا ما قلتُ بى أَلَمٌ * شَكَّ مَنْ أهواه فى أَلَمى

(١) الكناية هنا غير مفهومة وإن كان المعنى الإجمالى واضحا . (٢) فى ب ، س : «الحسين» .

فطرب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر والغناء؟ فأمسكوا . فقلت : لِعُلَيّة، فأعرض عنّى، فعرفت غلطى وأنّ القوم أمسكوا عمدًا، فقُطِع بى(١). وتبيّن حالى، فقال: لا تُرَعْ يا محمد؛ فإنّ نصيبك فيها مِثْلُ نصيبى. الغناء لعُلَيّة خفيفُ رَمَلٍ. وقد قال قوم: إنّ هذا اللحن للعبّاس بن أشرَس الطُّنبورِىّ مولى خُزاعة، وإن الشعر لخالد الكاتب .

غنى بنان للمنتصر بلحن لها فى شعر الرشيد

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى أحمد بن يزيد قال حدّثنى أبى قال : ٥
كنّا عند المنتصر، فغنّاه بَنَانٌ لحنًا من الرمل الثانى وهو خفيف الرمل :

صــــوت

يا رَبّةَ المنزلِ بالبِرْكِ(٢) * وربّةَ السلطانِ والمُلْكِ
تَحَرّجى بالله من قتلنا لسنا من الدَّيلَم والتُّرْكِ

فضحكتُ . فقال لى : مِمَّ ضحكتَ؟ قلت : من شَرَف قائلِ هذا الشعر، وشرفِ ١٠
من عَمِل اللّحنَ فيه، وشرفِ مُسْتَمِعه . قال : وما ذاك ؟ قلت: الشعرُ فيه للرشيد، والغناءُ لعُلَيّة بنتِ المهدىّ، وأميرُ المؤمنين مستمعُه . فأعجبه ذلك وما زال يستعيده .

أخذت من اسحاق لحنا وغنته الرشيد ثم غناه هو للمأمون فعنفه

حدّثنى إبراهيم بن محمد بن بركشة قال سمعت شيخًا يحدّث أبى وأنا غلام فحفظتُ عنه ما حدّثه به ولم أعرف اسمَه، قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال :
عَمِلتُ فى أيام الرَّشيد لحنًا وهو : ١٥

صــــوت

سَقْيًا لأرضٍ إذا ما نِمْتُ نَبَّهَنى * بعدَ الهُدوِّ بها قَرْعُ النّواقيسِ
كأنّ سَوْسَنَها فى كلِّ شارقةٍ * على الميادين أذنابُ الطّواويسِ

(١) قطع بى : يريد سدّت علىّ مسالك القول . (٢) البرك : علم على عدة مواضع .

قال: فأعجبني وعَمِلتُ على أن أباكر به الرّشيدَ. فلقِيَني في طريقي خادمٌ لعُلَيّة بنتِ المهدىّ، فقال: مولاتى تأمرك بدخول الدِّهليز لتسمع من بعض جواريها غناءً أخذتْه عن أبيك وشكَّتْ فيه الان. فدخلتُ معه إلى حجرة قد أُفرِدت لى كأنها كانت مُعَدّة، فجلستُ، وقُدِّم لى طعامٌ وشرابٌ فنِلت حاجتى منهما، ثم خرج إلىّ خادم فقال لى: تقول لك مولاتى: أنا أعلم أنك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددتَه له مُحْدَث، فأسمِعنيه ولك جائزةٌ سنيّة تتمحّلها، ثم ما يأمر به لك بين يديك، ولعله لا يأمر لك بشيء أَوْ لَا يقع *الصوت منه بحيث توخّيْتَ*، فيذهب سعيُك باطلًا. فاندفعتُ فغنّيتُها إيّاه، ولم تزل تستعيده مراراً، ثم أخرجتْ إلىّ عشرين ألف درهم وعشرين ثوبًا، وقالت: هذه جائزتك، ولم زل تستعيده مراراً. ثم قالت: اسمعه منّى الآن؛ فغنّته غناءً ما خرَق سمعى مثلُه. ثم قالت: كيف تراه؟ قلت: أرى والله ما لم أرَ مثلَه. قالت: يافلانة أعيدى له مثلَ ما أخذ؛ فأحضرتْ لى عشرين ألفًا أخرى وعشرين ثوبًا. فقالت: هذا ثمنُه[1]، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين، أبدأ أتغنّى به، وأُخبِر أنّه من صنعتى. وأُعطِى الله عهدًا لئن نطقتَ أنّ لك فيه صنعةً لأقتلنّك! هذا إن نجوتَ منه إن علم بمَصيرك إلىّ[2]. فخرجتُ من عندها ووالله إنّى لكالموقن بما أكره من جائزتها أسفًا على الصوت، فما جَسَرْتُ والله بعد ذلك أن أتنغّم به فى نفسى فضلًا عن أن أُظهِره حتى ماتت. فدخلتُ على المأمون فى أوّل مجلس جلسه للّهْو بعدَها، فبدأتُ به أوّل ما غَنّيت. فتغيّر لونُ المأمون وقال: من أين لك ويلك هذا؟! قلت: ولِيَ الأمانُ على الصدق؟ قال: ذلك لك. فحدّثتُه الحديثَ. فقال: يا بغيض! فما كان فى هذا من النفاسة حتى شَهَرْتَه وذكرتَ هذا منه مع ما قد أخذتَه من العوَض! وهجّنْنى فيه هُجْنةً وَددتُ معها أنّى لم أذكره. فآليتُ ألّا أغنّيه

(١) فى ب، س: «وأنا أبدأ أغنيه غيره». (٢) فى أ، م: «وواللهِ إنى لأكاد أموت بما أكره الخ».

بعدها أبدا . الشعرُ فى هذا الصوت لإسماعيلَ بن يَسار النَّسائى، وقيل: إنه لإسحاق. ولحنُه من الثقيل الأوّل مُطْلَق فى مجرى الوسطى. وذكر حبش أنه للهُذَلِىّ، ولم يحصِّل ما قاله .

طارحت أخاها إبراهيم الغناء وسمعها من فى مجلس المأمون

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال قال لى يَنْشُو المغنّى حدّثنى أبو أحمد بن الرشيد قال : ٥

كنت يوما عند المأمون و إلى جانبى منصور و إبراهيمُ عمّاى، فجاء ياسر دخلةَ فسارَّ المأمونَ. فقال المأمون لإبراهيم: إن شئت يا إبراهيم فانهض، فنهض. فنظرتُ إلى ستر قد رُفِع مما يلى دار الحُرَم، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئا أقلقنى. فنظر إلىّ المأمون وأنا أميل فقال لى: يا أبا أحمد مالك تميل ؟ فقلت: إنى سمعت شيئًا ما سمعتُ بمثله . فقال : هذه عمّتك عُلَيَّة تطارح عمّك إبراهيم : ١٠

* مالى أرى الأبصارَ بى جافيةْ *

نسبة هذا الصوت :

صوت

ما لى أرى الابصارَ بى جافيةْ * لم تلتفتْ منّى إلى ناحيةْ
لا ينظر الناس إلى المُبْتَلَى * و إنّما الناس مع العافيةْ ١٥
صَحْبِى سَلُوا ربَّكُمُ العافيه * فقد دهتنى بعدَكم داهيةْ
صارَمَنِى بعدَكُمُ سيِّدى * فالعينُ من هِجرانه باكيةْ

الشعر لأبى العتاهية ، وذكر ابن المعتز أنّه لعليَّة وأنّ اللحن لها خفيف رملٍ . وذُكر أنه لغيرها خفيفُ رمل مطلق ، ولحن عُلَيَّةَ مزمومٌ .

أرسلت إلى الرشيد ومنصور شرابا مع خلوب وغنتهما بلحن لها

أخبرنى عمى قال حدّثنى أبو العبّاس أنّ بِشْرًا المَرْثَدِىّ قال قالت لى رَيِّقُ : كنتُ يومًا بين يدى الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان، فدخلتْ إليه خَلُوبُ[1] (جارية لعُلَيَّةَ) ومعها كأسان مملوءتان وتحيّتان، ومع خادم يتبعها عودٌ، فغنّتهما قائمة والكأسان فى أيديهما والتحيتان بين أيديهما :

٥

صــــوت

حيّــا كما الله خَليـــلَيَّا * إنْ مَيِّتاً كنتُ و إن حيّا

إن قلتما خيرًا نخـيرٌ لكم * أو قلتما غـــيًّا فلا غيّـا

٨٨/٩

فشربا . ثم دفعتْ إليهما رقعةً فإذا فيها : "صنعتْ يا سيّدىّ أُختُكما هذا اللّحْنَ اليوم، وألقته على الجوارى ، وآصطبحتُ فبعثتُ لكما به ، و بعثتُ من شرابى إليكما ومن تحياتى وأَحْذَق جوارىّ لتغنّيكما. هنأ كما الله وسرّكما وأطاب عيشَكما وعيشى بكما".

١٠

دعا إبراهيم بن المهدى إسحاق وأبا دلف وغنتهم جاريته لحنا لها

أخبرنى عمّى قال حدّثنى بنحوٍ من هذا أبو عبـد الله بن المَرْزُبان قال حدّثنى إبراهيم بن أبى دُلَف العِجْلىّ قال :

كنّا مع المعتصم بالقاطول[2] وكان إبراهيم بن المهدىّ فى حَرّاقته بالجانب الغربىّ، وأبى و إسحـاق بن إبراهيم الموصلىّ فى حَرّاقتِهما بالجانب الشرقىّ . فدعاهما فى يوم جمعة، فعبرا إليه فى زلال[3] وأنا معهما وأنا صغير، علىّ أَقْبِيَةٌ ومِنْطَقةٌ . فلما دنونا من حَرّاقة إبراهيم فرآنا نَهَض ونهضتْ بنهوضه صبيّةٌ له يقال لها «غَضَّةُ» و إذا فى يديها كأسان وفى يده كأس . فلما صعدنا إليه آندفع فغنّى :

١٥

(١) فى أ ، م : « خلوى » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، وهو نهر كان فى موضع سامرا قبـل أن تعمر ، وكان الرّشيد أوّل من حفر هـذا النهر و بنى على فوهته قصرا .

(٣) ظاهر من السياق أنه نوع من السفن كالزورق ونحوه . وقد ورد هـذا الاسم فى كتاب تزيين الأسواق لداود الأنطاكى صفحة ٢٥٨ طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩ هجرية فى قوله : « فعزمت على واسط لأن لى بها صديقا من الكتّاب لجئت فرأيت زلالا مهيأ فطلبت النزول معهم فقالوا نحملك بدرهمين ، ولكن الزلال لهاشمى لا يريد معـه غريبا ، فتزىّ بزينا كأنك بعض الملاحين ... » وكتب مصححه بالهامش : «قوله زلالا كأنه نوع من السفن كالزورق كما يظهر من بقية الكلام» اه وانظر الكلام عليه فى قاموس دوزى .

٢٠

حيّاكما الله خليلَيّا * إن ميّتاً كنتُ و إن حيّا
إن قلتما خيراً فأهْـلاً به (١) * أو قلتما غَيّاً فلا غَيّا

ثم ناول كلّ واحدٍ منهما كأساً، وأخذ هو الكأسَ الثالثَ(٢) الذى فى يد الجارية وقال: هلُمّ نشرب على رِيقنا قَدَحًا . ثم دعا بالطعام فأكلنا، ووُضع النبيذُ فشربنا، وغنّياه وغنّاهما وضربا معه وضرب معهما، وغنّت الصبيّةُ، فطرِب أبى وقال لها : أحسنتِ أحسنت ! . فقال له إبراهيم : إن كانت أحسنَتْ فخُذْها ، فما أخرجتُها إلّا لك .

شكت اليها أم جعفر انقطاع الرشيد فقالت شعرا وغنت به فرجع اليها

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم و إسماعيل بن يونس قالا حدّثنا أبو هِفّان قال: أُهْديتْ إلى الرشيد جاريةٌ فى غاية الجمال والكمال، فخلا معها يومًا وأخرج كلّ قينة فى داره واصطبح، فكان جميع من حضره من جواريه المغنّيات والخَدَمة فى الشراب زُهاء ألفَىْ جاريةٍ فى أحسن زىٍّ من كلّ نوع من أنواع الثياب والجوهر. واتّصل الخبر بأُمّ جعفر فغلُظ عليها ذلك، فأرسلت الى عُلَيّة تشكو إليها. فأرسلت إليها عُلَيّةُ: لا يَهُولَنّكِ هذا، فوالله لأردنّه إليك، قد عزمتُ أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحنا وأطرحه على جوارىّ، فلا تبقَ عندك جاريةٌ إلّا بعثتِ بها إلىّ وألبِسيهنّ ألوانَ الثياب ليأخذنَ الصوتَ مع جوارىّ، ففعلتْ أُمّ جعفر ما أمرتْها به عُلَيّة. فلما جاء وقت صلاة العصر لم يَشْعُر الرشيد إلا وعُلَيّةُ قد خرجتْ عليه من حُجْرتها، وأُم جعفر من حجرتها معها زُهاء ألفى جاريةٍ من جواريها وسائر جوارى القصر، عليهنّ غرائب اللباس، وكلهنّ فى لحنٍ واحد هَزَجٍ صَنَعتْه عُلَيّة :

صـــوت

منفصلٌ عـــنّى وما * قلبىَ عنـــه منفصلْ
يا قاطعى اليـــومَ لِمَنْ * نويتَ بعدى أن تَصِلْ

(١) كذا فى حـ . وفى أ ، م : « فأهلا له » . وفى ب ، سـ : « فخير لكم » .
(٢) كذا فى الأصول . و يلاحظ أن الكأس مؤنثة .

فطرب الرّشيد وقام على رجليه حتى آستقبل أمّ جعفر وعُلَيّة وهو على غاية السرور، وقال : لم أر كاليوم قطّ . يا مسرور لا تُبقِينّ في بيت المال درهمًا إلا نثرته . فكان مبلغ ما نثره يومئذ ستةَ آلاف ألف درهم، وما سُمِع بمثل ذلك اليوم قطّ .

٨٩/٩

كانت تحب لحن الرمل

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال :

٥ كانت عُلَيّةُ تقول : من لم يُطرِبْه الرمل لم يُطربه شيء . وكانت تقول : من أصبح وعنده طَبَاهِجَةٌ[1] باردةٌ ولم يصطبح فعليه لعنةُ الله .

غنت هي وأخوها ابراهيم وزمر عليهما أخوهما يعقوب

حدّثني عمّي قال حدّثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عَرِيبُ :

أحسنُ يومٍ رأيتُه وأطيبُه يومٌ آجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهديّ عند أخته ١٠ عُلَيّة وعندهم أخوهم يعقوب، وكان أحذقَ الناس بالزَّمْر. فبدأت عُلَيّة فغنّتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمُر عليها :

صوت

تَحَبَّبْ فإنّ الحبَّ داعيةُ الحبِّ * وكم من بعيد الدّار مستوجبُ القرب

وغنّى إبراهيم في صنعته وزمَر عليه يعقوب :

١٥ صوت

يا واحدَ الحُبِّ مالي منك إذ كَلِفتْ * نفسي بحبِّك إلّا الهمُّ والحَزَنُ

لم يُنْسِنيك سرورٌ لا ولا حَزَنٌ * وكيف لا! كيف يُنْسى وجهُك الحَسَنُ

ولا خلا منك قلبي لا ولا جَسَدي * كُلّي بكلِّك مشغول ومُرْتَهَنُ

نورٌ تولّد من شمسٍ ومن قمرٍ * حتى تكامل منه الرُّوح والبَدَنُ

٢٠ فما سمعتُ مِثْلَ ما سمعتُه منهما قطّ، وأعلم أني لا أسمع مِثْلَه أبدًا .

(١) الطباهجة : ضرب من اللحم المقلي .

تمارت خشف وعريب فى عدد أصواتها بحضرة المتوكل

قال ميمون بن هارون قلت لعَرِيبَ :

رأيتُ فى النوم كأنّى سألت عُلَيَّـةَ بنتَ المهدىّ عن أغانيها فقالت لى : هى نَيِّفٌ وخمسون صوتا . فقالت لى عَرِيب : هى كذلك . وقد أخبرنى بنحو هذا الخبر عبد الله بن الرَّبيع الرَّبيعىّ قال حدّثنى وسواسة وهو أحمـد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثتنى خِشْف الواضِحيّة أنها تمارت هى وعَرِيب فى غِناء عُلَيَّة بحضرة المتوكّل أو غيره من الخلفاء، فقالت هى : هى ثلاثةٌ وسبعون صوتًا . فقالت عَرِيب : هى آثنان وسبعون صوتًا . فقال المتوكّل : غنّيا غِناءها، فـلم تزالا تغنّيان غِناءها حتى مضى آثنان وسبعون صوتا ، ولم تذكر خِشْف الثـالثَ والسبعينَ فقُطِع بها وآستولت عَرِيب عليها وآنكسرتْ . قالت : فلمّا كان الليل رأيت عُلَيَّة فيما يرى النائم فقالت : ياخِشْفُ خالفتْكِ عَرِيبُ فى غِنائى ! قلت : نعم ياسيّدتى . قالت : الصواب معكِ، أفتدرِين ما الصوتُ الذى أُنسِيتِه ؟ قلت : لا والله ! ولَوَدِدتُ أنى فَدَيت ما جرى بكلّ ما أملك . قالت هو :

صـــــوت

بُنِى الحُبُّ على الجَــوْرِ فَـلَوْ * أَنْصف المعشوقُ فيـه لسَمُجْ
ليس يُسْتَحْسَنُ فى حكم الهوى * عاشـقٌ يُحسن تأليفَ الحُجَجْ
لا تَعِيبــن من محبٍّ ذِلَّةً * ذِلَّةُ العـاشق مِفتـاحُ الفرج
وقليـــلُ الحب صِرفًا خالصًــا * لك خيرٌ من كثير قـــد مُزِجْ

وكأنّها قد آندفعت تغنّينى به، فما سمعتُ أحسنَ مما غنّتْه، ولقد زادت لى فيه أشياء فى نومى لم أكن أعرفها . فآنتبهتُ وأنا لا أعقِل فرحًا به . فباكرتُ الخليفةَ وذكرتُ له القصّةَ . فقالت عَرِيب : هذا شىء صنعتِه أنتِ لِمـا جرى بالأمس، وأمّا الصوت فصحيح . فحلفتُ للخليفة بمـا رضِى به أنّ القصة كما حَكَيْتُ . فقال : رؤياكِ والله

أعجب، ورحم الله عُلَيَّة! فما تركتْ ظَرْفَها حيَّةً وميِّتةً، وأجازنى جائزة سنيّة . ولعُلَيَّة فى هذا الصوت أغنى :

* بُنِى الحب على الجَوْر فلو *

لحنان : خفيفُ ثقيلٍ وهَزَج . وقيل إن الهَزَج لغيرها .

سمع الرشيد لحنين لها من جاريتها عند إبراهيم الموصلى فرجع إليها وسمعهما منها ومدحهما

٥ ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدّثنى أحمد بن محمد الفيرزان[1] قال حدّثنى بعضُ خَدَمِ السلطان عن مسرور الكبير، ونسختُ هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان[1]، وفيهما خلاف يذكر فى موضعه، قال :

اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلىّ يومًا، فركب حمارًا يقرب من الأرض، ثم أمر بعض خدم الخاصة بالسعى بين يديه، وخرج من داره، فلم يزل حتى دخل

١٠ على إبراهيم . فلما أحسّ به استقبله وقبّل رجليه . وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ثم مَضَوْا، ورأى عيدانًا كثيرةً، فقال : يا إبراهيم ما هذا؟ فجعل يدافع . فقال : وَيْلَك ! أَصْدُقْنى . فقال : نعم يا أمير المؤمنين، جاريتان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين ظريفتين، وكانت الجاريتان لعُلَيَّة بنت المهدى بعثت بهما يطرَح عليهما . فقال الرشيد لإحداهما : غنّى، فغنّتْ — وهذا كله من

١٥ رواية محمد بن طاهر — :

بُنِى الحُبُّ على الجَوْر فلو * أنصف المعشوقُ فيه لسَمُجْ
ليس يُستحسن فى حكم الهوى * عاشقٌ يُحسِن تأليفَ الحُجَجْ
لا تَعيبنْ من محبٍّ ذِلّةً * ذِلَّةُ العاشق مِفتاحُ الفَرَجْ
وقليلُ الحب صرفًا خالصًا * لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِجْ

٢٠ فأحسنتْ جدًّا . فقال الرشيد : يا إبراهيم لمن الشعر؟ ما أملحه! ولمن اللحن؟ ما أظرفه! فقال : لا علم لى . فقال للجارية، فقالت : لستّى . قال : ومَنْ سِتُّك ؟ قالت : عُلَيَّة

(١) ف ، ا ، م : « الفيزران »

أختُ أمير المؤمنين . قال : الشـعرُ واللحن ؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسَه إلى الأخرى فقال : غنّى؛ فغنّتْ :

صـــوت

تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيةُ الحبِّ * وكم من بعيد الدار مستوجبُ القربِ

تَبَصَّرْ فإن حُدِّثتَ أنّ أخا هوى * نجـا سالمًـا فارجُ النَّجاةَ من الحب ٥

إذا لم يكن فى الحب سُخْطٌ ولا رِضًا * فأين حلاواتُ الرسائل والكُتْبِ

— الغِناء لعليَّة خفيفُ ثقيلٍ . وفى كتاب عَلَّويه : الغِناء له — فسأل إبراهيمَ عن الغِناء والشعر، فقال : لا علمَ لى يا أمير المؤمنين . فقال للجارية : لمن الشعر واللحن؟ فقالت لستّى . قال : ومَنْ ستُّكِ؟ فقالت : عُلَيَّةُ أختُ أمير المؤمنين . فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين . ومَضَى فركب حماره وانصرف إلى عُلَيَّةَ . هذا كله ١٠ فى رواية محمد بن طاهر، ولم يذكره محمد بن الحسن، ولكنه قال فى خبره : إن الرشيد زار الموصلىّ هذه الزيارة ليلًا، وكان سببها[1] أنه انتبه فى نصف الليل فقال : هاتوا حمارى فأُتِى بحمارٍ كان له أسْوَدَ يركبه فى القصر قريبٍ من الأرض، فركبه وخرج فى دُرَّاعة[2] وشيٍ متلثِّمًا بعمامةِ وشيٍ مُلْتَحِفا برداءِ وشيٍ، وخرج بين يديه مائة خادم أبيض سوى ٩١/٩ الفرّاشين . وكان مسرور الفَرْغانى جريئًا عليه لمكانته عنده، فلما خرج على باب القصر ١٥ قال : أين يريد أمير المؤمنين فى هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزلَ الموصلىّ . قال مسرور : فمضى ونحن بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم، فتلقّاه وقبّل حافرَ حماره وقال : يا أمير المؤمنين، جعلنى الله فداءك، أفى مثل هذه الساعة تظهر ! ! قال : نعم ! شوقٌ طرَق بى . ثم نزل فجلس فى طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم . فقال له إبراهيم : ياسيّدى

(١) فى الأصول : «سببه» . (٢) الدراعة : ضرب من الثياب، أو هى جبة مشقوقة المقدم . ٢٠

أتنشَط لشيء تأكله؟ قال: نعم، وماهو؟ قال: خاميزُ ظبي[1]. فأُتِي به كأنَّما كان مُعَدًّا له فأصاب منه شيئًا يسيرًا، ثم دعا بشرابٍ كان حُمِل معه. فقال له إبراهيم الموصليّ: أؤغنّيك ياسيّدي أم يغنّيك إماؤك؟ فقال: بل الجواري. فخرج جواري إبراهيم فأخذْنَ صَدْرَ الإيوان وجانبيه. فقال: أيَضْرِبْنَ كلّهن أم واحدةٌ واحدةٌ؟ فقال: بل تَضْرِب آثنتان آثنتان وتغنّي واحدةٌ فواحدةٌ. ففعلن ذلك حتى مَرَّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرّشيد يسمَع ولا يَنْشَط لشيء من غنائهنّ، إلى أن غنّتْ صبيّةٌ من حاشية الصَّفّ:

صـــوت

ياموريَ الزَّنْد قـد أعيتْ قوادحُه * اِقْبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمِقْباسِ

ما أقبحَ الناسَ في عيني وأسمجَهم * إذا نظرتُ فلم أُبْصِرْك في النـاس

فطرِب لغنائها وآستعاد الصوتَ مِرارًا وشَرِب أرطالًا، ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكتْ، فآستدناها فتقاعستْ. فأمر بها فأُقيمتْ إليه، فأخبرتْه بشيء أسرّتْه إليه. فدعا بحماره فآنصرف وآلتفتَ إلى إبراهيم فقال: ما عليكَ ألّا تكون خليفةً! فكادت نفسُه تَخْرُج، حتى دعا به بعدُ وأدناه. هذا نظمُ رواية محمد بن الحسن في خبره. وقال محمد بن طاهر في خبره: فقال للموصليّ: آحتفظْ بالجاريتين، وركب من ساعته إلى عُلَيَّة فقال: قد أحببتُ أن أشربَ عندكِ اليومَ. فتقدَّمتْ فيما تُصْلِحُه، وأخذا في شأنهما. فلمّا أن كان في آخر الوقت حمَل عليها بالنبيذ، ثم أخذ العودَ من حِجْر جارية فدفعه إليها، فأكبرتْ ذلك. فقال: وتُرْبةِ المهديّ لَتُغَنِّنَّ! . قالت: وما أُغَنّي؟ قال: غنّي:

* بَنِيَ الحبّ على الجَوْر فلو *

---

(١) الخاميز: مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن. أعجمي معرب.

فعلمتُ أنه قد وقف على القصة فغنّته . فلمّا أتت عليه قال لها غَنّى :

* تَحَبَّبْ فإنّ الحبّ داعيةُ الحب *

فلَجلَجتْ ثم غنته . فقام وقبّل رأسَها وقال : يا سيّدتى هذ عندك ولا أعلم ! وتمَّم يومَه معها .

عادها أخوها ابراهيم وكرر السؤال عنها فخجل من جوابها

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى أبو العُبَيْس بن حَمْدُون قال قال إبراهيم بن المهدىّ : ٥

ما خَجِلتُ قَطُّ تَجَلِّى من عُلَيَّةَ أُختى . دخلتُ عليها يومًا عائدًا فقلت : كيف أنت يا أُختى جُعِلْتُ فداءك وكيف حالُك وجسمُك؟ فقالت : بخير والحمد لله . ووقعتْ عينى على جارية كانت تَذُبُّ عنها فتشاغلتُ بالنظر إليها فأعجبتْنى وطال جلوسى ، ثم آستحْيَيْتُ من عُلَيَّةَ فأقبلتُ عليها فقلت : وكيف أنتِ يا أُختى جُعِلْتُ فداءك وكيف حالُك وجسمُك ؟ فرفعتْ رأسَها إلى حاضنةٍ لها وقالت : أليس هذا قد مضى مرّة وأجبنا عنه ! فخجِلتُ خَجَلًا ما خَجِلتُ مثلَه قَطُّ ، وقمتُ وآنصرفتُ . ١٠

أمرها الرشيد بالغناء فغنته من وراء ستار وكان معه جعفر فعرفه بها

أخبرنى عبد الله بن الرَّبيع الرَّبيعىّ قال حدّثنى أحمد بن إسماعيل عن محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال :

شَهِدتُ أبى جعفرًا وأنا صغيرٌ وهو يحدّث يحيى بن خالد جدّى فى بعض ما كان يخبره به من خَلَواته مع الرّشيد ، قال : يا أبتِ ، أخذ بيدى أميرُ المؤمنين ثم أقبل على حُجَرة يخترقها حتى آنتهى إلى حُجْرة مُغلقة فَفُتِحتْ له ، ثم رجَع مَنْ كان معنا من الخَدَم ، ثم صرنا إلى حُجْرة مغلقة ففتحها بيده ودخلنا جميعا وأغلقها من داخلٍ بيده ، ثم صرنا إلى رِواقٍ ففتحه وفى صدره مجلس مغلق فقعَد على باب المجلس ، فنقَر هارون الباب بيده نَقَراتٍ فسمِعنا حسًّا ، ثم أعاد النَّقْرَ فسمِعنا صوتَ عود ، ثم أعاد النَّقْر ثالثةً فغنّتْ جاريةٌ ما ظننت والله أنّ الله خلَق مثلَها فى حُسْن الغناء وجودة الضَّرب . ١٥ ٢٠

٩٢/٩

فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنّتْ أصواتًا : غَنِّى صوتى ، فغنّتْ صوتَه ، وهو :

صـــوت

ومُخَنَّثٍ شَهِد الزِّفافَ وقَبْلَه * غَنَّى الجوارىَ حاسرًا ومُنَقَّبا
لبِس الدَّلالَ وقام يَنْقُر دُفَّهُ * نَقْرًا أقرَّ به العيونَ وأطْرَبا
إنّ النساء رأينه فعشِقْنَه * فشكونَ شدّةَ ما بهنّ فأكذبا

— فى هذا اللحن خفيفُ رَمَلٍ نسَبه يحيى المكىّ إلى ابن سُرَيج ولم يَصحّ له ، وفيه ٥
خفيفُ ثقيل فى كتاب عُلَيَّة أنه لها ، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيّات
أنه لرَبَقَ . واللّحن مأخوذٌ من :

* إنّ الرجالَ لهم إليك وسيلةٌ *

وهو خفيفُ ثقيـلٍ للهُذَلىّ ، ويقال إنه لابن سُرَيج ، وهو يأتى فى موضع آخر —
قال : فطرِبتُ والله طربًا هممتُ معه أن أنطح برأسى الحائط ، ثم قال غَنِّى : ١٠

* طال تكذيبى وتصديقى *

فغنّت :

صـــوت

طال تكذيبى وتصديقى * لم أجِدْ عهــدًا لمخـلوق
إنّ ناسًا فى الهـوى غدَروا * أحـدثوا[1] نَقْضَ المواثيـق ١٥
لا تَرانى بعــدَهم أبـــدًا * أشتكى عِشقًا لمعشـوق

— لحنُ عُلَيَّة فى هذا الصوت هَزَجٌ . والشعرُ لأبى جعفر محمد بن حُمَيْد الطُّوسىّ وله فيه
لحنٌ خفيفُ ثقيلٍ . ولعَرِيبَ فيه ثقيلٌ أوّل وخفيفُ ثقيلٍ آخر — قال : فرقَص الرشيد
ورقصتُ معه ، ثم قال : امْضِ بنا فإنّى أخاف أن يبدو منّا ما هو أكثر من هذا ، فمضَيْنا .
فلما صرنا إلى الدِّهليز قال وهو قابض على يدى : أعرفتَ هذه المرأة ؟ قال قلت : ٢٠
لا يا أمير المؤمنين . قال : فإنى أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتُم ذلك ، وأنا أُخبرك

(١) فى ب ، س : «حسنوا» .

أنها عُلَيَّةُ بنتُ المهدىّ ... والله لئن لَفَظْتَ به بين يَدَىْ أحدٍ و بلغنى لأقتلنّك. قال :
فسمعتُ جدّى يقول له : فقد والله لفظتَ به ، ووالله ليقتلنّك ! فآصنعْ ما أنت صانع.

نسبة الصوت الذى أُخذ منه :

* ومُخَنَّثٍ شهِد الزِّفافَ وقبْلَه *

صـــوت

٥

إنّ الرجال لهم إليكِ وسيلةٌ * إن يأخذوكِ تَكَحَّلِى وتَخَضَّبِى
وأنا آمرؤٌ إن يأخذونى عَنْـوَةً * أُقْرَنْ إلى سَيْرِ الرِّكاب وأُجْنَبِ
و يكون مركَبُكِ القَعودَ وحِدْجَه[1] * وآبنُ النّعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبِى

٩٣ / ٩

الناس يَرْوُون هـذه الأبيات لعنترة بن شَدّاد العَبْسىّ ، وذكر الجاحظ أنها لخُزَزَ بن[2]
لَوْذَان ، وهو الصحيح . وخُزَزُ شاعرٌ قديم يقال إنه قبل آمرئ القيس . وقد آختُلف ١٠
فى معنى قوله «آبن النعامة» فقال أبو عُبَيْدة والأصمعىّ : النعامةُ فرسُه وآبنُها ظِلُّها .
يقول : أقاد فى الهاجرة إلى جَنْبها فيكون ظِلِّى كالراكب لظلّها . وقال أبو عمرو
الشَّيْبانىّ : ابن النَّعامة مُقَدَّم رِجْله مما يَلِى الأصابع . يقول : فلا يكون لى مركَبٌ
إلّا رِجلى . وقال خالد بن كُلْثوم : ابن النعامة الخشبة التى يُصْلَب عليها . يقول :
أُقتَلُ وأُصْلَبُ فتكون الخشبة مركبى . وآحتجّ مَنْ ذكر أنه يَعنى ظِلَّ فرسه وأنه يكون ١٥
كالراكب له بقول الشاعر :

إذ ظَلَّ يحسَب كلَّ شىءٍ فارسًا * ويَرَى نعـامةَ ظِـلِّه فيَحُولُ

قال : وآبن النعامة : ظِـلُّ كلِّ شىء . وقـد مضَى هـذا الصوت مفردًا مع خبره
فى موضع آخر .

(١) القعود : من الابل ما اتخـذه الراعى للركوب وحمل الزاد والمتاع . والحـدج : مركب من ٢٠
مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . (٢) كذا فى القاموس (فى مادة «لوذ») . وفى الأصول :
« حزن » وهو تحريف .

أمرها الرشيد بالغناء فنظمت فيه شعرا وغنته به فطرب

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا أحمد بن يزيد المُهَلَّبى قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال :

زار الرَّشيدُ عُلَيَّةَ فقال لها : بالله يا أُختى غَنّينى . فقالت : وحياتك لأعملنّ فيك شعرًا ولأعملنّ فيه لحنًا ، فقالت من وقتها :

٥

صــــوت

تَفديك أُختُك قد حَبَوْتَ بنعمةٍ * لسنا نَعُدُّ لها الزمانَ عديلا

إلّا الخلودَ، وذاك قربُك سيّدى * لا زال قربُك والبقاءُ[1] طويلا

وحَمِدتُ ربّى فى إجابة دعوتى * فرأيتُ حمدى عند ذاك قليلا

وعَمِلتْ فيه لحنًا من وقتها فى طريقة خفيف الرَّمَل، فأطربَ الرَّشيدَ وشرب عليه بقيّةَ يومه.

طلب الرشيد أختها ولم يطلبها فقالت شعرا وبعثت من غناه له فأحضرها

١٠ قال : وقالت للرّشيد أيضًا وقد طلب أختها ولم يطلبها .

صــــوت

مالى نُسِيتُ وقد نُودى بأصحابى * وكنتُ والذِّكْرُ عندى رائحٌ غادى

أنا التى لا أُطيق الدَّهرَ فُرقتَكم * فَرِقَّ لى يا أخى من طول إبعاد

قال: وغَنَّتْ فيه لحنًا من الثقيل الثانى، وبعثت مَنْ غنّاه للرشيد، فبعث فأحضرها.

حجت وتأخرت فتكدر الرشيد فنظمت شعرا وغنته فرضى عنها

١٥ أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى زُرْزُور الكبير غلام جعفر بن موسى الهادى :

أنّ عُلَيّةَ حجّتْ فى أيّام الرّشيد، فلمّا انصرفتْ أقامت بطيزَنَاباذَ[2] أيّامًا، فانتهى ذلك إلى الرشيد فغضب . فقالت عُلَيّةُ :

(١) فى أ ، م : « فى البقاء » . (٢) كذا فى معجم البلدان لياقوت . وطيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية ، كان من أنزه المواضع محفوفا بالكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكان من المواضع المقصودة للهو والبطالة . وفى الأصول : « طير تاباذ » وهو تحريف .

٢٠

صـــــوت

أىُّ ذنبٍ أذنبتُه أىَّ ذنبِ * أىَّ ذنبٍ لولا رجائى لربِّى
بمُقامى بطِيزَناباذَ يــومًا * بعدَه ليـلةً على غيرِ شُرْبِ
ثم باكرتُهـا عُقارًا شَمُـولًا * تَفْتِنُ النّاسكَ الحليمَ وتُصْبِى
قَرْقَفًـا قهـوةً تراها جَهُولًا * ذاتَ حِلْمٍ فرّاجةً كلَّ كَرْبِ ٥

قال: وصنعتُ فى البيتين الأوّلين لحنًا من خفيف الثقيل، وفى البيتين الأخيرين لحنًا من الرَّمَل . فلمّا جاءت وسمِع الشعر واللحنين رضِى عنها .

٩٤
٩

اشتاقها الرشيد وهو بالرقة فطلبها بخادمه وقالت شعرا وعملت فيه لحنا

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال :

اِشتاق الرّشيد الى عَمّتى عُلَيَّــة بالرَّقّة، فكتب الى خالهـا يزيدَ بنِ منصــور فى إخراجها إليه فأخرجها . فقالت فى طريقها : ١٠

صـــــوت

اِشرَبْ وغَنِّ على صوت النَّواعيرِ * ما كنتُ أعرِفها لولا ٱبنُ منصورِ
لولا الرجاء لمن أمَّلتُ رُؤْيَتَــه * ما جُزْتُ بغــدادَ فى خوف وتغريرِ
وعَمِلتْ فيه لحنًا فى طريقة الثقيل الأوّل . ١٥

كانت مع الرشيد فى الرى فحنت الى العراق بشعر فردها

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنا الهِشامىّ أبو عبد الله قال :

لمّـا خرج الرّشـيد إلى الرَّىّ أخذ أُختَه عُلَيَّــةَ معه . فلمّـا صار بالمَرْج[1] عمِلتْ شعرًا وصاغت فيه لحنا فى طريقة الرمل وغنّتْ به، وهو :

(١) المرج : يريد به مرج القلعــة ، بينه وبين حلوان منزل الى جهــة همذان . كذا ذكر ياقوت فى معجمه وذكر البيتين الواردين فى هذه القصة . ٢٠

صـــوت

ومُغْـتَرِبٍ بالمَرْج يَبْـكى لِشَجْوِهِ * وقد غاب عنه المُسعِدون على الحبّ
إذا ما أتاه الرَّكْب من نحـو أرضه * تنشَّق يَسْتشفِى برائحـة الرَّكْـبِ

فلمّا سمِـع الصَّوتَ علِم أنها قد ٱشتاقت إلى العراق وأهلِها به فردّها .

٥ ونسختُ من كتّاب هارون بن محمد الزّيّات حدّثنى بعضُ موالى أبى عيسى بن الرّشيد عن أبى عيسى: أن عُلَيّة غنّتِ الرّشيدَ فى يوم فِطر :

غنت الرشيد فى يوم فطـــر

صـــوت

طالتْ علىَّ ليالى الصَّومِ وٱتّصلتْ * حتى لقـد خِلتُها زادتْ على الأبَدِ
شـوقًا إلى مجلس يُزْهَى بصاحبـه * أُعيـذُه بجـــلال الواحد الصَّمَدِ

١٠ الغِناء لِعُلَيَّـة ثانى ثقيل لا يُشَكّ فيه، وذكر بعضُ الناس أنه للواثق، وذكر آخرون أنه لعبد الله بن العبّاس الرَّبِيعى . والصحيحُ أنه لِعُلَيَّة . وفيه لعريب ثقيلٌ أوّل غنّته المُعْتَمِدَ يومَ فِطر فأمر لها بثلاثين ألف درهم .

وقال ميمون بن هارون حدّثنى أحمد بن يوسف أبو الجَهْم قال :

ضربت وكيلها سباعا وحبسته لخيانته فشفع فيه جيرانه فقالت شعرا

كان لِعُلَيَّة وكيل يقال له سِباعٌ، فوقفتْ على خيانته فضربته وحبسته، فٱجتمع ١٥ جيرانه إليها فعرّفوها جميلَ مذهبه وكثرةَ صِدْقه، وكتبوا بذلك رقعة، فوقّعتْ فيها :

أَلَا أَيُّهذَا الرّاكبُ العِيسَ بَلِّغَنْ * سِباعًا وقُلْ إن ضَمّ داركم[1] السَّفْرُ[2]
أَتَسْـلُبُنى مالى وإن جاء سائلٌ * رَقَقْتَ له إن حطّه نحوكَ الفقر
كشافيـةِ المَرْضَى بعائدة الزِّنَا * تؤمِّل أجرًا حيث ليس لها أجر

(١) كذا فى الأصول . والأظهر أن تكون «ضم ركبكم» أو « حل — أو جاز — داركم السفر »
٢٠ أو نحو ذلك .   (٢) السفر : القوم المسافرون .

تركت الغناء لموت الرشيد فألح عليها الأمين فغنته

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى ميمون بن هارون قال حدّثتنى عَلَمُ السَّمْراءُ جارية عبد الله بن موسى الهادى أنها شَهِدتْ عُلَيّةَ غنّت الأمينَ فى شعر لها، وهو آخر شعر قالته فيه، وطريقته من الثقيل الثانى. وكانت لمّا مات الرّشيد جَزِعتْ جَزَعًا شديدًا وتركت النَّبِيذَ والغِناء. فلم يزل بها الأمينُ حتى عادت فيهما على كرهٍ. والشعر: ٥

صــــوت

أَطْلَتِ عاذِلتى لَـوْمِى وتَفْنِيـدِى ** وأنتِ جاهـلةٌ شوقى وتَسْهِيـدِى
لاتَشْرَبِ الرّاحَ بين المُسْمِعاتِ وزُرْ ** ظَبْيًا غَرِيرًا نَقِىَّ الخـدّ والجِيـد
قـد رنّحتْـه شَمُـولٌ فهو مُنْجَدِلٌ ** يَحْكِى بوجنتـه ماءَ العناقيـدِ
قام الأمينُ فأَغْنَى النـاسَ كلَّهـمُ ** فمـا فقـيرٌ على حال بمـوجود ١٠

لحنُ عُلَيّةَ فى هذا الشعر ثانى ثقيل. ولعَرِيبَ فيـه هَزَجٌ، وقيل إنّ الهَزَجَ لإبراهيم ابن المهدىّ.

قالت شعرا فى لبانة بنت أخيها على بن المهدى وغنت فيه

وقال ميمون بن هارون حدّثنى محمد بن أبى عَوْن قال حدّثتنى عَرِيبُ أنّ عُلَيّةَ قالت فى لُبانةَ بنتِ أخيها علىّ بن المهدىّ شعرًا وغنّتْ فيه من الثّقيل الأول:

صــــوت ١٥

وحدّثنى عن مجلس كنتِ زَيْنَه ** رسولٌ أمينٌ والنساءُ شُهودُ
فقلت له كُرَّ[1] الحديثَ الذى مَضَى ** وذِكْرُكِ من ذاك الحديث[2] أُريد

وقد ذكر الهِشامىّ أنّ هذا اللحنَ لإسحاق غنّاه بالرّقّة. وليس ذلك بصحيح.

(١) فى حـ: «فقلت لها كرى». (٢) فى ب، س: «من بين الحديث».

سمعها إسماعيل ابن الهادي تغني مستترة عند المأمون فأذهله غناؤها

أخبرني محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد، ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عَوْن بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد واللفظُ له قال:

دخل يومًا إسماعيل بن الهادي إلى المأمون، فسَمِع غناءً أذهله. فقال له المأمون: مالَكَ؟ قال: قد سَمِعتُ ما أذهلني، وكنتُ أُكذِّب بأن الأُرْغُن الرُّوميّ يقتُل طربًا، وقد صدّقتُ الآن بذلك. قال: أوَ لا تدْرِي ما هذا؟ قال: لا والله! قال: هذه عَمّتُك عُلَيّةُ تُلْقِي على عَمّك إبراهيمَ صوتًا من غنائها. إلى هاهنا رواية محمد ابن يحيى. وفي رواية محمد بن الحسن قال: هذه عَمّتُك تُلقي على عَمّك إبراهيم صوتًا آستحسنه من غنائها. فأصغيتُ إليه فإذا هي تُلقِي عليه:

صـــوت

ليس خَطْبُ الهوى بخطبٍ يسيرِ * ليس يُنْبِيك عنه مِثْلُ خبيرِ

ليس أمرُ الهـــوى يُدَبَّر بالرأ * ي ولا بالقيـاس والتفكيرِ

اللّحنُ في هذا لعُلَيّةَ ثقيلٌ أوّل. وفيه لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيلٍ عن الهِشاميّ.

توفيت ولها خمسون سنة، وسبب وفاتها

أخبرني جَحْظَةُ قال حدّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه:

أنّ عُلَيّةَ بنتَ المهديّ وُلدتْ سنة ستين ومائة، وتُوفِّيَتْ سنةَ عشر ومائتين[1] ولها خمسون سنة. وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن عبّاس. وأخبرني محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد قال حدّثني محمد بن عليّ بن عثمان قال: ماتت عُلَيّةُ سنةَ تسعٍ ومائتين، وصلَّى عليها المأمون. وكان سبب وفاتها أنّ المأمون ضمّها إليه وجعل يقبِّل رأسَها، وكان وجهُها مُغَطًّى، فشَرِقت من ذلك وسعَلتْ ثم حُمَّتْ بعقب هذا أيامًا يسيرةً وماتت.

(١) في الأصول: «ست عشرة ومائتين» والتصويب عن نهاية الأرب والنجوم الزاهرة.

وممّن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرّشيد

فمن صنعته :

صوت

قام بقلبي وقَعَدْ * ظبيٌ نَقِىّ عنَى الجَلَدْ

خلّفنى مُدَلَّهًا * أهيمُ فى كلّ بَلَدْ

أسْهَرنى ثم رَقَدْ * وما رثَى لي من كَمَدْ

ظبيٌ إذا ٱزددتُ له * تذلُّلاً تاه وصَدّْ

واعَطَشَا إلى فَمٍ * يَمُجُّ خمرًا من بَرَدْ

عروضه من مجزوء الرَّجَز. والشعرُ والغِناء لأبى عيسى بن الرّشيد، ولحنُه فيه ثقيل أوّل مطلق فى مجرى الوسطى من روايتى عبد الله بن المعتزّ والهِشامىّ . وذكر الهِشامىّ أنّ له أيضًا فيه لحنًا من ثقيل الرَّمَل ، وذكر حَبَشٌ أنّ الرَّمَلَ لحسين بن مُحْرِز . وفيه لأبى العُبَيْس بن حَمْدون خفيفُ ثقيلٍ .

أخبار أبي عيسى بن الرّشيد ونسبه

شيء من أوصافه

اسمه أحمد، وقيل بل ٱسمُه صالح بن الرشيد. وهذا النَّسبُ أشهرُ من أن يُشْرَح. وأمّه أمّ ولدٍ بَرْبَريّة. وكان من أحسنِ النّاس وجهًا ومُجَالسةً وعِشْرةً، وأمجنهم وأحذهم نادرةً وأشدّهم عَبَثًا. وكان يقول شعرًا ليّنًا طيّبًا من مِثْله.

كان جميل الوجه

٥ أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد الورّاق قال حدّثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أباه يقول: سمعتُ أبي (يعني طاهر ٱبن الحسين) يحدّث أنه سمع الرشيدَ يقول للمأمون: أنت تعلم أنك أحبّ الناس إليّ، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت.

كان إذا ركب جلس له الناس لرؤية حسنه

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني مُسَبِّح بن حاتم العُكْليّ قال حدّثنا ١٠ إبراهيم بن محمد قال:

كان يقال: انتهى جمالُ وَلَد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى. وكان أبو عيسى إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يَرَوْه أكثر مما يجلسون للخلفاء.

مدحت عريب حسنه وغناءه

حدّثني محمد قال حدّثني يعقوب بن بَنَان قال حدّثني عليّ بن الحسين الإسكافي قال: ١٥ كنتُ عند أبي الصَّقْر إسماعيلَ بنِ بُلْبُل وعنده عَرِيبُ، فسمعتُها تقول: انتهى جمالُ الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى، ما رأى النّاس مثلَهما، وكان المعتزّ في طرازهما. قال: وسمعتُها تقول لأبي العباس بن حمدون: ما غناؤك[(١)] من غِناء أبي عيسى ابن الرّشيد! وما سمعتُ قطّ غناءً أحسنَ من غِنائه، ولا رأيت وجهًا أحسن من وجهه.

(١) كذا في أ، م. وفي ح: «في غنائك من غناء أبي عيسى الخ». وفي ب، س: ٢٠ «في غنائك مشابهة من غناء أبي عيسى الخ».

عجب الرشيد من جواب له فى صباه وقبله

أخبرنى محمد قال حدّثنى الغَلَابِىّ قال حدّثنا يعقوب بن جعفر قال :

قال الرّشيد لأبى عيسى ٱبنه وهو صبىّ : ليت جمالك لعبد الله (يعنى المأمون). فقال له : على أنّ حظَّه منك لى . فعجب من جوابه على صباه وضمّه إليه وقبّله .

تسخط من رؤية هلال شهر رمضان

وأخبرنى الحسن بن علىّ وأحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قالا حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال : ٥

حدّثنى مَنْ شَهِد المأمونَ ليـلةً وهم يتراءَوْنَ هلالَ شهرِ رمضان وأبو عيسى أخوه معه وهو مُسْتَلْقٍ على قفاه، فرأوْه وجعلوا يَدْعُون. فقـال أبو عيسى قولًا أُنكِر عليه فى ذلك المعنى . كأنه كان متسخِّطًا لورود الشهر ، فما صام بعده .

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا الحسين بن فَهْم قال : قال أبو عيسى بن الرشيد :

دهانىَ شهرُ الصَّومِ لا كان من شهرٍ * وما صُمْتُ شهرًا بعـدَه آخِرَ الدّهرِ ١٠

فلو كان يُعْـدِينى الإمامُ بقُدْرةٍ * على الشهرِ لاستعدَيْتُ جهدى على الشّهرِ

فناله بعقب قوله هذا الشعر صَرْعٌ ، فكان يُصْرَع فى اليوم مرّاتٍ إلى أن مات ، ولم يبلغ شهرا آخر .

مدح ابراهيم بن المهدى غناءه

وذكر علىّ بن الهشامىّ عن جدّه ٱبن حَمْدون قال : قلت لإبراهيم بن المهدىّ : مَنْ أحسن الناس غناء ؟ قال : أنا . قلت : ثم مَنْ ؟ قال : أبو عيسى بن الرّشيد . ١٥ قلت : ثم مَنْ ؟ قال : مُخارِق .

٩٧ / ٩

عابث طاهر بن الحسين أمام المأمون فغضب فترضاه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى ٱبن أبى سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله ٱبن طاهر قال حدّثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصَّعْدىّ(١) قال :

كان أبو عيسى بن الرشـيد وطاهر بن الحسين يتـغدّيان مع المأمون، فأخذ أبو عيسى هِنْدَباءةً(٢) فغمَسها فى الخلّ وضرَب بها عينَ طاهر الصحيحة. فغضب طاهرٌ ٢٠

(١) هذه النسبة الى صعدة ، وهى من بلاد اليمن . (٢) الهندباء : صنفان من النبات : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق ، والآخر أدق وأرق منه وفى طعمه مرارة . (انظر مفردات ابن البيطار طبعة بلاق ج ٢ ص ١١٨) .

وشَقّ ذلك عليه وقال : يا أمير المؤمنين إحدى عَيْنَيَّ ذاهبةٌ ، والأخرى على يَدَىْ عَدْل، يُفْعَل هذا بى بين يدَيْكَ ! ! فقال له المأمون : يا أبا الطَّيِّب إنه والله ليَعْبث بى أكثر من هذا العَبَث .[1]

عرض بيعقوب بن المهدى فضحك المأمون ونهاه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله ابن طاهر قال حدّثنى أبو عيسى بن علىّ بن عيسى بن ماهان قال :

بينا المأمون يخطُب يومَ الجمعة على المنبر بالرُّصافة وأخوه أبو عيسى تِلْقاءَ وجهه فى المقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهدىّ وكان أفْسَى الناس، معروفًا بذلك. فلما أقبل وضع أبو عيسى كُمَّه على أنفه، وفَهِم المأمونُ ما أراد فكاد أن يضحَك . فلمّا انصرف بَعَث إلى أبى عيسى فأحضره وقال له : والله لَهَمَمْتُ أن أبطحَك فأضرِبك مائةَ دِرّة ! ويْلَكَ ! أردتَ أن تفضَحنى بين أيدى الناس يوم جمعة وأنا على المنبر ! إيّاك أن تعود لمثل هذه ! . قال : وكان يعقوب بن المهدىّ لايقدر أن يُمْسك الفُساء إذا جاءه . فاتخذت له دايةٌ مُثَلَّثةً وطيَّبتْها وتنوَّقتْ فيها . فلمّا وضعتْها تحته فَسَا، فقال : هذه ليست بطيِّبة . فقالت له الداية : فديتُك ! هذه قد كانت طيِّبة وهى مثلثة، فلما ربّعتَها فسدتْ . قال : وكان يعقوب هـذا مُحَمَّقًا ، كان يخطُر بباله الشىءُ فيشتهيه فيُثْبِتُه فى إحصاء خزائنه . فضَجّ خازنُه من ذلك، فكان يُثْبِتُ الشىءَ ثم يُثْبِتُ تحتـه أنه ليس عنده، وإنمـا أثبته ليكون ذكرُه عنـده إلى أن يملكه . فوُجِد فى دفترٍ له فيه[2] ثَبَتُ ثيابٍ : "ثَبَتُ ما فى الخزانة من الثِّياب المثقَّلة الإسكندرانيّة والهشاميّة، لاشىء — أستغفر الله — بل عندنا منها زرحيّة[3] كانت للمهدىّ . الفصوص الياقوت الأحمر التى من حالها كذا وكذا لا شىء — أستغفر الله — بل عنـدنا منها دُرْجٌ كان فيـه

(١) فى حـ ، ب ، سـ : «بمعى» . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «.. دفتر عنده له فيه» . (٣) ظاهر من السياق أنها ضرب من الثياب، ولم نعثر عليها فيما عرفناه من مظان .

للهدى خاتَمٌ هــذه صفتُه ». فحُمِل ذلك الدفتر الى المأمون ، فضحك لمّا قرأه حتى فَحَص برجله وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قطّ ! .

كان المأمون يحبه ويتمنى أن يلى الأمر بعده

أخبرنى محمــد بن يحيى قال حدّثنا سليمان بن داود المهلّبى قال حدّثنى الهَيْثم آبن محمد بن عبّاد عن أبيه قال :

كان المأمون أشدّ الناس حبًّا لأبى عيسى أخيه ، كان يُعِدُّه للأمر بعده ، وتذاكرنا ذلك كثيرا . وسمعتُه يقول يومًا : إنه ليَسْهُل علىّ أمرُ الموت وفَقْدُ المُلْك ، وما يسهل شىء منهما على أحد ، وذلك لمحبّتى أن يَلِىَ أبو عيسى الأمرَ من بعدى لشدّة حُبِّى إيّاه .

كان يحب صيد الخنازير فوقع عن دابته ، وكان ذلك سبب موته

أخبرنى محمد بن علىّ قال حدّثنى عبد الله بن المُعْتَزّ قال :

كان سبب موت أبى عيسى بن الرّشــيد أنه كان يحب صَيْدَ الخنازير ، فوقع عن دابّته فلم يَسْلَم دماغُه ، فكان يتخبّط فى اليوم مَرّاتٍ إلى أن مات .

عزاء محمد بن عباد المأمون فيه

حدّثنى محمد قال حدّثنا أبو العَيْناء قال حدّثنا محمد بن عَبّــاد المهلّبى قال : لمّا مات أبو عيسى بن الرّشــيد دخلتُ إلى المأمون وعمامتى علىّ ، فخلعت عمامتى ونبذتُها وراءَ ظهرى — والخلفاءُ لا تُعَزَّى فى العمائم — ودنوتُ . فقال لى : يا محمد ، حال القَدَرُ دون الوَطَر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كُلُّ مصيبةٍ أخطأتْك تهون ، فجعل الله الحزنَ لك لا عليك .

٩٨ / ٩

مات سنة تسع ومائتين

أخبرنا محمد قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال سمعت هِبَة الله بن إبراهيم يقول : مات أبو عيسى بن الرّشيد ســنةَ تسع ومائتين ، وصلّى عليه المأمون ونزل فى قبره ، وآمتنع من الطعام أيامًا حتى خاف أن يَضُرّ ذلك به .

وجد عليه المأمون وجدا شديدا

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّــار قال حدّثنى أبو العَيْناء قال سمعت محمــد ابن عَبّاد يقول :

لمّا تُوفّى أبو عيسى بن الرّشيد وجَد المأمونُ عليه وَجْدًا شديدًا، وكان له مُحِبًّا وإليه مائلًا. فركِبَ الى داره حتى حضر أمرَه وصلّى عليه، وحضره النّاس، وكنتُ فيمن حضَر، فما رأيتُ مُصابًا حزينا قطّ أجمل أمرًا في مُصيبةٍ ولا أحْرَق وجدًا منه من رجل صامت تجرى دموعُه على خدّيه من غير كلح ولا ٱستِنْثَار(١).

بكاء المأمون وتمثل شعرا وعزاء فيه ابن أبي دواد وعمرو بن مسعدة وناحت عليه عريب

٥ أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ٱبن أبي سعد الورّاق قال حدّثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدّثني أبي قال قال أحمد بن أبي دُوَاد:

دخلتُ على المأمون في أوّل صحبتي إيّاه وقد تُوفِّيَ أخوه أبو عيسى وكان له محبًّا وهو يَبكي ويَمْسَحُ عينيه بمنديل، فقعَدتُ إلى جنب عمرو بن مَسْعدَةَ وتمثّلتُ قولَ الشاعر:

١٠ نَقْضٌ من الدّنيا وأسبابها * نقضُ المنايا من بني هاشم

ولم يزل على تلك الحال ساعة يبكي، ثم مسح عينيه وتمثّل:

سأبكيك ما فاضتْ دموعي فإن تَغِضْ * فحسبُك منّي ما تُجِنُّ الجوانح

كأنْ لم يَمُتْ حَيٌّ سِواك ولم تَنُحْ * على أحدٍ إلّا عليك النوائح

ثم التفت إليّ فقال: هِيهِ يا أحمد! فتمثّلتُ قولَ عَبْدَةَ بن الطَّبِيب:

١٥ عليكَ سلامُ الله قَيْسُ بنَ عاصِمٍ * ورحمتُه ما شاء أن يترحّما

تحيّةَ مَنْ أوليتَه منك نعمةً * إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سلّما

وما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ * ولكنّه بنيانُ قومٍ تهدّما

فبكى ساعةً ثم التفتَ إلى عمرو بن مَسْعَدة فقال: هِيهِ يا عمرو! قال: نعم يا أمير المؤمنين

بَكُوا حُذَيْفَةَ لم تُبْكُوا مِثْلَه * حتى تعودَ قبائلٌ لم تُخْلَقِ

٢٠ (١) كذا في الأصول. والذي في كتب اللغة: كلح وجه الرجل كلوحا وكلاحا (كغراب): تكشر في عبوس أو عبّس فأفرط في تعبسه. والاستنثار: إخراج ما في الأنف من أذى.

فإذا عَرِيبُ وجَوارٍ معها يَسْمَعْنَ ما يدور بيننا، فقلن : اِجعلوا لنا معكم فى القول نصيبا . فقال لها المأمون : قُولِى، فرُبَّ صوابٍ منكِ كثير . فقالت :

كذا فَلْيَجِلَّ الخطبُ ولْيَفْدَحِ الأمرُ[1] * وليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ
كأنَّ بنى العبّاس يومَ وفاته * نجومُ سماءٍ خَرّ من بينها البدر

فبكى وبكينا . ثم قال لها المأمون : نُوحِى، فناحت وردّ عليها الجوارى . فبكى المأمون حتى قلتُ : قد خرجتْ نفسُه، وبكَيْنا معه أحرَّ بكاء، ثم أمسكتْ . فقال لها المأمون : اصْنَعِى فيه لحنًا وغَنِّى به . فصنعتْ فيه لحنًا على مذهب النَّوْح وغنَّته إيّاه على العُود . فوالذى لا يُحْلَفُ بأجَلّ منه لقد بَكَيْنا عليه غناءً أكثرَ ممّا بَكَيْنا عليه نَوْحًا .

طلب المأمون من أبى العتاهية أن يسليه عنه

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا الطَّيِّب[2] بن محمد الباهلىّ قال حدّثنى موسى ابن سعيد عن أخيه عمرو قال :

٩٩
٩

لمّا مات أبو عيسى بن الرشيد وجَد عليه المأمون وَجْدًا شديدًا حتى امتنع من النَّوْم ولم يَطْعَم شيئًا . فدخل عليه أبو العَتَاهِيَة، فقال له المأمون : حدِّثنى يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان فى مثل حالنا وفارقها . فقال : يا أميرَ المؤمنين، لبِس سليمان بن عبد الملك أفخرَ ثيابه ومَسَّ أَطْيَبَ طِيبه وركِب أَفْرَهَ خَيْلِه وتقدّم إلى جميع مَنْ معه أن يركب فى مِثْلِ زِيِّه وأكمل سلاحه، ونظر فى مرآته فأعجبته هيئتُه وحسنُه، فقال : أنا الملك الشابّ، ثم قال لجارية له : كيف تَرَيْنَ ؟ فقالت :

أنتَ نِعْمَ المتاعُ لو كنتَ تَبْقَى * غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسان
أنت خِلْوٌ من العيوب وممّا * يكره الناسُ غيرَ أنّك فانى

(١) يلحظ أن هذا الشعر لأبى تمام فى رثاء محمد بن حميد الطوسى، وقد قتل هذا الأمير فى حرب كانت بينه و بين أصحاب بابك الخرمى سنة ٢١٤ هجرية . والمروى هنا أن أبا عيسى بن الرشيد مات سنة ٢٠٩ هجرية، فتأمل هذا . وأصل الشعر «كأن بنى نبهان» فغير وجعل «كأن بنى العباس» .
(٢) فى ب، س : «الطيب» .

فأعرض بوجهه، فلم تدُرْ عليه الجمعة إلّا وهو فى قبره. قال: فبكى المأمون والناس، فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم. قال: وهذان البيتان لمرسى شهوات.

ومن غناء أبى عيسى وجيّد صنعته، والشعرُ له، وطريقتُه من الثقيل الثانى مطلق فى مجرى البنصر. وذكر حَبَشٌ أن فيه لحُسَين بن مُحْرِز أيضًا صنعةً من خفيف الرَّمَل:

بعض أصواته

٥

صــــوت

رَقَدَتْ عنك سَلْوتى * والهوى ليس يَرْقُـدُ

وأطـار السُّهادُ نو * مى فنــومى مُشَرَّدُ

أنت بالحُسْن منك يا * حَسَنَ الوجـهِ تَشْهَدُ

وفؤادى بحُسْنِ وجـ * ـهِك يَشْـقَى ويَكْمَدُ

ومن غنائه أيضا وهو من صدور صنعته فى شعر الأخطل — ولحنه من الثقيل الأوّل —:

١٠

صــــوت

إذا ما زيادٌ علّنى ثم علّنى * ثلاثَ زُجاجاتٍ لهنّ هَـديرُ

خرجتُ أجُرُّ الذيلَ حتى كأننى * عليـك أميرَ المؤمنين أميـرُ

ولإسحاق فى هذا الشعر رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو.

* * *

١٥

وممّن عُرِفت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن موسى الهادى

فمن صنعته:

صــــوت

صوته فى شعر له

تقاضاك دهرُك ما أسلفا * وكدّر عيشَك بعـد الصَّفا

فــلا تجزَعنّ فإنّ الزمانَ * رهينٌ بتشتيت ما ألّفـا

٢٠

وما زال قلبُك مأوى السرور * كثيرَ الهـوى ناعمًا مُتْرَفا

أخٌ عليـــك بروْعاته * وأقبل يَرْميك مُسْـتهدِفا

الشعر والغناء لعبد الله بن موسى. ولحنه ماخُورِىّ وهو خفيفُ الثقيل الثانى بالوسطى

اختلف مع ثقيف الخادم فى صوت فضرب ثقيف رأسه بالعود فلم عليه، وكان معربدا

١٠٠ / ٩

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثنى أبو حَشيشةَ قال :

كان عبد الله بن موسى الهادى أضْرَبَ الناسِ بالعود وأحسنَهم غِناءً . وكان له غلام أسود يقال له قَلَمٌ، فعلَّمه الصوت وحذَّقه . فآشترته منه أُمّ جعفر بثلثمائة ألف درهم . قال أبو حَشيشة فحدّثنى دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثَقِيفٌ الخادمُ الأسودُ مولى الفضل بن الربيع نُضَارِب مولاى عبدَ الله بنَ موسى وقد أخذ النَّبيذُ من الجماعة . فضرب عبدُ الله وثَقِيفٌ صوتا فاختلفا فيه وتشاجرا . فقال عبد الله : كذا أخذتُه من منصور زَلْزَل . وقال ثَقِيفٌ : كذا أخذتُه منه، وطال تشاجُرُهما فيه . وكان ثقيف مُعَرْبِدًا يَذْهَبُ عقلُه من أدنى شيء يشرب به، وكان عبد الله أيضًا معربِدًا . فغضب ثقيف ورفَع العودَ وهو لا يعقِل، فضرَب به رأسَ عبد الله ابنِ موسى فطوّقه إيّاه . وآبتدر خَدَمُ عبد الله؛ فقال لهم عبد الله بن موسى : لا تَمَسُّوه وأخرِجوا العودَ من عُنُقِ فأخرجوه . وكان عبدُ الله بن موسى أشدَّ خَلْقِ الله عَرْبَدَةً أيضا، فرُزِق في ذلك اليوم حِلْمًا لم يُرَ مثلُه، وقال لخَدَمه : إن قتلتُه قتلتُ كلبًا وتحدّث الناس بذلك، ولكن آخلَعوا عليه وهَبُوا له ولا يدخلْ منزلى أبدا .

دعا الحفصى فآثر عليه أخاه إسماعيل

قال جحظة قال أبو حَشيشة أخبرنى الحَفْصِىّ المِعْزَفِىّ قال :

دعانى عبد الله بن موسى يوما ودعانى أخوه إسماعيل؛ فآثرت إسماعيل لما كان فى عبد الله من العَرْبدة . فلم نشعرُ إلّا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على بِرْذَوْنٍ أشهب متقلّدًا سيفًا وهو سكران . فلما رأيناه تطايرنا فى الحُجَر، فنزَل عن دابّته وجلس . وجثا إسماعيل بين يديه إجلالًا له، وقال له : ياسيّدى قد سَرَرْتَنى بتفضُّلك ومَصيرك إلىّ . قال : دعْنى من هذا، مَنْ عندك؟ قال : فلان وفلان، فعدّ جماعةَ مَنْ كان عنده . قال له : هاتِهم . فدعا بنا فخرجنا وقد مُتْنا فَزَعًا . فأقبل علىَّ من بينهم فقال لى : يا حَفْصِىّ ! أبعثُ إليك ثلاثةَ أيامٍ تباعًا فتَدَّعِى وتجىء إلى إسماعيل! وضرَب بيده إلى سيفه،

فقام إسماعيل بيني و بينه وقال : نَعَمْ! يَجِيئني و يَدَعُك، لأنه لا يَنْصرفُ من عندك إلّا بِشَجّةٍ أو عَرْبَدَةٍ مع حِرمان، ولا ينصرف من عندى إلّا ببِرٍّ مع خِلْعةٍ ووعدٍ مُحَصَّل، أفتلومُه على ذلك! . فكَفَّ عبدُ الله وكان شديدَ العَرْبَدَة وقام وانصرف .

قال شعرا فى خادم لصالح بن الرشيد

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود — وكان يكتب لأبى جعفر — قال :

٥

كنتُ جالسا مع عبد الله بن موسى الهادى، فمرّ به خادمٌ لصالح بن الرّشيد. فقال له : ما اسمك؟ فقال له : اسمى "لاتَسَلْ". فأعجبه حُسْنُه وحُسْنُ مَنطقه فقال لى : قُمْ بنا حتى نُسَرّ اليوم بذكر هذا البدر، فقمت معه . فأنشدنى فى ذلك اليوم:

وشادنٍ مَرّ بنا * يجرح باللّحظ المُقَلْ

مظلومِ خَصْرٍ ظالمٍ * منه إذا يمشى الكَفَلْ

١٠

اعتدلتْ قامتُه * واللحظُ منه ما عَدَلْ

بدرٌ تراه أبدًا * طالعَ سعدٍ ما أفَلْ

سألتُه عن اسمه * فقال لى اسمى "لا تَسَلْ"

وأطلعَتْ فى وجنتيـ * ـه وَرْدتان من خَجَلْ

فقلتُ ما أخطأ مَنْ * سمّاك بل قال المَثَلْ

١٥

لا تسألنْ عن شادنٍ * فاق جَمالًا وكَمُلْ

١٠١ / ٩

قال : وقال فيه — وقد قيل إنه من هذه الأبيات — :

عزّ الذى نَهْوَى وذَلْ * صَبُّ الفؤادِ مُخْتَبَلْ

لَجَّ به الهجرُ وذا الـ * ـهجرُ اذا لَجَّ قَتَلْ

من شادنٍ مُنْتَطِقٍ * فاق جَمالًا وكَمَلْ

٢٠

تناصفَ الحُسْنُ به * فلا تَسَلْ عن "لاتَسَلْ"

كان له ابن جيد الضرب وطلب الى المكى أن يقومه موهما أنه مملوك

وقال حدّثنى محمد بن أحمد المكىّ عن أبيه قال :

دعانى عبد الله بن موسى يوما فقال لى : أتُقَوِّم غلامًا ضاربًا مُغَنِّيًا قِيمةَ عدلٍ لا حَيْفَ فيه على البائع ولا على المشترِى ؟ فقلت نعم . فأخرج الىّ ابنه القاسمَ وكنتُ قد عرَفتُه ، وهو أحسن من القمر ليلةَ البدر ، فأخذ عودًا فضرب ، فأكبَبْتُ على يديه أُقَبِّلهما . فقال لى عبد الله : أتُقَبِّلُ يدَ غلامٍ مملوك ! ! قلت : بأبى وأُمّى هو من مملوك ! وقَبَّلْتُ رجلَه أيضا . فقال : أمّا إذ عرفتَه فأُحِبُّ أن تضاربه ، ففعلت . فلمّا رأى الغلامُ زيادتى عليه فى الضَّرْب اغتمّ وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من ذنبه : أنا مُتَلَذِّذٌ وهذا مُتَكَسِّبٌ . فضحكتُ وقلت : هو ذاك يا سيّدى . وعجبت من حِدّة جوابه معتذرًا على صِغَر سِنِّه .

كان كريما ممدحا

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ قال :

كان عبد الله بن موسى جوادًا كريمًا مُمَدَّحًا ، وفيه يقول الشاعر — وفيه لعلويه لحن من خفيف الثّقيل الأول بالبِنْصر — :

صــــوت

أعبدَ الله أنت لنا أميرُ ... وأنت من الزمان لنا مُجِيرُ
حكَيْتَ أباكَ موسى فى العَطايا ... إمامُ النّاس والملكُ الكبيرُ

غنى بشعر لعمر بن أبى ربيعة

قال محمد بن يحيى والعَتّابىّ : ولعبد الله بن موسى غناءٌ فى قول عمر بن أبى ربيعة :

صــــوت

إنّ أسماء أرسلتْ ... وأخو الشوق مُرْسِلُ
أرسلتْ تَسْتَزِيرُنى ... وتُفَدِّى وتَعذِلُ

ولحنُه فيه رَمَلٌ . قال : وفيه لابن سُرَيْج والغَرِيض ومالكٍ ألحانٌ .

عربد على المأمون فحبسه ثم سمه فمات

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش فى كتاب المُغتالين قال حدّثنى أبو سعيد السُّكّرىّ عن محمد بن حَبِيبَ قال :

كان عبد الله بن موسى الهادى مُعَرْبِدًا ، وكان قد أحْفَظَ(١) المأمونَ ممـا يُعَرْبِدُ عليه إذا شرب معه . فأمر بأن يُحْبَس فى منزله فلا يخرجَ منه ، وأَقْعد على بابه حَرَسًا . ثم تذمّم من ذلك فأظهر له الرِّضا وصرَف الحَرَس عن بابه ، ثم نادمه فعرْبَد عليـه أيضًا وكلّمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مُغْرَمًا بالصَّيد . فأمر المأمونُ خادمًا من خواصّ خدمه يقال له "حسين" فسمّه فى دُرّاجٍ(٢) وهو يرمى أباد ، فدعا عبدُ الله بالعَشاء ، فأتاه حسين بذلك الدُّرّاج فأكله . فلمـا أحَسَّ بالسمّ ركب فى الليـل وقال لأصحابه : هو آخر ما ترونى . قال : وأكل معه من الدُّرّاج خادمان ، فأمّا أحدهما فمات من وقته ، وأمّا الآخر فبقى مدّة ثم مات ، ومات عبد الله بعد أيام .

✤

١٠٢ / ٩

ومِمّن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد الأمين

فمن مشهور صنعته :

أَلَا يا دَيْرَ(٣) حَنْظَلةَ المُفَـدَّى * لقـد أورثتَنى سَـقَمًا وكَدَّا

أَزُفُّ من العُقار إليك دَنًّا(٤) * وأجعل تحتَـه الوَرَقَ المُنَـدَّى

الشعر والغِناء لعبد الله بن محمد الأمين ، أخبرنى بذلك محمد بن يحيى الصُّولىّ عن عبد الله بن المعتزّ وله فيـه لحنان خفيفُ رَمَلٍ وخفيفُ ثقيـل . وفيه لعبد الله بن موسى الهادى رَمَلٌ . وفيه ثانى ثقيل ، وذكر حَبَش — وهو ممن لا يُحَصَّل قولُه — أنه لحُنَين ، ولم يَصِحّ عندنا مَنْ صانعه .

(١) فى جـ : « وكان قد أعضل بالمأمون » أى أعياه أمره وضاقت به الحيل فيه .

(٢) لم نقف على هذا الموضع . (٣) سيذكر المؤلف هذا الدير فى ص ٢٠٠ — ٢٠١ من هذا الجزء . (٤) فى أ ، م ، جـ : « زفا » بالفاء ، وهى مصحفة عن « زقا » بالقاف .

أخبار عبد الله بن محمد ونسبه

نسبه

عبدُ الله بن محمد الأمين بن هارون الرَّشيد بن محمد المهدىّ بن عبد الله المنصور بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب. وأمُّ عبد الله بن محمد أُمّ وَلَد. وكان ظريفًا غَزِلًا يقول شعرًا لَيِّنًا ويصنع صنعةً صالحةً. وأُمّ محمد الأمين زُبَيْدَةُ بنتُ جعفر بن المنصور. وزبيدة لَقَبٌ غلَب عليها، وٱسمُها أَمَةُ العزيز. وكان المنصور ٥ يُرَقِّصُها وهى صغيرة — وكانت سمينةً حسنةَ البدن — فيقول لها: يا زُبيدة يا زبيدة. فغلَب عليها ذلك.

كان صديقا لأبى نهشل فأحب جارية اشتراها أخوه فكتب له شعرا فأخذها له منه

أخبرنى الصولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال:

كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبى نَهْشَل بن حُمَيْد مودّة. فاعترض ١٠ عبدُ الله جاريةً مغنّيةً لبعض نساء بنى هاشم وأَعْطَى بها مالًا عظيمًا. فعرفتْ منه رغبةً فيها فزادت عليه فى السَّوْم، فتركها ليكسِرهم. فجاء أخ لأبى نَهْشَل بن حُمَيْد فٱشتراها وزاد. فتبِعَتْها نفسُ عبدِ الله، فسأل أبا نَهْشَل أن يسأل أخاه النزول له عنها، فسأله ذلك فوعده ودافعه. فكتب عبد الله إلى أبى نهشل:

يا بْنَ حُمَيْـدٍ يا أبا نهشلٍ * مفتاحَ بابِ الحَـدَثِ المُقْفَلِ
يا أكرمَ النـاسِ وِدادًا وأر * عاهم لحـقٍّ ضائعٍ مُهْمَلِ ١٥
أحسنتَ فى ودّى وأجملتَ بل * جُزْتَ فِعـالَ المُحْسِنِ المُجْمِلِ
بيتُـك فى ذى يَمَنٍ شامخٌ * تَقْصُر عنـه قُنَّتَا يَـذْبُلِ(١)
خَلَفْتَ فينا حاتمًا ذا النَّـدَى * وجُدْتَ جَوْدَ العارضِ المُسْبِلِ
أَىُّ أخٍ أنتَ لِذِى وَحْـدَةٍ * تركتَه بالعِـزِّ فى جَحْفَـلِ

(١) يذبل: جبل مشهور الذكر بنجد.

٢٠

نجومُ حَظِّى منك مَسْعودةٌ * فما أُرَجِّى لَسْنَ بالأُفَّلِ
فصَدِّق الظنَّ بما قلتَه * وسَهِّل الأمرَ به يَسْهُلِ
لا تَحْرِمَنِّى ولَدَيْكَ المُنَى * بالله صَيْدَ الرَّشأ الأَكْحَلِ
رُمِيتُ منه بسِهام الهوى * وما دَرَى بالرَّمْى[1] فى مَقْتَلى
أدنَيْتَنِى بالوعد فى صَيْده * إدْناءَ عَطْشانٍ من المَنْهَلِ
ثم تناسيتَ وأسْلَمْتَنى * إلى مِطَالٍ مُوحِش المَنْزِلِ
تركتَنى فى لُجَّةٍ عائمًا * لا أعرف المُدْبِرَ من مُقْبِلِ
صَرِّحْ بأمرٍ واضحٍ بَيِّنٍ * لا خيرَ فى ذى لَبَسٍ[2] مُشْكِلِ

قال : فلم يزل أبو نَهْشَلٍ بأخيه حتى نَزَل له عنها .

خرج الى ضيعته وتكاتب هو ونديمه أبو نهشل بشعر

وأخبرنى الصُّولىّ أيضا بغير إسناد، ووجدتُ هذا الخبرَ فى كتاب لمحمد ابن الحَسَن الكاتب يَرْويه عن أبى حَسَّان الفَزَارىّ قال :

كان أبو نَهْشَل بن حُمَيْد صديقًا لعبد الله بن محمد الأمين ونديمًا . وكانت لعبد الله ضَيْعة بالسَّوَاد تُعْرَف بالعَمْرِيّة، فخرج إليها وأقام بها أيّامًا . فكتب إليه أبو نهشل :

سقى اللهُ بالعَمْرِيّة الغيثَ مَنْزِلًا * حَلَلْتَ به يا مؤنسى وأميرى
فأنت الذى لا يخلُق الدهرَ ذكرُه * وأنت أخى حقًّا وأنت سرورى

فأجابه عبد الله :

لئن كنتُ بالعَمْرِيّة اليومَ لاهيًا * فإنّ هواكم حيث كنتُ ضميرى
فلا تحسبنِّى فى هواكم مُقَصِّرًا * وكن شافعى من سُخْطكم ومُجِيرى

قال محمد بن الحسن فى خبره : وصنع عبد الله فى هذه الأبيات الأربعة لحنا، وصنع فيها[3] سُلَيْم بن سَلّام لحنًا آخر .

(١) فى حـ : «ما الرمى» . (٢) حرّك لضرورة الشعر . (٣) فى الأصول : «فيه» .

نادم الواثق والخلفاء من بعده الى المعتمد، وشعر له فيه

أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدّثنا عبد الله بن المعتز قال :

كان عبد الله بن محمد الأمين ينادم الواثقَ ثم نادمَ بعده سائرَ الخلفاء إلى المعتَمد .

قال : وأنشدنى له فى المعتمد :

رأيتُ الهـلالَ على وجهكا * فما زلتُ أدعو إلٰهى لكا

فـلا زلتَ تحيا وأحيا معًا * وآمننى الله من فقْدكا

قال : ومن شعره — وله فيه لحنٌ من الرَّمَل الثانى وهو خفيف الرمل — :

صـوت

يا مَنْ به كلُّ خَنْقٍ * تراه صَبًّا مُتَيَّمْ

ومَنْ تَجالَلَ تيهًا * فما تراه يُكَلِّمْ

لا شيءَ أعجبُ عندى * ممن يراك فيَسْلَمْ

فأمّا دَيْرُ حَنْظَلةَ الذى ذكره فى شعره وفيه الغناء المذكور من صنعته مُتَقَدِّما، فإنه دَيْرٌ بالجزيرة . أخبرنى بخبره هاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزاعىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال أنشدنى أبو المُحَلِّم لحنظلة بن أبى عَفْراء أحد بنى حيَّة الطائيين وهم رَهْطُ أبى زُبَيد(١) ورهط إياس(٢) بن قَبِيصةَ :

ومهما يكن رَيْبُ الزمانِ فإننى * أرى قمرَ الليل المُغَرِّبَ كالفتى

يَهِلُّ صغيرًا ثم يعظُم ضَوْءُه * وصورتُه حتى إذا ما هو ٱستوى

تقارب يخبو ضَوْءُه وشُعاعُه * ويَمْصَحُ(٣) حتى يَسْتَسِرَّ فلا يُرَى

(١) هو حرملة بن المنذر بن معديكرب الطائى، كان نصرانيا وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام. (انظر ترجمته فى الأغانى ج ١١ ص ٢٤ طبع بلاق) . (٢) كان واليا لكسرى على الحيرة بعد قتله النعمان بن المنذر . (انظر تاريخ ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٦ — ٣٦٩) . (٣) مصح : ذهب وانقطع .

كذلك زَيْدُ المــرءِ ثم آنتقاصُـه * وتَكْرارُه فى دهره بعـد ما مضى[1]

تُصَبِّح أهـلَ الدّارِ والدّارُ زينـةٌ[2] * وتأتى الجبـالَ من شَمَاريخها العُلَا

فلا ذا غِنًى[3] يُرْجِئْنَ عن فضلِ ماله * و إن قال أَخِّرْنى وخُذْ رِشْـوةً أبَى

ولا عن فقـيرٍ يأتَجِرْنَ لفقـره * فتنفعَه الشـكوى إليهن إن شَكَا

٥ قال : وكان حَنْظَلَةُ هذا قد تعبَّد فى الجاهليّة وتفكَّر فى أمر الآخرة وتنصَّر وبَنَى دَيْرًا بالجزيرة، فهو الآن يُعرَف به يقال له دَيْر حَنْظَلَة . وفيه يقول الشاعر : ١٠٤/٩

يا دَيْرَ حَنْظَـلةَ المهيِّج لِى الهَـوَى * قـد تستطيع دواءَ عشقِ العاشـقِ

\+ + +

وممن صنَع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكّل

١٠ كان عبدُ الله بن المتوكّل جمع له صنعةً مقدارُها أكثر من ثلثمائة صوت، منها الجيِّد الصنعة ومنها المتوسط، قد سمعنا كثيرًا منها؛ إلّا أنى أذكر من ذلك ما عرفتُ شاعرَه وكان له خبرٌ يتّصل به حَسَبَ ما شَرَطْناه فى هذا الكتاب وضَمَّنّاه إيّاه من الأخبار، ثم أذكر أخبارَ أبى عيسى بعد ذلك .

قال آبن المعتز حدّثنى النُّمَيْرِىّ قال سمعت أبا عيسى بن المتوكّل يقول: إذا أتممتُ ١٥ صنعةَ ثلثمائة صوت وستين صوتًا عَدَدَ أيام السنة تركتُ الصنعة، فلمّا صنعها ترك الصنعةَ . فمنها — وهو لَعَمْرِى من جيِّـد الغناء وفاخرِ الصنعة، ولو لم يصنع غيره لكفاه — فى شعر أبى العتاهية :

---

(١) فى معجم البلدان : « فى إثره » . (٢) فى الأصول : « ربيبة » والتصويب عن معجم البلدان . (٣) يلاحظ أن الضمائر فى هذا البيت والذى بعده متباينة ؛ والمراد بها واحد ٢٠ هو الموت، وإذا كان ضمير جمع فالمراد المنايا .

صـــــوت

يَضْطَرِبُ الخوفُ والرجاءُ إذا * حرَّك موسى القضيبَ أو فكَّرْ

ولحنُه من الثَّقيل الأوّل . والشعرُ لأبى العتاهية، وقد مَضَتْ أخبارُه، وإنما قدمتُ ذكَرَه بجودة صَنْعته وأنه شُبِّه فيه بصنعة الفحول ومُحْكَمِ أغانى الأوائل .

ومنهـا :

صـــــوت

هى النَّفْسُ ما حَمَّلتَها تَتَحَمَّـــلُ * وللدّهرِ أيّامٌ تَجـــورُ وتَعْـــدِلُ

وعاقِبـــةُ الصَّبرِ الجميلِ جميـــلةٌ * وأفضـــلُ أخلاقِ الرجال التَّجَمُّلُ

الشعرُ لعلىّ بن الجَهْم . والغناء لأبى عيسى بن المتوكّل، ثانى ثقيلٍ بالوسطى .

أخبار عليّ بن الجَهْم ونسبُه

نسبه ونسب قبيلته بنى سامة

هو عليّ بن الجَهْم بن بَدْر بن الجَهْم بن مسعود بن أسيد بن أُذَيْنَة بن كَرَّاز بن كعب ابن مالك[1] بن عُيَيْنَة[2] بن جابر بن الحارث[3] بن عبد البيت بن الحارث بن سَامَةَ بن لُؤَيّ ابن غالب . هكذا يدّعون ، وقريش تدفعهم عن النَّسَب وتسمِّيهم بنى ناجيةَ ، يُنْسَبون إلى أمّهم ناجية ، وهى آمرأة سامةَ بن لُؤَىّ . وكان سامة ، فيما يقال ، خرج الى ناحية البَحْرَيْن مغاضباً لأخيه كعب بن لؤىّ فى مُمَاظَّة[4] كانت بينهما ، فطأطأتْ ناقته رأسَها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العُشْب ، فعلِق بمِشْفَرها أفعى فعطفته على قَتَبها فحكَّتْه به ، فدبّ الأفعى على القَتَب حتى نهش ساقَ سَامَةَ فقتله . فقال أخوه يرثيه[5] :

عينُ جُودِى لسَامَةَ بن لُؤَىٍّ * عَلِقَتْ ساقَ سَامَةَ العَلَاقَهْ[6]

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَها آبنَ لُؤَىّ * حَذَرَ الموتِ لم تكن مُهْرَاقَهْ

وقال مَنْ يَدْفع بنى سَامَةَ من نَسَّابى قريش : وكانت معه آمرأته ناجية . فلمّا مات تزوّجتْ رجلًا من أهل البحرَيْن فولَدَتْ منه الحارثَ ، ومات أبوه وهو صغير . فلمّا تَرَعْرَع طمِعتْ أمّه فى أن تُلْحِقه بقريش ، فأخبرته أنه آبن سَامَةَ بن لُؤَىّ . فرحل

---

(١) فى ابن خلكان : « بن كعب بن جابر بن مالك » . (٢) فى ابن خلكان : «عتبة» .

(٣) فى ابن خلكان : « ... ابن الحارث بن قطن بن حديج بن قطن بن أحزم بن ذهل بن عمرو بن مالك ابن عبيدة بن الحارث بن سامة ... الخ» . (٤) المماظة : المخاصمة والمنازعة . (٥) ورد فى لسان العرب (فى مادّة «فوق») أن امرأة رجل من الأزد هى التى قالت هذا الشعر ترثيه وكان سامة نزل على زوجها ضيفا . فلما أصبح قعد يستن ، فنظرت اليه زوجة الأزدى فأعجبها . فلما رمى سواكه أخذتها فمصتها . فنظر اليها زوجها ، فحلب ناقة وجعل فى حلابها سما وقدمه الى سامة ، فغمزته المرأة فهراق اللبن وخرج يسير . فبينا كان فى موضع يقال له جوف الحميلة نهشه أفعى ، كما جاء فى الأصل . وانظر بقية هذا الشعر فى لسان العرب . (٦) العلاقة : فى الأصل المنية . ويريد بها هنا الحية .

١٠٥ / ٩

من البحرين[(١)] إلى عمّه كَعْب وأخبره أنه آبن أخيه سامة. فعرَف كعب أمَّه وظنّه صادقًا فى دعواه. ومكث عنده مدّةً، حتى قدِم مكةَ رَكْبٌ من أهل البَحْرَيْن، فرأَوُا الحارثَ فسلّموا عليه وحادثوه ساعةً. فسألهم عنه كعب بن لُؤَىّ ومن أين يعرفونه، فقالوا له: هذا آبن رجلٍ من أهل بلدنا يقال له فلان، وشرحوا له خبرَه. فنفاه كعبٌ ونَفَى أمَّه، فرجَعا إلى البحرَيْن فكانا هناك، وتزوج الحارثُ وأَعْقَب هذا العَقِبَ.
ورُوِىَ عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: "عَمّى سَامَةُ لم يُعْقِبْ". وكان بنو ناجِيَةَ آرتدّوا عن الإسلام. ولما وَلِىَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه الخلافةَ دعاهم إلى الإسلام، فأَسْلَمَ بعضُهم وأقام الباقون على الرِّدّة فسَبَاهم وآسترقَّهم، فآشتراهم مَصْقَلَةُ[(٢)] ابن هُبَيْرة منه وأدّى ثُلُثَ ثمنِهم وأشهد بالباقى على نفسه، ثم أعتقهم وهَرَب من تحت ليله إلى معاوية، فصاروا أحرارا، ولزِمَه الثمنُ، فشَعَّثَ[(٣)] علىٌّ بن أبى طالب شيئًا من داره، وقيل بل هدَمها. فلم يدخل مَصْقَلَةُ الكوفةَ حتى قُتِل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه.

وزعم آبن الكلبىّ: أنّ سَامَةَ بن لؤىّ وَلَدَ غالبَ بن سَامَةَ وأُمُّه ناجيةُ، ثم هلك سَامةُ فخلَف عليها آبنه الحارث بن سَامَةَ، ثم هلك آبنا سامة ولم يُعْقِبَا[(٤)]، وأنّ قومًا من بنى ناجيةَ بنت جَرْم[(٥)] بن رَبَّان[(٦)] عِلَاف آدَّعَوْا أنهم بنو سَامَةَ بن لؤىّ، وأنّ أمّهم ناجية

---

(١) فى الأصول: «من أهل البحرين». (٢) انظر هذه القصة مفصلة فى الطبرى ق ١ ص ٣٤٣٩ — ٣٤٤٢. (٣) يريد أنه نقض بعضا منها.
(٤) فى أ، م: «ثم هلك ابن سامة ولم يعقب». (٥) فى الأصول هنا: «ابن جرم».
(٦) ربان علاف: بالراء المهملة المفتوحة والباء الموحدة المشدّدة، وليس فى العرب غيره، ومن سواه فبالزاى المعجمة. وقد ورد هذا الاسم فى الأصول محرفا بصور شتى، وفى أكثرها زيادة "ابن" بين ربان وعلاف، وهما لشخص واحد، كما ذكر ذلك المؤلف فى الصفحة التالية. (راجع القاموس وشرحه فى مادتى ربن وعلف).

هذه ونَسَبوها هذا النسبَ، وٱنْتَمَوْا الى الحارث بن سَامةَ وهم الذين باعهم علىّ بن أبى طالب إلى مَصْقَلةَ . قال : ودليلُ ذلك وأنّ هؤلاء بنو ناجية بنتَ جَرْم قولُ علقمةَ الخَصِىّ التَّيمىّ أحدِ بنى رَبيعة بن مالك :

زعمتم أنّ ناجىَ بنتَ جَرْم * عجوزٌ بعـد ما بَلِىَ السَّنَامُ

فإن كانت كذاك فألبِسوها * فإنّ الحَلْىَ للأُنثى تمـامُ

وهذا أيضًا قولُ الهَيْثَم بن عدىّ. فأمّا الزُّبير بن بكّار فإنّه أدخلهم فى قريش وقال: هم قريشٌ العازِبةُ. وإنما سُمُّوا العازبةَ لأنهم عَزَبوا عن قومهم فنُسِبوا إلى أُمّهم ناجية بنت جَرْم بن رَبّان وهو عِلَاف، وهو أوّل من ٱتخذ الرِّحالَ العِلافيّةَ فنُسِبَتْ إليه. وٱسم ناجية ليلى، وإنما سُمِّيَتْ ناجيةَ لأنها سارتْ فى مَفازةٍ معه فعَطِشَتْ فٱستسقته ماء، فقال لها : الماءُ بين يديك، وهو يريها السَّرابَ، حتى جاءت الماءَ فشربت وسُمِّيَتْ ناجيةَ. وللزُّبير فى إدخالهم فى قريش مذهبٌ وهو مُخالَفةُ فِعْلِ أمير المؤمنين علىٍّ رضى الله عنه ومَيْلُه إليهم لإجماعهم على بُغْضه رضى الله عنه، حَسَبَ المشهور المأثور من مذهب الزُّبير فى ذلك .

كان شاعرا فصيحا اختص بالمتوكل وهجا عليا وشيعته

وكان علىّ بن الجَهْم شاعرا فصيحًا مطبوعًا، وخُصَّ بالمتوكِّل حتى صار من جُلَسائه، ثم أبغَضَه لأنه كان كثيرَ السِّعاية إليه بنُدَمائه والذِّكْرِ لهم بالقبيح عنده، وإذا خلا به عَرَّفه أنهم يَعيبونه ويَثْلِبونه ويتنقّصونه، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة، فنفاه بعد أن حبَسَه مدّة . وأخبارُه تُذْكَر على شرح بعد هذا . وكان يَنحو نحوَ مروان بنِ أبى حَفْصةَ فى هجاء آل أبى طالب وذمّهم والإغراء بهم وهجاءِ الشِّيعة، وهو القائل :

ورافضة تقول بشِعْبِ رَضْوَى * إمامٌ، خاب ذلك من إمامِ

إمامٌ مَنْ له عشرون ألفًا * من الأتراك مُشْرَعةُ السِّهامِ

١٠٦ / ٩

وفيه يقول البُحْتُرِىّ :

إذا ما حُصِّلتْ عُلْيا قُرَيْش * فلا فى العِــير أنتَ ولا النَّفِير
وما رُغَثَاؤكَ الجَهْـمُ بنُ بَدْرٍ (١) * من الأقمــار ثَمَّ ولا البـــدورِ
ولو أعطــاك ربُّك ما تَمَــنَّى (٢) * لزاد الخلقَ فى عِظَمِ الأيـــورِ
عَــلامَ هَجَوْتَ مجتهِدًا عليًّا * بما لَفَّقتَ من كَذِبٍ وزُورِ
أمالَكَ فى ٱستِكَ الوَجْعاءِ شُغْلٌ * يَكُفُّكَ عن أذى أهلِ القبــورِ ٥

وسمعه أبو العَيْناء يومًا يطعُن على علىّ بن أبى طالب رضىَ الله عنه، فقال له : أنا أدرى لِمَ تطعن على علىّ أميرِ المؤمنين . فقال له : أتعنى قصّــةَ بَيْعه أهــلى من مَصْقَلةَ بن هُبَيْرة ؟ قال : لا ! أنت أوضع من ذلك، ولكن لأنه قتلَ الفاعلَ فِعْلَ قوم لوطٍ والمفعولَ به، وأنت أسْفَلُهما . ١٠

هجا بختيشوع فسبه عند المتوكل فحبسه سنة ثم نفاه وقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عَمّى قال حدّثنى محمد بن سعد الهشامىّ قال :

كان علىّ بن الجهم قد هجا بَخْتَيْشُوع (٣)، فسبَّه عند المتوكّل فحَبَسه المتوكّل . فقال علىّ بن الجَهْم فى حَبْسه عِدّةَ قصائدَ كتب بها الى المتوكل فأطلقه بعد سنة، ثم نفاه بعد ذلك الى خُراسان . فقال أوّلَ ما حُبِس قصيدةً كتب بها الى أخيه، أوّلها قوله :

توكّلْنا على رَبِّ السماء * وسلَّمْنــا لأســباب القضاءِ ١٥
ووطَّنّــا على غِــيَرِ اللّيــالى * نفوسًا سامحتْ بعــدَ الإباءِ
وأفْنِيــةُ المــلوك محجَّباتٌ * وبابُ الله مبــذولُ الفِنــاء

(١) الرغثاء : أصلها عصب أو عرق فى الثدى يدر اللبن . واستعملها البحترى هنا فى الأب .
(٢) فى ديوان البحترى طبع مطبعة الجوائب :
ولو أعطاك ربك ما تمنى * عليه لزاد فى غلظ الأيور ٢٠
(٣) هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع الأكبر المتطبب . (انظر الطبرى ق ٣ ص ٦٦٧، ١٤٣٧، ١٤٤٧، ١٧٩٠) .

هي الأيّامُ تَكْلُمُنا وتأسُو * وتأتي بالسعادة والشقاءِ

وما يُجْدِى الثَّراءُ على غَنِيٍّ * إذا ما كان محظورَ العَطاء

حَلَبْنا الدَّهرَ أشْطُرَهُ ومَرّت * بنا عُقَبُ(1) الشّدائد والرَّخاء

وجرَّبنا وجرَّب أوَّلُونا * فلا شيءٌ أعزّ من الوفاء

ولم نَدَعِ الحياءَ لمسِّ ضرّ * وبعضُ الضرّ يذهب بالحياء

ولم نَحْزَنْ على دنيا تولَّتْ * ولم نُسْبَقْ إلى حُسْن العَزاء

تَوقَّ النّاسَ يا ابنَ أبي وأمّي * فهم تَبَعُ المخافة والرَّجاء

ولا يَغْرُرْكَ من وَغْدٍ إخاءٌ * لأمرٍ ما غدا حَسَنَ الإخاء

ألم تَرَ مُظْهِرِين عليّ عَيْبًا(2) * وهم بالأمس إخوانُ الصَّفاء

فلمّا أن بُلِيتُ غَدَوْا وراحُوا * عليّ أشدَّ أسبابِ البَلاء

أبَتْ أخطارُهم أن يَنْصُرونى * بمالٍ أو بجاهٍ أو ثَراءِ

وخافُوا أن يقالَ لهم خَذَلتم * صديقًا فادّعَوْا قِدَمَ الجَفاء

تضافرتِ الرّوافضُ والنّصارى * وأهلُ الاعتزال على هِجائى

— يعني بأهل الاعتزال عليّ بن يحيى المنجّم وقد كان بلغه عنه ذكر له : —

وعابونى وما ذنبي إليهم * سوى عِلْمى بأولاد الزِّناء

فبَخْتَيَشُوعُ يشهَد لابن عمرو * وعَزُّونٌ لهارون المرائى

وما الحَذْماءُ بنتُ أبي سُمَيْرٍ * بجذماء اللّسان عن الخَناءِ

إذا ما عُدّت مثلُكم رجالًا * فما فضلُ الرجال على النساء

عليكم لعنةُ الله ابتداءً * وعَوْدًا في الصَّباح وفي المساء

(1) العقب : جمع عقبة وهي النوبة . (2) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : « عتبا » وهو تصحيف .

إذا سُمِّيتُمُ للنّاس قالوا * أولئك شَرُّ مَنْ تحت السّماء

أنا المتوكِّلىّ هوًى ورأيًا * وما بالواثقيّة من خَفاء

وما حَبْسُ الخليفةِ لى بعارٍ * وليس بمُؤْيِسِى منه التنائى

قال أبو الشبل شعره فى الحبس كشعر عدى بن زيد

أخبرنى عَمِّى قال حدّثنا محمد قال قال لى أبو الشِّبْل البُرْجُمِىّ : ما شِعر علىّ ابن الجهم فى الحبس بدون شعر عَدِىّ بن زيد (١) .

حبسه المتوكل بسعاية جلسائه ونفاه الى خراسان فعذبه طاهر بن عبد الله فقال شعرا

أخبرنى عَمِّى قال حدّثنا محمد قال :

كان سببُ حَبْس المتوكِّل علىَّ بنَ الجَهْم أنّ جماعةً من الجُلَساء سَعَوْا به إليه وقالوا له : إنه يُجَمِّشُ (٢) الخَدَم ويَغْمِزهم ، وإنّه كثيرُ الطعن عليك والعيبِ لك والإزراءِ على أخلاقك ؛ ولم يزالوا به يُوغِرون صدرَه عليه حتى حبسه ؛ ثم أبلغوه عنه أنه هجاه . فنفاه إلى خُرَاسان وكتب بأن يُصْلَب إذا وَرَدَها يومًا الى الليل . فلما وصل الى الشاذِياخ (٣) حَبَسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها ، ثم أُخرج فصُلِب يومًا الى الليل مجردا ثم أُنزِل . فقال فى ذلك :

لم يَنْصِبوا بالشّاذِياخ عَشِيّةَ الإثنين مسبوقًا ولا مجهولا

نصَبوا بحمد الله مِلْءَ قلوبهم * شَرَفًا ومِلْءَ صدورهم تَبْجيلا

ما ٱزداد إلا رفعةً بنُكُوله (٤) * وٱزدادت الأعداءُ عنه نُكُولا

هل كان إلّا الليثَ فارقَ غِيلَه * فرأيتَه فى مَحْمِل محمولا

(١) عدى بن زيد الشاعر حبسه النعمان ، وله شعر فى حبسه . (انظر ترجمته فى الجزء الثانى ص ٩٧ وما بعدها من هذه الطبعة) . (٢) يجمش الخدم : يلاعبهم ويقرصهم . (٣) الشاذياخ : من ضواحى نيسابور أم بلاد خراسان ، وكانت قديما بستانا لعبد الله بن طاهر بن الحسين ملاصقا مدينة نيسابور ، فبنى فيه دارا له ، ثم أمر الجند بالبناء حوله فعمرت حتى اتصل بناؤها ببناء نيسابور وصارت من جملة محالها . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) يريد بنكوله الأولى التنكيل به ، وبالثانية الفرار عنه والاحجام . ويلاحظ فى الأولى أنه يقال : نكل به تنكيلا ونكل به مخفف والاسم النكال بالفتح .

لا يأمَن الأعداءُ من شَـدَاته * شدًّا يفصِّل هامَهم تفصيلا

ما عابه أن بُـزَّ عنـه لِباسُـه * فالسيفُ أهْوَلُ ما يُرَى مسلولا

إن يُبتَذَلْ فالبدرُ لا يُزْرِى به * أن كان ليلةَ تِمِّه مبـذولا

أو يَسْلُبوه المالَ يُحْزِنْ فقدُه * ضيفًا ألَمَّ وطارقًا ونزيلا

أو يَحْبِسوه فليس يُحْبَس سائرٌ * من شعره يَدَعُ العزيزَ ذليلا

إنّ المصائب ما تعدّت دينَه * نِعَمٌ وإن صَعُبَتْ عليه قليلا

واللهُ ليس بغافلٍ عن أمره * وكَفَى بربِّك ناصرًا ووكيلا

ولَتَعْلَمَنَّ[1] إذا القلوبُ تكشَّفَتْ * عنها الأكِنَّةُ مَنْ أَضَلُّ سبيلا

كتب المتوكل لطاهر بإطلاقه فأطلقه فقال شعرا

أخبرني عَمِّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال :

كتب المتوكّل الى طاهر بن عبد الله بإطلاق عليّ بن الجَهْم. فلمّا أطلقه قال :

أَطاهرُ إنّي عن خُراسانَ راحلٌ * ومُسْتَخْبَرٌ عنها فما أنا قائلُ

أأَصْدُقُ أم أَكْنِى عن الصِّدق[2] أيَّما * تَخَيَّرتَ أدّتْه إليك المحافلُ

وسارت به الرُّكبانُ واَصْطَفَقَتْ به * أكُفُّ قِيانٍ واَجْتَبَتْه القبائلُ

وإنّي بغاني الحمد والذّمِّ عالم * بما فيهما نامى الرَّمِيَّة[3] ناضلُ

وحقًّا أقولُ الصّدقَ إنّي لمائلٌ * إليكَ وإن لم يَحْظَ بالودّ مائلُ

ألَا حُرْمَةٌ تُرْعَى ألَا عَقْدُ ذمّةٍ * لجارٍ ألَا فِعْلٌ لقولٍ مُشاكِلُ

ألَا مُنْصِفٌ إن لم نجد متفضِّلًا * علينا ألَا قاضٍ من الناس عادلُ

---

(١) فى أ، م: «وليعلمن» بالياء المثناة من تحت. (٢) فى أ، م: «عن الحق». (٣) الرمية النامية: التى أصيبت ثم غابت عن الرامى وماتت؛ يقال: نمى فلان الصيد فنمى؛ قال امرؤ القيس يهجو:

فهو لا تنمى رميته * ماله لا عدّ من نفره

يريد على بن الجهم أنه يصيب مرماه. وناضل: وصف من نضله إذا سبقه أو غلبه فى المناضلة وهى المباراة فى الرمى.

فلا تَقْطَعَنْ غيظًا علىّ أنامِلًا * فقبلك ما عُضّت علىّ الأنامِلُ
أطاهرُ إن تُحْسِنْ فإنّىَ مُحْسِنٌ * إليك وإن تَبْخَلْ فإنّىَ باخلُ

فقال له طاهر: لا تقل إلّا خيرا فإنى لا أفعل بك إلّا ما تحبّ، فوصله وحمله وكساه.

جمش جارية فباعدته فقال شعرا فأجابته

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد قال:

كان علىّ بن الجَهْم فى مجلس فيه قَيْنةٌ، فعابثها وجمّشها، فباعدته وأعرضت ٥
عنه، فقال فيها:

خَفِى اللهَ فيمن قد تَبَلْتِ فؤادَه * وغادَرْتِه نِضْوًا كأنّ به وَقْرَا[1]
دعِى البخلَ لا أسمع به منك إنّما * سألتُك أمرًا ليس يُعْرِى لكم ظَهْرا

فقالت له: صَدَقْتَ يا أبا الحسن، ليس يُعْرِى لنا ظَهْرًا، ولكنّه يملأ بطنا!!

كان يتشاءم من الحارثى فرآه فقال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا ١٠
إبراهيم بن المدبّر قال حدّثنا علىّ بن الجَهْم قال:

كان الحارثىّ يجىء إلى حُلْوانَ[2] وأنا أتولّاها — وكان يَنِى بن الجَهْم على مظالمها —
فإذا وردها وقع الإرجاف[3]، فلم يزل متّصلاً حتى يخرج، فإذا خرج سكن الإرجاف.
فأتانى مرّةً وظهر كوكب الذَّنَب فى تلك الليلة، فقلت:

لمّا بدا أيقنتُ بالعَطَبِ * فسألتُ ربّى خيرَ مُنْقَلَبِ ١٥
لم يَطْلُعا إلّا لآبِدةٍ[4] * الحارثىُّ وكوكبُ الذَّنَبِ

(١) كذا فى الأصول بإثبات الياء فى «خفى» فى هذا البيت، وفى «دعى» فى البيت بعده.
ونحسب أن هذه الياء من زيادات النساخ، وأن الخطاب لمذكر والمراد به أنثى، كما يدل عليه سياق الكلام.
وإلا فيبعد أن يقع مثل علىّ بن الجهم فى هذا الخطأ اللغوى؛ إذ الأمر من «خاف» للخاطبة «خافى».

(٢) حلوان: مدينة بالعراق. (٣) الإرجاف هنا: الزلزلة؛ يقال رجفت الأرض ٢٠
وأرجفت. (٤) الآبدة: الداهية الخالدة الذكر، والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش.

قال ابن المدبّر : وكان الحارثىّ أعور مُقبّح الوجه، وفيه يقول أبو علىّ البصير :

يا معشر الشعراء لا تتطرّفوا(١) * جيشى ولا تتعرّضوا لنكيرى
رُدُّوا على الحارثىّ فإنه * أعمى يُدلّس نفسه فى العور(٢)

انتحل شعرا لإبراهيم ابن العباس

أخبرنى الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال أنشدنى إبراهيم بن المدبّر لعلىّ ٥ ابن الجهم وذكر أن عليًّا أنشده إيّاه لنفسه :

أُميلُ مع الذّمام على ابن أُمّى * وآخُذ للصّديق من الشّقيق
وإن ألفيتنى حُرًّا مُطَاعًا * فإنّك واجِدى عَبْدَ الصديق
أفرّق بين معروفى ومَنّى * وأجْمَع بين مالى والحقوق

فقال إبراهيم : كذب والله علىّ بن الجهم وأثِم . والله لَهذا الشعرُ أشهرُ(٣) بإبراهيم بن ١٠ العبّاس من إبراهيم بن العباس أبيه .

قال المتوكل إنه كذاب وأثبت كذبه بكلامه له

أخبرنى الحسن قال حدّثنى ابن مَهْرويه قال حدّثنا إبراهيم بن المدبّر قال قال المتوكّل :

علىّ بن الجهم أكْذَبُ خَلْقِ الله . حَفِظْتُ عليه أنّه أخبرنى أنه أقام بخُراسان ثلاثين سنة ؛ ثم مضت مدّة أخرى وأُنْسِىَ ما أخبرنى به ، فأخبرنى أنه أقام بالثغور ١٥ ثلاثين سنة ، ثم مضت مدّة أخرى وأُنْسِىَ الحكايتين جميعا ، فأخبرنى أنه أقام بالجبل ثلاثين سنة ، ثم مَضَتْ مدّةٌ أخرى فأخبرنى أنه أقام بمصر والشأم ثلاثين سنة ، فيجب أن يكون عمره على هذا وعلى التقليل مائةً وخمسين سنةً(٤) . وإنما يُزَاهِى سنّه الخمسين سنةً . فليت شعرى أىُّ فائدة له فى هذا الكذب وما معناه فيه ! !

١٠٩ / ٩

(١) تصرف الشىء : تحيفه وأخذ من أطرافه . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : ٢٠ « بالعور » . (٣) فى ب ، سـ : «أشبه» . (٤) يلاحظ أن مجموع السنين التى ذكرها لا يبلغ مائة وخمسين .

عربد عليه بعض ولد على بن هشام فهجاهم

أخبرنى محمد بن إبراهيم قال حدّثنا عبدالله بن المعتزّ، وحدّثنى عمّى قال حدّثنا محمد بن سعد قال :

اجتمع علىّ بن الجهم مع قوم من ولد علىّ بن هشام فى مجلس، فعربد عليه بعضهم ، فغضب وخرج من المجلس ، واتّصل الشرّ بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه . فقال يهجوهم :

بنى متيّم هل تدرون ما الخبر * وكيف يستر أمرٌ ليس يستتر
حاجيتكم : من أبوكم يا بنى عصب * شتّى ولكنّما للعاهر الحجر
قد كان شيخكم شيخًا له خطر * لكنّ أمّكم فى أمرها نظر
ولم تكن أمّكم - والله يكلؤها - * محجوبة دونها الحرّاس والسّتر
كانت مغنّية الفتيان إن شربوا * وغير ممنوعة منهم إذا سكروا
وكان إخوانه غرًّا غطارفة * لا يمكن الشيخ أن يعصى إذا أمروا
قوم أعفّاء إلّا فى بيوتكم * فإنّ فى مثلها قد تخلع العذر
فأصبحت كمراح الشّول(١) حافلة * من كلّ لاحقة فى بطنها درر
فجئتم عصبًا من كلّ ناحية * نوعا مخانيث(٢) فى أعناقها الكبر(٣)
فواحد كسروىّ فى قراطقه(٤) * وآخر قرشىّ حين يختبر
ما علم أمّكم من حلّ مئزرها * ومن رماها بكم يأيّها القذر

(١) فى الأصول : « كريح » والمراح : مأوى الإبل . والشول من النوق : التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية ، فلم يبق فى ضروعها إلا شول من اللبن أى بقية مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان (بكسر أوله وسكون ثانيه) نتاجها . واحدتها شائلة ، وهو جمع على غير قياس . وأما الناقة الشائل (بغير هاء) فهى اللاقح التى تشول بذنبها للفحل أى ترفعه ، فذلك آية لقاحها ، وترفع مع ذلك رأسها وتشمخ بأنفها ، وهى حينئذ شامذ ، و جمعها شوّل وشمّذ . والمراد من البيت ظاهر .
(٢) كذا فى الأصل أى وهما نوعا مخانيث ... الخ ، فسرهما فى البيت الثانى ، و إن كان مع ذلك يحتمل أنها حرفت عن كلمة على وزن فعل بضم أوله جمعا لأفعل ، مثل نوك جمع أنوك أو نحو ذلك .
(٣) الكبر : الطبل . معرب . (٤) القراطق : جمع قرطق وهو القباء .

قوم إذا نُسِبوا فالأمّ واحدةٌ * والله أعلم بالآباء إذ كثُروا

لم تَعرِفوا الطَّعْنَ إلّا في أسافلكم * وأنتمُ في المخازي فِتيةٌ صُبُرُ

أحببتُ إعلامَكم إنّي بأمرِكمُ * وأمرِ غيركمُ من أهلكم خَبِرُ

تفكَّهون بأعراض الكرام وما * أنتم وذِكْرُكمُ السادات يا عُرُرُ(١)

٥ هذا الهجاء الذي تبقى مياسِمُه(٢) * على جباهكمُ ما أَوْرقَ الشَّجَرُ

سعى عند المتوكل بندمائه وبلغه أنه هجاه لحبسه، وأحسن شعره في الحبس

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال: كتب صاحب الخبر إلى المتوكّل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح احترق فمات. فقال عليّ بن الجَهْم: قد بلغني أنّ العامل قتله وصانع صاحبَ الخبر حتى كتب بهذا. وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكّل فأبغضَه وأمره بأن يلزم بيته، ثم بلغه

١٠ أنه هجاه فحَبَسه. وأحسنُ شعر قاله في الحبس قصيدتُه التي أوّلها:

قالت حُبِسْتَ(٣) فقلتُ ليس بضائري * حَبْسي وأيُّ مُهنَّدٍ لا يُغمَدُ

أَوَما رأيتِ اللَّيْثَ يألَفُ غِيلَه * كِبْرًا وأوباشُ السِّباعِ تَردَّدُ

والشمسُ لولا أنّها محجوبةٌ * عن ناظرَيْك لما أضاء الفَرْقَدُ

والبدرُ يُدرِكه السِّرارُ(٤) فتنجلي * أيامُه وكأنّه متجدِّدُ

١٥ والغيثُ يَحصُره الغَمامُ فما يُرَى * إلّا وريِّقُه يَروع(٥) ويُرعِدُ

والزاعبيّةُ(٦) لا يُقيم كُعوبَها * إلّا الثِّقافُ(٧) وجَذوةٌ تتوقّدُ

والنارُ في أحجارها مخبوءةٌ * لا تُصطَلَى إن لم تُثِرْها الأزْنُدُ

١١٠ / ٩

(١) العرر: جمع عرة وهو الرجل يكون شين القوم؛ يقال: فلان عرة أهله.

(٢) المياسم: جمع ميسم (بكسر الميم) وهو هنا أثر الوسم والجمع مواسم على الأصل باعتباره من وسم،

٢٠ ومياسم على اللفظ. (٣) في ب، س: «قالوا». (٤) السرار: (بالفتح والكسر) آخر أيام الشهر. (٥) في الأصول: «يراع». (٦) الزاعبية: رماح منسوبة إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسنة. (٧) الثقاف: آلة من خشب تسوّى بها الرماح.

والحبس ما لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد[1]
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن فى الحبس إلا أنه * لا يستذلك بالحجاب الأعبد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعوّد
يا أحمد بن أبى دواد إنما * تدعى لكل عظيمة يا أحمد ٥
أبلغ أمير المؤمنين فدونه * خوض الردى ومخاوف لا تنفد
أنتم بنو عم النبى محمد * أولى بما شرع النبى محمد
ما كان من كرم فأنتم أهله * كرمت مغارسكم وطاب المحتد
أمن السوية يابن عم محمد * خصم تقربه وآخر تبعد
إن الذين سعوا إليك بباطل * حساد نعمتك التى لا تجحد ١٠
شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا * فينا وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصماء عندك مجلس * يوما لبان لك الطريق الأقصد
فبأى جرم أصبحت أعراضنا * نهبا تقسمها اللئيم الأوغد

دخل على المتوكل والطبيب يفحص علته وكانت جاريته قبيحة أغضبته فضربها ثم اغتم لذلك فقال هو فى ذلك شعرا

أخبرنى جعفر بن قدامة قال حدثنى حماد بن إسحاق قال قال لى أبو الفضل الربعى[2] قال قال لى على بن الجهم : ١٥

دخلت على المتوكل وقد بلغنى أنه كلم قبيحة جاريته فأجابته بشىء أغضبه، فرماها بمخدة فأصابت عينها فأثرت فيها، فتأوهت وبكت وبكى المعتز لبكائها، فخرج المتوكل وقد حم من الغم والغضب. فلما بصر بى دعانى وإذا الفتح[3] يرى بختيشوع القارورة ويشاوره فيها. فقال لى : قل يا على فى علتى هذه شيئا وصف أن الطبيب ليس يدرى ما بى؛ فقلت : ٢٠

(١) المتورد : الذى يورد ويزار مثل المورود. وفى ب، سـ : "المتودد" وهو تحريف.
(٢) فى أ ، م : «الربيعى» . (٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل ونديمه.

تنكّر حالَ علّتيَ الطّبيبُ * وقال أرى بجسمك ما يَرِيبُ

جَسَسْتُ العِرْقَ منك فدلّ جسّي * علـى ألمٍ له خَـبَرٌ عجيبُ

فما هذا الذى بك هاتِ قُلْ لى * فكان جوابَه منّي النّحيبُ

وقلت أيا طبيبُ الهجرُ دائى * وقلبي يا طبيبُ هو الكئيبُ

٥ فحرّك رأسـه عجَباً لقـولى * وقال الحب ليس له طبيبُ

فأعجبنى الذى قـد قال جدًّا * وقلت بَلَى إذا رضِى الحبيبْ

فقـال هو الشفاءُ فلا تُقَصِّرْ * فقلت أجَلْ ولكن لا يُجيبُ

ألَا هـل مُسْعِدٌ يبكى لشَجْوِى * فإنّى هـائم فَـرْدٌ غـريبُ

فقال: أحسنتَ وحَياتى! يا غلام اسقِنى قَدَحًا، فجاءه بقَدَح فشَرِب وسُقِيَت الجماعة

١٠ مثلَه. وخرجتْ إليه فَضْلُ الشاعرةُ بأبياتٍ أمرتْها قَبِيحةُ أن تقولها عنها، فقرأها فإذا هى :

لأكتُمنّ الذى فى القلب من حُرَقٍ * حتى أموت ولم يَعْـلَم به النّـاسُ

ولا يقال شكا مَنْ كان يَعْشَقُه * إنّ الشّكاة لمن تَهْوَى هى اليـاسُ

ولا أبوح بشىءٍ كنتُ أكتُمه * عند الجلوس إذا ما دارت الكاسُ

فقال المتوكّل : أحسنتِ يا فَضْلُ . وأمر لها وى بعشرين ألف درهم، ودخل إلى

١٥ قَبِيحةَ فترضّاها .

أخبرنى عَمّى قال حدّثنى محمد بن سعد قال :

خرج علىُّ بن الجهم الى الشام فى قافلة ، فخرجتْ عليهم الأعراب فى خُسَاف[(١)]

فهرَب من كان فى القافلة من المُقَاتِلة ، وثبت علىّ بن الجَهْم فقاتلهم قتالًا شديدًا،

وثاب الناسُ إليه فدفعهم ولم يحظَوْا بشىء . فقال فى ذلك :

(خرج مع جماعة الى الشام فقطع عليهم الطريق فثبت وقال شعرا)

٢٠ (١) فى الأصول «حساف» بالحاء المهملة وهو تصحيف . وخساف : برية بين بالس وحلب . (معجم البلدان لياقوت) .

صبرتُ ومثلى صبرُه ليس يُنكَرُ * وليس على تَرْك التَّقحُّم يُعذَرُ
غريزةُ حرٍّ لا ٱختلاقُ تَكَلُّفٍ * إذا خَامَ[1] فى يوم الوَغَى المُتَصبِّرُ
ولمّا رأيتُ الموت تَهْفو بُنودُه * وبانتْ علاماتٌ له ليس تُنْكَرُ
وأقبلتِ الأعرابُ من كلّ جانبٍ * وثار عَجَاجٌ أسودُ اللّون أكْدَرُ
بكلّ مُشيحٍ[2] مُستميتٍ مُشَمِّرٍ * يَجُول به طِرْفٌ[3] أقَبُّ مُشَمِّرُ
بأرض خُسَافٍ حين لم يكُ دافعٌ * ولا مانعٌ إلّا الصَّفيحُ[4] المُذَكَّرُ
فقلَّلَ فى عَيْنَىَّ عُظْمَ جموعهم * عزيمةُ قلبٍ فيه ما جلَّ يَصْغُرُ
بمُعتَرَكٍ فيه المنايا حواسرٌ * ونارُ الوغى بالمَشْرَفيّة تُسْعَرُ
فما صُنْتُ وجهى عن ظُبَاتِ سُيوفهم * ولا ٱنحَزْتُ عنهم والقنا تَتَكسَّرُ
ولم أَلْقَ فى حرّ الكريهة مُحْجِماً * إذا لم يكن فى الحرب للورْدِ مَصْدَرُ
إذا ساعدَ الطِّرْفُ الفتى وجنانُه * وأسمرُ خَطِّىٌّ وأبيضُ مِبْتَرُ[5]
فذاك، وإن كان الكريمُ بنفسه، * إذا ٱصطكّتِ الأبطالُ فى النقْع عَسْكَرُ
منعتُهمُ من أن ينالوا قُلامةً * وكنت شجاهم والأسنّةُ تَقْطُرُ
وتلك سجايانا قديماً وحادثاً * بها عُرِفَ الماضى وعَزّ المؤخَّرُ
أبتْ لى قُرُومٌ أنجبتنىَ أن أُرَى * وإنْ جَلَّ خَطْبٌ خاشعاً أتضجّرُ
أولئك آلُ الله فِهْرُ بنُ مالكٍ * بهم يُجْبَرُ العظمُ الكَسيرُ ويُكْسَرُ
همُ المَنْكِبُ العالى على كلّ مَنْكِبٍ * سيوفُهمُ تُفْنِى وتُغْنِى وتُفْقِرُ

(١) خام : نكص وجبن . (٢) المشيح : الجد . (٣) الطرف : الكريم من الخيل . والأقب : الدقيق الخصر الضامر البطن . (٤) الصفيح هنا : السيف العريض .

(٥) المعروف فى كتب اللغة أن يقال سيف باتر وبتار (بتشديد التاء) وبتار (وزان غراب) وبتور. ولكن علىّ بن الجهم استعمل هنا هذه الصيغة، فرجحنا هذا الضبط؛ إذ المستعمل فى القطع من هذه المادة إنما هو «بتر» الثلاثى، واسم الآلة منه مبتر .

قال إن أباه حبسه في الكتّاب وهو صبيّ فكتب الى أمه شعرا فكذبه ابراهيم بن المدبر

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق والحسن بن عليّ قالا جميعا حدّثنا محمد ابن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عيسى بن أبي حَرْب قال حدّثني عليّ بن الجَهْم قال: حبسني أبي في الكُتّاب، فكتبت إلى أُمي:

يا أُمَّتا أَفْديكِ من أُمِّ * أشكو إليكِ فَظاظةَ الجَهْمِ

قد سُرِّح الصِّبيانُ كلُّهمُ * وبَقِيتُ محصوراً بلا جُرْمِ

قال: وهو أوّل شعر قلته وبعثت به إلى أُمّي؛ فأرسلتْ إلى أبي: والله لئن لم تُطلِقه لأَخرُجنّ حاسرةً حتى أُطلِقَه. قال عيسى فحدّثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبّر فقال: عليُّ بن الجهم كذّاب، وما يمنعه من أن يكون وَلَّدَ هذا الحديثَ وقال هذا الشعر وله ستون سنة، ثم حدّثكم أنه قاله وهو صغير، ليرفع من شأن نفسه!.

١١٢
٩

مدح أحمد بن أبي دواد وكان منحرفا عنه ليشفع له في حبسه فقعد عنه فهجاه وشمت به بعد أن نفاه المتوكل

أخبرني عَمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال:

كان أحمد بن أبي دُوَاد منحرِفًا عن عليّ بن الجَهْم لاعتقاده مذهب الحشويّة[1]. فلما حُبِس عليُّ بن الجَهْم مدح أحمدَ بن أبي دواد عدّة مدائح، وسأله أن يقوم بأمره ويَشْفَع فيه، فلم يفعل وقعد عنه. فمنها قوله:

يا أحمدُ بنَ أبي دُوادٍ إنّما * تُدْعَى لكلِّ عظيمةٍ يا أحمدُ

أَبْلِغْ أميرَ المؤمنين ودونَه * خَوْضُ الرَّدَى ومَخاوفٌ لا تَنْفَدُ

أنتم بنو عمّ النبيّ محمد * أَوْلَى بما شرَع النبيُّ محمدُ

وهذه الأبيات من قصيدته التي أوّلها:

* قالت حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري *

---

(١) الحشوية: طائفة يقولون: حكم الأحاديث كلها واحد، وعندهم أن تارك النفل كتارك الفرض. وهم فرقة من المرجئة. (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٦٢ طبع دار الكتب المصرية).

فلمّا نَفَى المتوكِّلُ أحمدَ بن أبى دُواد شَمِتَ به علىّ بن الجَهْم وهجاه فقال :

يا أحمدُ بنَ أبى دُوادٍ دعوةً * بعثتْ إليكَ جنادلًا وحديدا

ما هذه البِدَعُ التى سمّيتَها * بالجهل منك العدلَ والتوحيدا

أفسدتَ أمرَ الدِّين حين وَلِيتَه * ورمَيْتَه بأبى الوليد[1] وليدا

لا مُحْكمًا جَزْلًا[2]، ولا مُسْتَطْرِفًا[3] * كَهْلًا، ولا مُسْتَحْدَثًا مَعْمودا[4]

شَرِهًا، إذا ذُكِر المكارمُ والعُلَا * ذَكَرَ القَلَايَا[5] مُبْدِئًا ومُعيدا

ويَوَدُّ لو مُسِخَتْ ربيعةُ كلُّها * وبنو إيادٍ صَحْفَةً وثَرِيدا

وإذا تربّع فى المجالس خِلْتَه * ضَبُعًا وخِلْتَ بنى أبيه قرودا

وإذا تبسّمَ ضاحكًا شبّهتَه * شَرِقًا تَعَجّلَ شُرْبَه مَزْدودا

لا أصْبَحَتْ بالخير عينٌ أبصرتْ * تلك المَنَاخِرَ والثَّنايا السُّودا

كتب من حبسه شعرا لطاهر بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد قال :

كتب علىّ بن الجَهْم الى طاهر من الحبس[6] :

إنْ كان لى ذنبٌ فلى حُرْمةٌ * والحقُّ لا يدفعه الباطلُ

وحُرْمَتى أعظمُ من زَلَّتى * لو نالنى من عَدْلِكم نائلُ

ولى حقوقٌ غيرُ مجهولةٍ * يعرفها العاقل والجاهلُ

وكلُّ إنسانٍ له مذهبٌ * وأهلُ ما يفعله الفاعلُ

وسيرةُ الأملاك منقولةٌ * لا جائرٌ يَخْفَى ولا عادلُ

وقد تعجّلتَ الذى خِفْتَه * منك ولم يأت الذى آمُلُ

(١) أبو الوليد هو محمد بن أحمد بن أبى دواد، كان يتولى المظالم بسامرا وعزله المتوكل سنة ٢٣٧ هـ.
(٢) الجزل هنا : الجيد الرأى أصيله. (٣) لعلها «مستظرفا» بالظاء المعجمة أى معدودا ظريفا.
(٤) لعلها : «محمودا». (٥) القلايا : المقليات، مفرده قلية. (٦) بعد هذه الكلمة وقبل الشعر كلمة «صوت» فى حـ، ب، سـ؛ ولم يذكر فيه ألحانا حتى يكون لهذه الكلمة موقع.

شعره في مقين كان ينزل عنده في جماعة بالكرخ

حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد قال :

كان عليّ بن الجَهْم يعاشر جماعةً من فتيان بغداد لمّا أُطلق من حبسه ورُدّ من النفي، وكانوا يتقاينون ببغداد، ويلزمون منزل مُقَيِّنٍ[1] بالكَرْخ يقال له المُفَضَّل. فقال فيه عليّ بن الجَهْم :

٥ نزلنا بباب الكَرْخ أطيبَ منزلٍ * على مُحْسِناتٍ من قِيان المُفَضَّلِ

فلابنِ سُرَيْجٍ والغَرِيض ومَعْبَدٍ * بدائعُ في أسماعنا لم تُبَدَّلِ

أوانسُ ما للضَّيف منهنّ حِشْمةٌ * ولا رَبُّهُنّ بالجليل المُبَجَّلِ

يُسَرُّ إذا ما الضَّيْفُ قَلَّ حياؤه * ويَغْفُل عنه وهو غيرُ مُغَفَّلِ

ويُكْثِرُ من ذمّ الوقار وأهلِه * إذا الضَّيفُ لم يَأْنَس ولم يَتَبَذَّلِ

١٠ ولا يدفع الأيدي المُرِيبةَ غَيْرةً * إذا نال حَظًّا من لَبُوسٍ ومأكَلِ

ويُطْرِق إطراقَ الشُّجاع مَهابةً * لِيُطْلِق طَرْفَ الناظر المُتأمِّلِ

أشِرْ بيدٍ واغْمِزْ بطَرْفٍ ولا تَخَفْ * رَقيبًا إذا ما كنتَ غيرَ مُبَخَّلِ

وأعْرِضْ عن المصباح والْهَجْ بمِثْله * فإنْ خَمَد المصباحُ فادْنُ وقَبِّلِ

وسَلْ غيرَ ممنوعٍ وقُلْ غيرَ مُسْكَتٍ * ونَمْ غيرَ مَذْعُورٍ وقُمْ غيرَ مُعْجَلِ

١٥ لك البيتُ ما دامت هَدَاياك جَمَّةً * وكنتَ مَلِيًّا بالنَّبِيذ المُعَسَّلِ

فبادِرْ بأيّام الشَّباب فإنّها * تَقَضَّى وتَفْنَى والغَوايةُ تَنْجَلِي

ودَعْ عنك قولَ الناس أَتْلَفَ مالَه * فلانٌ فأضحى مُدْبِرًا غيرَ مُقْبِلِ

هل الدهرُ إلّا ليلةٌ طَرَحَتْ بنا * أواخرُها في يوم لَهْوٍ مُعَجَّلِ

(١) ظاهر أن معناه : يجالسون القيان، وأن معنى مقين صاحب قيان .

سَقَى اللهُ بابَ الكَرْخِ من مُتَنَزَّهٍ * إلى قَصْرِ وَضَّاحٍ[1] فبِرْكَةِ زَلْزَلِ[2]
مَسَاحِبُ أذيالِ القِيانِ ومَسْرَحِ الـ * حِسانِ ومَثْوَى كُلِّ خِرْقٍ[3] مُعَذَّلِ
لَوَ آنّ آمرأَ القيس بن حُجْرٍ يحُلُّها * لأقْصَرَ عن ذِكْرِ الدَّخُولِ وحَوْمَلِ[4]
إذًا لرأى أن يَمْنَحَ الوُدَّ شادنًا * مقصِّرَ أذيالِ القَبَا غيرَ مُسْبِلِ[5]
إذا الليلُ أدنى مَضْجَعِي منه لم يَقُلْ[6] * عَقَرتَ بَعِيرِى يا آمْرَأَ القيسِ فآنْزِلِ

أنشد ابراهيم بن المدبر شعرا لنفسه فكذبه وقال إن الشعر لابراهيم بن العباس

حدّثنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال حدّثنى إبراهيم بن المدبّر قال أنشدنى علىّ بن الجَهْم لنفسه:

و إذا جَزَى اللهُ آمرأً بفعاله * فجَزَى أخًا لى ماجدًا سَمْحَا
ناديتُه عن كُرْبةٍ فكأنّما * أطلعتُ عن ليلٍ به صُبْحَا

فقلت له: وَيْلَك! هذا لإبراهيم بن العبّاس يقوله فى محمد بن عبد الملك الزيّات! فجَحَدَنى وكابر. فدخل يوماً علىّ بن الجَهْم إلى إبراهيم بن العبّاس وأنا عنده. فلمّا رآنى قال: اجتمع الإبراهيمان. فتركتُه ساعةً ثم أنشدتُ البيتين، وقلت لإبراهيم بن العباس: إنّ هذا يزعُم أنّ هذين البيتين له. فقال: كَذَب، هذان لى فى محمد

(١) قصر وضاح: قصر بنى للمهدى قرب رصافة بغداد، وقد تولى النفقة عليه رجل من أهل الأنبار يقال له وضاح فنسب اليه. وقيل وضاح من موالى المنصور. وقال الخطيب: لما أمر المنصور ببناء الكرخ قلد ذلك رجلا يقال له الوضاح بن شبا، فبنى القصر الذى يقال له قصر الوضاح. (معجم البلدان لياقوت). (٢) بركة زلزل: ببغداد بين الكرخ والصراة (بفتح أوّله) و باب المحول (بتشديد الواو مع فتحها) وسويقة أبى الورد تنسب الى زلزل الضارب. (معجم البلدان لياقوت). (٣) الخرق من الرجال: الكريم الذى يتخرق فى كرمه أى يتسع فيه. والمعذل: الذى يكثر الناس عذله ولومه على إسرافه فى الكرم. (٤) رواية معجم البلدان:

منازل لا يستتبع الغيث أهلها * ولا أوجه اللذات عنها بمعزل
منازل لو أن امرأ القيس حلها * لأقصر عن ذكر الدخول فحومل

(٥) فى ياقوت:

اذا لرآى أمنح الود شادنا * مقلص ... ...

(٦) فى الأصول: «لم أقل». والتصويب من معجم البلدان لياقوت عند الكلام على قصر وضاح.

آبن عبد الملك الزيّات . فقال له عليّ بن الجهم بقِحَةٍ : ألم أنهَكَ أن تنتَحِل شعرى !
فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده : سَوْءةً عليك سَوْءةً لك ! ما أوقحك ! وهو
لا ينكر[1] فى ذلك ولا يَخْجَل . ثم التقينا بعد مدّة فقال : أرأيتَ كيف أخزيتُ إبراهيمَ
آبن العباس ! ! فجعلت أَعْجَبُ من صَلَابة وجهه .

شعر له فى الفراق

٥ حدّثنى[2] عَمّى قال أنشدنا محمد بن سَعْد لعليّ بن الجَهْم وفيه غناء :

اِعْلَمِى يا أحبَّ شيءٍ إليّا * أنّ شوقى إليكِ قاضٍ عليّا
إن قَضَى اللهُ لى رجوعًا إليكمْ * لا ذكرتُ الفراقَ ما دمتُ حيّا
إنّ حَرّ الفراق أنحَلَ جسمى * وكوى القلبَ منكِ بالشوق كيّا

١١٤ / ٩

كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفا عنه ويسبعه عند الخليفة فهجاه

حدّثنى[2] عَمّى قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال :

١٠ كان محمد بن عبد الملك الزيّات مُنْحَرِفًا عن عليّ بن الجَهْم وكان يَسبِعه[3] عند
الخليفة ويَعِيبُه ويذكُره بكلّ قبيح . فقال فيه عليّ بن الجَهْم :

لَعَائِنُ اللهِ مُتَتابِعاتٍ * مُصَبِّحاتٍ ومُهَجِّراتِ
على آبن عبد الملك الزيّات * عَرَّضَ شَمْلَ المُلك للشَّتاتِ
وأنفَذَ الأحكامَ جائراتِ * على كتاب الله ذارياتِ[4]
١٥ وعن عقول الناس خارجاتِ * يرمى الدواوينَ بتوقيعاتِ
مُعَقَّداتٍ كَرُقَى الحيّاتِ * سبحانَ مَنْ جَلّ عن الصِّفاتِ
بعد ركوب الطُّوفِ[5] فى الفُرَاتِ * وبعدَ بَيْعِ الزيْت بالحَبّاتِ

(١) فى حـ ، ب ، سـ : « لا يفكر » . (٢) فى ب ، سـ ، حـ : « قال حدّثنى الخ » وكلمة « قال » هنا لا موقع لها . (٣) سبعه (من باب ضرب ومنع) شتمه ووقع فيه . وهذه
٢٠ الكلمة محرفة فى الأصول ، ففى ب ، سـ : « يسبه » وفى أ ، م : « يشتمه » وفى حـ : « يسبعه » .
(٤) كذا فى الأصول بالذال المعجمة . وذاريات من ذرت الريح التراب تذروه وتذريه : فرقته وأطارته . يريد أنها تعفى كتاب الله . ويحتمل أن يكون زاريات بالزاى أى عائبات .
(٥) الطوف : قرب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض كهيئة السطح يركب عليها فى الماء ويحمل عليها .

صرتَ وزيرًا شامخَ النَّبـاتِ[1] * هارونُ[2] يآبنَ سـيِّد السّاداتِ

أمَا ترى الأمــورَ مُهْمَلات * تشـكو إليـك عَدَمَ الكُفَاةِ

فعاجِــلِ لِعلْــجَ بمُرْهَفات * من بعد ألْفٍ[3] صُخُبِ الأصوات

بمثمِراتٍ[4] غــيرِ مُــورِقات * تُرى بمَثْنيــه مُرَصَّــفات

* تَرصُّفَ الأسنان فى اللِّثاتِ * ٥

استرفد عمر بن الفرج فلم يرفده ثم قبض على عمر فشمت به وقال شعرا

أخبرنى عمى قال حدّثنى محمد بن سعد قال :

كان علىّ بن الجَهْم سأل عمرَ بن الفَرَج الرُّخَّجىّ[5] معاونتَه، وآسْتَرْفَده فى نكبته فلم يُعَاوِنه ولم يَرْفِدْه . ثم قُبِض على عمر بن الفرج وأُسْلِم إلى نَجَاح[6] ليصادره . فقال علىّ بن الجهم له :

أَبْلِغْ نَجَـاحًا فتى الفتيانِ مألُكَةً[7] * تَمْضى بهـا الرِّيحُ إصْـدَارًا وإيرادا ١٠

لن يخرج المـالُ عفوًا من يدَىْ عُمَرٍ * أو يُغْمَدَ السَّيفُ فى فَوْدَيه إغمادا

الرُّخَّجيّـون لا يُوفُون ما وَعَـدوا * والرُّخَّجِيّاتُ لا يُخْلِفْنَ ميعـادا

قال وقال فى عمر بن الفَرَج أيضا :

جمعتَ أمرين ضاع الحـزمُ بينهما * تيــهَ المُـلوك وأفعالَ المماليك

(١) كذا فى الأصول والنص غير مرتاحة لها (؟) . ١٥

(٢) يريد هارون الواثق الخليفة العباسى . (٣) يريد ألفا من السياط .

(٤) مثمرات : هنا ثمر . والثمرة من السوط : عقدة فى طرفه تشبيها بالثمر فى الهيئة والتدلى عنه كتدلى الثمر .

(٥) كان هو وأبوه فرج من أعيان الكتاب فى أيام المأمون إلى أيام المتوكل . غضب عليه المتوكل ؛ لأن الواثق وكله به حين غضب عليه يكتب عنه ويحفظ أخباره . فلما ولى الخلافة نكبه فى شهر رمضان سنة ٢٣٣ ﻫ وأمر بحبسه ومصادرة أمواله . (راجع الطبرى ق ٣ ص ١٣٧٠ و ١٣٧٧) . ٢٠

(٦) هو نجاح بن سلمة أبو الفضل ، كان على ديوان التوقيع والتتبع على العمال فى عهد المتوكل ، ثم نكبه عنده عبيد الله بن يحيى بن خاقان سنة ٢٤٥ ، وكان متمكنا من المتوكل واليه الوزارة وعامة أعماله . (راجع الطبرى ق ٣ ص ١٤٤٠ — ١٤٤٧) . (٧) المألكة : الرسالة .

أردتَ شكرًا بلا بِرٍّ ومَرْزِئةٍ (١) * لقد سلكتَ طريقًا غيرَ مسلوكِ
ظننتَ عِرْضَكَ لا يُرْمَى بقارعةٍ * وما أُراكَ على حالٍ بمتروكِ

تنل بشعره نديم سليمان بن وهب وكان عربد عليه وأغضبه فرضي عنه

أخبرني عمّي قال حدّثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال :

كان لسليمان بن وهبٍ (٢) نديمٌ يأنَس به ويألَفه ، فعربَد عليه ليلةً من الليالي عَرْبَدةً قبيحةً ، فاطّرحه وجفاه مدّة ، فوقف له على الطريق . فلما مرّ به وثَب إليه (٣) فقال له : أيها الوزير ، ألّا تكون في أمري كما قال عليّ بن الجهم :

القومُ إخوانُ صِدْقٍ بينهم نَسَبٌ * من المودّة لم يُعْدَلْ بها نَسَبُ
تراضَعُوا دِرَّة الصَّهباء بينهمُ * فأوجبوا لرضيع الكأس ما يجبُ
لا يحفظَنّ على السَّكْران زَلّتَه * ولا تريبنّك من أخلاقه رِيَبُ

١١٥ / ٩

فقال له سليمان : قد رَضيتُ عنك رضًا صحيحًا ، فعُدْ إلى ما كنتَ عليه من ملازمتي .

وأوّل هذه الأبيات :

الوَرْدُ يضحك والأوتار تصطخبُ * والنايُ يَنْدُبُ أشجانًا وينتحبُ
والرّاح تُعْرَضُ في نَوْر الرّبيع كما * تُجْلَى العَروسُ عليها الدُّرّ والذّهبُ
واللّهو يُلْحِقُ مَغْبوقًا بمُصْطَبِحٍ * والدور (٤) سيّان محثوثٌ ومنتخَبُ
وكلّما انسكبتْ في الكأس آونةً * أقسمتُ أنّ شُعاع الشمس ينسكبُ

(١) يقال : رزأه ماله من باب قطع وعلم رزءا ومرزئة إذا أصاب منه خيرًا .

(٢) هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد . كتب للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم لأشناس ، ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله ثم للمعتمد على الله ، وقد مدحه خلق كثير من أعيان الشعراء كأبي تمام والبحتري . وتنقل سليمان المذكور في الدواوين الكبار والوزارة . ولم يزل كذلك حتى توفي مقبوضا عليه في منتصف صفر سنة ٢٧٢ . (راجع ابن خلكان) .

(٣) في ب ، س ، حـ : « عليه » . (٤) كذا في الأصول .

أنشد عبد الله بن طاهر شعرا وكان مقيما فسرى عنه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد بن سعْد قال حدّثنى أسْلَم مولى عبد الله بن طاهر قال :

دخل علىّ بن الجَهْم يومًا على عبد الله بن طاهر فى غُدْوة من غُدُوات الرَّبيع وفى السماء غَيْم رقيق والمطرُ يجىء قليلا ويسكن قليلا ، وقد كان عبد الله عزَم على الصَّبُوح . فغاضبتْه حَظِيَّةٌ له ، فتنغّص عليه عَزْمُه وفتَر . فخُبِّر علىّ بن الجَهْم بالخبر وقيل له : قُلْ فى هذا المعنى شيئا ، لعله ينشَط للصَّبوح . فدخل عليه فأنشده :

صوت

أمَا تَرَى اليومَ ما أحْلَى شمائلَه * صَحْوٌ وغَيْمٌ وإبْرَاقٌ وإرْعَادُ
كأنّه أنت يا مَنْ لا شبيهَ له * وَصْلٌ وهَجْرٌ وتقريبٌ وإبْعَادُ
فباكِرِ الرَّاحَ وٱشْرَبْها مُعتَّقةً * لم يَدَّخِرْ مثلَها كِسْرَى ولا عادُ
وٱشْرَبْ على الرَّوض إذ لاحتْ زَخَارِفُه * زَهْرٌ ونَوْرٌ وأوْراقٌ وأوْرادُ
كأنّما يومُنا فِعْلُ الحبيبِ بنا * بَذْلٌ وبُخْلٌ وإبعادٌ وميعادُ
وليس يذهب عنِّى كلُّ فعلِكُمُ * غَيٌّ ورُشْدٌ وإصلاحٌ وإفسادُ

فٱستحسن الأبيات وأمر له بثلثمائة دينار ، وحَمله وخَلع عليه ، وأمر بأن يُغنَّى فى الأبيات . الغِناء لبَذْل الطَّاهريّة ، خفيفُ رَمَلٍ . وفيه لغيرها هَزَجٌ .

جلس فى المقابر بعد خروجه من السجن وقال شعرا

حدّثنى عمِّى قال حدّثنى محمد بن سَعْد قال حدّثنى رجلٌ من أهل خُرَاسان قال :
رأيت علىّ بنَ الجَهْم بعد ما أُطلِق من حَبْسه جالسًا فى المقابر ، فقلت له : ويحك ! ما يُجلسك هاهنا ؟ ! فقال :

يَشتاق كلُّ غريبٍ عند غُرْبَتِه * ويذكر الأهلَ والجيرانَ والوطنا
وليس لى وطنٌ أمسَيْتُ أذكره * إلّا المقابرَ إذ صارت لهم وطنا

حدّثني عمّي قال أنشدنا أحمد بن عُبيد ومحمد بن سعد لعليّ بن الجهم وفيه غناء:

شعر له وفيه غناء

صوت

لـو تنصّلتَ إلينا * لوَهَبْنا لك ذَنْبَك
بأبي ما أبغض العيـ * ـش إذا فارقتُ قُرْبَك
ليتـني أملك قلـبي * مثـلَ ما تملك قلبَك
أيّها الـواثـق بالله لقـد ناصحتَ ربَّك
ما رأى النّاسُ إمامًا * أنهبَ الأموالَ نَهْبَك
أصبحتْ محبّتُـك العُدْ * يـا وحزبُ الله حزبَك

الغناءُ لعَرِيبَ رَمَلٌ. وفيه لغيرها هَزَجٌ.

١٠ حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال:

مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئا فهجاه

كان عليّ بن الجَهْم قد مدح أبا أحمد بن الرّشيد فلم يُعطه شيئًا، فقال يهجوه:

١١٦/٩

يا أبا أحمـدَ لا يُنْـ * ـجي من الشّعر الفرارُ
لبني العبّاس أحـلا * مٌ عظـامٌ ووقارُ
ولهم في الحـرب إقـدا * مٌ ورأيٌ واصـطبارُ
١٥ ولهـم ألسِـنةٌ تَبْـ * ـرِي كما تَبْري الشِّفارُ
ووجـوهٌ كنجوم الـ * ـلّيل تَهْدِي من يَحارُ
ونَسِـيمٌ كنسيم الـ * ـرّوض جادَتْـه القِطارُ
ولِعِطْفَيْك عن الجِـ * ـدّ شِماسٌ وازْوِرارُ
إن تكن منهـم بـلا شكٍّ فللعُـودِ قُتَارُ(١)

٢٠ (١) القتار: ريح العود المحرق.

رثى عبد الله بن طاهر بشعر وأنشده ابنه يعزيه

حدّثنى جَحْظة وعمّى قالا حدّثنا عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

دخل إلينا علىّ بن الجَهْم بعقب موت أبى والمجلسُ حافلٌ بالمعزِّين، فمثل قائمًا وأنشدَنا يرثيه :

أىُّ ركن وَهَى من الإسلامِ * أىُّ يومٍ أخنَى على الأيّامِ

جَلَّ رُزْءُ الأمير عن كلِّ رُزْءٍ * أدركتْه خواطرُ الأوهام

سَلَبَتْنا الأيّامُ ظلًّا ظَليلًا * وأباحتْ حِمًى عزيزَ المَرام

يا بَنِى مُصْعَبٍ حَلَلْتم من النا * س مَحَلَّ الأرواح فى الأجسام

فإذا رابَكم من الدّهر رَيْبٌ * عَمَّ ما خَصَّكم جميعَ الأنام

أُنظروا هل تَرَوْنَ إلّا دموعًا * شاهداتٍ على قلوبٍ دوامى

مَنْ يُداوى الدّنيا ومَنْ يكلأ المُلْ * كَ لدى فادحِ الخطوبِ العِظام

نحن مِتْنا بموته وأجلُّ ال * خطبِ موتُ السّاداتِ والأعلام

لم يَمُتْ والأميرُ طاهرُ[1] حَىٌّ * دائمُ الإنتقام والإنْعام

وهو من بعده نظامُ المعالى * وقِوامُ الدّنيا وسيفُ الإمام

قال : فما أذكر أنى بكيت أو رأيتُ فى دُورنا باكيًا أكثر من يومئذٍ .

غنت عريب المعتز بشعر له فطرب وفرق مالا

حدّثنى عمّى قال حدّثنا أبو الدّهْقانة النّديمُ قال :

دخلنا يومًا إلى المعتزّ وهو مُصْطَبِحٌ على صوتٍ اختاره واقترحه على عَرِيبَ ، وأظُنُّ الصنعةَ لها ، فلم يزل يشرب عليه بقيّةَ يومه ، فلمّا سَكِر أمر لها بثلاثين ألف درهم ، وفرّق على الجلساء كلِّهم الجوائزَ والطِّيبَ والخلَعَ . والصوتُ :

(١) يريد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين .

العينُ بعــدَك لم تنظر إلى حَسَــنٍ * والنفْسُ بعدَك لم تسكُن إلى سَكَنِ

كأنّ نفسى إذا ما غبتَ غائبــةٌ * حتى إذا عُدْتَ لى عادت إلى بَدَنى

والشعرُ لعليّ بن الجَهْم .

خرج مع عبد الله ابن طاهر للصيد وشربوا فقال شعرا يصف ذلك

حدّثنى جَحْظَةُ ومحمد بن خَلَف وَكِيعٌ وعمّى قالوا جميعًا حدّثنا عُبَيْدالله بن عبد الله بن طاهر قال :

لمّـا أُطْلِقَ أبى طاهرٌ عليَّ بن الجَهْم من الحبس أقام معه بالشّاذِياخ[1] مدّةً. فخرجوا يومًا إلى الصَّـيْد ، واتّفق لهم مَرْجٌ كثيرُ الطيرِ والوحش ، وكانت أيّامُ الزَّعْفَران ، فاصطادوا صَيْدًا كثيرًا حسنًا ، وأقاموا يشربون على الزَّعْفَران. فقال عليّ بن الجَهْم يَصف ذلك :

وَطِئْنا رياضَ الزَّعْفران وأَمْسَكَتْ * علينا البُزاةُ البِيضُ حُمْرَ الدَّرارِجِ[2]

ولم تَحْمِــها الأدغالُ منّـا وإنّمـا * أَبَحْنـا حِمَـاها بالكلاب النّوابِجِ[3]

بمُسْـتَرْوِحاتٍ[4] سابحات بطونُهـا * على الأرض أمثالَ السِّهام الزَّوالِجِ[5]

ومُسْتَشْرِفاتٍ بالهَــوادِى[6] كأنّهـا * وما عَقَفَتْ منهـا رءوسُ الصَّوالِجِ

ومِنْ دالِعاتٍ ألْسُــنًا[7] فكأنّها * لِحَىً من رجالٍ خاضعين كَوَاسِجِ

(١) راجع الحاشية رقم ٣ صفحة ٢٠٨ من هذا الجزء . (٢) الدرارج : جمع درّاج وهو طير جميل المنظر ملوّن الريش . وفى الأصول : «التدارج» وهو تحريف . (٣) نباح الكلب : نباحه . وفى أ ، ح ، م : «النوابح» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . وفى ب ، س : «البوارج» وهو تحريف . (٤) استروح الشىء : تشممه . وسابحات : سريعات .

(٥) الزوالج : هنا بمعنى السريعة . يقال سهم زالج أى يزلج على وجه الأرض ثم يمضى .

(٦) الهوادى هنا : الأعناق . وعقفت : عطفت وعوجت .

(٧) دالعات ألسنا : مخرجات ألسنها من أفواهها . والكوسج : الذى لحيته على ذقنه لا على عارضيه .

فَلَيْنا بها الغِيطانَ فَلْيًا كأنّها * أناملُ إحدى الغانيات الحوالج (١)
فَقُلْ لبُغاة الصَّيد هل من مُفَاخِرٍ * بصَيْدٍ وهل من واصفٍ أو مُخَارِج (٢)
قَرنَّا بُزاةً بالصُّقورِ وحوَّمَتْ * شواهينُنا من بعد صَيْد الزَّمامِج (٣)

كتب من حبسه إلى المتوكل شعرا

حدّثنى عمّى قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال :

كتب علىّ بن الجَهْم إلى المتوكّل وهو محبوس : ٥

صوت

أَقِلْنى أَقالَكَ مَنْ لم يَزَلْ * يَقِيكَ ويَصْرِفُ عنك الرَّدَى
ويَغْذوك بالنِّعم السابغاتِ * وليدًا وذا مَيْعَةٍ أَمْرَدا
وتَجْرِى مقاديرُه بالذى * تُحِبُّ إلى أن بلغتَ المَدَى
ويُعْليكَ حتى لَوَ آنّ السماء * تُنالُ لجاوزتَها مُصْعِدا ١٠
فما بين ربّك جلّ آسمُه * وبينك إلّا نبىّ الهُدَى
فشكرًا لأَنْعُمِه إنّه * إذا شُكِرتْ نعمةٌ جَدَّدا
وعفوَك عن مُذْنِبٍ خاضعٍ * قَرَنْتَ المُقيمَ به المُقْعِدا
إذا آدّرع الليلَ أَفْضَى به * إلى الصُّبح من قبلِ أن يَرْقُدا
عفا الله عنك ألا حُرمةٌ * تَعُوذ بفضلك أن أُبْعَدا ١٥
لئن جَلَّ ذنبٌ ولم أعتمد * لأنت أجَلُّ وأعلَى يَدَا
ألم تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَه * ومولًى عفا ورشيدًا هدى

(١) حوالج : جمع حالجة وهى التى تندف القطن حتى يخلص الحب منه .
(٢) خارجه : ناهده . يريد : هل من مناهض يناهضنا فى الصيد .
(٣) كذا فى أكثر الأصول . والزمامج : جمع زمج (وزان سكر) وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب، تغلب على لونه الحمرة . وفى ب، س : « الرواجح » . جمع راجح، وهو طائر تصاد به الجوارح كالصقور ونحوها . ٢٠
وهذا لا يصلح فى هذا المقام .

ومُفسِدَ أمرٍ تلافيتَه * فعاد فأصلحَ ما أفسَدا
فلا عُدْتُ أعصيك فيما أمر * تَ حتى أزور الثَّرى مُلْحَدا
وإلّا فخالفتُ ربَّ السماء * وخُنْتُ الصَّديقَ وعِفْتُ النَّدى
وكنتُ كَمُزْونَ أو كابنِ عمرو * مُبيحِ العيالِ لمن أولدا
يكثِّر فى البيت صِبيانَه * يَغيظ بهم مَعْشَرًا حُسَّدا

٥

شمت بأحمد بن أبى دواد حين فلج وقال شعرا يهجوه

حدّثنى عمّى قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال :

لمّا فُلِجَ ابنُ أبى دُوَاد شَمِت به علىّ بن الجَهْم وأظهر ذلك له وقال فيه :

لم يَبْقَ منك سوى خيالك لامعًا * فوق الفراش مُمَهَّدًا بوسادِ
فَرِحَتْ بمَصْرَعِك البريَّةُ كلُّها * مَنْ كان منهم مُوقنًا بمَعَاد
كم مجلسٍ لله قد عطّلتَه * كى لا يُحَدَّث فيه بالإسناد
ولَكَمْ مصابيحٍ لنا أطفأتَها * حتى يزول عن الطريق الهادى
ولَكَمْ كريمةِ مَعْشَرٍ أرملتَها * ومُحَدِّثٍ أَوْثَقتَ فى الأقياد
إنّ الأسارَى فى السُّجُون تَفَرَّجوا * لمّا أتتك مواكبُ العُوَّاد
وغدا لمصرعك الطبيبُ فلم يجد * شيئًا لدائك حيلةَ المُرْتاد
فذُقِ الهوانَ مُعَجَّلًا ومؤجَّلًا * واللهُ رَبُّ العرشِ بالمرصاد
لا زال فالجُك الذى بك دائبًا * وفُجِعْتَ قبل الموتِ بالأولاد

١٠

١١٨ / ٩

١٥

شعر له غنت فيه عريب

أنشدنى عمّى لابن الجَهْم وفيه غناء لعَرِيبَ :

نَطَق الهوى بجَوًى هو الحقُّ * وملكتَنى فَلْيَهْنِكَ الرِّقُّ
رِفقًا بقلبى يامعذِّبَه * رفقًا وليس لظالمٍ رِفْقُ
وإذا رأيتُك لا تكلّمنى * ضاقتْ علىّ الأرضُ والأُفْقُ

٢٠

وأنشدنى له وفيه غناء أيضا، ويقال إنه آخر شعر قاله :

يا رحمةً للغريب بالبلد النـ * ـازح ماذا بنفسه صنعا
فارَقَ أحبابَه فما انتفعُوا * بالعيش من بعده وما انتفعا

هجا مغنيا بشعر

وقال لمغنٍّ حضر معه مَجْلِسًا وكان غيرَ طيِّب :

كنتُ فى مجلس فقال مُغَنِّى الـ * ـقوم كم بيننا وبين الشتاء
فذَرَعْتُ البساطَ منِّى إليه * قلتُ هذا المقدارُ قبل الغناء
فإذا ما عَزَمْتَ أن تتغنَّى * آذنَ الحَرُّ كلُّه بانقضاء

٥

استشفع بقبيحة الى المتوكل وهو فى حبسه فأرسلت اليه ابنها المعتز

أخبرنى علىّ بن العبّاس بن أبى طَلْحة قال حدّثنى عبد الله بن المُعْتَزّ قال : لمّا حبَس أميرُ المؤمنين المتوكِّلُ علىَّ بنَ الجَهْم، وأجمع الجُلَساءُ على عَدَاوته و إبلاغِ الخليفةِ عنه كلَّ مكروه ووَصْفِهم مساويَه، قال هذه القصيدةَ يمدحه ويذكِّره حقوقَه عليه، وهى :

١٠

عفا الله عنك ألا حُرْمةٌ * تَعوذ بعفوك أن أُبْعَدَا

ووجّه بها إلى بَيْدون الخادم، فدخل بها إلى قَبِيحةَ وقال لها : إنّ علىَّ بنَ الجَهْم قد لاذ بِكِ وليس له ناصرٌ سواكِ، وقد قصده هؤلاء النُّدَماءُ والكُتّاب لأنه رجل من أهل السنّة وهم روافضُ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله. فدَعَتِ المُعْتَزّ وقالت له : اذهب بهذه الرُّقْعة يا بُنَىّ إلى سيِّدك وأوصلْها إليه، فجاء بها ووقف بين يَدَىْ أبيه. فقال له : ما معكَ فديتُك؟ فدنا منه وقال : هذه رُقْعة دفَعَتْها إلىّ أمّى. فقرأها المتوكِّل وضحِك. ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله — فديتُه — خَصْمَكم. هذه رقعة علىّ بن الجَهْم يستقيل[1]، وأبو عبد الله شفيعُه، وهو ممن لا يُرَدّ، وقرأها عليهم. فلمّا بلغ إلى قوله :

١٥

٢٠

فلا عُذْتُ أَعْصِيكَ فيما أمرتَ * إلى أن أَحُلَّ الثَّرَى مُلْحَدَا

(١) يستقيل : يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه .

وإلّا فخالفتَ ربَّ السماء * وخُنْتُ الصّديقَ وعِفْتُ النّدى

وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو * مُبيحَ العيالِ لمن أوْلَدا

وثَب[1] ابن حَمْدون وقال للمعتزّ : يا سيّدي فَمَنْ دفع هذه الرُّقعة إلى السيّدة ؟ قال بَيْدون الخادم: أنا. فقالوا له : أحسنتَ ! تُعادينا وتوصل رُقعةَ عدوِّنا في هجائنا ! !

فانصرف بيدون وقام المُعْتزّ فانصرف. واستلب ابنُ حَمْدون قولَه :

وكنتُ كعَزُّونَ أو كابن عمرو * مُبيحِ العيالِ لمن أوْلَدا

119/9

فجعل يُنْشِدهم إيّاه وهم يشتُمون ابنَ حَمْدون ويَضِجُّون والمتوكّل يضحك ويصفّق ويَشْرَب حتى سَكِر ونام، وسرقوا قصيدتَه من بين يدَيِ المتوكّل وانصرفوا، ولم يوقّع بإطلاقه ونَسِيَه. فقالوا لابن حَمْدون : وَيْلك ! تُعيد هجاءنا وشتْمنا ! ! فقال : يا حَمْقَى والله لو لم أفعل ذلك فيضحكَ ويَشْرَبَ حتى يَسْكَر وينام لوقّع في إطلاقه ووقَعْنا معه في كلّ ما نكره .

مدح المتوكل بفتح أرمينية

أخبرني عليّ بن الحسين قال حدّثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدّثني أحمد بن حَمْدون قال :

لمّا افتُتِحت أرْمِينِيَةُ وقُتِل إسحاق بن إسماعيل[2] دخل عليّ بن الجَهْم فأنشد المتوكّلَ قصيدتَه التي يُهنّيه فيها بالفتح ويمدحه ، فقال فيها وأومأ بيده إلى الرسول الوارد بالفتح وبرأس إسحاقَ بنِ إسماعيل :

أهْلًا وسَهْلًا بكَ من رسولِ * جئتَ بما يَشْفِي من الغَليلِ

بجملةٍ تُغْني عن التفصيلِ * برأس إسحاقَ بنِ إسماعيلِ

* قَهْرا بلا خَتْلٍ ولا تطويلِ *

(١) في الأصول : « فوثب » . (٢) هو إسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية ، ظفر به بغا وأحرق مدينة تفليس سنة ٢٣٨ هـ .

فاستحسن جميعُ مَنْ حضَر ارتجالَه هذا وابتداءه ، وأمر له المتوكّل بثلاثين ألف درهم ، وتمَّم القصيدة . وفيها يقول :

جاوز نَهْـرَ الكُرِّ[1] بالخيـول * تَرْدِى بِفتْيانٍ كأُسْد الغِيلِ
مُعَوَّداتٍ طلَبَ الذُّحُـول[2] * خُزْرِ[3] العيون طيبِى[4] النُّصول
شُعْثٌ على شُعْثٍ من الفحول * جيشٌ يَلُفُّ الحَزْنَ بالسُّهول
كأنّه مُعتلِجُ[5] السُّـيولِ * يَسُوسُه كَهْلٌ من الكهول
لا يَنْثنى للصَّعْب والذَّلُول * على أغَرَّ واضحِ الحُجُول
حتى إذا أصْحَرَ[6] للخـذول * ناجَزَه بصـارمٍ صَـقِيل
ضَرْبًا طِلَحْفًا[7] ليس بالقليل * ومَنْجَنِيق[8] مثلِ حَلْقِ الفيل
تَرْفَضُ عن خُرْطومه الطويل * صواعقٌ من حَجَر السِّجيل[9]
تترك كَيْدَ القومِ فى تَضْليل * ما كان إلّا مِثْلُ رَجْع القِيل
حتى انْجلَتْ عن حزبه المفلول * وعن نساءٍ حُسَّرٍ ذُهُـولِ
صـوارخٍ يَعْـثُرن فى الذُّيول * ثَوَاكلِ الأولاد والبُعُـول
لا والذى يَعْرِف بالعقـول * من غير تحديدٍ ولا تمثيـل
ما قام لله وللرســـول * بالدِّين والدُّنيـا وبالتّنزيل
* خليفةٌ كجعفرَ المأمولِ *

(١) الكر (بضم أوله) : نهر بين أرمينية وأرّان يشق مدينة تفليس . وتردى الخيل رديا ورديانا : ترجم الحصا بحوافرها من شدة وضْها . (٢) فى أكثر الأصول : «الدخول» بالدال والخاء، وهو تصحيف وفى جـ : «الدحول» بالدال والحاء المهملتين . والذحول : جمع ذحل وهو الثأر .
(٣) خزر : جمع أخزر وخزراء . وخزر العين : ضيقها ، وهو كناية عن الغضب .
(٤) فى جـ : «طيب» . وفى أ ، م هكذا : «حيىّ» . وفى ب ، سـ : «صيّى» .
(٥) اعتلجت الأمواج والسيول : التطمت . (٦) أصحر: برز. (٧) طلحفا : شديدا.
(٨) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة . فارسى معرّب . (٩) السجيل : حجارة كالمدر.

مدح المتوكل بقصيدة وأرسلها من حبسه مع على ابن يحيى

أخبرنى علىّ بن العبّاس قال حدّثنى محمد بن عبد السلام قال :

رأيتُ مع علىّ بن يحيى المنجّم قصيدةَ علىّ بن الجَهْم يمدح المتوكّلَ ويصف الهارونىّ [(١)]، فقلت له : يا أبا الحسن، ما هذه القصيدة معك ؟ فضحك وقال : قصيدةٌ لعلىّ بن الجَهْم سألنى عَرْضَها على أمير المؤمنين فعرَضتها . فلمّا سمع قولَه :

١٢٠ / ٩

٥ وقُبّةِ مُلْكٍ كأنّ النجو * مَ تُصْغِى [(٢)] إليها بأسرارها

تَخِرُّ الوفودُ لها سُجَّدًا * إذا ما تجلّتْ لأبصارها

وفوّارة ثأرُها فى السماء * فليست تُقَصِّر عن ثارها

تَرُدّ على المُزْن ما أنزلتْ * إلى الأرض من صَوْب مِدرارها

تهلّل وجهُه واستحسنها . فلما انتهيتُ إلى قوله :

١٠ تبوّأتُ بعدَك قَعْرَ السُّجون * وقد كنتُ أَرْثِى لزوّارها

غضب وتربّد وجهُه وقال : هذا بما كسبتْ يداه، ولم يَسْمَع تمامَ القصيدة .

شاع مذهبه وشره فسافر لحلب فقتل فى الطريق وقال شعرا قبل موته

أخبرنى علىّ بن العبّاس قال حدّثنى الحسين بن موسى قال :

لمّا شاع فى الناس مذهب علىّ بن الجَهْم وشَرُّه وذِكْرُه كلَّ أحدٍ بسوءٍ من صديقه وعدوّه تحاماه الناسُ، فخرج عن بغداد إلى الشأم، فاتّفقنا فى قافلةٍ إلى حَلَب .

١٥ وخرج علينا نَفَرٌ من الأعراب، فتسرّع إليهم قومٌ من المُقاتِلة، وخرج فيهم فقاتل قتالًا شديدًا وهزَم الأعرابَ . فلمّا كان من غدٍ خرج علينا منهم خَلْقٌ كثير، فتسرّعت إليهم المُقَاتِلةُ وخرج فيهم فأصابتْه طَعْنةٌ قتلتْه، فجئنا به واحتملناه وهو يَنْزِف دمُه . فلما رآنى بكى وجعل يُوصِينى بما يريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أمسينا قلِق قلقًا شديدا وأحسّ بالموت، فجعل يقول :

٢٠ (١) الهارونى : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله . وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل . (٢) يحتمل جدا أن تكون : «تفضى» .

أَزِيدَ فى الليـلِ ليـلُ * أَم سَالَ بالصُّبحِ سَـيْلُ
ذكرتُ أهـلَ دُجَيْلٍ[1] * وأين مِنِّى دُجَيْـلُ

فأبكى كلَّ من كان فى القافلة، ومات مع السَّحَر، فدُفِن فى ذلك المنزل على مرحلة من حَلَب .

* * *

ومن صنعة أبى عيسى بن المتوكّل

صـــوت

إن الناسَ غطَّونى تغطّيْتُ عنهمُ * وإن بحثوا عنّى ففيهم مَباحِثُ
وإن حفَروا بئرى حَفَرتُ بئارَهم * فسوف تَرَى ماذا تُثير النَّبائث[2]

الشعر لأبى دُلامة . والغِناء لأبى عيسى بن المتوكّل، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ عن المعتزّ . ١٠

(١) دجيل : نهر مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامرا .
(٢) النبائث : جمع نبيثة، وهى تراب البئر .

أخبار أبى دُلَامَةَ ونسبه

نسبه وهو مولى لبنى أسد وكان فاسد الدين متهتكا

أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن. وأكثرُ الناس يُصَحِّف اسمَه فيقول "زيد" بالياء، وذلك خطأ، وهو زَنْد بالنون. وهو كوفىٌّ أسودُ، مولًى لبنى أَسَد. كان أبوه عبدًا لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقه. وأدرك آخرَ أيّامِ بنى أميّة، ولم يكن له فى أيّامهم نباهة، ونبغ فى أيّام بنى العبّاس، وانقطع إلى أبى عبّاس وأبى جعفر المنصور والمهدىّ، فكانوا يقدّمونه ويَصِلونه ويستطيبون مجالسته ونوادرَه. وقد كان انقطع إلى رَوْح بن حاتم المُهَلَّبىّ أيضًا فى بعض أيّامه. ولم يصل إلى أحدٍ من الشعراء ما وصل إلى أبى دُلَامة من المنصور خاصّةً. وكان فاسدَ الدِّين، ردىءَ المذهب، مرتكبًا للمحارم، مُضَيِّعًا للفروض، مجاهرًا بذلك، وكان يُعْلَم هذا منه ويُعرَف به، فيُتَجافَى عنه لِلُطْفِ محلّه. وكان أوّلُ ما حُفِظ من شعره وأُسْنِيَت الجوائزُ له به قصيدةً مدح بها أبا جعفر المنصور وذكَر قَتْلَه أبا مسلم. فأخبرنى أحمد بن عُبَيْد الله بن عمّار قال حدّثنى محمد بن داود بن الجَرّاح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حَبِيب قال:

أول شعر عرف به ١٢١/٩

لمّا قال أبو دُلَامةَ قصيدتَه فى قتل أبى مسلم التى يقول فيها:

أبا مُسْلِمٍ خَوَّفْتَنى القتلَ فانْتَحَى * عليك بما خوَّفْتَنى الأَسَدُ الوَرْدُ
أبا مسلم ما غيَّر الله نعمةً * على عبده حتى يغيِّرَها العبدُ

أنشدها المنصورَ فى مَحْفِلٍ من الناس، فقال له: احتكم. قال: عشرة آلاف درهم، فأمَر له بها. فلمّا خلا به قال له: إيهِ! أمَا والله لو تعدّيتَها لقتلتُك.

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنى علىّ بن مُسْلِم عن أبيه قال: سمّى لى أبو دُلَامةَ نفسَه زَنْدًا (بالنون) ابنَ الجَوْن. وأسلم مولاه فضافض، وله أيضا شعر، وكان فى الصَّحابة.

أعفاه المنصور من لبس السواد والقلانس دون الناس

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى جعفر ابن الحسين المُهَلّبىّ قال :

كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلُبس السَّوَاد وقلانسَ طِوالٍ تُدْعَم بعِيدانٍ من داخلها ، وأن يعلّقوا السُّيوفَ فى المناطق، ويكتبوا على ظهورهم : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. فدخل عليه أبو دُلامة فى هذا الزّىّ . فقال له أبو جعفر : ما حالُك ؟ قال : شَرُّ حالٍ، وجْهِى فى نِصْفِى، وسَيْفِى فى آستى، وكتابُ الله وراءَ ظهرى ، وقد صبغت بالسّواد ثيابى . فضحِك منه وأعفاه وحدَه من ذلك ، وقال له : إيّاك أن يَسْمَع هذا منك أحد .

ونسختُ من كتاب لابن النطّاح فذكر مِثْلَ هذه القصة سواءً وزاد فيها :

وكنّا نرجّى من إمامٍ زيادةً ❊ فجاد بطُولٍ زاده فى القَلَانِس

تَرَاها على هامِ الرجال كأنّها ❊ دِنانُ يهودٍ جُلِّلَتْ بالبرانس

فضحِك منه وأعفاه .

طلب من المنصور أو السفاح، كلب صيد ثم تدرج فى الطلب الى أشياء كثيرة

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد النحوىّ قال حدّثنى الجاحظ قال .

كان أبو دُلامةَ بين يَدَىِ المنصور واقفًا — وأخبرنى إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيْبة أنه كان واقفًا بين يَدَىِ السّفّاح — فقال له : سَلْنى حاجتَك . قال أبو دُلامة : كلبٌ أتصيّد به . قال : أعطوه إيّاه . قال : ودابّةً أتصيّد عليها . قال : أَعطُوه . قال : وغلامٌ يَصيد بالكلب ويقوده . قال : أعطُوه غلامًا . قال : وجاريةٌ تُصْلِح لنا الصَّيْدَ وتُطْعِمنا منه . قال : أعطوه جاريةً . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدُك فلا بُدَّ لهم من دارٍ يسكنونها . قال : أعطوه دارًا تجمعهم . قال : فإن لم تكن لهم ضَيْعةٌ فمن أين

يعيشون ! قال : قد أعطيتُك مائةَ جَرِيبٍ[1] عامرةً ومائةَ جَرِيب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : مالا نباتَ فيه. فقال : قد أقطعتُك أنا ياأمير المؤمنين خمسمائة ألف جَرِيب غامرةً من فَيَافِى بنى أَسَد . فضحك وقال : اجعلوها كلَّها عامرةً. قال : فأْذَنْ لى أن أُقَبِّل يدَك . قال : أمّا هذه فدَعْها . قال : والله ما منعتَ عيالى شيئا أقلّ ضررًا عليهم منها . قال الجاحظ : فأَنْظُرْ إلى حِذْقه بالمسألة ولُطْفه فيها : اِبتدأ بكلب فسهَّل القصّةَ به، وجعل يأتى بما يليه على ترتيبٍ وفُكَاهةٍ، حتى نال ما لو سأله بديهةً لَمَا وصل إليه .

كنى باسم جبل بمكة ١٢٢ / ٩

أخبرنى علىّ بن سليمانَ الأخفش قال حدّثنى السُّكَّرىّ عن محمد بنِ حَبيبَ قال: اِسم أبى دُلامة زَنْدٌ بالنون، ومن الناس من يرويه بالياء، وكُنِّىَ أبا دُلَامة بآسم جبلٍ بمكّة يقال له أبو دُلَامة، كانت قريش تَئِدُ فيه البناتِ فى الجاهليّة، وهو بأعلى مكّةَ

أنشد المنصور شعرا فأجازه

وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ عن العُمَرِىّ عن الهَيْثَم قال :

دخل أبو دُلَامةَ على المنصور فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

إنّ الخَلِيطَ أجَدَّ البينَ فآنجعوا[2] * وزَوَّدوكَ خَبالًا بئس ما صنعوا
والله يعلم أنْ كادت لِبَيْنِهمُ * يومَ الفِراق حَصَاةُ القلب تَنْصَدع
عَجِبتُ من صِبْيَتى يومًا وأُمِّهمُ * أُمِّ الدُّلَامةِ لَمّا هاجَها الجَزَع
لابارك الله فيها من مُنَبِّهَةٍ * هَبَّتْ تَلُوم عيالى بعد ماهجعوا
ونحن مُشْتَبِهو الألوان أوجهُنا * سُودٌ قِباحٌ وفى أسمائنا شَنَعُ
اذا تَشَكَّتْ إلىَّ الجوعَ قلتُ لها * ماهاج جُوعَكِ إلّا الرِّىُّ والشِّبَع

(١) الجريب من الأرض : ثلاثة آلاف وستمائة ذراع، وقيل : عشرة آلاف ذراع. (٢) كان الأفضل أن يكون «أجدّوا البين فانجعوا» ليتفق الضميران. على أنه يجوز أن يكون ضمير «الخليط» مفردا وجمعا.

— ويُروَى وهو الجيّد :

أَذَابَكَ الجوعُ مُذْ صارت عيالتُنا * على الخليفة منه الرِّىُّ والشِّبَعُ —

لاوالذى يا أميرَ المؤمنين قَضَى * لكَ الخلافةَ فى أسبابها الرِّفَعُ

مازلتُ أُخلِصُها كَسْبِى فتأكلُه * دونى ودون عيالى ثم تضطجعُ

شَوْهاءُ مَشْنَأَةٌ فى بطنها ثَجَلٌ * وفى المفاصل من أوصالها فَدَعُ[1]

ذكَّرتُها بكتاب الله حُرْمَتَنا * ولم تكن بكتاب الله تَنْتفعُ

فاخْرَنْطَمَتْ[2] ثم قالت وهى مُغْضَبَةٌ * أأنت تتلو كتابَ الله يالُكَعُ

أُخْرُجْ لِتَبغِ لنا مالاً ومَزْرَعَةً * كما لجيراننا مالٌ ومُزْدَرَعُ

وٱخْدَعْ خليفتَنا عنها بمسألةٍ * إنّ الخليفة للسُّؤال يَنْخدعُ

فضحك أبو جعفر وقال: أَرضوها عنّى وٱكتبوا له بمائتى جَرِيب عامرة ومائتى جريب غامرة — وقال الهيثم : بستمائة جَريب عامرة وغامرة — فقال له : أنا أُقْطِعك يا أمير المؤمنين أربعةَ آلاف جَريب غامرة فيما بين الحِيرة والنَّجَف ، وإن شئتَ زِدتُك. فضحك وقال : اجعلوها كلَّها عامرة .

شهد عند ابن أبى ليلى لجارة له وقال شعرا فأمضى ابن أبى ليلى شهادته

حدّثنى محمد بن أحمد بن الطَّلّاس قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ قال :

شهِد أبو دُلَامة بشهادة لجارة له عندَ ٱبن أبى ليلى[3] على أتانٍ نازعها فيها رجل . فلمّا فرغ من الشهادة قال : ٱسْمَعْ ماقلتُ فيك قبل أن آتيَك ثم ٱقْضِ ماشئتَ . قال : هات ؛ فأنشده :

(١) الثجل : عظم البطن واسترخاؤه . والفدع : الاعوجاج . (٢) اخرنطمت : رفعت أنفها واستكبرت وغضبت . (٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى قاضى الكوفة . أوّل من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفى واستقضاه بعد ذلك بنو العباس .

إن النـاسَ غطَّوْنى تغطَّيْتُ عنهمُ * وإن بحثـوا عنّى ففيهم مَباحِثُ
وإن حفَروا بئرى حفرتُ بئارَهم * ليُعْـلمَ يومًا كيف تلك النَّبـائثُ

ثم أقبـل على المرأة فقـال : أتَبيعينِى الأتانَ ؟ قالت نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمـائة درهم . قال : ادفعوها إليها ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتُها لك ، ٥ وقال لأبى دُلَامة : قد أمْضَيْتُ شهادتَك ولم أبحث عنك ، وآبتعتُ ممّن شَهِدتَ له ، ووهبتُ مِلْكى لمن رأيتَ . أرَضِيتَ ؟ قال نعم ، وآنصرف .

شرب مع السيد الحميرى أو أبى عطاء السندى فذم ابنته وأخبر المنصور فأكرمه

١٢٣/٩ أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفَّاف قال حدّثنا أبو بكر أحمد بن أبى خَيْثَمة قال حدّثنا محمد بن سَلَّام عن علىّ بن إسماعيل قال :

كنتُ أَسْـقِى أبا دُلَامة والسـيِّد ، إذ خرجتْ بنتٌ لأبى دُلَامة ، فقال فيهـا ١٠ أبو دُلَامة :

فمـا ولدتكِ مريمُ أمُّ عيسَى * ولا ربَّاكِ لُقْمانُ الحكيمُ

أجِزْ يا أبا هاشم (١) . فقال السيد :

ولكن قد تَضُمُّكِ أُمُّ سَوْءٍ * إلى لَبّاتهـا وأبٌ لئـيمُ

فضـحك لذلك ، ثم غدا أبو دُلَامة الى المنصـور فألفاه فى الرُّحْبة يُصْلِح فيها شيئًا ١٥ يريده ، فأخبره بقصّة بنته وأنشده البيتين ، ثم آندفع فأنشده بعدهما :

لو كان يَقْعُد فوق الشمس من كَرَمٍ * قومٌ لقيل آقعـدوا يا آل عبّـاس
ثم آرتقُوا فى شُعاع الشمس كلُّكمُ * إلى السماء فأنتم أطهـرُ النـاس
وقدِّموا القـائمَ المنصـورَ رأسَكُم * فالعينُ والأنف والأُذْنان فى الراس

(١) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « السندى » . وقد رجحنا رواية حـ لأن أبا هاشم كنية السيد الحميرى . وسيأتى فى الصفحة التالية هـذا الخبر بين أبى دلامة وأبى عطاء السندى . فلعل ذلك هو الذى أوقع ٢٠ النساخ فى هذا اللبس .

فآستحسنها، وقال له : بأىّ شىء تحبّ أن أُعينك على قُبْح آبنتك هذه؟ فأخرج خَريطةً قد كان خاطها من الليل فقال: تملأ لى هذه دراهمَ، فُملئت فوسعتْ أربعةَ آلاف درهم .

وقد أخبرنى بهذا الخبر عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنى العُمَرىّ عن الهَيْثم ابن عَدِىّ قال :

دخل أبو عَطاء السِّنْدىّ يومًا إلى أبى دُلَامة فآحتبسه عنده، ودعا بطعام فأكلا وشربا، وخرجتْ إلى أبى دُلَامة صَبِيّةٌ له فحملها على كتفه، فبالت عليه فنبذها عن كتفه، ثم قال :

بَلَلْتِ علىّ ـ لاحُيِّيتِ ـ ثوبى * فبال عليكِ شيطانٌ رجيمُ
فما ولَدتك مريمُ أُمُّ عيسى * ولا ربّاكِ لُقْمانُ الحكيمُ

ثم آلتفت إلى أبى عطاء فقال له : أجِزْ . فقال :

صدقتَ أبا دُلامةَ لم تلِدْها * مُطَهَّرَةٌ ولا فحلٌ كريمُ
ولكن قد حَوَتْها أمُّ سَوْءٍ * إلى لَبَّاتها وأبٌ لئيمُ

فقال له أبو دُلَامة : عليك لعنةُ الله! ما حملكَ على أن بلغتَ بى هذا كلَّه ! والله لا أنازِعك بيتَ شعرٍ أبدًا. فقال أبو عَطاء: لأن يكونَ الهربُ من جهتك أحبُّ إلىّ.

رثى السفاح عند المنصور فغضب وأراد إخراجه الى الحرب فاسترضاه

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ قال حدّثنى أبو مالك عبد الله ابن محمد قال حدّثنى أبى قال :

لمّا تُوفّى أبو العبّاس السفّاح دخل أبو دُلَامةَ على المنصور والناس عنده يعزّونه؛ فأنشأ أبو دُلامة يقول :

أمسيتَ بالأنبار يآبنَ محمدٍ * لم تستطع عن عُقْرها تحويلا
وَيْلى عليكَ وويْلَ أهلى كلِّهم * ويلًا وعَوْلًا فى الحياة طويلا

فَلْتَبْكِيَنَّ لك النساءُ بعَبْرةٍ * ولْيَبْكِيَنَّ لك الرِّجالُ عَويلَا

مات النَّدى إذ مُتَّ يابن محمد * فجعلتَه لك فى الثَّراء[1] عديلا

إنى سألتُ الناسَ بعدك كلَّهم * فوجدتُ أسمحَ مَنْ سألتُ بخيلا

ألِشقوتى أُخِّرتُ بعدَك للتى * تَدَعُ العزيزَ من الرجال ذليلا

فلَأَحْلِفَنَّ يمينَ حقٍّ بَرَّةً * بالله ما أُعطيتُ بعدَك سُولا[2]

قال : فأبْكَى الناسَ قولُه . فغضب المنصورُ غضباً شديدًا وقال : لئن سمعتُك تُنْشِدُ هذه القصيدةَ لأقطعنّ لسانَك . فقال أبو دُلَامة : يا أمير المؤمنين ، إنّ أبا العباس أميرَ المؤمنين كان لى مُكْرِمًا وهو الذى جاء بى من البَدْو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ، فقل كما قال يوسف لإخوته : (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ) . فسُرِّىَ عن المنصور وقال : قد أقلناك يا أبا دُلَامة ، فسَلْ حاجتَك . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العَبَّاس أَمَر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبِضْها . فقال المنصور : ومَنْ يعرف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضَر . فوثَب سليمانُ بن مُجالد وأبو الجَهْم فقالا : صدَق أبو دُلَامة ، نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبى أيوب الخازن وهو مَغيظ : ياسليمانُ ادفَعْها اليه وسيِّره الى هذا الطاغية (يعنى عبد الله بن علىّ[3] ، وقد كان خرج بناحية الشام ، وأظهر الخلافَ) . فوثَب أبو دُلَامة فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى أُعيذُك بالله أن أخرج معهم ، فوالله إنى لمشئوم . فقال المنصور : اِمْضِ فإن يُمْنِى يَغْلِب شُؤْمَك فاخْرُجْ .

(١) الثراء : لغة فى الثرى . وسيرد فى الصفحة التالية رواية أخرى : «بالتراب» . (٢) السول (يهمز ولا يهمز) : ما سألته . (٣) هو عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس عم الخليفة المنصور ، خرج عليه سنة ست وثلاثين ومائة ودعا لنفسه ؛ فوجه اليه المنصور أبا مسلم الخراسانى ووقعت له معه وقعة هائلة دارت فيها الدائرة أخيرا على عبد الله .

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحبُّ لك أن تجرِّب ذلك منِّى على مثل هذا العسكر؛ فإنى لا أدرى أيُّهما يَغْلِب : أيُمْنُك أم شؤمى ، إلّا أنى بنفسى أوثَقُ وأعْرَفُ وأطْوَلُ تجربةً . قال : دَعْنى من هذا فمالك من الخروج بدّ . فقال : إنى أَصْدُقُكَ الآنَ ، شهدتُ والله تسعةَ عشرَ عسكرًا كلُّها هُزِمتْ ، وكنتُ سببَها . فإن شئتَ الآن على بَصيرةٍ أن يكون عسكرُك العشرين فافعَلْ . فآستغرب أبو جعفر ضحِكًا (١) ، وأمره أن يتخلَّف مع عيسى بن موسى (٢) بالكوفة .

أعضب المنصور لكثرة مدحه السفاح

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنى العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدىّ قال : لمّا مات أبو العبّاس السفّاح ووَلِىَ المنصورُ ، دخل عليه أبو دُلَامةَ ، فقال له أبو جعفر : ألستَ القائلَ لأبى العبّاس :

وكنّا بالخليفة قد عَقَدْنا * لِواءَ الأمر فآنتَقض اللواءُ

فنحن رَعِيّةٌ هلكتْ ضَياعًا * تَسُوق بنا إلى الفِتَن الرِّعاءُ

قال : ماقلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كذبتَ والله ! أفلستَ القائل :

هلَكَ النَّدَى إذ بِنتَ يآبن محمد * فجعلتَه لك فى التراب عديلا

ولقد سألتُ الناسَ بعدَك كلَّهم * فوجدتُ أكرمَ مَنْ سألتُ بخيلا

ولقد حَلَفْتُ على يمينٍ بَرَّةٍ * بالله ما أُعْطِيتُ بعدَك سُولا

فقال أبو دُلَامة : إنّ أخاك صلَّى الله عليه غلَبنى على صبرى ، وسلَبنى عزيمتى ، وعَزَّنى بإحسانه إلىّ وجزَعى عليه ، فقلت مالم أتأمَّله ، وإنى أرغب فى الثمن فآستَفْرَه السِّلْعَةَ حيًّا وميّتًا . فإن أعْطَيْتَ ما أعطى ، أخذتَ ما أخذ . فأمر به فحُبِس ثلاثا ثم خَلَّى سبيلَه ودعاه إليه فوصلَه ، ثم عاد له إلى ما كان عليه .

(١) أى أكثر من الضحك وبالغ فيه . (٢) هو عيسى بن موسى بن محمد بن على الهاشمى العباسى أمير الكوفة . وكان ولىّ عهد المنصور بعهد من السفاح ثم قدم المنصور عليه فى ولاية العهد ابنه المهدى ، ثم خلعه المهدى من ولاية العهد .

أمره روح بن حاتم بمبارزة خارجي فخدعه

١٢٥ / ٩

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدِّمَشْقيّ قال حدّثني أبو دُلامة قال :

أُتِيَ بي المنصورُ أو المهديُّ وأنا سكران، فحلَف لَيُخْرِجَنِّي في بَعْث حرب، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلّبيّ[1] لقتال الشُّراة[2] . فلمـا آلتقى الجمعان قلت لرَوْح : أمَا والله لو أنّ تحتي فرسَكَ ومعي سلاحَكَ لأثَّرتُ في عدوّك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك ، ولآخذنّك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليّ ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلمّا حصَل ذلك في يدي وزالت عنّي حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فآسمعهما . قال : هات ، فأنشدتُه :

إني آستجرتُك أن أُقدَّم في الوَغَى * لِتَطاعُنٍ وتَنَازُلٍ وضِرابِ
فهَبِ السُّيوفَ رأيتُها مشهورةً * فتركتُها ومضيْتُ في الهُرّابِ
ماذا تقول لمـا يجيء وما يُرى * من واردات الموت في النُّشّابِ

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرَز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة، فقال : اخرج إليه يا أبا دُلامة . فقلت : أَنْشُدكَ اللهَ أيُّها الأمير في دمي . قال : والله لَتَخْرُجَنّ . فقلت : أيها الأمير فإنه أوّل يوم من الآخرة وآخرُ يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شَبِعَتْ منّي جارحةٌ من الجوع ، فمُرْ لي بشيء آكله ثم أخرُج . فأمر لي برغيفين ودَجاجة ، فأخذتُ ذلك وبرزتُ عن الصفّ . فلما رآني الشاري أقبل نحوي عليه فَرْوٌ وقد أصابه المَطَرُ فآبتلّ ، وأصابته الشمس فآقْفَعَلّ[3] وعيناه تَقِدان ، فأسرع إليّ .

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي إفريقية والبصرة وغيرهما ، وكان جليلا شجاعا جوادا . (٢) الشراة : الخوارج . (٣) كذا في حـ . واقفعل : تقبض . وفي سائر النسخ : « فانفعل » ، هو تحريف .

فقلت له : على رِسلك ياهذا كما أنت، فوقف . فقلت : أتقتل مَنْ لا يقاتلك؟ قال لا . قلت : أتقتل رجلًا على دينك ؟ قال لا . قلت : أفتستحِلّ ذلك قبل أن تدعو مَنْ تقاتله إلى دينك ؟ قال : لا، فآذهب عنّى إلى لعنة الله . قلت : لا أفعل أو تسمعَ منّى . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قطّ عداوةٌ أو تِرَةٌ، أو تعرفُنى بحالٍ تُحْفِظك علىّ، أو تعلم بين أهلى وأهلك وِتْرًا ؟ قال : لا والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا جميل الرأى، وإنى لأهواك وأنتحل مذهبكَ وأَدِين دينَك وأريد السُّوءَ لمن أراده لك . قال : يا هذا جزاك الله خيرا فآنصرِفْ . قلت : إنّ معى زادًا أُحِبُّ أن آكُلَه معك، وأُحِبُّ مُوَاكلتَك لتتوكَّدَ المودّةُ بيننا ، ويرى أهلُ العسكر هوانَهم علينا . قال : فآفعل . فتقدّمتُ إليه حتى آختلفتْ أعناقُ دوابِّنا وجمَعْنا أرجلَنا على مَعَارفها والناس قد غُلِبوا ضَحِكا . فلما آستوْفَيْنا ودّعَنى . ثم قلت له : إنّ هذا الجاهلَ إن أقمتَ على طلب المبارزة ندَبنى إليك فتُتْعِبُنى وتَتْعَبُ . فإن رأيتَ ألّا تبرُز اليوم فافعلْ . قال : قد فعلتُ ، ثم آنصرف وآنصرفتُ . فقلت لرَوْح : أمّا أنا فقد كفَيْتُك قِرْنى فقل لغيرى أن يَكْفِيَكَ قِرْنَه كما كفَيْتُك، فأمسك . وخرج آخر يدعو إلى البِرَاز، فقال لى : اخرج إليه . فقلتُ[1] :

إنى أَعُوذ بِرَوْحٍ أن يقدِّمنى * إلى البِراز فتَخْزَى بى بنو أَسَدِ
إنّ البِرازَ إلى الأقران أعلمُهُ * مما يفرِّق بين الروح والجسد
قد حالفتْك المنايا إذ صَمَدْتَ[2] لها * وأصبحتْ لجميع الخلق بالرَّصَد

(١) وردت هذه الأبيات فى وفيات الأعيان لابن خلكان هكذا :

إنى أعوذ بروح أن يقدمنى * إلى القتال فيخزى بى بنو أسد
إن المهلب حب الموت أورثكم * ولم أرث أنا حب الموت من أحد
إن الدنو إلى الأعداء أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد

(٢) فى الأصول : « إن صدمت » وهو تحريف .

إنّ المهلّبَ حُبَّ الموت أورثكم * وماوَرِثتُ اختيارَ الموت عن احد
لو أنّ لى مهجةً أخرى لجُدتُ بها * لكنّهـا خُلقتْ فردًا فـلم أَجِد

فضحك وأعفانى .

هرب مروان بن محمد بمبارزة خارجى فقرمه ١٢٦ / ٩

أخبرنى إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة قال قال أبو دُلامةَ :

كنتُ فى عَسْكَرِ مروانَ[1] أيام زَحَف إلى سِنَانٍ الخارجىّ . فلمّـا التقى الزَّحْفان خرج منهم رجلٌ فنادى : مَنْ يبارز ! فلم يخرج إليه أحدٌ إلّا أَعْجله ولم يُنَهْنِهْهُ[2] . فغاظ ذلك مروانَ وجعل ينـدُب الناسَ على خمسمائة[3] ، فقُتِل أصحـابُ الخمسمائة ، فزاد مروانُ وندَبهم على ألف ، ولم يزل يَزِيدهم حتى بلغ خمسةَ آلاف درهم . وكان تحتى فرس لا أخاف خَوْنَه ، فلمّا سمعتُ بالخمسة آلاف[4] ترقّبته[5] واقتحمتُ الصّفَّ . فلمّـا نظرنى الخارجىُّ علِم أنّى خرجتُ للطمع ، فأقبل إلىّ مُتَهيِّئًا و إذا عليه فَرْوٌ قد أصابه المطر فابتلّ ، ثم أصابتْه الشمسُ فاقْفَعَلّ ، وإذا عيناه تَقِـدانِ كأنّهما من غَوْرهما فى وَقْبَين[6] . فلمّا دنا منّى أنشأ يقول :

وخارجٍ أخرجه حُبُّ الطَّمَـعْ * فرّ من الموت وفى الموت وَقَعْ
* مَنْ كان يَنْوِى أهلَه فلا رَجَعْ *

فلمّا وقَرتْ فى أُذُنى انصرفتُ عنه هارباً . وجعل مروانُ يقول : مَنْ هذا الفاضحُ؟ ايتونى به ، فدخلتُ فى غِمار النّاس فنجوْتُ .

أعطاه موسى ابن داود مالا ليحج معه فهرب الى السواد وسكر بالمال

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى أحمـد بن سَعيد قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا جعفر بن الحُسَين اللِّهْبىّ قال :

(١) يعنى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية . (٢) نهنه : كفه وزجره . وسياق الكلام يقتضى أن يكون « ولم يمهله » . (٣) فى الأصول : «عن» . (٤) هذه لغة ضعيفة وأفصح اللغات : «بخمسة الآلاف» . (٥) ترقبه : رصدته . (٦) الوقب هنا : نقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء .

عزم موسى بن داود بن علىّ الهاشمىّ(١) على الحج . فقال لأبى دُلامة : احجُجْ معى ولك عشرةُ آلاف درهم . فقال : هاتِها ، فدُفِعتْ إليه ، فأخذها وهرب الى السَّوَاد ، فجعل يُنْفِقها هناك ويَشْرَب بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشى فَوْتَ الحج فخرج . فلمّا شارف القادسيَّةَ إذا هو بأبى دُلَامة خارجاً(٢) من قرية إلى أخرى وهو سكرانُ ، فأمر بأخذه وتَقْييده وطَرْحه فى مَحْمِلٍ بين يديه ففُعِل ذلك به . فلمّا سار غيرَ بعيد أقبل على موسى وناداه :

يأيُّها الناسُ قولوا أجمعون(٣) معاً * صلّى الإله على موسى بن داود
كأنّ دِيبَاجَتَىْ خدّيه من ذهبٍ * إذا بدا لك فى أثوابه السُّود
إنّى أعوذ بداودٍ وأَعْظُمِه * من أن أُكَلَّف حَجًّا يآبنَ داود
خُبِّرتُ أنّ طريقَ الحجِّ مَعْطَشَةٌ * من الشراب وما شُرْبى بتَصْرِيد(٤)
واللهِ مافىَّ من أجرٍ فتطلبَه * ولا الثناءُ على دِينى بمحمود

فقال موسى : أَلْقُوه لعنه اللهُ عن المَحْمِل ودَعُوه ينصرفُ ، فأُلْقِىَ وعاد إلى قَصْفه بالسَّوَاد ، حتى نَفِدتِ(٥) العشرةُ آلافِ درهم .

أمره المنصور بملازمة الجماعة فى مسجد القصر فقال شعرا يستعفيه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير عن جعفر بن الحسين اللِّهْبىّ ، وأخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن العُمَرى عن الهَيْثم بن عَدِىّ قالا(٦) :

قال أبو أيّوب المُورِيانىّ لأبى جعفر ، وكان يَشْنأ أبا دُلَامةَ ، : إنّ أبا دلامة معتكفٌ على الخمر فما يحضُر صلاةً ولا مسجداً ، وقد أفسد فِتيانَ العسكر . فلو أمرتَه

(١) هو ابن عم السفاح ، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة ، واستخلف حين احتضر على عمله ولده موسى . فاستعمل السفاح خاله زيادا على مكة ، وموسى بن داود هذا على إمرة المدينة .
(٢) فى الأصول : « خارج » . (٣) فى الأصول المخطوطة : « أجمعين » .
(٤) صرد شربه : قطعه . (٥) راجع الحاشية رقم ٤ فى الصفحة السابقة .
(٦) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « قال » وهو تحريف .

بالصلاة معك لأُجِرْتَ فيه وفى غيره من فتيان عسكرك بقطعه عنهم. فلمّا دخل عليه أبو دُلَامة قال له : يا بنَ اللَّخْناء، ماهذا المجون الذى يبلغنى عنك! . قال أبو دُلَامة : يا أمير المؤمنين ما أنا والمجونَ وقد شارفتُ بابَ قبرى! . قال: دَعْنى من آستكانتك وتضرُّعك، و إيّاك أن تفوتك صلاةُ الظهرِ والعصرِ فى مسجدى . فلئن فاتتاكَ لأُحسِنَنَّ أدبك ولأُطيلنَّ حَبْسَك . فوقع فى شرٍّ ولزم المسجدَ أيامًا، ثم كتب قِصّته ودفعها إلى المهدىّ فأوصلها إلى أبيه، وكان فيها :

١٢٧ / ٩

ألم تَعلَمَا أنّ الخليفة لَزَّنى(١) * بمسجده والقصرِ مالى وللقصر!
أُصَلِّى به الأولى جميعًا وعصرَها * فوَيلى من الأولى ووَيْلى(٢) من العصر
أُصَلِّيهما بالكُرْه فى غير مسجدى * فمالىَ فى الأولى ولا العصر من أجر
لقد كان فى قومى مساجدُ جَمَّةٌ * سواه ولكن كان قَدْرًا من القَدْر
يكلّفنى من بعد ما شِبتُ خُطَّةً * يَحُطُّ بها عنّى الثقيلَ من الوِزْر
وما ضَرَّه والله يغفر ذنبَه * لَوَ آنّ ذنوبَ العالمين على ظَهْرى

قال : فلمّا قرأ المنصور قِصّته ضحك وأعفاه من الحضور معه ، وأحلفه أن يصلّىَ الصلاةَ فى مسجد قبيلته .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبَيْر عن عمّه ، ونسختُ من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخَـزّاز(٣) عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِىّ ورَوّانيه بعضُ من روى عن الزُّبَيْر .

أنّ أبا جعفر كان يُحِبُّ العَبَثَ بأبى دُلَامة ــ وقال الآخر: إنّ أبا العبّاس السَّفّاح كان يحب ذلك ــ فكان يسأل عنه فيوجَد فى بيوت الخَمّارين لا فَضْلَ فيه . فعاتبه

(١) لزه بكذا : ألزمه اياه . (٢) فى جـ : «وعولى» . (٣) فى حـ : «الخرزى» . وفى أ ، م : « الخرازى » .

على انقطاعه عنه ؛ فقال : إنما أفعل ذلك خوفًا أن تَمَلّنى . فعلم أنه يُحاجِزُه[1] ، فأمر الربيعَ أن يوكّل به من يَحضره الصلواتِ معه فى جماعةٍ فى الدار . فلمّا طال ذلك عليه قال :

ألم تَرَيا أنّ الخليفةَ لَزّنى * بمسجده والقصرِ مالى وللقصر!
فقد صَدّنى عن مسجدٍ أستلِذّه * أُعَلَّلُ فيه بالسّماع وبالخمر
وكلّفنى الأولى جميعًا وعصرَها * فويلى من الأولى وعَوْلِى من العَصْر
أُصَلّيهما بالكُرْه فى غير مسجدى * فمالى من الأولى ولا العصرِ من أجر
يكلّفنى من بعد ما شِبْتُ تَوْبةً * يَحُطّ بها عنى المثاقيل من وِزرى
لقد كان فى قومى مساجدُ جَمّةٌ * ولم ينشرح يومًا لغِشْيانها صدرى
وواللهِ مالى نيّةٌ فى صلاته * ولا البِرُّ والإحسانُ والخيرُ من أمرى
وما ضَرّه واللهُ يغفر ذنبَه * لَوَ آنّ ذنوبَ العالمين على ظَهْرى

فبلغته الأبيات فقال : صدَق! ما يَضُرُّنى ذلك، واللهِ لا يصلُح هذا أبدًا، فدَعُوه يعمَل ما يشاء. وقال الهيثم فى خبره: فقال له ابو جعفر: قد أعفَيْناك من هذه الحال، ولكن على ألّا تدَعَ القيام معنا فى ليالى شهر رمضان فقد أظل[2] . فقال : أفعَلُ. قال: إنك إن تأخّرتَ لشُرب الخمر علِمتُ ذلك. وواللهِ لئن فعلتَ لأَحُدَّنّك. فقال أبو دُلامة: البليّةُ فى شهر أصلحُ منها فى طول الدهر، سمعاً وطاعةً. فلمّا حضر شهرُ رمضان لزم المسجدَ . وكان المهدىّ يبعث إليه فى كل ليلة حَرَسيًّا يجيء به؛ فشَقّ ذلك عليه، وفزِع الى الخَيْزُران وأبى عُبَيد الله[3] وكلِّ مَنْ كان يلوذ بالمهدىّ ليشفَعوا له فى الإعفاء

ألزمه المنصور بالقيام شهر رمضان فكتب الى ريطة شعرا يستشفع بها للمهدى

(١) يعنى : يخلص منه ويتحمل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه . (٢) أظل : غشى وأشرف وأقبل . (٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعرى الكاتب الوزير. كان من رجالات المنصور ثم المهدى . عزله المهدى عن الوزارة ثم جعله على ديوان الرسائل، ثم عزله عنه سنة ١٦٧ هـ

من القيام، فلم يُجبهم . فقال له أبو عُبَيد الله : الدَّالُّ على الخير كفاعله، فكيف شُكْرُك ؟ قال : أتمُّ شكر . قال : عليك بِرَيْطَةَ[1] فإنّه لا يخالفها. قال: صدقتَ والله، ثم رفَع إليها رُقْعةً يقول فيها :

١٢٨ / ٩

أبلِغَا رَيْطَــةَ أنّى * كنتُ عبـدًا لأبيها

فمضى يرحمـــه الله * ـه وأوصى بى إليهـا

وأراها نَســيَتْنى * مِثْلَ نسيانِ أخيها

جاءشهرالصَّوْمِ يمشى * مِشْــيَةً ما أشتهيها

قائدًا لى ليلةَ القَــدْ * رِ كأنّى أبتغيهـا

تَنْطَحُ القِبـلةَ شهرًا * جَبْهَــتى لا تأتليهـا

ولقــد عشتُ زمانًا * فى قِيـانٍ وجيهـا

فى ليـالٍ من شــتاءٍ * كنتُ شيخًا أصْطَليها

قاعدًا أُوقِــدُ نارًا * لِضِبابٍ أشْــتَويها

وصَــبوحٍ وغَبــوقٍ * فى عِلابٍ[2] أحْتَسيهـا

ما أبالى ليــلةَ القَدْ * رِ ولا تُسْــمِعُنِيها[3]

فاطلبى لى فرجًا منـ * ـها وأجْرِى لكِ فيها

فلمّا قرأت الرُّقعةَ ضَحِكتْ وأرسلتْ إليه : اِصطبرْ حتى تَمضىَ ليلةُ القَدْر . فكتب إليها : إنى لم أسألكِ أن تكلّميه فى إعفائى عامًا قابلًا، وإذا مضت ليلةُ القدر فقد فَنِيَ الشَّهْرُ . وكتب تحتها أبياتا :

(١) ريطة : هى ابنــة الخليفة أبى العباس السفاح وزوجة المهدى . (٢) العلاب : جمع علبــة وهى قدح ضخم من جلود الإبل أو هى قدح من خشب . (٣) لا هنا نافية، وهو خبر يراد به النهى .

خافِى إلَهَك فى نفسٍ قد ٱحتُضِرَتْ * قامت قيامتُهـا بين المصلِّينـا
ما ليلةُ القَـدْرِ من همِّى فأطْلُبَهـا * إنِّى أخاف المنـايا قبـل عشرينا
يا ليلةَ القدرِ قـد كَسَّرتِ أرْجُلَنا * يا ليـلةَ القَــدْر حقًّا ما تُمَنِّينـا!؟
لا بارك الله فى خـيرٍ أؤمِّــلُه * فى ليـلةٍ بعـد ما قمنـا ثلاثينـا

فلمّـا قرأتِ الأبياتَ ضحكتْ ، ودخلت إلى المهدىّ فشفَعتْ له إليـه ، وأنشدتْه الشعرين ، فضَحِك حتى ٱستلقى ، ودعا به ورَيْطةُ معه فى الحَجَلة[1] فدخل ؛ فأخرج رأسَه إليه وقال : قد شفَّعْنا رَيْطةَ فيك ، وأمَرْنا لك بسبعة آلاف درهم . فقال : أمّا شفاعةُ سيّدتى فىَّ حتى أعفَيْتَنى فأعفاها الله من النار . وأمّا السبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلتَه ؛ إمّا أن تُتِمَّها بثلاثة آلاف فتصيرَ عشرةً ، أو تَنْقُصَنى منها ألفين فتصير خمسة آلاف ، فإنّى لا أُحْسِنُ حسابَ السبعة . فقال : قد جعلتُها خمسة . قال : أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنتَ . فعبث به المهدىُّ ساعةً ثم تكلّمتْ فيه رَيْطةُ فأتمّها له عشرةَ آلافِ درهم .

أنشد المهدى شعره فى نخاس فضحك منـــه

أخبرنى الحسين بن علىّ عن حمّاد عن أبيه قال :

مرَّ أبو دُلامة بنخَّاس يَبيع الرقيــقَ ، فرأى عنـده منهنّ من كل شيءٍ حَسَنٍ . فانصرف مهموماً ، فدخل إلى المهدى فأنشده :

إن كنتَ تَبْغِى العيشَ حُلْواً صافياً * فالشعرَ أَغْزِبْه وكن نخّاسا
تَنَلِ الطّرائفَ من ظِرافٍ نُهَّدٍ * يُحْـدِثْنَ كلَّ عَشِـيَّةٍ أعْراسا
والربحُ فيما بين ذلك راهنٌ * سَمْحًا ببيـعك كنتَ أو مكَّاسا[2]
دارتْ على الشعراء حِرْفةُ نَوْبةٍ[3] * فتجزّعوا من بعد كأسٍ كاسا

(١) الحجلة : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور . (٢) مكس فى البيع يمكس (من باب ضرب) : نقص الثمن . والمراد هنا المشاحة فى البيع والشراء . (٣) لعل صوابها : «نوبة حرفة» .

وتَسَرْبَلُوا قُمُصَ الكَسَا ـلِ فحاوِلُوا * بالنَّخْسِ كَسْبًا يُذْهِبُ الإفلاسا

فجعل المهديّ يضحك منه .

لفق رؤيا للمنصور وأخذ منه ثيابا

نسختُ من كتاب ابن النطّاح قال :

دخل أبو دُلَامةَ على المنصور فأنشده :

٥ رأيتُك في المنام كسوتَ جِلْدى * ثيابًا جَمَّـةً وقضَيْتَ دَيْنى

فكان بَنَفْسَجِيُّ الخَزِّ فيها * وساجٌ[1] ناعمٌ فأتمَّ زَيْنى

فصدِّقْ يا فَدَتْك النفسُ[2] رؤيا * رأتْها في المنام كذاك عَيْنى

فأمر له بذلك وقال له : لا تَعُدْ أن تَحَلَّمَ[3] علىَّ ثانيةً، فأجْعَلَ حُلُمَك أضغاثًا ولا أُحَقِّقَه .

حبسه المنصور لسكره فبعث له من الحبس شعرا فعفا عنه

ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكِر وانصرف وهو يميل .

١٠ فلقيه العَسَسُ فأخذوه، وقيل له : من أنت وما دِينُك؟ فقال :

دِينى على دِين بنى العَبّاسِ * ما خُتِم الطينُ على القِرْطاسِ

إنّى اصطبحتُ أربعًا بالكاس * فقد أدار شُرْبُها براسى

* فهل بما قلتُ لكم من باس *

فأخذوه ومَضَوْا، وخرّقوا ثيابَه وساجَه وأُتِىَ به أبو جعفر — وكان يُؤتَى بكلِّ مَنْ أخذه

١٥ العَسَسُ — فحبسه مع الدَّجاج في بيت . فلمّا أفاق جعل ينادى غلامَه مَرَّةً وجاريتَه أخرى فلا يجيبه أحد، وهو في ذلك يسمع صوتَ الدَّجاج وزُقَاءَ الدُّيوك . فلمّا أكثر قال له السَّجّان : ما شأنك ؟ قال : وَيْلَك مَنْ أنتَ وأين أنا ؟ قال : في الحبس، وأنا فلان السَّجّانُ . قال : ومَنْ حبَسنى ؟ قال : أميرُ المؤمنين . قال :

(١) الساج : الطيلسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المقور ينسج كذلك . وفي الأساس : « لبسوا

٢٠ السيجان وهي الطيالسة المدوّرة الواسعة » . (٢) في ب ، س : « الناس » .

(٣) تحلّم فلان : قال حلمت بكذا وهو كاذب .

ومَنْ خرَق طَيْلَسانى ؟ قال : الحَرَس. فطلب منه أن يأتيَه بدواةٍ وقِرْطاس ففعل، فكتب إلى أبى جعفر :

أميرَ المؤمنين فدَتْك نفسى * عَلَامَ حبستَنى وخرَقْتَ ساجى

أمِنْ صَفْراءَ صافيةِ المِزاجِ * كأنّ شُعاعَها لَهَبُ السِّراج

وقد طُبِخَتْ بنار الله حتّى * لقد صارت من النُّطَف النِّضاج (1)

تَهَشّ لها القلوب وتشتهيها * إذا بَرَزَتْ تَرَقْرَقُ فى الزُّجاج (2)

أقاد إلى السُّجُون بغير جُرْمٍ * كأنّى بعضُ عُمّال الخَراج

ولو معهم حُبِستُ لكان سهلًا * ولكنّى حُبِسْتُ مع الدَّجاج

وقد كانت تُخَبِّرنى ذنوبى * بأنّى من عِقابك غيرُ ناجى

على أنى وإن لاقيتُ شرًّا * لخيرك بعد ذاك الشَّرِّ راجى

فدَعَا به وقال : أين حُبِسْتَ يا أبا دُلَامة؟ قال : مع الدَّجاج . قال : فما كنت تصنع؟ قال : أُقَوْقِى معهنّ حتى أصبحتُ . فضحك وخَلَّى سبيلَه وأمر له بجائزة . فلمّا خرج قال له الرَّبيع : إنه شرِب الخمرَ يا أميرَ المؤمنين. أمَا سمعتَ قولَه "وقد طبخت بنار الله" (يعنى الشمس) . فأمر بردِّه ثم قال : يا خبيث شرِبتَ الخمرَ؟ قال لا . قال : أفلم تقل "طُبِخَتْ بنار الله" تعنى الشمس. قال : لا والله ماعَنَيْتُ إلّا نارَ الله المُوقَدة التى تَطَّلِعُ على فؤاد الرَّبيع. فضحك وقال : خُذْها يا ربيع ولا تعاود التعرُّض.

لقى رؤيا لتمار وأخذ منه تمرا

قال ابن النطَّاح : ومرَّ أبو دُلامةَ بتَمّار بالكوفة فقال له :

رأيتُك أطعمتنى فى المنامِ * قَوَاصرَ من تَمْرِك البارحهْ (3)

(1) النطفة : الماء الصافى قل أو كثر . (2) فى أ ، م : « برقت » . وترقرق : تلألأ أى تجىء وتذهب . (3) قواصر : واحدها قوصرة ، وهى وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارى .

فأمُّ العيـال وصِـبْيانُها * إلى البـاب أعينُهم طامحهْ

فأعطاه جُلَّتَىْ تمر[1] وقال له : إنْ رأيتَ هذه الرؤيا ثانيةً لم يَصحَّ تفسيرُها . فأخذهما وانصرف .

هنأ المهدى بقدومه من الرى فلا حجره دراهم

وقال آبنُ النطّاح :

لمّـا قدِم المهدىّ من الرَّىّ دخل عليه أبو دُلَامةَ فأنشأ يقول :

إنّى نَذَرتُ لئن رأيتُك سالمًـا * بقُرَى العراق وأنت ذو وَفْرِ

لَتُصَـلِّيَنَّ على النبىّ محمـدٍ * ولتملأَنَّ دراهمًا حِجْرى

فقال : صلّى الله عليه وسلم، وأمّا الدراهم فلا . فقال له : أنت أكرمُ من أن تُفَرِّق بينهما ثم تختارَ أسهلَهما . فأمر بأن يُملأَ حِجْرُه دراهم .

ومِثْلُ هذا و إن لم يكن منه ما حدّثنى به الحسنُ بن علىّ عن أحمد بن الحارث عن المدائنىّ قال :

قدِم المُهَلَّبُ من بعض غَزَواته ، فلَقِيَتْه عجوزٌ من الأَزْد فقالت : أيُّها الأمير، أسألك بالله والرَّحِم إلّا وقفتَ فوقَف ، فدَنَتْ وقبّلتْ يدَه وقالتْ : هذا نَذْرٌ كان علىّ، إنّى نذرتُ علىّ لله أن أُقَبِّل يدَك إن قَدِمتَ سالمًـا وتَهَبَ لى أربعمائة درهم وجاريةً صُغْدِيَّةً تخدُمنى . فضحك وقال : أمّا نحن فقد وَفَّيْنا بنَذْرِك ؛ ادفعوا إليها ذلك، و إيّاكِ ياأمّاه وهذه النُّذورَ؛ فليس كلُّ أحد يَفِى لكِ بها و يَنْشَط لتحليلكِ منها .

ضجر من الصوم والحر فكتب للمهدى شعرا تعجل جائزته

قال آبن النطّاح :

وصام النـاسُ فى سنة شـديدة الحرّ على عهد المهدىّ ، وكان أبو دُلامة يتنجّزُ جائزةً أَمَر له المهدىّ بها . فكتب إليه أبو دُلَامة رُقْعَةً يشكو فيها أذى الحَرِّ والصوم وهى :

(١) الجلة (بالضم) : قفة كبيرة للتمر .

أدعوك بالرَّحم التى هى جَمَّعَتْ * فى القُرْبِ بين قَرِيبِنا والأبْعَدِ
إلّا سمعتَ وأنت أكرمُ مَنْ مَشَى * من مُنْشِدٍ يرجو جزاءَ المُنْشَدِ
جاء الصيامُ فصُمْتُه متعبِّدًا * أرجو رجاءَ الصائم المتعبِّدِ
ولَقِيتُ من أمر الصّيام وحَرّه * أمرين قِيسَا بالعذاب المؤصَدِ (١)
وسجدتُ حتى جَبْهَتِى مشجوجةٌ * مما يُناطحنى الحَصا فى المسجد
فأمْنُنْ بتسريحى بمَطْلِك بالذى * أسْلَفْتَنِيه من البَلاء المُرْصَدِ

فلمّا قرأ المهدىّ رُقْعَتَه غَضِب وقال : يا عاضّ كذا من أُمّه أىُّ قَرابةٍ بينى وبينكَ؟! قال : رَحِمُ آدمَ وحَوّاء، أَنَسِيتَهما يا أميرَ المؤمنين! فضحك وقال : لا والله ما نسيتُهما؛ وأَمَر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه . وأخبرنى بهذا الخبر الحسن بن علىّ قال حدّثنا الخُزَاعىّ عن المدائنىّ وزاد فيه قال : وأنشده أيضًا فى ذمّ الصَّوْم :

هل فى البلاد لرزق الله مُفْتَرَشُ * أم لا ففى جِلْده من خُشْنةٍ بَرَشُ

— يعنى أنّ جِلْدَ الرِّزق خَشِن المَلْمَس (٢) فهو يُحْتَرش (٣) كما يُحْتَرش الضَّبُّ — الشِّعْر :

أضحى الصِّيامُ مُنِيخًا وَسْطَ عَرْصتِنا * ليت الصيامَ بأرض دونَها حَرَشُ (٤)
إن صُمْتُ أَوْجَعَنى بطنى وأقْلَقنى * بين الجوانح مَسُّ الجوع والعَطَشُ
وإن خرجتُ بليلٍ نحوَ مسجدهم * أضرَّنى بَصَرٌ قد خانه العَمَشُ

١٣١
٩

عزى أم سلمة بنت يعقوب فى السفاح فأضحكها

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ عن أحمد بن زُهَيْر عن الزُّبَيْر عن عمّه، ونسخت من كتاب ابن النطّاح قال اليزيدىّ فى خبره :

(١) المؤصد : المطبق . (٢) فى الأصول : « الملبس » بالباء . (٣) احترش الضب وحرشه : صاده ، وهو أن يحرك يده على جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه . ومنه المثل : « أتعلمنى بضب أنا حرشته » يخاطب به العالم بالشيء من يريد تعليمه . (٤) الحرش (بالتحريك) لغة : الخشونة . يتمنى لو كان بينه وبين الصوم من غلظ الأرض وحزونتها ما يحول دونه .

دخل أبو دُلامة على رَيْطة بعد وفاة المهديّ، وقال ابن النطّاح: دخل على أمّ سَلَمة[1] بنت يعقوب بن سَلَمة بعد وفاة أبى العبّاس، وهو الصحيح، فعزّاها به وبكى وبكتْ معه، ثم أنشدها:

مَنْ مُجْمِلٌ فى الصبر عنكَ فلم يكن * صبرى عليكَ غَداةَ بِنْتَ جميلا

يجدون أبدالًا به وأنا امرؤٌ * لو مُتُّ وَجْدًا ما وجدتُ بديلا

إنّى سألتُ الناس بعدَك كلَّهم * فوجدتُ أجْودَ مَنْ سألتُ بخيلا

فقالت أمّ سَلَمة: لم أرَ أحدًا أُصيب به غيرى وغيرَك يا أبا دلامة. فقال: ولا سَوَاءَ يرحمك الله، لكِ منه ولد وما ولدتُ أنا منه. فضحكتْ — ولم تكن منذ مات أبو العبّاس ضحكتْ إلا ذلك الوقتَ — وقالت له: لو حدّثتَ الشيطانَ لأضحكتَه.

خدع المهدى بموت زوجته وخدعت زوجته الخيزران بموته كذلك فضحكا منهما

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا الغَلَابىّ قال حدّثنا عبد الله بن الضحّاك قال:

دخل أبو دُلامة على المهديّ وهو يبكى. فقال له: مالك؟ قال: ماتت أمّ دُلَامة، وأنشده لنفسه فيها:

وكنّا كزَوْجٍ من قَطًا فى مَفَازةٍ * لدى خَفْضِ عَيْشٍ ناعمٍ مُؤْنِقٍ رَغْدِ

فأفردنى رَيْبُ الزمانِ بصَرْفه * ولم أرَ شيأ قطُّ أوْحَشَ من فَرْدِ

فأمر له بثياب وطِيب ودنانير، وخرج. فدخلتْ أمّ دُلَامة على الخيزُران فأعلمتْها أنّ أبا دُلامة قد مات، فأعطتْها مِثْلَ ذلك، وخرجتْ. فلمّا التقى المهديّ والخيزُران عَرَفا حيلتَهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه.

(١) أم سلمة: هى أم سلمة المخزومية امرأة الخليفة أبى العباس السفاح، وتزوجها بعده عبد الله ابن عبد الحميد المخزومى. (انظر الأغانى ج ٤ ص ٣٣٤ من هذه الطبعة).

فرض له المنصور على كل هاشمى عطاء فنقصه العباس بن محمد دينارين فذمه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة، ونسختُ أنا من كتاب ابن النطّاح قال :

دخل أبو دُلامةَ على المنصور فأنشده :

أمَا وربِّ العادياتِ ضَبْحَا(1) * حقًّا وربِّ المُورياتِ قَدْحَا

إنّ المُغيراتِ علىَّ صُبْحَا * والناكئاتِ(2) من فؤادى قَرْحَا(3)

عَشْرُ ليالٍ بينهن ضَبحا(4) * يَحْلُفْنَ(5) مالى كلَّ عامٍ صبحا

فقال له أبو جعفر : وكم تذبح يا أبا دُلامة ؟ قال : أربعا وعشرين شاة . ففرض له على كل هاشمىّ أربعةً وعشرين دينارا، فكان يأخذها منهم . فأتى العباسَ بن محمد فى عَشْر الأضْحَى يتنجّزها . فقال : يا أبا دُلامة، أليس قد مات ابنُك؟ قال بلى . قال : انْقُصُوه دينارين . قال : أصلح الله الأميرَ لا تفعل، فإنه ترك علىّ ولدين . فأبى إلّا أن يَنْقُصَه . فخرج وهو يقول :

أخطاك ما كنتَ ترجوه وتأمُلُه * فاغْسِلْ يديك من العبّاس بالياس

واغسِلْ يديك بأُشْنانٍ(6) فأنقِهما * ممّا تؤمّل من معروف عبّاس

جزاك ربُّك ياعبّاسُ عن فَرَجٍ * جَنّاتِ عَدْنٍ وعنّى جُرْزَتَىْ(7) آس

(1) الضبح : صوت أنفاس الخيل إذا عدت ليس بصهيل ولا حمحمة . (2) نكأ القرح : قشره قبل أن يبرأ فيندى . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة؛ ففى حـ : « الناكثات » . وفى أ، م : «الناكبات» . وفى ب، سـ : «الفاتكات» . (3) فى الأصول : «قدحا» بالدال، وهو تحريف . (4) فى أ، م : « صبحا » بالصاد المهملة . وهى فى كلتا صورتيها غير واضحة . (5) يحلفن : يستأصلن . وفى ب، سـ : « يتلفن » . وفى سائر الأصول : « يحلفن » بالحاء المهملة . وهو مصحف عما أثبتناه، كما يحتمل أن يكون مصحفا عن « يحلقن » بالقاف بمعنى يستأصلن أيضا . (6) الأشنان (بالضم) : حمض تغسل به الأيدى . (7) الجرزة : الحزمة .

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، وآغتاظ على العبّاس، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين دينارًا أخرى . هذه رواية يزيد . وأمّا آبنُ النطّاح فإنه ذكر أن الذى نقصه الدينارين علىُّ بن صالح وقال له : إنما نَقَصْتُك دينارين لموت آبنك دُلامة. فحَلَف ألّا يأخذ إلّا خمسين دينارا ، ثم قام مُغْضَبًا ،فأَتْبعه الرسولَ فأعطاه إيّاها. فقال له : أَوْلَى لَهُ[(١)] . أمّا ما سبق فلا حيلةَ فيه ، والمستأنَف فقد أمِنه . وقد كان قال فيه :

قيل إن هذه القصة مع على بن صالح

لعلىِّ بنِ صالح بن علىٍّ * نَسَبٌ لو يُعِينه بسَماح

وبنو مالكٍ كثيرٌ ولكن * ما لنا فى بقائهم من فَلَاح

غيرَ فَضْلٍ فإنّ للفَضْلِ فضلًا * مستبينًا على قُرَيْشِ البِطَاح

تخاصم الى عافية القاضى وداعبه

أخبرنى محمد بن أحمد عن محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ قال :

خاصم رجلٌ أبا دُلامةَ فى داره ، فآرتفعا إلى عافيةَ القاضى ؛ فأنشأ أبو دُلامة يقول :

لقد خاصمتْنى دُهاةُ الرِّجالِ * وخاصمتُها سَنَةً وافيهْ

فما أَدْحض اللهُ لى حُجّةً * ولا خيّب اللهُ لى قافيهْ

ومَنْ خفتُ من جَوْرِه فى القضاء * فلستُ أخافُك يا عافيهْ

فقال له عافيةُ : أمَا واللهِ لأشكونّك إلى أمير المؤمنين ولأُعلمنّه أنك هَجَوْتَنى . قال : إذًا يَعْزِلَك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنك لاتعرف المديح من الهجاء. فبلغ ذلك المنصورَ فضحك وأمر لأبى دُلامة بجائزة .

(١) أولى له : معناها التهدد والتوعد .

أمره المهدى بهجاء أحد الحضور فهجا نفسه

أخبرنى محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المَدائنىّ قال :

دخل أبو دُلامة على المهدىّ وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعبّاس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بنى هاشم . فقال له : أنا أعطى اللهَ عهدًا لئن لم تَهْجُ واحدًا ممّن فى البيت لأقطعنّ لسانك — ويقال إنه قال : لأضربنّ عُنُقَك — فنظر إليه القوم، فكلّما نظر إلى واحد منهم غمزه بأنّ عليه رِضاه . قال أبو دلامة : فعلمتُ أنّى قد وقعتُ وأنها عَزْمَةٌ من عَزَماته لا بدّ منها، فلم أرَ أحدًا أحقّ بالهجاء منّى، ولا أَدْعَى إلى السلامة من هجاء نفسى، فقلت :

ألَا أبْلِغْ إليك أبا دُلَامَهْ * فليس من الكرام ولا كَرامهْ
إذا لبس العِمامةَ كان قِرْدًا * وخِنزيرًا إذا نزَع العِمامهْ
جمعتَ دَمامةً وجمعتَ لؤمًا * كذاك اللُّؤم تَتبعه الدَّمامهْ
فإنْ تك قد أصبتَ نعيمَ دُنْيا * فلا تَفْرَحْ فقد دَنَتِ القيامهْ

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلّا أجازه .

قال شعرا فى المهدى وعلى بن سليمان وقد خرجا للصيد فأصاب الأول وأخطأ الثانى

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير عن عمّه قال :

خرج المهدىّ وعلىّ بن سليمان إلى الصَّيد، فسَنح لهما قَطيعٌ من ظِباء، فأُرْسِلَتِ الكلابُ وأُجريتِ الخيلُ، فرمى المهدىُّ ظبيًا بسهم فصرَعه، ورمى علىُّ بن سليمان فأصاب بعضَ الكلاب فقتله . فقال أبو دُلامة :

قد رمى المهدىّ ظبيًا * شَكَّ بالسهم فُؤادَهْ
وعلىُّ بن سليما * ن رمى كلبًا فصادَهْ
فهنيئًا لهما كلُّ امرئٍ يأكل زادَهْ

فضحك المهدىّ حتى كاد أن يسقُط عن سَرْجه، وقال : صدَق والله أبو دُلامة ، وأمر له بجائزة سَنيّة . أخبرنى بهذا الخبر عمّى عن الكُرَانىّ عن العُمَرىّ عن الهيثم بن عَدىّ فذكر مثل ما ذكره وقال فيه : فلُقِّب علىّ بن سليمان "صائدَ الكلب" وعلِق به .

١٣٣ / ٩

أنشد المنصور شعرا فأعطاه دارا وكسوة ثم احتاج الى الدار وعوّضه بدلها

قال ٱبنُ النطّاح : وأنشد أبو دُلامة المنصورَ يومًا :

هاتيك والدتى عجوزٌ هِمّةٌ(١) * مثلُ البَليّة دِرْعُها فى المِشْجَبِ(٢)

مهزولةُ اللَّحْيين(٣) مَنْ يرَها يقُلْ * أبصرتُ غُولًا أو خيالَ القُطْرُبِ(٤)

ما إن تركتُ لها ولا لابنٍ لها * مالًا يؤمِّل غيرَ بَكْرٍ أجرَبِ

ودجاجَتًا(٥) خمسًا يرُحْنَ إليهمُ * لمّا يبِضْنَ وغيرَ عَيرٍ(٦) مُغْرِبِ

كتبوا إلىّ صحيفةً مطبوعةً(٧) * جعلوا عليها طِينةً كالعقرَبِ

فعلمتُ أنّ الشرّ عند فَكاكِها * ففككتُها عن مثلِ رِيح الجَوْرَبِ

وإذا شبيهٌ بالأفاعى رُقِّشَتْ * يُوعِدْنَنى بتلمُّظٍ وتَثَؤُّبِ(٨)

يشكون أنّ الجوعَ أهلك بعضَهم * لَزَبًا(٩) فهل لكَ فى عيالٍ لُزَّبِ

لا يسألونك غيرَ طَلِّ سحابةٍ * تغشاهمُ من سَيْلك المُتحلِّبِ

يا باذلَ الخيراتِ يابنَ بَذُولِها * وٱبنَ الكرام وكلِّ قَرْمٍ مُنْجِبِ

أنتم بنو العبّاس يُعلَم أنكم * قِدْمًا فوارسُ كلِّ يومٍ أشْهَبِ

(١) الهمة : العجوز الفانية . (٢) المشجب (ومثله الشجاب) : خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر . يريد أن أمه فنيت حتى أشبهت خشبات المشجب . (٣) اللحى : عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان . (٤) القطرب هنا : ذكر الغيلان أو الصغير من الجن . (٥) يجوز فى تابع المستثنى بغير مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى . وقد روعى هنا المعنى . (٦) العير (بالفتح) : الحمار . والمغرب : الذى اشتد بياضه حتى تبيضّ محاجره وأرفاغه . (٧) مطبوعة : مختومة . (٨) فى الأصول «وتثاؤب» ويقال لغة تثاءب وتثأب بالتضعيف . وقد آثرنا الثانية لأنه على رواية الأصول تكون فى القافية ألف الأساس ، وإذا كانت لزمت فى القصيدة كلها . (٩) اللزب (بالتحريك) : ضيق العيش .

أَحْلَاسُ[1] خيلِ الله وهى مُغيرةٌ * يَخْرُجْنَ من خَلَلِ الغُبارِ الأَكْهَبِ[2]

قال : فأمر له بدارٍ يسكنها وكُسوة ودراهمَ. وكانت الدار قريبةً من قصره، فأمر بأن تزاد فى قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها . فدخل عليه أبو دُلامة فأنشده قولَه :

يابنَ عمّ النبيّ دعوة شَــيخٍ * قــد دنا هَــدْمُ داره ودَمَارُهْ

فهو كالماخض التى اعتادها الطَّلْـ * ـقُ فقَــرّتْ وما يَقَــرُّ قَــرارُه

إن تحُزْ عُسْرَهُ بكفّيكَ يومًا * فبكفّيــكَ عُسْرُه ويسارُه

أو تَدَعْــه فللبَــوار، وأنّى * ولمــاذا وأنت حَىٌّ بَــوارُه

هل يخاف الهَلاكَ شاعرُ قومٍ * قَدُمتْ فى مديحهم أشعارُه

لكمُ الأرضُ كلُّها فأعــيروا * شيخَكم ما احتوى عليه جِدارُه

فكأنْ قد مَضَى وخلَّف فيكم * ما أعَرتُم وأقفرتْ منــه دارُه

فاستعبر المنصورُ، وأمر بتعويضه داراً خيرًا منها ووصله .

عابه عند المهدى محرز ومقاتل ابنا ذؤال فهجاهما بحضرته

قال ابن النطّاح :

ودخل أبو دُلامة على المهدىّ وعنده مُحْرِز ومُقَاتِل ابنا ذُؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دُلامة ويَعيبانه عنده . فقال أبو دُلامة :

ألَا أيُّهــا المهدىّ هل أنت مُخْبِرِى * وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلِ

ألم تَرْحَــمِ اللَّحْيَيْنِ مــن لِحْيَتَيهما * وكلتاهمــا فى طولهــا غــيرُ طائلِ

وإن أنت لم تفعل فهل أنت مُكْرِمِى * بحَلْقِهما مــن مُحْــرِزٍ ومُقَــاتِلِ

فإنْ يأذَنِ المهدىُّ لى فيهما أقُلْ * مقالًا كوقع السيف بين المفــاصلِ

وإلّا تَدَعْــنى[3] والهمومُ تَنُــوبنى * وقلبى مــن العِلْجَيْن جَمُّ البلابلِ

(١) أحلاس الخيل هنا : الملازمون ظهورها . (٢) الكهبة : غبرة مشربة سوادا .

(٣) فعل الشرط محذوف أى وإلا تفعل تدعنى .

فقال : أو آخُذُ لك منهما عشرةَ آلاف درهم يَفْدِيان بها أعراضَهما منك ؟ قال : ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

مدح سعيد بن دعلج فأجازه

قال ابن النطّاح :

ودخل أبو دُلامة على سَعيد بن دَعْلَج[1] مولى بنى تَميم فقال :

إذا جئتَ الأميرَ فقُلْ سلامٌ * عليك ورحمةُ الله الرحيمِ

وأمّا بعد ذاك فلى غريمٌ * من الأعراب قُبِّح من غريمِ

غريمٌ لازمٌ بفِناء بيتى * لزومَ الكلب أصحابَ الرَّقيم[2]

له مائةٌ علىّ ونصفُ أُخرى * ونِصْفُ النِّصْفِ فى صَكٍّ قديمِ

دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن * وصلتُ بها شيوخَ بنى تَميمِ

أتَوْنى بالعَشيرة يسألونى * ولم أكُ فى العَشيرة باللَّئيمِ

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد كافأتك عن قومك وزدتُك مائةً .

(١) كان أميرا على شرطة البصرة وأحداثها لأبى جعفر المنصور، ثم ولى البحرين له أيضا وعزله بعد ذلك . وولى للمهدى طبرستان وعزله عنها . (انظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦ و ٧ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٩ و ٤١)

(٢) قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) : « الرقيم اسم كلبهم ، قال أمية بن أبى الصلت :

وليس بها إلا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم فى الكهف همّد

وقيل هو لوح من رصاص رقت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف ، وقيل إن الناس رقوا حديثهم نقرا فى الجبل ، وقيل : هو الوادى الذى فيه الكهف ، وقيل الجبل ، وقيل قريتهم ، وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين » . وفى اللسان مادة رقم : « قال أبو القاسم الزجاجى فى الرقيم خمسة أقوال : أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتبت فيه أسماؤهم . الثانى أنه الدواة بلغة الروم عن مجاهد . الثالث القرية عن كعب . الرابع الوادى . الخامس الكتاب عن الضحاك وقتادة ، وإلى هذا القول يذهب أهل اللغة » .

داعب المنصور في جنازة بنت عمه حتى ضحك

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير عن جعفر بن الحسين اللِّهبىّ عن عمّه مُصعَب :

أنّ حَمّادةَ بنت عيسى تُوفِّيَتْ وحضر المنصورُ جنازتَها . فلمّا وقف على حُفرتها قال لأبى دُلامة : ما أعددتَ لهذه الحفرة؟ قال : بنتَ عمّك يا أمير المؤمنين حَمّادة بنت عيسى يُجاء بها الساعةَ فتُدْفَنُ فيها . فضحك المنصور حتى غُلِب فستَر وجهه . ٥

سأل الخيزران جارية فوعدته بها وأبطأت فاستنجزها بشعر، وقصة زوجته وابنه مع هذه الجارية

أخبرنى عمّى رحمه الله تعالى قال حدّثنا محمد بن سعد الكُرانىّ قال قال أبو عمر حَفْص بن عمر العُمَرىّ حدّثنا الهَيْثَم قال :

حَجّت الخَيْزُرانُ، فلمّا خرجتْ صاح بها أبو دُلامةَ . قالت : سَلُوه ما أمرُه . فقالوا له : ما أمرُك؟ فقال : أدْنُونى من مَحْمِلها . قالتْ : أدنوه، فأُدْنِىَ . فقال : أيّتها السيّدة، إنّى شيخ كبير وأجرُكِ فىّ عظيم . قالت : فَمَهْ . قال : تَهَبِينَ لى جاريةً من ١٠ جواريكِ تؤنسنى وترفُق بى وتُريحنى من عجوز عندى ، قد أكلتْ رِفْدى ، وأطالت كَدّى ، وقد عاف جلدى جلدَها ، وتمنّيتُ بُعْدَها ، وتشوّقت فَقْدَها . فضحكتِ الخَيْزُرانُ وقالت : سوف آمرُ لك بما سألتَ . فلما رجعتْ تلقّاها وذكّرها ، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غَرِض[1] . ثم دخل على أُمّ عُبَيدةَ حاضنة موسى وهارون، فدفع إليها رُقعةً قد كتبها إلى الخَيْزُران فيها : ١٥

أَبْلِغى سيّدتى بالله يا أُمَّ عُبَيدَهْ
أنها أَرْشَدها اللهُ وإن كانت رشيدهْ
وَعَدتْنى قبل أن تخ * ـرج للحجّ وَليدهْ
فتأنّيتُ وأرسلـ * ـتُ بعشرين قصيده

(١) غرض : ضجر وملّ . ٢٠

كلّما أخلقن[1] أخلفـ * ـتُ لها أخرى جديده

ليس في بيتي لتمهيـ * ـد فراشي من قعيده

غيرُ عجفاءَ عجـوزٍ * ساقُها مثلُ القديده

وجهُها أقبحُ من حو * تٍ طَرِيٍّ في عَصيده

ماحياةٌ مـع أنثى * مثلِ عِرسي بسعيده

١٣٥ / ٩

٥

فلمّا قُرِئتْ عليها الأبياتُ ضحكتْ واستعادتْها منه لقوله «حُوت طَرِيّ في عصيده» وجعلتْ تضحك، ودعت بجارية من جواريها فائقة فقالت لها : خُذي كل مالَكِ في قصري ففعلتْ، ثم دعت ببعض الخدم وقالت له : سَلِّمْها إلى أبي دُلامة . فانطلق الخادمُ بها فلم يصادفه في منزله . فقال لامرأته : إذا رجَع فادفعها إليه، وقولي له : تقول لك السيِّدةُ : أحسِنْ صُحْبَةَ هذه الجارية فقد آثرْتُك بها؛ فقالت له نعم . فلمّا خرج دخل ابنُها دُلامةُ فوجد أُمَّه تبكي . فسألها عن خبرها فأخبرتْه وقالت : إن أردتَ أن تبَرَّني يومًا من الدهر فاليوم . فقال : قُولي ما شئتِ فإني أفعله . قالت : تدخل عليها فتُعلِمُها أنّك مالِكُها وتَطَؤُها فتَحْرُم عليه، وإلّا ذهبتْ بعقله وجفاني وجفاك . ففعل ودخل إلى الجارية فوطِئها ووافقها ذلك منه، وخرج . ثم دخل أبو دُلامةَ فقال لامرأته : أين الجارية ؟ قالت : في ذلك البيت . فدخل إليها شيخٌ محطَّمٌ ذاهبٌ، فمدّ يدَه إليها وذهب ليقبِّلها . فقالت له : مالَكَ وَيْلَك ! تنحَّ وإلّا لطمتُك لَطْمةً دقَقْتُ منها أنفَك . فقال لها : أبهذا أوصَتْك السيِّدة ! . فقالت : إنّها قد بعثتْ بي إلى فتًى من حاله وهيئته كيت وكيت، وقد كان عندي آنفًا ، ونال منّي حاجته . فعلِم أنه قد دُهِيَ من أُمِّ دُلامَةَ وابنها . فخرج إليه أبو دُلامة فلطَمه ولبَّبه[2] وحلف

١٠

١٥

(١) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « أخلفن » بالفاء الموحدة .

(٢) لبه : أخذ بتلبيبه أي جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثم جرّه .

٢٠

ألّا يفارقه إلّا عند المهدىّ . فمضى به مُلَبَّباً حتى وقف على باب المهدىّ . فعُرِّف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله . فلمّا دخل قال له : مالك وَيْلك ؟! قال : عَمِل بى هذا ٱبنُ الخبيثة ما لم يعمل ولدٌ بأبيه، ولا تُرضينى إلّا أن تقتله . فقال له: وَيْلَك فما فعل؟ فأخبره الخبر. فضحك حتى ٱستلقَى ثم جلس . فقال له أبو دُلامةَ: أعجبك فعلُه فتضحَكَ منه؟ فقال : علىَّ بالسيف والنِّطْع . فقال له دُلامةُ : قد سمعتَ حُجَّتَه يا أمير المؤمنين فٱسمعْ حُجَّتى. قال : هاتِ . قال : هذا الشيْخ أصْفَقُ الناس وجهًا، يَنيك أُمّى منذ أربعين سنة ما غَضِبتُ، ونكتُ جاريتَه مَرّة واحدة فغضب وصنَع بى ما تَرى! فضحك المهدىّ أكثرَ من ضحكه الأوّل، ثم قال : دَعْها له يا أبا دُلامة وأنا أُعطيك خيرًا منها. قال : على أن تخبأها لى بين السماء والأرض، وإلّا ناكها والله كما ناك هذه . فتقدّم إلى دُلامة ألّا يُعاوِد بمثل فعله، وحلَف أنه إن عاود قتَله، ووهَب له جاريةً أُخرى كما وعده .

سأله المهدى عن شاعر فأطراه فأجازه لحسن محضره

وقال ٱبن النطّاح :

دخل أبو دُلَامةَ على المهدىّ وعنده شاعرٌ يُنْشده . فقال له : ما تَرى فيه؟ قال : إنه قد جَهَد نفسَه لك فٱجْهَدْ نفسَك له . فقال المهدىّ : وأبيك إنها لكلمةٌ عَذْراءُ منك، أحسَبك تعرفه! قال : لا والله ما عرفتُه ولا قلت أنا إلّا حقًّا . فأمر للشاعر بجائزة، ولأبى دُلامة بمثلها لحسن مَحْضَره .

خلع عليه العقيلى من ثيابه التى عليه

قال ٱبن النطّاح وحدّثنى أبو عبد الله العُقَيلىّ قال :

رأيتُ على أبى دُلامة فَرْوةً فى الصَّيف، فقلتُ له: ألّا تَملُّ هذه الفروةَ! قال : بلى، وربَّ مملولٍ لا يُستطاع فِراقُه. فنزعتُ فاضلَ ثيابى فى موضعى ودفعتُها إليه .

فزع من رؤية الفيل وقال فيه شعرا

قال : وأُهْدِىَ للمهدىّ فيلٌ، فرآه أبو دُلامة فولّى هاربًا وقال :

يا قوم إنى رأيتُ الفيلَ بعدَكمُ * لا بارك اللهُ لى فى رؤية الفيلِ

أبصرتُ قصرًا له عينٌ يقلّبهـا * فكدتُ أرمي بسَلْحي في سَرَاويلي

١٣٦ / ٩

قال ٱبنُ النطّاح :

أنشد المهدى شعرا في بغلته واستوهبه أخرى غيرها

ودخل أبو دُلامة على المهدىّ فأنشده قصيدتَه في بغلته المشهورة :

أتاني بَغْـلَةً(١) يَسْـتامُ(٢) مِنِّي * عريقٌ في الخَسارة والضَّلال

٥ فقال تبيعها؟ قلت ٱرْتَبِطْها * بحكمك إن بيـعي غيرُ غالي

فأقبل ضاحكًا نحوي سرورًا * وقال أراك سَمْحًا ذا جَمـال

هَـلُمَّ إليّ يخـلو بي خداعًا * وما يَدْرِي الشَّقيُّ بمن يُخالي

فقلتُ بأربعين فقال أحسنْ * إليّ فإن مثـلك ذو سِجَـال(٣)

فأَتْرُكُ خمسـةً منهـا لعلمي * بمـا فيه يصـير من الخَبال

١٠ فقال المهدىّ : لقد أفلتَّ من بَلاءٍ عظيم . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثتُ شهرًا أتوقّع صاحبَها أن يَرُدَّها . قال : ثم أنشده :

فأبدلْني بهـا يا ربِّ طِرْفًا(٤) * يكون جَمالُ مَرْكَبِه جَمـالي

فقال لصاحب دوابّه : خَيِّره من الإصطَبْل مَرْكَبين(٥) . قال : يا أمير المؤمنين إن كان الاختيارُ لي وقعتُ في شرٍّ من البغلة، ولكن مُرْهُ أن يختار لي، فقال : ٱخْتَرْ له .

١٥ وأخبرني به عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ، وخبرُه أتمّ .

احتال على العباس ابن محمد بشعر وأخذ منه ألفي درهم وكان راهن المهدى على ذلك فأخذ منه ستة آلاف

وأخبرني محمد بن خَلَف عن أحمد بن الهَيْثم عن العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَديّ قال : دخل أبو دُلامةَ يومًا على المهديّ، فحادثه ساعةً وهو يضحك وقال له : هل بقي أحدٌ من أهلي لم يَصِلْك ؟ قال : إن أَمَّنْتَني أخبرتُك، وإن أعفيتَني فهو أحبُّ إليّ . قال : بل تُخبرني وأنت آمنٌ . قال : كلُّهم قد وصَلني إلّا حاتمَ بني العبّاس . قال :

٢٠ (١) في جـ : «أتاني خائب» . (٢) استام : طلب السوم أي تعيين الثمن . (٣) السجال هنا : المباراة والمساجلة يريد أنه لا يماكس في الثمن . (٤) الطرف من الخيل : الكريم . (٥) في ب، س : «بين مركبين» .

ومن هو ؟ قال : عمّك العبّاس بن محمد. فالتفتَ إلى خادم على رأسه وقال : جأ[1] عُنُقَ العاضّ بَظْرَ أمّه. فلمّا دنا منه صاح به أبو دُلامةَ: تنحّ يا عبدَ السُّوء لا تُحنِث مولاك وتَنْكُثْ عهدَه وأمانَه . فضحِك المهدىّ وأمر الخادمَ فتنحّى عنه، ثم قال لأبى دُلامة : وَيْلَك ! والله عمّى أبخَلُ الناس. فقال أبو دُلامة : بل هو أسْخَى الناس. فقال له المهدىّ: والله لو مُتَّ ما أعطاك شيئًا. قال : فإن أنا أتيتُه فأجازنى ؟ قال : لك بكل درهمٍ تأخذه منه ثلاثةُ دراهم . فآنصرف أبو دُلامةَ فحبَّر للعبّاس قصيدةً ثم غدا بها عليه وأنشده :

قِفْ بالديار وأىَّ الدهـرِ لم تَقِفِ * على المنازل بين الظَّهْر[2] والنَّجَفِ
وما وُقوفُك فى أطلالِ مَنْزِلَةٍ * لولا الذى آستدرجتْ من قلبك الكَلِفِ
إن كنتَ أصبحتَ مشغوفًا بساكنها * فلا وربِّك لا تَشفيك من شَغَفِ
دَعْ ذا وقُلْ فى الذى قد فاز من مُضَرٍ * بالمَكْرُمات وعِزٍّ[3] غيرِ مُقْتَرَفِ[4]
هـذى رسالةُ شيخٍ من بنى أَسَدٍ * يُهدِى السلامَ إلى العبّاس فى الصُّحُفِ
تَخُطُّها من جَوارى المِصْر كاتبةٌ * قد طالما ضَرَبتْ فى اللام والألِفِ
وطالما آختلفت صَيْفًا[5] وشاتيةً * إلى معلِّمها باللَّوْحِ والكَتِفِ
حتّى إذا نَهَدَ الثَّديانِ وآمتلأا * منها وخِيفَتْ على الإسراف والقَرَفِ[6]
صِينتْ ثلاثَ سِنِينٍ ما تَرَى أحدًا * كما يصون تِجارٌ دُرّةَ الصَّدَفِ
فبينما الشيخُ يَهْوِى نحو مَجْلِسه * مبادرًا لصلاة الصُّبح بالسَّدَفِ[7]
حانت له لَمْحةٌ منها فأبصرها * مُطِلّةً بين سِجْفَيها من الغُرَفِ

(١) جأ : اضرب . (٢) الظهر : موضع . والنجف (بالتحريك) : موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها ، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب . (٣) فى ب ، س : «عزم» . (٤) مقترف : مكتسب . (٥) فى ب ، س : «ضيفا» بالضاد المعجمة وهو تصحيف . (٦) القرف : التهمة . (٧) السدف : الظلمة .

خَـرَّ واللهِ ما يَـدْرِى غَدَاتَئِـذٍ * أخَـرَّ مُنْكشِفًا أم غـير منكشف
وجاء النـاسُ أفـواجًا بمـائهـمُ * ليغسـلوا الرجل المَغْشِـىَّ بالنُّطَف[1]
ووَسْـوسوا بقُرَانٍ فى مسامعـه * مَخَـافَةَ الجِنِّ[2] والإنسـانُ لم يَخَف
شـيئًا ولكنّـه من حُبِّ جاريةٍ * أمسى وأصبح موقوفًا عـلى التَّلَف
قالوا : لكَ الويلُ ما أبصرتَ؟ قلتُ لهم * تطلّعتْ من أعالى القَصْر ذى الشُّرَف
فقلتُ أيُّكُمُ واللهُ يأجُـرُه * يُعين قُوّتَه فيهـا عـلى ضَـعَف
فقـام شـيخٌ بَهِىٌّ من رجالهـمُ * قـد طالمـا خدَع الأقوامَ بالحَلِف
فأبتاعهـا لى بألْـفَىْ درهـم فأتى * بهـا إلىّ فألقـاها عـلى كَتِفى
فبِتُّ ألثِمُهـا طَـوْرًا وألْزَمُهـا * طورًا وأصنع بعضَ الشىء فى اللُّحُف
فبين[3] ذاك كذا إذ جاء صاحبُها * يَبْغِى الدراهـمَ بالميزان ذى الكِفَف
وذِكْرَ حقٍّ على زَنْـدٍ وصاحبِه * والحقُّ فى طَرَفٍ والطّينُ فى طَـرَف
وبين ذاك شهود لا يَضُرُّهـمُ * أكنتُ معـترفا أم غير معـترف
فإن يكن منـك شىءٌ فهـو حقُّهـمُ * أوْلَا فإنِّىَ مـدفوعٌ الى التَّلَف

قال : فضحك العبّاس وقال : وَيْحك أصادقٌ أنت ؟ قال : نعم والله . قال : يا غلام ادفع إليه ألفَىْ درهم ثمنًا . قال : فأخذها ثم دخل على المهدىّ فأخبره القصّةَ وما آحتال له به . فأمر له المهـدىُّ بستة آلاف درهم . وقال له المهدىّ : كيف لا يضرّهم ذلك؟ قال : لأنّى مُعْدِم لا شىء عندى . وقال عمّى فى خبره : فقال له العبّاس بن محمد شارِكْنى فى هذه الجارية . قال : أفعلُ ولكن على شريطةٍ . قال : وما هى؟ قال : الشّرِكةُ لا تكون إلّا مفاوضةً[4] ، فاشْترِ معها أخرى ، ليبعثَ كلُّ واحدٍ منا إلى صاحبه ما عنده

(١) النطف : جمع نطفة (بالضم) وهى الماء الصافى قل أو أكثر . (٢) فى حـ ، ب ، س : « مخافه » وهو تحريف . (٣) المشهور فى مثل هذا أن يقال : فبينا ذاك كذا أو « بينا » . وقد جاء بها أبو دلامة هنا على الأصل . (٤) شركة المفاوضة : هى الشركة العامة فى كل ما يملكه الشريكان

و يأخذ الأخرى مكانَها ليلةً وليلةً . فقال له العباس : قَبَحك الله وقَبَح ماجئتَ به! خذ الدراهمَ لا بارك الله لك فيها وانصرِفْ .

أمره أبو مسلم بمبارزة رجل فقال شعرا أضحكه فأعفاه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى العَنْبسىّ قال :

كان أبو دُلامةَ مع أبى مسلم فى بعض حروبه مع بنى أميّة . فدعا رجلٌ إلى البِراز، فقال له أبو مسلم : اُبْرُزْ إليه . فأنشأ يقول :

ألَا لا تَلُمْنى إن فَرَرْتُ فإنّنى * أخاف على فَخَّارتى أن تَحَطَّما

فلو أنّنى فى السُّوق أبتاع مِثْلَها * وجَدِّك ما باليتُ أن أتقدّما

فضحك وأعفاه .

وعدته ريطة جارية فاستنجزها بشعر

ونسخت من كتاب ابن النطّاح :

أنّ رَيْطةَ وعدتْ أبا دُلامة جاريةً فمطَلَتْه حتى آمتدَحها بعِدّة قصائد ، كلُّ ذلك لا تَفِى له ، ثم خرجتْ إلى مكّة ورجعتْ . وكانت لها جاريةٌ يقال لها أمُّ عَبِيدةَ تخرج وتُكلّم الرجالَ وتبلّغ عنها الرسائل. فقال أبو دُلامة لأمّ عَبِيدةَ حين عِيلَ صبرُه :

أبلغى سيّدتى إن * شئْتِ يا أمَّ عَبِيدهْ

أنّها أرشَدها اللـ * ـهُ وإن كانت رشيده

وعدتنى قبلَ أن تخـ * ـرج للحجّ وَلِيده

فتنظّرتُ وأرسلـ * ـتُ بعشرين قصيده

كلّما تخلَقُ أولى * بُدِّلَتْ أُخرى جديده

إنّنى شيخٌ كبيرٌ * ليس فى بيتى قَعِيده

غيرُ مثلِ الغُول عندى * ذاتِ أوصالٍ مَديده

وجهُها أسمجُ من حُو * تٍ طَرِيٍّ فى عَصيدَهْ

ذاتِ رِجْلٍ ويدٍ كلْـ * ـتاهما مِثْلُ القَديده

فدخلتْ على رَيْطةَ فأنشدتْها الشعرَ، فأمرتْ له بجارية ومائتى دينار للنفقة عليها .

اشترى لأضيافه نبيذا من نباذة ولم يعطها الثمن وقال فيها شعرا

أخبرنى الحسين بن يحيى نسختُ من كتاب إسحاق الموصلىّ حدّثنى أبى عن جدّى[1] :

أنّ أبا دُلامة نَزَل بالكوفة، فأتاه أضيافٌ فغدّاهم، ثم بعث إلى سِنْدِيّةٍ نبّاذة يقال لها دَوْمةُ ، فبعثتْ إليهم جَرّةً من نَبيذ فشربوها ، ثم أعاد فبعثتْ إليهم بأخرى، ثم جاءت تتقاضَى الثمنَ. فقال : ليس عندى الثمن، ولكنى أمْدَحك بما هو خيرٌ من نَبيذك . فقال :

ألا يا دَوْمُ دام لكِ النَّعيمُ * وأَخْمرَ[2] مِلْءُ كَفِّك مستقيمُ

شديدُ الأصل يَنْبِذُ[3] حالِباه * يَئِنُّ كأنّه رجلٌ سقيمُ

وهذا الخبر يُرْوَى عن الأُقَيْشِر أيضا .

قال شعرا فى الجنيد النخاس يذمه ويمدح جارية له

قال إسحاق وحدّثنى أبى :

أنّ أبا دُلامة كان كثير الزيارة لجُنَيْد النخّاس، وكان يتعشّق جاريةً له ويُبْغِضه . فجاءه يوماً فقال : أَخْرِجْ لى فلانةَ . فقال : إلى متى تخرج إليك ولستَ بمشترٍ ! !

(١) يلاحظ أن جدّ إسحاق بن ابراهيم الموصلى فارسى وهو ماهان أو ميمون بن بهمن ، وأنه مات وابنه طفل فى الثانية أو الثالثة ، فلا يعقل أن يكون ابراهيم روى عن أبيه . على أن ماهان لم يعرف أنه من رواة الأدب العربى . فلعل فى كلمة «عن جدى» تحريفا أو هى من زيادات النساخ . (راجع ترجمة ابراهيم الموصلى فى الجزء الخامس من هذه الطبعة ص ١٥٤) . (٢) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «مثل» وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر فى الجزء العاشر صفحة ٩٤ من الأغانى طبع بلاق فى ترجمة الأقيشر ، وروايته :

ألا يادوم دام لك النعيم * واسمر ملء كفك مستقيم

شديد الأسر ينبض حالباه * يحم كأنه رجل سقيم

يروّيه الشراب فيزدهيه * وينفخ فيه شيطان رجيم

(٣) ينبذ : ينبض .

قال : فإن لم أكن مشتريًا فإنى أخٌ يمدح ويُطرى . قال : ما أنا بمخرجها إليك أو تقولَ فيها شعرا . قال: فآحلف بعتقها أن ترويَها إيّاه وتأمُرَها بإنشاده مَنْ أتاك يعترِضُها ولا تحجُبَها . فحلف لا يحجُبها . فقال أبو دُلامةَ :

إنّى لأحسَبُ أن سأُمسِى مَيّتًا * أو سوف أُصبِح ثم لا أُمسِى
من حبِّ جارية الجُنَيْد وبُغْضِه * وكلاهما قاضٍ على نفسى
فكلامُها يُشْفَى به سَقَمِى * فإذا تكلّمَ عاد لى نَكْسى

عاد إسحاق الأزرق وعنده طبيبه فقال شعرا ينصحه فيه بمجانبة الطبيب

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال: دخل أبو دُلَامةَ على إسحاقَ الأزرقِ يَعُوده ، وكان إسحاق قد مرِض مرضًا شديدًا ، ثم تعافَى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفًا ، وعند إسحاق طبيبٌ يَصِفُ له أدويةً تقوِّى بدنَه . فقال أبو دُلامة للطبيب : يآبنَ الكافرة ! أتَصِفُ هذه الأدويةَ لرجل أضعفه المرض ! ما أردتَ والله إلّا قتلَه . ثم آلتفت إلى إسحاق فقال : اِسمَعْ أيها الأمير منّى . قال : هات ماعندك يا أبا دُلامة . فأنشأ يقول :

نَحِّ عنك الطبيبَ وآسمَعْ لنعتى * إنّنى ناصحٌ من النُّصّاحِ
ذو تجاريبَ قد تقلّبتُ فى الصحّـ * ـة دهرًا وفى السَّقام المُتاحِ
غادِ هذا الكَبابَ كلَّ صباحٍ * من مُتون الفَتِيّة السُّحّاحِ (١)
فإذا ما عَطِشتَ فآشرَبْ ثلاثًا * من عتيقٍ فى الشمّ كالتُّفّاحِ
ثم عند المساء فاعكُف على ذا * وعلى ذا بأعظم الأقداحِ
فتقوّى ذا الضعفَ منك وتُلْقَى * عن ليالٍ (٢) أصحَّ هذى الصِّحاحِ
ذا شفاءٌ ودَعْ مقالةَ هذا * ناكَ ذا أُمَّه بأيْرِ رُبَاحِ (٣)

(١) السحاح : السمان ، واحدها ساح وساحة ، بالحاء المشددة . (٢) عن ليال أى بعد ليال .
(٣) رباح : القرد .

فضحك إسحاق وعُوّادُه، وأمر لأبي دُلامة بخمسمائة درهم. وكان الطبيب نصرانيًّا فقال: أعوذ بالله من شَرِّك يا رَكُل (يريد يا رجل). وقال الطبيب: اقْبَلْ منِّي أصلحك الله ولا تسألني عن شيء قُدّامَه. فقال أبو دلامة: أمَا وقد أخذتُ أُجْرَةَ صَفْقَتي[1] وقَضَيْتُ الحقَّ في نُصْحِ صديق، فانْعَتْ له الآن أنت ما أحببتَ.

تندر بسلمة الوصيف في حضرة المهدي

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني أبو الشِّبْل عاصم بن وهب البُرْجُميّ قال:

دخل أبو دُلامة على المهديّ وبين يديه سَلَمَةُ الوصيف واقفًا، فقال: إنّي أهدَيْتُ إليك يا أمير المؤمنين مُهْرًا ليس لأحد مثلُه. فإن رأيتَ أن تُشَرِّفَني بقبوله. فأمره بإدخاله إليه. فخرج وأدخل إليه دابّتَه التي كانت تحته، فإذا به بِرْذَوْنٌ مُحَطَّمٌ أَعْجَفُ هَرِمٌ. فقال له المهديّ: أيُّ شيءٍ هذا وَيْلَكَ! ألم تزعم أنه مهر!. فقال له: أوَ ليس هذا سَلَمَةَ الوصيفَ بين يديك قائمًا تسمِّيه الوصيفَ وله ثمانون سنة، وهو عندك وصيفٌ! فإن كان سَلَمَةُ وَصِيفًا فهذا مُهْرٌ. فجعل سَلَمَةُ يشتُمه والمهديّ يضحك. ثم قال لسَلَمَةَ: وَيْلَكَ، إنّ لهذه منه أخوات، وإن أتى بها في مَحْفِل فَضَحَك. فقال أبو دُلامة: والله لأفضَحنَّه يا أمير المؤمنين؛ فليس من مواليك أحدٌ إلّا وقد وصَلَني غيرَه، فإنّي ما شربت له الماء قطّ. قال: فقد حكمتُ عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلّص من يدك. قال: قد فعلتُ على أن لا يُعاوِد. فقال له: ما ترى؟ قال: أَفْعَلُ، فلولا أنّي ما أخذت منه شيئًا قطّ ما فعلتُ معه مثلَ هذه. فمضى سَلَمَةُ فحملها إليه.

عبث به ابنه فأراد أن يخصيه فحكم زوجته

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدّثني الخليل بن أسد عن عبد الرحمن بن صالح قال:

(١) كذا في جميع الأصول. ولعله: «أجرة صفق الخ».

جاء ٱبن أبى دُلامة يومًا إلى أبيه وهو فى مَحْفِلٍ من جيرانه وعَشِيرته جالس، فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخى، كما ترون، قد كَبِرَتْ سِنُّه، ورَقَّ جِلْدُه، ودَقَّ عظمُه، وبنا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أُشير عليه بالشىء يُمْسِك رَمَقَه ويُبْقِى قُوَّته، فيخالفنى فيه. وأنا أسألكم أن تسألوه قضاءَ حاجة لى أذكرها بحضرتكم، فيها صلاحٌ لجسمه، وبقاءٌ لحياته، فأسعفونى بمسألته. فقالوا: نفعلُ حُبًّا وكَرَامةً. ثم أقبلوا على أبى دُلامة بألسنتهم وتناولوه بالعتاب حتى رضِى وهو ساكت، فقال قولوا للخبيث فلْيَقُلْ ما يُرِيد، فستعلمون أنّه لم يأتِ إلّا ببليّة. فقالوا له: قل. فقال: إنّ أبى إنما يقتله كثرةُ الجماع، فتُعَاوِنونى عليه حتى أَخْصِيَه، فلن يقطعَه عن ذلك غيرُ الخِصاء، فيكونَ أصحّ لجسمه وأطولَ لعمره. فعَجِبوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعبَث بأبيه ويخجّله حتى يَشِيعَ ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكر، فضحكوا منه. ثم قالوا لأبى دُلامة: قد سمعتَ فأجِبْ. قال: قد سمعتم أنتم وعرَّفتكم أنه لن يأتىَ بخير. قالوا: فما عندك فى هذا؟ قال: قد جعلتُ أمَّه حَكَمًا بينى و بينه فقوموا بنا إليها. فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها، وقَصّ أبو دُلامة القصَّةَ عليها، وقال لها: قد حكَّمْتُك. فأقبلتْ على الجماعة فقالت: إنّ ٱبنى — أصلحه الله — قد نصح أباه وبَرَّه ولم يألُ جُهْدًا، وما أنا إلى بقاء أبيه بأحْوَجَ منّى إلى بقائه، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ منّا، ولا جَرَتْ بمثله عادةٌ لنا، وما أَشُكُّ فى معرفته بذلك. فَلْيبدأ بنفسه فلْيَخْصِها، فإذا عُوفِىَ ورأينا ذلك قد أثَّر عليه أثرًا محمودًا ٱستعمله أبوه. فنَعَر[1] أبوه وجعل يضحَك به، وخَجِل ٱبنُه، وٱنصرف القوم يضحكون ويعجَبون من خُبْثهم جميعًا وٱتفاقِهم فى ذلك المذهب.

(١) نعر: صاح وصوّت بخيشومه.

أمر المهدىّ مروانيا بقتل خارجى فنبا السيف فى يده فقال هو فى ذلك شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا مَيْمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال :

كان عند المهدىّ رجل من بنى مَرْوان ، فدخل إليه وسلّم عليه . فأُتى المهدىُّ بعِلْج[1] فأمر المَرْوانىَّ بضَرْب عُنُقه ، فأخذ السيفَ وقام فضربه فنَبَا السيفُ عنه ، فرَمَى به المروانىّ وقال : لو كان من سيوفنا ما نَبَا . فسمع المهدىّ الكلام فغاظه حتى تغيّر لونُه وبَانَ فيه . فقام يَقْطِينٌ[2] فأخذ السيفَ وحَسَر عن ذراعيه ثم ضرب العِلْجَ فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ هذه سيوف الطاعة لا تعمَل إلّا فى أيدى الأولياء ولا تعمل فى أيدى أهل المعصية . ثم قام أبو دُلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، قد حضَرَنى بيتان أفأقولها ؟ قال : قل . فأنشده :

أيُّهذَا الإمامُ سيفُك ماضٍ * وبكفِّ الولىِّ غيرُ كَهَامِ[3]

فإذا مانَبَا بكفٍّ عَلِمْنا * أنّها كفُّ مُبْغِضٍ للإمامِ

قال : فسُرِّىَ عن المهدىّ وقام من مجلسه ، وأمر حُجّابه بقتل الرجل المروانىّ فقُتِل .

---

(١) العلج : الرجل من كفار العجم . (٢) يقطين : هو يقطين بن موسى البغدادى . (انظر الكلام عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٥ ج ٦ من كتاب الأغانى من هذه الطبعة) .

(٣) الكهام من السيوف : الكليل الذى لا يقطع .

[أخبار عبد الله بن المعتز]

وممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميعَ أهل عصره فضلًا وشرفًا وأدبًا وشعرًا وظرفًا وتصرفًا فى سائر الآداب أبو العبّاس عبد الله بن المعتز بالله .

أدبه وشعره ودفاع أبى الفرج عن مذهبه فى الأدب

وأمره، مع قرب عهده بعصرنا هذا، مشهور فى فضائله وآدابه شهرةً تَشْرَكُ فى أكثر فضائله الخاصّ والعامّ . وشعره و إن كان فيه رِقّةُ الملوكيّة وغَزَلُ الظُّرفاء وهَلْهَلَةُ المُحْدَثين، فإن فيه أشياءَ كثيرةً تجرى فى أسلوب المُجيدين ولا تقصُر عن مَدَى السابقين، وأشياءَ ظريفةً من أشعار الملوك فى جنس ما هم بسبيله، ليس عليه أن يتشبّه فيها بفحول الجاهليّة . فليس يمكن واصفًا لصَبُوح، فى مجلس شَكِلٍ ظريف، بين نَدامَى وقِيان، وعلى ميادين من النَّوْر والبَنَفْسَج والنَّرْجس ومنضود من أمثال ذلك، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفُرُش ومختار الآلات، ورِقّة الخَدَم ، أن يَعْدِل بذلك عما يُشْبهه من الكلام السَّبْط[1] الرقيق الذى يفهمه كُلُّ مَنْ حضَر، إلى جَعْد الكلام ووَحْشيّه، و إلى وصف البِيد والمَهامِه والظَّبْى والظَّليم[2] والناقة والجمل والديار والقِفار والمنازل الخالية المهجورة؛ ولا إذا عدَل عن ذلك وأحسن قيل له مُسِيء، ولا أن يُغْمَطَ حقَّه كلَّه إذا أحسن الكثيرَ وتوسَّط فى البعض وقَصَّر فى اليسير، ويُنْسَبَ إلى التقصير فى الجميع، لنشر المقابح وطَىِّ المحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كلُّ أحدٍ بمن تقدّم لوجد مَسَاغًا . ولو أنّ قائلا أراد الطعن على صدور الشعراء، لقدر رأى أن يطعن على الأعشى —

(١) السبط : السهل المرسل . والجعد : المعقد .

(٢) الظليم : ذكر النعام .

وهو أحدُ مَنْ يقدِّمه الأوائل على سائر الشعراء — بقوله : « فأصاب حَبّـةَ قلبه وطِحالَها »[١] . وبقوله :

ويأمر لليَحْمومِ[٢] كلَّ عَشيَّةٍ * بقَتٍّ وتَعْليقٍ فقــد كاد يَسْنَقُ

١٤١ / ٩

وأمثالٍ لهذا كثيرة . وإنما على الإنسان أن يحفَظ من الشيء أحسنَه ، ويُلغِي[٣] مالم يستحسنه ، فليس مأخوذًا به . ولكنّ أقوامًا أرادوا أن يرفعوا أنفسَهم الوضيعةَ ، ويُشيدوا بذكرهم الخامل ، ويُعْلُوا أقدارَهم الساقطةَ بالطعن على أهل الفضل والقَدْح فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلّا ضَعَةً ، ولا يزداد الآخَرُ إلّا ارتفاعاً . ألا ترى إلى ابن المعــتزّ قد قُتِل أسوأَ قِتْلة ، ودَرَج فلم يَبق له خَلَفٌ يقــرّظه ولا عَقِبٌ يرفع منه ، وما يزداد بأدبه وشعرِه وفضلِه وحُسْنِ أخباره وتصرُّفِه في كلّ فنٍّ من العلوم إلّا رِفْعةً

(١) العيب في هذا ورود كلمة الطحال فيه وهي مما يأباها الذوق . وقد ورد كلام فيه في هذا الجزء (ص ٨١ — ٨٢) فراجعه .

(٢) كذا في لسان العرب وكتاب نسب الخيل لابن الكلبي وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . واليحموم : اسم فرسه . والقت : حب برى . والتعليق : ما تعلفه الدابة من شعير ونحوه . ويسنق : يأكل حتى يصيبه كالبشم . وقد ورد هذا البيت في ب ، سـ هكذا :

وقد كان أن يأمرهمو كل ليلة * بقت وتعليق فقــد كاد يسبق

وفي الأصول المخطوطة :

وقد كان يأموم في كل ليلة * يقت وتعليق فقد كان يسبق

وهما تحريف . وعيب هذا البيت أنه مدح به ملك الحيرة وهو لا يمدح به رجل من خساس الجنود ؛ لأنه ليس من أحد له فرس إلا وهو يعلفه قتا ويقضمه شعيرا . وهذا مديح كالهجاء . وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : «ولست أرى هذا عيبا ؛ لأن الملوك تعد فرسا على أقرب الأبواب من مجالسها بسرجه ولجامه خوفا من عدوّ يفجؤها أو أمر ينزل أو حاجة تعرض لقلب الملك فيريد البدار ؛ فلا يحتاج الى أن يتلوّم على إسراج فرسه وإلجامه . وإذا كان واقفا غدى وعشى . فوضع الأعشى هذا المعنى ودل به على ملكه وعلى حزمه» .
(راجع كتاب الشعر والشعراء صفحة ١٤١ — ١٤٢ طبع أوربا) .

(٣) كذا في الأصول . ويحتمل أن يكون : «يلق» بالقاف .

وعُلُوًّا . ولا نُظِر إلى أضـداده كلّما آزدادوا فى طعنه وتقريظ أنفسهم وأسـلافهم الذين كانوا مِثْلَهم فى ثَلْبه والطعن عليه ، زادوها سقوطًا وضَعَةً ، وكلّما وصفوا أشـعارهم وقرّظوا آدابهم ، زادوا بها ثِقَلًا ومقتًا . فإذا وقع عليهم المُحَصِّل الموافق ، عدَلوا عن ثَلْبه فى الآداب ، إلى التشنيع عليـه بأمر الدين وهجـاء آل أبى طالب ، وهم أوّل من فعل ذلك وشنَّع به على آل أبى طالب عند المُكْتَفِى حتى نهاهم عنه ، فعدَلوا عن عَيْب أنفسهم بذلك إلى عيبه ، وآرتكبوا أكثر منه . وأنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبد الله ، مُصَرَّحًا به على شرح إن شاء الله تعالى .

علمه بصناعة الموسيقى

وكان عبد الله حسن العـلم بصناعة المُوسِيقِى ، والكلام على النغم وعِلَلها . وله فى ذلك وفى غيره من الآداب كتبٌ مشهورةٌ ، ومراسـلاتٌ جَرَتْ بينه وبين عُبَيْد الله بن عبـد الله بن طاهر وبين بنى حَمْدون وغيرهم ، تدلّ على فضله وغَزارة علمه وأدبه .

كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر له وقد بعث اليه برسالة الى ابن حمدون

ولقد قرأتُ بخطّ عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر رُقْعَةً إليه بخطّه ، وقد بعث إليه برسالة إلى آبن حَمْدون فى أنه يجوز ولا يُنْكِر أن يغيِّر الإنسانُ بعضَ نَغَم الغناء القديم ، ويعدِلَ بها إلى مايحسُن فى حَلْقه ومذهبه . وهى رسالةٌ طويلةٌ ، وشاوره فيها . فكتب إليه عبيد الله : «قرأتُ — أيّدك الله — الرسالةَ الفاضلةَ البارعةَ الموفَّقة . فأنا والله أقرؤها إلى آخرها ، ثم أعود إلى أوّلها مبتهجًا ، وأتأمّل وأدعو مبتهلاً ، وعينُ الله التى لاتنام عليك وعلى نعمه عندك . فإنها — علِم الله — النعمةُ المعدومة المِثْل . ولقد تمثّلت وأنا أُكرِّر نظرى فيها قول القائل فى سيّدنا وآبن سيّدنا عبد الله بن العبّاس :

كفَى وشَفَى مافى النفوس ولم يَدَعْ * لذى إرْبةٍ فى القول جِدًّا ولا هَزْلَا

ولا والله ما رأيتُ جِدًّا فى هَزْلٍ ، ولا هَزْلًا فى جِدٍّ يُشْـبِه هذا الكلامَ فى بلاغتـه وفصاحته وبيانه وإنارة بُرهانه وجزالة ألفاظـه . ولقد خُيِّل الىّ أنّ لسان جَدِّكَ

العبّاس عليه السلام ينقسم على أجزاء، فلك — أعزّك الله — نصفُها، والنصفُ الآخرُ مقسوم بين أبي جعفر المنصور والمأمون رحمة الله عليهما. ولو أنّ هذه الرسالة جَبَهت الإبراهيمَيْن إبراهيمَ بنَ المهدىّ وإبراهيمَ الموصلىّ وآبنَه إسحاق وهم مجتمعون لبُهِت منهم الناظر، وأُخرِس الناطق، ولأقرُّوا لك بالفضل فى السَّبْق، وظهور حُجّة الصِّدْق، ثم كان قولُك لهم فَرْقًا بين الحقّ والباطل، والخطأ والصواب. ووالله ما تأخذ فى فنّ من الفنون، إلّا بَرَّزْتَ فيه تبريزَ الجواد الرّائع، المُغَبِّر فى وجه كلّ حِصان تابع. عَضَد الله الشرفَ ببقائك، وأحيا الأدبَ بحياتك، وجمّل الدنيا وأهلَها بطول عمرك » .

هذا كلام العقلاء وذوى الفضل فى مِثْله، لا كلام الثقلاء وذوى الجهل. والإطالةُ فى هذا المعنى مُسْتَغْنًى عنها. والمشهورُ عنه وعن أضداده وما يأتى من أخباره بعدَ ذلك ففى معنى ما شَرَطتُه من جنس ما هو المَقْصِد فى كتابى هذا.

أصوات له فى أشعار مختلفة

فمن صنعة عبد الله بن المعتز فى شعره على أنّ أكثرها هذه سبيلُه فيها :

صوت

هل ترجِعنّ ليالٍ قد مَضَيْنَ لنا * والدارُ جامعةٌ أزمانَ أزمانَا[1]

صَنْعتُه فى بيت واحد، ولحنُه ثقيلٌ أوّل.

(١) يقول : هل تعود ليال لنا مضت أزمان أزمان والدار جامعة أسباب سرورنا ولهونا. وأزمان أزمان يراد به أزمان لهونا وأزمان سرورنا أو نحو ذلك مما يضاف اليه أزمان ويناسب المقام. ومثل هذا التركيب مما يجب فيه البناء على فتح الجزأين كالمركب المزجى. وكل ما ركب تركيب المزج من الظروف زمانية كانت أو مكانية يجب بناؤه، مثل قولك فلان يأتينا صباح مساء أى كل صباح ومساء، فحذف العاطف وركب الظرفان قصدا للتخفيف تركيب خمسةَ عشر. قال الشاعر :

ومن لا يصرف الواشين عنه * صباح مساء يبغوه خبالا

ومن صنعته فى الثقيل الأوّل أيضا — وفيه لعَلّويه رَمَلٌ قديم، وما لحنُه بدون لحن علّويه — :

صـــوت

سَقَى جانبَ القَصْرَيْن فالدَّيْر فالحِمَى * إلى الشّجر المحفوف بالطّين والمَدَرْ (١)

ومن صنعته الظّريفة الشَّكِلَة (٢) مع جودتها :

صـــوت

وا بلائى من مُحْضَرٍ ومَغيب * وحبيبٍ منّى بعيدٍ قريب

لم تَرِدْ ماءَ وجهه العينُ إلّا * شَرِقَتْ قبل رِيِّها برقيب

خفيفُ ثقيلٍ، ابتداؤه نشيد .

زارته زرياب فى يوم الشعانين وغناها

ومن صنعته، وله خبر أخبرنى به علىّ بن هارون بن المنجّم عن زِرْيابَ قالت : زرتُ عبدَ الله بن المعتزّ فى يوم السَّعانين (٣)، فسُرَّ بورودى وصنع من وقته لحنًا فى شعر عبد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ الذى له فيه هَزَجٌ وهو :

= وتقول : فلان يأتينا يوم يوم أى يوما فيوما ؛ قال الشاعر :

آت الرزقُ يوم يوم فأجمل * طلبا وابغ للقيامة زادا

ومثال ما ركب من ظروف المكان قولهم : سهلت الهمزة بين بين ؛ ومنه قول الشاعر :

نحمى حقيقتنا وبعـ * ـض القوم يسقط بين بينا

والأصل بين هؤلا وبين هؤلاء . (راجع شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصارى طبع بلاق سنة ١٢٨٢ ص ٣٠، ٣١) . وقد ورد هذا البيت فى الأصول : «أزمان أزمان» والنون عارية من الشكل، وليس فيها ألف الاطلاق . ورجعنا الى ديوانه المطبوع فلم نجد فيه هذا البيت .

(١) المدر : التراب المتلبد، أو هو قطع الطين اليابس . (٢) كذا فى حـ . وفى ب، سـ : «الطريفة الشكل» . وفى أ، م : «الطريفة الشكل» . (٣) فى لسان العرب (فى مادة سعن) : «قال ابن الأثير : هو عيد لهم معروف قبل عيدهم الكبير بأسبوع، وهو سريانى معرّب . وقيل : هو جمع =

صــــوت

أنا فى قلبى من الظَّبى كُلُومُ * فــدعِ اللَّومَ فإنّ اللَّومَ لُومُ [(١)]

حبّــذا يومُ السَّـعانين وما * نلتُ فيه من سرورٍ لو يَدومُ

ــ الشعرُ لعبد الله بن العبّاس، ولحنُه فيه هَزَجٌ ــ قالت : فصنَع عبدُ الله بن المعتزّ

٥ فى البيت الثانى، وبعده بيتٌ أضافه إليه، هَزَجًا وهو :

زارنى مـولاىَ فيـه ساعةً * ليتَـه والله ما عِشتُ يُقـيمُ

ولحنُ آبن المعتزّ فى «حبـذا يوم السّعانين» وهذا البيتِ خفيفُ رَمَلٍ ، وهـو من

نهايات الأغانى التى صنعها .

ومن صنعته التى تَظارفَ [(٢)] فيها ومَلُح :

١٠ زاحَــمَ كُمِّى كُمَّــه فَالتوَيَا * وافق قلـبى قلبه فاسـتوَيَا

وطالمـا ذاقا الهوى فاكتويا * يا قُـرَّةَ العين و يا هَمِّى و يا

أراد هنا بقوله « و يا » ما يقوله الناس فى حكاية الشىء الذى يخاطبون به الإنسان

من جميـل أو قبيح، فيقولون : قلتُ له يا سـيّدى و يا مولاى و يا و يا، وكذلك

ضدّه ليُستغنَى بالإشارة بهذا النّداء عن الشرح . ولحنُ آبن المعتزّ فى هذا هَزَجٌ .

---

١٥ = واحده سعون » ا هـ . والمشهور فيه « الشعانين » بالشين المعجمة؛ فقــد ورد فى صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤١٥) فى كلامه على أعياد القبط : « الشـانى ــ الزيتونة ، وهو عيد الشعانين، وتفسيره بالعربية التسبيح، يعملونه فى سابع أحد من صومهم . وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة ، وهو يوم ركوب المسيح لليعفور (وهو الحمـار) فى القـدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر » ا هـ .

(١) لوم : مخفف لؤم بالهمز . (٢) فى ب، س : «تظافر». وفى سائر الأصول : «تضافر» . وظاهر أن كليهما تحريف .

خرجت عليه نشر فى صورة جميلة فقال فيها شعرا على البديهة

١٤٣
٩

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال :

كنّا عند ابن المعتزّ يومًا وعنده نَشْر وكان يحبها ويَهيم بها ، فخرجتْ علينا من صدر البستان فى زمن الربيع ، وعليها غِلالةٌ مُعَصْفَرة وفى يديها جنّابى باكورة باقِلاّ[(١)] . فقالت له : يا سيّدى تلعبُ معى جنّابى[(٢)] ؟ فالتفتَ إلينا وقال على بديهته غيرَ متوقِّف ولا مفكّر :

(١) كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا عن هذه الكلمة فيما كتبه عن لعب العرب فى العدد الأوّل من المجلة السلفية (السنة الثانية ص ٣٤) شرحا لهـذه اللعبة رأينا أن ننقله كله لما حواه من قيمة علمية كعادة الباشا عليه الرحمة والرضوان فيما يكتبه . قال :

" الجنابى — فى القاموس : «والجناباء (بفتح أوله وثانيه) وكسمانى (بضم أوله وفتح ثانيه) لعبة للصبيان» . وفى اللسان : «الجناباء والجنابى لعبة للصبين يتجانب الغلامان فيعتصم كل واحد من الآخر» ونحوه فى المخصص " .

وبعد أن نقل هذه العبارة عن الأغانى ومعاهد التنصيص قال : "قلنا قوله «جنابى» باقلاء يظهر أنه شىء كالسلة ولم نعثر عليه فى اللغة ، ولعله مولد سمى بذلك لأنه يحمل فى الجنب . والمفهوم من القصة أنه بتشديد النون لأن الجارية أرادت بقولها التجنيس باسم اللعبة ، وهو وارد بالتشديد فى شعر ابن المعتز كما ترى واليه مال شارح القاموس . وعبارته : «والجناباء بالمد والجنابى كسمانى مخففا مقصورا هكذا فى النسخ التى رأيناها وفى لسان العرب بالضم وتشديد النون . ويدل على ذلك أن المؤلف ضبط سمانى بالتشديد فى (س م ن) فليكن هذا الأصح ، ثم أنه فى بعض النسخ بالمد فى الثانى وكذا فى لسان العرب أيضا ، والذى قيده الصاغانى بالضم والتخفيف ككسالى» . انتهى وتتبعه مصححه بأنه سهو منه لأن المؤلف إنما ضبط سمانى فى (س م ن) بوزن حبارى اهـ . ونقول : السهو من الشارح فى تعيين المادة وكأنه يريد مادة (ح و ر) لقول المؤلف فيها «وأحمد بن أبى الحوارى كسكارى ، وكسمانى أبو القاسم الحوارى ، الزاهدان معروفان» وقد ناقشه فيها هناك ولا يبعد أن يكون قوله وكسمانى حرفه النساخ عن (وكشقارى) كما نبه عليه المصحح على حاشية هذه المادة فى نسخة القاموس المطبوعة ببلاق سنة ١٣٠٣

بق قول شارح القاموس إن (الجنابى) وردت بتشديد النون وبالمد أيضا فى لسان العرب . ولعلها وردت كذلك مضبوطة بالقلم فى النسخة التى كانت عنده ؛ فان النسخة التى بأيدينا ليس فيها إلا ما ذكرناه .

وبعد ، فتشديد هذه اللفظة فى البيت إما أن يكون عن لغة فيها محكية اطلع عليها ابن المعتز أو عن خطأ شاع بين المولدين بجرت به ألسنة الشعراء . والله أعلم اهـ" .

(٢) فى معاهد التنصيص طبع بلاق سنة ١٢٧٤ ص ١٩٤ : «جنابى من باكورة باقلاء» .

فَدَيْتُ مَنْ مَرَّ يمشى فى مُعَصْفَرةٍ * عَشِيَّةً فسَقَانى ثم حيَّانى
وقال تلعَبُ جنَّابى فقلت له * مَنْ جاد(١) بالوصل لم يلعب بهجران

وأمر فغُنِّىَ فيه. غَنَّتْ فيما أرى فيه هَزَارُ لحناً، وهو رَمَلٌ مُطْلَق .

جدر خادمه نشوان فجزع عليه ثم عوفى فسر وقال شعرا

حدّثنى جعفر قال :

٥ كان لعبد الله بن المعتزّ غلامٌ يحبّه، وكان يغنّى غناءً صالحاً، يقال له «نَشْوانُ». فجُدِر وجَزِع عبدُ الله لذلك جزعًا شديدًا، ثم عُوفِىَ ولم يؤثّر الجُدَرِىُّ فى وجهه أثرًا قبيحًا. فدخلتُ إليه ذاتَ يومٍ فقال لى: يا أبا القاسم، قد عُوفِىَ فلانٌ بعدَك، وخرج أحسنَ مما كان، وقلتُ فيه بيتين وغَنَّتْ زِرْيابُ فيهما رَمَلاً ظريفًا، فاسمعهما إنشادًا إلى أن تسمعهما غناءً. فقلت : يتفضّل الأميرُ، أيّده الله تعالى، بإنشادى

١٠ إيّاهما. فأنشدنى :

لى قمرٌ جُدِّرَ لمّا ٱستوى * فزاده حُسْناً فزادتْ همومْ
أظنُّه غَنَّى لشمس الضُّحَى * فنقَّطتْهُ طَرَباً بالنجومْ

فقلت : أحسنتَ والله أيّها الأمير. فقال لى : لو سمعتَه من زِرْياب كنتَ أشدَّ ٱستحسانا له . وخرجتْ زِرْيابُ فغنّتْه لنا فى طريقةِ الرَّمَل فى أحسن غِناء، فشربنا

١٥ عليه عامّة يومنا .

غضب عليه غلامه نشوان فقال شعرا يترضاه به

حدّثنى جعفر قال :

غضب هذا الغلام على عبد الله بن المعتزّ، فجَهَد فى أن يترضّاه، فلم تكن له فيه حيلة. فدخلتُ إليه فأنشدنى فيه :

بأبى أنت قد تما * ديتَ فى الهجر والغضبْ

٢٠ (١) فى معاهد التنصيص : «من جدّ» وهى رواية جيدة .

وآصطبارى على صدو * دِكَ يوماً من العَجَبْ

ليس لى إن فَقَدْتُ وجـ * ـهَكَ فى العيش من أَرَبْ

رحـم الله مَنْ أعا * ن على الصلح واحتَسبْ

قال : فمضَيْتُ إلى الغلام ، ولم أزل أُداريه وأَرْفُقُ به حتى ترضَّيْتُه وجئتُه به ، فمرَّ لنا يومئذ أطيبُ يومٍ وأحسنُه ، وغَنَّتْنا هَزَارُ فى هذا الشعر رَمَلاً عجيباً .

زار فى حداثته أبا عيسى بن المتوكل وأنشده من شعره فى كراهة الثناء عليه

أخبرنى الحسين بن القاسم الكاتب قال حدّثنى إبراهيم بن خليل الهاشمىّ قال : دخلتُ يوماً إلى أبى عيسى بن المتوكِّل ، فوجدتُ عبدَ الله بن المعتزّ وقد جاءه مُسَلِّماً ، وسِنُّه يومئذ دون عشرين سنة ، إذ دخل علىّ[1] بن محمد بن أبى الشَّوارب القاضى ، فأكرمه أبو عيسى ونَهَض إليه . فلما آستقرّ به المجلس قال لأبى عيسى : قد احتجتُ إلى مَعُونتك فى أمرٍ دُفعتُ إليه لم أَسْتغنِ فيه عن تكليفك المعاونةَ . قال : وما هو ؟ قال : زوّجْتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا ، فخرج عن مذاهبنا ، وأساء عِشْرة أهله ، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثرَ مَظَانّه وأوطانه ، ويهدّدنا ويُوعِدنا بشَرّه ، حتى لقد نالنا من عيسى بَسْطٌ ليده ولسانه فينا بالقبيح والقولِ السيّء ، وكثرةُ معاونته له على ما يُزْرِى بدينه ونسبه . وقد توعّدنا بأنه يكشف وجهه لنا فى معاونة صِهْرنا هذا الغاوى علينا . ولولا نسبه الذى نَخْرُه لنا وعارُه علينا ، لآنتصفنا منه بالحق دون التعدّى ، إلّا أنّى أستعيذكَ منه . فقال له أبو عيسى : أنا أُوَجِّه إليه بعد انصرافك ، وأُراسله بما أنا المتكفّل بعده بألّا يعود إلى عِشْرته ،

١٤٤ / ٩

(١) هو على بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب الأموى البصرى قاضى القضاة أبو الحسن . كان ولى القضاء بسر من رأى ، وكان عالما عفيفا ثقة . توفى سنة ٢٨٣ هـ (عن النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية) .

والضامن أن أُرَدَّ(1) هـذا الصِّهْرَ إلى حيث تحبّ ويَقَعُ بموافقتك . فشكره ودعا له وانصرف. فقال أبو عيسى : ألَا تَرَوْن إلى هذا الرجل النَّبيه الفاضل السَّرِىّ الشريف يُدْفَع إلى مِثْلِ هذا! طُوبَى لمن لم تكن له بنت. فقال عبدُ الله بن المعتزّ : أيّها الأمير إنّ لولدك فى هذا المعنى شيئًا قاله وٱستحسنه جماعةٌ ممن يعلم ويقول الشعر. فقال : هاته فَدَاكَ عمُّك . فأنشده لنفسه :

وبِكْرٍ قلتُ موتِى قبـل بَعْلٍ * وإنْ أَثْرَى وعُدَّ من الصَّـمِيمِ
أأمزُج باللِّئـام دَمِى ولَحْمِى * فما عُذْرِى إلى النَّسَب الكريمِ

فقال له أبو عيسى : أَمْتَعَ الله أهلَكَ ببقائك، وأحسن إليهم فى زيادة إحسانه إليك، وجَمَّلَهم بكمال محاسنك ، ولا أرانا شرًّا فيك .

كان يعمر داره ويبيضها وقال شعرا فى ذلك

اخبرنى الحسين بن القـاسم قال حدّثنى عبـدُ الله بن موسى الكاتب قال : دخلت على عبـد الله بن المعتزّ وفى داره طبقاتٌ من الصُّنّاع ، وهو يبنى دارَه ويُبيِّضُها. فقلت : ما هذه الغرامةُ الحادثة ؟ فقال : ذلك السَّيْلُ الذى جاء مُذْ ليـالٍ أَحْدَثَ فى دارى ما أَحْوَجَ إلى الغرامة والكُلْفَة ، وقال :

ألَا مَنْ لنفسٍ وأحزانِهـا * ودارٍ تَدَاعَى بحِيطـانِهـا
أَظَلُّ نهـارىَ فى شمسها * شقيًـا مُعَـنًّى ببنيانهـا
أُسَـوِّد وجهى بتبييضهـا * وأهدِم كِيسى بعُمرانهـا

حفف النميرى صلاته وأطال السجود بعدها فقال هو شعرا

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال :

كنت عند عبد الله بن المعتزّ ومعنا النُّمَيْرِىّ ، وحَضَرَتِ الصلاةُ، فقام النُّمَيْرِىّ فصلّى صلاةً خفيفةً جِدًّا ، ثم دعا بعد ٱنقضاء صـلاته وسجد سَجْدَةً طويلةً جِدًّا ، حتى ٱستثقله جميعُ مَنْ حَضَر بسببها ، وعبدُ الله ينظُر إليه متعجِّبًا ثم قال :

(1) فى ب، س : «وأنا الضامن بأن أراد هذا الصهر بلا حيث» وهو تحريف .

صلاتُك بين الوَرَى نَقْـرَةٌ * كما ٱختلس الجَرْعَةَ الوالغُ
وتَسجُد من بعـدها سَجْدَةً * كما خُـتِم المِزْوَدُ[1] الفارغُ

انقطعت عنه بنت الكراعة وكان يحبها فقال شعرا

أخبرنى الحسين بن القاسم قال حدّثنى عبيـد الله[2] بن موسى الكاتب قال :
كانت بنت الكراعة تألَف عبـدَ الله بن المعتزّ، وكان يحب غناءها و يستظرفها و يحبّها و يواصل إحضارها، ثم ٱنقطعت عنه فقال :

ليتَ شِعرى بمن تَشَاغلتِ بَعْدِى * وهو لاشكّ جاهـلٌ مغـرورُ
هكذا كنتُ مِثْلَه فى سـرورٍ * وغَدًا فى الهمـوم مِثْلِى يَصـيرُ

كان يحب جارية قبيحة الصورة فاعترض عليه النميرى فأجابه بشعر

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال :
كنا عنـد ٱبن المعتز يوماً ومعنا النُّمَيْرِىّ، وعنـده جاريةٌ لبعض بنات المغنِّين تغنّيه، وكانت مُحْسِـنة إلّا أنها كانت فى غايةٍ من القُبْح، فجعل عبدُ الله يُجَمِّشها و يتعلّق بها. فلّما قامت قال له النُّمَيْرِىّ: أيّها الأمير، سألتُك بالله أتعشّق هذه التى ما رأيتُ قطّ أقبحَ منها ؟ فقال عبدُ الله وهو يضحَك :

قلبِىَ وثّابٌ إلى ذا وذا * ليس يرى شيئًا فيأباهُ
يَهـيم بالحُسنِ كما ينبغى * و يرحَـم القُبْحَ فيهـواهُ

١٤٥
٩

راسل خزامى فتأخرت عنه فقال شعرا فأجابته

أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدّثنى أبو الحسن الأموىّ قال حدّثنى عبدُ الله بن المعتزّ قال :
كانت خُزَامَى جاريةُ الضـبط المغنّى تُنادمنى وأنا حَدَثٌ ثم تركتِ النبيـذَ . وكانت مُغَنِّيَةً مُحْسِنةً شاعرةً ظريفةً . فراسلتُها مرارًا فتأخرتْ عنِّى ، فكتبتُ إليها :

رأيتُكِ قد أظهرتِ زُهْدًا وتوبةً * فقد سَمُجَتْ من بعد توبتك الخمرُ
فأهـدَيْتُ وَرْدًا كى يُذَكّر عيشـةً * لمن لم يُمَتِّعْنا ببهجتهـا الدّهرُ

(١) المزود : وعاء الزاد . (٢) كذا فى جميع الأصول هنا . وتقدم فى الصفحة الماضية : « عبد الله بن موسى » وذلك أيضا باتفاق الأصول .

فأجابت :

أتانى قريضٌ يا أميرى مُحَبَّرٌ * حَكَى لِىَ نظمَ الدُّرّ فُصِّلَ بالشَّذْر(١)

أأنكرتَ يابن الأكرمين إنابتى * وقد أفصحتْ لى ألْسُنُ الدهرِ بالزَّجْر

وآذَنَنى شَرْخُ الشَّباب ببَيْنِه * فياليتَ شعرى بعد ذلك ماعُذْرى

شعره فى موسم الربيع

٥ حدّثنى جعفر بن قُدامة قال :

كنت أَسْرح مع عبد الله بن المعتز فى يوم من أيّام الرَّبيع بالعبَّاسيَّة(٢) والدنيا كالجنّة المُزَخْرَفة . فقال عبد الله :

حَبَّذا آذارُ شهرًا * فيه للنَّوْر انتشارُ

ينقُص الليلُ إذا جا * ء ويمتدُّ النهارُ

١٠ وعلى الأرض اخضرارٌ * واصفرارٌ واحمرارُ

فكأنّ الرَّوْضَ وَشْىٌ * بالغتْ فيه التِّجارُ

نَقْشُه آسٌ ونسرِيـ * ـنٌ(٣) ووردٌ وبَهارُ(٤)

هنأ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولاية ابنه محمد شرطة بغداد

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال :

كتب عبدُ الله بن المعتزّ إلى عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف

١٥ مؤنسٌ(٥) ابنَه محمد بن عُبَيْد الله على الشُّرْطة ببغداد :

---

(١) الشذر : خرز تفصل به الجواهر فى النظم .

(٢) العباسية : محلة كانت ببغداد منسوبة الى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس .

(٣) النسرين : ورد أبيض عطرى قوى الرائحة . فارسى معرب . (٤) البهار : نبت طيب الريح جعد له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع . (٥) مؤنس : هو مؤنس الخادم . وكان يلقب

٢٠ بالمظفر لما عظم أمره . وكان شجاعا مقداما فاتكا مهيبا . عاش تسعين سنة منها ستون سنة أميرا . وكان قد أبعده المعتضد الى مكة . ولما بويع المقتدر بالخلافة أحضره وقرّبه وفوّض اليه الأمور . قتل سنة ٣٢١ هـ (انظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٩) .

فَرِحتُ بما أضعافُه دون قَدْرِكم * وقلتُ عسى قد هَبَّ من نومه الدَّهْرُ
فترجِعَ فينا دولةٌ طاهريَّةٌ * كما بدأتْ، والأمرُ من بعده الأمرُ
عسى اللهُ، إنّ اللهَ ليس بغافلٍ * ولا بدَّ من يُسْرٍ إذا ما انتهى العُسْرُ

فكتب إليه عُبَيد الله قصيدةً منها :

ونحن إذا ما نالنا مَسُّ جَفْوَةٍ * فمنّا على لأوائها الصَّبْرُ والعُذْرُ
وإن رجعتْ من نعمة الله دولةٌ * إلينا فمنّا عندها الحمدُ والشكرُ

٥

انقطع عنه محمد هذا مدة طويلة فكتب له شعرا يعاتبه

قال : وجاءه محمد بن عُبَيْد الله بعَقِب هذا شاكرًا لتهنئته، ثم لم يَعُدْ إليه مدّةً طويلةً . فكتب إليه عبدُ الله بن المعتزّ :

قد جئتنا مَرَّةً ولم تَعُدِ * ولم تَزُرْ بعدَها ولم تَعِدِ
لستُ أرى واجدًا بنا عِوَضًا * فاطْلُبْ وجَرِّبْ واسْتَقْصِ واجْتَهِدِ
ناولَني حبلَ وَصْلِه بيدٍ * وهجرَه جاذبًا له بيدِ
فلم يكن بين ذا وذا أَمَدٌ * إلّا كما بين ليلةٍ وغدِ

١٠

* * *

١٤٦
٩

صوت

أبيات من معلقة زهير وشرحها

أمِنْ[1] أمِّ أوفى دِمْنةٌ لم تكلَّمِ * بحَوْمانةِ الدَّرّاج فالمُتَثَلَّمِ
بها العِينُ والآرامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً * وأطْلاؤها[2] يَنْهَضْنَ من كلّ مَجْثَمِ
وقفتُ بها من بعد عشرين حِجَّةً * فلأْيًا عرفتُ الدارَ بعد توهُّمِ

١٥

(١) أمن أم أوفى : يريد أمن منازل أم أوفى . (٢) الأطلاء : جمع طلا وهو ولد البقرة والظبية الصغير . وقوله ينهضن : يعني أنهن يمن أولادهن اذا أرضعنهن ثم يرعين، فاذا ظنن أولادهن قد أنفدن ما في أجوافهن من اللبن صوتن بأولادهن فينهضن من مجاثمهن للأصوات يرضعن . (عن شرح ديوان زهير للأعلم الشنتمرى) .

٢٠

فلمّا عرفتُ الدارَ قلتُ لِرَبْعها * ألَا عِمْ صباحاً أيّها الرَّبْعُ وٱسْلَمِ
ومَنْ يَعْصِ أطرافَ الزِّجاج فإنّه * يُطيع العَوَالِي رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ
ومَنْ هاب أسبابَ المنيّة يَلْقَها * ولو رام أسبابَ السماء بسُلَّمِ

عروضُه من الطويل . الحَوْمانةُ ، فيما ذكر الأصمعىّ ، الأرضُ الغليظة ، وجمعُها حَوَامِينُ . وقال غيرُه : الحَوْمانةُ : ما كان دون الرَّمْل . والدَّرّاجُ والمتثلَّم : موضعان . وروى أبو عمرو عن بعض ولد زُهَيْر "الدُّرّاج" مضمومةَ الدال . والعِينُ : البَقَرُ . والآرام[1] تسكن الجبال . خِلْفَةً : يذهب فَوْجٌ ويجيء فَوْجٌ يخلُفه مكانَه . ويُرْوَى : جَثَمَ وجَثِمَ . فمن قال جَثَمَ قال : جَثَمَ يجثِمُ جُثُوماً ، ومَن قال جَثِمَ قال : جَثِمَ يَجْثَمُ جَثَماً ، واللَّأْىُ : البطء . الزِّجاجُ : جمعُ زُجٍّ . قال : وأصله أنّ القوم كانوا إذا ٥

أرادوا صلحا قلبوا زِجاج الرماح إلى فوق ، فإن أبَوْا إلّا الحربَ قلبوا الأسِنَّة . واللَّهْذَم : السِّنان المحدَّد ، يقال رمح لَهْذَمٌ وسِنانٌ هُذَمٌ : حادّ . وأمّ أَوْفَى : ٱمرأة كانت لزُهَيْر فطلّقها . وله فى ذلك خبرٌ يُذْكَر بعد هذا . ١٠

الشعر لزُهَيْر بن أبى سُلْمَى . والغناء للغَرِيض ، ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البِنصر عن إسحاق فى الأوّل والثانى من الأبيات . وفيها لبَذْل الكبيرة ثقيلٌ أوّل بالبِنصر . ولعَلّويه فى الثالث والرابع ثقيل أوّل . ولإبراهيم ثانى ثقيل بالوسطى فى الخامس والسادس . وفيهما ثقيل أوّل يقال إنه ليزيد حَوْراءَ : ١٥

(١) الآرام من الظباء : البيض الخالصة البياض ، كما قال ذلك الأصمعى وأبو زيد . وفى اللسان أنها تسكن الرمال .

نَسَبُ زُهَيْر وأخباره

نسبه

هو زُهَيْر بن أبى سُلْمَى(١). وآسم أبى سُلْمَى رَبيعة(٢) بن رِياح بن قُرَّة بن الحارث بن مازن ابن ثَعْلَبَة بن ثَوْر بن هَرْمة بن الأصمّ بن عثمان(٣) بن عمرو بن أُدّ بن طابخة بن الياس ابن مُضَر بن نِزار. ومُزَيْنةُ أمُّ عمرو بن أُدّ هى بنت كلب بن و برة .

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء

وهو أَحَدُ الثلاثة المُقَدَّمين على سائر الشعراء ، و إنما آختُلِف فى تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه . فأمّا الثلاثة فلا آختلافَ فيهم ، وهم آمرؤ القيس وزُهَيْر والنّابغة الذُّبيانىّ .

قال جرير هو شاعر الجاهلية

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام عن أبى قَيْس عن عِكْرِمة بن جرير عن أبيه قال : شاعرُ أهلِ الجاهليّة زُهَيْر .

قال عمر لابن عباس إنه شاعر الشعراء

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا هارون بن عمر قال حدّثنا أيوب بن سُوَيْد قال حدّثنا يحيى بن يزيد عن عمر ابن عبد الله اللَّيْثىّ [عن ابن عباس](٤) قال :

قال عمر بن الخطاب ليلة مَسيره إلى الجابية(٥) : أين ابن عبّاس ؟ فأتيته(٦) ؛ فشكا تخلُّفَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . فقلت(٦) : أوَلم يعتذر إليك ؟ قال بَلَى ،

---

(١) سلمى بضم السين . وليس فى العرب سلمى بضم السين غيره . (٢) فى شرح التبريزى على المعلقات : « ... ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن برد بن لاطم (وفى هامش نسخة مخطوطة للزوزنى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٧ ادب م : « الأطم ») بن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة ابن الياس بن مضر» . وفى طبقات الشعراء لابن سلام : «... ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن ابن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لام بن عثمان بن مزينة» . (٣) فى حـ : «بن عثمان وهو عمرو الخ» .

(٤) تكملة فى السند يقتضيها سياق الخبر . (٥) الجابية : قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر فى شمالى حوران . ويقال لها جابية الجولان أيضا . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٦) كذا فى ا ، م . وفى سائر الأصول : « فأتاه ... فقال ... » .

قلت : فهو ما اعتذر به . ثم قال : أوّلُ مَنْ ريَّثكم عن هذا الأمر أبو بكر . إنّ قومكم كرِهوا أن يجمعوا لكم الخلافةَ والنبوّةَ — ثم ذكر قصّةً طويلةً ليست من هذا الباب فتركتها أنا[1] — ثم قال : هل تَرْوِى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومَنْ هو ؟ قال : الذى يقول :

٥ ولو أنّ حمدًا يُخْلِدُ الناسَ أُخْلِدوا * ولكنّ حَمْدَ النّاس ليس بمُخْلِدِ

١٤٧ / ٩

قلت : ذاك زُهَيْر . قال : فذاك شاعرُ الشعراء . قلت : وبِمَ كان شاعرَ الشعراء؟ قال : لأنه كان لا يُعاظِل فى الكلام وكان يتجنّب وَحْشِيَّ الشعر، ولم يمدح أحدًا إلّا بما فيه . قال الأصمعيّ : يعاظل بين الكلام[2] : يداخِل فيه . ويقال : يتّبع حُوشِيَّ الكلامِ، ووَحْشِيَّ الكلام، والمعنى واحد .

كان قدامة ابن موسى يقدمه على سائر الشعراء

١٠ أخبرنا أبو خَليفة قال قال ٱبن سَلّام وأخبرنى عمر بن موسى الجُمَحيُّ عن أخيه قُدامةَ بنِ موسى — وكان من أهل العلم — : أنه كان يقدّم زُهَيْرًا . قلت : فأىّ شىء كان أعجب إليه؟ قال : الذى يقول فيه :

قد جعل المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ * والسائلون إلى أبوابه طُرُقَا

قال جرير هو شعر أهل الجاهلية

قال ٱبن سلّام وأخبرنى أبو قَيْس العَنْبرىّ — ولم أرَ بدويًّا يَفِى به — عن عِكْرِمةَ

١٥ ابن جَرير قال :

قلتُ لأبى : يا أبَتِ مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أعن الجاهليّة تسألنى أم عن الإسلام ؟ قلت : ما أردتُ إلّا الإسلام . فإذ ذكرتَ الجاهلية فأخبِرْنى عن أهلها . قال : زُهَيْرٌ أشعرُ أهلِها . قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نَبْعةُ الشعر .

(١) ذكرت هذه القصة مفصلة فى الطبرى ق ١ ص ٢٧٦٨ — ٢٧٧١ فراجعه .

٢٠ (٢) يعاظل الكلام : يحمل بعضه على بعض ويتكلم بالرجيع من القول ويكرر اللفظ والمعنى . أو يعقده ويوالى بعضه على بعض . وكل شىء ركب شيئا فقد عاظله . (اللسان فى مادة عظل) .

قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد مَدْحَ الملوك ويُصيب وَصْفَ الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : نَحَرْتُ الشعرَ نَحْرًا .

عنه الأحنف قيس هو اشعر الشعراء

أخبرنى الحسن بن علىّ قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائنىّ عن عيسى ابن يزيد قال :

٥ سأل معاويةُ الأحنفَ بن قَيْس عن أشعر الشعراء، فقال: زُهَير . قال: وكيف ؟ قال : ألقى عن المادحين فضولَ الكلام . قال : مِثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

فما يَكُ من خيرٍ أتَوْه فإنّما * تَوارَثَهُ آباءُ آبائهم قَبْلُ

مدح عمر بن الخطاب شعره وروى منه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا عبدُ الله بن عمرو القَيْسِىّ قال حدّثنا خارجةُ بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن ١٠ عبد الله بن أبى سُفْيانَ عن أبيه عن آبن عبّاس، قال : وحدّثنيه غيرُه وهو أتمّ من حديثه، قال قال آبن عبّاس :

خرجتُ مع عمر فى أوّل غَزاةٍ غزاها . فقال لى ذاتَ ليلة : يابنَ عبّاس أنشدْنى لشاعرِ الشعراء . قلتُ : ومَنْ هو يا أميرالمؤمنين ؟ قال : ابنُ أبى سُلْمَى . قلت : وبِمَ صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتّبع حُوشِىَّ الكلام، ولا يعاظل(١) من المنطق، ١٥ ولا يقول إلّا ما يعرف، ولا يمتدح الرجلَ إلّا بما يكون فيه . أليس الذى يقول :

إذا آبتدرتْ(٢) قَيْسُ بنُ عَيْلانَ غايةً * من المَجْد مَنْ يَسْبِقْ إليها يُسَوَّدِ

(١) الذى تقدّم فى الصفحة السابقة : « يعاظل فى الكلام » . والذى فى اللسان وشرح القاموس فى استعمالات هذه المادة أنه يتعدى بنفسه ، يقال عاظل الكلام كما يقال عاظل فيه وبينه .

(٢) يقول : إذا تسابقت قيس بن عيلان لإدراك غاية من المجد تسوّد من سبق إليها كنت السابق ٢٠ إليها . وقيس بن عيلان : قبيلة . (راجع الجزء السادس من الأغانى حاشية رقم ١ ص ١ من هذه الطبعة) .

سبقتَ إليها كلَّ طَلْقٍ(١) مُبرِّزٍ * سَبُوقٍ إلى الغايات غيرِ مُزَنَّدِ

كفعل جوادٍ يَسْبِقُ الخيلَ عَفْوُهُ الـ * ـسِّراعَ(٢) وإن يَجْهَدْ ويَجْهَدْنَ يَبْعُدِ

ولو كان حَمْدٌ يُخْلِد الناسَ لم تَمُتْ * ولكنَّ حَمْدَ النّاس ليس بمُخْلِدِ

أَنشِدْني له، فأنشدتُه حتى بَرَقَ الفجرُ. فقال: حَسْبُكَ الآنَ، اقرأ القرآن، قلت:

٥ وما أقرأ؟ قال: اقرأ الواقعة، فقرأتُها ونَزَل فأذَّن وصلَّى.

أخبرني محمد بن القاسم الأَنْبارِيّ قال حدّثني أبي قال حدّثنا أحمد بن عُبَيد قال أخبرنا أبو عُبَيدة عن عيسى بن يزيدَ بن بكر قال قال آبن عبّاس: خرجت مع عمر، ثم ذكر الحديثَ نحوَ هذا.

استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فما قال شعرا حتى مات

١٤٨ / ٩ وجدتُ في بعض الكتب عن عبد الله بن شَبِيب عن الزُّبَير بن بَكّار عن حُمَيد

١٠ ابن محمد بن عبد العزيز الزُّهْرِيّ عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفعه:

أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى زُهَير بن أبي سُلْمَى وله مائةُ سنة فقال: "اللهم أعِذْني من شيطانه" فما لاك بيتًا حتى مات.

خرج أبوه أبو سلمى مع خاله وابن خاله لغزو طيّئ فمنعاه حقه في المغنم، وشعره في ذلك

قال آبن الأعرابيّ وأبو عمرو الشَّيْبانيّ:

كان من حديث زُهَير وأهلِ بيته أنهم كانوا من مُزَينة، وكان بنو عبد الله بن

١٥ غَطَفانَ جيرانَهم، وقِدْمًا ولدتْهم بنو مُرَّة. وكان من أمرِ أبي سُلْمَى أنه خرج وخالَه أَسْعَدَ بنَ الغَدِير بن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض وآبنَه كعبَ

(١) يقال: رجل طلق اليدين إذا كان معطاء. وظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماض يجود بما عنده من العدو. والمبرز: الذى سبق الناس إلى الكرم والخير. والمزند هنا: البخيل أو اللئيم. ويروى: «غير مجلد» أى ينتهى الى الغايات من غير أن يجلد و يضرب. (٢) فى الأصول: «فيسرع».

٢٠ والتصويب عن الديوان بشرح الأعلم، ورواية البيت فيه:

كفضل جواد الخيل يسبق عفوه الـ * ـسراع وإن يجهدن يجهد و يبعد

ابن أسعد فى ناس من بنى مُرّة يُغيرون على طيّئ، فأصابوا نَعَماً كثيرةً وأموالاً فرجعوا حتى انتهَوْا إلى أرضهم . فقال أبو سُلْمَى لخاله أسعد وابنِ خاله كعب : أَفْرِدا لى سَهْمى، فأبَيَا عليه ومنعاه حقّه، فكفّ عنهما؛ حتى إذا كان الليلُ أتى أمّه فقال : والذى أحلف به لَتَقُومِنّ إلى بعيرٍ من هذه الإبل فلتَقْعُدِنّ عليه أو لأضربنّ بسيفى تحت قُرْطَيْك . فقامت أُمُّه إلى بعير منها فاعتنقتْ سَنامه، وساق بها أبو سُلْمَى وهو يرتجز و يقول :

وَيْلٌ لأجمالِ العجوز منّى ✻ إذا دنوتُ ودنونَ منّى

✻ كأنّنى سَمَعْمَعٌ من جِنّ ✻

— سَمَعْمَعٌ : لطيفُ الجسم قليلُ اللحم — وسَاقَ الإبلَ وأُمّه حتى انتهى إلى قومه مُزَيْنَة . فذلك حيث يقول :

ولَتَغْدُوَنْ إبلٌ مجنّبةٌ ✻ من عند أَسْعَدَ وابنه كعب

— مُجَنَّبة : مجنوبة —

الآكلَيْن صَرِيحَ قومِهما ✻ أَكْلَ الحُبَارَى[1] بُرْعُمَ الرُّطْبِ[2]

— البُرْعُم[3] : شجرة ولها نَوْرٌ — قال : فلبِث فيهم حينًا، ثم أقبل بمُزَيْنة مُغيراً على بنى ذُبْيان . حتى إذا مُزَيْنَةُ أَسْهَلَتْ وخَلّفتْ بلادَها ونظروا إلى أرض غَطَفانَ، تطايروا عنه راجعين، وتركوه وحدَه . فذلك حيث يقول :

مَنْ يشترى فرسًا لخيرٍ غَزْوُها ✻ وأبَتْ عَشِيرةُ ربِّها أن تُسْهِلا

(١) الحبارى : طائر يضرب به المثل فى البلاهة والحمق، وهو طائر صحراوى يبيض فى الرمال النائية .

(٢) الرطب : الرعى الأخضر من البقل والشجر، وقيل جماعة العشب الأخضر .

(٣) الذى فى اللسان : أن البرعم كم ثمر الشجر والنور . وقيل هو زهرة الشجر ونور النبت قبل أن تتفتح . وقد استشهد بهذا البيت .

يعنى أن تنزل السَّهْلَ . قال : وأقبل حين رأى ذلك من مُزَيْنة حتى دخل فى أخواله بنى مُرَّة . فلم يزل هو وولدُه فى بنى عبد الله بن غَطَفان إلى اليوم .

قال معلقته فى مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وقد حملا دية هرم ابن ضمضم فى مالهما

وقصيدة زُهَيْر هذه أَعْنِى :

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـةٌ لم تَكَلَّمِ *

٥ قالها زُهَيْر فى قَتْـل وَرْد بن حابِس العَبْسِىّ هَرِمَ بن ضَمْضَم المُرِّىّ الذى يقول فيه عَنْتَرةُ وفى أخيه :

ولقد خَشِيتُ بأن أموت ولم تَدُرْ * للحـــرب دائرةٌ على آبْنَىْ ضَمْضَمِ

و يمدح بهـا هَرِمَ بنَ سِنان والحارثَ بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيَان المُرِّيَّيْن لأنهما آحتملا دِيَتَه فى مالهما؛ وذلك قول زُهَيْر :

١٠ سَعَى ساعيا غَيْظِ بن مُرَّةَ بعـدما (١) * تَـبَزَّلَ ما بين العَشِيرةِ بالدَّمِ

يعنى بنى غَيْظ بن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبيان .

١٤٩ / ٩

قال الأَثْرَمُ أبو الحسن حدّثنى أبو عُبَيْدة قال :

كان وَرْدُ بنُ حابس العبسىّ قتل هَرِمَ بنَ ضَمْضَم المُرِّىّ، فتشاجر عَبْسٌ وذُبْيان قبل الصلح، وحلف حُصَيْن بن ضَمْضَم ألّا يغســل رأسَه حتى يقتل وَرْدَ بنَ حابس

١٥ أو رجلًا من بنى عَبْس ثم من بنى غالب، ولم يُطْلِـع على ذلك أحدا، وقد حَمَلَ الحَمالةَ (٢) الحارثُ بن عَوْف بنُ أبى حارثة (٣)، وقيل بل أخوه حارثة بن سِـنان (٤) . فأقبل رجلٌ

(١) ما والفعل بتأويل المصـدر . وتبزل : تشقق ، و بالدم : يريد سفك الدم . يقول : سعى هذان السيدان (هرم بن سنان والحارث بن عوف) فى إحكام العهـد بين عبس وذبيان بعد تشقق الألفة والمودة بين القبيلة بسبب سـفك الدماء بين عبس وذبيان . (انظر شرح ديوان زهير للأعلم الشنتمرى) .

٢٠ (٢) الحمالة : الدية . (٣) فى شرح التبريزى وابن الأنبارى على المعلقات والأعلم الشنتمرى وشرح ثعلب لديوان زهير : «وقد حمل الحمالة الحارث بن عوف بن أبى حارثة وهرم بن سنان بن أبى حارثة» .

(٤) فى الأصول : « فأقبل على رجل الخ » والتصويب عن المصادر المتقدّمة .

من بنى عَبْس ثم أحدُ بنى مخزوم، حتى نزل بحُصَيْن بن ضَمْضَم. فقال له حُصَين: مَنْ أنت أيُّها الرجل؟ قال: عَبْسِىٌّ. قال: من أىِّ عَبْس؟ فلم يزل يَنْتسب حتى ٱنتسب إلى بنى غالب، فقتله حُصَيْن. وبلغ ذلك الحارثَ بنَ عَوْف وهَرِمَ بنَ سِنان فاشتدّ عليهما، وبلغ بنى عَبْس فركبوا نحوَ الحارث. فلمّا بلَغه ركوبُهم إليه وما قد ٱشتدّ عليهم من قَتْلِ صاحبِهم وأنّهم يريدون قَتْلَ الحارث، بعث إليهم بمائة من الإبل معها ٱبنُه، وقال للرسول: قل لهم: الإبلُ أحبُّ إليكم أم أنفسُكم؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك. فقال لهم الرَّبيع بن زِياد: ياقوم إنّ أخاكم قد أرسل إليكم: «الإبلُ أحبُّ إليكم أم ٱبنى تَقتلونه مكانَ قتيلكم». فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومَنا، ونُتِمُّ الصُّلْحَ. فذلك حين يقول زُهَيْر يمدح الحارثَ وهَرِماً:

* أمِنْ أمّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

وهى أوّلُ قصيدة مدَح بها هَرِمًا، ثم تابع ذلك بعدُ.

قصة زواج الحارث ابن عوف ببهيسة بنت أوس وتحمله الدية فى ماله بين عبس وذبيان

وقد أخبرنى الحسن بن علىّ بهذه القصة، وروايتُه أتمُّ من هذه، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا محمد ٱبن إسحاق المُسَيَّبِىّ قال حدّثنى إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ٱبن عَوْف عن أبيه قال:

قال الحارثُ بن عوف بن أبى حارثة: أتُرانى[1] أخطب إلى أحد فيردّنى؟ قال نعم. قال: ومَنْ ذاك؟ قال: أوْسُ بنُ حارثة بن لَأْم الطّائىّ. فقال الحارث لغلامه: ٱرحَلْ بنا، ففعل. فركبا حتى أتيا أوْسَ بنَ حارثة فى بلاده فوجداه فى منزله. فلمّا رأى الحارثَ بنَ عَوْف قال: مرحبًا بك يا حارِ. قال:

(١) هكذا فى الأصول. ولم يذكر المخاطب الذى كان يحدثه. وباقى القصة يعين أنه خارجة بن سنان.

وبكَ . قال: ماجاء بك يا حارِ ؟ قال: جئتُك خاطبًا. قال: لستَ هناك. فانصرف ولم يكلّمه . ودخل أوسٌ على امرأته مُغْضَبًا وكانت من عَبْس فقالت : مَنْ رجُلٌ وقَفَ عليك فلم يُطِلْ ولم تكلِّمْه ؟ قال : ذاك سَيِّدُ العرب الحارث بن عوف بن أبى حارثة المُرِّىّ. قالت : فما لَك لم تستنزله ؟[1] قال : إنه استحمَق . قالت : وكيف؟ قال : جاءنى خاطبًا . قالت : أفتريد أن تزوّج بناتِك ؟ قال نعم . قالت : فإذا لم تُزَوِّجْ سَيِّدَ العرب فمَنْ ؟ قال: قد كان ذلك. قالت : فتدارَكْ ما كان منك. قال: بماذا؟ قالت : تَلْحَقُه فتردُّه . قال : وكيف وقد فَرَط منّى ما فَرَط إليه؟ قالت تقول له : إنك لَقِيتَنى مُغْضَبًا بأمرٍ لم تقدِّم فيــه قولًا،[2] فلم يكن عندى فيه من الجواب إلا ما سمعتَ، فانصرِفْ ولك عندى كلُّ ما أحببتَ فإنه سيفعل. فركب فى أثرِهما . قال خارجةُ بن سنان : فوالله إنى لأسـيرُ إذ حانت منّى ٱلتفاتةٌ فرأيتُه، فأقبلتُ على الحارث وما يُكلِّمنى غمًّا فقلت له : هذا أوْسُ بن حارثة فى أثَرِنا . قال: وما نصنع به! امْضِ! . فلمّـا رآنا لا نقف عليه صاح : يا حار ارْبَعْ علىَّ ساعةً . فوقفنا له فكلّمه بذلك الكلام فرجع مسرورا . فبلغَنى أن أوسًا لمـّا دخل منزلَه قال لزوجته ٱدْعِى لى فلانَةَ (لأكبر بناته) فأتته، فقال : يا بُنَيّة ،هذا الحارث بن عَوْف سَيِّدٌ من سادات العرب، قد جاءنى طالبًا خاطبًا ، وقد أردتُ أن أُزوِّجَك منه فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل. قال : ولِمَ ؟ قالت: لأنى ٱمرأة فى وجهى ردّة،[3] وفى خُلُقى بعضُ العُهْدة،[4] ولستُ بآبنة عمِّـه فيرعَى رَحِمى، وليس بجارِك فى البلد فيَسْتَحِىَ منك ، ولا آمَنُ أن يرى منّى ما يَكره فيطلِّقَنى فيكونَ علىّ فى ذلك ما فيه . قال : قُومى بارك الله عليكِ . ٱدْعِى لى فلانةَ (لابنته الوُسْطَى)؛ فدعتْها،ثم قال لها مِثْلَ قوله لأختها ؛ فأجابته بمثل

(١) فى ب، س : « لاستنزله » . (٢) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «لم تقدّم منى فيه قولا » . (٣) الردة : القبح مع شىء من الجمال . (٤) العهدة : الضعف .

جوابها وقالت : إنى خَرْقاءُ وليست بيدى صِناعة ، ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلّقنى فيكونَ علىّ فى ذلك ماتعلم ، وليس بابنِ عمّى فيرعَى حقّى ، ولا جارِكَ فى بلدك فيَسْتحْيِيَك . قال : قُومى بارك اللهُ عليكِ . أُدْعِى لى بُهَيْسَةَ (يعنى الصغرى) ، فأُتِيَ بها فقال لها كما قال لهما . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إنى قد عرضت ذلك على أُختيكِ فأبَتَاه . فقالت — ولم يذكر لها مقالتَيْهما — لكنّى والله الجميلةُ وجهاً ، الصَّنَاعُ يدًا ، الرفيعةُ خُلُقًا ، الحسيبةُ أبًا ، فإن طلَّقنى فلا أَخْلَفَ اللهُ عليه بخير . فقال : بارك الله عليكِ . ثم خرج إلينا فقال : قد زوّجتُك يا حارثُ بُهَيْسَةَ بنتَ أَوْس . قال : قد قَبِلتُ . فأمر أُمَّها أن تُهَيِّئها وتُصْلِح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضُرِب له ، وأنزله إيّاه . فلمّا هُيِّئتْ بعث بها إليه . فلمّا أُدخلت إليه لبث هُنَيْهةً ثم خرج إلىّ . فقلت : أفَرَغْتَ من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لمّا مَدَدْتُ يدى إليها قالت : مَهْ ! أعند أبى وإخوتى ! ! هذا والله مالا يكون . قال : فأمر بالرِّحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسرْنا ما شاء الله . ثم قال لى : تقدّمْ فتقدمتُ ، وعدَل بها عن الطريق ، فما لبِثَ أن لَحِق بى . فقلت : أفَرَغْتَ ؟ قال لا والله . قلت : ولِمَ ؟ قال : قالت لى : أكما يُفْعَل بالأَمَة الجَليبة أو السَّبِيَّة الأَخِيذة ! لا والله حتى تنحَرَ الجُزُرَ ، وتذبحَ الغنمَ ، وتدعُوَ العربَ ، وتعمَلَ ما يعمل لمثلى . قلتُ : والله إنى لأرى همّةً وعقلًا ، وأرجو أن تكون المرأة مُنْجِبةً إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادَنا ، فأحْضَرَ الإبلَ والغنمَ ، ثم دخل عليها وخرج إلىّ . فقلت : أفرَغْتَ ؟ قال لا . قلت : ولِمَ ؟ قال : دخلتُ عليها أُريدها ، وقلتُ لها قد أحضَرْنا من المال ما قد ترَيْن ، فقالت : والله لقد ذكرتَ لى من الشرف مالا أراه فيك . قلت : وكيف ؟ قالت : أتفرُغ لنكاح النِّساء والعربُ تقتل بعضها ! (وذلك فى أيام حرب عَبْس وذُبْيان) . قلت : فيكون ما ذا ؟ قالت : اخرُجْ

إلى هؤلاء القوم فأَصْلِحْ بينهم، ثم ارجعْ إلى أهلك فلن يفوتك . فقلت : والله إنى لأرى هِمّةً وعقلًا، ولقد قالت قولا . قال: فأَخْرُجْ بنا . فخرجنا حتى أتَيْنا القومَ فمشَيْنا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتَسِبوا القتلى، فيؤخَذَ الفضل ممن هو عليه . فحملنا عنهم الدِّياتِ، فكانت ثلاثةَ آلاف بعــير فى ثلاث سنين، فانصرفنا بأجمل الذِّكْر.

قال محمد بن عبد العزيز : فمُدِحوا بذلك، وقال فيه زُهَيْرُ بن أبى سُلْمَى قصيدتَه :

* أمِنْ أمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

فذكرهما فيها فقال :

تداركتما عَبْسًا وذُبْيــانَ بعدما * تفانَوْا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمِ (١)

فأصبح يَجْرِى فيهمُ من تِلادِكم * مَغَانِمُ شَتَّى من إفالِ المُزَنَّمِ (٢)

يُنَجِّمُهــا قومٌ لقومٍ غرامــةً (٣) * ولم يُهَرِيقوا بينهم مِلْءَ مِحْجَمِ

وذكر قيامهم فى ذلك فقال :

« صحا القلبُ عن سَلْمَى وقد كاد (٤) لا يسلو »

---

(١) منشم زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم فى عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا، فضرب زهير بها المثل، أى صار هؤلاء فى شدة الأمر بمنزلة أولئك . وقيل : هى امرأة من خزاعة كانت تبيع عطرا فاذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم فتشاءموا بها، وكانت تسكن مكة . وفيه أقوال أخرى كثيرة راجعها فى لسان العرب (فى مادة نشم) وأمثال الميدانى فى «أشأم من منشم» وفى شرح الأعلم الشنترى لديوان زهير . (٢) الإفال : جمع أفيل وهو الصــغير من الإبل، والمزنم : اسم فحل معروف . والتلاد : المــال القديم الموروث . وإنما خص الإفال لأنهم كانوا يغرمون فى الدية صغار الإبل . (عن الأعلم) . ويروى هذا البيت فى شرح القاموس (فى مادة «زنم») هكذا :

فأصبح يحدى فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال مزنم

(٣) ينجمها قوم : أى تجعل نجوما أى أقساطا على غارمها . يريد أن هذين الساعيين حملا دماء من قتل وغرم فيها قوم من رهطهما على أنهــم لم يصبوا ملء محجم من دم، أى أعطوا فيها ولم يقتلوا . (عن الأعلم) . (٤) فى ا، م : «كان» .

١٥١ / ٩

وهى قصيدة يقول فيها :

تداركتُما الأحلافَ(١) قد ثُلّ عرشُها * وذُبيانَ قد زَلّتْ بأقدامِها النَّعلُ

وهذه لهم شرفٌ إلى الآن . ورجَع فدخل بها ، فولَدَتْ له بنين وبنات .

مدح بقصيدته القافية هرما وأباه وإخوته

ومما مدح به هَرِمًا وأباه وإخوته وغُنّىَ فيه قولُه :

صــــوت

إنّ الخليطَ(٢) أجَدَّ البينَ فانفرقا * وعَاقَ القلبُ من أسماء ما عَلِقا

وأخلفتْكَ ابنةُ البَكْرِىّ ما وعدتْ * فأصبح الحبلُ منها واهنًا(٣) خَلَقا

قامت تَبَدّى بذى ضال لِتَحزُنَنى * ولا محالةَ أن يشتاقَ مَنْ عشِقا

بجِيدِ مُغْزِلَةٍ أَدْمَاءَ خاذِلةٍ * من الظباء تُراعى شادنًا خَرِقا

انفرق : انفعل ، من الفُرْقة . وأجَدّ وجَدّ بمعنًى واحد ، من الجِدّ خلاف اللعب . والواهن والواهى واحد . والحبل : السَّبَبُ فى المودّة(٤) . والضّال : السِّدْرُ الصِّغارُ ، واحدتُها ضالَة . والجيد : العُنُق . والمُغْزِلَةُ : الظبية التى لها غزال . والأَدْماء : البيضاء . والخاذلة : المقيمة على ولَدِها ولا تتبع الظباء . والشّادنُ : الذى قد شَدَن أى تحرّك ولم يَقْوَ بعدُ . والخَرِق : الدَّهِشُ .

غَنّى مالك فى الأوّل والثانى من الأبيات خفيفَ رمَلٍ بالوُسْطَى ، وقيل إنه لابن جامع ، وقيل بل لحنُ ابن جامع بالبِنْصر . وفى الثالث والرابع لابن المكّىّ رَمَلٌ صحيحٌ من روايتَىْ بَذْل والهشامىّ .

(١) الأحلاف : أسد وغطفان وطيئ . وثل عرشها : أى أصابها ما كسرها وهدمها . وذبيان : قبيلة الممدوحين وهم من غطفان . وإنما فصلهم منهم لأن حصين بن ضمضم المرى جنى عليهم الحرب وهو منهم لأن مرة من ذبيان . ويقال « زلت بأقدامها النعل » إذا وقعت القبيلة فى حيرة وضلال . (عن الأعلم) .

(٢) الخليط : المخالط ، ويقال للجمع أيضا خليط . (٣) فى أ ، م : «واهيا» بالياء المثناة .

(٤) فى أ ، م : « المحبة »

وفى هذه القصيدة يقول يمدح هَرِماً :

قد جعل المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ * والسائلون إلى أبوابه طُــرُقَا
من يَلْقَ يوماً على عِلَّاته هَرِماً * يَلْقَ السماحةَ منــه والنَّــدَى خُلُقا
ليثٌ بعَــثَّرَ[1] يصطــاد اللُّيوثَ إذا[2] * ما اللَّيْثُ كذَّبَ[3] عن أقرانه صَدَقا
٥ يطعُنُهم ما آرْتَمَوْا حتى إذا آطَّعنوا * ضاربَ حتى إذا ما ضارَبوا آعتنقا[4]

ومن مدائحه[5] إيّاهم قوله يمدح أبا هَرِم سِنانَ بن أبى حارثةَ . وذكر آبنُ الكَلْبىّ أنه هــوِىَ آمرأةً فآسْتُهِيم بها ؛ وتَفَاقَم به ذلك حتى فُقِــد فلم يُعْرَف له خــبر . فتزعُم بنو مُرَّة أنّ الجنّ آســتطارتْه فأدخلتْه بلادَها ، وآســتعجلتْه لكَرَمه . وذكر أبو عُبَيْــدة أنّه قد كان هَرِم حتى بلَغ مائةً وخمسين ســنة ؛ فهام على وجهه خَرَفًا ١٠ ففُقِد . قال : فزعَم لى شيخٌ من علمــاء بنى مُرَّة أنه خرج لحاجته بالليل فأبعَــد ، فلمّا رجع ضَلَّ[6] فهام طولَ ليلته حتى سقط فمات ، وتبِــع قومُه أثرَه فوجدوه ميتاً . فرثاه[7] زُهير بقوله :

خوف سنان بن أبى حارثة ثم مات فرثاه

إنّ الرَّزِيّةَ لا رَزِيّةَ مِثلُها[8] * ما تبتغى غَطَفانُ يومَ أَضَلَّتِ[9]

(١) عثّر : (بتشديد الثاء) اسم موضع باليمن ، وقيل : هى أرض مأسدة بناحية تبالة .
١٥ (٢) فى حـ والديوان : « الرجال » . (٣) كذب : أى لم يصدق الحملة . يقال : كذب الرجل عن كذا إذا رجع عنــه . يقول : إذا رجع الشجاع عن قرنه ولم يصدق الحملة عليه فهــذا الممدوح يصدقها . (عن الأعلم) . (٤) اعتنق : التزم قرنه . يقول : إذا ارتمى النــاس فى الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمى فجعل يطاعنهم ، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف ، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قرنه والتزمه ، أى أنه يزيد عليهم فى كل حال من أحوال الحرب . (عن الأعلم) . (٥) الأبيات الآتية
٢٠ فى الرثاء . والرثاء ضرب من المدح . (٦) فى الأصول : « مثل » وهو تحريف .
(٧) فى الأعلم : « وقيل إنما رثى بالأبيات حصن بن حذيفة » . (٨) فى أ ، م : « بعدها » . (٩) يقال : ضل فلان الطريق وأضل بعيره يقال الأول للثابت والثانى لغيره .

إنّ الرِّكابَ (١) لتبتغى ذا مِرَّةٍ * بجنوب نجدٍ (٢) إذا الشهورُ أَحَلّتِ

ينعَيْنَ خيرَ الناس عند شديدةٍ * عَظُمتْ مصيبتُه هناك وجَلَّتِ

ومُدَفَّعٍ ذاقَ الهَوانَ مُلَعَّنٍ * راخيتَ عُقْدةَ حَبْلِه (٣) فانْحلَّتِ

ولنِعمَ حشوُ الدِّرعِ كان إذا سَطَا (٤) * نَهِلَتْ من العَلَقِ (٥) الرِّماحُ وعَلَّتِ

١٥٢ / ٩ — أشعار له غنى فيها

والذى فيه غِناء من مدائح زُهير قولُه : ٥

صــــوت

أمِنْ أُمِّ سَلْمَى عرَفتَ الطُّلولَا (٦) * بذى حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولَا

بَلِينَ وتحسَبُ آياتِهِنّ * على (٧) فَرْطِ حَوْلَيْنِ رَقًّا مُحِيلَا (٨)

المـاثل هاهنا : اللاطئُ بالأرض ، وفى موضع آخر : المُنْتَصِبُ القائم . وذو حُرُض : موضعٌ . والحُرُضُ : الأُشْنان . وآياتُهِنّ : علاماتُهِنّ . وفَرْطُ حَوْلَيْن : تَقَدُّمُ حولين، والفارِط : المتقدِّم . ١٠

غَنَّى فى هذين البيتين إسحاق ، وله فيهما لحنان : أحدهما ثانى ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر فى مجرَى البِنْصر، من كتابه . والآخر ماخُورِىٌّ من مجموع غنائه، وروايته عن الهِشامىّ . وفيهما للزُّبَير بن دَحْمانَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنْصر عن عمرو . يقول فيها :

إليك سِنانُ الغَداةَ الرَّحيـ * ـلُ أَعْصِى النُّهاةَ وأُمْضِى الفُؤولا ١٥

جمع فأل، أى لا أتطيَّر .

---

(١) الركاب : الإبل ، والمراد راكبوها . وذا مرة أى ذا عقل ورأى مبرم . وقوله « إذا الشهور أحلت » أى إذا دخلت الشهور التى يحل فيها الغزو . (٢) فى ديوان زهير بشرح الأعلم النحوى : « بجنوب نخل » . (٣) فى أ ، م : « كله » والكبل : القيد .

(٤) فى شرح الأعلم : « ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا » . (٥) العلق : الدم . ٢٠

(٦) فى شرح الأعلم : « أمن آل ليلى الخ » . (٧) فى شرح الأعلم : « عن » .

(٨) المحيل : الذى أتى عليه حول . شبه رسوم الدار برق مكتوب قد أتى عليه حول بحيث يتغير ويدرس .

فلا تأمَنِي غَزْوَ أفْراسِه * بَنِي وائلٍ وٱحْذَرِيه جَدِيلا[1]
وكيف ٱتقاءُ ٱمرئٍ لا يـؤو * ب بالقوم فى الغَزْوِ حتى يُطيلا[2]

ومن الغناء فى مدائح هَرِم قولُه :

صـــوت

٥ قِفْ بالدِّيار التى لم يَعْفُها القِدَمُ * بَلَى وغيَّرها الأرْواحُ والدِّيَمُ
كأن عينى وقد سال السَّلِيلُ بهم * وعَبْرَةٌ[3] ما هُمُ لو أنَّهم أَمَمُ
غَرْبٌ على بَكْرة أو لؤلؤٌ قَلِقٌ * فى السِّلك خان به رَبَّاته النُّظُمُ

الدِّيَمُ : جمع دِيمَة وهو المطر الذى يَدُوم يومًا أو يومين مع سكون . سال السَّلِيلُ بهم : أى ساروا فيه سيرًا سريعًا . والسَّلِيلُ : وادٍ . وقولُه وعَبْرةٌ ماهُمُ أى هم عبرةٌ[4]، وما هاهنا صِلَةٌ . لو أنهم أَمَم أى قَصْدٌ كنتُ أزورهم . والأَمَمُ : بين القريب والبعيد . والقَلِقُ : الذى لم يستقر لما ٱنقطع الخَيْط . والنُّظُمُ : جَمْعٌ واحدها نِظام ، شبَّه دموعَه بلؤلؤ ٱنقطع سِلْكُه ، وبماءٍ سال من الغَرْب .

الغناءُ فى هذه الأبيات رَمَلٌ لابن المكىّ بالوسطى عن عمرو . وذكر عمرو أن لإسحاق فيها لحنًا أيضًا . وذكر يونس أن فيها لحنًا لمالك .

١٥ صـــوت

لِمَنِ الدِّيارُ بقُنَّةِ الحِجْرِ[5] * أقْوَيْنَ مُذْ حِجَجٍ ومُذْ دَهْرِ[6]

---

(١) يريد : يابنى وائل لا تأمنى غزو فرسانه ، و يا جديلة احذريه . وجديلة أم فهم وعدوان ، وكان سنان يجاورهم . (عن الأعلم) . (٢) أى هو مطيل للغزو لأنه يتبع أقصى أعدائه فلا يؤوب بالقوم من غزوه إلا بعد مدة طويلة . فاتقاء مثل هذا أشد اتقاء . (عن الأعلم) . (٣) روى فى لسان

٢٠ العرب مادة أمم : « وجيرة » وكذلك روى فى مادة سلل مردفا بقوله : « ويروى : وعبرة » .

(٤) أى هم سبب بكائى وحزنى . (٥) الحجر : موضع بعينه وهو حجر اليمامة .

(٦) فى جـ وديوانه : « من حجج ومن شهر » .

لَعِب الرِّياحُ بها وغيَّرها * بعدى سَوَافِى الرِّيح والقَطْرِ[1]

دَعْ ذا وعدِّ القولَ فى هَرِمٍ * خيرِ الكُهول وسيِّدِ الحَضَرِ

لوكنتَ من شىءٍ سوى بَشَرٍ * كنتَ المُنَوِّرَ ليلةَ البدرِ

القُنَّة[2] : الجبل الذى ليس بمنتشر . أقْوَيْن : خَلَوْن . والسَّوَافِى : ما تَسْفِى الرياحُ. قال : والقَطْرُ مخفوضةٌ بنَسَقه على الرِّيح[3]، والقَطْرُ لا سَوَافِىَ له[4] . وهذا تفعله العرب فى المجاورة ، وهو مثل قولهم : جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ .

غَنَّى فى هذه الأبيات سائب خاثر من رواية حَمّاد عن أبيه، ولم يجنِّسْه. وفيه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر نَسَبه عمرو بن بانَةَ إلى مَعْبَد، ونَسَبه غيرُه إلى سائب، وإلى الأَوْسيَّة مما ذكر حَبَشٌ . قال : وهى من قِيان الحجاز القدائم مولاةٌ للأَوْس .

ومنها قولُه يمدح سِنَانَ بن أبى حارثةَ :

صـــوت

صَحَا القلبُ عن سَلْمَى وقد كادَ[5] لا يَسْلُو * وأَقْفَرَ من سَلْمَى التَّعَانِيقُ فالثَّقْلُ

وقد كنتُ من سَلْمَى سِنِينَ ثمانيًا * على صِيرِ أَمْرٍ ما يَمُرُّ وما يَحْلُو

وكنتُ إذا ما جئتُ يومًا لحاجة * مَضَتْ وأجَمَّتْ حاجةُ الغَدِ ما تَخْلو

وكلُّ محبٍّ أَحدثَ النأىُ عندَه * سُلُوَّ فؤادٍ غيرَ حُبِّك ما يَسْلُو

تأوَّبَنى ذِكْرُ الأحِبَّةِ بعدَ ما * هَجَعْتُ ودونى قُلَّةُ الحَزْنِ فالرَّمْلُ

---

(١) فى شرح الأعلم : « المور » وهو التراب .

(٢) هذا على الرواية التى ذكرها المؤلف . وعلى رواية الأعلم يراد بالسوافى الرياح، يعنى أن الرياح والأمطار تردّدت على هذه الديار حتى عفت رسومها وغيرت آثارها بما سفت الرياح عليها من التراب ومحت الأمطار من الآثار . (٣) فى الأصول : «على الرياح» . (٤) اذا فسرت السوافى بالرياح فيصح أن يكون القطر مما تسفيه الرياح . (٥) فى أ، م : « كان » .

فأقسمتُ جَهْدًا بالمنازل من مِنًى * وما سُحِقَتْ فيه المَقَادِيمُ والقَمْلُ[1]
لأَرْتَحِلَنْ بالفجر ثم لأَدْأَبَنْ * إلى الليل إلّا أن يُعرِّجني طِفْلُ
وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلّا وَشِيجُه * وتُغرَسُ إلّا في مَنابتها النَّخلُ[2]

التَّعانيق والثَّقْل: موضعان. ويُروى: فالنَّخل. وقوله على صير أمر: أى على شَرَف أمر. وأجَمَّتْ: دَنَتْ. وتأوِبنى: أتانى ليلًا. والتأويبُ: سَيْرُ يومٍ إلى الليل. سُحِقَتْ: حُلِقَتْ، يقال سحف رأسه وسبَته وجَلَطه: حلقه. وقوله "يُعرّجنى طِفْلٌ" قال يقال الطِّفْلُ: الليل، ويقال الطَّفْلُ: مَغيبُ الشمس، وقال أبو عُبَيْدة: الطفل: الحَزْنُ، وإيقاده نارَ التَّحْبير[3]. والخَطِّيُّ: رماحٌ نَسَبَها إلى الخطّ وهى من جزيرة بالبحرين تُرفَأ إليها سُفُنُ الرماح. والوَشِيجُ: القَنَا واحدُها وَشيجةٌ. والوُشُوجُ: دخولُ الشيء بعضه فى بعض.

غَنَّى إبراهيمُ المَوْصِلىّ فى الأوّل والثانى ثقيلًا أوّل بالبنصر من رواية الهشامىّ وعمرو. وغنَّى إبراهيم أيضًا فى السادس والسابع والثامن خفيفَ ثقيلٍ. وفى الثالث لمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ. ولعَلّويه فى السابع والثامن خفيفُ رَمَلٍ. وذكر حَبَشٌ أن لإبراهيم فى الثامن لحنًا ماخُوريًّا.

ومن الغناء فى مدائحه هَرِمًا قوله:

صوت

لِمَن طَلَلٌ برامةَ لا يَرِيمُ[4] * عَفَا وأحالَه عَهْدٌ قديمُ[5]

(١) المقاديم: جمع مقدم الرأس، وأراد بالقمل: الشعر الذى فيه القمل، على تقدير مضاف، أى وشعر القمل. وقد يراد القمل على معناه فانه تابع ومسحوف مع المقاديم وشعرها.

(٢) هذا البيت وارد فى ديوانه فى القصيدة بعد أبيات عدة لم يذكرها أبو الفرج، وقبله:

فما يك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل

(٣) نار التحبير: هى النار التى توقد لهداية الحائر. (٤) لا يريم: لا يبرح.

(٥) رواية الديوان: * عفا وخلا له حقب قديم *

تَطَالَعُنِى خيالاتٌ لسَلْمَى * كما يَتَطالَعُ الدَّيْنَ الغَرِيمُ

غَنّاه دُحْمانُ ثانىَ ثقيلٍ بالبِنصر عن عمرو. وعَفَا : درس هاهنا، وفى موضع آخر : كثُر، وهو من الأضداد. وخيالاتٌ : جمع خيال.

أنشد عمر رضى الله عنه شعرا له فى هرم ابن سنان فدحه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وحبيب بن نصر المُهَلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة. وقال المُهَلّبىّ فى خبرٍ له عن الأصمعىّ قال :

أُنشد عمرُ بن الخطاب قولَ زُهَير فى هَرِم بن سِنان يمدحه :

دَعْ ذا وعَدِّ القولَ فى هَرِمٍ * خيرِ الكهول وسَيِّدِ الحَضَرِ

لو كنتَ من شىءٍ سوى بَشَرٍ * كنتَ المنوِّرَ ليلةَ البدرِ

ولَأنت أَوْصَلُ مَنْ سَمِعتُ به * لِشَوابِك الأرحامِ والصِّهْرِ

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنتَ إذا * دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجَّ فى الذُّعْرِ[1]

وأراك تَفْرِى ما خَلَقْتَ وبعـ * ـضُ القومِ يَخْلُق ثم لا يَفْرِى[2]

أثنى عليكَ بما علمتُ وما * أَسْلفتَ فى النَّجَداتِ من ذِكْرِ

والسِّتْرُ دونَ الفاحشات ولا * يلقاكَ دونَ الخير من سِتْرِ

فقال عمر : ذلك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

قال عمر لبعض ولد هرم قد خلد ذكره لكم

قال وقال عمر لبعض ولَدِ هَرِم : أنشِدْنى بعضَ مَدْحِ زُهَيْرٍ أباك، فأنشده. فقال عمر : إن كان لَيُحْسِن فيكم القولَ. قال : ونحن والله إن كنّا لَنُحْسِن له العطاءَ. فقال : قد ذهب ما أعطيتموه وبَقِىَ ما أعطاكم.

(١) فى أ، م : «لز» بالزاى.

(٢) تفرى : تقطع. وخلقت أى قدرت الأديم وهيأته للقطع والخرز. والمعنى : أنك إذا تهيأت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه، وبعض القوم يقدر الأمر ويتهيأ له ثم لا يقدم عليه ولا يمضيه عجزا وضعف همة. (عن شرح الأعلم).

قال : وبلغني أنّ هَرِمًا كان قد حَلَف ألّا يمدحه زُهَير إلّا أعطاه، ولا يسألَه إلّا أعطاه، ولا يسلِّمَ عليه إلّا أعطاه : عَبْدًا أو وَليدة أو فرسًا . فآستحيا زهيرٌ مما كان يقبَل منه ، فكان إذا رآه في ملأ قال : عِمُوا صباحًا غيرَ هَرِمٍ ، وخيرَكم آستثنيتُ . وروى المُهَلَّبيّ : وخيرَكم تركتُ .

حلف هرم أن يعطيه كلما لقيه

٥ أخبرني الجَوْهريّ والمهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

سأل عمر ابنه عن الحلل التي كساه اياها هرم فأجابه

قال عمر لآبن زُهير : مافعلت الحُلَل التي كساها هَرِمٌ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكنّ الحُلَل التي كساها أبوك هَرِمًا لم يُبْلِها الدهر . وقد ذكر الهَيْثم آبنُ عَديّ أن عائشةَ خاطبتْ بهذه المقالة بعضَ بنات زُهَير .

شعر له مدح به هرما ولم يسبقه اليه أحد

وقال أبو زيد عمر بن شَبّة: ومما سَبَق فيه زُهَير في مَدْح هَرِمٍ ولم يَسْبِقه إليه ١٠ أحد قولُه :

قد جعل المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ * والسائلون إلى أبوابه طُرُقا

مَنْ يَلْقَ يومًا على عِلّاته هَرِمًا * يَلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدَى خُلُقا

يطلب شأوَ آمْرَأين قَدَّما حَسَبًا[(١)] * بَذَّا الملوكَ وبَذَّا هذه السُّوَقا

هو الجوادُ فإن يَلْحَقْ بشأوهما * على تكاليفه فمِثْلُه لَحِقَا

١٥ أو يسبقاه على ماكان من مَهَلٍ[(٢)] * فمِثْلُ ما قدّما من صالحٍ سَبَقا

---

(١) رواية هذا البيت في شرح الأعلم للديوان .

يطلب شأو امرأين قدما حسنا * نالا الملوك وبذا هذه السوقا

وأراد بالمرأين : أباه وجده . يقول : تساوى أبواه بالملوك وسبقا أوساط الناس وهو يطلب سبقهما ، وذلك شديد لأنهما لا يجريان فيفعل . (عن شرح الأعلم) . (٢) المهل : التقدم . يقال أخذ فلان المهلة والمهل على فلان إذا تقدمه . يقول : إن الممدوح معذور إذا سبقه أبواه وأخذا عليه المهلة في الشرف ؛ لأن ٢٠ مثل فعلهما وما قدماه من صالح سعيهما سبق من جاراهما . (عن شرح الأعلم) .

مدح عبد الملك ابن مروان شعره فى مدح آل أبى حارثة

أخبرنى الجوهرىّ والمهلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال قال المدائنىّ :

قال عبد الملك بن مروان: ما يضرّ من مُدِحَ بما مَدَح به زُهَيْرٌ آلَ أبى حارثة من قــوله :

على مُكْثِريهم رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِـمُ[1] * وعند المقلّين السّماحةُ والبَـذْلُ

ألّا يَمْلِك أمورَ النـاس (يعنى الخـلافة) . قال ثم قال : ما ترك منهـم زُهَيْرٌ غنيًّا ولا فقيرًا إلّا وصفه ومدحه . ٥

مدح عثمان بن عفان شعرا له

وقال ٱبن الأعرابىّ قال أبو زياد الكلابىّ : أنشد عثمان بن عفّانَ قولَ زهير :

ومهما تكن عند ٱمرئٍ من خَلِيقةٍ * وإن خالَها تخفَى على النّـاس تُعْلَمِ

فقال: أحسن زُهَيْرٌ وصدَق، لو أنّ رجلًا دخل بيتًا فى جوف بيت لتحدّث به الناس. قال وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم: "لا تَعْمَلْ عَمَلًا تَكْرَهُ أن يُتحدّثَ عنك به" . ١٠

تمثل عروة بن الزبير ببيت له وقد استخف به عبد الملك بن مروان

قال وقال علىّ بن محمد المدائنىّ حدّثنى ٱبن جَعْدويه :

أنّ عُرْوةَ بن الزُّبَيْر لَحِقَ بعبـد الملك بن مروان بعد قَتْلِ أخيـه عبدِ الله بن الزُّبَيْر. فكان إذا دخل إليـه منفردًا أكرمه، وإذا دخل عليه وعنـده أهل الشام ٱستخفّ به . فقـال له يومًا : يا أميرالمؤمنين، بئس المَزورُ أنت ؛ تُكْرِم ضيفَك فى الخَلَا، وتُهِينه فى المَلَا، وقال[2]: لله درّ زُهَيْر حيث يقول : ١٥

١٥٥
٩

فقَرِّى فى بلادك إنّ قــومًا * متى يَدَعُــوا بلادَهُمُ يَهونوا

ثم ٱستأذنه فى الرُّجوع إلى المدينة، فقضَى حوائجَه وأذِن له . وهذا البيت من قصيدة لزُهَيْر قالها فى بنى تميم، وقد بلغه أنها حَشَدَتْ لغزو غَطَفان، أوّلها :

(١) يعتريهم : يقصدهم ويطلب ما عندهم .
(٢) فى أكثر النسخ : «فقال» وفى جـ : «قال» .

ألا أبلِغْ لديك بَنِى تَمِيمٍ * وقد يأتيك بالخبر الظَّنُونُ

الظَّنون : الذى لستَ منه على ثقة . والظنين : المُتَّهم .

شعره فى الحارث ابن ورقاء وقد أخذ إبله وغلا

وقال ٱبن الأعرابىّ :

كان الحارث بن ورْقاء الصَّيْداوى من بنى أسَد أغار على بنى عبد الله بن غَطَفان فغنِم فٱستاق[1] إبِلَ زُهَيْر وراعيَه يسارًا . فقال زُهَيْر :

بانَ[2] الخليطُ ولم يأْوُوا لمن تَرَكوا * وزوّدوك ٱشتياقًا أيّةً سلكوا

وهى طويلة يقول فيها :

لئن حَلَلْتَ بجوٍّ[3] فى بَنِى أَسَدٍ * فى دِين[4] عمرو وحالت بيننا فَدَكُ

ليأتينَّك منى مَنْطِقٌ قَذِعٌ * باقٍ كما دَنَّس القُبْطِيَّةَ[5] الوَدَكُ

فٱرْدُدْ يسارًا ولا تَعْنُفْ عليه ولا * تَمْعَكْ[6] بعرضك إنّ الغادر المَعِكُ

ولا تكونَنْ كأقوامٍ عَلِمْتُهُمُ * يَلْوُون ما عندهم حتى إذا نُهِكوا[7]

طابت نفوسُهمُ عن حقّ خَصْمِهِمُ * مخافةَ الشّرِّ وٱرتدّوا[8] لما تَرَكوا

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « فاستحف » . (٢) كذا فى الديوان . وفى الأصول : « إن الخليط » . والخليط : الأصحاب المخالطون فى الدار . ولم يأووا : أى لم يرحموا ولم يرقوا . (٣) جو : واد . (٤) كذا فى جـ والديوان و ياقوت فى كلامه على فدك . والمراد بدين عمرو : طاعته وسلطانه . وعمرو هو عمرو بن هند الملك . وفى سائر النسخ و ياقوت فى كلامه على دير عمرو : « دير عمرو » . وقال : "دير عمرو : جبال فى طيّ قرب قرية لهم يقال لها جو" . ثم ذكر هذا البيت والذى بعده . وفدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة . (٥) كذا فى الديوان . والقبطية (بضم القاف) : ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر منسوبة إلى القبط (بكسر القاف) على غير قياس . وفى الأصول « القطيفة » وهو تحريف . والودك : الدسم . يقول : لئن حللت بحيث لا أدركك ليردن عليك هجوى ولأدنسنّ به عرضك كما يدنس الودك القبطية . (٦) المعك : المطل وزنا ومعنى . والمعك (بكسر العين) : المطول . يقول : لا تمطلنى بيسار فمطلك غدر . وكلما مطلتنى لحق ذلك بعرضك . (٧) يلوون ما عندهم أى يمطلون بما عليهم من الدين . ونهكوا : شتموا و بولغ فى هجائهم . (عن شرح الأعلم) . (٨) أى لما أوذوا بالهجاء دفعوا الحق الى صاحبه وارتدوا الى اعطاء ما كانوا تركوه ومنعوه من الحق مخافة من الشر وابقاء على أعراضهم . (عن شرح الأعلم) .

وفى هذه القصيدة ممّا يغنّى فيه :

صــــوت

أهْوَى لها أسْفَعُ الخدّين مُطّرِقٌ * رِيشَ القوادم لم يُنْصَبْ له شَرَكُ (1)

وقــد أكون أمام الحىّ تحمِلُنى * جَرْداءُ لا فَحَجٌ فيها ولا صَكَكُ (2)

أهوى لها — يعنى القطاة تقدّم وصفُه إيّاها — صقرٌ. ورواه الأصمعىّ: "هوى لها" وقال: هوى: انقضّ، وأهوى: أوفى. ومُطّرِقٌ: ريشُه بعضُه على بعض ليس بمنتشر، وهو أعتَقُ له. وقوله لم يُنْصَب له شَرَكٌ: أى لم يُصْطَدْ ولم يُذَلَّل. والقوادم: العشرُ المتقدّماتُ. والفَحَجُ: تباعُدُ ما بين الفخذين. والصَّكَكُ: اصطكاك العُرْقُوبين فى الدوابّ، وفى الناس الركبتين. قال: فلمّا أُنْشِد الحارثُ هذا الشعرَ بعث بالغلام إلى زهير. وقيل: بل أُنْشِد قولَ زُهَير :

تَعَلَّمْ أنّ شرّ النّـاس حَىٌّ * يُنَادَى فى شعارهم يَسَارُ (3)

ولولا عَسْــبُه لرددْتموه (4) * وشَرُّ مَنِيــحَةٍ (5) أيرٌ مُعَـارُ (6)

إذا جَمَحتْ (7) نساؤكُمُ إليه * أشظَّ (8) كأنّه مَسَدٌ مُغَـارُ

---

(1) رواية الديوان بشرح الأعلم : « لم ينصب له الشبك » . ونصب ريش القوادم على التشبيه بالمفعول به ، كما تقول : زيد حسن الوجه ، بنصب الوجه . (راجع شرح الأعلم). (2) هكذا غنى فى هذا البيت . وأصله كرواية الديوان :

وقد أروحُ أمامَ الحىِّ مُقْتَنِصا * قُمْــرًا مراتِعُها القِيعانُ والنَّبَكُ

وصاحبى وَرْدةٌ نَهْــدٌ مَرَاكِلُها * جَرْدَاءُ لا فَحَجٌ فيها ولا صَكَكُ

(3) الشعار : علامة القوم فى سفرهم : اسم رجل أو شىء قد عرفوه فيما بينهم إذا دعوا به عرفوه. وإنما أراد أن يسارا صار عيبا عليهم يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم. (عن شرح الديوان لثعلب) . (4) العسب : الضراب والنكاح أو هو ماء الفحل . (5) المنيحة : العارية . (6) فى شرح الأعلم : «عسب» . (7) رواية اللسان فى مادة شظظ : « جنحت » . (8) كذا فى الديوان . وأشظ : أنعظ واشتد . وفى الأصول : «أشد» . والمسد : الحبل . والمغار : الشديد الفتل .

يبربرحين يعدو من بعيد (١) (٢) * إليها وهو قبقاب قطار

فردّه عليه . فلامه قومه وقالوا له : اقتله ولا تُرسل به إليه ، فأبى عليهم . وقال زهير عند ذلك :

أبلغ لديك بنى الصَّيْداء كُلَّهُمُ * أنّ يَسَاراً أتانا غيرَ مَغْـلُولِ

٥ ولا مُهانٍ ولكن عند ذى كَرَمٍ * وفى حِبالٍ وَفِىِّ العَهْدِ (٣) مأمولِ

وهى قصيدة . فقال الحارث لقومه : أيَّما أصْلَحُ : ما فعلتُ أو ما أردتم؟ قالوا : بل ما فعلتَ .

١٥٦ / ٩ كان يذكر فى شعره غطفان وآخرو بنى مرة ويمدحهم

قال ٱبن الأعرابىّ وحدّثنى أبو زِياد الكِلابىّ :

أنّ زهيراً وأباه وولدَه كانوا فى بنى عبد الله بن غَطَفان ، ومنزلُهم اليوم بالحاجِر (٤)

١٠ وكانوا فيه فى الجاهلية . وكان أبو سُلْمَى تزوّج إلى رجل من بَنِى فِهْر بن مُرَّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان يقال له الغَدِير (٥) — والغدير هو أبو بَشَامة (٦) الشاعر — فولَدت له زُهَيْراً وأَوْساً ، ووُلِد لزهير من آمرأة من بنى سُحَيْم . وكان زُهَيْر يذكر فى شعره بَنِى مُرَّة وغَطَفان ويمدحهم . وكان زهير فى الجاهلية سيِّداً كثيرَ المال حليماً معروفاً بالورع .

(١) يبربر : يصوت . والقبقاب : من القبقبة وهى هدير الفحل . والقطار (بضم أوله) : وصف

١٥ من القطر أى يسيل ، وقيل عن أبى محمد : المنتصب الرافع رأسه . (عن شرح ثعلب) .

(٢) كذا فى حـ والديوان بشرح الأعلم . وفى الديوان بشرح ثعلب : « تغدو » بالغين المعجمة . وفى سائر الأصول : « يبدو » . (٣) ورد هذا الشطر فى شرح الديوان للأعلم الشنتمرى هكذا : «وفى حبال وفىّ غير مجهول» . والحبال : العهود والذمم .

(٤) فى الأصول : « بالحاجز » بالزاى وهو تصحيف . (٥) كذا فى شرح ثعلب ، وقد

٢٠ صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطى كذلك فى نسخته ، ويرجحه ما سيأتى فى ص ٣١٢ من هذه الترجمة . وفى الأصول هنا : « الغابر » . (٦) كذا فى شرح الديوان لثعلب فى الدخول على قصيدته الهمزية . وفى الأصول : « هو أبو يسار هذا » وهو تحريف .

هجاه رجل من كلاب بنى عليم بن جناب فهجاهم

قال وحدّثنى حمّاد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد :

أنه بلغه أنّ زُهَيْرًا هجا آلَ بيتٍ من كلب من بنى عُلَيْم بن جَنَاب[1]، وكان بلغه عنهم شىءٌ من وراءَ وراءَ، وكان رجل من بنى عبد الله بن غَطَفانَ أتى بنى عُلَيم[2]، وأكرموه لمّا نزل بهم وأحسنوا جِوارَه، وكان رجلًا مُولَعًا بالقِمار فنهَوْه عنه، فأبى إلّا المقامرةَ . فقُمِرَ مرةً فردّوا عليه، ثم قُمِرَ أخرى فردّوا عليه، ثم قُمِرَ الثالثةَ فلم يردّوا عليه، فترحّل عنهم وشكا ما صُنِع به إلى زُهَيْر، والعربُ حينئذ يتّقُون الشعراءَ اتقاءً شديدًا . فقال : ما خرجتُ فى ليلة ظَلْماءَ إلّا خِفْتُ أن يُصيبَنى الله بعقوبة لهجائى قومًا ظلمتُهم . قال : والذى هجاهم به قوله :

عَفَا من آل فاطمةَ الجِواءُ * فيُمْنٌ فالقَوادِمُ فالحَساءُ[3]

فذو هاشٍ[4] فميثُ عُرَيْتِنَاتٍ[5] * عفَتْها الرِّيحُ بعدَك والسماءُ

جَرَتْ سُنُحًا فقلتُ لها أَجِيزِى * نَوًى مَشْمُولةً فمتى اللِّقاءُ

كأنّ أوابِدَ الثِّيرانِ فيها * هَجائنُ فى مَغابِنِها الطِّلاءُ

لقد طالبتُها ولكلِّ شىءٍ * وإن طالت لَجاجتُه انتهاءُ

وقد أغدو على شَرْبٍ[6] كرامٍ * نَشاوَى واجدين لما نشاءُ

لهم طاسٌ[7] وراوُوقٌ ومِسْكٌ * تُعَلُّ به جُلودُهمُ وماءُ

الجِواءُ : أرض . ويُمْنٌ والقوادمُ : فى بلاد غَطَفان . والمِيثُ : جمع مَيْثاء . قال أبو عمرو : إذا كان مَسِيلُ الماء مثل نصف الوادى أو ثُلُثَيْه فهى مَيْثاء . والسماء هاهنا :

(١) كذا فى شرح ثعلب والمعارف لابن قتيبة . وفى الأصول : « حبان » وهو تحريف .

(٢) فى الأصول : « غليب » وهو تحريف . (٣) الحساء : فى بلاد غطفان .

(٤) ذو هاش : موضع فى بلاد غطفان . (٥) عريتنات : اسم واد . (٦) رواية الديوان :

* وقد أغدو على ثبة كرام *

والثبة : الجماعة من الناس . (٧) رواية الديوان : « لهم راح » .

المطر. والسّانح : ما أقْبلَ من شمالك يريد يمينك . والبارحُ : ضِدُّه . وقال أبوعُبَيْدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح فقال : السانح : ما ولّاك ميامنَه. والبارح : ما ولّاك مشائمه . وأجيزى : انْفُذى . قال الأصمعىّ : يقال أجزتُ الوادىَ إذ قطعتَه وخلّفتَه، وجُزْتُه : إذا سرتَ فيه فتجاوزتَه . والأوابدُ : الوحشيّة .
٥ والمجانّ : إبلٌ بيضٌ . والمغابن : الأرفاغ، واحدها مَغْبِنٌ . ومشمولةٌ : سريعة الانكشاف . أخذه من الريح الشّمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب[1] . وجعل مشمولة هاهنا فى النوى لأن نيّتهم كانت سريعة، فأجْرى ذلك مُجْرَى الذّمّ، فهذه السُّنُح .

غنّى فى الأوّل والثانى والسابع مَعْبَدٌ ثقيلاً أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى
١٠ عن إسحاق . وذكر علىّ بن يحيى أنّ للغَرِيض فيها خفيفَ ثقيل . وذكر حَبَشٌ أن فيه للهُذَلىّ ثانىَ ثقيل بالوسطى . وفى الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أُضيف إلى الشعر وهو :

بنفسى مَنْ تذكُّره سَقَامٌ * أعالجه ومَطْلَبُه عَناء

فى[2] هذه الأبيات الثلاثة خفيفُ ثقيل أوّل بالوُسطى فى مَجْراها، ذكر إسحاق
١٥ أنه للغَرِيض، وغيرُه ينسُبه إلى آبن سُرَيج وإلى آبن عائشة . وفى الرابع والخامس لعَلّويه رَمَلَ لا يُشَكّ فيه من غِنائه .

١٥٧ / ٩

طلب من خاله بشامة وهو يحتضر أن يقسم له من ماله فقال له أورثتك الشعر

وقال آبن الأعرابىّ حدّثنى أبو زِياد ، وذكر بعضَ هذا الخبر إسحاقُ الموصلىّ عن حَمّاد الراوية وعن آبن الكلبىّ عن أبيه قال :

---

(١) فى الأصول : « لم تلبث أن تذهب » . وعبارة لسان العرب : " ... وقال ابن السكيت : مشمولة سريعة الانكشاف، أخذه من أن الريح الشمال اذا هبت بالسحاب لم يلبث أن يحسر ويذهب" .
٢٠
(٢) فى الأصول : «وفى» .

وكان بَشَامةُ بن الغَدِير خالَ [زهير بن][1] أبى سُلْمى، وكان زُهَيرٌ منقطعاً إليه وكان مُعْجَباً بشعره. وكان بَشَامةُ رجلاً مُقْعَدًا ولم يكن له ولد، وكان مُكْثِراً من المال، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت فى غَطَفان لخُئولتهم. وكان بَشامةُ أحزمَ الناس رأياً، وكانت غَطَفان إذا أرادوا أن يَغْزُوا أَتَوْه فآستشاروه وصَدَروا عن رأيه، فإذا رجَعُوا قسَمُوا له مِثْلَ ما يَقْسِمون لأفضلهم، فمن أجل ذلك كثُر مالُه. وكان أسعدَ غَطَفانَ فى زمانه. فلما حَضَره الموتُ جعل يَقْسِم مالَه فى أهل بيته وبين بنى إخوته. فأتاه زُهَيرٌ فقال: يا خالَاهْ لو قَسَمْتَ لى من مالك!! فقال: والله يا بن أختى لقد قَسَمْتُ لك أفضلَ ذلك وأجْزَلَه. قال: وما هو؟ قال: شعرى وَرِثْتَنِيه. وقد كان زُهَيرٌ قبل ذلك قال الشعرَ، وقد كان أوّلَ ما قال. فقال له زهير: الشعر شىءٌ ما قلتَه فكيف تعتدّ به علىّ؟ فقال له بَشامةُ: ومن أين جئتَ بهذا الشعر! لعلك ترى أنك جئتَ به من مُزَيْنَةَ، وقد علمت العرب أن حَصَاتَها وعينَ مائها فى الشعر لهذا الحىّ من غَطَفان ثم لى منهم، وقد رَوَيْتَه[2] عنّى. وأحذاه[3] نصيباً من ماله ومات.

و بَشَامةُ شاعر مُجِيد وهو الذى يقول:

بشامة خاله شاعر مجيد وشىء من شعره

صــــوت

ألَا تَرَيْنَ وقــد قطَّعتِنى[4] قِطَعاً ... ماذا من الفَوْت بين البخل والجود

إلّا يكن وَرَقٌ يوماً أُرَاحُ[5] به ... للخابِطين فإنّى لَيِّنُ العُـود

الغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وقيل: إنه لإبراهيم.

---

(١) وضعنا هذه التكملة لما تقدّم فى ص ٣٠٩

(٢) يحتمل أن يكون: «وقد ورثته عنى». (٣) أحذاه: أعطاه. (٤) كذا فى ب، س. وفى سائر الأصول: «قطعتنى» بالنون. ويظهر أن الخطاب لزوجته أو للائمة تلومه فى الكرم.

(٥) يقال: راحت الريح الشىء، اذا أصابته. ويقال: خبط الشجرة إذا شدها ثم نفض ورقها.

طلق زوجته أم أوفى ثم ندم فقال شعرا

قال ٱبن الأعرابيّ :

أُمُّ أَوْفَى التى ذكرها زُهَيْرٌ فى شعره كانت ٱمرأتَه، فولدتْ منه أولادًا ماتوا، ثم تزوّج بعد ذلك ٱمرأةً أخرى، وهى أُمُّ ٱبنَيْه كَعْب وبُجَيْر؛ فغارت من ذلك وآذته، فطلّقها ثم نَدِم فقال فيها :

لَعَمْرُكَ والخطوبُ مُغَيِّراتٌ * وفى طول المُعَاشرةِ التَّقالِى
لقد باليْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى * ولكن أُمُّ أَوْفَى ماتُبالِى[1]
فأمّا إذ نأيتِ فلا تقولى * لذى صِهْرٍ أَذَلْتُ ولم تُذَالِى[2]
أصبتُ بَنِىَّ منكِ ونِلْتِ منّى * من اللّذّات والحُلَلِ الغَوالِى

عانت امرأة ابنه سالما فمات فرثاه

وقال ٱبن الأعرابىّ :

كان لزهير ٱبنٌ يقال له سالم، جميل الوجه حسن الشّعر. فأهدى رجلٌ إلى زهير بُرْدَيْن[3]، فلبسهما الفتى وركب فرسًا له، فمرّ بٱمرأةٍ من العرب بماء يقال له النَّتاءَة[4]، فقالت : ما رأيتُ كاليوم قطّ رجلًا ولا بُرْدَيْن[3] ولا فرسًا. فعثَر به الفرسُ فٱندقّتْ عُنقُه وعُنقُ الفرس وٱنشقّ البردان[3]. فقال زُهَير يرثيه :

رأتْ رجلًا لاقَى من العيش غِبطةً * وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ
وشَبَّ له فيها بَنُونَ وتُوبِعتْ * سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ

(١) فى أ ، م : «لا تبالى» . (٢) أذال المرأة : هزلها وأهانها . وفى المثل : «أخيل من مذالة» وهى الأمة لأنها تهان وهى تتبختر من حقها . (٣) فى الأصول : « بردتين ... البردتان » قال ابن سيدة : البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشى . والبردة : كساء يلتحف به ، وقيل غير ذلك . (راجع اللسان فى مادة برد) . (٤) النتاءة : ماء لبنى عميلة أو هو ماء لغنى . وقال الحفصى : النتاءة : نخيلات لبنى عطارد . ويوم النتاءة من أيام العرب . (معجم البلدان لياقوت) .

فأصبح محبورا[1] ينظر حوله * بغبطته[2] لو أن ذلك دائم

وعندى من الأيام ما ليس عنده * فقلت تعلم إنما أنت حالم[3]

١٥٨ / ٩

لعلك يوما أن تراعى بفاجع * كما راعنى يوم التناءة سالم

قال ابن الأعرابى :

هو وقومه شعراء

كان لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره، وكان أبوه شاعرا، وخاله شاعرا، وأخته سلمى ٥
شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، وهى القائلة ترثيه :

وما يغنى توقى الموت شيئا[4] * ولا عقد التميم ولا الغضار

— والغضار : كان أحدهم إذا خشى على نفسه يعلق فى عنقه خرقا أخضر —

إذا لاقى منيته فأمسى * يساق به وقد حق الحذار

ولاقاه من الأيام يوم * كما من قبل لم يخلد قدار[5] ١٠

وابن ابنه المضرب[6] بن كعب بن زهير شاعر، وهو القائل :

إنى لأحبس نفسى وهى صادية * عن مصعب ولقد بانت لى الطرق

(١) المحبور : المنعم . ومنه قوله تعالى : (فى روضة يحبرون) أى ينعمون . وينظر حوله أى ينظر حوله يمينا وشمالا . (٢) كذا فى معجم البلدان فى الكلام على التناءة . وفى الأصول : «تغبطه» . وفى الديوان بشرح ثعلب : «بغبطة» . ولم ترد هذه الأبيات فى شرح الأعلم . (٣) يخاطب ابنه . ١٥ يقول : ما أنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم . (٤) فى اللسان (فى مادة غضر) : «توقى المرء» . (٥) قدار : هو قدار بن سالف عاقر الناقة . (٦) فى شرح القاموس (فى مادة ضرب) : «وكمحدث (بكسر الدال المشددة) ومعظم (بفتح الظاء المشددة) لقب عقبة بن كعب بن زهير . وبالوجهين ضبط فى نسخة الصحاح» . وفى كتاب الشعر والشعراء أنه شبب بامرأة من بنى أسد فقال :

ولا عيب فيها غير أنك واجد * ملاقيها قد ديثت بركوب ٢٠

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدية ، فسمى المضرب .

رُعْوَى عليه كما أَرْعَى على هَرِمٍ[1] * جَدِّى زُهَيْرٌ وفينا ذلك الخُلُقُ

مَدْحُ الملوك وسَعْىٌ فى مَسَرّتهم * ثم الغِنَى ويَدُ الممدوح تنطلقُ

ما امتاز به شعره وكان سبب تقديمه

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال :

مَنْ قَدَّم زُهَيْرًا آحتجّ بأنه كان أحسنَهم شعرًا، وأبعدَهم من سُخْف، وأجمعَهم

٥ لكثير من المعانى فى قليلٍ من الألفاظ، وأشدَّهم مبالغةً فى المدح، وأكثرَهم أمثالًا فى شعره .

مرثية ابنه سالم

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعىّ قال :

كان لزهير ابنٌ يقال له سالم، وكان من أمّ كعب بن زُهَير؛ فمات أو قُتل؛

فجزِع عليه كعب[2] جزعًا شديدًا، فلامته آمرأته وقالت : كأنه لم يُصَبْ غيرُك

١٠ من الناس! فقال :

رأتْ رجلًا لاقى من العيش غِبطةً * وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ

وشَبَّ له فيها بَنُونَ وتُوبِعتْ * سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ

فأصبح محبورًا ينظُر حولَه * بغبطته لو أنّ ذلك دائمُ

وعندى من الأيّام ما ليس عنده * فقلت له مهلًا فإنك حالمُ

١٥ لعلك يومًا أن تُراعى بفاجع * كما راعنى يوم النَّتاءة سالمُ

* * *

صوت

عَزَفْتَ ولم تَصْرِمْ وأنت صَرومُ * وكيف تَصابِى مَنْ يقال حليمُ

صَدَدتَ فأطْوَلْتَ الصدودَ ولا أرى * وِصالًا على طول الصُّدود يدومُ

٢٠ (١) رعوى عليه : أى بقيا عليه ؛ يقال : أرعى فلان على فلان اذا أبقى عليه .

(٢) تقدم فى ص ٣١٣ أن هذا الشعر قاله زهير فى ابنه سالم .

عَروضَه من الطويل . عزفت عن الشىء : اذا تركته وأَبَتْه نفسُك . قال ابن الأعرابى : يقول لم تَصْرِم صُرْمَ بَتَاتٍ . ولكن صَرَمْتَ صُرْمَ دَلالٍ . وأطْوَلتَ الصدودَ أى أطلته . وإنما قال هذا ضرورةً[1] . الشعر للمَرّار بن سَعيد الفَقْعَسى . والغِناء لإسحاق رَمَلٌ .

(١) فى لسان العرب (فى مادة طول) : « وأطلت الشىء وأطولت على النقصان والتمام بمعنى . المحكم : وأطال الشىء وطوّله وأطوله : جعله طويلا . وكأن الذين قالوا ذلك انما أرادوا أن ينبهوا على أصل الباب . قال : فلا يقاس هذا انما يأتى للتنبيه على الأصل » .

٥

ذكر المَرَّار وخبره ونَسَبه

نسبه وكان قصيرا ضئيل الجسم

هو المَرَّارُ بن سَعيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلَةَ بن الأَشْتَر بن جَحْوان[1] بن فَقْعَس ابن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين[2] بن الحارث بن ثَعْلَبةَ[3] بن دُودَان[4] بن أَسَد بن خُزَيْمة ابن مُدْرِكَةَ بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وأُمّ المَرّار بنتُ مَرْوان بن مُنقِذ[5] الذى أغار على بنى عامر بثَهْلان[6] فقتل منهم مائةً بحبيب بن مُنقِذ[5] عمِّه[7] ، وكانوا قتلوه .

١٥٩ / ٩

وكان المَرّار قصيراً مُفْرِطَ القِصَر ضئيلَ الجسم . وفى ذلك يقول :

عَدُونِيَ الثعلبَ عند العَدد * حتى ٱستثاروا بِيَ إحدَى الإِحَدِ[8]

لَيْثاً هِزَبْراً ذا سلاحٍ مُعْتَدِى[9] * يَرْمِى بطَرْفٍ كالحريق المُوقَدِ

---

(١) كذا فى جـ وهو الصحيح كما فى شرح القاموس (فى مادة جحو) . وفى سائر الأصول : «هوازن» وهو تحريف .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «معين» بالميم وهو تحريف .

(٣) فى جميع الأصول : «تغلب» . والتصويب عن شرح القاموس (فى مادتى قعن وجحو) .

(٤) كذا فى أ ، م ونهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى وقد أورده فى باب الذال المعجمة مع الواو . وفى سائر الأصول : «دودان» بالدال المهملة .
(٥) كذا فى حـ . وفى أ ، م : «منقد» بالدال المهملة . ويظهر أنه مصحف عن منقذ بالذال المعجمة إذ لم يسم بهذا الاسم . وفى ب ، س : «منقر» بالراء المهملة .

(٦) ثهلان : جبل ضخم بالعالية عن أبى عبيدة . وقال نصر : ثهلان جبل لبنى نمير بن عامر بن صعصعة بناحية الشريف به ماء ونخيل . (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٧) يلاحظ أنه أخوه لا عمه إلا أن يكون منقذ جدّ مروان وسقط اسم أبيه .

(٨) إحدى الإحد : الأمر المنكر الكبير . قال الشاعر : * بمكاظ فعلوا إحدى الإحد * وإحدى الإحد الداهية . يقول : حسبونى من عداد الثعالب عند لقاء الأبطال أروغ عنهم ولا أكافحهم حتى استثاروا منى داهية .
(٩) المعتدى : وصف من العدوان إلا أنه وقف على لغة ربيعة فى تسكين المنصوب . وفى الأصول : «معند» بالنون وبدون ياء . ويحتمل أن يكون مصحفا عن «معتد» وصف من أعتد الشىء إذا هيأه وأعده ، وعلى هذا يكون وصفا للسلاح . ويرمى بطرف كالحريق الموقد : أراد أن عينه فى غضب حمراء كالنار الموقدة الملتهبة . (راجع لسان العرب فى مادة أحد ، وخزانة الأدب للبغدادى ج ٣ ص ٢٩٣ و ٢٩٤) .

كان يهاجى المساور بن هند

وكان يُهاجِى المُسَاوِرَ بن هند بن قيس بن زُهَيْر بن جَذِيمةَ العَبْسيّ . وفيه يقول المَرّار:

شَقِيَتْ بنو سَعْدٍ بِشعْرِ مُسَاوِرٍ * إنّ الشقىَّ بكلّ حبلٍ يُخْنَقُ

والمُسَاوِر القائل فيه :

ما سرّنى أنّ أُمّى من بنى أَسَدٍ * وأنّ ربِّىَ يُنْجِينى من النار

أو أنّهم زوّجونى من بناتهمُ * وأنّ لى كلّ يومٍ ألفَ دينار

من مخضرمى الدولتين

والمَرّارُ من مُخَضْرَمِى الدولتين . وقد قيل : إنّه لم يُدْرِك الدولةَ العبّاسيّة .

أغار هو وأخوه بدر على بنى عبس ونهبا إبلهم فحبسهما الوالى

وقال هذه القصيدة وهو محبوس . ذكر محمد بن حَبِيب عن ٱبن الأعرابىّ عن المُفَضَّل والكوفيّين :

أنّ المَرّار بن سعيد كان أتى حُصَيْنَ بن بَرّاق من بنى عَبْس، فوقف على بيوتهم فجعل يحدّث نساءهم ويُنْشِدهنّ الشعرَ . فنظروا إليه وهم مجتمعون على الماء فظنّوا أنه يَعِظُهُنّ . ثم ٱنصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال . فقال له بعضهم : أنت يامَرّارُ تَقِفُ على أبياتنا وتُنشد النساءَ الشعر! فقال: إنّما كنتُ أسألهن. فجرى بينه وبينهم كلامٌ غليظ، فوثَبوا عليه وضَربوه وعقَروا بعيره؛ فٱنصرف من عندهم إلى بنى فَقْعَس فأخبرهم الخبرَ، فركبوا معه حتى أتَوْا بنى عَبْس فقاتلوهم فهزموهم، وفقأتْ بنو فَقْعَس من بنى عَبْس عيناً وقتلوا رجلًا ثم ٱنصرفوا . فحمل أبو شَدّاد النَّصْرىّ لبنى عَبْس مائتى بعير وغلّظوا عليهم فى الدِّية . ثم إنّ بدر بن سعيد أخا المَرّار قال : قد ٱستوفتْ عَبْسٌ حقَّها، فعلامَ أترك ضَرْبَ أخى وعَقْرَ جَمَله ! فخرج حتى أتى جِمالًا لبنى عَبْس فى المَرْعَى فرمى بعضَها فعقَرها ثم ٱنصرف . فقال المَرّار : إنّه والله ما يُقْنَعُ بهذا ولكن اخرُجْ بنا . فخرجا حتى أغارا على إبلٍ لبنى عَبْس فطرداها وتوجها بها نحوَ تَيْماء[1] . فلمّا كانا فى بعض الطريق ٱنقطع بِطانُ راحلة بدر

(١) تيماء : بليد فى أطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام ودمشق .

فنَدَّر[1] عن رَحْله . فقال له المَرّار : يا أخى أطِعْنى وانصرِف ودَعْ هذه الإبلَ فى النار.
فأبَى عليه . ثم سارا ، فلمّا كانا فى بعض الطريق عرَض لهما ظبيٌ أعْضَبُ[2] أحدِ القرنين .
فقال المَرّار لبدر : قد تطيَّرتُ من هذا السفر ، ولا والله ما نرجع من هذا السفر أبدا ،
فأبَى عليه بدرٌ . فتفرّقت عَبْسٌ فِرْقتين فى طلب الإبل ، فعمَدت فرقةٌ إلى وادى القُرى[3] ،
٥ وفرقةٌ إلى تَيْماء ، فصادفوا الإبل بتَيْماء تُباع ، فأخذوا المَرّارَ وبَدْرًا فرفعوهما إلى الوالى .
وعُرِفتْ سِماتُ عَبْسٍ على الإبل فدُفِعتْ إليهم ، ورُفِع المَرّارُ وأخوه إلى المدينة
فضُرِبا وحُبِسا ، فمات بدرٌ فى الحبس . فكلّمتْ عِدّةٌ من قريش زيادَ بن عبد الله النَّصْرىَّ
فى المَرّار فخلّاه . وقال فى حبسه :

* صَرَمْتَ ولم تَصْرِمْ وأنتَ صَرُومُ *

١٠ وهى طويلة .

مات أخوه بدر فى الحبس فرثاه

وقال يَرْثِى أخاه بدرًا :

أَلَا يا لَقَومى للتّجلُّدِ والصبرِ * وللقَدَرِ السّارى إليكَ وما تَدْرى
وللشىء تَنْساه وتذكُرُ غيرَه * وللشىء لا تَنْساه إلّا على ذُكْرِ
وما لكما بالغيب عِلْمٌ فتُخْبِرا * وما لكما فى أمر عثمانَ من أمرِ

١٥ وهى طويلة ، يقول فيها :

أَلَا قاتَل اللهُ المقاديرَ والمُنَى * وطيرًا جَرَتْ بين السُّعافاتِ[4] والحِبْرِ[5]
وقاتَلَ تكذيبَ العِيافةَ[6] بعد ما * زجرتُ فما أغْنَى اعتيافى ولا زَجْرى

١٦٠/٩

(١) ندر عن رحله : سقط . (٢) الأعضب : المكسور . (٣) وادى القرى : واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى . (٤) فى معجم البلدان : « السعافات بضم أوله وبعد الألف فاء وآخره تاء مثناة من فوق موضع فى قول المرار » . واستشهد بهذا البيت .
٢٠ (٥) الحبر (بالكسر ثم السكون) : اسم واد ، كذا ذكره ياقوت فى معجم البلدان واستشهد بأبيات من هذه القصيدة . وفى الأصول : « الحجر » بالجيم . (٦) فى ياقوت : « وقاتل تتريب العيافة » .

تَرَوَّحْ فقد طال الثَّواءُ وقُضِّيَتْ * مَشَارِيطُ كانت نحوَ غايتِها تجرى

— المشاريط : العلامات والأمارات —

وما لقُفُولٍ[1] بعد بدرٍ بشاشةٌ * ولا الحىِّ آتيهم ولا أوبةِ السَّفْرِ

تُذَكِّرُنى بدراً زعازعُ بَجْرَةٍ[2] * اذا عَصَفَتْ إحدى عَشِيَّاتها الغُبْرِ

— الزعازعُ : الشديدةُ الهُبوب . والبَجْرة[2] : السنة الشديدة —

إذا شَوْلُنا[3] لم نُؤْتَ منها بِمحْلَبٍ * قَرَى الضَّيفَ منها بالمهنَّد ذى الأَثْرِ

وأضيافُنا إن نبَّهونا ذكرتُه * فكيف إذًا أنساه غابرةَ الدهرِ

إذا سَلَّمَ السَّارِى تهلَّلَ وجهُه * على كل حالٍ من يَسَارٍ ومن عُسْرِ

تذكَّرتُ بدراً بعد ما قيل عارفٌ[4] * لما نابَه يا لَهْفَ نفسى على بدرِ

إذا خطرتْ منه على النفس خَطْرةٌ * مَرَتْ[5] دمعَ عينى فآستَهَلَّ على نَحْرِى

وما كنتُ بَكَّاءً ولكن يَهِيجُ لى[6] * على ذِكْرِه طِيبُ الخلائق والخُبْرِ

أعينىَّ إنى شاكرٌ ما فعلتما * وحُقَّ لما أَبْلَيْتُمانِىَ بالشكرِ

سألتُكما أن تُسْعِدانِى بجُدْتُما * عَوَانَيْنِ[7] بالتَّسْجام باقِيَتَىْ[8] قَطْرِ

---

(١) فى ح : « وما لقفولى » .   (٢) فى الأصول : « بجرة » بتقديم الحاء المهملة على الجيم وهو تصحيف . وفى ياقوت : « لزبة » وسنة لزبة : شديدة .

(٣) الشول : جمع شائلة ، وهى من الإبل ما أتى عليها من وضعها أو حملها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخف لبنها . والمحلب : إناء يحلب فيه . والأثر (بالفتح وبالكسر وبضمتين) : فرند السيف ورونقه . ورواية هذا البيت فى كتاب الشعر والشعراء ص ٤٤١ طبع أوربا : "اذا شولنا لم نسع فيها بمرفد... الخ" .

(٤) عرف للأمر : صبر .   (٥) مرت دمع عينى : أرسله وأسبله . واستهل : سال .

(٦) فى ب ، س : « يهيجنى » .   (٧) العوان : النصف فى سنها من كل شىء . والحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا . والحرب العوان هى أشد الحروب . فلعله يريد أن عينيه سجمتا الدمع أى أسالتاه مرة بعد أخرى .   (٨) كذا فى كتاب الشعر والشعراء . ووردت هذه الكلمة فى الأصول مصحفة ، ففى بعضها : « يا قتى » وفى بعضها الآخر : « يا قبى » .

فلمّا شَفَانِى اليأسُ عنــه بسَلْوة * وأَعْذرتُمـا لا بل أَجَلّ من العذر

نَهيتُكما أن تُشهِرانى[1] فكنتُما * صَبورَيْن بعـد اليأس طاوِيتىْ غُبْر

يقول : طو يتما أغبارَ دمعكما . والأغبار : البقايا كأغبار اللّبن .

خرج حاجا وأضافه قرشى بالأبطح

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيـه قال حدّثنى رجل عن واصِل بن

٥ زكريّا بن المَرّار أن المَرّار قال :

خرجتُ حاجًّا فأنختُ بناحية الأبْطَح ، فجاء قوم فنحَّوْنى عن موضعى وضربوا

فيه قُبّةً لرجل من قُرَيش . فلمّا جاء وجلس أتيتُه فقلتُ :

هذا قَعُودِى بارِكًا بالأَبْطَح * عليـه عِكْمَا[2] أَكْمُـرٍ[3] لم تُفْتَح

فقال : وما قصّتك؟ فأخبرتُه . فقال : والله لا تفتحُ منهما شيئا حتى تنصرفَ، فأَقِمْ

١٠ معنا، يدُك مع أيدينا، وقَعُودُك مع أَبَاعِرِنا[4]. فوالله ما فتحتُ العِدْلَيْن حتى ٱنصرفتُ

بهما الى أهلى. فما هجانى أحد قطّ هجاءه .

حبس هو وأخوه بـدر ، وشعره فى الحبس

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعى قال حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ عن أبى عُبَيْدة قال

أخبرنى أبو مَوْهَب رُتَيْل الزُّبَيرى أحدُ بَنِى زُبَيْر بن عمرو بن قُعَيْن قال :

كان المَــرّارُ بن سعيد وأخوه بدرٌ لِصَّيْن، وكان بدرٌ أشهرَ منه بالسرقة وأكثرَ

١٥ غاراتٍ على النــاس . فأغار بدر على ذَوْدٍ[5] لبعض بنى غَنْم بن ذُودَان[6] فطردَها، فأخذ

(١) فى كتاب الشعر والشعراء : « أن تشمتا بى » .

(٢) العكم : العدل وهو الغرارة . (٣) أكمر : جمع كمر (بكسر الكاف وسكون الميم) نحو ذئب وأذؤب . وهذا الجمع سماعى فى مثل هـذا الوزن . والكمر من البسر : ما لم يرطب على نخله ولكنه سقط فأرطب على الأرض . (٤) كذا فى ا ، م . وفى سائر الأصول : « أقاعدنا » وهذا الجمع

٢٠ لم يرد فى كتب اللغة فى جمع قعود . (٥) الذود : ثلاثة أبعرة الى التسعة ، وقيل الى العشرة ، وقيل غير ذلك . ولا يكون إلا من الإناث . وهو واحد وجمع كالفلك . (٦) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣١٧ وغنم هو أخو ثعلبة المذكور فى تلك الصفحة . (راجع كتاب سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب للسويدى ص ٥٨ طبع بغداد سنة ١٢٧٠ هجرية) .

١٦١
٩

ورُفِـع الى عثمانَ بن حَيَّانَ المُرّىّ، وهو يومئذ على المدينة فحبسه. وطرَد المَرّارُ طَريدةً فأخذ معها وهو يبيعها بوادى القُرَى أو بِبِرْمَةَ[1]، فرُفِـع إلى عثمانَ بن حَيّان فحبَسه. قال: فآجتمعا ومكثا فى السجن مدّةً، ثم أُفْلِتَ المَـرّارُ وبقىَ بدرٌ فى السجن حتى مات محبوسًا مقيَّدًا. فقال المَرّار وهو فى الحبس:

أنارٌ بَدَتْ من كُوَّةِ السِّجْنِ ضوءُها[2] * عشيّةَ حَـلَّ الحَىُّ بالجَرَعِ[3] العُفْرِ

عَشيّةَ حَـلَّ الحَىُّ أرضًـا خَصيبةً * يَطيبُ بهـا مَسُّ الجنائبِ[4] والقَطْرِ

فياويلتـا[5] سجنَ اليمـامة أطلِقَا * أسـيرَكما يَنْظُرْ إلى البرق ما يَفْرِى[6]

فإن تفعلا أَحْمَدْكُما ولقد أرَى * بأنكما لا ينبـغى لكما شكرى

ولو فارقتْ رجلى القيودُ وجـدتُنى * رفيقًا بنَصِّ العِيسِ[7] فى البـلد القَفْرِ

جـديرًا إذا أُمسى بأرضٍ مَضَـلَّةٍ[8] * بتقويمها حتى يُرَى وَضَحُ الفجـرِ

١٠

حاصم رجلا من قومه وسابه، وقال فى ذلك شعرا

وقال أبو عمرو الشَّيْبانىّ:

كان بين المَرّار بن سعيد وبين رجل من قومه لِحَاءٌ، فتقاذفا وتسابّا، ثم صارا إلى الضرب بالعصا؛ فقال فى ذلك:

---

(١) برمة (بكسر أوله): عرض من أعراض المدينة بين خيبر ووادى القرى. (٢) كذا فى الأصول بتأنيث الفعل لإضافة الفاعل الى ضمير المؤنث. (٣) كذا فى ح بالراء المهملة. والجرع بالتحريك: جمع جرعة بالتحريك أيضا وهى هنا الرملة العذاة الطيبة التى لا وعوثة فيها. وفى سائر الأصول: الجزع بالزاى المعجمة وهو تصحيف. (٤) الجنائب: جمع جنوب وهى الريح التى تقابل الشمال. ومنه اذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح. (٥) هكذا فى جميع الأصول: وياويلتا بمعنى يا فضيحتا. وقد أشكل علينا مرجع الضمير المثنى فى قوله «أطلقا أسيركما». ولهذا يحتمل أن تكون هذه الكلمة محرفة عن مثل قوله "فياحارسى سجن اليمامة" أو نحو ذلك. (٦) يفرى: يشق؛ والبرق يشق الظلام. (٧) نص العيس: استحثاثها واستقصاء آخر ما عندها من السير. (٨) أرض مضلة (بفتح الضاد وتكسر): يضل فيها الطريق.

١٥

٢٠

صـــوت

ألم تَرْبَعْ فتُخْبِرَكَ المَغانِي * فكيف وهُنّ مُذْ حِجَجٍ ثَمانِ
بَرِئْتُ من المنازلِ غيرَ شَوْقٍ * إلى الدارِ التي بِلِوَى أَبَانِ (١)

لإسحاقَ فى هذين البيتين هَزَجٌ بالخنصر فى مجرى البِنْصر من كتاب ابن المكّىّ .

كان أخوه بدر شاعرا، وشىء من شعره

٥ وكان بدر بن سعيد أخو المرّار شاعرًا (٢) وهو الذى يقول :

صـــوت

يا حبّذا حين تُمْسِي الريحُ باردةً * وادِي أُشَيٍّ (٣) وفِتْيانٌ به هُضُمُ (٤)
مُخَدَّمون كِرامٌ فى مجالسِهم * وفى الرِّحال إذا لاقيتَهم خَدَمُ
وما أُصاحِبُ من قوم فأذكُرهم * إلّا يَزِيدُهُمُ حُبًّا إلىّ هُمُ (٥)

١٠ الغناء لابن مُحْرِز ثانى ثقيل بالخنصر والبنصر عن ابن المكّىّ . وفيه لمتيّم خَفيفُ رَمَلٍ . وذكر حَبَشٌ ، أن الثقيل للهُذَلىّ . وفيه لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ثقيلٌ أوّلُ عن الهشامىّ .

---

(١) أبان : يطلق على موضعين هما أبان الأبيض وأبان الأسود . فالأبيض شرق الحاجر وبه نخل وماء وهو لبنى فزارة وعبس . والأسود : جبل لبنى فزارة خاصة ، وبينه وبين الأبيض ميلان . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) فى لسان العرب (فى مادة هضم) ومعجم البلدان

١٥ فى الكلام على أشى وشعوب وتقم أن قائله زياد بن منقذ . وفى شرح الحماسة للتبريزى طبع أوربا ص ٦٠٨ أن قائله زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث ويقال زياد بن منقذ . ومثله فى لسان العرب (فى مادة أشى) غير أنه ورد فيه : « زياد بن حمد » بالدال محرفا . (٣) أشى : موضع بالوشم . والوشم : واد باليمامة ؛ ذكر ذلك ياقوت واستشهد بالأبيات . (٤) هضم : جمع هضوم .

٢٠ وفتيان هضم : يهضمون المال أى يكسرونه وينفقونه . (٥) ارتفع « هم » الأخير بيزيد . وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل ؛ لأنه كان الوجه أن يقول إلا يزيدونهم حبا إلىّ ؛ ومثله لطرفة :

أصرمت حبل الحى إذ صرموا * يا صاح بل صرم الوصال هم

(عن شرح ديوان الحماسة للتبريزى) .

صوت ابن صاحب الوضوء فى شعر النابغة

صــــوت

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ مَتينةٍ * تُمَــدُّ بهـا أيدٍ إليــكَ نَوَازِعُ

فإن كنتَ لاذا الضِّغْنِ عنِّى مكذِّبًا * ولا حَلِفِى عنــد البَرَاءةِ نافــعُ

فانك كالليــلِ الذى هو مُدْرِكى * وإن خِلتُ أن المُنْتَأَى عنك واسعُ ٥

عروضُه من الطَّويل . يقول : أنا فى قَبْضتك متى شئتَ قـدَرْتَ علىَّ كأنى فى خَطَاطِيفَ تَجْذِبُنى إليك ولا أَقْدِر على الهَـرَبِ منك . ويُرْوَى "وإن خلتُ أن المُنْتَوَى" أى الموضع الذى أنتَوِى قصــدَه . والمُنْتَأَى : المُفْتَعـل من النأى . والحُجْن : المُعْوَجَّةُ . والنَّوازِع : الجواذِب . والضِّغْن : الحقد .

الشعر للنابغة الذُّبْيانىّ . والغناء لابن صاحب الوضوء من رواية إسحاق وعمرو ماخُورِىٌّ بالبِنْصر . ١٠

انتهى الجــزء العــاشر من كتاب الأغانى

ويليه الجــزء الحادى عشر

وأوله أخبــار النابغــة ونســبه


Bibliotheca Alexandrina
0488360